الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإجتماعية

قسم علم الإجتماع

أنتروبولوجيا المقاومة الجزائرية

دراسة حالة الأمير و المقراني و الشيخ بوعمامة.

رسالة بحث لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الإجتماع من جامعة الجزائر 2-بوزريعة

إعداد الطالب: عتيق العربي

إشراف الأستاذ الدكتور: حقيقي نور الدين

السنة الجامعية 2017-2018

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإجتماعية

قسم علم الإجتماع

أنتروبولوجيا المقاومة الجزائرية

دراسة حالة الأمير و المقراني و الشيخ بوعمامة.

رسالة بحث لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الإجتماع من جامعة الجزائر 2-بوزريعة

إعداد الطالب: عتيق العربي

إشراف الأستاذ الدكتور: حقيقي نور الدين

يوم المناقشة:

لجنة التحكيم:

الأستاذ الرئيس..... الأستاذ العضو.....

الأستاذ المقرر..... الأستاذ العضو.....

الأستاذ المشرف..... الأستاذ العضو.....

السنة الجامعية 2017-2018

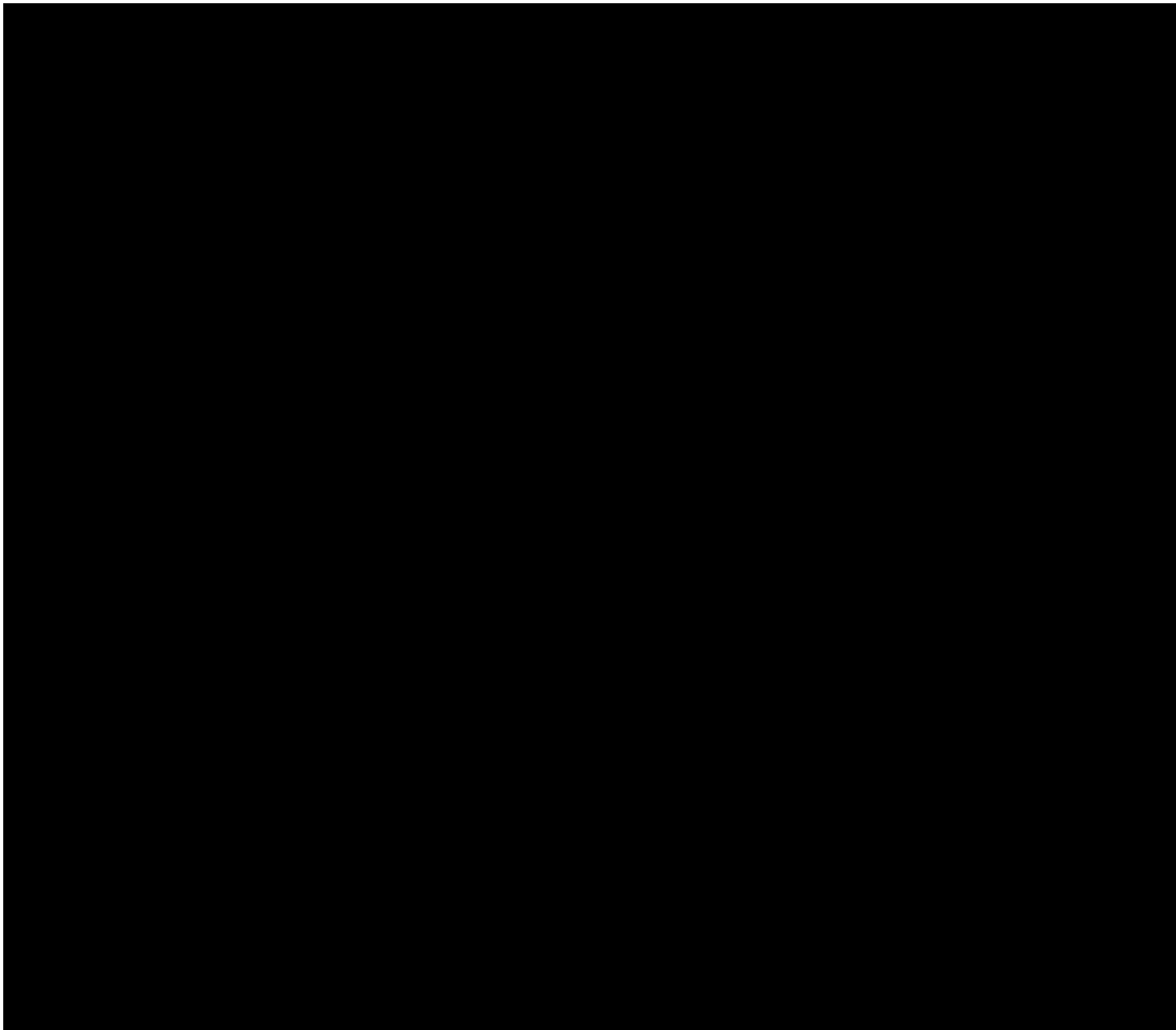

ضيق قبريهما وضاعف
من أجرك عليهما، إنك
عفو رؤو ف ورحيم ،
وإنا لهما من
اللاحقين.

شكر

أشكر كل اللين
ساعدوني في هذا
البحث من الفكرة
والتصميم حتى
دراسة الكتب
والمجلات والوث ائق
واللذين ساهمو في
طباعة هذا الإنجاز
العلمي المميز .وكل
من عملني حرفا
فأنا عبد له مع
الشكر لكل لأستاذ
ومعلم عملني من
الصغر إلى اليوم،
وخاصة المشرف

الفهرس العام

فصل تمهيدي مقدمة نظرية عامة: .....9.....

تمهيد: .....10.....

الإشكالية: .....11.....

أهمية البحث: .....16.....

أهداف البحث: .....16.....

أسباب إختيار الموضوع: .....17.....

أدوات البحث .....18.....

ميزة البحث .....19.....

صعوبات البحث: .....20.....

الباب الأول: الأنتروبولوجيا معنى وتطورات .....21.....

الفصل الثالث التاريخ و الأنتروبولوجيا .....21.....

تمهيد .....22.....

الفصل الأول المفهوم و التطورات وإبستيمولوجيةالأنتروبولوجية .....23.....

المبحث الأول التعريف و النشأة .....23.....

المطلب الأول تعريف الأنتروبولوجيا .....23.....

المطلب االثاني نشأة الانتروبولوجيا .....24.....

المطلب الثالث .تطورات نظرية و منهجية .....27.....

المطلب الرابع -أنواع الأنتروبولوجيا .....29.....

المبحث الثاني قراءة إبستيمولوجية .....31.....

المطلب الأول مداخل في الموضوع الأنتروبولوجي .....31.....

المطلب الثاني النظرية في الأنتروبولوجيا: .....33.....

المطلب الثالث الأنثربولوجيا من خلال الإبستيمولوجيا .....36.....

المبحث الثالث المناهج الانتروبولوجية .....41.....

المطلب الأول المناهج التأسيسية .....41.....

المطلب الثاني المناهج العلمية .....44.....

المطلب الثالث مناهج حديثة .....45.....

الفصل الثاني علاقة الانتروبولوجيا بالعلوم الاجتماعية .....49.....

المبحث الأول العلاقات الكلاسيكية .....49.....

المطلب الأول الأنتروبولوجيا ووضعية علم الإجتماع .....49.....

المطلب الثاني الإتنوغرافيا: والتاريخ .....50.....
المطلب الثالث الأنثربولوجيا والتاريخ: .....51.....
المطلب الرابع الأنتروبولوجيا و السياسة :تقاطعات إبستمولوجية : .....52.....
المطلب الخامس علم الاجتماع والأنتربولوجيا: تمفصلات متكاملة ؛ .....54.....

الفصل الثالث التاريخ و الأنتروبولوجيا .....58.....
المبحث الأول التاريخ معنى و تطورات منهجية .....58.....
المطلب الأول مفهوم ومعنى التاريخ : .....58.....
مطلب ثاني مناهج كتابة التاريخ .....60.....
المبحث الثاني مدارس التاريخ الحديث .....62.....
تمهيد .....62.....
المطلب الأول النظريات المنهجية الوثائقية :التقاليد الجديدة .....62.....
المطلب الثاني الحوليات منهج و نظرية .....67.....

الباب الثاني: أنتروبولوجيا الإستعمار نظريات وميادين .....72.....

الفصل الأول الأعمال الأساسية حول المجتمع الجزائري .....73.....
تمهيد .....73.....
المبحث الأول المعارف المتراكمة .....73.....
المطلب الأول الأعمال الميدانية في أنتروبولوجيا الاستعمار: .....73.....
المطلب الثاني بيرك و التحليل المتعدد الأبعاد .....77.....
المطلب الثالث المركزية الأنتربولوجية عند ستراوس وفيبر : .....80.....
المبحث الثاني - موضوعات الأنتروبولوجيا الكولونيالية .....82.....
-المطلب الأول – العرف والتقليد .....82.....
المطلب الثاني التقاليد و الحياة اليومية في الأنتروبولوجياالكولونيالية .....86.....
المطلب الثالث - المصطلحات الطرقية : .....89.....
و الملاحظ أن هذه المفاه يم فعلت فعلها في شكل تغذية رجعية و تنميط وجودي متكامل و تأثيري قوي و أعطت دفع ثوري و حيوي و سياسي بصير بالحياة و المصير فكانت الثورة. .....93.....
المطلب الرابع - الثقافة و اللغة .....93.....

الفصل الثاني أطروحات المقاربة الكولونيالية .....95.....
تمهيد .....95.....
المبحث الأول المقاربة الكولونيالية للميدان .....95.....
المطلب الأول مصادر البحث الكولونيالي .....95.....
المطلب الثاني الاصطلاحات الاساسية للمدرسة الاستعمارية: .....97.....
المطلب الأول المقاربة الإنسانية : .....100.....
المطلب الثاني المقاربة السوسيولوجية: .....101.....
المطلب الثالث المقاربة الكلاسيكية .....103.....
المطلب الرابع المقاربة الماركسية: .....106.....
المبحث الثالث ميادين المقاربات االإستعمارية .....108.....
المطلب الأول التجمعات السكنية والعمران .....108.....
المطلب الثاني بنية القبيلة و تقسيم العمل () .....111.....
المطلب الثالث الإحتواء الاستشراقي دراسة للعلوم المتسامية .....113.....

الباب الثالث: معنى ونظريات المقاومة عالميا ومحليا 119

الفصل الأول: تعريف المقاومة في الثقافة الحديثة 120

تمهيد 120

المبحث الأول تعاريف ومفاهيم 120

المطلب الأول تعريف: 120

المطلب الثاني المقاومة في الفكر الغربي 122

المطلب الثالث مفهوم المقاومة و علاقته بالثورة: 123

المطلب الرابع نظريات الثورة: 124

الفصل الثاني المقاومة في الثقافة السياسية والممارسة الواقعية 128

المبحث الأول تعريف الثقافة السياسية والمقاومة التقليدية 128

المطلب الأول تعريف الثقافة السياسية 128

المطلب الثاني المقاومة في الثقافة التقليدية 130

المبحث الثاني المقاربة الواقعية للمقاومة 133

المطلب الأول المقاومة في المعنى الصوفي 133

المطلب الثاني نموذج مقاومة الحوار المدني في الجزائر 137

الفصل الثالث النظريات المحلية في المقاومة -العصبية والقابلية للاستعمار. 143

تمهيد 143

المبحث الأول تحليل العصبية و أبعادها عند ابن خلدون ونقده 144

المطلب الأول مفهوم العصبية: 144

المطلب الثاني العصبية في النقد الاجتماعي الحديث 146

المطلب الثالث الأساس أخلاقي للعصبية و المقاومة 149

المبحث الثاني مالك بن نبي و القابلية للإستعمار و المقاومة الذاتية 153

المطلب الأول فلسفة القابلية للاستعمار: 153

المطلب الثاني معنى القابلية للاستعمار لدى بن نبي 156

االمطلب الثالث : مصادر القابلية للاستعمار 159

المطلب الرابع أساليب ممارسة القابلية عند مالك بن نبي: 160

الباب الرابع : بنية المجتمع قبل الإستعمار 165

الفصل الثاني البناء الاجتماعي والمرجعيات الجغرافية و الثقافية 165

الفصل الأول الحالة العثمانية 166

تمهيد 166

المبحث الأول التنظيم السياسي 166

المطلب الأول مدخل للحكم العثماني : 166

المطلب الثاني النظام الاداري ظروف نهاية النظام العثماني 167

المطلب الثالث - التواصل السياسي في دولة الخلافة 169

المبحث الثاني النظم الإقتصادية في العهد العثماني : 173

المطلب الأول التملك والتمفصل الإجتماعي التقليدي 173

المطلب الثاني المسالك الاقتصادية للدولة والعلاقات الإجتماعية 176

المطلب الثالث الاسلوب المعاشي الخراجي 178

الفصل الثاني البناء الاجتماعي والمرجعيات الجغرافية و الثقافية 183

المبحث الاول تركيب المجتمع الريفي و المديني .....183.....
المطلب الأول المجتمع وعلاقات الانتاج : .....183.....
المطلب الثاني التجمع الريفي و القبلي للسكان .....184.....
المطلب الثالث التجمع الحضري و تطور المدينة .....187.....
المبحث الثاني الفئات السكانية و التجذر الجغرافي و الثقافي .....192.....
المطلب الأول مراكز التجمعات الأساسية في الجزائر .....192.....
المطلب الثاني تجذر السكان في المغرب العربي .....195.....
المطلب الثالث الهجرة الهلالية التجمعات و البشرية المنطقة .....198.....
المطلب الرابع أعلام المرجعية الثقافية للمدونة السكانية للمقاومة : .....200.....

الفصل الثالث التصنيف السوسيولوجي للوقائع التاريخية .....207.....
المبحث الأول الدراسة النظرية وقراءة في التاريخ الاجتماعي .....207.....
المطلب الأول التحليل في النموذج الأول .....207.....
المطلب الثاني نظرية النموذج الثاني)(: .....208.....
المطلب الثالث نظرية النموذج الثالث .....210.....
المبحث الثاني --دراسات من الميدان .....214.....
المطلب الأول نظرية العتاقة أو القدامة في التنظيم .....214.....
المطلب الثاني - النظرية الاقطاعية المغاربية عند قاليسو .....216.....
المطلب الثالث نطرية لاكوست .....217.....
المطلب الرابع تحليل النظرية الغربية ,حول المجتمع المحلي : .....218.....

الباب الخامس: دخول الإستعمار ومجتمع المقاومة .....222.....

الفصل الأول: دخول الإستعمار والوضع العام .....223.....
تمهيد .....223.....
المبحث الأول حيثيات المواجهة الأولى مع الإستعمار .....223.....
المطلب الأول ظروف الوضع الداخلي و بداية المقاومات .....223.....
المطلب الثاني العلاقات الجديدة بداية الاحتلال ():.....224.....
المطلب الثالث الأزمة الكولونيالية: ثورة من الداخل .....226.....
المطلب الرابع الممارسة الكولونيالية و إعادة هيكلة .....229.....
المبحث الثاني الوضعية الاجتماعية .....232.....
المطلب الأول أنظمة العمل التقليدي في الجزائر .....232.....
إن النشاطات التجارية التقليدية تتطلب الحركة البعيدة والتنقل حيث لم تكن التجمعات في أغلبها إلا على شكل دوار وقرية من عائلات موحدة العمل والمصالح وبالتالي سادها المبادلات بالمقايضة غالبا بينما غاب النقد.إن التبادل النقدي والنزعة الفوضية النفعية والزيادة في عدد السكان، أصبح تتطلب تشريع متلائم وقوانين منظمة لهذه العمليات، ولكنها مثلت ناتجا المترتب عن احتكاك أفريقيا الصغرى بأوروبا، وحددت هذه النتائج سلسلة في ردود العمل المترابطة التي أدت إلى انهيار البنى"()هذا دائما في تحليل ج.تيلون والذي لا يبتعد عن الحقيقة الموضوعية التاريخية التي سادت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل البنى التقليدية في المجتمعات الإسلامية والمغرب وكافة أشكال المجتمعات ذات النمط الإقطاعي. .....234.....
المطلب الثاني الوضع الديموغرافي .....234.....
المطلب الثالث العائلة الجزائرية التقليدية .....237.....
المطلب الأول العقار و التهجير خلال العهد الاحتلال: .240....
المطلب الثاني - المجتمع والمعاش الموروث .....241.....

المطلب الثالث الإ قتصاد الاستعماري الغير تصنيعي: .....243.....
المطلب الرابع الجماعة المحلية والاقتصاد الإستعماري .....245.....
المبحث الرابع الثقافة و الدين .....248.....
المطلب الأول ثقافة الإدماج والوعي الهوياتي .....248.....
المطلب الثاني الزاوية تراث ثقافي للتواصل : .....250.....

الباب السادس : .....252.....

الأمير و ثورته مجتمع المقاومة عمليات و هويات و مسارات .....252.....

الفصل الثاني أنتروبولوجية حيثيات المقاومة .....252.....

الفصل الثالث أنتروبولوجية التنظيم و فكر المقاومة .....252.....

تمهيد .....253.....

الفصل الأول حياة الأمير وأعماله .....254.....
المبحث الأول حياة الأمير .....254.....
المطلب الاول تعريف الامير وحياته البيوغرافية .....254.....
المطلب الثاني الرأسمال الثقافي للأمير .....256.....
المطلب الثالث الهوية الجغرافية التاريخية للأهالي .....259.....
المطلب الرابع الطريقة و التصوف المرجعي .....261.....

الفصل الثاني أنتروبولوجية حيثيات المقاومة .....264.....
المبحث الأول الأمير ووعي المرحلة محليا .....264.....
المطلب الأول الأمير في المواجهة .....264.....
المطلب الثاني تأسيس القوى الثورية .....266.....
المطلب الثالث الأمير و الزعامات المحلية .....272.....
المبحث الثاني مجريات المقاومة .....275.....
المطلب الأول الأمير ومحيط الدافعية الثورية .....275.....
المطلب الثاني الأمير في مواجهة مع الطرقية و الإقطاع : .....276.....
المطلب الثالث الامير والفعل المضاد من مراكز الباي : .....280.....
المطلب الرابع الأمير و الحداثة السياسية: .....286.....

الفصل الثالث أنتروبولوجية المقاومة .....290.....
المبحث الأول أنتروبولوجية تنظيم المقاومة .....290.....
المطلب الأول الزمالة عاصمة متنقلة .....290.....
المطلب الثاني العناصر السكانية لثورة الأمير .....291.....
المطلب الثالث الرموز القيادية و أنواع الشخصيات .....295.....
المبحث الثاني أنتروبولوجية الفعل .....298.....
المطلب الأول الفعل الثوري إتجاه البنية الإجتماعية .....298.....
المطلب الثاني أنتروبولوجية طقوس المقاومة .....300.....
المبحث الثالث النظرية الثورية والممارسة العالمية .....305.....
المطلب الأول الأمير والسياسة الرسمية في الإسلام : .....305.....

المطلب الثاني - الامير بين الامارة والخلافة .....306.....
المطلب الثالث الأمير والسياسة الإنسانية العالمية مع نابليون () .....309.....
المطلب الرابع أنتريولوجية الفكر و الثورة عند الأمير .....311.....

الباب السابع: مقاومة المقراني .....318.....

الفصل الأول منطقة القبائل مجتمع وتاريخ .....320.....
تمهيد .....320.....
المبحث الأول بنية وحياة المجتمع في القبائل .....320.....
المطلب الأول الدراسات الإجتماعية للقبائل .....320.....
المطلب الثاني تركيب بنائي للمجتمع القبائلي: .....322.....
المطلب الثالث العرف الجماعي .....325.....
المبحث الثاني الأعمال و الممارسات .....328.....
المطلب الأول الحياة اليومية للقبائل: .....328.....
المطلب الثاني الدين ممارسة المقدس .....330.....
المطلب الثالث الزاوية تراث الوعي الإجتماعي .....334.....

الفصل الثاني أنتروبولوجية المقاومة المعنوية والفعلية .....337.....
تمهيد .....337.....
المبحث الأول مجتمع المقاومة في المواجهة المعنوية .....337.....
المطلب الأول ظروف النظام الكولونيالي .....337.....
المطلب الثاني مظاهر الفجوة السياسية .....341.....
المبحث الثاني مجريات الثورة .....343.....
المطلب الأول ظروف الإنطلاق و تصادم الوعي .....343.....
المطلب الثاني الأحداث وردود الفعل النهائية .....348.....

الفصل الثالث أنتروبولوجية البنية الإجتماعية و التفاعل الناتج .....354.....
المبحث الأول التجمع السكاني و الموقف الثقافي .....354.....
المطلب الاول التجمع الريفي في المجتمع القبائلي : .....354.....
المطلب الثاني المدينة و المقاومة .....356.....
المبحث الثاني تفاعل الموقف الثقافي و الديني .....359.....
المطلب الأول الموقف الثقافي و الحداثة .....359.....
المطلب الثاني المقدس الروحي تضامن جغرافي .....363.....
المبحث الثالث نتائج المقاومة .....370.....
المطلب الثاني الهجرة في حركة المقراني : .....373.....

الباب الثامن ثورة بوعمامة .....376.....

الفصل الأول تعريف المنطقة و تاريخ مجتمع .....376.....

الفصل الثاني أنتروبولوجية الظواهر وأحداث مقاومة بوعمامة .....376.....

تمهيد .....377.....

الفصل الأول تعريف المنطقة و تاريخ مجتمع 377
المبحث الأول الطبيعة و المجتمع 377
المطلب الأول الطبيعة و الجغرافيا في المنطقة : 377
المطلب الثاني البنية الاجتماعية 378
المطلب الثالث العلاقات بالمنطقة: 381
المطلب الرابع تكون المراجع الفكرية لمنطقة للجنوب الغربي .383.....
المبحث الثاني الثورة الأولى مرجعية لبوعمامة 386
المطلب الأول ظروف الصراع و تناقض الوضع : 386
المطلب الثاني حيثيات الثورة 387
المطلب الثالث التراث المرجعي لثورة الأولى 1864: 388
المبحث الثالث أبعاد أنتروبولوجية للثورة 393
المطلب الأول ثورة لتجميع الفضاء المتباعد 393
المطلب الثاني تطورات نحو مراكز القوى 395
المطلب الثالث الثورةالاولى والرأسمال الإجتماعي 396

الفصل الثاني أنتروبولوجية الظواهر وأحداث مقاومة بوعمامة 403
المبحث الأول تعريف بشخصية ومحيط بوعمامة: 403
المطلب الأول تعريف 403
المطلب الثاني الرأسمال التراكمي 403
المبحث الثاني مجريات ومراحل الثورة 406
المطلب الأول ألية الإستعداد للثورة 406
المطلب الثاني الإطار التاريخي للثورة: 409
المطلب الثالث النشاط في مراحل 410
المبحث الثاني المسار الاجتماعي و السياسي للثورة 412
المطلب الأول الرد الثوري البنائي من المحيط القرابي 412
المطلب الثاني الحدود رأسمال رمزي لبوعمامة 414
المطلب الثالث الأزمة مع المغرب فجوة للمد الثوري الإقليمي. 418
المبحث الأول أنتروبولوجية الفعل و المشاركة 420
المطلب الأول إستراتيجيةالعمل 420
المطلب الثالث أعيان الثورة ، و المساهمات الفردية : 425
المطلب الأول الحضرة الصوفية 428
المطلب الثاني الوصية مرجعية النص و تراث الفعل 429
المبحث الثالث الأهالي بين الإحتواء و الإجتثاث 435
المطلب الأول كتلة الإحتواء الكولونيالي المحلي 435

الباب التاسع تحليل و نتائج 446

تقديم 447

الفصل أول التحليل العام 447
المبحث الأول التحليل السوسيولوجي للمقاومة والفعل الكولونيالي 447
المطلب الأول أساليب نشر القابلية للاستعمار: 447
المطلب الثاني المقاومة و الهوية إمتلاك الذات : 449

المطلب الثالث تكوين القيادات الثورية للمقاومة .....453.....
المطلب الرابع الإتصال و التفاعل : .....455.....
المبحث الثاني ثقافة الضمير المحلي للمجتمع الأهلي .....458.....
المطلب الأول الوطنية داخل الكولونيالية: .....458.....
المطلب الثاني ألية أثر الطرقية في المقاومة .....460.....
المطلب الثالث إيبرهادات في تحليل أنتروبولوجي مزدوج .....462.....
المطلب الرابع موقع التراث والطقوس من المقاومة . .....466.....

الفصل الثاني النتائج العامة .....468.....
المبحث الأول نتائج ايجابية .....468.....
المطلب الأول ممارسة حقوق الانسان من المقاومة على الميدان .....468.....
المطلب الثاني توحد الرابط الوطني .....469.....
المطلب الثالث نشر المقاومة والتحدي على الفضاء المجاور .....470.....
المطلب الرابع ظهور إلهام رومانسي وأدبي غربي .....472.....
المطلب الخامس توحد الطرقية و المقاومة .....474.....
المبحث الثاني نتائج سلبية .....477.....
المطلب الأول النشاط المدمر للكولون .....477.....
المطلب الثاني تقلص الأوقاف و الحبوس الاسلامية .....478.....
المطلب الثالث توسع الإدماج الكولونيالي والإقصاء : .....480.....
المطلب الرابع - الهجرة : .....481.....
المطلب الخامس إظطراب و تقلص التجـارة:: .....486.....

الخاتمة العامة .....488.....

فصل تمهيدي مقدمة نظرية عامة:

تمهيد.....

الاشكالية.....

أهميةالبحث..... ...

أهداف البحث .....

أسباب اختيار البحث .....

منهجية البحث .....

أدوات البحث .....

ميزة البحث .....

صعوبات البحث.....

تمهيد:

لقد دعانا البحث العلمي، في منطلقاته إلى تقريب الرؤية النظرية نحو الموضوع، لأن كل موضوع تتعدد مشاريعه ومشاربه والمقاربات التي يتم إسقاطها عليه فالمعالجة العلمية تفرض عدة اتجاها ت، من خلال تعدد القراءات والمفهومات حول هذا الموضوع أو ذلك.

إن قراءة علمية حديثة في علم الاجتماع، لا تتأسس إلا عبر تراكمات نظرية وواقعية، تغير الموضوع وتشابكاته، وبالتالي تدعونا إلى قراءة عصرية، طبق النظريات المتجددة والمتوازية مع البحوث المتلاحقة لذلك كانت التعالقات المستحدثة بين علم الاجتماع والأنتروولوجيا والتاريخ مرد هذا العمل وهذا البحث، الذي يدعي الجمع بين العلوم الثلاثة ونحاول طبقها تفهم، هذا التقارب الجذري الذي يساهم في عصرنة العلم، والبحث الإجتماعي، مع مراعاة النظريات الملتزمة في موضوعات العلم هذا، ولكنها تتخذ قراءات أخرى وجوانب خفية في الموضوع. فلما كان البحث التاريخي، توثيق الحدث التاريخي عبر الزمن المتتابع فإن علم الاجتماع وما تفرع من علم الاتصال وعلوم اللغة ينظر اليوم بنظرة عميقة للظواهر والوقائع، رغم أن الاجتماع الإنساني، لا يمكن المقاربة إليه وإدراكه إلا عبر آليات المقارنة والوصف والتحليل و الدراسة الحقلية، التي قررها كافة علماء الإجتماع والأنتربولوجيا والإتنولوجيا وعلماء اللغات في العصر الحديث . فدواسة العلامات والظواهر الأنتروبولوجية كفعل عقلي و اجتماعي،من منظور شمولي لا يتحدد بالعناصرفقط، فله مدلولاته الاقتصادية والسياسية والثقافية، وله سند واقعي يثبت فعله، وله مرجع مخيلي محفوظ في الخيال و الذاكرة و الوعي العاقل و اللاعاقل مما يخلق قراءة جديدة يسهل فهم كيفية فعله وأسلوب مسارهضمن الحياة التاريخية للمجتمع من جانبين جانب محلي، وجانب الأجنبي الد خيل ومن جانب التراكم المخيلي للفرد .

فإذا كان التاريخ الإنساني مرتبط بطبيعة بشرية متعمقة في جذور المخلوق البشري، فإن الحدث مهما كان واقعة اجتماعية وغير طبيعية، فإنه ينحدر ويتأصل في خليقة عادية منذ بداية التاريخ الإنسان وبداية الإنسان العاقل الذي بدأ يتحكم في فعله وسلوكه، ويحاول بناء مرتكزات عقلية وثقافية واجتماعية تنظم حياته. هكذا فإن التطور البشري، مهما خضع للتراكمات السابقة فإن خ برة الإنسان هي المحدد والمحرك لكل فعل اجتماعي وسياسي وثقافي واقتصادي ومعرفي وسيكولوجي تبعا لمتطلبات الإنسان الفرد وبنية

المجتمع كاملا من خلال تشكيله لمنظومة قيم و معايير و أنماط سلوك محددة لهويته المميزة عبر تعاقب زمني متلاحق وفي فضاء جغرافي محدد.

فحاجات الإنسان اللاشعورية والأمان والغذاء واستنباط المستقبل معرفيا، وضمان تواصل بيولوجي للبشر هي من وظائف الإنسان الذي تعرف على نفسه وت كامل وعيه ضمن منظومة استئناف اجتماعية ومعرفية تحدد كافة مساره، ضمن محيط متناقص أو متراتب أحيانا، تكيف المطلب الاجتماعي بخصوصية الحاجات المحلية لكل مجموعة بشرية ضمن نطاق جغرافي سياسي وثقافي معين، يحدد الهوية والإنتماء مع اقصا ء الغريب الأجنبي ثقافيا واجتماعيا لخلق بنية الدولة ونسق الإجماع المحلي والهوياتي الممتزج و الموحد عبر تراكمات تاريخية متسلسلة ،اندمجت في الرابط الإجتماعي وقد إرتضاها الوعي المحلي وسكنت المخيلة لكل فرد في المجتع المقصود ثم كونت الرابط الوطني .

لذا كان إتجاه المقاومة كفعل متعددة المدلولات، كفعل مرجعي له اتجاهاته المختلفة نحو الآخر.ومهما اختلفت المدارس المنهجية في المعالجة، إلا أنها تصب أخيرا في نتائج مشتركة . فالإختلاف الثقافي و القيمي واللغوي وأسلوب المعاش وأنماط السلوك المنبثقة من مجتمع إلى آخر هي محددة للقيم الثابتة التي يركن كل مجتمع وكل جماعة مهما كان الحال، ومنها تنبثق ثقافة سياسية موحدة داخل جماعة معينة عموما، رغم بعض الحالات الشاذة . لأن المقاومة عند الجزائري هي تعصب و تخلف و ارهاب عند الاستعماري .

فالمقاومة لها منطقها التاريخي والبنيوي والرمزي، الذي يساهم في بلورة الفعل هذا عبر ال تاريخ ضمن حدود المجتمع المدروس وما يحمله من رسائل ذاتية عن كينونته ووعيه وطريقة تنظيمه الداخلي ومنطق علاقاته مع الآخر ‘وهي بذلك فعل له أشخاصه وعلماء هوفاعليته كما له جغرافيته وله جماعاته التي تنمطه أو تعد له أو تفعل مساره فتخلق أساليب أخرى لم يدرسها البحث الاجتماعي رغم تراكم البحث التاريخي والكرونولوجي الوفير.

الإشكالية:

إن تكيف المجموعات البشرية خارج إطار بنيتها، ليس المهمة السهلة وكانت غالبا خاضعة لسلطة أعراف خارجية تكيفها حسب مطلبها وبا لتالي فإن فعل المقاومة كمفهوم سوسيولوجي وسياسي، وحدث توافق مع بنية المجتمع الذي تحدث فيه. حيث يكون تموقع البنى الخارجية داخل مجتمع المقاومة، متعمقا

في أجنحة متعددة ومرفوضا من أجنحة .رغم أن الدعاية– التحضيرية– و الحداثية هي الخطاب المسيطر على النص الاستعماري، مكتوبا أو شفويا، الذي اصطدم بمجموعة أعراف وقيم هي أشكالا رفيعة وسامية للوعي تحدد الهوية وتحدد الوجود الذاتي لكل فرد وترقع قيم المجابهة ولكل مجموعة رغم الاختلافات التي كانت سائدة بين الجماعات في الجزائر. فذلك ألف قوى وأشكال لهنظومة مقاومة تحدد الهوية الأخرى و الاندماج الشعوري المنسجم المتواصل و الذي تثبت بالتراكم الواعي .

إن المقاومة كفعل ديناميكي حركي وليس وضع جامد خضعت لوضع عام ساهم في انجازها وتطورها وقيامها، وفشلها ونجاحها، وبذلك فإن فعل المقاومة كرد فعل ضد فعل آخر، كانت محاولة لإثبات الوجود وضد الاحتواء بكل معانيه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والمعرفية، لأن كل صور الاحتواء تكشف عن تداخل بنية خارجية مع بنية داخلية ويظهر الانقسام والخلل التركيبي بين شكلين من البنى التي منفصلة بحد مفصلي لا يمكنه إدماج كلي للمعطيات المحلية .لقد كانت القبيلة والأعراف، والطرق الدينية بطريقة توجيهية وقيادية في فعل المقاومة .كما كان النموذج الاقتصادي، محدّدا، لبعض صور السلوك السياسي والاجتماعي، التي هي بنفسها تخضع لحدود وأليات و بنيات منها،

- الجماعة
- القبيلة
- الطريقة الدينية
- العائلة
- التوزيع الاقتصادي
- العرف الاجتماعي
- القيادة
- السلطة
- التجمع الحضري و الريفي

وبذلك تمكننا من تحدد الفضاء الاجتماعي وكل لمقاومة الجزائر بالنظر إلى المرجعية المحلية القائمة على الثقافة العربية والأمازيغية من جهة وإلى المرجع الديني الحامل لكل وعي وهو الإسلام كدين وثقافة وقيم وتاريخ وضابط لكل خلل اجتماعي من خلال مدونة شرائع وتعليمات تحدد الحقوق والواجبات .إن هذه الأنظمة التي ثورت المجتمع وقادته إلى تفكيك وضع محلي إلى وضع جديد مقابل تجمع كولونيالي

متمدن ليست بالظاهرة التغييرية البسيطة حيال وضع كان يمثل دولة المركز العثماني وتوحد بشكل معنوي فقط.

إن الافتراض الذي يحكم بنفسه هو تمظهر هذه البنى في حقل المقاومة ‘وهي حوار مع الذات و الكينونة الملتحمة للمجتمع المعاش وهي حدث تاريخي منفعل .وبالتالي نقول:

- أن المقاومة فعل اجتماعي له هدف سياسي.
- المقاومة تتحكم فيها ظروف التركيب الاجتماعي ومستويات تلك الاندماج والانسجام
- كما أنّ نظام الطرق الدينية كون وعيا معرفيا بالذات وبالآخر لأنه حاملا لمعاني المقدس والأبدي الذي لا يخطأ وبالتالي كون نظرة نحو الآخر ونحو معرفة الأخر.
- لقد خلق المناخ الكولونيالي، وضعا جديدا وحدودا جديدة وبالتالي فلسفة جديدة للمعرفة والوعي والوجود، لأن سلطة الأجنبي وثقافته تعتبر كظاهرة جديدة ودخيلة على وعي الفرد، والمواطن بالمفهوم الحداثي حيث يلعب محيط السلطة ومحيط الواقع، والوعي بالذات التاريخية مصوغات المواطنة. إن التساؤلات كفعل كانت تمثل فقط رد فعل ضد الأجنبي أم هي خلل في تشابك العلاقات الاجتماعية والبنى السائدة؟

وهل كانت تلك البنى الاجتماعية والمعرفية تحمل في م عانيها صد الأجنبي الذي أغراه الاغواء الحضاري و التحديثي ؟

إذا كان يمكن رؤية الفعل التاريخي من خلال أثاره الفاعلة في المجتمع والطبيعة، فإن أسس هذا الفعل وآليات نشاطه هي حبكة متشابكة من نسيج عقلاني وفوضوي ومطلوباته المتعددة المتأسسة على أشرعة الاتصال الإنساني متعدد الأبعاد.

لذا يتدخل علم الإجتماع لصنع الحبكة الرابطة بين التاريخ والأنتروبولوجيا وعلم النفس وعلوم الدين وعلم السياسة والإقتصاد، ليضع كل فعل تاريخي في قواعده المركزية التي تؤسس لنشاطه، فالتق عد النظري لعلم الإجتماع لا بد وأنه يقع على مراسم الأثر التاريخي الذي يخلقه الفعل الإجتماعي والأخلاقي عبر الأزمنة المتلاحقة التي يندفع إليها الإنسان لخلق حاجياته وتلبية طلباته ورفع الحواجز الداخلية والخارجية والنفسية التي تحوط به .

من هذا المنطلق فإن الانتريولوجيا بصفتها علم الإنسان يتطرق إلى كافة بناءاته وعاد اته وتراكيبه وجذوره الثقافية والإجتماعية ومقومات سلوكه بكل تجلياتها، وتجعل امامنا محول أساسي للمعرفة الإنسانية الدقيقة القابضة على أعماق الأفعال والسلوكات عبر التاريخ.

وبما أن المقاومة السياسية للبلاد المستعمرة ضد أركان الاستعمار، في عز المد الحضاري الحديث، هي رفع قيم الداخل امام القيم الوافدة الغازية، وهي رفض كل تحدي جديد غريب عن العناصر الثقافية والنفسية والإقتصادية الهادفة إلى لتوسع من جديد عبر قنوات عصرية وطرق حديثة تبناها الإستعمار. فالاستعمار ظاهرة سياسية واجتماعية ارست قواعدها على آثار القيم والقواع د الثابتة للمجتمعات المختلفة لأنها جاءت بترسانة من الأشخاص والآلات يملكون طرق جديدة وقوة سريعة في الحركة والتوسع والانتشار الاعلامي والنفسي، حسب المجموعات المستهدفة.

لقد نهض الأمير عبد القادر، وبومعزة لالانسومر والشيخ المقراني والحداد والباي أحمد والشيخ بوعمامة بهذه المقاومة في دفعة واحدة هادفة إلى الرد والمقاومة ورسم الحدود رغم الانسحاب العثماني من السلطة في مرحلة أولى حتى بداية الحرب الع المية الأولى. ولذلك فإن المقاومة بما أنها فعل تاريخي وفعل اجتماعي وفعل سياسي اخيرا، فإنها مرتبطة بعدة قواعد ومقترحات ارتكز عليها هذا النشاط:

الجانب النفسي: المقاومة فعل لكسب الحرية

الجانب الاجتماعي: المقاومة إثبات قواعد اجتماعية خاصة

الجانب الاقتصادي: ربط الملكية بأصحابها

الجانب السياسي: رفض سلطة الأخر

لذا انتظمت المقاومة حسب تنظيم خاص له تركيبة وآلياته من الأشخاص إلى الأشياء

فالمقاومة يقوم بها اشخاص ولهم قيادة عقلانية مدبرة حسب القيم الاخلاقية التي فرضها الدين الذي هو الإسلام، الذي يدعو إلى محاربة الكافر الغازي الذي لا يدعي نفس النسق في القيم والطقوس العقائدية، هذا الدخيل يريد الحكم على الأشخاص والأشياء و المملوكات التي لغيره بغير حق وبقوة صناعية حديثة. لذا كانت المقاومة كفعل تاريخي متأسس عبر الزمان الإنساني، متأصل بخصوصيات في المجتمع الغربي والشمال الإفريقي والإسلامي بسمات خاصة، نوعا في المضاربة السيكولوجية ضد

نزعات تسلطية وليس ضد الكافر ولا الأجنبي لأن الدين الإسلامي داعية إلى إدماج أهل الذمة والعجم في المجتمع الإسلامي و احترام كل الهويات و الثقافات.فالإسلام ليس ضد من هو غير وؤمن به.

إذن المقاومة كموضوع كانت له مقومات هي:

الرأسمال الرمزي من تراكم تاريخي و ثقافي

القيادة: تنظيم سياسي تقليدي

الجماعة مجموع بشرى متكامل تفسره العصبية

الحبوس والإوقاف: الأملاك عامة للمسلمين تشكل قواعد اقتصادية جزء من الرأسمال الإجتماعي.

المسجد والزاوية: مراكز العمل والدعوة الثورية.وتمثل قناة تمرير المقدس على الدنيوي.

الطقوس: شعائر دينية وطرقيه لتوحيد الثوار .

الطرقية: أشكال نوعية من التدين هدفها تجميع الوحدات الكبرى للمجتمع .

تقسييم العمل: كنظام اقتصادي محدد عشائري وقرار سلطاني واعي في مضمونه و غايته.

الصوفية: معرفة أو نموذج ابستمولوجي بالمقاومة والمجتمع القبلي والإقطاعي نظرا لأنها المنفد الواعي الوحيد لقيم العلم. والبناءات مع ربطها بالمقاومة والتكوين الاجتماعي والاقتصادي المحدد للأمة الجزائرية ضمن ثقافة إقليمية للشمال الإفريقي .

هكذا تبقى آثار الفعل ومقومات مرتبطة بتراكم تاريخي معرفي وسياسي واجتماعي مندمج عبر الزمن ووحدته الرابطة السياسية بين العرب والأمازيغ والعجم ورفض الأخر من مواقع رف ض التسلط.من هذا يمكن ان نطرح التساؤلات التالية ومن هذه التقديمات يمكن طرح أسئلة إضافية ،

هل المقاومة مجرد حدث من اسطوريات التاريخ ام هي من مصادفات الفراغ؟

أم هي تلاقح عميق بين الذات و الفضاء و الاشخاص والبنيات التفاعلية للمجتمع عبرالزمن ؟

أم هي دفاع عن الحمى والمدونات الدينية ام توحد روحي بين الهواء والماء و التراب ؟

أم فهم عميق لدواخل الانسان الاخر و غاياته ؟

لذلك نحن نساهم في تحليل هذه المقومات أو الآليات التي تحكم الفعل في كل هذه الأشكال .ان عملنا هذا يتجه نحو الفعل ال مىنطلق من الفاعل المح لي الى الفاعل الاخر ،ومنها تنطلق جزيئات انتروبولوجية تخلق بنية متكاملة ومتناسقة لنظام او وحدة لها فاعلية موزعة على اقطاب محركة للفعل التاريخي القاطع سواء نجح في غرضه ام لم ينجح .و الواضح انه حسب مجريات التاريخية الجزائرية لم ينجح ،لانه فشل في انجاز الاستقلا ل قي كل المقاومات . لان كلها انتهت الى الاستسلام الطوعي او القهري و ذلك لقوة الاستعمار و طرقه اللانسانية .لكنها أضافت للهوية المرحلة العثمانية فعل ارتدادي للحس المواطني المترسخ .و الذي خمد مرحليا بعد حرب العالم الاولى الى بعد حرب ع2.

أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع من خلال البحث في أنه إضاءة متكاملة لقضية ظاهرة تاريخية حكم عليها الزمن بالفشل ورغم بروزها ونجاحها احيانا ، ولكنها مثلت حيثيات الفعل الانساني و الاجتماعي عبر التاريخ العالمي وقوضت الفكر الاستعماري و النزعة المركزية الاوروبية المتعالية ،التي اعتقدت أنها قائدة العالم المعاصر وهي رابط التوحيد السياسي و السلطوي اليوم ، في حضارة قرار واحد و نظام واحد .لأن التاريخ المعروف أكد احتلال الجزائر مدة 132 عاما كاملا، وأصبحت المقاومة في حكم اللا شيئ وتم لجوء الأمير إلى سوريا بعد استسلامه واستسلام كل الم قاومات الأخرى بعده، وهذا طبق القوة الصناعية والتكنولوجية المعاصرة والتنظيم الحديث للمجتمع الأوروبي المتضامن بعد لجوء شذاذ الآفاق من اسبانيا وايطاليا وغيرها إلى الجزائر.

فالمقاومة فعل بارز، وله أثار و وثائق و شواهد ولكنها متفرقة ،مما دفعنا الى إنجاز مركب مىعلوماتي متناسق .ويساعدنا فهمها إلى فهم تركيب سوسيولوجي وثقافي واجتماعي للمجتمع الجزائري أكثروتوضيح سيكولوجية الفعل الجزائري قائد المقاومة الشعبية والحركة الوطنية والثورة التجريرية .

أهداف البحث:

أولا – يهدف من خلال البحث إلى ابراز الاسباب العميقة والدالة على الفعل التاريخي المعاكس لتسلط أجنبي قوى متصرف تقنيا وأليا وأخلاقيا، كما تهدف إلى كشف أعماق الآليات التي شكلت المقاومة الشعبية والتنظيم التقليدي للمجتمع وحفظت تناسقه السابق .

ثانيا – تفكيك البنى و النظم و العلاقات و الاسباب و الظواهر و النتائج الاجتماعية التي كانت سائدة في عهد المقاومة .وتحليل تلك الوقائع و البنى ضمن منظومات فكرية و علمية حديثة كرسها التراكم المتلاحق لنظريات علم الاجتماع و الأنتروبولوجيا .و خاصة طبق التخريجات الحديثة لم دارس النقد الاجتماعي و التفاعلي .

ثالثا– تطبيقات حديثة للإسقاط العلمي الحديث لكافة العلوم الإجتماعية .

رابعا – الإسقاط الجديد لعلم الإجتماع على التاريخ و الأحداث الماضية الراكدة .

أسباب إختيار الموضوع:

نظرا لسعة الموضوع وحسب جدارة البحث فيه، رغم أن فيه الدراسات واسعة ولكنها متبعثرة ولم تستطع موقعة الزمن والأشكال الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية الذي سيطرت فيه، فإن مرحلة المقاومة 1830– 1900 في الجزائر هي مرحلة تجديد الذات وبعث الوعي بسلطة المتماثل والمشابه فـي الدين أو اللغة أو الأرض.ورغم أن الباحثين الجزائريين و الفرنسيين لم يتركوا مجالا في الموضوع الا أن توحيد الاتجا ه من المقاوم الى المستعمر وليس العكس كما درس السابقون هي مبنى و مغنى هذه الدراسة . وبذلك يكون الفعل المحلي هو الهدف وليس الفعل الاستعماري .ومنه تتم تفكيك أليات العمل و ثقافة الواقع وتشابكات العلاقات المتنامية و المتضاربة مع قوى الاستعمار من طرف الجزائري ا لمسلوب الحرية الخاضع لعملية احتواء مؤطر بكل علم و علمانية .لذا كانت دواعي العمل ،

تناول جديد للتاريخ يختلف في توجيه البحث من المقاوم الجزائري نحوالمستعمر الفرنسي

–اعادة قراءة التاريخ و المجتمع الجزائري .

البحث عن تصنيف جديد للتاريخ من موقعة حديثة لعلم الاجتماع و الأنتروبولوجيا.

خلق تكامل معرفي بين كل العلوم الاجتماعية .

–جمع الأشكال و البنيات و المتغيرات في وحدات بحث اكثر تفصيلا

منهجية البحث:

لا يمكن أن يخفى عن البحث الاجتماعي والتاريخي السند النظري من جهة والسند الابستموولوجي المتراكم والحديث للنظريات الانثروبولوجية من بنيوية دوركايم إلى ليفي ستروس إلى جيلنر و برتشارد وحتى ابن خلدون حول العصبية والدورة الحضارية.كما يمكن اللجوء إلى أقوال الشيوخ وجماعات المناطق الذين كانوا أقرب إلى هذه الأحداث سلاليا أو علميا أو اندماجيا طرقيا وصوفيا.كما تشكل الحوليات والجرائد والرسائل والمؤلفات التي ألفها قيادات المقاومة اثر بارزا واضحا في الفعل الثوري المؤسس على قيم تقليدية ومعرفة صوفية خاصة ليست منال الجميع.

لذا نحاول الجمع بين المنهج التاريخي الوثائقي والمنهج البنيوي الأنثربولوجي والمنهج الأدبي التحليلي على الأثار الأدبية، شعر، نثر، و المقارنة الخارجية بالواقع أحيانا الذي يجمع بين حالات نماذج مسقطة وعائمة ضمن تفاعلات المقاومات الثلاث التي هي المقاومة الثورية وهي ثورة الأمير والمقراني والشيخ بوعمامة في واقعها المتشابك . فالمنهج التحليلي لا يمنع اللجوء إلى منهج دراسة الحالة وهي ثلاث حالات كما عرفنا سابقا ولايمنعنا من دراسة تحليل المضمون لبعض الأثار الدالة على قواعد الفعل الاجتماعي والسياسي للمقاومة الشعبية و التي شكلت مدونة الدافع الثوري لدى المواطن الجزائري . كما لا نهمل المنهج الوصفي الموضح و الكاشف الأولي عن ظواهرالاحداث و الأشياء، المواقع و الأشخاص و الفضاءات الجغرافية.

وهذا ما يفرض علينا أدوات ملائمة.

أدوات البحث

يقتضي كل بحث من هذ ا النوع خطوات متماسكة ومترابطة للوصول الى الأهداف المرسومة والمضبوطة للتدرج المعلوماتي والإستعراضي للمقترحات والمدونات الكاشفة للحقائق التاريخية والإجتماعية والأنتروبولوجية. وبذلك كانت الإجراءات متكاملة مع هذه الخطوات وهذه التواصلات المعرفية المتناسقة، والتي تتحاشى السقوط قي المنهج التاريخي حيث لا مجال له في عرضنا هذا . وهذا ماتلاحظه فعليا في طريقة الإستعراض. رغم المقدمات الكرونولوجية الأساسية المعروضة عليكم.

يتطلب بحثنا استقصاء كل الدراسات التاريخية والأنتروبولجية التي سيطرت على الساحة العلمية منذ 1800 حتى اليوم التي تمثل مؤلفات الرحالين والباحثين والمستشرقين والمبشرين، حتى قبل الاستعمار وحيث كانت بعض المراكز تابعة للبحث للكولونيالي التي يخطط للاحتلال .كما يشمل البحث بعض التحليلات التي فيها مقابلات مع بعض العلماء و وبعض الشيوخ الذين يعطونا صورة عن الحياة القديمة عهد الاحتلال وظروف العمل والنشاط .كما يفرض العمل المتواضع جمع المعلومات عن المخطوطات التراثية وبعض المصادر القديمة الدينية والأدبية والاجتماعية والأنتروبولوجية التي ظهرت في ذلك العهد ولها تأثيرها حتى اليوم.

لذا كان السند البيبليوغرافي و الوثائقي هو الأداة الأولى للبحث لأنها حاملة الذاكة .

هذا البحث تطبيق على بداية المقاومة ضد الاستعمار في خطوات متسلسلة زمنيا ،للبحث و العرض من خلال النماذج الثلاثة التالية من أجل فهم الفعل المحلي للأهالي ضد الإستعمار الفرنسي لأن هذا التوجيه المنهجي للبحث لا توجد فيه الدراسات المقننة المقصودة ،لذا كانت الحالات المعلنة فضاءا لذلك :

1 - ثورة الأمير عبد القادر
2 - ثورة الحاج المقراني
3 - ثورة الشيخ بوعمامة

وذلك من خلال أخذ تلك المقاومات كحالات تعبر عن عينة ممثلة للمجتمع المحلي وقيمه وتر اكيبه وتمثلاته وأعرافه الدالة على هوية مغايرة وعلى مستقبل مغاير يرفض الإن دماج والانسلاخ التاريخي عن تراكم معرفي وجودي واعي عبر الزمن .و ذلك عبر وثائق و دراسات و مؤلفات متزامنة مع الحد ث وأخرى خلفت زمنه ببعدي و أخرى سبقته .رغم أن هذه العينة راكدة لأنها ماضية لاتتكرر الأن ،لأنها من التاريخ وقد أعطت نتائجها لاحقا قبل الأن فهي منبوذة في علم الإجتماع عكس العينة الحية الناشطة التي أثارها و فعاليتها حين البحث و التقصي وتضعنا أمام المجهول والتشوق النظري للفرضيات .

ميزة البحث

تكمن في الخروج عن الدوغمائية الأكاديمية و ا لإنغلاق الاصطلاحي وخلق الفضاء التاريخي الجديد المنبسط الذي لا ينضب معينه،و اسقاط نظرية التراث الفعلي و الخطابي الذي يهم علم الاجتماع

في كل فروعه و تطبيقاته العصرية، لبث روح البحث و اعادة القراءة . واستثمار النظريات و المناهج الجديدة .

كما أن البحث لا يهتم بالعرض الخطي التاريخي للأحداث ولا تكريس نقاط المقارنة بين الزعماء.

صعوبات البحث:

1 -قلة مصادر المناهج السوسيولوجية، الأنتربولوجية، رغم وجود المصادر التاريخية.

2 -صعوبة إسقاط المناهج الاجتماعية والانتربولوجية على الظواهر التاريخية بما أن الحدث التاريخي لا يمكن تكراره، حتى لو حدث في عامته، فإنه يختلف في جزئياته.

3 -تضارب بعض الأطروحات التاريخية في الموضوع وغياب الموضوعية العلمية، مما يجعل الحكم باهتا أمام الحدث الغائب.

4 -غياب عناصر الشهادة والاستذكار لإشكاليات الموضوع وذلك لوفاتهم وغياب حتى الجيل الثاني أو الثالث حول تلك الوقائع.

5 -عدم دقة المصادر الفرنسية حول بعض الأحداث والأسماء والمواقع، مما يفرض جهدا آخر وتحققا في الأمر.

الباب الأول: الأنتروبولوجيا معنى وتطورات

الفصل الأول: معنى وتطور الأنتروبولوجيا

الفصل الثاني: الأنتروبولوجيا و العلوم الإجتماعية

الفصل الثالث التاريخ و الأنتروبولوجيا

تمهيد

في هذا الباب، نتناول مرجعية الارتكاز العلمي و الابستيمولوجي ‘وهي الأنتروبولوجيا كعلم له تاريخ و مفاهيم وتعريفات م نظريات و مناهج للبحث وعلاقات مع علوم مجاورة . في مقاربة أساسية وقاعدية للتعرف و الاندماج المعرفي للقا رئ حيث تقرب له كافة المعالجات الفكرية و المنهجية المسقطة على الوضع الجزائري . لأن من خصائص البحث الأكاديمي هذه ا لتقريبات وهذه المداخل التمهيدية لربط الموضوع علميا ومنهجيا كما نعالج كل النظريات و التقاطعا ت الفلسفية و الفكرية التي تكرس النظرية الأنتروبولوجية ونحاول تفكيك البنيات الإبستيمولوجية للمحتوى العلمي لهذا العلم من خلا التراكمات العلمية و المنهجية و الفكرية للمداخل التطبيقية و النظرية لهذا العلم.

الفصل الأول المفهوم و التطورات وإبستيمولوجيةالأنتروبولوجية

المبحث الأول التعريف و النشأة

المطلب الأول تعريف الأنتروبولوجيا

لقد تعددت المعاني في كل التعريفات لمصطلح الانتروبولوجيا وبقيت في الغموض ' رغم أن معناها اللغوي يشرح ذاته 'حيث لاقت كل التعريفات صدى معاكس و رد فعل من هذا الاتجاه أو ذاك طبق المنظار الايديولوجي الي تتم به قراءة الظواهر و النصوص و التصورات و السلوكات و التوظيفات النظرية و المنهجيةالمتراكمة و ان قضى التعريف اللغوي على الغموض و الا بهام فان التعريف الاصطلاحي قد خضع لتفسيرات متعددة فرضتها المداخل المنهجية التي يتكرس لها كل باحث انتقائيا .

– أ – في اللغة

فالانتروبولوجيا لغويا تعني العلم الذي يدرس الانسان بكل ما يحمل من معنى اجتماعي و طبيعي وجسمي وفيزيائي . . لانه اذا كانت الأنتروبولوجيا علم فهي علم الإنسان أي طبق تركيبها اللغوي **ANTHROP//LOGOS//** و يرى العلماء تتكون من العلم أو الدراسة و محل اسقاطه و هو الانسان لذا يجب تحديد عناصر إسقاط هذه البحث على الإنسان و المحيط الذي يركن اليه مؤثرا و متأثرا .وهذ ماكشفته ا للغة في حد ذاتها في كلمتين واضحتين رغم أن اللا تينية لي سرت العربية ولكن يتكرس معنى علم الإنسان في كل حيثياته الإجتماعية و الثقافية و الطبيعية .

فالانتربولوجيا : ظهرت عند المسلمين باكرا بصفتها علم دراسة النوع الانساني في كل مظاهره **anthropology** من تطور جسم الانسان **culteral/Anthropology** الى ثقافة،و عادات، و سلوك .و لغات . حيث ان الألفاظ لها أثر انتربولوجي في كل لغة 'و كمثل العربية نجد ' جفلك' وسية ' تورزة ' صنم، إلاه الرحلات وصف الشعوب 'لذا يمكن ذكر ' ابن جبير 'ابن بطوطة 'ابن فضلان . البيروني 'ابن خلدون '.....وغيرهم. وهذا ما كشفتهنظرية التثاقف و الانتشار الثقافي.

–ب – في المعنى الاصطلاحي

فهو يضيف الاحاطة بكل ما يقترب من الانسان فضاءا و جسما أومحيطه وسلوكه بطابعه الإنساني و الحيواني و الفيزيائي الحاضر والماضي الظاهرة منها و المترسبة و المكتسبة و المتنقلة . لذا فهي تختلف عن علم الاجتماع الذي يدرس في حاضره الواقع الاجتماعي مع فهم الاسباب و الظواهر ونتائحها و مبرارتها الجزئية والنهائية بينما نجد الانتروبولوجيا تهتم بالظواهر من مواقعها ومصادرها حيث تصبح الوسائل والادوات و البيئات و الاشياء محل للدراسة وليس الانسان فقط في افعاله وسلوكاته كما نرى لذا نجدها متشبكة علميا وابستمولوجيا مع كافة العلوم .كما انها ليس علم للمجتمعات البدائية فقط .

إن الأنتربولوجية في الموضوع و الفكرة المعرفية تفرق بين المدارس و المناهج و المقاربات . لانه اذا كانت الأنتروبولوجيا علم فهي علم الإنسان و يرى العلماء المتمرسون أنها تتكون من العلم أو الدراسة و محل اسقاطه و هو الانسان العاقل وغير العاقل ، فقد رأى ليتريه أنها : تاريخ الإنسان الطبيعي ، كما عرفها قاموس لاروس بذلك. ويرى فلاسفة الألمان : أنها جميع العلوم ا لتي تدرس جوانب من الحياة البشرية : مثل الروح أو الجسد ، الفرد أو النوع ، الوقائع التاريخية ، الإدراك ، الأخلاق المطلقة ، المصالح المادية([1])..

المطلب االثاني نشأة الانتروبولوجيا

في أواخر القرن التاسع عشر، كانت الأنتروبولوجيا عبارة عن و صف ثقافات الشعوب و الحضارات و المقارنات بينها، في التفكير و المعتقدات أوالأشكال الجسمية.فكانت الرحلات و التجارة أهم عامل مساعد للدراسات و المعرفة بالأخر . وقد سبقتها الدراسات الإتنولوجية في كل الموضوعات وقبلها كانت عبارة عن دراسات في التاريخ و الجغرافيا فق ط .لذلك وجدنا هيردوتس في كتاب التواريخ أول أنتيبولوجي عالمي، حول شعوب أوروبا عامة ثم مصر و النيل، و ذلك كله قبل الميلاد في عهد 5 ق م.كما وصف الحرب بين الفرس و الإغريق عهد ق 6 ق م كما وصف ليبيا القديمة , أما قبله فكانت رحلات المصريين عام 1493 ق م، حيث توجه إلى على (5 مراكب) للتجارة و الأعمال و اتصلوا نحو جنوب مصر عبر النيل فلاقوا أقزام إفريقيا أنذاك وكونوا نظرات اجتماعية و ثقافية عنهم .

و قد عبر عنها الشاعر الملحمي هوميروس عنها في كتابه الإلياذة و الأوديسة خلال ق 9 و 8 ق م.لقد سادت الحضارة الهلينية بفضل التثاقف المصري اليوناني في خلال قرون ثلاثة ق م، لذا نجد

---

[1]– ليفى ستراوس ، الأنتربولوجيا البنيوية pdf . ص8

أرسطو 348–322 ق م، قد أرسى قواعد فكر تأملي و منهجي على الطبيعة و الإنسان، و منه البيولوجيا و علم السياسة . كما ساهم الرومان في أشعار كاروس لوكرتيوس 55–98 ق م، الذي قدم صورة تاريخية و جغرافية للعالم و المجتمعات و الكون و هذا ما شابه نظريات الأر ثيولوجيا و نظرية ل . مورغان 1818–1881، حول التطور و التقدم .لقد وجد المصريون و الهنود و الصين، ثقافتهم و عقائدهم و أساليب حياتهم بأنفسهم .لقد وجدنا لدى الهنود ملحمة الرمايانا **Ramayna** الشرقية و دين البوذية (563–483ق م) حيث يركز علم الطهارة و الاجداد الأخلاق و الزهد و الألم ولكن بقيت تلك الثقافة مجهولة الى عصر الاستشراق الذر درسها بعمق في ق18م.

أما في روما ظل البحث عن الأخر قليلا رغم توسع الرومان شرقا و غربا و دخول عالم الآخرين، و لكن مع بداية نهاية ق 5 م، ظهر بداية الانهيار الروماني، حتى إلى بداية التعليم الرسمي مثل جامعة بولونيا و جامعة باريس (فلسفة لاهوت) في إعادة النهضة، و منها معرفة ثقافة الأخر و علومه منذ ق 12م . كان الأسقف **Isodore** (636–560 م) رجل علم و أنشأ عن العلوم موسوعة في ق 7 م، (تقاليد و علوم و أفكار و لغات) وفيه سيطر الخيال عن الأخر و عامت أفكاره بين الناس حتى ظهور موسوعة الفرنسي **Batolomacus**، تضيف الخيال أيضا إلى علومها في وصف اثنوغرافية الشعوب .أما بيزنطة فنشرت علومها في أوروبا الشرقية ثم مصر و فلسطين و سوريا و أسيا باللغة اليونانية، فكانت قوة حضارية في عهد أوروبا الغربية المظلم.

في الإسلام ظهر الوصف الجغرافي و الإداري للمناطق و منه وصف الشعوب و السكان و خاصة الممالك و المسالك إلى غاية نصف ق 3 هـ تحت شعار الفتوح و المغازي.كما كان معجم البلدان للحموي معجما جغرافيا و اجتماعيا و انتربولوجيا، بالإضافة إلى وصف البيروني للهند إجتماعيا و لغويا و عقائديا.و مسالك الأمصار أبي فضل الله[1]، و غيرهم مثل المسعودي في " مروج الذهب " 330 هـ في كتابة سياحية و معرفة جغرافية و عمران و علم و أخبار و أساطير ' كما نجد رحلات ابن بطوطة حول مناطق كثيرة في ق 8 هـ و ابن فضلان حول الروس و البلغار في ق 4 هـ و 10 م. أما المحاولات الحديثة فهي خاصة ما ظهر في ق 13 م و مع النهضة فهيالتي ظهرت مع الرحلات الاستكشافية و التبشيرية بالمسيح و التي منها ماركو بولو (1254–1324 م)، و حملات الفرانسيسكان و خاصة

[1]– فهيم حسين ، قصة الانتربولوجيا، في ربطه بنظرية مارفين هاريس

مدونات الإيطالي جون دي بلان كاريبيني**Carpini** 1182–1253 م. لتمسيح التتار في الشرق الأسيوي في عهد الحروب الصليبية ضد الإسلام.

و قد لوحظ اهتمام أكثر بالإسلام لقربه الجغرافي، مما أكثر علمائهم و البحث في الموضوع . ونجد دانتي 1321–م1267 م حول صلاح الدين وجيوفاني بوكاتشيو : حول المشرق الاسلامي (1313–1375م) و حول ابن رشد، المفضل لديه.وكاستيو بترارك 1374–1304 م،**Petrarch**:الذي كان من الحركة الانسانية في الفكر والبحث والاداب الجامعية الاروبية و الذي كان يحتقر ابن رشد ([1]) و لكن ابن خلدون القرن 13م، الذي سجل كثافة أنترولوجية في متنه النظري و العلمي لعلم العمران ‘وقد كان سباقا قويا في الطرح و المنهج و التنظيم العلمي، رغم أنهم لم يشيروا إليه إلا في سطور كما نجد لدى جون هونجيمان–([2]) لعدم وجود الترجمات .

ولكن لا يخفى أن الدراسات الاتنوغرافية و ثم الاتنولوجية كانت السباقة ل دراسات الشعوب الأخرى البعيدة عن الثقافة الأوروبية وذلك منذ القرن السادس عشر و التي أنتجت علما طبيعيا تجريبيا حديثا وهو علم الوراثة و علم الاتصال ,وذلك بفضل أعمالولامارك و بوفون مورغان و بوواس , وقد تعمقت البحوث العصرية من خلال دراسات دوركايم حول الأشكال ا لبدائية للدين و تلميذه مارسل موس بعده , ثم تايلور و مالينوفسكي وجورج ميد و ريتشارد ,وقد بقي الفرق متباين بين المدرسة الفرنسية و البريطانية و الألمانية والأمريكية .

لقد بقي البحث العلمي ذاتيا عند كثيرا من العلماء الغرب الذين تميزوا بالمركزية الاور وبية حيث نرى العالم ليبوك **luboock** الذي يؤكد أن أغلب الشعوب لم تتمكن من استعمال مصطلح خال وخالة أو عمة وعم في اعترف أن الاسكيمو يستعملوا هذا المصطلح مقابلا للغة الانجيليزية .وهذا في موضوع القرابة أما سكان جزر هاواي فإنهم جماعة متوحشة لمجرد أنهم لايستعملون ذ لك المصطلح على افراد عائلتهم(3) ومنها كذلك اعتبار سكان الاندمان جماعة لا تمتلك مشاعر الحياء فهم مثل الحيوانات فهو مثل العالم كلام **klemm** عندما يقرون أن غياب الدين واخ لاف العقائد لدى بعض الجماعات هو

---

[1]– حول المادية الثقافية، ص 52––50

[2]– هوجيمان جون: تاريخ الفكر الانتربولوجي، كلام عن ابن خلدون،

[3]– robert lowie, op cit p 30

دليل وحشية وبدائية قصوى.(1) ولكن العلم التجريبي يمكن تقريب توظيفه في التاريخ رغم أن الظواهر لا تعاد ولا نلاحظ مباشرة فقد توصل بوشر دى بارث **boucher de berthes** بفضل علم ما قبل التاريخ والانتربولوجيا بأن العمل بالحجر في النشاطات اليومية المتعددة يرجع في مرحلة إلى جليوستوسان **pleistoceine** على أسس تجريبية(2).

يعتبر العالم **meiner** الانتربولوجي أن البحوث الاولى والتمهيدية لعلوم الانسان كانت بفضل الجماعة الموسوعية التي قادها ديدرو والتي شارك فيها مونتنسيكيو كوندورسيه بالاضافة إلى علماء آخرين مثل **iselin** فالكونر وقوقي بينما يعطي **klemm** الاهمية إلى فالتير **voltaire** الذي سجل الممالك والمعارك والملوك والعادات في الحضارات والمعتقدات وأشكال الحكم .لقد كانت الابحاث الاولى في علم ما قبل التاريخ هي أداة عمل وجملة معلومات متراكمة تحتاج إلى إعادة قراءة فعلم ما قبل التاريخ يساعد على كشف المظاهر المادية وبصفة مفصلة وذلك فهو يحدد المراح ل الزمنية للتطور التقني مثل صناعة آلات منزلية وزراعية وأخرى للصيد مع ذلك تبقى الآثار الصامدة هي التي نقشت على الفخار والاخرى على الحديد، بينما اندثرت الآثار التي حفرت على الخشب والنسيج والاوراق لأنها متآكلة مما كشف المحاولات التجريبية الأولى في العلوم الاجتماعية.

إلا أن المنهج العلمي الحديث قد أظهر قوته بفضل عيانية الظواهر حسب المقاربات التجريبية بعيدا عن الاحكام التقريرية الذاتية والاخلاق ولا يخضع لمقياس معترف به يكتشف ماديا لأنهم مجرد مشاعر ومعتقدات باطنية وقيم ذاتية.

المطلب الثالث .تطورات نظرية و منهجية

هكذا وجدنا قديما هيرودوت عند اليونان والبيروني وابن حلدون عند المسلمين اما بعد النهضة الاروبية و الاكتشافات الجغرافية و حركة الاستشراق ظهرت دراسات جديدة حولهما بروزا علميا او غرائبيا او مثيرا للبحث .حيث كان اكتشاف اعماق الانسان في مرجعياته ومدوناته القيمية و أفعاله و سلوكاته و أفكاره ‘و لو كانت متناقضة أو معادية للأصول العقائدية جزئيا أو كليا ‘ و التي تحقق له معاشه وثبات حياته واستمرار نوعه و نقل ثقافته للأجيال اللاحقة وتمرير أساليب الحياة والقيم اليومية و الدائمة .

---

[1]– robert lowie, op cit 29

[2]– robert ,op cit 26

أما العصر الحديث و الذي كرس العلوم الاجتماعية و خصص الأنتربولوجيا لدراسة المجتمعات ذات الأثر القديمة و التدائية من جهة وبحث عن الرواسب القديمة و المتجذرة في المجتمع الحديث و التي لها أصول تراثية متراكمة عبر الزمن عبر أليات قديمة و حديثة تمكنت من خلالها من الانتشار و التقدد في ظواهر الحداثة و الصناعة و التكنولوجيا . من ذلك نجد علماء مثل دوركايم و مالينوفسكي و بريتشلارد وبراون و ستتتراوس ‘يمثلون هذه التطبيقات الحديثة على المجتمع الحديث و المعاصر ولكن بدرجات مختفة .ومنهم ظهرت تفسيرات جديدة لمعنى الأنتروبولوجيا وتوظيفاتها وأهميتها ومناهجها التي سوف تعكس حقائق جديديدة مفيدة للتواصل الحضاري و التكامل الانساني العالمي . لقد كانت أولى التعريفات لها ‘أنها علم يدرس المجتمعات البشرية بصفة أن الانسان كائن فيزيقي وعند أخرين ‘الانسان كائن عضوي وأخرين كائن حفري منقرض ‘من خلال دراسة أفعاله و سلوكاته .وذلك لأنه كائن متكامل مع الأخرين و متعامل بثقافة محددة متواطئ عليها كل الجماعة التي يتعايش معها .لأنه بنى و شكل حضارة تميزه وتخلده.

يمكن أن نقرأ جيمس فريزر يقرر أن الأنتوبولوجيا تفسير ماض الم جتمعات و كشف قوانين الظواهر فيه من خلال القوانين السوسسوسوجية التي تنظم تاريخ الانسان في تحولاته وتعرجاته ‘فالطبيعة واحدة في كل زمان و مكان ‘مع فهم أن مناهجها تقوم على التجربة و والفرضية و المشاهدات المنظمة و طبق المنهج الاستقرائي مع كشف النظم و التفاعلات و التطورات و طبيعته .مع العلم أن مصطل ح الطبيعة الفلسفي سيطر زمنا طويلا عند مفكري القرون الحديثة منذ هوبز و لوك و هيوم وليبينيتز و كانت وغيرهم وو فلاسفة التنوير و منظري العقد الاجتماعي ‘فكان ذلك منبت الثورات الاجتماعية و السياسية الحديثة ‘لأن معناها كان الرجوع الى طبيعة الانسان الأول .

أما راد كليف براون ([1]) فكا ن يقصد من بحثه في هذا الميدان الى مقارنة الأشكال المختلفة للمجتمعات الانسانية و تركيز على الحالة البدائية من خلال تفهم النمو العقلي و و السيكولوجي و اللغوي و الاجتماعي ومن بناء اجتماعي بدأا بالأسرة ثم القرية وثم المدينة الى الوطن السي اسي ‘لذا فهي علم يدرس طبيعة المجتمع دراسة منهجية منظمة

([1])- –قباري إسماعيل ‘م س ‘ص 14

أما مالينوفسكي فعنده الدراسة الوظيفية للعنا صرهي الأساس في هذا العلم ،أما دراسات التون مايو فهي أبحاث تطبيقية ناتجة عن التراكمات النظرية الي نسجت في البحوث السابقة عند نقاد هذا العلم . و أما ليفي ستراوس فهي تصورات في كليات الانتاج الحضاري للانسان و تطورات العقل الانساني .مما خلق نزاع ابستيمولوجي بنى سؤاله على ،هل الانتربولوجيا تدرس الحقائق الخارجية أم دراسة واقع نفسي و داخلي ([1]).

لذا نحكم نحن مع البعض أن الدوغماتية الاكاديمية ،ليست نهاية العلم وانما مجرد تقويض له و غلق لمنافذ الكشف و و التجديد .لأن البحث في الهم الحضاري و انتاجاته الموجهة للتصورات أو الأفعال ، و المجتمع الصناعي الحديث و الاعلامي العصري و المؤسساتي هو أيضا نزع انتروبولوجي قوي ومكرس ومعتمد للتنظير و التأطير العلمي المستمد من الم ناهج الحديثة . لذا نحاول ترك النزاع العقيم جانبا ،والذي يغلق المنافذ للرؤى حولنا ، فالمجتمع كائن عضوي و مؤسسات مرتبة ،ونقول ضد مالينوفسكي أن الحضارة ليست سطح بين الفرد و محيطه بل هي انتاج متراكم عقلي و فعلي .و نؤيده أن المؤسسات تشبع حاجات الانسان . فهي تشبع من الحاجات الأ ولية ولكن براون أنها تشبع من الحاجات الألية للنظام الاجتماعي فقط فهذا طرح اختزالي و ومغلف .وتبقى مقولة دوركايم أن المجتمع مختلف عن تجميع الأفراد ومميز عنهم في جزئياته و كلياته .مماجعل انجلز([2]) يستمد منه الكثيرفكريا .

المطلب الرابع –أنواع الأنتروبولوجيا

أ– الأنتروبولوجيا الفيزيقية أو الطبيعية

يهتم علماء الاجتماع والتاريخ والانتريولوجيا والبيولوجيا حديثا بظهور الانسان وتطوره حتى ظهرت نظريات ثائرة جعلت في اصل الانسان قرد بالنظر إلى الانتقاء الطبيعي للاحياء (داروين) ،كما ساهم معه لامارك و مورقان في ذلك . ولذا ظهر علم الانتربولوجيا الفيزيقية كعلم يدرس الخصائص الجسمية والتشريحية للانسان الخبس الملامح البشرية للانسان القديم والحفري قياس الجمجمة حجم الدماغ المخ القامة لون البشرة شكل الشعر . وبذلك ساعدت هذه الدراسات على معرفة النمط التكويني والوراني للبشر وموفة الاجناس ومواقعهم الاصلية التي تنقلوا منها وساعدت تلك على معرفة الانسان القديم وخصائصه

---

[1])–ادموند ليتش ،الانتروبولوجيا البنيوية ،ترجمة ردادي ،مجلة الحياة الثقافية ،تونس ص 194عدد40 سنة 1986

[2])– اد موند ليتش في مجلة الحياة الثقافية ، تونس م س ،ص 195

وتفرقه عن الجيوان وخاصة الرئيسيات مثل القردة العليا .ذلك وجدت مظاهر اعتدال القامة والمهارة اليدوية وثنائية الابصار والقدرة على الكلام أو ال نطق والافصاح بتعبير وجهي وحركي ولغوي وتركيب المخ وخصائصه العصبية والشوكية التي جعلت الانسان يتميز عن الحيوان بالوظائف العليا العقلية حيث يعادل مخ الانسان ثلاث مراث مخ القرد (غوريلا– أورانج شمبانزي).

وبالتالي كون الانسان مملكة الحضارة أو الثقافة والتجمع المتواصل المترابط رغم الصداع ولكن الحيوان تفرق وتبع مواقع الانسانية فعلم ما قبل التاريخ واانتريولوجيا والاركيولوجيا علوم تكاثفت على معرفة تلك الاثار من الاحجار المنقوصة والاسلحة المسطوفة والادوات الاولى ([1]). آثار لقد وجد العلماء الكهوت القديمة كآثار ص ادقة على ثقافة الحياة لدى الانسان القديم في العصر البال يوليتسي **PALEOTHIQUE** حيث ظهر لديهم الثيد والقنص وجمع الثمار وصنع سلاح من العظام والحجر وقطف الثمار والنبات..أما العصر النيوليتيكي **NEOLITHIQUE** فقد عايش الانسان الحيوان واستأنس به واكتشف الزراعة والاستقرار وبناء الحضارات.

ب– الانتربولوجيا الاجتماعية

فقد ركزت على بناء ونظم النفقات والمجتمعات مثل الدين والسحر القيم المعتقدات قانون ضبط عرف يستخدم منهج المشاهدة المباشرة والمعايشة وجمع المعلومات وهي دراسة حقلية ميدانية **field work**.اولا اعتمدت الانتريولوجيا على الرحلات القديمة والمبشرون من رجال الدين وثانيا : على العلماء الامعاصرون من العلوم الاجتماعية آخر قرن 19.

أولا: دراسته عصرية تجريبية لدى هوبزباون برنيشارد وبد مودفريث وفورتس مابر و **trager<** ومالبنوفسكي.وهناك دراسات حديثة في اوربا وامريكا يستورده ا كاسيرر وراستن و ميشال فوكو اقيم عادات تمثلات شعبية وارثور لو فيجري **usa** ليس فلسلة **Trantlin baun** الفكر الاولى الحديث 1950/1600 فكر العامة والناس والملوك والمسيريين والفكر لمنتشر لجماعة **populariza** فكرة لشرق تراكم مفاهيم تاريخية عن الشرق.

ج –الأنتربويوجيا الثقافية

---

[1])– قباري اسماعيل: الانتوبولوجيا العامة، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية مصر 1985– ص 3/2

وهو اتجاه امريكي يعتمد الوظيفية منهجا ,و منه ظهر كليكوهن و مارغريت ميد وقد درسوا الثقافة وسماتها وتفاعلات عناصرها ووجدوا اللغة عامل انتشاري عالمي حسب السياسة و الجغرافيا والجماعة البشرية طبقا للثقافة .وقد كشفوا أن هناك ثقافة مادية وثقافة غير م ادية وتعكسها أنماط سلوكية منبثقة عن عادات الصيد ,الزواج ,اللعب اللقاء ,الفلاحة ,عن المرأة ,وطقوس النسيج واحترام الكبار وتمجيد الابطال...لذا نجد أن كلارك وسلر قد قرر أن المركب الثقافي يحوي ظواهر و نظم متسامدة وظيفيا داخل اطارفي البناء الاجتماعي برمته .....([1])

لذا كانت الطوطمية نمطا سلوكيا منتشرا عالميا و له أثاره ,وكانت الهجرة أساس هذه التنقلات الر مزية بين الثقافات ,وقد ساهم المنهج التحليلي و الجشتالطي في كشف تلك الحقائق ,ومثل روث بنيدكت أحد أعمدة هذا الاتجاه .فالثقافة ليست مجموع مبعثروممزق بل كل متكام ل متفاعل متساندله صور و نمادج وعناصر وصيغ مترابطة .

المبحث الثاني قراءة إبستيمولوجية

المطلب الأول مداخل في الموضوع الأنتروبولوجي

لقد كانت الدراسات الأولى منبثقة عن الاتنولوجيا و الاتنوغرافيا التي د رست شعوب مختلفة وثقافات متنوعة ' الثابتة و المتنقلة 'ضمن عناصر السمات و الصيغ و الأشكال داخل البناء الاجتماعي ككل مترابط .ولكنها كانت مركزة على المرحلة البدائية و الم رحلة العقلية و لكنها فيما بعد اندماجها بالأنتروبولوجيا تعمقت في دراسة الانسان الحديث و ثم دخلت الميدان العصري بكل جزئياته من تواص ل الى رواسب الثقافية فية المصنع و المدرسة و الحزب أو المستشفى وغيرها .

أما اليوم فهي أنتروبولوجيا المصنع و المؤسسة و السلطة و الفضاء و الأنترنت و أدوات التواصل الاجتماعي وشبكاته لدراسة الرواسب الماضية الفاعلة في الحاضرو ليس فقط لدراسة الأشكال الماضرية.وقد ساهم التقسيم العلمي و البيداغوجي للأنتروبولوجيا في رص تصنيفات مساعدة للتعمق الأكاديمي من خلال مفاهيم 'الحقل و الدائرة و الحلقة و و الفضاء و الميدان و وهي المنفعلة في بناء اجتماعي في عمليات التمثلات و اعادة الانتاج للرموز و توظيف الرواسب الثقافية و كيفيات التصور و

---

[1])- قباري اسماعيل ,الأنتروبولوجيا العامة , م س 'مصر 1985 ص 488

بناء المخيلات الاجتماعية و تمثلات الأخرة . كما حفرت في روافد الثقافة المادية و غير المادية في كل الأنماط الثقافية السائدة أنذاك حسب القرب الجغرافي .

إن التاريخ الاسلامي و الثقافة الاسلامية يضعنا أمام عدة ظواهر انتربولوجية في الكلا م والسلوك وخاصة لدى ا الكتاب الأوائل مثل الجاحظ و البيروني و كتاب السير الذين تركوا بحوثا في التراث و الطرق المعاشية و أساليب الخطاب و المعاملات اليومية لذا كان المنهج التقليدي التاريخي عندهم يعتمد على الوثيقة الشفهية والاثرإ الفكري و الخيالي المنفتح ع لى الثقافات المجاورة . ان واقع أمنحتب الثالث لا يمكن اسقاط ه اليوم على ذلك العصر أصل الانسان اهتم العلماء ولا بأصل الانسان ونشأته ونمط حياته ورغم الدراسات حول أصل الانسان فذلك بقى احتمالا وافتراضيا وبرزت هناك دراسات .ويمكن القول ان المصادر الاسلامية و الم أثر المؤلفة هي تراث غني من الانتروبوجيا ‘وبذلك فالاسلام يتميز بكثافة انتروبولوجية لايمكن أن تجدها في أي دين ‘لأكل ما هو معروض للقراءة في في السلوك ;والاقتصإد والفقه و طقوس العبادة وطرق التعامل ....هي دليل ذلك ‘وتستدعي دراسات شاملة و مسحية في رأينا الخاص .

ان التطبيق العملي للنظرية نابع من فكرة فلاسفة الألمان : أنها جميع العلوم التي تدرس جوانب من الحياة البشرية : مثل الروح أو الجسد ، الفرد أو النوع ، الوقائع التاريخية ، الإدراك ، الأخلاق المطلقة ، المصالح المادية([1]).. هي بذلك في رأينا : معالجة الحياة الإنسانية في كافة مظاهرها والتي ترجع إلى جذور الحياة الإنسانية فهي تربط كل العلوم الإجتماعية وتجمع بينها في ملتقى واحد . فكل الوقائع الطبيعية أو المصطنعة أو الصفات التي يمكن يتصف بها شخص محدد ، هي ربط بين الإنسان ومحيطه البشري وبيئته الطبيعية وهي محاولة فهم العلاقة التي يمكن أن تكون ويخلق أثارا فكرية أو مالية على المحيط. فهي علم يضم الأنتولوجيا والتاريخ والإقتصاد ، واللغات وعلم النفس والقانون وغيرها .....الإتنولوجيا هي علم يتعرض لمجمل طبائع كل عرق . لوضع الخطوط العامة لبنية المجتمعات حسب لاروس ، بينما هي بحث في منشأ الشعوب وتوزعها عبر الأرض([2]{).

إن ألفاظ اللغة مرتبطة بالقرابة **I.morgan** وقد كان رأى لويس مورغان . **Systémes.** تؤلف أنظمة . كما نفهمها عند الوظيفية . إن ما يسمى " منظومة قرابة " بصفته أحد موضوعات

---

[1])- ليفى ستراوس : الأنتربولوجيا البنيوية . ص8

[2])- نفس المرجع ص 11

الأنتروبولوجيا – يخفي في الحقيقة نظامين مختلفين جدا في وقعهما لأن هناك منظومة تسميات للمفردات وهناك منظومة المواقف التي تتغير من موقف إلى حالة أخرى . فالمواقف هي التي تؤكد تماسك المجتمع وتوازنه . بينما الرسميات مجرد منظومات مونولوجية . بينما يرى راد كليف براون ان المواقف ما هي سوى دليلا على منظومة التسميات([1]).

في حين يؤكد لنا ستراوس أنه من الخطأ" أن منظومة القرابة تؤلف في كل مجتمع الوسيط الرئيسي الذي تنظم به العلاقات الفردية ، وحتى في المجتمعات التي إنتقل فيها هذا الدور إلى منظومة القرابة ، فإنه لا يقوم بهذا الدور دائما بالدرجة نفسها " ([2])،من ذلك إختلف العقل التاريخي طبق أنظمة المجتمع الذي حدث فيه وطبق المحيط الجغرافي والثقافي الذي يتاثر ويؤثر فيه كلية أو جزئيا . رغم أن المواقف الشخصية والقرابة ونخب القرار في المجتمع التقليدي هي التي تحرك آليات الفعل وتمفصلاته . ومن ذلك حسب بحثنا هذا ' كان الأمير واحمد با ي والشيخ بوعمامة ولالانسومر والمقراني وبومعزة ' رموزا حية للموقف والوعي والإمتزاج الروحي لمنظومة التركيب المجتمعي الجزائري رغم مهاترات الحضارة الحديثة الغاضبة لمجتمع ممتزج متكامل له هوية وتاريخ .

المطلب الثاني النظرية في الأنتروبولوجيا:

إن الكلام عن البحث العلمي الحديث قد تطور كما تطور في العلوم التقنية تطور بالموازاة في العلوم الاجتماعية كافة ، ومنها تعددت المناهج والطرائق والأدوات المستعملة والمواضيع التي يمكن الخوض فيها .لقد تطور المنهج التقليدي السردي في التاريخ من معرفة أمور الحرب والقصور إلى فهم الحياة الاجتماعية عامة اختلطت فيه الفيزياء الطبيعية والجغرافية مع الفيزياء الاجتماعية التي تحاور الجماعة وأسس حياتها ومقوماتها.

فالمقاربة أصبحت بنيوية داخل التاريخ المتغير ، حيث يمكن رصد قضية ظاهرة وتفكيك أعماقها المتشابكة وهذا ما حدث منذ التاريخ المنهجي الذي قدمه المدرسة الوثائقية بقيادة لانجلوا و سينوبوس و المدرسة الحوليات بقيادة لوسيان فافر ، ومارك بلوخ وفرناان برودال .لذا البعض ' يرى أن التاريخ عبارة

---

[1])– أ.ر. براون : ترمينولوجيا القرابة في كاليفورنيا – الأنتربولوجي الأمريكي مجلد 37/ 1935 ص 58

[2])– ل . ستراوس مرجع سابق ص 59 .

عن العادات فهو "لا يعبر عن نفسه بتواتر الظواهر والأحداث المتميزة دائما بل يعبر عن نفسه من خلال مزيج قارمن السلوكيات الموروثة أي من الثوابت وظواهر التأقلم أو التجديد"([1].)

لذلك وجد أنه ليس عيبا أن يتناول التاريخ عادات التغذية كما فعل **d'ausey legrand** المؤرخ عن الحياة الخاصة في فرنسا في بداية عهد الأنوار ، فصدر كتابه عام 1782 ، في حين كان البحث التاريخي عند البندكتيون تحليل المصادر الكتابية قبل القرن السابع عشر ([2]) أما بعدها فأصبح في تحقيق المصادر العمومية ، بما تحمله في محمولات شعبية متواترة بين كل الفئات.

لقد ساعد عصر الأنوار إلى تنمية الروح العلمية ونفس البحث عن أعماق بفضل بعض الرحالة والأطباء وبعض الموظفين في الديوان الإمبراطوري ، الذين يملكون حقائق القصور ورجال الدولة ، مما ساعد في تطوير التاريخ والأنثربولوجيا وعلم الاجتماع ، حيث توجه البعض إلى دراسة الحياة الخاصة مثل كيفية اللباس والأكل وتنظيم المجتمع والعادات وطقوس الدين والمذاهب ، لأن هذه الظ واهر تكشف حقائق أخرى وتاريخا آخر بعمق الظواهر القديمة المبحوثة مثل رجال الدولة ونشاطهم ، والحرب والفنون الأدبية التي سادت عهودا عند اليونان.

فالأنتروبولوجيا بحث في مراحل التوازن ، التوقف بينما التاريخي بحث خطي متلاحق ، ومن ثم يسهل اكتشاف مسالك وقنوات التغي ر وآلياته .إن التطور المنهجي الذي اعتمد عليه لوسيان فافر عميقا في مضمونه ، ولكنه محدود الفائدة لأنه إتجاه نفسي ، لم يكتمل كافة مظاهره و تأثيرات وأسباب وجوده ، وهذا ما يفرضو تعميق البحث نفسه ضمن بحث واحد متكامل ، فهو إطار للأفكار والأليات الذهنية للعقائد والتصورات .فالأنثروبولوجيا شكلت رافدا قويا للتاريخ من خلال الدين و المعتقدات والطقوس وصياغات التعبير الرائدة أو حتى الفلكلور ومنتجاته ومظاهره كافة ،فهي تعطي المعلومة والتاريخ والزمن واللغة والتقاطعات المرتبطة . "إن السلوكيات لأقل برهنة لمجتمع ما .....تعكس نظاما لتمثل العالم يربطها في العمق بالصياغات الفكرية الأكثر إعدادا ، مثل القانون والمفاهيم الدينية والفكر الفلسفي أو العلمي"([3].).

---

[1])- بورغيار ،مقال في جاك لوغوف ، التاريخ الجديد .،م د و ع ، بيروت ، ط1 ، جويلية 2007 ، ص236..

[2])- بورغيار ،ن م س ،ص237

[3]- المرجع السابق،272.

وهذا كان معناه أنه تقديم آخر للعلوم الاجتماعية ، في صياغة جديدة ،يقوده استهداف عميق للحقائق ، فهو جزء للمعاني وتصنيف وصف للحال وهي محمولة في الخطاب الأسطوري الذي سجله التاريخ المكتوب والذاكرة الشفهية ، وهناك ما ينتج عن ذلك من حركات ورمزيات موازية لتلك الظواهر .وهناك نجد أعمال جاك لوقكوف ([1])، وجورج دوبي حول الفلكلور والزمن ، العمل ، الدين ، والهدية .و العطية وغير ذلك .والشرف والغابة وغير ذلك وأعمال فيدال ناكي التمثل والتعبير في فترة محددة وفهم نمطها لرصد ضبط الزمن والتحول.كما يوجد بالمقابل نوعا من الاتجاه المادي في البحث العلمي المرتبط بالانسانيات ، لأن الأشكال المادية ،الوسائل التقنية التي توضح مدى التطور وبدء التخلف ودرجة عقلانية المنتوج أو خرافيته.

إن التكنولوجيا اذا لم يقع الحكم فيها ، يمكنها أن تحيد باستمرار عن مسارها ، ويمكن أن يعطي لها دور حتمية وسيء في الصيرورة التاريخية ، لقد واكبت بعض المجتمعات الفيودالية الاقطاعية بعض التكنولوجيات مثل تكنولوجيا لأسلحة وأكثر من ذلك الخيالة الثقيلة التي تعتمد على زراعة الحنطة ، وعلى اعتمادها الحدادة ، والركاب ، لقد وفر الجواد للارستقراطية العسكرية تفوقا حاسما ([2]).والتطور التقني دليل تطور اقتصادي وصناعي وتركيب اجتماعي للعمل و تمدن كامل جامع و مانع لأنواع المواد والأعمال والأدوات المساعدة المميزة له .

كما يوجد مظهر آخر لدراسته التاريخ من خلال الأنثروبولوجيا بفضل مفهوم المتخيل **imaginaire** الذي يحمل معاني كثيرة متعددة الاتجاهات لأن التخيل فاصل بين الواقع والمتخيل الذي يتغير ، وهو فضاء يتحرك ضمن سلوكات ومقاصد شتى ، ويمثل التجربة الاجتماعية ، للجماعة والفرد و العقلانية ، وغيرها.فالمتخيل تطلع إلى المستقبل لنفسه في المكان والزمان فهي حس وإدراك بالخوف والقلق الوجودي الإيماني وحركة النفس والوعي بالجسد ، الموت والأحلام([3]).و المواطنة عقد سياسي يضع المواطنون كما وضع القانون الوضعي و الأمة مصدر السلطة التي تبرر شرعيته اما الدولة فهي إطار مؤسساتي ينظم الحياة اما الوطنية الدولة الحديثة هي الصيغة غير اللاهوتية ضد التأهيل الإلهي والتفويض الإلهي للحاكم .فالحاكمية كما جاء علماء السياسية الشرعية من الماوردي إلى الجويني ،الى رشيدرضا و هي

---

[1]–جاك لوقوف م س ....المرجع السابق، ص274.

[2]– تاماري بيسازا ، في جاك لوقوف ، م س ، ص332.

[3]– إفلين باتلاجين في جاك لوقوف ،م س، ص 482.

الملكية للقرارالقطعي لله .أما الاستخلاف ، فهي حاكمية بشرية ، تنظم حياة المواطن طبق شريعة الله . وذلك ما تم قراءتهمن خلال الاستكشافات الروحية و السلوكية العقائدية التي وقف عليها الاستشراق الغربي الحديث ،الذي استنطق الفكر المحلي و تراثه العلمي.

المطلب الثالث الأنثربولوجيا من خلال الإبستيمولوجيا

إن محاولات التي قام بها هاوزر وسيمياند لفك الاختلاف بين التاريخ والعلوم الاجتماعية قد انتهت إلى نتيجة واضحة من قديم، وهي التداخل بين كافة العلوم الإجتماعية من جهة، واستقلالية التاريخ، كعلم ينظر بالمنظور الزمني المتلاحق للظواهر والحوادث ، مع ملاحظة أن أي علم حتى ولو كان طبيعيا وفزيائيا يستنجد بالتاريخ لتوضيح الظواهر المقصودة، وعلم الاجتماع ولأنثروبولوجيا، بما يحملانه من مكملات انتولوجية واتنوغرافية هو أول هذه العلوم التي لا تقوم بتحليل بنى معينة وتفكيك علاقاتها إلا من خلال الحضر التطويري الايجابي أو السلبي، الذي خضعت له تلك البنيات عبر الزمن المتتابع من خلال التنظيمات الاجتماعية في كليتها أو في جزئيتها . فإذا كانت الاتنوغرافية وصف العروق البشرية وعلم الاتنولوجيا دراسة طبائع العروف، فإن علم الاجتماع وتطوره من خلال الانتروبولوجيا سوف يغطي مدو نة العروق والجماعات إلى مجمل القيم والعادات والنشاطات التي تؤثر في الحياة عامة سواء منها الاجتماعية أو حتى التكنولوجية.

إن الفرق الواضح الذي لم يتمكن من استخلاصه العلماء في هذا الميدان هو أن علم الاجتماع يبقى علما وضعيا يدرس الإنسان من خلال الإنسان فردا أو جماعة، بينما الأنثروبولوجيا تذهب بعيدا حين تدرس الإنسان في علاقة تأثرية بالمحيط العام طبيعيا أو اجتماعيا من خلال التراكمات والحفريات المتلاشية عبر القرون. ولذلك فهي لا تترك له مكانا فارغا للظاهرة الاجتماعية إلا وتم تفسيره وتفكيكه، فهي نهر هذه العلاقة الجديدة والمتجددة عبر الزمن وليس فقط قراءة في بنيات الزمن الماضي والأشكال البدائية، بل حفريات البدائي ومؤشرات المستحدثات على الحاضر، ومعناها سوق يتم إسقاطها على المجتمع الأمريكي أو الفرنسي أو الألماني بغير رحمة لأنها بحث عميق في النفس والمجتمع والفرد ومجمل ما يتعامل به ومعه هذا المجتمع والفرد، سواء كان معدنيا أو حيوانيا، أو نباتيا أو كونيا، لعلاقة هذه الأشياء كلها بحياة الإنسان وسلوكاته وأنماط تفكيره المعاصرة والقديمة.

لذلك وجدنا أن الاتنوغرافيا أعطت قيم ومعارف تخطيطية مجسدة للظاهر بينما زادت الاتنولوجيا في حفر الطبائع والسلوكات وخاصة للمجتمعات المختلفة . ولكن عدم الاجتماع بصفته

الانسانية فقط، والانتربولوجيا بصفة فهم الإنسان والمحيط، زاد من تطوير الفهم والإدراك العقلاني للإنسان اليوم من خلال استثمار ماضيه الثقافي والفكري وتوظيف وعيه عبر الذاكرة للتكيف مع الحاضر.

إن الشعور الغرائبي لدى الغرب هو الذي دفعهم إلى تسليط الأضواء على الشعوب الأخرى، وهذا لم يمنع من تطبيق ذلك على الأمريكي الهندي في أمريكا وأستراليا، لأن الإختلاف الثقافي والأخلاقي هو دافع ذلك، فكانت الاتنوغرافيا للوصف والتحليل ثم الاتنولوجيا الفهم الاختلاف والمقارنة كما كان يرى ليفي ستراوس([1])**Levy Strauss**.

إلا أن المحاولة الأنكلوسكسونية ، لخلق انتروبولوجيا إجتماعية لدراسة المؤسسات بصفة مجموعات من التصورات من جهة والأنتربولوجيا الثقافية بصفتها دراسة للتقنيات أو ما هو خدمات تقنية للمجتمعات والأفراد المقصودة بالدراسة ؟ إن ذلك باء بالفشل الابستمولوجي لصالح الانتربولوجيا من مفهومها العام ، الذي جعل رابطاحقيقيا بين التاريخ وعلم الإجتماع والظواهر الفيزيائية عامة. مع العلم أن التراث الأنتروبولوجي قد كرس عن تركيز حول فهم النقاط المظلمة بي ن الحداثة و التقليد .وما يؤكد ذلك هو دراسة المظاهر السلوكية الحديثة و القديمة في المصنع و المدرسة و المؤسسة.

وهذا ما نؤكده دوما وننطلق منه نظريا وفكريا ومنهجيا ، لأن التمفصل الإبستمولوجي للعلم ، هو الذي يحدد مسارالدراسة هذه ، ويخلق فهرسة جديدة للبحث , التعمق الأكاديمي المفيد الذي يسقط الأقنعة ,,التي تفشل الفرضيات الإنتقائية , المغلفة للتوصيفات النظرية المنحازة أو الإقصائية .العلمية المطروحة من وهلتها الأولى .وتلغى نتائج محددة إلى عرض الحائط المعرفي . وتخلق أزمة أخرى في البحث والحقيقة لغلاف منهجي مهترئ.

وهنا يتوضح لنا جليا أن الزمن هو عامل الإختلاف حقا في نظر ليفي ستراوس.حيث البحث في تاريخ قديم لا حاضر له هو معضلة الاتنوغرافيا ، بينما البحث عن إعادة تشكيل وتركيب ماض يتعذر الوصول إليه ، هي من أزمة الاتنولوجيا ، وهذا يبدو في نظرنا حفر ابستمولوجي لا يدفع العلم كما يخلق القطيعة المعرفية بين العلوم ، ولكن تطور الانتربولوجيا واندماجها مع هما قد ساهم في نظرنا في فوز الانتربولاجيا على علم الإجتماع والأخريات بكل جدارة بتأهيل الرواسب الثقافية و المجريات الحدثية في لحظة واحدة لأن المعالجة العلمية تفترض ذلك وطبق القراءات المتعددة و العابرة للاختصاصات.

1- ليفي ستراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، المرجع السابق ترجمة....

ولكن في محاولة قراءة جديدة من المنظور الواقعي ، يبدو في نظرنا أن الانتربولوجيا والعلوم الإجتماعية الأخرى بما فيها علم النفس والإقتصاد والقانون ، فإنها مثل معضلة مع الزمن والبحث عن أشكال العتاقة بين الج ماعات البشرية سواء في الطرف المتقدم حضاريا أو المتخلف ، بل في كون الأنتربولوجيا بحث عميق في مجال واسع يدرك علاقة الإنسان بالحدي د والحجر ،و الحيوانات و التراب ،قديما وحديثا ، ويحاول اليوم نهي العلاقة بين الإنسان والكهرباء والذرة والإلكترونيات المتنقلة عبر الفضاء بدون أسلاك ، لماذا ؟ لأن كيفية انتاج وابداع التكنولوجيا الحالية مرده إلى علاقة حفرية خلقها التجمع الإنساني عبر التاريخ ، وحفظها الكتاب والمجلة والذاكرة الشفوية ، والعادات الإستعمالية للأشياء والظواهر ، التي مهدت للعلوم ، بفضل الخبرة المتلاحقة ، والملاحظة العميقة .

لكن الإنسان المتخلف اليوم ، لم يستطيع هضم تلك الظواهر فقط . مع أنها محايثة له ولم يستطع حتى علم الاجتماع هضمها .لأنه ببساطة استبعد المحيط الطبيعي من التفسير . مع ملاحظة من عندنا تكرس الأنتروبولوجيا كعلم القاعد الحظارية و التي خلقت التطور العلمي و التكنولوجي و الصناعي الحديث منذ بداية القرن 19م.لأن الحفريات الأنتروبيلوجية ساهمت بكل عمث و دقة في فهم أليات التفكير و الابداع و الانتاج وفهت تطور التجارب الانسانية من لحظة الى أخرى وبالتالي خرج العلم التجريبي منها ومدته بدعائم التأصيل و التصديق المخبري و الواقعي الذي تراكم لدى الانسان القديم وما لحقه من تقليدي وحديث.

فالثقافة السلوكية ، أحيانا لم تسمح بملء الفراغ ، الذي خلقه نمط التفكير الإنساني الذي حمته كل الأديان لصالح التطور ورفاهية أبناء البشر . إن انتربولوجيا الإنسان مع الحديد القديم هي انتربولوجيا بالمكوك القضائي والمدرعات ، انتربولوجيا الإنسان مع الفضاء هي فهم الإنسان لظواهر فيزياء الكون وعلم الإتصالات التي لها تراكمات معرفية من المجتمع القديم ولها خصوصها الفكرية والأدبية في كافة الأشكال . لذلك فالماء والتراب والرحل النبات سوف تج عل الأنتربولوجيا القارئ الوحيد للإنسان ومكوناته وأعماقه وخلجاته وتأملاته الناكصة أو القادمة.

سوف نتابع النقد الأبستمولوجي في الموضوع ، في نفس المجال ، ضد تايل ور ، ، الذي يقول : ".....إذا رأينا مغناطيسا يجدب قطعة من الحديد ، استطعنا أن نستخلص من التجربة.. **Taylor** .القانون العام للإنجذاب ، الحديد بالمغناطيس ، فلا ينبغي بذل مزيد من الجهد في تعميق تاريخ المغناطيس موضوع البحث " .وفي تعليقه على هذه الوضعية ، أنه من السذاجة والتخلف البحث في

التاريخ المفصل لهذه الظاهرة.... فدور التاريخ لا وجود له – نسبيا كما نلاحظ – ولكن أظن أنه نسي أن دور التاريخ الفيزيائي لهذه الظاهرة بارز وقوي . وهو الذي يحدد درجة الإنجداب وقوته وسرعته ومداه ، ومساحته المغطاة ....لماذا ؟

إن وضعية الحديد كقطعة تفرض علينا دراستها تاريخيا وكذا وصفيا لنفهم العلاقة الكيميائية بالمغناطيس ، ويجب أن نطرح الأسئلة التالية : أين كانت هذه القطعة من الحديد ؟ من داخل التراب أم خارجه ؟ كانت موضوع في حمض أم ماء ؟ أهي من حديد خالص أم حديد مركب مع معادن أخرى ؟ أين كان موقعها من المغناطيس ؟ كم من مترا وملم ؟ ما هو طقس الجو الذي حدث فيه الحدث ؟ هل كان شيئا آخر قريبا منهما ؟ وطبق ذلك لى المغناطيس وضف أسئلة أخرى . ألا تلاحظ أن كل تلك العوامل سوف تحدد درجة الإنجداب بالملميتر وقواته الفيزيائية وشدة تسارعه ؟ إن تايلر خاطئ... .

إن التطبيقات التي غزت الأنتربولوجيا في عز مراحلها كانت النشوئية أو التطورية ثم الإنتشارية التي أسقطها البعض على الجماعات والأفراد والثقافات بدءا من سبنسر ولامارك وداروين حتى النظريات الآرية الألمانية قي الإنتشار والتناقف التي خلقت إنتقائية حادة قي الحضارات وبين أجناس الشعوب. فهذين النظريتين من المنظور الإبستمولوجي ، سوف تلغ التاري خ من جهة رغم إستنادهما له . وفي المقابل استطاع دور كايم ومارسال موس أن يصلا لبعض القوانين من دراسة عناصر محدودة في مجتمعات بدائية حول فكرة الفوطامية وعلاقتها بالدين وأصولها الحيوانية والنباتية في المجتمعات المتخلفة بحدة. ولكن الإنتشارية حسب ليفي ستراوس ، تـبحث عن عناصر ثقافية مؤلفة وحسب إختيار مرفوض علميا. مما يجعلها تصل إلى حقائق مزيفة ومؤدلجة .

وهذا وصل إليه حسب ستراوس دائما ، دوبير لوى وكروبرحول السمات الثقافية في أمريكا الشمالية ([1])التي تتوزع في مناطق محدودة منها . فالقانون المنتج خاطئ طبق المرنطلق الخاطئ.لعدم فهم التطورات الواعية وغير الواعية ، المترجمة في تجارب واقعية ، فردية أو جماعية ، نوصل بها أناس ، لا يملكون مؤسسة إجتماعية ، إلى الحصول على هذه المؤسسة عن طريق الإبتكار ، أو تحويل مؤسسات أو تلقيها من الخارج[2])"..... ومن التطورات الدراسية المنهجية فالموضوع ، أعمال فرانز بواس ‘ الذي أعلن صراحة قيمة الإتنولوجيا ، ولكنه إعترف بقيمة التاريخ وترك القوانين الناتجة ، عن

---

[1]ليفي ستراوس : المرجع السابق – ص 19

[2]نفس المرجع السابق – ص 20 .

العادات والقيم ، لجهله بالظواهر السابقة وتطوراتها فأقترح مناهج جديدة يساعدها الجغرافيا وعلم النفس ، ومقارنة الشعوب الأخرى وبالتالي الجماعات المجاورة للظواهر والأحداث (1). وقد كان يعتبر أن المنهج العلمي يفرض تحديد العلاقات بين عالم الإنسان الموضوعي والذاتي.

فعنده يجب تحديد المساحة الضيقة للبحث ، وعدم تأويل التكرار في المناطق البعيدة في صيغة تماثل وتقارب فالتكرار ليس وس يط للتشابه والمقارنة مهما كان الحال . بل تساعد حتما على الإحتمال ووضع متغيرات أخرى مثل الزمن والمكان المحدد وفهم وادرك العلاقات بين الجماعات (2). بأستاذه راتزل واضحة للعيان بصفته جغرافي تغلبه الملاحظة للأشياء الثابتة والمتحركة ، وإستطاع أن **boas**إن تأثر بوا س رغم انه لم يدرس المجتمعات البعيدة التي لم يصل اليها ؤلم تكن في مناله ؤطابعها الغرائبي البدائي المظلم يكشف نسبية الحقائق الأنتربولوجية من خلال دراسة الحالات التي طبقها فعليا على الميدان الذي كان يدرس عليه الظواهر ، خاصة أمريكا الشمالية والجنوبية وسكان ها القدماء وثقافتهم حتى وصل إلى " كشف أصالة الحياة الإجتماعية لكل تجمع بشري وخاصتها وعفويتها ." بفضل الملاحظة المراقبة العينية للظواهر كما قال بواس نفسه : " لكن نفهم التاريخ ، لا يكفي أن نعرف كيف هي الأشياء ، بل كيف إنتهت إلى ما هي عليه . (3)".سيطر على الاسرتشراف نزعة إيديولوجية بورجوازية ، من جهة وما كان مصدرا لها وهو النزعة المركزية ، الأوروبية ، التي كانت مظهرا فاعلا بين الأنتربولوجيا والإستشراق . ولكمن هذا الاخير حقق نفسه بنفسه وكرس هويته وحقول مطالبه المعرفية ومنها اختلافه .

لقد ظلت الأنتربولوجيا حبيسة هذه الرؤية ، إلى غاية ظهور نزعات إنسانية عالمية ، وتقدمية من جهة ، وظهور علماء من نفس الموضوع في الدول المتخلفة ، المستعمرة ، مما ساعد عاى بروز معالجات منهجية إفتراضية أكثر موضوعية وواقعية ونابعة من التجمعات المحلية لهذه الدول ، فكانت قفزة ضد النقص و الذهول أمام معرفة الغرب بالآخر ، فخلقوا نظم من المفاهيم والتصديرات ، ساهمت في تطوير الأنتربولوجيا من جهة ، وإستمرار عملها ، وتوسيع مساقطها ، وإعادة إدراج لنقاط البحث ، فخرجت من البحث عن الأفكار الساذجة والأفعال الغرائبية ، إلى البحث عن تصورات المجتمع القرو ي

---

[1] ليفي ستراوس : نفس المراجع : ص 21

[2] نفس المرجع – ص 22

(3)–فرانز بواس : في ل . ستراوس : المرجع السابق ص 23 .

عن المجتمع الحديث وكيفية خلق تنمية ، وكيفيات الإندماج الحضاري والعلمي مع التكنولوجيا والهندسة الجديدة ، فأصبحت الأنتربولوجيا ، هي البحث عن أساليب التنمية والتطوير في المجتمعات النامية ، وليس بحث عن البنى مظاهر العتاقة وتجميدها . .وهذا ما تجسد بعد الخمسينا ت وبعد استقلال الدول .التي حافظت على المدونة الانتروبولوجية التقليدية .

يقول أحد لانتربولوجيون الهنود أنه على الأنتربولوجيا أن " لا تنظر إلى الفاعل بقدر الفعل " وهو بذلك يريد إعادة اسقاط البحث العلمي على الإنسان طبق نظرية متساوية بين الأجناس والجماع ات وليس بنظرة استعلائية وإستهتارية على رواسب التخلف ، لأن تساوي قدرة العقل من نوع واحد . وما يبقى سوى الفرق في ذكاء العمل ومواهب الطبيعة.

وهو بذلك يحاول إزاحة النظرة الإستعمارية وتطبيقاتها على المجتمعات المستعمرة ، والدعوة إلى الستة البحث الأنتربولوجي عالم يا وإنسانيا لوصفها بحث نجافهم العلاقات الإنسانية والقيم السلوكية والعادات الأخلاقية والفكرية التي تساهم في تطوير الإنسانية بكاملها من خلال التحليل والمقارنة والاستقراء المنهجي.

المبحث الثالث المناهج الانتروبولوجية

المطلب الأول المناهج التأسيسية

المنهج الحقلي و الملاحظة المشاركة

وهو المنهج الاساسي الذي قامت به و عليه الانتروبولوجيا لأنها بطبيعتها دراسة ميدانية ولايمكن الخوض فيها الا بمعايشة الجماعات البشرية و التواصل معها بصفة مباشرة .فالميدان هو الرافد و المحك الذي تقاس علية الحقائق و الحامل للمخيال الاجتماعي و الثقافي و الذاكرة الجمعية للتجمعات الانسانية.

المنهج المقارن

ركزت الأنتروبولوجيا على الظواهر التقارنية مما جعل المقارنة منهجا عميدا في هذا العلم السائق بالمجتمع و الثقافة ومن خلالهما الأبن ية و الأنماط الثقافية . فكانت دراسة الأشكال التكيف و انتقال الصفات والسمات من جراء المقارنة في فضاءات مختلفة من الحضارات . فالمقارنة تضيف التعمق و

التدقيق العلمي و تلقي أضواء جديدة منحلال تنظيم المشاهدات و وتنسيق الظواهر في مراحل متسلسلة تبدأمن المشاهدة الى التسجيل ثم التصنيف ‘ثم التحليل المادة و ا لمعلومات و استخلاص النتائج من ذلك

فالتصنيف قام على أساس جغرافي و موضوعاتي ومن هناك دوائر و مناطق ونقاط مشتركة .فذالك ليسهل العمل البحثي و التحليل للسمات و الخصائص و الجزئيات و العناصر التقارنية حسب المنطقة أو البناء أوالدين أو الثقافة .وكان الفهم موجه الى معرفة الدائم من المتغير و الزائل ([1])،مما شكل اجهادا عقليا صعبا للباحث .

المنهج الظني التخميني

هو منهج مطبق على الظواهر الانتروبولوجية البدائية التي لايمكن الوصول الى حقيقتها ولامصداقيتها الا من خلال تقديراحتمالي ترجيحي بفضل بعض الأطروحات المقارنة وتفهم بصير لحالات قابلة للوصف ومنه معرفة الصفات المميزة لكل حالة وربطها بعلاقة منطقية بالتطورات اللاحقة ومنها تغيرات بسيطة ترجح تجذر الصفات الأخيرة بالصفات الأصلية. وهو غالبا ما يجعل الفرضية هي القانون المستنتج و الذي يمكن تعميمه على مجموعات أخرى.

المنهج التطوري

وهو منهج يعتمد على الدراسات السابق التي قدمها لويس مورغان و و داروين وما قدمه سبنسر في نظريته وقد تعرض كل ذلك الى التطور والعقلي والجسماني و أشكاله عبر كل مراحل التاريخ ‘مستندا على نماذج للمقارنة و البرهنة و الاستدلال لتعميم النتائج من حالة وواقعة الى الى حالات أخرى .وذالك ما ساعدها في فهم قدرات الإنسان و مواهبة وطرق حركاتة الجسمية و العقلية ومنها تعامله مع البيئة و الوسائل والمواد و الأشياء الموجودة في الطبيعة للإستعمالها .

المنهج التاريخي

[1] أحمد بوزيد ‘البناء الاجتماعي ‘الدار القومية ‘مصر 1965 عن قباري اسماعيل م س ‘‘ص483 و ذالك ما يفسره ميل فيل هيركوفيتز في كتابه ومايؤرخه رالف بيدانقتون في مؤلف‘‘ مقدمة للانتروبولوجيا الاجتماعية ‘1960‘‘

قاد هذا النوع كل من فريزر و قرابنر و اليوت سميث ‘رغم أنه كان خلط تاريحي بالوظيفي لفهم العلاقات السببية و السمات المستعارة ([1])،مما نجد ملامح للمنهج الاستقرائي من خلال تفاعل سمات وظواهر في الكل الثقافي المميز ،حيث نجد للعنصر الواحد وظيفة في جماعة وله وظيفة في مجتمع أخر لذا نجد الميل لدى باستيان ولكن عند جروبنر و شميدت و كوبرز و قوساند ‘ ركزوا على الشواهد ([2]).

وقد لجأ البعض الى فلسفة التطور و التقدم عند كونت و كوندورسي لدراسة البدائية و البعض الأخر الى المقارنة بالصور و النماذج الأوروبية ‘لأن المجتمع البدائي ليس له وثائق و لاكتابة ‘من حيث أن التقدم و التطور قانون عام مسار الحضارات الذي يضبط اتجاه الثقافة ([3]).... وكان هناك تاريخ نظري يدرس السمات بدون سند ‘قاده مورقان و فريزر و هنري مين فيه انتزاع كلي من السياق من أجل هيمنة فرضياتهم التي انطلقوا منها .كما ظهر نوع أخر من المقاربة التاريخية قاده تيار الانتشارية و التطورية ولجأت الى الأحكام الظنية و التخمينات و المقارنة بهدف اعادة بناء الظواهر الاجتماعية و الثقافية .وتكلمت عن سلطة الأب و عبادة الأسلاف و انتقال اللغة و الجناس البشرية .كما درس بيري أبناء الشمس عن مصر الفرعونية .من خلال تمثلات وبناءات متخيلة متم اسقاطها بذكاء .

منهج الاتنولوجيا

وهو العلم السابق للأنتروبولوجيا و المؤسس لها و الذي انتهج الم يان سبيلا له ولكنه ركز على السمات الاتنية أكثرمن الجوانب الثقافية و السلوكية .وقد ركز على على الوصف و المورفوغرافيا ،لذا برز كل من بواز و ليبك و م يي .....وغيرهم .

المنهج الوصفي

وهو منهج للتعريف و التصنيف ة الترتيب وهو الذي يعرف – بالمونوغرافي و الذي تم استعماله منذ الدراسات الأولى ويقوم برصد الخصائص و المظاهر التي تميز جماعة عن أخرى .وهوغالبا لايهمه وضع الفرضيات في المنطلقات كما انه الذي مكن العلماء فيمابعد من اطلاق الفرضيات والتعمق و البحث.و الذي يركز على الظواهر الخارجية و الشكلية و العناصر التي تميز الشيءعن الأخر.

---

[1] قباري اسماعيل م س ‘ص 498

[2] –قباري اسماعيل م س ‘ص 499

[3] –أحمد بوزيد ‘في تراث الانسانية مج 9‘عدد1 ‘عن قباري اسماعيل م س ‘ص 493

المطلب الثاني المناهج العلمية

المنهج البنيوي، تصادم البنية مع التاريخ

يرى العالم الكبير ليفي ستراوس **levy strauss** ان التاريخ البشري لا يمثل خطأ تطوريا يقع خارج البنية ويملك مراحل متعاقبة مرسومة سلفا بل أصبح جزءا لا يتجزأ من البنية ذاتها ..."([1])، والقول هذا راجع إلى النظرية البنيوية التي ينتابها العالم المذكور في منه جية وبحوثه وتطبيقاته الميدانية التي اجراها على جماعات بشرية متعددة وطبق عليها المعارف الالسنية الحديثة **linguistique** وحاول التوفيق بين المنهج التعاقبي **diachronie** والمنهج **synchronie**التزامني الذي يدرس الظواهر في تطورها من جهة وحاضرها في تحايث زمني من جهة أخرى.

فقد جمع بين التاريخ والبنية : بما أنهما خصمان مفهوم يا حيث التطور يحوي ال تاريخ والثبات يحوي البنية التي لم تعد مجرد صورة وصفية تعكس في لحظة معينة العلاقات المجتمعية في الملموس.."([2]) فالبنية المجتمعية مرتبطة بعلاقات مجتمعية معينة التي سوف تقد م لنا نماذج **model** معينة ويتيح لنا عن ذلك مجموعة معايير **normes** حسب الوعي الناشيء عن الذات وعن الظواهر وتفسيرها التي نشملها ثقافة معينة وبالتالي تصبح البنية وثيقة واقعية وتاريخية عن المجتمع أو مساهمة نظرية في الانتربولوجيا .فهي متشبعة بالفلسفة الوضع ية رؤية والمنهج البيلوجي تفكيكا للعناصر و الاجزاء للجسم الانساني وتكامله في بنية واحدة وظائفا و تركيبا

لقد دعى ليفي ستراوس –الأنتربولوجي الكبير علماء المدينة بتطبيق المنهج البنيوي أكثر اهتمام بالأساطير للقرون الوسطى لأنها قليلة وغير موثقة كما تأثرت في أخر أيامها بالمؤلفات الجديدة ليفي ستراوس –ميشال فوكو في العقل الفلسفة هكذا خرجت المدرسة من النزعة الاقتصادية ,ثم النزعة الديموغرافية ثم الى النزعة الاثنولوجية . هكذا توجه البحث نحو بنيات العقلية وتاريخها ,وأشكال التفكير للنخب ,والعقائد الشعبية ,التقاليد الدينية والعادات لمدينة بصفتها دالة على تطور عقلي له تاريخ معقد ,له ظواهر صحية واخره مرضية يكتشفها علم النفس الطب النفسي فبحثو في كل ذلك.

---

[1])– ابراهيم عبد الله ، الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع، لامركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء الحزب، ط1، 2005، ص 116

[2])–نفس المرجع السابق ، ص 116

المنهج الوظيفي

وهو المنهج الذي يدرس وظيفة كل عنصر و كل جزئية من كل عام ,سواء من فعل أو ظاهرة أو شيء واقع ‘وقدكان مالينوفسكي من مطبقي هذا المنهج ودعاته ‘وقد اعتبر النعض أن هذا المنهج يركز بحوثه حول المماثلة مما جعله مختزلا و مقلصا للبحث الأنتروبولوجي .وقد كان هذا النهج واضحا لدى أرسطو والمدرسيين مثل القديسبولس و سالسبوري و سبنسر ثم ابن خلدون و هيوم و أدم سميث ‘حيث المجتمع هندهم كائن عضوي و طبيعي . لذا ينقد بريتشارد الوظيفية بصفتها تتبنى المماثلة لمجرد فرض المبادئ العامة التي تدعي انها تبحث عنها وهي قوانين عامة يكرسها العلم التجريبي و العصري.

المنهج التحليلي

وهو منهج قديم في شكل جديد هنا ‘ يتخذ من المنوغرافيا للنظم و الوظائف وسيلة للوصول الى مبتغى البحث ‘ويسانده البحث الميداني لفهم الثقافة المحلية من خلال المشاهدات و الحياة اليومية و لهاطبيعة ديمومة وبقاء وصفات تواتر . لقد برز في هذا الاتجاه كل من فريزر جيمس و تايلور ولكن كان ثمة تكديس وتجميع للمشاهدات ‘بينما العلم في دقته يرفض هذا لأسلوب بل يطلب فرز و انتقاء المشاهدات المؤشرة([1])الموصلة للقوانين العلمية التر تتكررفي كل الحالات . فالتكديس يؤدي الى العشوائية و الأحكام الظنية .مما يجعلها غير علمية لأن السؤال العلمي يتطلب تحديد المطلوب وتحديد المسائل وما يجب كشفه .وماهي أنواع تصنيف المشاهدات ([2])من ذلك فالتحليل يعرض فكرة و خلق فروض موجهة ‘و التي تحدد هدف البحث لأنها تقود البحث من بداياته منهجا وموضوعا

المطلب الثالث مناهج حديثة

من خلال قراءة حديثة تبرز المدارس الجديدة التي سوف تساهم في خلق امل جديد في البحث و فهم العلاقات المتشابكة للظواهرالاجتماعية في واقعها او في اثرها التاريحي الحيا الفاعل على المسلكيات اليومية للانسان المعاصر والقديم ختى خلق ثقافته الراسبة.من ذلك إن التفاعلية الرمزية هي مدرسة جديدة تفرض الموضوع الجديد كما تفرض المنهج الجديد لماذا؟ لأنها من حيث منطلقاتها تؤكد على عامل اللغة و المعنى في المجتمع و الظواهر الاجتماعية، فاللغة كما يقول هربرت ميد : "تتيح لنا الفرصة لنصل

---

[1] أحمد أبوزيد ‘في مقدمة ‘الغصن الذهبي ‘عن قباري اسماعيل م س ‘ص 475

[2] –قباري اسماعيل م س ‘ص 474

إلى مرحلة الوعي الذاتي و ندرك ذاتنا و نحس بفرديتنا"[1] فهي تساعدنا لنرى أنفسنا من الخارج مثلما يرانا الآخرون، و ذلك طبقا للوسيلة المستعملة التي هي الرمز " و هو إشارة أو معنى أخرن فالكلمات التي تستعملها للإشارة إلى الأمور و الأشياء، هي رموز تمثل المعاني التي تقصدها "([2]) فالكلمة الموضوعة هي وصف لشيء أو ظاهرة.

إذن فالحياة ما هي مجرد تبادل الرموز، لأن البشر عاديا يعتمدون على رموز و تفاهمات مشتركة مع بعضهم البعض ([3]).فعلم الاجتماع يجب عليه توجيه الدراسة تحو تفصيلات التفاعلات الشخصية و الطريقة التي تتم بها هذه الترتيبات لإعطاء المعنى لما يقوله و يفعله الآخرون، فهذه التفاعلات مؤثرة جدا في خلق المجتمع و مؤسساته ([4]) إلا ان النقد يبدو واضحا و هي إهمال جوانب البنى الاجتماعية و السلطة و كيفيات رهن الأفراد و إخضاعهم.

إن التفاعل الاجتماعي حدث يرمي داخل العائلة و في الشارع و الجوار و القرية و المدينة و حتى عالميا اليوم بالاتصال التقني الحديث، هذا ما يفرض أنواعا جديدة من التكيف و التناسب مع الحالات الطارئة و المفاجئة، حيث أن التفاعل قائم على مدونة أنماط سلوكية تقليدية لدى الفرد و الجماعة سوى بعض الحالات التي تفرض منهجا جديدا و مواجهة من نوع أخر، و هنا يبدأ الابتداع و الابتكار للأفعال الخلاقة لإعادة تشكيل الواقع، و هذا طبق محددات الأدوار و ا لمعايير و التوقعات، مع ملاحظة أن الأفراد يميلون إلى إدراك الواقع حولهم بطرق مختلفة و متفاوتة اعتمادا على طبيعة المهارات و الخلفيات التي نشأوا فيها و البواعث و الحوافز التي يستهدون بها ([5]).و هذا من خلال الواقع الموجود و لكنه بطبيعته متحرك و متغير حسب مجمل التفاعلات الجارية، فالواقع ليس ثابتا و لا ساكنا.

هنا كان هم المدرسة التفاعلية التي رأت دراسة الواقع من خلال " البناء الاجتماعي للواقع " فهو ديناميكي الذي هو أيضا " الإغفال المهذب" كما يرى غوفمان نمط سلوكي كرد على واقع مختلف متعدد المشارب و الأفراد و الأهداف و الصفات و هذا غالبا ما يحدث في المدن الكبرى عكس القرى حيث يكثر

---

[1]– هربرت ميد عن أنتوني غيدنز، علم الاجتماع (م ع ت) (م د و ع) بيروت2005، ص 76

[2]– أنتوني غيدنز، ن م س، ص 76

[3]– ن م س، ص 76

[4]– ن م س، ص 77

[5]– أنتوني غيدنز: علم الاجتماع، م س، ص 159

التفاعل الوجاهي .إن البحث في الحياة اليومية دافع إلى فرز حالة ميكرسوسيولوجيا موضوع الأفراد و الجماعات الصغيرة، و ماكروسوسيولوجيا موضع النظام السياسي.

المنهج الجديد:علم الاجتماع ولانتروبولوجيا توصل إيكمان بول و فريسن إلى حقيقة أن تعابير الوجه، له مصداقية و لها معنى غالبا، ومثل الحزن، الغضب، الدهشة، و هذا بعد دراسة هذه الرموز في غينيا الجديدة قبل 1978، و هذا ليس مجرد [1] حادث عرضي و إنما له دور في تحديد المشاعر عامة .و الاعتياد على نمط سلوكي مما يؤثر في قابلية الآخرين و اندماج الأخر في وضعيات مثلها، و هذا في دراسات التفاعل الرمزي . إن ذلك إذا طبق فعلا و ثقافيا لدى التصوف فإنه له أنماط معتادة لدى كل طريقة و التي في عمومها من السنة الشريفة.و الأخرى عناصر مميزة لكل طريقة ، و ذلك ما يؤثر توسع الطريقة أو انكماشها، هذا إضافة إلى التواصل غير الشفوي الذي يتحدث عنه الاجتماع يون الذي هو أيضا من مظاهر التفاعل الرمزي، فهو كذلك مؤثر إيجابي و سلبي حسب الوضع و الهدف، و الطرق الصوفية التي أخذت هذا الأسلوب هي أيضا ضحية هذا التوجيه السلبي أو الإيجابي .أما الكلام الذي هو موضوع المدرسة الرمزية و الميتوإتنولوجية، فهو تبادل عرضي للحديث و الرموز و اللغة و في سياق غير رسمي مع الآخرين، و هذا ما جعل للغة محور البحث([2]).

أما الإثنوميتودولوجية فهي كذالك اتجاه جديد في الدراسة الاجتماعية تحاول أن توضح كيف يفهم الناس ما يقوله الآخرون و يفعلونه أثناء التفاعل الاجتماعي اليومي من خلال منهجية جمعية و شعبية يستخدمها البشر في عمليات التبادل و التواصل ذات الدلالة بينهم"[3].و هنا يدخل عامل الوعي و اللاوعي في الكلام و هناك أسلوب الكلام المنطلق بين الأطراف المتصلة، و السياق الاجتماعي للحديث و المشافهة المنجزة، و هذا أيضا يحدث ضمن مدونة تفاهمات فرضتها الثقافة و معارف متراكمة بالنظرية و الخبرة المفعولة حقا.

إن استقرار الحياة اليومية يعتمد على(المشاركة في افتراضات ثقافية غير معلنة عن المحتوى و الدوافع لما يجري تبادله من حديث و قواعد الحديث، عنصرا أساسيا في نسج الحياة الاجتماعية ") ([4]).

---

[1]– غيدنر: ص 161

[2]– غيدنر: ص 164

[3]– غارفينكل/ /غندنر: ص 164

[4]– ن م س، ص 165

إن الوصول إلى مرحلة العيثان التفاعلي [1] التي تكلم عنها عالما الاجتماع ميتشل دونيير و هارفيمولوتش، و هي مظهر تفاعلي من جهة و ثقافي– إثني من جهة أخرى، و هي طلب الحديث بعنف و رفض متشدد مقابله.... هل يمكن تطبيق هذا في التعامل الديني الدعوي الطرفي.؟ لم يظهر هذا مطلقا عبر التاريخ الصوفي، فكل مريد له طواعيته و اختياره، و قبوله الالتزام بصوفية معينة، راجع إلى عوامل عديدة منها التعلم من شيوخها العلوم عامة، أو قرب المشيخة، أو علاقة نسب، أو قوة منطق العلماء في الهداية.

لذا في محاولة اسقاط هذا التراث التنظيري في علم الاجتماع و الانتروبولوجياعلى للفكر التقليدي اليوم نجد ان االمدونة المقدسة لعبت دورا عظيما في تثوير الجماعات الشعبية التي شاركت في الانتفاضات الشعبية في عمومها اضافة الى الهوية والتقمص بالتراب المعاش الذي تم استح اء العيش والحياة والوعي والفكر منه و فيه يوجد بيئة هواء خلقت انفاس التواصل و التبادل المعاشي اليومي للتكافل و التعامل والذي يخلق بذالك شخصية مميزة و محددة تختلف عن الاخر مهما كان هذا الاخر

من ذلك نكتشف ان المحاولة الاستنطاقية هذه تدفعنا الى فهم اعمق لعلم الاجتماع وفروعه لانه تواصل منطقي وعملي مع الواقع بعد احتواء الاصطلاحات و المفاهيم و النظريات التي جاء بها دوركايم و مالينوفسكي و المدارس الاحقة من تفاغلية رمزية و انتوميتودولوجية التي صنفت الفعل الاجتماعي و مصطلخاته خارج مدونة الخطاب البشري مهما الوضع ومهماكان النص الحامل لهذا الفعل

ان ظواهر الاتصال و اللغة في المقاومات كانت مجالا دافعيا للثورة من جهة و التكفل من جهة اخرى كما كانت الدعاية شكل من التفاعل الرمزي و التجمع الطقسي حين الصلاة هي نوع توحد في الرؤية وفصل في المصيركما لجد الدرس المسجدي والتع امل ضمن الزاوية بصفتها الممثل الحيد للجماعات السكنية و القروية و المدينية وحيث يتكون المخيال الاجتماعي و تترسب التمثلا ت الفكرية العائلية و الجماعية ‘كما نجد اسلو ب النقل و الرحلة و التجارة مميز اخر لهذا المجتمع والدليل على ذالك القوافل السافرة جنوبا وشمالاو التبادل القايض و طرق جمع المل المشترك و الغذاء المشترك.

ان الفعل وتغيراته ضمن مسارات الحياة الاجتماعية هو اثر جديد على الواقع وهو حدث طبق متعيرات عديدة منها ماهو مرتبط بلفعل ذاته وما هومرتبط بالمحيط وماهو صنيع الثقافة المحلية او المدونات الرمزية المغلقة و غير ناطقة كما يوجد ماهو ناتج التراكمات التاريخية او ما يمثل رواسب فعلية

---

[1]– انتوني غيدنر، ص 165

و قولية و شفهية تعبيرية التي سوف تحوط الفعل او تجسده او تحدده او ترسم نطاقه والجماعة المخاطبة الى كنه معانيه.

الفصل الثاني علاقة الانتروبولوجيا بلعلوم الاجتماعية

المبحث الأول العلاقات الكلاسيكية

المطلب الأول الأنتروبولوجيا ووضعية علم الإجتماع

لقد كانت الكتابة الوضعية التاريخية جد متوسعة في القرن التاسع عشر، وهي مجرد فراءات تاريخانية كما سماها العلماء اللاحقون ‘وكانت تؤكد على الفارق المعرفي بي ن المجتمعات طبق نظرية أغوست كونت للحالات الثلاث؛ اللاهونية والميتافيزيقية والوضعية الشيء الذي يوضح الفروقات في التطور التقني بين المجتمعات.ولكن الفرق الذي أحدثه المؤرخون المعاصرون طبق النظريات السيكولوجية والفلسفية هو مستوى الرؤى والحساسيات و الذهنيات ([1].) لقد استطاعت مدرسة مارك بلوخ ولوفافر اكتشاف مفهوم "الآلة الذهنية " ومفهوم الإحساس {2} من خلال المقاربات النفسية و الثقافية المرتبطة بالمعتقدات و التقاليد ، التي تم إسقاطها على التاريخ كحركية تغير عبر الزمن الاجتماعي للأفراد و الجماعات.لقد كان موضوع –المتخيل الاجتماعي– وحدة دراسة ، كما شكل موضوع المواقف والاتجاهات والآمال المستقبلية نقاط بحث عميق عبر مواقع التاريخ المتلاحقة .حيث يقول مارسال موس :<< إن المجتمعات المعاصرة التي نعيشها اليوم تفرز أو تميز بين الحقوق الحقيقية والحقوق الشخصية اي بين الأشخاص والأشياء حيث هذا التفريق جوهري لأنه يشكل شرط نصف من نظامنا للملكية والاستلاب والتبادل >>([3])

ومنها استنتج موس أن الحضارات الغربية منذ السامية واليونانية والرومانية تميز بين الإلزام والترفيه غير المجاني من جهة ، والعطاء <<le don>> من جهة أخرى .أما ميشال فوكو فقد قال : <<لقد بدأ موضوع التاريخ الشمولي وإمكانية إنجازه يتبدد مفسحا المجال كما يمكن أن نسميه التاريخ العام>>([4]) إن البحث في فترات القطيعة هي في نظر فوكو توظيف إيديولوجي للتاريخ الذي من خلاله

---

[1])– جاك لوكوف، التاريخ الجديد ، م د و ع – تر ، الطاهر المنصوري ، بيروت لبنان ،ص 306.

[2])–جاك لوكوف مصدر سابق ، ص 119 .

[3])–Mauss M ،Essai sur le don ، anep ,alger , p 120

[4])–ميشال فوكو ، في جاك لوكوف ‘ التاريخ الجديد (م د و ع) بيروت ص 64

<<يسعى المؤرخون إلى إعطاء الإنسان ما لم يستطع تحقيقه طيلة ما يزيد على القرن (.....) لقد هجر المؤرخون (قلعة التاريخ العتيقة) وحولوا وجهتهم منذ زمن طويل نحو ميادين أخرى >>([1]))

إن محاولة مثل مدرسة الحوليات دليل قوى شاهد فعال حول تلك الأبحاث الواسعة المتعددة المواضيع ، الهادفة إلى تركيب علمي متماسك ، مستند على جم لة مصطلحات أساسية حديثة للعلوم الإنسانية تساعده على جمع الأفعال والتصورات والوضعيات في مفاهيم مستقلة شاملة جامعة و مانعة للمعنى و الدلالات ،كما فعل ميشال فوفيل vovelle(2)و كرستوف بوميان ، وكما فعل فيرناند بروديل و مارك بلوخ في مقالات الحوليات حيث وجه ت الدراسات إلى التاريخ السياسي بالإضافة إلى التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي و تاريخ التمثلات و الذهنيات و الحياة اليومية و التعاملات بين الأفراد و الجماعات .

المطلب الثاني الإتنوغر افيا: والتاريخ

العالم الاتنوغرافي انتهج طرق العلوم الدقيقة قد إع ترف بتنوع التطورات التاريخية اللامتناهي . وبذلك تفرض المعرفة الدقيقة للمجتمع معرفة جماعات إجتماعية محددة في الزمان والمكان ، معرفة فردية وواقعية والتي" تتبع من تاريخ كل جماعة ، فالتاريخ عند الاتنوغرافي هو تاريخ جزئي ، للحظة عابرة يمكن إدراكها وحدها. . ([3]) وهذا كان منهج يوازي في أعماله . إن بحث هوزر ([4])عن الأسرة الرومانية شبيه ببحث مالينوفسكي ، ولكن هوزر يجمع الأحداث التاريخية بالمؤسسات . وتبقى تقريرات هاوزر نسبية ، لأنها يمكن أن تصح على مجالات التطور ومساراته ، ولكنها لا يمكنها إقرارا على البنية بنفس المقدار ، وهذا حسب ما يرى ليفي ستراوس حول المنهج ؟

كما يرى ستراوس ، إن ما يصح في الدراسات لمقارنة ، لنسبة الاتنولوجي ، يمكن أن تنوب ، إلى حد ما ، عن الوثائق المكتوبة ، أما الاتنولوجي فهو يتعرف كمؤرخ جيد ، مقيد بنقص الوثائق نفسه ، وهو لا يعتقدّ أنه يكتب شيئا ف ي التاريخ([5]) .إن التاريخ يقوم على دراسة ونقد وثائق مراقبين عديدين أما

---

[1] ميشال فوكو –عن المصد رالسابق – ص 64

[2] M vovelle، عن المصد رالسابق ص 66

[3] – ل.ستراوس –أنتروبولوجية البنيوية المرجع السابق –ص25 .

[4] –.هوزر : في ل ستراؤس – المرجع السابق ص 4، 4

[5] ستراوس . ل مرجع سابق ص 34 .

الاتنوغرافيا بالتعريف ، تقوم على.مراقبة شخص واحد.هذا ما عرفته التقاليد الجامعية في السوربون)([1]).إن الفرق ليس في الموضوع ولا الهدف ولا المنهج ، وإنما في إختيار الآفاق المكملة للبحث ، حيث الحياة الظغ جتماعية الواعية في التاريخ ، بينما للشروط غير الواعية لذلك ([2]) فالبحث أسباب وظواهر الأخلاق والعادات وأسسها المرجعية ، فتكون غالبا الدين والتراث الأبوي والقانون الجمعي ، فهنا البحث الأتنوولوجي يوسع دوره وليس التاريخ.

يقول ماركس" الناس يصنعون تاريخهم وهم يجهلون أنهم يصنعون تاريخهم " وبهذا يخلقون الحدث من الفاعلين ويتكون التصورات لدى محيطهم وتهتم الاتنولوجيا بشعوب تعرف الكتابة ، كالمكسيك القديمة والعالم العربي والشرق الأقصى .... لكن الاتنولوجي يهتم بما هو غير مكتوب ، اهتماما خاصا .لأن ما يهتم به يختلف عنكل ما يفكر الناس عادة في تنبيته على الحجر أو الورق ، أكثر مما يعود ذلك لأن الشعوب التي يدرسها عاجزة عن الكتابة([3])"... .

إن بحث(مشاكل الكفر للقرن 16) لصاحبه لسيان فابر يعد كتابا قيما أساسه تاريخي ولكنه يحمل الصفات الإتنولوجية رغم أن بالوعي بال زمن يختلف عن المؤرخ الملاحظ أو المعايش لذلك الزمن . مما يجعل المؤلف بعد الأحداث ضحية اللاشعور الأولي .فالمؤرخ والإتنولوجي يسيران في إتجاه واحد في معرفة الإنسان سواء قي دراسة المضامين الواعية أو غير الواعية . رغم أن المؤرخ ينطلق من الواضح المختفي ، والاتنولوجي من الخاص نحو العام([4]).

فالأصداء اللاشعورية هي حاجة ماسة للمؤ رخ ، لأنه في حاجة أيضا لجمع ومعرفة و تفسير لتصورات الناس التي أنتجت مشاعر مختلفة ([5]). من ذلك كانت الإتنولوجيا هادفا وحساسا للظواهر المحيطة وخاصة الظواهر الواعية بقوة فهي تهتم بها دراسة وفحصا لتفصلها عن التاريخ . لأنها تكون بنية منطقية لتطورات تاريخية يمكن أن تكون غير متوقعة ، دون أن تكون كيفية أبدا لأن بناء وفهرسها وعلاقاتها المتعاكسة توحى بذلك.

المطلب الثالث الأنثربولوجيا والتاريخ:

---

[1] ستراوس .ل مرجع سابق ص 35 .

[2] ستراوس .ل مرجع سابق ص 37 . 1(

[3] ليفي ستراوس : الانثربولوجيا البنيوية ص 45 .

[4] ليفي ستراوس : ص 44 . 3(

[5] ليفي ستراوس : ص 43 4(

تعتبر الأنثربولوجيا العلم الأساس الذي قامت عليه وبعض النظريات الأولى حول المجتمع البدائي واصل الإنسان وأشكاله الأولى للحياة والعمل والزواج وتنظيم العائلة . وهنا إليكم بعض النظريات : احدها يعرضها **L.Morgan**: الذي اعتبر أن تاريخ الإنسان مر بمراحل عملية وعقلية اقتصادية ،

المرحلة الوحشية قبل الفخار، القوس الرمح.

المرحلة البربرية عهد الرخام، الحديد

المرحلةالحضارية مع الكتابة، التخصص في العمل .

فقد درس هذا العالم الاستراليين والأمريكيين واليونان والروم وطبق عليهم نظرياته. وكان يرى أن الملكية قد ظهرت مع تطور القبيلة **Clon** ولم تظهر إلا م ع الكتابة والحضارة وتقسيم العمل، لقد درس مورقان القرابة والزواج والحكم وبداية الإنسان بنظرة تاريخية وثقافية وتطورية فسرت الظواهر بفضل التحليل والمقارنة والاستدلال.

كما قد اهتم تايلورادوارد بدراسة السلوك والفكر البدائي ([1]) وكانت دراساته مبنية على نظريات وأفكار سابقيه مع التح ليل والنقد مع أنه لم يقم بدراسات ميدانية إلا قليلا ، ولكنه استطاع لقلم لغة الأهالي وإشاراتهم وفهم ثقافاتهم، حتى أصبح رائد النظرية الانتشارية في الثقافة والتفاعل التاريخي وأثرت أعماله في علماء مثل: فريزر ، مارت، ريفرز هادون في حين أنه ركز على ماقبل التاريخ واللسانيات و الميثولوجيا و الفكرو التمثلات و الرموز التي ميزت الثقافات البدائية حيث عرفت تلك النظريات الضوء من خلال التخيل والافتراض والظن وبعضها على الملاحظة .حيث استطاع ان يصل إلى أن الإنسان الوحشي يفتقد إلى الموضوعية ومعنى الاحتمال.

المطلب الرابع الأنتروبولوجيا و السياسة :تقاطعات إبستمولوجية :

يرى مارسال : ان هناك في المجتمع أشياء أخرى غير التمثلات الجماعية التي تكون جد مسيطرة وهامة ، إنه كما يوجد في فرنسا ، في قضية فكرة الوطن الذي يتمثل في : ترابه ، عاصمته ، و تكيفه

---

[1])–E.B TAYLOR : RESEARCHES INTO THE EARLY HISTORY OF MANKIND : 1865
PRIMITHE CULTURE (ART. MYTH. REligJON). 871 –1881
(ANTHROPOLOGY.MAN/CIVILISATION) ; 1981.

،إذ أن هناك فرنسيين وتوز يعهم وتاريخهم '(1).و نلاحظ هنا أن موس يحاول وضع العلاقة الإبستمية بين السوسيولوجيا والأنتربولوجيا ، كما كان يحاول وضع الفرق بين الفئات والجماعات وأساس التقسيم الذي يقدمه الباحثون الذي هو خاطئ في نظره ، بينما يجب تفهم الجماعة . كأنها فكرة وروح داخلية عميقة ، تدعونا إلى سحب جماعة واحدة تدعوا للدراسة والبحث في إطار ثلاث مستويات حيث هو المستوى الذي لا يمكن للسوسيولوجيا الوصول إليه .

1- – أولا : هناك أشياء و رجال ، إذن هناك ما هو فيزيائي ، وما هو مادي سابقا ، وما هو عدد بعد ذلك ، حيث يتمايز الرجال و الأشياء و يتم إحصائهم و ترتيبهم طبقيا ، ويتوزعون حسب المناطق ، وحسب الأوقات ، وبالتالي هناك رجال ، أطفال ،نساء و هناك تبحث السوسيولوجيا في الشكل .

2 – ثانيا : ليس الظواهر الشكلية وحدها الممكنة العد بل هناك ظواهر أخرى إحصائية ، تعكس فيزيولوجيا المجتمع أي ما يعني ال سير الوظيفي للمجتمع ، حيث تأخذا المفاهيم المحضة و التمثلات الجماعية مظهرا حسابيا خارقا . وهناك يمكن إضافة القيم ،و النقود ، الأثمان ، كما يشعر الفرنسي بالسلطة والاستقلال كما يرى موس .

3 – ثالثا : إن هناك خلف كل ما حدث اجتماعي ، هناك تاريخي و هناك تقاليد ، لغات ، عادات . بذلك ليس كل فعل اجتماعي هو إبداع آني بل هو نتيجة رواسب تاريخية متراكمة وبذلك هناك دولة و وطن و كيان سياسي له تميزه ووجوده طبق تراكم هوياتي متناغم .

لذا فالوطن و الدولة تنبع من العقل الاجتماعي الذي ليس هو ظاهرة شكلية فقط، بل هو عمق له روحه الحية وله صفة التعداد وجذوره التاريخية التي تؤطره و تهيكله في أحد المستويات وهو قابل للتصنيف وله جماعة شعور انتماء وتملك الروح و التداعي الفكري ومنها إن التمثلات الجماعية هي مظاهر الفعل الاجتماعي الذي يفرق السوسيولوجيا عن الأنتربولوجيا ، فالتمثلات هي ممارسات وأفكار .والحقيقة سوف تؤكد لنا حسب- موس **maus** – أن نفس الأحداث يمكن أن تحدث في تراتب مختلف وأسباب أخرى وأشكال أخرى ، حيث لا تفيد المقارنة بالنظر إلى التسلسل التاريخي لهذه الأحداث ([2])

فالفعل التاريخي مها كان شكله هو حقل إجتماعي مدعم يتراكم في رواسب تا ريخية تنشطه ، فالفعل الإجتماعي ليس إبداعا مهما كان الحال بل هو محمل بالماضي فهو وليد ظروف تاريخية وتمفصلات قديمة وجغرافية متعددة . حيث لا تختفي تلك الصفة عنه لا بالتجريد ولا باللون المحلي ولا

---

[1])- مارسل مورس ، المصدر السابق ، ص 200 .

[2] M mauss 202- 201 ،نفس المصدر ، ص

حتى بالجماعة الفاعلة له **gangue historique**. من ذلك يمكن أن نستشف أن موس يحاول ربط كل فعل بالماضي نفسيا واجتماعيا وجغرافيا وبالتالي فهو يخضع لمقومات منها .'

1- شكلية : رجال أشياء مواد .

2- إحصائية : مسار وظائف المجتمع وحركيته تمثلات ، مفاهيم **...)**

3- تاريخية : حركيات الفعل و الأحداثعبر الزمن .

إن تلك المقومات كلها تحدد الفعل في تمثلاته الجماعية، ولا تربطه بفعاليات فردية منعزلة عن الواقع والمجتمع مما يجعل من النفسيات الجماعية هي العلم الاجتماعي الذي يحاول فهم : الدين ، المال ، الوطن التراب ، الوسائل ، وأعدادها وتاريخها ، وذلك كله حسب ما يرى موس تلميذ دوركايم و سليل الوضعية .

المطلب الخامس علم الاجتماع والأنتربولوجيا: تمفصلات متكاملة ؛

إن تطور الأبحاث التاريخية ساهم إلى حد كبيرفي خلق نظريات ومناهج جديدة لمعالجة الظواهر الاجتماعية حيث كان التسجيل التأريخي للأحداث أحد المعالجات القديمة منذ هيرودوت حتى اليوم . ولكنه مع كثافة الظواهر وتعقد علاقاتها بسبب الكثافة الديمغرافية والكثافة العلائقية و العلمية المعاصرة منذ بداية الثورة التكنولوجية ، وأصبح المجتمع مسقط إتجاهات لنظرية تتأسس على الموضوع وأخرى منهجية تحاول فهم مخرجاته مدخلاته المترابطة منذ الحدث الفردي إلى الإ جتماعي إلى السياسي العالمي بما فيها الأفعال الفردية والجماعية للمجتمعات الرمزية والظاهرية .

لقد كان ميشلي **Michelier** في فرنسا يمثل تيار رومانسي واتجاه انفرادي في كتابة التاريخ ، فقد كتب عن الطقوس الغذائية وشرب القهوة وأساليب المعاملات . وهذا أثناء المناخ ا لتراجيدي للملك لويس الرابع عشر الذي كان مختنقا بالأزمات الغذائية في عهده . لقد كان ميشلي إتنولوجيا أكثر من المؤرخ بصفته ،كان مسؤولا سياسيا وصاحب قرار داخل الدولة في القرن التاسع عشر ، وكان من مفكري السلطة الفرنسية حيث وجه اهتمامه حول الأحاسيس والذهنيات.

و مع ذلك كان ميشلي مرفوضا من طرف مؤرخي المدرسة الوضعية التي كانت تهتم بالعظماء ورجال القصر والحروب والمنجزات السياسية للملوك والأباطرة ، وبالتالي تم تصنيفه في الاتجاه الصوفي والشعبوي ، مما جعل بعض الماركسية وأعداء الوضعية يعملون مثله ويبحثون بطريقته ، جعلو ه رائدا في البحث عن تاريخ الأحاسيس والذهنيات كما فعلت مدرسة الحوليات التي تطورت في فرنسا بفضل مارك

بلوخ و بروداال (1) والتي جاءت ردة قوية على الوضعية الوثائقية (2) التي كان همها الحدث في موقعه العالي ، وطبق الوثيقة المصدرية لكل حدث .

و رغم أن الصراع كان متطورا وناضجا بمبرراته بين المدرسة الوثائقية والحوليات ، حيث تهتم الأخيرة بالفاعل الحقيقي للأحداث والحياة اليومية للشعب والطبقات الدنيا وجعلت موضوعاتها الطقوس العادات و السلوك والقيم والمنطقة والأرقام – إلا أن التكامل كان واقعا .إن الفلاح كان أحد موضوعاتها لأنها مدرسة متأثرة بالماركسية وجعلت من أساطيره وتمثيلاته وتميزاته وشفوياته أحد مساقط البحث التاريخي الحديث بدل الدولة والزعماء حتى وصلت إلى الدراسة كيفيات الطبخ ومواد الغذاء(3)

بينما كان خلال العصر الذهبي بفرنسا بحث حول الحياة الاجتماعية بشكل أنتربولوجي ، وخاصة ما فعله الرحالة والأطباء ورجال التبشير المسيحي الذين كانوا يكسيبون مصادر العلم وأدواته . لقد اهتم البعض بجرد أساليب العيش وتفحص الرواسب القديمة والمعتقدات، خلال عهد الثورة في نهاية القرن 18 بفضل مكتب إحصاء نوشاطو و شابتال بينما طبق العكس في الأكاديمي ة السلتية . حيث أن المناهج القديمة كانت سائدة هناك ، وبذلك يقول أندري بورغيار(4) <لقد أخرجت مرحلة الأنوار – لوحة تاريخية – والتاريخ الطبيعي لبعض المناطق والهدف كان تحديد الهويات والذاكرة الفردية الجماعية >> .إن تلك التطورات المنهجية والإبستمية في موضوع المعرفة التاريخية ،جعل الأغلب يتجهون بفصل العلوم الحديثة إلى تغليف الأحداث السابقة بصيغة إجتماعوية وتقنية إحصائية وسيكولوجية متراتبة ومتعمقة مما أعطى للتاريخ نكهة جديدة وفعالية لدى القارئ والباحث عكس الكلاسيكية عند الوثائقية ([5])

لقد اهتم جان مارتان حيث ضمن محاولاته الادماجية للعلوم الحديثة مع بعضها حسب الانتاجات الحديثة لها <<بتاريخ الكتاب وثقافة المجتمع حسب توسع الكتاب وأدوات القراءة،في اطار علم البيبليوغرافيا والوثائق الذي ساهم في خلق نخب ثقافية وعلمية سياسية حيادية >>(6) كما بين فرانسوا فوريه وجاك أوزوق في فرنسا هذا المنحنى ، خلال ثلاثمائة سنة تمكن هذا المجتمع أن ينتقد من حالة

---

[1])–لوسيان فافر عن : أندري بورغيار – في التاريخ الجديد جاك لاكوف ص 240

[2])– مدرسة تطبيق كل المناهج العلمية الحديثة في اقتصاد وعلم الاجتماع علم النفس على التاريخ

[3])– مارك بلوخ –الموسوعة الفرنسية عن جاك لغوف– التاريخ الجديد ص 238

[4])– أندري بورغيار في المصدر السابق ، ص 238

[5])– شارل سينيوبوس : المنهج التاريخي في العلوم الاجتماعية – 1901

[6])–جان مارتان ' الكتاب و و السلطة و المجتمع في باريس للقرن 17'ج 3و2جنيف دروز 1969

إلى وضع راق لطفرة خاضعة لتطور وتراكم متلاحق وحسب الدورات الطبيعية التي حددت التاريخ الفرنسي حسب قول كريستوف بوميان في <<التاريخ الجديد >> .

لقد كان أحد موضوعات التاريخ المت عصرن بالمناهج العلمية الحديثة مثل الأت رولوجيا و الأنتربولوجيا وعلم الاجتماع ، الاقتصاد ، قضية الإقطاع والعائلة ، حيث أكد في أحد تنظيراته المتلبسة بالمنهج الاستقرائي ، أن العائلة مرتبطة بالنظم الارستقراطية حيث قام النظام الفيودالي الأوروبي بتأطيرها وترتيبها وتقعيد مسارها ."حسب المواصفات الجسدية والعرقية والخصائص الوراثية والفيزيولوجية " وذلك تمثلا من النظرية الماركسية ، حيث وجد ذلك فعلا لدى فلاحي الاكستان في فرنسا الذين جعلوا الزواج والكفالة مركزا لتقوية عصبياتهم .. ، حسب أندري بورغيار ([1]).حيث تكونت الرابطات القوية والعصبيات المالكة والمتوسعة عبر الأوطان، تلك السماحة في قبول الآخرين وتوسيع العائلات ، حيث أصبح البيت الكافل الحقيقي هو الذي ينتسبون إليه ويجمعهم في رابطة واحدة عائلية وقبلية وسياسية حسب بورغيار الذي انطلق من أبحاث بلوخ ([2]).

كما مثل عالم التصنيفا ت السلالية لدى المؤرخين أحد الموضوعات الهامة، طبق التطورات الإمبراطورية و الاستقراطية العائلية المتراكمة ، فمثل ذلك << القطب المميز للأنتربولوجيا التاريخية ، بصورة خاصة ، التمفصل بين التناسل البيولوجي وإعادة الإنتاج الإجتماعي ، وقد تبين حديثا جورج دبي ([3])(بالنسبة لمنطقة ماكوني في العصر الوسيط المتقدم ، وإما نويل لادوري بالنسبة لمنطقة اللانغدوك في القرن الخامس عشر .....>>([4]).

ويرجع ذلك حسب الباحثين إلى انهيار الدولة وانحلال النسيج الاجتماعي ، بذلك تكون مجموع ارستقراطيات قوية من سلالات محددة ،و نشوء عائلات موسعة ، شكل –المؤاخاة– أو الأخويات المترابطة بعصبيةة عائلية . إلا أن الملاحظ أن الإتجاه السياسي للسلطة كان ضد العائلة أو التجمع التضامني المحلي والاجتماعي الذي يضمن تراكم الثروة ، و يزاحم على السلطة في أروبا و ذلك حول القرار والحكم ، حسب نفس الباحثين.

---

[1])– أندري بورغييار في جاك لوبوف ،ص 255/– 254/

[2])– مارك بلوخ ' المجتمع االقطاعي تكوين العلاقات و الخضوع –باريس – ج 2 –كاتاب الثاني –1939

[3])– مارك بلوخ في جاك لوغوف ، مرجع سابق

[4]) – في جاك لوكوف وف –ن م س268/–269

لقد كونت مدارس البحث الأنتربولوجي والانتولوجي نظريات مختلفة ، لكنها وجدت مرتعا لها في القبائل الوثنية واللادينية ، حيث لا عقائد رادعة سوى التقاليد العرفية ، كما وجد دور كايم لدى البولنزيون و راد كليف براون حول قبائل النوير جنوب السودان ومارغريت ميد حول الميلانيين و غيرهم من البحثة والعلماء . ولكن تطبيق نظرياتهم يبقى مرتبطا بجذور تاريخية للمعرفة والمتمثلات والتابوات المؤطرة لكل فعل اجتماعي وثقافي ورمزي ، حتى وإن تطورت العائلة من الشكل الأموي قديما إلى الشكل الأبوي حديثا ، فالتصور العقائدي والرابط الاجتماعي كان هو الظا هر الفعال في تحكيم أي أسلوب على آخر طبق الفائدة والسلامة والاستقرار وهدف التواصل الاجتماعي والسلالي وضمان المعاش اليومي للتجمعات المنطوية ضمنها .

اماعلم الاجتماع والتاريخ ،فقد حاول فيبر **weber** الإجابة عن مصداقية العلوم الإنسانية وراح يناقش فكرة انه ليس هناك تاريخ بدون فرضيات مسبقة وحاول تطبيقها على علم الاجتماع وأدى به ذلك لدراسة اللاعقلانية واللاشعورية والحوافز والدوافع لمصالح الاجتماعية .لقد كان التاريخ والمنهج التاريخي الاختصاصيين الألمانين .الأكبرين لدى المؤرخين الألمان الذين اختطفوا مبادئ جديدة في صر امتها في استعمال المصادر ومستويات جديدة في دقة العرض ... وألفاظ غيرأن المعنى المركزي لكل شيء محدد وماهيته وتاريخه وتقدميته أن نعرف أن أصول الشيء هو أنه هذا الشيء . وقد تورط فيبر في البحث عن طبيعة وصحة المعرفة التاريخية ذاتتها لأنها كانت موقع الشك لقد كا ن عهد فيبر ينتمي إلى أول جيل أوربي كان في تصرفاته مجموعة من المصادر الثانوية الموثوقة .

الفصل الثالث التاريخ و الأنتروبولوجيا

المبحث الأول التاريخ معنى و تطورات منهجية

المطلب الأول مفهوم ومعنى التاريخ :

التاريخ : هو رواية أحداث متسلسلة وهوعند اندري جيد : تعداد الحوادث وهوتسلسل وقائع خاضعة للتصنيف والتدقيق الفحص التحقق والإكتشاف من مؤرخ لاحق .وهو ايضا تسجيل حياة الناس السابقين أما عند ج رومين : فهو إمتداد الحوادث والحركات المتشابكة والمتناقضة التي تموه سابقتها أو تلغيها .أما عند جوزيف هورس : مسلك علمي معرفي حامل لتعليمات فريدة مشكوك في صحتها وهي متغيرة .فهو كما يرى خاضع للزمن خضوع العبد ([1]).أما التاريخ : عند اليونان هو فقل النظر ، شاهد عيان ، كملاحظ مضاف إليه تجربة الملاحظة الذاتية وبالتالي يجمع درجتين من المعرفة حسب جوزيف هـ ورس .([2]) فالمؤرخ: شاهد: يرسم لوحة عن معرفتنا بتسلل الأشياء البشرية في مجرى الزمن .يبحث عن النتائج الحاصلة ولكن تبقى نسبية لأنه لا يمكن أن تقرر

إن المكاسب التي تظهر بالاهتمام لا تتحول ، في يوم ما معينة على الإنتفاع بها....([3]). حسب بلوك مع بروز جاذبية عاطفية لحكى التاريخ ([4]) حسب : ليون هالكين في كتابه مباشرة النقد التاريخي بنيد يقول وتشيه: كل تاريخ حقيقي هو تاريخ معاصر ، نعني تاريخ معاصر ومعناه أن القديم خاضع للتفسيير الذاتي ." إن الحضارة التنفيذية المستفادة من هذه الحصيلة وهي الجانب التقني أو التطبيقي ، وبجم ع ذلك على التاريخ الذي كان قيد ما يتكلن عن بعض المناطق .إن الحضارة هي حصيلة الفكر و المعرفة من تشريع و فلسفة إلى جانب القدرة التنفيذية المستقاة من هده الحصيلة وهي الجانب التقني أو التطبيقي والجمع ذلك علم التاريخ الذي كان قديما يتكلم عن بعض المناطق بينما أصب ح يتكلم عن كل المناطق العالمية مند هيجل و شيلر وهيرودوت و اكتون وأخيرا توبيني المؤرخ الذي عارض المفكرين هيدلام ومورلي **HEADLAM** و**MORLEY** . وقد ظهرت الكتابات التاريخية عند العرب قديما لتسجل

---

[1] – جوزيف هورس : قيمة التاريخ قد سيم نضر منشورات عويدات بيروت / باريس ط 1982 ص 9.

[2] – ج هورس : opcit ص 10.

[3] – مارك بلوخ : صناعة المؤرخ ، 1949.

عن طريق الرواية الشفوية لتسجيل المغازي و المعارك و الحروب و للم سلمين دورات وجولات في الكتابة التاريخية مند البداية ومع بدايات كتابة القرآن الكريم والسنة النبوية حيث نقل الحديث من الشفهي و المتوارث إلى المكتوب وتعرض للتصحيح والجرح والعدل.

إن التاريخ يقترن في الأذهان بالماضي وحده وهدا المفهوم قديم لم يعد يأخد من أهل التاريخ لأن التاريخ هو الحركة ‘حركة الكون وحركة الأرض الاحياء والناس ومن تغير دائم فالتاريخ متصل مند الازل الى الابد ويشتمل الحاضر والماضي والمستقبل))لقد كتب فولتير وماريو عن الشرف بهدف استعماري واستعلائي([1]).كآحداث ولكن مع تفسيرات متعددة لسير هذه الآحداث وتأثيراتها واليات حدوثها:

رؤية 1:أن التاريخ بعيد نفسه وبعيد نفسه ويعيد نفس الأحداث , ,ويعود الى الوراء ,وقد سادت هذه الرؤية في العصور القديمة حتى بداية العصورالوسطى .

رؤية:2 تعتبر أن دورة التاريخ في تطور حلزوني دائري وخطي للأمام في نفس الوقت هذه مثلها فيكو الايطالي وابن خلدون و**twinbee** /**A**

رؤية 3: يرى برتناردر راسل أن كلا النظريتين يجمعان الصحة و المصداقية إلا ان الأحداث الجديدة و الغريبة غير المتوقعة تجعل الأفكار و المعارف تتغير مثل إكتشاف امريكا في العصر الحديث لقد اعتبر النقاد ان فلسفة هيجل وماركس خطية نحو الجديد بينما الواقع تكرار بعض الأحداث و المظاهر الإجتماعية و السياسية وأسبابها ونتائجها يرى **PETER FlerLD** "ان دراسة التاريخ المقارن تؤدي الى فوضى ويضيع التاريخ العالمي مصدر للإضطراب وتفاهات تخمينية بينما يرى "كومان " ان إقتحام التاريخ العالمي هو مهزلة ودخول أماكن حقيرة " ([2]).

([1]) – الناصري ، مرجع سابق .2الحافظ جلال الدين السيوطي.((الشماريخ في علم التاريخ)).3 كولنجوود فكرة التاريخ ترجمة محمد بكير خليل و محمد عبد الوهاب خلاف القاهرة,بجند التأليف والنشر 1968 .عن :عبد الرحمان عبد الله الشيخ المدخل الى علم التاريخ .4 مؤنس,حسين,الحظارة_الكويت (م و ت) سل علم المعرفة

[2]) سيد احمد الناصري : قضية التاريخ القديم ص 24_ 25(.2):الناصري **CIT**– **OP**ص 3.23 : الناصري ص14

يرى لانجلوا و سينوبوس" ينقسم العمل في العلم إلى مشاهدة الوقائع الجزئية بعزلها عن المجموع الذي تنتسب–([1]) إليه ثم المقارنة بينهما على نحو يسمح بفهم العلاقات القائمة بينها ' فالتاريخ لا يمكنه رصد الوقائع ولا يمكنه ملاحظة الوقائع 'فهو غامض مضطرب يعتمد على العقل الانساني'ومنهجية يقتضي مقاومته السير التلقائي والعمل في اتجاه معاكس لاتجاه الطبيعة بدقة وحذر "([2]) البحث عن الدوافع والذرائع .إن الدوافع الاقتصادية أهم مؤثر حركي في التاريخ وهذه ح سب النظرية الماركسية ،هناك دوافع أخرى فكرية دينية السياسي رغبة السلطان النفس (حسدة أو عداوة)'هناك بحوث تتجه إلى الدوافع الشخصية لحادثة تاريخية معينة وهنا صعوبات خطيرة لأنها لا تعبر صراحة عن النية ولا تؤامن الصدور.

وقد كان هناك إستنتاج الحقيقة التاريخية : وجود، نهر، حضارة، سكان، مجتمع زراعي حسب نظرية شاخت **shacht** حول نظام الري في الاسلام حيث يرى أن المسلمين أدخلوا اسلوب خاصا للري لا هو بنظام الناعورة ولا جر الحيوان([3]').

مطلب ثاني مناهج كتابة التاريخ

نظرا لمختلف الانسانيات وتأثيرها على بعضها منهجا وموضوعا فقد خضع التاريخ ايضا لهذا التأثيرات وانظبعت عليه الدراسات الفلسفية والسيوسيولوجية وخرج إلى الوجود والتاريخ الطبيعي إلى جانب التاريخ الانساني وظهر تاريخ العلوم كبحث خاص يتابع تطور المعرفة العقلانية لدى الانسان ،ونظرا لعدم كمال عملية التاريخ وعدم وجود الموضوعية فيه يرى البعض ،قال مارو لا يوجد علم للتاريخ ولكن سلسلة وجهات نظر مختلفة الاهداف ليستحيل انعكاسها على الماضي .لقد كان المؤرخ قديما متبعا لتقاليد اقدم منه وكان هو بنفسه لا يستند إليها شخصيا ،مفهوم إعطاء معلومات عن حاضرهم ولمن الماضي كما وصلهم عن الاجدا د بدون مراعاة نتائج عملهم ولا قيمتها ،حيث أغفل الفلاسفة إدراج التاريخ في جدول تصنيف العلوم والمعارف مما أزعج المؤرخين.

---

[1]) لانجلوا ، وسينوبوس : المدخل إلى الدراسات التاريخية ،تر، د . ع ،ر.بدوى

[2]) بول ماس ، نقد النص

*أمانويل كانط ، التاريخ العام

** لانجلوا و سينوبوس ،في النقد التاريخي ،دار النهضة العربية 1963 عن ، ع الشيخ ، ص 198

[3])– شاخت ويوزورت تراث الإسلام، ق. م ، سمهوري الكويت (م و ت ف آ)1958ص 307

ألمانيا : لقد استطاعت الفلسفة أن تقدم نظرة جديدة للعلوم والتاريخ البشري رغم الاخطاء والشبهات التي خيمت على الماضي وبدأ النقد بظهور سيمل **g.simel** و ويلهلم ديلسى **dilthy** وماكس فيبر وبدأو بطرح أسئلة تاريخية واجتماعية حول المعارف المعروضة وتطبيق علم الاجتماع ، الفلسفة ،البيولوجيا ،الانتربولوجيا ونقد الفكر الديني الذي كان مغلقا عهد سلطة الكنيسة،وفي هذه المرحلة ظهرت النزعة النقدية ضد المقاربة التنظيرية التجريبية التي كانت تدعي وضع قوانين للحركية الاجتماعية التاريخية على المسار المتغير للمجتمعات البشرية وهي التي سميت فيما بعد بالتاريخانية وكان كارل بوبرمفسرا لها و ناقدا بكل منطقية في كتابه عقم المذهب التاريخي.

فرنسا : إن تأثير فوستيل دى كولانج في السرديات ولانغلوا وسينبوس في النقدية لازال بارزا على التاريخ الفرنسي فقد ظهرت كتبات ريمون آرون ، مدخل الفلسفة التاريخ محاولة على حدود الموضوعية في التاريخ 1938 وهي في نقد المناهج القديمة في كتابة التاريخ ونقد منهج لانجلوا وسيينيوبوس الذي اعتمد على الوقائع كشواهد يقتنصها من الوثائق التي ترتبط به التصاقا بينما كان فولتير يعتبر التاريخ مجرد وقائع تعطى صفة الصدق . فالتاريخ قد حقق تطورا منطقيا وفلسفيا كبيرا مع مع جملة التحليلات التي قدمها علماء الاجتماع والفلاسفة والمؤرخين أنفسهم وال تي كونت فلسفة التاريخ ومبادئ التحليل التاريخي ومصداقية المعلومات والاطروحات المعنلة لخاضعة لمقوامت ابس تمولوجيا التاريخي التي تكونت بالتدريج فالتاريخ وقع في أزمة اختيار الموضوع نفسه فكانت أزمة.

ورغم التطور المنهجي والموضوعاتي إلا أ ن غلبة اللاشعور والاعقلانية في كتابة التاريخ قد سيطرت كثيرا على التحليل الغربي وخاص ة ضد المجتمعات الأخرى كالاسلامية والافريقية و الأسيوية من منطق التضاد والعرقية حتى داخل النسق الفكر الغربي مع نزعة الدولة القومية **etat–nation** منذ عهد بسمارك وشيوع النزعة القومية والعنصرية التي خلقت صراعا في القيم (الخير –الشر في تعادي) وقد جاء نيتشسه الفيلسوف الأ لماني ليؤكد ذلك لأنه يقدم فلسفة تقوم على الارادة والحرب والقوة. أما ماكس فيبر ، في الاخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية ليعرض نظريته في فعالية الفكر في التغيير.

المبحث الثاني مدارس التاريخ الحديث

تمهيد

في اوروربا عامة و فرنسا كان الاسلوب قد استفاد من القصص اليوناني ولم يشابهها .لذلك ظهر التحديث التاريخي و المعالجة التحليلية و التوثيقية في اروبا منذ اخر عهد النهصة حيث بدأت عقلانية في التفكير و الدراسة وعمق في الرؤية وتدقيق في الحقائق و التي كانت صعبة الادراك في عقول القرون الوسطى لتعنت الكنيسة اتجاه الفكر العلمي .

مدرسة تعتمد السرد: تعتمد على السرد التاريخي وتؤمن بالواقع فهي لا تطرح مسألة شكل وقد كا نت تعود إلى النص وهي لا تعط حقائق جزئية وصغيرة وبالتالي لا تس مح بالتفسير (موت نابليون 1821) غياب الدقيقة وحالة موته والاشخاص حوله.وقادها دي كولانج في كوليج دي فرانس .

المدرسة اليقينية : التي وجدت أواخر القرن التاسع عشروتم خلالها التمييز بين مختلف مراحل النقد الداخلي والخارجي والمؤسسة القيمة على حسن سير هذه لااشغال ' والطرق المجموعة المستعملة لدى كل الباحثين 'فالمؤرخ كان ضائعا في الوثائق وعبدا لها وكان منتهجا الطرق الالمانية في البحث ([1]).

إن المؤرخ عليه أن يدرس ارء الوثائق لأنه لا يمكنه ارجاع الماضي للمشاهدة والملاحظة التجربية وعليه ألآ، يجعل لهذا الماضي تمثيلا قريبا إلى الحقيقة. إن الوثائق مجرد وسيلة لمعرفة الحقائق وليست هدف تنتهي عنده ونتبنى مضمونه فالتاريخ فاعل وليس مفعول فالمؤرخ ليس مسجل فقط وبعيد للنصوص بأمانة آلية منا يرى **maro** ([2]) قد كان المبدا الثقة في الوثيقة.

المطلب الأول النظريات المنهجية الوثاقية :التقاليد الجديدة

خلقت التقاليد الجامعية الفرنسية طرقا ومنهاجا جديدة في البحث والاستكشاف المعرفي النظري والعملي وقد ميز هذا الاسلوب اشكالا عدة من الاعمال والتنظيرات على المستوى الفكري ورغم ذلك اعتبر بعض رواء هذه الاتجاه الاكاديمي أن المدرسة ا لجامعية ليست مدرسة عصرية بتصريح أحد

---

[1])- جوزيف هورس opcit ص.ص 96

[2])- - ماروه -من منطق التاريخ -اسبول 0949، ص 248 عن هورتس opcit ص 96

قادتها لأحد الطالبات في معهد شارت **charts** الفرنسي([1]) والمعنى من ذلك هو سيطرة الفكر الديني واللأهوتي على هذه التقاليد رغم ان ذلك كان في آخر أيامه حيث كان الحق ا لإلهي هو الحق القوة الرادعة لكل فعل مما أعطى لرجال الدين أحق ية سلطة المعرفة ونشر ألغازها وامتلاك حقائقها أكثر من الناس الآخرين .

وقد زاد من حفظ الوثائق أعمال المحامين والمحاكم الذين سجلوا الاحداث والمنازعات الفردية والجماعية والعقارية والتجارية وخاصة عهد لويس 14 رغم أن أكثرهم استخدم ملفات ملفقة .لذلك واصل العلمانيون من رجال العلم والفلسفة والادارة نفس التحويل الشفهي إلى المكتوب فحفظوا المعاهدات والوصايا والعقود معتمدين على الشرائع الرومانية الاصيلة لاثبات الهوية وحفظ التاريخ المرجعي مع التأكيد على خصوصية المكانة والسلالة العائلية والتسجيل اليومي للاحداث وكل ذلك في إطار تغذية النظم التأسيسية التي ولدت في فرنسا بداية القرن 19 رغم اوالإظافات التي ظهرت على بعض وثائقها.

لقد كان تأسيس مدرسة النظم التأسيسية عام 1821 عهد جديدا لإعادة البعث التاريخي لأوربا قاطبة فكانت مركزا لحفظ الوثائق وبيبليوغرافيا مفهرسة وقبلة الباحثين في التاريخ واللاهوت والعلوم رغم أن الثورة الفرنسية خربت بعض مراكز العلم ولأرشيف مع حملات نابليون الواسعة ولكنها من جهة أخرى أخرجت الكثير من الوثائق من العالم السري والديني إلى الجماعات العلمية المتطلعة للبحث والمعرفة .في هذا الظرف كانت ألمانيا عهد السلم و الإستقرار باحثة عن المراجع الروحية للعرق الأ لماني والحضارة الجرمانية بعيدا عن التأشيرات الرومانية اليونانية فنطقت الحناجر برومانسية دافئة لإعادة بناء الماضي وتأكيد المجد في الشعر والأ دب و والفولكلور الشعبي مما جعل المؤرخ الفرنسي ميشلي يؤكدها ويستشعرها في بلاده وحيث نشأ فوستال دي كولانج رائد النصية وميتلاند صاحب رؤية نقدية غير انشائية ولا مقلدة في مرحلة نهاية القرن الثامن عشر حيث القومية والتكتلات الوطنية الصاعدة.

ومع تطور الزمن خلال عهود النهضة تمكن المؤرخ أن يخرج بصمته وينفصل عن الا دباء والشعراء ليصبح مسجلا رسميا لبرامج واعمال رسمية للإدارة ولكن منذ بداية القرن التاسع عشر يقول المؤرخ إلى أستاذ جامعيا مارس التوسيع المعرفي بواسطة تقاليد جديدة رغم أنه كان خاضعا لمكاتب خاصة وبرامج مقررة .بذلك تحول المؤرخ من رجل الدين إلى رجل سياسي يكتب ب نوع أكثر حرية من

---

[1]) – جوزيف هورس:قيمة التاريخ ص38

الماضي وكتب أيام الوحدة الأ لمانية ونهضة الرومانسية والقومية كما نشا في فرنسا ارنست لافيس**A.lavisse** وفي بلجيكا هنري بيرن وفي رومانيا جورجيا وغيرهم،وبما أن الوقائع كائنة في الوثائق وهي تفرض ذاتها بذاتها قبل كل تفسير حيث كتب مونود في الورد في المجلة التاريخية ما نصه إن خطر التعميمات السابقة أوانها أصبح مفهوما وكذلك خطرا التنظيمات الواسعة السابقة على كل إختيار والتي يزعمونها صالحة ،إن تتناول كل شيء وان تفسيرها يلغي كل ابهام([1])

لذلك تطلب البحث الجديد أن يكون التاريخ موضوع استقصاء أسباب يجر ي على مهل على شكل منتظم حيث يتم التقدم تدريجيا من الخاص إلى العام ومن التفصيل إلى المجمل حيث يلقى الضوء تباعا على النقاط المظلمة لكي تتوفر لوحات حية كاملة ولكي نستطيع أن نبني على مجموعات من الوقائع جرت مناقشتها أفكار عامة تستدعي برهانا أو تحقيقا ([2])

إن بقي التاريخ إلى هذا الحين مجرد آراء ومواقف رغم الدعم الوثائقي لها لذا أصبح كما يرى مارو هنري سلسلة وجهات نظر مختلفة لأهداف يستحيل انعكاسها على الماضي حيث بقيت التقاليد القديمة مسيطرة على الاذهان بدون نقد ولا استفسار ،حيث الفكر العلمي والمنهج الجديد ممن فران سيس يكون وديكارت إلى خلق فوضى ابستيمولوجية بين العلوم لم يستطع العلماء تصنيف مواقفها وقد قال فولتير في إطار المدرسة الموسوعية الناشئة أن التاريخ سرد وقائع تعطى صفة الصدق وهذا مالم يرفضه لانقلوا وسينيبوس في رأيهم أن التاريخ وصفات دائمة ومضمونة لاستخلاص الواقع من الوثائق التي يجب غربلتها كالمعدن الخام . فالتاريخ يصنع من النصوص وهذا يعني أنه لا يصنع من اختبارات كما يجري في العلوم الفيزيائية والطبيعية حيث المادة مختلفة المنهج مختلف والزمن يختلف ،لذلك اغتيال هنري الرابع 1610 لا يمكن فياسة بالمسافات ولا ب التفاعلات لأنه حادث انساني اجتماعي خاضع بمفاجأة ذاتية وانفعالية لم نتوقعها ولا يمكن إعادتها

إن مبدأ معالجة الوثائق خاضع للاختبار ولأهميتها وقد نرجع إلى الشهود ولكن الشاهد نفسه انساني ذاتي ومزور وخاضع للأهواء وتبقى الوثيقة أمام امتحان صعب من طرف كل مؤرخ ،يمارس عليها الغربلة والتصفية بدون نظر علمي ولا اختيار دقيق موضوعي ،فالحوادث ملحوظة تاريخيا ولا يمكن جعلها واقعا ملموسا.لقد كان لانغلوا وسينوبوس معتمدين على دى كولانج في الرجوع إلى النص ومع ذلك كانا

---

[1])- في جوزيف هورس ص 67

[2])- جوزيف هوريس ص 68

يؤمنان بالواقع رغم عدم وضوح هذا المفهوم لديهما مع أنهم يبنون معلوماتهم على المصادر الموثقة فهي تحتفظ بأثر الحادث التاريخي ونوضح ظروفه المحيطة به زمانيا ومكانيا والشخصيات .

هذا ما جعل المدرسة الجديدة الحوليات([1]) تنقد هذا المنهج فالتاريخ لديها ليس سردا للوقائع ولوحات صامته للمشاهدة مبنية على النصوص المخطوطة حيث هذا النهج التقاء بالواقعة وعدم الحصر فالتاريخ هو إدارة عامة للعمل يحكمها التوجيه الفعال الهادف إلى أعماق التاريخ والاحداث لأن الوثيقة ليست المؤشر الوحيد والدليل الكاف لذلك فالعصور القديمة دليلها أثارا ورسوما غير واضحة يجب تفسيرها وهنا يجب الاستعانة بما فعله الجغرافيين مثلا حين وصفهم لبعض المناطق حين رحلاتهم حيث ساعدوا في فهم مسالة توزيع الاراضي وتصنيفها بين المغلقة والمفتوحة حيث التقاليد الاجتماعية والثقافات المحلية كانت وراء ذلك التنميط للارض.

كان للاتجاه الرومانطبقي في ألمانيا لحفظ العبقرية والقومية الالمانية أثر بالغا على الاتجاهات والبلدان المجاورة حيث بلغت أثار الفكر الفلسفي والتاريخي والفني مبلغا هاما .لذا ظهرت في فرنسا حركة جديدة مرتبطة بالجامعات تأخذ بالقديم وتحافظ عليه وتحاول بعث منهج جديد وارساء الوسائل المبدئية للعمل والتي تعني الوثائق التي تحمل مضامين علمية وفلسفية وتاريخية ومنها نشأ كتاب رينان مستقبل العلم سنة 1848 ليؤسس للعلوم التاريخية رؤية أخرى التي قال عنها د ي كولانج أن المؤرخ مثل الكيمياوي الذي يبحث في الاختبارات الجارية بينما ([2]) المؤرخ يبحث في كيفية الوصول إلى تلك الاختبارات أي أن الواقع أمام الكيمياوي بينما لا يوجد أمام المؤرخ سوى الأثر أو الوثيقة بينما الواقع المدني انتهى ولا يعاد. يقول لانغلوا وسينبوس في كتابهما([3]).

يكتب التاريخ بالاستناد إلى وثائق مما جعل التاريخ علما مقيما على التصرف بالنصوص والافادة منها لأن الوثيقة نصا أو أكثر رغم أن التطور كان واضحا في علم الآثار والنفوس المدنية و العمرانية منذ العصور الوسطى على يد بواسترية وميرمية وخيوليه كما أن التاريخ كان حرمة أدبية في القديم ومنها دراسة المخطوط لذ فالتاريخ اتجه لان يكون علما للوثائق بالفرزو الاستقصاء والتحليل والبرهان والتحقيق

---

[1] هورس م.س ص86

[2])- جوزيف هورس ص 65

[3])- لانغلوا وسينبوس ماذا يستفاد من درس التاريخ ، عن جوزيف هورس ،م س –باريس 1898

كما رأى جبرائل مونود([1]).وبذلك رسمت المدرسة الجامعية أي الوثائقية أو العلمية أو اليقينية كما يخطر للبعض تسميتها خطى البحث التاريخي المعاصر:

1 - جمع الوثائق: عن طريق الجداول والفهارس والمحتويات بالمراجعة

2 - المعالجة التاريخية : تتم خلال استعصار الوثيقة و كشف مصادرها وكيفية صناعتها واخراجها لغة وشكلا وكتابة وهذا ماتم تسميته نقد البعد الوضعي أو النقد الخارجي أو الموسوعي.

3 - النقد الداخلي : باستعمال الاستدلال العقلي والتقييم بالمشابهة والمنطق الداخلي للكاتب وفهم الحالات السيكولوجية التي كتب بها مؤلف هذه الوثيقة.

أي وضع اسئلة ماذا يريد قوله و هل صادق في قوله. هل كان مؤمنا لما يقول؟

هكذا يصبح التاريخ أمام اختبار تجريبي علمي لأن الوثيقة واقع عملي جاري وصفه وفهمه وتفسيره وقد تكون الوثيقة ذات مصدر واحد مما يسهل أو يصعب العمل بها ونقدها حسب مصداقية النص منها.إن النقد الداخلي يجعل الوثيقة تحت دراسة موضوعية وهنا يكمن عمل تحديد الوقائع اثر معالجة الوثيقة واستخلاص الحقائق.

4 - البناء التاريخي : تنظيم الوقائع في قالب علمي وهو عمل لإقامة علاقات بين الوقائع ويحاول شرح تسلسلها لافراغ الطابع الذي استخلص عن الحكاية.

وهذا ما يتطلب روحا جديدة هي اقصاء العاطفة وارساء الحقيقة وتجنب فكرة الملاءم المعاصر ([2])أي حسب متطورات العهد الحالي للمعالجة وافكار الناس وذلك بفضل رصد تحركات شعوب الماضي وأهواءهم وطبائعم مما يساعد فهم الواقع والافعال حسب صيغة الزمان والمكان والقيم . وقد كتب فردينان لو من كتابة المتأخرون من السلاسة الكارولنجية 1891 يقول أخذ الوثائق في سياقها المتسلسل للزمن وشرحها بأمانة دون حذف أو إضافة وأن يرافق ذلك نقد حيث تدعو الحاجة وأن تجرى امتحان لآراء والنظريات التي أوحت بها تلك الوثائق للمؤرخين والموسوعين وأن يستبعد ا لاغراء الطاغي ([3]) الذي يستولى على الباحث فوق ما تعرضه عليه الوثيقة .كما يرى أحدهم أن التاريخ كله في أعماق التفاصيل ... بل يجب أن تسلسل الواقعة جارية في شكل طبيعي دون احراج للجهود المبذولة لجعل

---

[1])- ح- مونود في (جوزيف هورس) م س ،ص 68

[2] -ج-هورس م س ، ص 70

[3] هورس ج ،م س ص 71

الحكاية صحيحة و دقيقة الوقائع ..إلى أن محتوى وقائع والتأثر بين مها خطير حيث السرد يفقد الوقائع الأساسية قيمتها ومع ذلك يجب معرفة الحقائق بالسرد والحكاية والاسترسال لأن معرفة التفاصيل الدقيقة مطلب علمي في التاريخ.

إن بناء النظرية التاريخية ليست مجانية أمام التطور الحركي للفرد والمجتمع وبالتالي الدول كاملة والحضارات الم تعددة فالتاريخ والحضارة مترابطان بين الثبات والتغير ومراجع الضبط الارتكازى للبحث والتنظير لذا يقول لا نجلوا وسينوبوس .إن كمية الوثائق الموجودة فيما عدا الوثائق الشهيرة برهان قاطع إن الزمن على الرغم من كل الاحتياطات التي تتخذ يقللها باستمرار لذا فلن تتزايد أبدا...([1])بينما يرى أخر أن لا يبدأ التاريخ إلا حيث تصير الآثار واضحة وحيث تكون الوثائق جديرة بالثقة ([2])

ولكن وجه الاختلاف والتناظر تبقى واضحة ،لذا ترى شبينجلر يرد قائلا على ذلك أليست الحياة واقعة إذن إلا اذا تحدث عنها في الكتب؟ كما يرى أنه لا بد أن تكو ن من أحداث ذات أهمية رئيسية وجدت ولم نعرف منه أبدا الكلمة الأولى وهذه غلطة لعدم وجود وثائق لها ([3]) كما أكد على عبارة التاريخي هو مايكون أو ما كان فعلا ونتيجة هذه الافكار يرى مارو" –(كل ما كان ولا حتى ما يكون راغبين في معرفته فماء التاريخي يجري في الوثائق مثل المحرك في تأدية وظيفته بالفحم).

المطلب الثاني الحوليات منهج و نظرية

يحاول مارك بلوخ في التاريخ ,علم الاجتماع ,وفرانسوا سيميان في الاقتصاد أن جعلا العلم الاجتماعي علما مستقلا يضع بحوثه حول كل المجتمعات البشرية, يترك أثاره على كافة العلوم ا لاجتماعية . لهذا نلاحظ تقديم لهذه التطبيقات النظرية في اعماله تبدو واضحة في مبادئ نصوصه التي بمكن ان نقرأها في عرض تحليل النص في سنوات ثلاثينات في قوله : "علم التاريخ يفيد إلى أقصى حد من عمل علما للآثار وعلما للاقتصاد وعلما للاجتماع ‘فيوسع من نطاق أفقه ويعمل على تجديد وعصرنه معلوماته حول الحضارات التي سلفت والتي نرى أنفسنا في جهل مطبق عنها .لذا كان قد نقد الوثائقية .

---

[1])– هنري مارو في المعرفة التاريخية ص 59 عن ج هورس ‘م س

[2])– رانك أتو: في مارو مرجع سابق ص 55 عن هورس ج ‘م س

[3])– شبينجلر في مارو –هورس ج –م س –ص5

لقد ضرب تطور العلوم الإنسانية ضربة ساحقة للتيار :العقلاني–والحتمية‘فقضاء على العقل الشامل ومصداقية الطروحات النظرية وألقى الضوء والأهمية على النسبية ودور اللاشعور ‘ودور القوى الخفية اللاعقلانية التي تحرك الإنسان وتوجه نشاطه . وبذلك عاد هذا الموقف اللاعقلاني بفائدة على العقائد الدينية وعلى التقريرية أحيانا

اهتم بلوخ وهو الذي كتب مؤلف "دفاعا عن التاريخ "و مهنة أعمال المؤرخ " بالتاريخ الوسيطي ‘فيه محاولة فهم القوى الخارقة للملوك بفرنسا في العصر الوسيط وفي بريطانيا وذلك سنة 1923 :الطبائع الأصلية للتاريخ الريفي لفرنسا 1931 حيث نجد دراسته بنيات الوضع الفلاحي من القرن 14 و من القرن 18 ودراسته حول "المجتمع الاقطاعي" 1936 وقالات أخرى حول التمظهرات الاقتصادية وأثارها على المجتمع الأوربي.وحيث بدأت الحرب الثانية ولجأ بعيدا ورغم ذلك ألف كتابه "الفشل الغريب " محملا سقوط فرنسا في قبضة الالمان ‘الى رجال سياسته والمجتمع والعسكر والمثقفين .

رغم ذلك يكتشف بلوخ عن رضى عن مبادىء هؤولاء الباحثين في المدرسة التاريخية – كما ينقد **monod** في تلاميذه وينتقد أعضاء المدرسة الوضعية في عدم طموحهم .كما يقرر أن المؤرخ يجب عليه أن يتخلص من مشاعر الذاتية والأحكام المسبقة وعليه أن يقوم بالغربلة والتصفية ‘وأن يتخلص من الرجعيات العقلانية التي يكتسبها .هنا تكمن عقلانية ووجودية قبل العملية التاريخية ولكن ذلك يعني أن بلوخ داعية للموضوعية مثل المدرسة المنهاجية الذي قادها لا ينجلو وسينوبوس كما أنه لا يقبل التجريد العلمي ورفض الأحكام الأخلاقية والغائية .,لهذا يحاول بلوخ تقديم صورة مضيئة حول العمل التاريخي حين قوله:

'" يجب علينا فهم الماضي من خلال الحاضر"'

مهمة المؤرخ الصاعد:

قبل دخول المؤرخ الميدان عليه أن يتسلح :

1- تقنيات العمل التاريخي.

2- معرفة المعارف المساعدة للتاريخ "وتعدد الاختصاصات ".

3- العلوم المساعدة "علم النحت ،بيلوغرافيا ،الديبلوماسية ، علم الأثار ،علم الإحصاء ،تاريخ الفن ،تاريخ اللغات القديمة والحديثة .

4- معرفة العلوم المجاورة :الجغرافيا التكنولوجيا ،علم السكان والاقتصاد ،علم الاجتماع اللسانيات .وإذا لم يحصل على ذلك في رجل واحد يمكن تأليف أعمال مختلقة بالتكامل والتحالف العلمي **par érudit différents** مما يتطلب تموين فرق متعدد الاختصاصات حتى ينطلق التوجه

5- وحدة العلوم الاجتماعية

6- الاستناد الى المنهج المقارن ضرورة

7- تكوين فرق جماعية للبحث العلمي ضرورة التكامل لأن حسب قوله

"إن موضوع التاريخ هو مشهد النشاطات الإنسانية عبر الزمن"

" ولا يوجد علم للانسان يجمع الانسانية عبر الزمن ...."

"ولا يوجد علم للانسان يجمع دراسة الأموت والأحياء الا التاريخ "

أما اتجاه المادية الاقتصادية ،قام هو و بعض رفاقه في الحوليات تطبيق التحليل الكمي و بذلك حاول هؤلاء في الاتجاه الكمي فهم التغيرات التابعة , والمستقلة حول ظواهر الفائدة المالية ,القيم ,الأسعار .الدخل من خلال بحث وثائقي في الادارات والملاحقة المعلوماتية في الكتب والمجلات كما درس هؤولاء الاضراب وفوائد المؤسسات وخسارتها وتأثيرها على البنية السياسية من خلال دراسته "تقارير- التعليمات مجلات :محاضر شرطة مركزين على توسع لاضراب وكثافته ومدته ونتائجه حسب متغ يرات :الفصل ,الجنس و المهنة كما اكتشف الدور الديموغرافي في التاريخ والاقتصاد وأسباب ظهور المجاعة وارتفاع الأسعار وقلة الإنتاج وذلك بعد الحرب العالمية الثانية على يد ما جري **la broum Goubert meumet.** ومنها اتجهت نحو التاريخ الديموغرافي المناطق والمدن بفضل السجلات الكنسية والادارات واتجهت المدرسة نحو الاتتريوجيا التاريخية بفضل أعمال - (مواقف الفرنسيين في الحياة في القرن 18).

من خلا ل متغيرات نحو الدراسة التاريخية للطب والحالات الشخصية المرضية (الطاعون في فرنسا البحر المتوسط) **birabem**1975 أطباء فرنسا خلال القرن 16.بعدها نما اتجاه البحث نحو دراسة

العائلة وتاريخها وأوضاعها وأسباب وحدتها وأسباب اختلالها . وفهم الآليات الدينية والاجتماعية التي نحكمها وبحثو في طقوس الموت والوصايا والميراث من ذلك المنطلق تبقى شروط المؤرخ لدى بلوخ هي عملية فهم للحقائق والظوا هر واستعاد الاحكام المعيارية ,بالتالي ممارسة النقد ونبذ المركزية. وكانت الآثار مثل الأحداث اليومية والدساتير والأثار وطرق الجنازة ودراسة الأسماء والمعتقدات ‘الحساسية اتجاه الموتى ‘والصور المنحوثة أو المرسومة ,والقبور لأنها تعرض معارف وتأويلات أكثر من دقة من الوثائق المكتوبة ,وهنا مثال الحضارة الجرمانية .وهذا بعني توظيف الانتريوجيا والاتنولوجيا . أما الحضارة اليونانية ,الرومانية فالوثائق قليلة لا تشكل 300 كتاب ا .في 1920لقد اهتم مارك بلوخ ولوفاقر **lefebvre**,بالبحث في قضايا ماقبل التاريخ ,والفلكلور ,وتاريخ الأديان .وفي نهاية الستينات ,ربطت المدرسة التاريخ بالبحوث الاتنولوجية حول القرية في القرن الثالث عشر مع بحث **ELERY** حول طرق تربية الحيوان ,أشكال السكن والفرق القبلية . وآخرهم درس مجتمع الأنكا – في أمريكا اللاتينية وآثار الاستعمار الاسباني عليهم ,وفهم التصور الثقافي لهؤلاء حول ذلك في الفلكلور والرقص والحفلات.

لقد مارست مدرسة – الحوليات– البحث العلمي المتعدد لأوجه في جمبع الاجتماعي ات ,حاولت ربط التاريخ بكل القضايا الاختصاصية ,والثقافية والنفسية . وذلك من منطلق أن العلم التاريخي هو علم جامع للظواهر الاجتماعية عبر الزمان و الجغرافيا.هكذا كانت لأبحاث **F.SIMIAND** رصاصة بعد الأزمة الصادر سنة 1932 وفي كتابة التغيرات الاقتصادية للأزمة العالمية الصادر سنة 1932 تأثيرا كبيرا في منهج موضوع المدرسة كما صدرته – 1933– في إطار سرد الأحداث .**HISTORI GHRAFI**.وكتاب :حركة الأسعار والدخل في فرنسا –في القرن 18 من خلال جدولة مصنفة حسب سنوات وحسب الفصول وفترات طويلة وهذا البحث الذي يقوم به **CE.LABROUSSE**. ومن خلالها تم اكتشاف أن الوضع العام للمجتمع لا يحكم عليه بالانكماش أوالإزدهار مطلقا .

وقد وصل في نهاية تحليله أن الأزمة الفلاحية في فرنسا ق ي نهاية القرن الثامن عشر كانت سبب ارتفاع أسعار الحبوب والاختلالات الاجتماعية السياسية لأن الأزمة مست كل الطبقات ومنها الثورة الفرنسية وقد كانت لمعظم التحليلات اتجاه اقتصادي وأنتريولوجي رصيف ,متكامل وخاصة عند **Labrousse** الذي أخذ عن **Jaurès** المتأثر بالماركسية ‘النظريات الاقتصاد المعاصر ‘تطبيقات الإحصاء الجديدة أما بروداال.**b**, **f** بصفته جغرافيا :طبق البحث الوصفي الدقيق حول التبادلات التجارية

في المناطق الواسعة عبر الفترات الممتدة ،في القرن السادس عشر ,والثامن عشر و 19 حتى 20 وقاد هذا البحوث مع برودال**F.MAURO , f.crouzet ، P CHAMAU**

وقد لوحظ على هذه البحوث الاتجاه الى فهم الظواهر الاقتصادية خاصة بريطانيا – اسبانيا–ايطاليا لم تهمل الجوانب الأخرى التي تؤثر في مجرى التاريخ ,وقد طلب بفهم دراسة القوائم الانتخابية وجدول الضرائب ,والجرد السكاني بعد الموت ‘وعقود الزواج مع رب ط ذلك كله بالوضع الاقتصادي والوضع القانوني والمهني للأشخاص والجماعات وبذلك ظهرت دراسات البورجوازية الفرنسية (ق 19) و النبلاء ق 19.مما أدى إلى دعوة إلى عقد مؤتمر يبحث في مناهج البحث التاريخي ومصادره وآخر حول الثقافة و الجماعة و الطبقات.

لقد حاول ف – برودال في كتابه حول البحر المتوسط الخروج من منهج قديم الى منهج علمي جديد متشبع بالروح العلمية العصرية الدقيقة وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه تنشرها أولا سنة 1160/1939 ص وسنة **1966** /1922 صفحة بعد المراجعة والتصحيح .والواقع في هذا الملف الضخم يحاول إلقاء الضوء على الم رحلة التي حكم فيها فيليب الثاني وليس حول الملك نفسه مما يعاني تطبيق النظرية الجديدة –للحوليات– التي ترفض التاريخي –التصويري –السردي. وبذلك استفاد من الأعمال التي قدمها مثل :فيدال وبالانشار وسيون ودي لمنجيون – وبها أخد بالمظاهر الجغرافية وتط ورها التاريخي الط بيعي وهو مدين أيضا الى :ليسيان فابر. ويحاول برودال تطبيق جدلية بين الزمن والمكان وبالتالي ربط التاريخ بالجغرافيا ، وبالتالي يصبح الحدث التاريخي متموقع في منهج وبين أزمنة :

أ–الزمن الجغرافي ب–الزمن الاجتماعي –ج الزمن الفردي

فالإتجاه الأول : نجده يصف وصفا جغرافيا لمناطق أوروبية و عربية وشمال افيريقيا.

الاتجاه الثاني: تاريخ البنيات الاجتماعية المتلاحقة ,التجمعات البشرية.

الاتجاه الثالث : هو تاريخ تقليدي يحاول تفهم الفرد والأشخاص الفاعلين .

الباب الثاني: أنتروبولوجيا الإستعمار نظريات وميادين

الفصل الأول **الأعمال حول المجتمع الجزائري**

الفصل الثاني **المقاربة الكولونيالية**

الفصل الأول الأعمال الأساسية حول المجتمع الجزائري

تمهيد

ارتبط التطور العلمي للسوسيولوجيا بظاهرة التوسع الاستعماري وخاصة انه حصل على تراكم علمي و ابستيمولوجي كثيف و وصف عميق للحضارات الاخرى و الشعوب الاخرى من خلال الأعمال التبشيرية السابقة و الارساليات العلمية و التجارية و الدراسات الأنتروبولوجية المتوسعة و حركة الاستشراق ،حيث خلق ذلك مدونة عوالم ثقافية و مخيالية مجهولة تماما أو جزئيا .فتكون من ذلك تراث معرفي ومعلوماتي حول الأخر و تجذر في تعاقب تاريخي متواصل بفضل باحثين و علماء مختصين و غير مختصين .من كهنة و أطباء و مؤرخين و ظباط و اداريين مقتدرين و خاصة في الجزائر.

المبحث الأول المعارف المتراكمة

المطلب الأول الأعمال الميدانية في أنتروبولوجيا الاستعمار:

لقد ابرز احد ضباط الاستعمار اهمية البحث العلمي وكان بول كامبون اهم داعي ة لتعميق الدراسات الاجتماعية للتوسع و الا دارة كما كان الادب والقصة والرواية لفك رموز الاخر كما كان الاستشراق احد مظاهر الفهم للاخر وزاد من تدعيمه النظري علم الاجتماع و الانتروبولوجيا فكمنت الفرضيات محك للحقولل التجريبية في المغرب العربي موضوعا و منهجا امتدادا للبحوث السابقة او التاملات المستحدثة ([1]) . لقد اوجد البحث الاستعماري دراسات جديدة حول عدد السكان وانتماءاتهم و عرقياتهم ومعتقداتهم و تقاليدهم وانماط عيشهم ومعاشاتهم بمناهج المسوحات و الاحصاء الاجتماعي وكان ذالك بفضل دعم الجهاز العسكري لهم افرمدا واجهزة ومكاتبا .هكذا ظهر روبير مونتاني و جاك بيرك وبيرتولون والذين تكلفوا بالبحوث و الدراسات وكنوا لعضاء عسكريين في بدايات وظائفهم و سعدهم المرسوم الحكومي الذي يامر برعاية البخوث الاتنو–انترو– سوسيولوجية و التي عرفت في البيبليوغرافيا و الارشيف الفرنسي ب– نوتيس .

---

[1]) ––سالم لبيض ،من اجل مقاربة سوسيولوجية لظاهرة القبيلة في المغرب العربي ،في المستقبل ا لعربي عدد261/11/2000 بيروت –ص60

ورغم الدراسات الاولى كانت مجرد تقريرات عسكرية وادارية ثم مقالات في مجلات علمية متخصصة وعامة فانها تعمقت في كتب استقصائية فيمابعد.لذانجد دوتي قد كتب حول القبيلة و الزاوية لانهما محورا البحث الاستعماري ‘لان القبيلة هي مركز الجماعة البشرية في المغرب العربي عرقيا ووطقوسيا وعمليا ‘اما الزاوية فهي جهز الظبط الثقافي و القيمي و الديني للتجمعلت الانيانية في ال‌منطقة ,وبذلك يسهل التوغل الاستعماري و التبشير المسيحي الحديث وتتعمق السيطرة الاستعمارية ذاتيا و خارجياو سياسيا في علاقة جدلية باخذ وعطاء بين طرف واخر بحماية سياسية رسمية ([1]) وكان الغرض من ذالك الاستكشاف العلمي والبربرية والغاز الدين الاسلامي .

لذا نجد انتشار الاعمال ال عمية حول المجتمع الجزائري و التي قام بهاكلا من روني باسيه و بوسكويه و ليون قوتيه بكل منهجية وكل تفصيل معلوماتي و اضاف اليها ماسكيراي و هانوتو و لوتورنو دراسات اكثر تحديدا وجاك بيرك اكثر شمول عبر كل المداخل التاريخية والاجتماعية وفلسفية كما اضاف شارل دي فوكو دراسات حول المغرب الاقصىثم الجزائرعن طريق الجمعية الجغرافية الفرنسية كما كانت تنافسهادراسات علماء فرنسا في امريكا وخاصة كندا حيث شكلوا مستعمرة الكيبيك حيث اشتهر هناك كل من المبشرين لافيتو و زميله شارل دي فوكو وفي ا لمقابل كانت البحوث ([2]) الاستشراقية و العسكرية

---

[1]) -- سالم لبيض ,ن م س –61/ص /–و يمكن الرجوع إلى، فيصل المقداد ,تاريخ الدراسات العربية في فرنسا – عالم المعرفة 167(الكويت–م وث ف ا) و ث ف ا)1992--ادوارد سعيد ‘الاستشراق .المرفة والسلطة و الانشلء ,تر ,ك ابوذيب ‘(م ل ع)بيروت 1977--حسين مروة ‘النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية –دار الفرابي –بيروت– 1988-- عبد الوهاب بوحديبة ‘ لافهم افصول عن الدين و المجتمع ‘تونس ‘‘الدار التونسية للنشر 1992--جيرار لوكلارك ‘الانتروبولجيا و الاستعمار ‘تر ‘جكتورة (م ج دن)1990--سالم لبيض ‘القبيلة و ا لإستعمار ‘ثورة الجنوب التونسي –19178/1915المجلة التاريخية الم عربية 1995--مجموع مؤلفين . إرنست غلنر ،الأنتربولوجيا و التاريخ ‘حالة المغرب العربي ‘--عبد اللطيف اكنوش ‘السلطة و المؤسسات السياسية في المغرب الأمس و اليوم .د. البيضاء مكتبة بروفانس 1988--لوسيت فالونسي ‘المغرب العربي قبل احتلال الجزائر ‘تر ‘ح الساحلي ‘سراس للنشر تونس 1994–سيريج كنال ‘ حول الا قطاعية حالة المغرب العربي –ط باريس طبعلت اجتماعية 1971

[2]) **Encyclopedie de ’islam ; nouvelle ed–paris(s.n)1978 t1/2/3/4 et voir . Jc vatai , l’algerie des anthropologues. Et Ernest renan ،Histoire generale –paris–imp/imperial/18858/tome –et Germain ayache, Histoire et colonisation) dans etudes d’histoire marrocainne –col –atlas rabat–1979.**

المرجع الاول في الجزائر و المغرب العربي .وقد ساهمت الجمعيات الجغرافية و م راكز الدراسات العليا للادارة الجامعات الاوروبية في تلك البحوث .

بالطبع لا ! إن رومانسية الأجنبي وخاصة الاستعماري منها ' كانت انبهارية براغماتيه لاستمالة الأهالي، مثقفي البلاد المستعمرة هذه '.... كما اضافت الدراسات الاستشراقية عمقا أخر يؤكد جدارة علومية هدا المجتمع مما يجعل إلى إسقاط الانتربولوجي عليه مستحيلا او شبه قابل للاستثمار .لان الثقافة المكتوبة والتراث المسجل فكرا وعلما وآدابا جعل الاستشراق البديل الوحيد للانتربولوجيا في المجتمع المغاربي)'فالتراث المتراكم المكتوب الذي جعل من الباحث الفرنسي مدعوا قسرا ان يتعلم لغته كان له اطر معرفية، ومنهاج مقننة لأي مقاربة له كما كانت له منطلقات ومبادئ للتعرض والمناقشة والرأي . إشتهرت الدراسات و الأعمال الأ ولى من طرف البعثات الكولونيالية في الجزائر .لذا برزت أعمال لوتورنو ،و هانوتو ،و قامت على نظرية الصراع .(صراع الصفوف) في المجتمع القبائلي ،حيث كان ذلك طبق بنية المجتمع القبائلي و مجتمع الأوراس و مجتمع مزاب حسب ما جاء من طرف ما سكيراي .فكان ذلك خزينة للعلم و المعرفة المتراكمة و الرأسمال الثقافي و الرمزي ولكنها مؤدلجة بالخطط الكولونيالية .

لقد تقلد علماء الاجتماعيات في البلدان الاستعمارية، مهام البحث الثقافي واللساني والديني في المجتمعات المستعمرة لذا حدد بريتشارد أن تلك المهمة هو رؤية علمية ناقدة وثاقبة لأع ماق الإنسان الغرائبي الذي لم يفهموا أعماقه النفسية ولا أخلاقه اليومية لذا كان الاتجاه نحو دراسات الأفراد من جهة ودراسة الجماعات من جهة أخرى .لذلك كتب **Ernest merci** بحوثه حول الأهالي بين مرحلة (1870-1890) حتى 1901 بهدف فهم هذه التجمعات المستعمرة لبسط النفوذ الاستعماري عليها، وذلك لا يخفى حتى على الاستعمار البريطاني كذلك حيث قام ريتشارد وناول،ولينهارت وبيكستون بدراسات عميقة حول سكان المنطقة في محاولة لفهم حالات التثاقف الإسلامي لإفريق وصمود الثقافة الإفريقية من جهة أخرى. حيث مكثت رمزية الأشخاص ذوي المكانة في مؤامات عليا لملكها لرأسمال ثقافي متراكم تجسده التذكارية اليومية لسكان الجماعات الأهلية كما تؤكده وظائفهم وسلطتهم الروحية والمادية وامتيازاتهم الاجتماعية والاقتصادية والعقارية مقابل واجباتهم اتجاه المجتمع الذي يعاشرونه . لقد كانت

الدراسات الكولونيالية [1] جد متطورة منذ النهضة الأوروبية وخاصة القرن الثامن عشر حيث ظهر النبغاء والعلماء وتقلص سلطة الكنيسة حيث فتح المجال للمعرفة والاستكشاف لذلك ظهرت في الجزائر :

– دراسات جغرافية واستكشافية **peyrsonnal**(1725) وستار (1752/1720) كما ظهرت دراسات عسكرية حول (زرارة) في تلمسان بتوجيه : **Noly** و **Guinard** و **.Boitel**

– دراسات حول القبائل**Hanoteau** و **Letourney** (1893)

– دراسات أكاديمية قدمها حول**Emile masquray** الإشكالية الاستعمارية

لقد كان التمسك بالإسلام عقيدة تراكمية منذ بداية الهجرة الشيءالذي صدم البحث الاستعماري .وحيث وجد الإستعمار عجزا في تفهم بنية العائلة فعمق الدراسة ([2]).و قام سبيجمان وزوجته بدراسة قبائل الازنداي والنوير ثم الأنواك في سنوات 1910 ، 1922.كما كتبوا حول القبائل الوثنية في السودان النيلي "،أما بريشارد فقد قام واصل تلك الدراسات بعمق وتحليل ودراسات ميدانية في حين لينهارت فقد درس بين (1948–1954) قبائل الدنكا وأنواك . ولكن نادل توجه إلى مناطق أكثر عروبة و إسلام ا من المناطق الأخرى، فدوس النوبة الذي تقع وسط جنوب. أما جين بيكستون، فدوس الماندراى بين 1951–1952.

وقد ظهر كتاب " الانتربولوجيا و الاستعمار "([3])، لصاحبه جيرار لوكليرك، و هـو بحث يؤرخ للأبحاث الاجتماعية و الثقافية التي قام بها الاستعمار، و يوضح ما يربط الاستعمار بالتأصيل الجديد، نحو الحضارة الغربية لهذا كانت هناك مؤسسات و أدوات لهذا العلم منها الجمعية الأمريكية للأنتربولوجيا، و جمعية لندن الأنتربولوجية، و الحولية السوسيولوجية و متاحف متخصصة لذلك. لقد ساهم أرنست جيلنر كثيرا في إعادة قراءة النصوص الانتربولوجية، و إعادة ترتيب المسار الإبستمولوجي و الموضوعي للأنتربولوجيا، من خلال تطبيقاته الجديدة، الذي اهتم كثيرا بأعمال مالينوفسكي البولندي الأصل الانجليزي العالم و البلحث و الأنتربولوجي ، فجعله مفتاح لكل الأعمال . لقد كان بواز الأمريكي الألماني، يدرس مجتمع الأسكيمو، و يدرس أساطيره و يرسم خرائط عنه، و هو لا ينسى أن يقرأ الفيلسوف الألماني كانط،

---

[1]) –بوحسون العربي،مجلة مغاربية،مرجع سابق،ص165 ، 168.

[2])– راجع " بنية العائلة " في الباب الرابع

[3])– فهيم حسين: قصة الأنتربولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، (م و ث ف أ)، الكويت، ص 28

في حين كان مالينوفسكي يقرأ الروايات الخيالية، لقد ساهمت مراكز الدراسات في هذا العلم في الجامعات في وضع أهم محطات العلوم الإنسانية وسيرورة منطقها.

لقد بدأت الانتفاضات ضد الاستعمار منذ انكماش الحضارة الاسلامية، و بعد سقوط الاندلس، حيث تفككت البنية السياسية و فشل المجتمع في ا لإنتاج، وكان الدور الرائد بعد ذلك إلى الزوايا و الرباطات، التي كانت الملجأ الوحيد، سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا لأ بناء الأمة، لأ ن وجودها ثابت وتراكمي للسلطة المنظمة للحياة و التصور الجمعي . وقد كان القرن **XIV** هو بداية الزاوية المقاومة، كما يرى مزيان في الجزائر فجمعت السني و الأ باضي و الخارجي، و الريفي و الحضري، و البربري في مصير واحد، ليكسوهم الاسلام بقوة الفعل و التجلد في مضمون العقيدة و الشريعة و الفقه و العبادات التي مكنت عالم الاجتماع أن يقمصها ضمن ثقافة و تنظيم ايديولوجي شمولي لرابطة الارض و المعايشة.

لذا كان الأمير ، المقراني و بوعمامة، أمثلة لزعماء خرجوا من لحم الزاو ية و الطرق الصوفية، فكان التكوين الروحي ثم التنظيم العسكري للتجنيد الثوري هدفا للزاوية و المجتمع و الدولة القديمة بعناصرها المتفككة الرافضة فكون([1]) الأمير الزمالة، كعاصمة متنقلة للثورة و الدين و الدولة وخدمة المجتمع حتى من المكتبة..و الاطفال.فتجمع العالم و الفارس و الامين و الزعيم في قافلة واحدة للثورة . وحسب تلك الأزمنة ونجد بارك يتساءل([2])مع تضمين بقوة الإسلام و حيويته. فقد قال

« comment croire ?affirmer –t-il ?qu'une saisie de l'Islame dans ses references permanentes et dynamiques presentes puisse le le dissocier du mouvement planitaire ,Aussi ;ai-je tente dit-il de monter de l'Islame reintegrant pour autant qu'il ait ,jammais quitte le temps du monde »

المطلب الثاني بيرك و التحليل المتعدد الأبعاد

لقد حاول جاك بيرك دراسة المجتمع ا لمغاربي من خلال ثلاث محاور هي البنية الاجتماعية، اللغة و التاريخ، لأنها ظواهر متطورة معبرة، تساعد بكل فعالية علم الاجتماع التطبيقي، فهم أعماق المنطق الاجتماعي و السلوك الفردي، و الجماعي لتجمعات المغرب العربي و الاسلامي، حيث أنه رغم الاختلاف اللغوي يظهر خاصة لدى سكان المرتفعات، مثل الاطلس في المغرب و السوس ، و الأوراس و الجرجرة، حيث نقص الاندماج مع القبائل المتعربة، فإن محور الاسلام، كما يعترف بارك **Berque** كان عاملا موحدا، وهذا ما لاحظه فعلا لجماعة سكساوة في المغرب الأقصى اين مارس بنفسه البحث

---

[1]– Meziane 48.

–[2](Meziane opcit p 48/49

والوظيفة .لقد درس بارك العربية و الأمازيغية حتى يخلق مجال الإتصال مع المجتمع المدروس الذي وجده مجموعة قبائل و بطون، وفرق و عائلات مترابطة غالبا .كما نجده لإهتم بالعلماء في كتابه " علماء مؤسسو المغرب "و" البنية الإجتماعية ". لذا نجده يقول : "إن النظام القبيلة " تاقبيلت" بدون أن نجعله معطى مباشر للتحليل يظهر بذاته مشروطا، فإذا كان حد .بضراواة ممتنع فهو لن يبق منعزل فهو لا يرى معقولا إلا كنتيجة ليس فقط لأنه خضع لتأثيرات، ولكن لأنه لا ينطرح ولا يدرك إلا بالعلاقة إلى تآلفات خارجية أو عليا، فهو يرتبط بتوحيدية كبرى..." وهي الإسلام بعقيدته التوحيدية([1]).

من ذلك إعتمد على دراسة المخطوطات الأمازيغية التي طبعت بالعربية كما درس وثائق الزوايا، للوصول الروحانية المجتمعات التي يريد بحث أعماق عقائدها وفلسفتها للحياة والدين و الدولة، و طقوس المعاملات الحيوية مع المحلى و الآخر و عادات الفعل ال متوارث و قيم الحياة ومنها إستطاع أن يفهم كلية الجزئيات التي يراها ظاهريا، وخدعته الانقسامات الإسمية التي يسمعها و لكن لم يتعمق في أعماق التلاحم الوجودي المتوارث عبر الجماعات الصغرى أو الكبرى فيما بين السكان، في الجبل أو الريف أو في المدينة أو الصحراء أو السهول. ومنها وجد مزيان يقول ان جاك بارك قام لتوجيه عالم الإجتماع:

« Il devra toujours avoir present a l'esprit le rapports avec la grande entité regionale qui lie le groupe, par exemple le seksawa ; Au vaste element ; ici les masmonda. Avec references a l'histoire maghrébine et aussi a l'islam qui en a fait au xii siecle le almohades opposés a la reconquista espagnole» [(2)]

فالإكتشاف الذي توصل إليه بارك، أن القانون التقليدي الذي رسخه الإسلام، كان ظاهرا بكل قوة، على مظاهر السلوك الإجتماعي للقبائل المح لية و الجهوية أو الجبلية في المغرب على مستوى العائلة أو الحياة الإقتصادية، لأنها كانت حافظة للبنية الاجتماعية والمحلية لمصالح الفرد و المجتمع، " رغم ثبات العادات البربرية على الحياة المدنية أو الريفية كما يقول بارك " ([3]) حيث أنه مهما كان التدرج العددي للجماعة الاجتماعية من الفرد إلى العائلة إلى العشيرة ثم فرقة ثم القبيلة، فإن ذلك ألفة واحدة . إن الهوية السوسيولوجية محفوظة بكل فعل ثقافي يومي سواء ديني أو فلكلوري أو عقلاني، صلاة، حج، أذكار، عادات شفهية من الأدعية أو غناء أو تواصل و لو كتابة تاريخية عن الأحداث رغم أن المجتمع الحيوي مثل العربي و الأمازيغي في بلاد المغرب، فإن ذلك مرده إلى جملة التحديات التي يفرضها الواقع

---

[1] – Meziane (am)jacques berque et l'islam in etudes islamique n/ 1 juin 2002 p 45.

[2] – Meziane (am/ op p 44/45).

[3] – op p44.

المحلي و الخارجي لأن الإسلام في تحدي غربي، والدولة أمام هجوم تكنولوجي حديث يفرض شروطه و اثاره على هيكلة المجتمع و كليته المترابطة و كينونته المتفاعلة .

فالمجتمع الامازيغي الذي إنخرط مع الإسلام لم يكن يرضى بالاستعمار الشمولي الإحتكاري الوحشي، إن هذه التجمعات التي وجدت المسلمين ناصرا حنكا ، ومدافعا صرفا بدون شروط وقبل حكم الملوك والسلاطين الأمازيغ منذ دخول الإسلام، ساعد في دفع كل هجمة خارجي ة، وبناء المدن الثقافية القائدة . إن جماعات بجاية و الجزائر العاصمة، الذين أعطوا اسم قبائل على التجمعات الامازيغية ([1]) المجاورة لهم. إن التآلف الاجتماعي تآلفت أوصاله، خاصة بعد هجرة المسلمين من عرب و أمازيغ إلى الاندلس، حيث حضارة راقية، وقريبة إلى بلاد المغرب،وثمة انصهرت العلاقات ' فوجدنا إبن حزم يبحث معهم في مسائل الفلسفة و الفقه، كما كتب التاريخ المشترك الرفيق القيرواني، كما كانت قبيلة أوربا من الأمازيغ وهم أخوال مولاي([2]) إدريس الشريف العلوي المغربي ولا ننسى ذكاء وقوة التأريخات والتصديرات التي قدمها إبن خلدون في معجزة المقدمة في تاريخ العرب والبربر.

ورغم التفصيلات التي يتعمق فيها جاك بارك حول المجتمع المغاربي و أهمية التكتلات العرقية و المكانية و التي تؤلف هذه المجتمعات، فإن البعد الجماعي للفعل لم يختف عن الواقع بعد تكوين الدول الإسلامية في المغرب الأوسط و الأدنى و الأقصى وخاصة بعد إندماج كتامة مع الفاطميين وفتح مصر الفاطمية الشيعية و تأسيس القاهرة من طرف المعز، كما تأسست الدولة المرابطية، من قبائل صنهاجة لتوحد بلاد المغرب وبعدها الدولة الزيانية ثم الزناتية، الدولة الزيرية و المرينية و الحفصية التي جمعت الدين و اللغة و بناء الدولة .حيث كلها قادها الاما زيغ المسلمون' لذا تبقى بعض النظريات الاستشراقية محل نظر وتدقيق في العمق الجينيالوجي، التي يدفعها إلى مسار آخر للتدفق الدلالي المنبعث عن تقميص تاريخي و سوسيولوجي للواقع.المستهدف لبث اديولوجي أخر .

إن الإختلاف في نمط التجمع ليس مانعا على الإطلاق على تكوين الحركات الشعبية، بل كان قوة دفع و سند بشري و مادي لهذه الحركات ضد الاستعماري و الخارجي و ضد حتى الاستبداد الداخلي، رغم الاختلاط و التنوع الذي شهده المغرب العربي عن هجرات وخاصة قبل سقوط الاندلس بفترة قصيرة وبعدها قليلا، حسبما يرى جاك بارك (فالعلماء في الاسلام الوسطوى، منع الإستنجاد بالأجنبي، وسهل الثورة ضد السلطان.من خلال إحتياجات جهوية و قروية شفهية مواجهة ثم حركة وطنية ضد العاصمة،

---

[1] – Meziain op cit p45.

[2] – op cit p 46.

ثم إعتلاء السلطة([1])، وهذه صيغة أخرى لنظرية إبن خلدون ومثال السعديين و العلويين واضح حيث كان الرباط هو مركز العمل.ولكن انه لا ننسى دور رجوع الاندلسيين في لحمة بلدان المغرب عامة .

المطلب الثالث المركزية الأنتربولوجية عند ستراوس وفيبر :

بما أن ليفي ستراوس يتكلم عن البنية المجتمعية ، فذلك من حيث أنها مرتبطة بعلاقات مجتمعية معينة التي سوف تقدم لنا نماذج و معايير المرتبطة عفويا بالوعي الناشيء عن الذات وعن الظواهر وتفسيرها وهي التي يضم محتواها ثقافة معينة ، ونهايتها أن البنية هي وثيقة واقعية وتاريخية عن المجتمع وتفاعلاته أو بحث علمي حديث في الانتربولوجيا ومرجع سندي للتاريخ في المسبقبل .

من هذه الناحية يصبح تجميع الحجج واقامة البرهان على أن كل المجتمعات تقع في التاريخ وتخضع للتغير أمرا لا لا يضارع ماله وضجره إلا عقمه وقلة جدواه فهو البداهة بعينها لكن الانكباب على اثبات هذا الامر النافل الذي لا طائل تحته يؤدي بصاحبه إلى تجاهل أمر آخر هو أن المجتمعات البشرية تستجيب بصورة مختلفة جدا لهذا الشرط المشترك بينهما ([2]) حيث التطور البشري عبر التاريخ لم يحدث بصفة متواصلة بل كان متمظهرا خلال قفزات وطفرات على مر الزمان وكان يحدث عشوائيا أحيانا وأحيانا أخرى حدث بصدفة فالتاريخ لع بة مقامرة وبذلك فالتاريخ كان تراكميا ويدفع باتجاه التقدم بينما تستطيع أ، نقول عنه بالنسبة لثقافات أخرى أنه ظل تاريخا تراوحيا يراوح في مكانه دون أن قدوى جيدا ما هي المعايير التي تمكنا من اطلاق هذا الحكم عليه

فالبنية من هذا المنطق تساعد على جعل الوقا ئع التي يمكن ملاحظتها مفهومة على مستوي من المعرفة غير مستوى معرفة المشارك فيها، أي على مستوى نظيري مختلف عن مستوى المعرفة الشائعة وبذلك تختلف فهم الشخص الذي يعيش في مجتمع معين الواقع الذي يعيش فيه من شخص لآخر كما أنه ليس واعيا كليا للبنية التي يعيشها ..وبذلك تطلب باحثا خارجي يعبر عن حقائق واسرار تلك البنية بحيث يرى الاطار ويرى الاختلاف ويشعر به وبهذا يتحول التجريد من مرحلة إلى أخرى.

أما ما قدمه ماكس فيبر من فقد تحققت رؤياه وأفكاره على ارض المانيا النازية لأنه كان قد وجد أن الحضارة أخذت تفتقد إلى الشخصية الفردية، وبالتالي إلى الدهاء والحكم النقدى والنكتة الحلاقة والمثال

---

[1] – Mesiane op cit p47.

[2])–ليفي ستراس : الفكر البري، مدخل إلى الانتروبولوجيا، ترجمة حسن قبيسي المركز الثقافي العربي، بيروت 1977 ص 282 عن ابراهيم عبد الله ، مرجع سابق،ص 117.

الارستقراطية ([1]) وقال فيبر عالم الاجتماع حينذاك لا مشاريع عندى سوى الاتيان لالمانيا برئاسة أركان عظيمة مرة أخرى ([2]) لقد استطاع الالمان بفصل ماركس وكانط ونيتشه و فيبر خلق اجواء جديدة في الفكر والتاريخ وتحضير المستقبل وفرض تنبؤات جديدة وصياغة نظريات عصرية لقد رأى فيبر **'weber** (''أن العلوم التاريخية بما فيها علم الاجتماع تهتم بشكل جوهري بما هو فردي ومحدد ([3]) نستنتج من ذلك أن هناك كثيرة نتعلمها من ماركس كاقتصادي وفيلسوف منها التوضيح والتفسير وعرض النماذج التي تضيف التاريخ الاجتماعي للبشر. ومنها يعرض علينا ماكس أسس الفاعلية التاريخية في:

1. الفعل الفردي: ودوره في التأثير والتغيير
2. لا يمكن تفسير الاحداث والوقائع بشكل واحد'وهنا يبرز تأثير الفلسفة الكانطية

إن كتابة ماكس فيبر المشهور ا لاخلاق البروتستانتية والروح الرأسمالية يقدم جمل نظريته في التاريخ والحركية التاريخية وعلم الاجتماع 'فهو يرى بأن، البروتستانتية هي أساس الرأسمالية وسبب وجودها وتطورها نظرا للمعتقدات المسيحية التي رسخت القيم والمبادئ من خلال فكرة الخلاص والله واحد'بينما يرى ناقد حول فكر فيبر أنه سعى إلى إظهار التقارب بين نوع معين من البروتستانتية المتزمتة التي سادت بشكل خاص في القرنين 17و18م من جهة وروح المبادرة من جهة أخرى ([4]) فالخلاص في المسيحية ليس نتيجة مجهود انساني فقط بل قدام حكم الله في خلقه الذي يرفض وساطةالبشر .

أما ستراوس في مقاربة جديدة فيقول "**Levy–Strauss**"إن الأماثيل نظام أو أنظمة من الأنظمة والمعادلات والمفارقات تعبر عن المجتمع والكون، لا تقل تناسقا وقيمة عن النظريات العلمية المعاصرة المليئة بالرموز والأعياد ..."([5])وهمنا كان رد ذلك الاتجاه خوفهم النطق والتعبير وبا لتالي اللغة وليس الوقائع، من ذلك أن علم الآدميات هو علم آخر يدرس الإنسان وخاصة المناطق أصل الإنسان، ويجعله مساعدا أو موازيا للتاريخ عبر الخطاب الشفوي الذي يضم الفعل و الرمز و التأمل والقول .المرتبط بكل حياة الانسان القديمة والمعاصرة .

---

[1]) دونالد مااكرى ، نفس المرجع السابق، ص 60

[2])دونالد ماكرى، نفس المرجع، ص 61

[3]) – دوناالد ماكرى، مرجع سابق ص 69

[4]) جاب بول وليام الاديان في علم الاجتماع، بسمة بدراس ()م ج مون ت بيروت ، ط1، 2001،ص 47

[5]) – ليفي ستراوس في، عبد الله العروي، مفهوزم التاريخ، ص

وفي بحثه حول دراسة الش عوب،والتي حاول من خلالها وضع تصوير شامل للاشخاص و الافعال والذاكرة الانسانية التي تم خلقها و صناعتها فذكر أن "الاختلاف لا يعني التفاوت التام والدائم بين الجماعات البشرية"([1]).كما أن التاريخ يصبح لعبة ورق فقط، ذلك لأن الاختيار لا يخضع لمنطق بل هو عشوائي، وبالتالي لا يمكن تحقيق كل الممتلكات في آن واحد " كما يرى العروي .([2]) لهذا وجدنا توجه الانثربولوجيا إلى الشمولية في الطرح كما نرى عند مارسال موس وليفي ستراوس، فالمجتمع حقيقة وحدة عضوية شاملة، فالظاهرة لها وظائف ولها مفاعيل تحدث آثارا على المجتمع أووحداته ([3]).فللانتربولوجيا خاصة غريبة للتاريخ وليس ظاهرة آدمية عامة، وهذا يعني أنها لا تؤسس كعلم مستقل إلا برفض التاريخ لعلم جامع، وإذا قبلته كأحد المسالك المعرفية الإنسانية، إن التاريخ له هدف الإدراك والفهم أساسا أما التقسيم والحكم فشيء آخر.

فالتاريخ يبحث في الشواهد، أو هو مجموع شواهد يجب أن تدرس بمناهج علمية ولكنه حاضر في الذهن قريبا في الإدراك ليس كالجماداتت أو الفيزيائيات لأن الإنسان جزء من التاريخ حيث هو آني وحاضر في الذهن حضورا متراصا يمنع من الاستخفاف والتلاعب.([4]) لذا وجدنا البعض الأكثر تطرفا في الموضوع يروا أن التاريخ لا يكون علما إلا اذا تخلص من الأنسان (ميشال فوكو). ومن الذات عند لوي ألتوسير، وهذا من المستحيلات في دراسة التاريخ، والإنسانيات عامة . فالعلم يدرس كل شيء سوى تلك الفعالية التي تجعل في التاريخ بناءا وتشييدا، تلك الفعالية أو الملكية التي تحوا المكاسب الآتية إلى ثوابت تكرس التراكم وتعمق الوعي... ([5]).

المبحث الثاني – موضوعات الأنتووبولوجيا الكولونيالية

-المطلب الأول – العرف والتقليد

يخضع المجتمع وكأي مجتمع إلى مجموعة نظم حركة ونشاط ويسير في كل عهد في التاريخ ليحقق وجوده ويثبت تكامله وينج ز استمراره ، فهذه العمليات هي التي تحقق فيه الديناميكية والتبادل والتقارب والتآلف وتقضي على التنافر والصراع، وهذا بدوره جزء من عملية بنائية متراصة

---

[1]) عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، ص101.

[2]) نفس المرجع، ص158.

[3]) نفس المرجع، ص159.

[4]) ن م س، ص368.

[5]) ع. العروي، نفس المرجع، ص 367.

للكفاح ضد الموت .النهاية واستثمار العمل العقلي في تنظيم الحياة بين الأفراد والتجمعات والمجتمعات الأخرى ورغم أن العامل اللغوي لم يكن حاجزا للتعامل و كات الدين موحدا . ولكن نبض البنية الاجتماعية التي تحتضن هذه المنابر وهذه المدونات والمسوغات التي أخرجها الأفراد والجماعات لصالح المجتمع بكامله فكما وجدنا قديما الدين هو الذي يخلق منظومة تسيير المجتمع أخلاقيا واقتصاديا وسياسيا منذ القدم فإن الدين ليس دائما نصا .جافا صلبا ، بل هو نصوص وقواعد مرنة، يمكن التكيف بها حسب العصور.

لقد حاول بوسكي **Bousquet** ، أن يشرح العمليات التي يتحكم بها المجتمع في أفراده ومعاملاته في العالم الإسلامي ، فألف كتابا حول القانون و العرف في هذه المجتمعات ، فوضع تقسيما على شكل خريطة يوضح فيها الوضع القانوني في هذا المجتمع فرأى:

1 –المنطقة المحافظة ، وهي حافظت على الشرع والنظم، الجزيرة العربية وأفغانستان وليبيا.

2 –المنطقة الثانية : ونظم مجتمعات عرف فيها الشرع بعض الإصلاحات كسوريا ويوغسلافيا ومصر.

3 –منطقة أقصي منها الشرع كتركيا ، روسيا ، وألبانيا.

4 –المنطقة الرابعة يسميها بمنطقة المجتمعات العرفية وتضم اندونيسيا ، المغرب العربي ماعدا ليبيا([1]).

إذن فالتحليل يقودنا إلى معرفة الوضع القانوني للمجتمعات الإسلامية قبل الاستعمار ، الذي هو مدونة مفاهيم ورسائل آم رة و زاجرة وأخرى محددة للوضع والكيفيات العمل والتنظيم وإنجاز المعاملات وبذلك نجد ثنائية تحكم هذه المعاملات وهي العرف ،و الشرع ، فالعرف ما اتفق عليه المجتمع حسب المصالح وحماية المجتمع من الانحراف مهما كان، والشرع هو ما جاء به النص الديني من قواعد للتحكم في المعاملات منها كيف نوعها ولكن دائما يوجد الشرع والعرف في حلقة واحدة وغالبا يكون العرف يصدره الدين وليس العكس حسب القواعد الفقهية التي جاء بها علماء الإسلام منذ الانقسام المذهبي بين المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية مع العلم أن المغرب يخضع لمذهب الاشع رية عقيدة والمالكية فقها، وإن كانت درجات التطبيق ومستويات التفاعل تبقى في اختلاف من منطقة إلى أخرى.

---

[1])– bousquet : du droit usulman

وبما أن المجتمع في بلاد المغرب كان أغلبه تجمعات بدوية بعيدة عن الحواضر ، حيث يعيش السكان في تجمعات في الخيام تنتمي الى القبيلة أو عائلة ‘واحدة كبيرة في مسافات متقاربة ، فالمدينة مثل العاصمة تلمسان ، فاس ، تونس ، بجاية ، كانت تضم جماعات متعددة من الأجناس والقبائل، وكانت مهد الحرف والتجارة في الأعمال. لهذا نجد العلماء في العصور المتأخرة ، وعاصمة بعد انطلاق الثورة الصناعية التي غيرت مجرى العلاقات الاجتماع ية وأشكال الإنتاج الاقتصادي ومستوياته الوعي الوجودي الذي وجد في أزمة مع التاريخ ونفعية الإنسان لمحيطه هكذا وجدنا المهدي ([1]) الوزاني بعرض نصوص جديدة في الفقه ،و قواعد السلوك حسب متكيفات العصر في المغرب كما نجد الونشريسي([2])يقدم نصوص أخرى نوازلا.

فالعرف كان دائما متظما للمجتمع في الأعمال ، حتى ولو لم يجد الناس النص الواضح في الدين ، فالعرف عوض القانون الحديث في المدينة والقرية والبادية بدرجات مختلفة ، وكان الدين المصدر الأول لكل عرف ، رغم تفسيرات الاستعمار المميزة بينهما الذي قسم المجتمع إلى : عرب – وبربروسكان المخزن و جماعات السيبا ومايقابلها الشرع ، العرف ([3]).فالمجتمع المغاربي كان كلا متكاملا رغم التناقضات الجزئية و الخصامات الأحاديةا أو الجماعية . من هنا فهمنا أن العرف كان نصوصا قانونية سواء شفهية محفوظة متعارف عليها ومتداولة بين الجماعات والأفراد أو ك ان مكتوبا لدى أئمة المساجد والفقهاء والقضاة ومراكز السلطة.فالقانون هو آلية تستعملها للحفاظ على الاستقرارو التلاحم القبلي في هذه المجتمعات قبل الاستعمار لاقصاء التناقض والصراع والخصام على مصالح اجتماعية ‘اقتصادية أو سياسية وخاصة الأرض‘ الزواج ‘التجارة ‘الخصرام بين الأفراد لان ذلك أليات الاستمرارية .

لذا نجد الأرض مثلا هي أصل الخصام والمنازعات وربما حتى الحرب كما قامت الحروب الصليبية والمقاومة ضد الاستعمار ، فإنها مسالة جوهرية واقتصادية أساسية في الوجود الانساني ففلسفة المكان هي عمق المخلفات الفكرية والثقافية في المجتمعات ويبقى شكل الأرض هو الذي يتضمن العرف ، ينتج نصوصه حيث هناك الأرض المزروعة ، الارض المرعى ، وأرض للإقامة ، وكل هذه الصور في

---

[1])–المهدي الوزاني ، النوازل.

[2])– أبو يحي عباس الونشريسي ، المعيار المعرب في الجامع المغرب.

[3])– رحمة بورقية ‘ العرف و العلماء ‘في عبد القادر جغلول ‘الانتيلجانسيا في المغرب العربي ، د.الحداثة، بيروت ، ط1، 1984

الأرض يمكن أن تكون خطرا على القبيلة أو العائلة في أي وقت .فاستغلال الأرض مثلا يلبي الحاجيات الضرورية التي تكفي السنة ولا يسمح بوجود الفائض....."([1]).

فالأرض الفلاحية المستعملة كانت غالبا في صورة متعددة ،إما استغلال عائلي لشخص واحد وعائلته ، أو استثمار قبلي لكل القبيلة وهي ورث قبلي ، وربما استثمار سلفي لعائلات عديدة في جد واحد وأخيرا ربما تكون على شكل حبوس وأوقاف تاب عة للمسجد أو لجماعة كلها أو لمدرسة قرآنية وغيرها ، ليس لها مالك معين، وإنما يمكن استخدام عمالا فيها لصالح تلك الهيئات ، أو يستغلها الفرد الواحد لصالحه ، إنتاجا فقط لمدة معينة بقبول الجامعة والهيئات المكلفة بورثها .وهن مربض الفرس لسياسة الاستعمار التفكيكية . بينما نجد القطع الصغيرة غالبا ما يخدمها صاحبها ، فإن القطع الكبيرة ، نجد فيها توظيف عمال مستخدمين في طرق عديدة ورثها العرف الاجتماعي- الاقتصادي منذ القديم وخاصة منذ وضع ترتيب الفقه الإسلامي وتصنيفه ثم الاجتهادالذي كيف العصر مع الاحداث ،رغم اختلاف الاصطلاحات لذا نجد([2])و هي من اساليب الاقتصاد الاسلامي .

1 -الخماس: هو الذي يأخذ خمس (1/5) منتوج الأرض.

2 -رباع: هو الذي يأخذ ربع (1/4) المفتوح.

3 -أمقاطع: وهو الذي يأخذ حسب بذل جهده وحسب ما إتفق عليه مع المالك وهناك طرق أخرى لمعاملة العامل منها.

وهناك طرق المساقات والمزارعة و المرابحة والمشاركة ، وهي نوع من التبادل النفعي بين العامل والمالك .والتي نظام الإقتصادالإسلامي .لأن الفائدة العملية من هذه التقسيمات ، توحيد ملكية الأرض و نظم التسيير حتى يكون العرف قانونا متحكما وبالتالي يسود التلاحم الاجتماعي والتماسك القبلي الذي يحفظ التوازن والاستمرار الواضح للأفراد رغم التناقضات التي يمكن أ ن توجد في الروابط الاجتماعية ، فالأرض أساس استراتيجي يوضح الانتماء السياسي والتقاليد المتحكمة بوضع الانتماء القبلي ويسهل حل النزاعات ويحكم روابط الالفة للمجتمع ..

فالأرض واقعا التي كانت تسمى بذلك هي بعض من الجبل والسهل ، فالأول وجدنا فيها غالبا في الجزائر والمغرب في منطقة القبائل وتستغل مقاطع من مستوياته الدنيا للفلاحة والرعي والتجمع

---

[1])--نفس المرجع السابق ، ص122.

[2]) - رحمة بورقية ،ن م س

التجاري أما في السهل فنجد غالبا مراكز السلطة والسلطان وحيث تتكثف الزراعة ورجال المخزن هيئاته المقررة وقد كان الجبل دائما فاصل بين الحدود بين الأملاك التي تنتمي لهذه القبيلة الأخرى، بالتالي كان حاجز طبيعيا جغرافيا واضحا بمدونة تقسيم وتنظيم اجتماعي خارق للعادة يساعد على التلاحم الاجتماعي وعدم النزاع. لهذا كانت الأرض مسالة خطيرة ، حيث لا يمكن الاعتراف بالم لكية إلا بجمع 50 شاهدا باليمين مثلا في قبائل زمور في المغرب[1] أي بنفس عدد شهود حادثة القتل ولذا يلاحظ أن الملكية كانت مركزة على أرض الفلاحة والصيد ومقاطع الطريق التجاري بينما بقت الغابات المراعي البعيدة عن الحركة ملكا عموميا مشاعا غالبا. ويبقى العرف الذي تطقه الجماعة هو الذي يحكم تسيير هذه المواقع والعمل بها أما بشكل عائلي أو فردي أو ملك وحبوس وأوقاف لخدمة الصالح العام .

" فعلى الرغم من وجود السلطة المخولة لرب العائلة ، والتي تعطيه كثيرا من الامتيازات يجد هذا الأخير نفسه مقيدا عندما يتعلق الأمر بالأرض إذ ليست له الحرية المطلقة في التصرف التي تخول له وضعه الحق المبدئي والعملي لتسيير الممتلكات العائلية إلا أن العرف لهذا الحق محدودا فيما يخص مسألة الأرض التي يجب أن تبقى شركة عائلية...."([2])

المطلب الثاني التقاليد و الحياة اليومية في الأنتروبولوجياالكولونيالية

لقد أكدت الأبحاث التاريخية و الظروف الصعبة التي ان يعيشها و خاصة في الجنوب الخاضعة لتقلبات الجو و المناخ و لأحوال التجار ، و ذالك ماهو معلن كثيرا في الوثائق الرسمية الفرنسية في الاحصائيات ([3]) .فركز على التركيب الاجتماعي وبعض أعمال و أخلاق و التي تبدو غريبة عنه ‘و لكنها راسخة لدى الاهالي من خلال التراث الاسلامي .فالولدأنثى أم ذكرا ‘تربيه أمه و تكبره في فترة الصغر قبل البلوغ و المرأة لها أن تعمل أيضا ‘في الفلاحة و صناعة النسيج و غيرهاو الزواج من أربع زوجات هي حالة عادية بينما وجدناها عاد جاردون شيئا م ثيرا .ان محاولة جاردون مقاربة لم يفهم مرجعيتها ‘بأن المنطقة كان هناك لاختلاف المذهبي بين الأباضية و المالكية و التزاوج اللغوي الأمازيغي –العربي‘ في حين كان الاتجاه التبشسري هو الغالب في بحثه مع هدف واضح للهيمنة الاستعمارية الثقافية و الاجتماعية حتى في أمور العمل .العائلي و طرق الغذاء و الزواج ‘حيث كان الأهالي يرفضون

---

[1])– رحمة بورقية ، المرجع السابق، ص123.

[2])– نفس المرجع السابق، ص124.

[3] – أبو القاسم سعدالله تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت 1992

الزواج لدى القايد المرتبط بالادارة الفرنسية ‘بل كانوا يلجؤون الى الامام في المسجد ‘كما توارثوا عن أباءهم ليعقدوا زيجاتهم ([1])

لقد جعل جاردون **Maurice jardon** أن العرب سراق الفلة من التمور و الخضا ر و الفواكه ‘و أهل ورقلة منتجون عاملون ‘حيث اختفى التعاون و التضامن الاسلامي الذي تكون عبر مراحل التاريخ الاسلامي و الذي كان سنة وطلوبة بين المسلمين كما يذكر أن القبائل المجاورة تتنقل بين المناطق حسب المواسم لتضمن الغذاء و الماء لمواشيها . و تخزنها للشتاء و ترحل بعيدا .و كان هناك ملاك ملاك الأرض لهم عمالا يأتوم من مناطق مجاورة ‘لأنهم لا يقيمون جنب تلك الأراضر الفلاحية ال مرحلة جني الغلة .وكانت في رحلة لمواشيها الغذاء بعد الحصاد و كانت تقترب الى مواقع الانتاج صيفا لتشتري المنتوجات .

لقد وجدنا أن العرب كانوا يستولون ليلا و خفية على التمر في الخريف يخلق النزاع القبلي و العرقي ‘بينما كان هو شخصيا يدفع أصحابه و مدعيه الى مخالطة ‘أهل ورقلة كما يفهم هو ‘بينما يحاول فصل العرب عن القضية الوطن و الأرض .‘و الهدف واضح .([2])وقد فاض قلم جاردون عن وعاءه ليجعل الاكل مضحكة لـلجميع لمستمعيه و قارئي مقالاته ‘فجعل العرب أكلة الجراد ولم لا ،،،، ولكنه لم يكن يعلم أن الجراد حشرة نباتية للطب الشعبي .و التمر كنز الأرض و قوة الفرسان .و طرق الأكل خاضعة لكل حال ،والعمل في و الحرف و البناء التقليدي و البساتين من صفة هذا المجتمع و يتحكم فيها ظروف الواقع المناخي و الفلاحي و التفاهم مع المالكين .

وهنا يجب أن يعلم أن الجزائر كانت تصدر القمح الى فرنسا قبل الاستعمار و بعده و حتى الخضروات و الحيان الأخرى من الشمال الجزائري بينما في الجنوب كانت العلاقة فردية أو قبلية أو اقطاعية ‘و كانت معاشية في كميتها ‘و كان يقودها بني ميزاب في غرداية و ورقلة ‘و زناتة في الجنوب الغربي ‘حول بشار و أدرار ‘أما العرب في الهضاب بين الصحراء و التل ‘حسب التجمعات القبلية و العائلية .

---

[1] –جاردون ،م، ص10‘في ، لخضر شريط ، في الثقافة و المعامل الاستعماري – ط– كنوز الامة –ط 2007 المعامل الاستعماري ص 26/20

[2] – شريط لخضر ، الغزو الاستعماري و المعامل الثقافي ‘م س ص/37 و عن جاردون ص 26

اذن هل يمكن للاستشراق الفكر العلمي ‘أن يتحول الى أنتروبولوجيا ‘استهتارية في بلاد التـأنسن المبكر ....منذ دخول الاسلام في الأخلاق و السلوك و التعامل مع الوجود ‘حتى في طقوس الجنازة .([1])

حيث كان دفن الموتى و معاملة الحيوان و التجارة التي تخضع للواقع و الأهداف و مصالح الأمة ودفع الضرر طبق اجماع العلماء .مع ملاحظة أن الاختلافات الشكلية ،لم تكن تعني سوى رمزية الاختلاف الجمعي ،و ليس الاختلاف المذهبي ،لأن المعجم السلوكي و الاصطلاحي ،و حد الأفكار ضمن مدونة الاسلامي ،أما اللغة فكانت وسيلة تواصل علمي و ثقافي في كل البلاد الاسلامية .

ويبدو أن الإختزالية و التقليصية هي النزعة الغالبة على الاطروحات ال كولونيالية التي غذت ومررت التدفق التمثلي للمجتمع الجزائري و الإسلامي عامة لدى المفكرين و الباحثين الإستعماريين الذين أفسدو التاريخ و المعرفة النابعة من المخيلة المحلية ومسخوا التاريخ المحلي بالتاج المركزي المتعالي .وهذا ما نكتشفه تبعا للبحث الانتروبولو جي المتواصل للسيد **M.JARDON** الذي تميز بالاسقاط البدائي على كافة الجماعات السكانية البشرية فان الواقع كان مجرد دفع ايديولوجي للازدراء و التحقيير لكي يسهل الاحتلال و الاستعمار و النشر التبشيري الحديث عن طريق الطمس و الاحتواء منذ كشف لنا ارنست رينان عن نياته في كتبه و افكاره الاستشراقية و الفلسفة الاستعمارية الممنهجة بكل ذكاء وكل ترتيب مما ان غلطة الاستعمار كانت واردة و لامراء فيها .

وهذا مامكن البحث الوطني اليوم اكتشافه من خلال بعض القراءات لذا نجد كتاب موريس جاردون و الذي تم تاليفه باللغة البربرية و قد كان عبارة فقط عن وصف اجتماعي وثقافي للمنطقة و للناس و لكن بلغة الازدراء و الاحتقار التي غلبت على العرض في النص المنشور ([2]) . لذانجد ان هذا البحث اتصف بالاختزال و التعميم على الثقافة افعالا لاتمثل سوى فسيفساء للظواهر الثقافية لدى المواطن الجزائري في ظل قبضة الاستعمار عليه فقد جعل الكتب الجنازة و حيوان الحمار مهزلة و مسخرة و حتى طريق الاكل و النخيل و كأنها اشياء مضحكة بينما انها ظواهر عادية للعيش و الاستمرار و هي عمق التصور الفلسفي و الحركي للثقافة الجزائرية المحلية كما نجده يتكلم عن الزواج في ورقلة وهو كتاب طويل و موسع . في هذا المؤلف نجده يحاول فهم اليات تكون الطبقات وتوزيع الربح التجاري وطبقة عمال

---

[1]) --لخضر‘ ش \المرجع السابق ص44

[2])- لخضر شريط في الثقافة و المعامل الاستعماري –ط- كنوز الامة –ط 2007 /-ص 29عن م جاردون –ورقلة

البساتين الذي سوف يخلقون فئة خاصة بين الادارة و العسكر في انه يقول انهم ليسوا عربا و منه يسقط كل اوضاع العرب والجزائر و الاهالي على بعض الفئات و العائلات التي تختلف حسب تراثها ([1]).

المطلب الثالث – المصطلحات الطرقية :

لقد كانت أغلب المفاهيم الدينية التقليدية ،ترجع إلى السنة والحديث ، وأهداف عليها علماء الاجتهاد والإجماع مصطلحات جديدة تعطى الفراغ الذي يمكن البعض من التسلسل إلى فلسفات جديدة وسلوكات غريبة عن الدين .لهذا حدثت التغذية الايبستمولوجية الكثيفة للإسلام عن طريق النص الشرعي والنص الاجتماعي بفضل العلماء من السنة والمتكلمة والصوفية ، كل واحد حسب مراجعه التي لا تقوض النص لأصلي والعقائد الأساسية التي تخرج من الدين لكن يكيفها حسب الحاجة.

لهذا اكتسب مفهوم ، العلم ، المعرفة ، القرب ، الحلف ، العهد ، الصدق ، الكشف ، المجاهدة ‘السمو وغيرها معاني جديدة ، ومقاربات تقود فلسفة الدين أكثر وتختلط بالفضاء الفلسفي في نفس الوقت لكي يجدد نفسها وتحفظ استمرارها في المجال الفكري والاجتماعي السائد .لقد ساهم الفكر الصوفي في خلق طبقه جديدة من العلماء لا يندرجون ضمن التصنيف الفلسفي للمتكلمين الذي يعرض ثلاثة نماذج وهي العامة و خاصة العامة وخاصة الخاصة ، ولكن هناك جبهة جديدة تتعالى عن الوصف العادي ، وبعيدة عن علوم الموجودات المادية والفكرية ، بل هم رجال رؤيا ميتافيزيقية لها حججها وبراهي نها كما ترى تلك الفئة حسب خبرتها ونحن لانتمكن من ذلك ‘وإن كانت تحتاج إلى الإقناع.

لأن الغموض والرمزية العميقة التي عملت بها ، ورصدت معارفها بها وعن مناهجها لا تعبر عن درجة العلمية التي وصلت إليها. إن المعلم والأستاذ والإمام، هو الذي تحول في القرب التاسع عشر إلى الأمير والشيخ المقاوم من خلال فلسفة الدين والدنيا، بعد أن كان شيخا روحيا أصبح من صناع ، العهد ، الإيماني مع الأمة حول قضاياها الاجتماعية والسياسية بفضل حلف الصادقين وعهد الموثوقين من طرف نخبة الأمة والتي توجها العلم الإلهي بالأمور ، التي قدمت الثوقة بالنفس مهما كان الحال ، إذن مهما كان الاستعمار قوي قوى بصناعته وأسلحته وعلومه التقنية و الانسانية .بذلك مهدت حلقة العلم الصوفية إلى تنظيم اجتماعي هو القوم التي يجمعها العلم والعمل والطقوس والأهداف ضمن الفضاء الاجتماعي وليس

---

[1]– لخضر شريط –ن م س –عن **((5BOP)–M–JARDON–MARIAGE A OURGLA**

ميتافيزيقيا دائما . لأن المقصد الصوفي هو ترضية الله والجهاد هو فعل ضمن الفعل الصوفي ، ولكنه عمل اجتماعي سياسي.إن هؤلاء القوم الصوفية التي تكونت بالعهد والثقة كونت جماعة كأنها جماعة من أهل الخمريات الرمزية الصوفية التي تكلم بها الأمير الشيخ بوعمامة تبعا لنصوص ابن عربي وابن الفارض و عبد القدر الجيلالي والرومي وغيرهم.

إن الكلام عن السلسلة الصوفية للعلماء الذين اتبعها آخرهم توضح بطريقة منتظمة تعاقب الطبقات والأجيال ضمن فلسفة مشتركة وتقاليد موحدة خلقها الخوف الإلهي والإيمان الوجودي لدى الإتجاه الواحد رغم تعدد طرق التصوف ومصادرها. إن كبار الصوفية الأوائل كانوا دائما شيوخ الحكمة أو العلم الإلهي أو اللدني ترجع دائما إلى القائمة الأولية الاسلامية للدين وهي محمد صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعلي وعثمان ، فالرسالة التي وصلت إلى آخر الأشياخ تعد رسالة مصدرة قبلا ، لا يمكن التغيير فيها سوى ما غيره علماء الشيعة عن الخليفة على رضي الله عنه ، فالوحي عند الرسول صلى الله عليه وسلم أصبح الإلهام عند الصوفية ، وهو ينتقل من شيخ إلى شيخ حسب درجة الولاية وحالتها عنده في مجتمع عصره.وهذا ما وظفه الصوفية في الثورة و المقاومة . إن أغلب الصوفية السنة ، يرجعوا إلى محمد – ص– مباشرة وعلي رضي الله عنه في المصادر الصحيحة والأولى بالاستناد من الحسن والحسين أوالامام الحسن البصري وبعده ،

الحبيب العجمي (156 هـ) ثم داوود الطاقي (165 هـ) ثم معروف الكرخي (200 هـ) وبعدهم السر اسقطي (253 هـ) ، أبو لقاسم الجنيد (298 هـ) أبو محمد الجريري (332 هـ) ، أبو طالب المكي (386 هـ) ، أبو المعاطي الجويني (478 هـ) أبو حامد الغزالي (505 هـ) ، أبو بكر يحي بن العربي ، أبو الحسن علي بن حرزهم (559 هـ) أبو يعزي (572 هـ) أبومدين شعيب (599 هـ) المداني أبوزيد – وأبو أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد بن سيد بونو الخزاغي ([1]) (544 هـ) والذي عاش فترة عز الأندلس ، وهو تلميذ أبو مدين شعيب وابن حرزهم ، وقد أسس زاوية في إسبانيا في قسنطينة الاسبانية قرب فالنسيا ثم غرناطة 1332 م 2733.ثم عبد السلام بن مشيش ، ثم أبو الحسن الشاذلي ثم أبو العباس المرسي (1287 م) وابن عطاء الله الإسكندري (1304 م) ثم الشيخ الفرافي ثم الحضرمي وزروق البرنوسي الفاسي (1493 م) وأخيرا الشيخ أحمد المليانى (1525 م) (934 م)([2]).وهذه السلسلة

---

[1] Milad aissa ,,El Yakouta poèmes mystique .s n e d alger –.1982 .p126–

[2] –Milad aissa al– Yakouta poèmes mystique, sned alger– 1982 .p120

لا تختلف كثيرا عن التطور العادي والسني للصوفية في كل مكان وخاصة قبل درجة أبو الحسن الشاذلي الذي يكون بعده طريقة جديدة تسمى الشاذلية ، والتي يعترف بنفسه أنه تلميذ عبد السلام بن مشيش ولكنه أرجع مصدره للخلفاء الأربعة وملائكة الله المعروفين.مع العلم أن القادرية تجمع كل العلماء السابقين بسنة الله ،مع خرجات صوفية لم يتمكن التحكم فيها حتى من شيوخ الصوفية القادرية و فك رموزها .

وطبق القاموس الاصطلاحي الصوفية فإن مجمل وأشهر المصطلحات هي مفردات قرآنية وروحانية عميقة المقاصد والدلالات و .محايثة للعقل والفكر الصوفي وهي :لأن التصوف و الزهد رزق و حياة . ;وقد ترك لنا الشيخ أحمد الفاسي زروق ذلك ‘في كتابه "قواعد التصوف " و لكن عموما نجد ,مصطلحات عديدة تؤدي للمعنى الصوفي وترمز للمقاومة .ومن كل ذلك يتكرس مفهوم الجهاد كمصطلح أساسي في الإسلام و الصوفية.

القرب : مفهوم الخراز الذي اشتهر من صوفية بغداد د فين القاهرة (899 م / 286 هـ)([1]).

1 – القرب المقربون

2 –القوم([2]): أهل الإرشاد الروحي

3 –التآسي([3])

4 –الحلف: عهد تضامن وحدة وثقة.

5 –العلم الإلهي([4]): معرفة أسرار الكون.

6 –العطيه: ....من الله.

7 –الشوق

8 –الفكر

9 –الذكر،التصويت بجمل الدالة للايمان واستظهار الحديث النبوي المناسب .

10 – العبرة:أخذ المثال من الشخص الاخر و الفعل الاخر

---

[1] – ben maarouf(m) , taj al yakout ,in milad aissa, El–yaqouta de sidi –cheikh() p10.

[2]– المحاسبي: كتاب الوصايا، (857م –243هـ).

[3]– ابن الخطيب لسان الدين (776)تعليق حول قصيدة الشوشري (668 هـ)

[4]– ابن عربي (638 هـ) الفتوحات المكية

11 – المحبة : المحبة الإلهية والتقرب ([1])عند الحلا ج وابن القارض والونشريسي أو رابعة العدوية ومعروف الكرخي و المكي.

12 – الشيخ: المعلم

13 – العالم الألوهي: الواسعي

14 – العالم الروحي: الإلهيات

15 – الحلقة الصوفية: جماعة مريدين طريقة معينة.

16 – المقام: محطة الانتقال الصوفي إلى التماهي وهو الحلول في الآخر – عند البعض.

17 – سكرة: اللاوعي الصوفي من درجة التحول إلى درجة عليا من الروحيات والتماهي.

18 – الإفاقة ' حالة بعد دخول العالم الآخر متعالي من معرفة الله.

19 – الفناء: هو درجات ثلاث فناء في الأفعال فناء في الصفات وفناء في الذات.

20 – الجوهرة: وهي حقيقة الموجود السامي الأوحد.

21 – الخلافة : هي صفة من خاصي ة قطب الأولياء – ومن شروط لإنسان الكامل عند ابن العربي والرومي جلال الدين.

22 – البقاء : الاستمرارية والتي عند جعفر الصادق الإمام الشيعي (148 هـ) والذي يحقق حالة الصوفي وحالته سم وه المتصلة بالله بعد الفناء ، وتعبر الهوية ([2]) ، وليس حياة الدنيا الواقعية . وهذا ما نجده أيضا عند الخراز صوفي بغداد وما تعلنه الدرقاوية على يد ابن عجيبة في المعراج.

23 – الغياب: هي مرحلة الفناء والبقاء والتماهي أو هي استلاب الهوية.

24 – الحضرة: الحضور في هوية أخرى مع الوجود الآخر بالذكر و التأمل في خلق الله .

25 – المناجاة: حسب السكندري في الحكم كلام سري مع الله.

26 – عين البصيرة: نظرة لعدم أما م الله بعمق داخلي جوهري.

27 – الأحوال مرتبطة بالمقام وصعود إلى المقام الأعلى والتماهي حسب ذي النون المصري (245 هـ) وحسب منظري الصوفية ، القشيري (465 هـ) ' السراج، ومراحل طريق الصوفي إلى الله . بفضل تعبد وزهد متتابع لله وحده .

28 – المنازل:وهو رمز بمعنى الأحوال.

---

[1]– الحلاج، أخبار الحلاج ، من طرف ,لويس ماسينيوس ، باريس 1975.

[2] –l.gardet , experience de soi,in , anawati / gardet ,mystique musulunane

29 – المدارج: وهي درجات تحول الصوفية بالمراتب المتسلسلة.

30 – السالك: وهي كناية عن العابد الصوفي المتدرج و يبدأ ينتقل إلى الوجود الآخر.

والملاحظ أن هذه المفاهيم فعلت فعلها في شكل تغذية رجعية وتنميط وجودي متكامل وتأثيري قوي وأعطت دفع ثوري وحيوي و سياسي بصير بالحياة و المصير فكانت الثورة.

المطلب الرابع – الثقافة و اللغة

ارتبطت المدرسة الاستعمارية بجملة أهداف ومقاصد لمعرفة الشرق وبلاد المغرب لتكرس الإحتواء الاجتماعي و السياسي و كانت متميزة بالتحيز و عدم الموضوعية ، خاصة بالدين اللغة و التقاليد ,.كما وجهت وكرست دراساتها غالبا على مناطق البربر والاوراس وميزاب ، لتنسف فيهم المقبرة الانتربولوجية بينما هم بعيدون عنها كل البعد حيث لهم ثقافتهم وتراثهم الخاص بالاضافة الى الاندماج الغربي والاسلامي الدي اهتدوا اليه مند القرون الاولى للفت ح الاسلامي فكانت محاولة علمية معرفية مهترئة اكدتها ثقافة الجهاد والمقاومة لاحقا مع الزعماء و الصلحاء . لقد كانت محاولة لبث التنوع المتفارق على المغرب الاسلامي عامة من المنطق العسكري محاولة منها في نشر الانقسامية في التنوع السكاني والتي رفضها الباحث السوسيولوجي من بعد دالك في عامتها. وقد ظهر تكريس ذلك مع سياسة الظهير البربري التي ظهرت بعد ذلك بصفة رسمية.

لقد فهم الاستعمار بعد مرحلة من الدخول والمقاربة ،ان الشعب المحلى فهم المناورة ، فتحركت مقاومة اخرى سياسية سلمية ، في المدن وداخل سلطة الاحتلال (مجالس وبرلمان...) ،وكانت مقاومات اخرى بفضل مثقفين جدد من الاهالي بثقافة فرنسية وهدا الدليل العلمي من خلال الاحصائيات او المنوغرافيات حول البشر والارض والمال وقام شارل جونار **charles junar** ببعض اصلاحات ثقافية ظهرت في الجزائرومن خلالها عدة صحف و جرائد .عمر بن قدور ،عمر راسم،البجاوي،الونيسي.والمجاوي.....

وتم استعمال العربية فيها و تضمننت نشر القيم اسلامية . مند 1920 وبداية ظهور حركة النخبة و الحركة السياسية الوطنية او المقاومة السلمية والثقافية . وجاءت مسلحة من المشرق والمغرب ، ومن الازهر ، والقرويين والزيتونة لبعث ثقافي علمى جديد في الجزائر ،بعد مساهمة قديرة منهم في بلاد الاخوة العرب علما ان الجزائر قبل1830 كان فيها 117 مسجدا في العاصمة وحدها وتدرس اللغة العربية و العلوم وكانت من طراز عمران موروسكي وعثماني .و يرى ديماس أنه : كان هناك زوايا تقوم بنفس

الدور ،اضافة الى دالك ،منضمة اليها أومستقلة بعيدة المكان ،وكان هناك خلط ديمغرافي :بعد ادماج الاجانب في حياة اليومية للجزائريين في المدن و الارياف بصفة سكان او عمال بصفة دائمة او مؤقتة . مع ملاحظة الهجرة العلمية نحو المشرق و تونس و المغرب .

رأى جاك بيرك ان ابن خلدون ميزبين انسان القلة عن انسان الكثرة كأول واحد بعد الاغريق فالشخص بسيط والعالم مركب قبل ان يصبح شخصا ومن هنا فان المجتمعات تتحرك في مكاتها فيما بين الاثنين ...)لان الثقافة هي حركية المجتمع التي يبحث من خلالها عن معاني وعن عبارة ....) بينما في المفهوم الانجلوسكسوني ..(مستعملات ومؤسسات واشارات ...) بينما بيرك كان يبشر بالعولمة فالمجتمع فعال ومنفعل من الثقافي)فلا يوجد مجتمع واحد منا وهو محيط بنا....) ([1]).

[1])-الأخضر شريط ،في المعامل الاستعماري والغزو الثقافي م س ص 61/60

الفصل الثاني أطروحات المقاربة الثولونيالية

تمهيد

لم يتوان الباحث الاستعماري عن حقائق ومميزات المجتمع ألمغاربي – بل دقق وعمق دراساته من كافة الجوانب الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية وحتى الحياة اليومية بسفاهتها أحيانا . كما فعل جاردون – و الذي حول رومانسية ميشلي الى اشمئزازية نيتشه– في ورقلة حول الأكل و اللباس ,,,,,لقد نبش الفكر الاستعماري في فلسفة الحياة وأعماق الرؤى والتصورات والآداب الشعبية بما فيها الشعر الشعبي والأمثال كما ركز كما نرى على تمظهرات المجتمع فرديا وجماعيا وقبليا، ودرس مسار التعامل الاقتصادي بين الجماعات والأفراد.والتمايزات الثقافية .

المبحث الأول المقاربة الكولونيالية للميدان

المطلب الأول مصادر البحث الكولونيالي

وذالك ما نجدهمن خلال الوصف الذي نجده عند جاك بيرك **berques** – كما وثقه نجيب بوطالب قد رأى أن البحث الكولونيالي كان رومانسيا " " وذلك ما معناه قائم على المشاعرو الوجدانية رغم إن له طابع نقدي فحصي يدعى العلمية .وهذا كان واضحا في الأعمال الأولى و لكنه تحول الى الى الميدان و الواقع فيما بعد ذلك .ولكن في رأينا نحن في الجزائر ضحية الإسقاط الفكري الأجنبي ' فهل يمكن إن نرى دالك الرومانسية ذات نزعة عاطفية وتعاونية مع هدا المجتمع ؟ لقد اتصرفت هذه المدرسة أتجاها جديدا في الاتتربولوجيا،لأنها استفادت كثيرا من الدراسات الاتنولوجية السابقة عند بواس فرانتز،و جيمس فريزر، و تايلور، و غيرهم .لذلك كونت فهم تجزيئي للمجتمع ، و طبق مؤثرات البحوث الانجلوسكسونية 'و علم الاجتماع السياسي لذا تميزت الانقساميةفي المدرسة الكولونيالية في سياق البث ،و المنطلقات العملية.فخرجت لصيغ نظرية مميزة و استعملت أدوات آخرى.

لذا ساهم كل من رينان و باسي في الإستشراق ولوتورنو و هانوتو في لإرساء المقدمات التاريخية و المنهجية .و ساهم جاك ببرك **j.b** وجورج بالوندي **j.B** في نقد الفكر الانتربيولوجي ألاستعماري وخاصة بعد الاستقلال ،حيث برهن الرجل المغربي بعد حريته، على نفاد فكره وصفاء عقله وعقلانية فعله وتنظيمه، رغم ان الفكر الاستشراقي كان متواصلا مند ,قبل الاستعمار وقبلها الحروب الصليبية . لقد بدأت الدراسات حول المجتمع المغاربي بعد الأ مر لكتابة تقارير و توصيات المجتمعات و الم ناطق و الأهالي في منهج تاريخي و جغرافي و أتنولوجي من طرف الضباط و الكتاب المكلفين بذالك ، وبعض

مبشري الكنيسة الصحفيين و الزوار من الدول الأخرى . و قد أوجدت تلك التقارير مفاهيم ومصطلحات خاصة ذات روح استعمارية و غريبة لا تقترب غالبا من المجتمع المحلي في لغته واعماق الدلالات المحلية .فكونت تلك التقارير قاموسا استعماريا بعكس تلك النظرة الإستعلائية من المصنع على المستهلك !ذات الصبغة الإحتوائية الهادفة بالمنطق الكولونيالي العسكري والسياسي من جهة و التوغل الإجتماعي حسب أهداف الرؤيا انقسامية .

فكانت مصادر البحث هي الأتنولوجيا الكلاسكية والتاريخ الإجتماعي مع ملاحظة عدم خبرة منهجية و لا نظرية في البحوث لعدم خبرة المقررين حول مجمل الظواهر .و تميزات التقارير بعدم وجود هدف علمي([1]) . بل كان سياسيا و إداريا و عسكريا فقط ,,,, لقد ترك بعض من البحثة 67 بحثا معنونا في المغرب الأقصى و الكثير حول الجزائر و تونس وقليل حول ليبيا .و قد اشتهر كاهو معروف، هانوتو و لوتورنو ، و قوتي و كاريت **carett** ، و بيليسي ،و مونتاني و مونيي في خلق برنامج منظر لعم الإجتماع الجزائري عام 1930 ، لكنه بصبغة الطرح الثقافي حول مظاهر القدامةَ **Archaiisme** كما نرى نحن، لأنه يضع الأهالي المستعمرين في مراكز البدائية الإنسانية المنحطة.

ومن ذالك كانت الكولونيالية كمباحث أولية هي نفسها النظرية الانقسامية في شطر الكولونيالية الثاني ، كما يرى روني قاليسو . وقد حاول البعض إعطاء صورة أخرى للبحث فعرض ورقة علم الاجتماع الأهالي كما قدم الباحث **sabatier** في إحدى المؤتمرات([2])

وكان المنهج الاستعماري قائما على الفكرالاستعماري في التقارير الادارية والدينية والعسكرية مع عرض معطيات وبيانات خاطئة ومتناقصة احيانا . انتهجت المقابلات الشفهية والملاحظة المشاركة ودراسة الحالات مع المقاربة التاريخية والواقعية الجارية كما بحث ما سكيراى، هانوتو، ولوتورنو....

أما فرضيات النظرية فيرى البعض من هؤلاء أن السكان المستقرين أقل رفضا للاستعمار ، والواقع يؤسس وجود / عرب – بربر. مما يؤكد الانقسامية وطرحت فكرة جمود تخلف ألبدو وتطور الحضر عنهم الدين ينشطون في الجبال في الزراعة خاصة منهم البربر بينما العرب يعيشون في تنقل و رعي ،ويحكم

---

[1] Abd elkebir ,khatibi,bilan de la sociologie du maroc ,bull–eco–soc du maroc,1967–p75 in Marx.1967.p5in بوطالب نجيب ، القبيلة في المجتمع المعرب العربي ، –ص34

[2]Giani albergoni ,: etnologie et politique au maghreb 5ju.1975 cahier suisse n°2paris ed–(angent)

الجماعات تحالافات مدمرة بصيغة اللف او الصف او الغزوة والحركة ([1])او جمهوريات بربرية وديمقراطية حسب مونتاني([2])

المطلب الثاني الاصطلاحات الاساسية للمدرسة الاستعمارية:

لإن البحث عن المفاهيم و تكريس المصطلحات هو المميز بين علمين ، من خلال المقاربة التي ترى ان الانتريولوجيا تمتزج مع التاريخ في تفهم المجتمع رغم فاصلة الزمن التي تفرقهما .فلمفاهيم لبمستوحاة من المركزية الأوروبيةِ مثل التخلف و الوحشية و التقليدية والإنقسامية و السيبا و التضامن هي من صنع الأنتروبولوجياو المخيال الغربي على الأخر . وهي مفاه يم سوسيو–أنتروبولوجية وبذالك يهدف كل واحد منهما دراسة لا تعتزل الافعال والأقوال عن سياقها وحواملها المتشابكة " فالتاريخ تبرز ظواه ره القديمة ، في الحاضر . لذا كانت الانقسامية كما يرى منذر الكيلاني ‘عن بوطالب ‘ مظهرا من دلك ، بحيث لها تراكما تاريخيا" ([1]) متعاقب ابرز اثارة في عهد الدراسات الاستعمارية وخاصة بدايات الاستعمار . من دالك وجدنا العروي يرى ان "الانقسامية مفرطة وغير ملا ئمة ، ضعيفة لأنها شكلانية وتفقد القدرة على التفسير ... و ولا تعرف حقيقة القبيلة وتناقضها في دراسته ‘نقد الاطروحة الانقسامية.

أما غلنر **GILNER** فيري من اجل تبريره الاديولوجي، ان القبائل تمثل تهديدا للمخزن " مرتكزا على نظريته التي ترى وجود هامش من السكان و مركز أو مخزن وسيبا . لقد حاول غلنر في كتابه ‘صلحاء الأطلس ‘تطبيق افكاره على كافة جماعات المغرب العربي ولكنه صدمه الواقع فكانت نظريته باهتة ، حيث يحكم الثابت مع التاريخ ان التعاون الاجتماعي والتآزر الذي لدى ظهر جماعات الغرب العربي مادام عهدا طويلا ولم يتكسر حتى اليوم فهناك تعامل وتكامل بين جماعات المركز او المخزن السلطاني والهامش والطرف الشعبي ، مع الملاحظة ان حتى المخزن هي جماعات شعبية تخدم السلطان او منظمة اليه بكل رضى وقبلية بدون تشنج .إلا انه يجب فهم الفارق بين الجزائر والمغرب وتونس حيث يتميز المغرب بانقس امية واضحة ، حسب غلنر وحتى حسب نجيب الباحث بوطالب في اطروحته ([3]) الاجتماعية ‘كما ان هناك من يرى انه لا يمكن فهم المجتمع من خلال علاقات دموية وابوية ، فالقرابة

---

[1]) –بوطالب ن ,القبيلة في المغرب العربي– م س –ص 36

–

[2])– بوطالب م س ص37

[3] نجيب بو طالب سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي ..م س–ص44–45

والنسب ... لايستطعان وحدهما تفسير التاريخ القبلي سياسيا ، واقتصاديا ...عكس ما ترى لوسي فالورسي ([1]) الذي بحث في انثروبولوجيا تونس اكثر من غيره .

فالانقسامية مفهوم هي نظرية قدمها غلنز ارنست **E.GILner** تقضى بوجد قسمين في المجتمع المغربيس هما الهامش او السكان الجبال ، الجماعات المنع المنعزلة عن السلطة ومؤيدي الحكم والتي يخضع لقوانين الحكم واجبا وحقا . كما هناك من يرى انشطار القبيلة الى اقسام جزئية نهايتها العائلة.وقد طرحت هذه المدرسة توصيفات على المجتمع العربي و الاسلامي طبق الا فكار الانقسامية التأسيسية لها و هي :

- المجتمع العربي له صفات المجتمع الانقسامي .

هده الانقسامية لها حرفة متدرجة حسب الجسم والقوة تنطبق في تنضميات متفاوتة الحجم وتتزايد في الفرد عا ان المجتمع العربي يتميز بظاهرة الانتشار ، في حالة توازن المجتمع والظاهرة الانشطار ، في حالة خطر والاضطراب – بينما يظهر الانشطار في حالة سلم وهدوء المجتمع وبداية صراع قبلي . رأى **Gilner** ان المجتمع القبائلي يتميز بالديمقراطية وهي فكرة اخدها عن هانوتو ، ولوتورنو، ومونتاني ، حيث مضمونها حرية داخل القبلية، لان قوة كل قبلية ، تؤدي الى تاسيس مملكة . ولكن غلنركان يرى دالك من موقف اديولوجي واضح بهدف الاحتواء الاستعماري و التقميص الهوياتي .

فالانقسامية لدى غلنز تتصف بالبنياوية و الهامشية ، يتحكم فيها الواقع المعاش ، حيث نجد ان الهامشية ظاهرة سياسية وليست ثقافية ومعناها ، استقلالية تجمعات القرى والجبال البعيدة عن مقر السلطة والحكم مما جعل الاستعمار يتقرب اليها اكتر لاحتوائها .فا لمجتمع المغاربي انقسم الى (عرب – بربر) كما ترى و تغالط النظرية وكلهم تحت لواء عشيرة اسلامية فالهامش كيان مواجه متمرد ضد المخزن الحاكم المركزي كما يرى غلنر بينما بول باسكون **p.pascon** راى وجود تكامل وتازر والتوحد بين اي اندماج وتمرد.

وتقوم الانقسامية على صقة هيمنة تميز جماعة عن اخرى او تؤكد مدى استقلالية هده او تلك الجماعة فهناك هيمنة ‘هيمنة نسب ابوى ‘ مثل حالة ابو قرية او قرية ضمن مجال جغرافي ‘ انصهار و انشاطار (توحد وصراع)‘غياب تراتب اجتماعي هناك فاعلين صلحاء مثلا الاولياء او الاعيان بهدف

---

[1])– ليليا بن سالم : الانتربولوجيا والتاريخ ،عن بوطالب نجيب ،نفس المرجع السابق ص 46 ‘

ضمان توازن المجتمع . وبتطور الوقت ظهرت ابحاث هـ ارت **HART**، ودون دفينو غرادوف ، وجاموس([1])

– بريتشارد : الدي درس ليبيا والسودان

– ديفيز :جمعات متفرقة وتنظيم عام([2])

الا ان الملاحظ ان كل تلك الابحاث كانت بطابع سياسي و الحفريات السلطانية لاكثر، وكانت توظيف اديولوجي من طرف **waterbury** طبق اعمال وافكار **weber** في السلطة في صنف السلطة الوراثية التي ليست كاريزمية فردية ، فكانت تتصف بحكم حسب النسب والعمالة والتحالف مع المخزن و السلطة السابقة . كما تؤكد الابحاث الاخرى لاصحابها مثل نوفو،ريفي، مور ' كليفورد، حول المغرب العربي الحديث ، وحتى اعمال جاك بارك –**berquej** التي طورت الابحاث السابقة من خلال رؤية عصرية ، بنقد مقولة القداسة ، والنسب حول المراتب الاجتماعية .

و قد اهتم جل الباحثين بالعادات و السلوكات و المعاملات ودور الصوفية و الأولياء في بث السلم و التعاون و التضامن ،بينما ركز البعض على حالة الخطر ([3]) الخارجي ،حيث يكون ا لتوحيد و التآزر صفة بارزة بين الجماعات من خلال نظرية الانقسامية القائلة بذلك التي تفرض النقيضين منذ دوركايم .الذي كان يرى أن الانقسامية تقوم على التشابه في المجتمع الآلي في وحدات مستقلة . فكان مستفيدا عن سابقيه كما كانت دراسات ايفانز برتشارد حول جماعات النوير قي السودان ،و أعمال غلتر السكسونية و هاروت ،طبق معاينة العادات و اللغة حيث تتميز عن العموم .فضاء الاطلس و الريف المغربي.([4])

---

[1]) –بوطالب ،نجيب – ن م س – ص 44

[2])نفس المرجع ص 44

[3]) نفس المرجع–ص.41

[4]–) المرجع – ص42

المبحث الثاني منظور المقاربات الحديثة

المطلب الأول المقاربة الإنسانية :

نظرا لأن الأعمال الاولى من طرف الاستعمارظهرت في الجزائر ، حيث برزت دراسات لوتورنو، وهانوتو ، كم عرفنا وقامت على أهداف احتلالية ، فكان مضمونها خلق الفرقة من خلال (صراع الصفوف)في المجتمع القبائلي، و الانقسامية عموما حيث كان طبق بنية المجتمع المدروس . كما اختلق ، ماسكراي وقد نسي أن الصوفية التي أعترفوا بها هي اللب. في بنية الوعي الذاتي للافراد ويرسخ مرجعية جماعية .

إذا كانت المدرسة الكولونيالية إختيارية ضيقة، و قامت بجمع معطيات مختلفة قامت على مركزية أوربية و نظرة استشراقية [1] حسب بوطالب . وهذا في رأينا منطقي لأنها أول محطة علمجت ماعية كرست الواقع الثقافي في مجتمعات الإسلام ،حيث كانت الثقافة المكتوبة و العلمية قائمة بذاتها في المغرب العربي ،و كان التركيب الإجتماعي في كليته قائم على مقومات إسلامية امازيغية محلية . لقد توا تواصلت المدرسة الانقسامية حتى السبعينات في قري المغر ب الأقصى ،و أثرت على كافة التيارات الأخرى .و مزجت بين لمنهج البنيوي و الوظيفي .و ركزت على العلاقات القبلية كماقدمت احصاءات و مقارنات و رسوم تمثيلية [2] للواقع و الظواهر كما يرى بوطالب .لذايمكنا القول المنهج الأنتروبولوجي الاستعماري و حسب سطحية لأطروحات التي توصل إليها أن البحث السياسي كان هو الهدف الأول و الأخير و ليس العلم و تكريس القوة العصرنة الكولونيالية رغم المنطلقات الموضوعية على البحث مثل بدو مقابل حضر ،عرب مقابل بربر ،اسلام مقابل أعراف و مخزن مقابل سيبا، اسلام مقابل اطراف مدينة مقابل قبيلة.....

يرى بيرك جاك .**j** ".أنه لا تعارض بين الدين و الشرع والعرف . وليس هناك فقدان الهوية .فكل اللاتجانس او التقاطع هو رمز الاصالة ". و ذاك ما وجده بارك و علم الاجتماع القضائي .لقد وجد برتاليون في قابس و ليبيا جماعة بربرية تشبه (دويلة) مما فتح شهية ألبير قوني بو يون ومارتل و راندو لويس ' حول الإنقسامية في التجمعات السكانية .أما بعد لأستقلال [1]()فقد ظهرت عميقة أكثر ،نظرا

---

[1] –**Lote et debzi ,a,benaoum ,Hamid ait amara (sur structure et parente et travail) et Alain romey (vie pastoral ,cas du said otba**

لتفسخ النظريات الكولونيالية أمام واقع التحرر . رغم أن الوضع المعالج كان نفسه حالة العهد الاستعماري .

و قد نجد الدراسات قد ركزت على الجانب الثقافي و الدينى ،مما اغرقها في مغارقات صعبت من صياغة النظريات . و قد كانت الجزائر و المغرب خاصة محل هذه الدراسات حول القبائل و الصحراء والداخل .وقادهذه البحوث مسيرو الملاحق الإدارية و الضباط العسكريين و رجال الدين عهدالمقاومة .أما بعد فشل المقاومة ،فقد ظهرت ا عمال بيرك)([1]) خاصة التي حطمت النظرية الكولونيالية و الأنقسامية و خلق قطيعة فكرية معها . أما مرحلة (1850-1956) ساعد بارك كل من باسكون **bascon** و بورديوثم قاليسو خاصة في بداية الاستقلال ‘في الابحاث و الدراسات المعمقة . وقد كانت براغمانية البحت الكولونيالية واضحة المعالم ،من خلال محاولة فهم التغيرات في المناطق وأليات العيش وخاصة تبني فكره التوطين التي خاضها الاستعمار ضد المترحلين من الجماعات لإنهم مصدر شغب و سند للقاومة ،فكانت دراسات ماسكيراي و غيره وكانت بنكهة كولونيالية مميزة على القبائل و ميزاب و الأوراس دليلا لذلك.

المطلب الثاني المقاربة السوسيولوجية:

يمكن الدخول غلى عالم متعدد فعليا ونظريا من خلال قراءة متعددة المشارب تأخذ ، من مناهج العلوم الاجتماعية كافة . وذلك من خلال محاولة إسقاط مفاهيم تحليلية نظرية أنتجها العلماء ، على الواقع التاريخي المتحرر في فترة من مراحل بنية المجتمع الجزائري . مع إمكانية فهم صورة الإختلاف المرجعي لكل مجتمع عن الآخر . والتي يمكن قراءتها من إدراك معنى المفاهيم المقدمة من طرف الباحثين على مجتمعات أخرى والواقع المختلف في الجزائر و المتشابه في نفس الوقت . أي طبق الاختلاف في القيم و الذاكرة والهوية والحضارة و التصورات اللاهوتية أو الدنيوية لصالح المجتمع أو ضده . وهذا يفرض مقاربة منهجية ، يعكسها التاريخ كمنهج وموضوع ، ويعكسها ، التحليل ، والاستقرار ، تحت طائلة أسئلة منمذجة هادفة تضع المفاهيم الا نتربيولوجية على مجتمع الإ سلام والعرب والامازيغ محل لتردد كولونيالي ؟

كما تطرح ‘ كيف يمكن تفسير آليات تمفضلات المجتمع الجزائري والمنطقة المتشابهة ؟

---

[1]-Berque ,j ,cent et vingt cinq ans de la sociologie nord africaine ,in les annales de, anthropologie et histoire (cas de Maghreb)

هل استطاع الاستعمار تفكيك بنية المجتمع العشائري !

هل فكك نظام العمل ونظام التجمع القروي ؟

من خلال ممارستها مثل منع تنقل الرعاه والفلاحين ؟ حسب بوطالب

إلا أن المطارحة التي يعرضها دور كايم أن علم الاجتماع هو علم المقارنة ، حيث تختفي الفرديان التاريخية ، والمبدعون أو الفاعلون والعنصر البيوغرافي لحياة الأشخاص ، تبقى صادقة إبستومولوجيا لكن التطور الذي حدث يسمح بكافة التوجهات .

يقول دو ر كايم ، إن أسباب الظاهرة الاجتماعية ، يجب معرفتها من خلال أفعال السابقة الاجتماعية لها ،و ليس في حالة الوعي الفردي لها ...))([1]) لذا نجد أن دور كايم لكي يميز أعماله عن الاتنولوجيا و العلم الانتروبولوجي ، قد ركز على ثقافة المجتمعات الامية منذ 1898 في مقالاته في السنة السوسيولوجية .مركزا على (زواج ، طبقات .....) كما بفهم تحليلاته امن خلال الأنوميا والتضامن الإجتماعي و ساعد في تطور المنهج و الموضوع الجديد فيما بعد .تايلور و راتزل في دراسة اللغوية ومظاهر الحضارة))([2]).بينما كنا نقرا عند فوستيل دي كولانج ، إن العلم الاجتماعي الحقيقي هو التاريخ حيث أنه لايمكن دراسة التاريخ سوسيولوجيا لأنه حالتئذ لا يعط حقائق ([3]) من ذلك فـأين يمكن وضع الاطروحة الاستعمارية ضمن العلم الحديث الاجتماعي الدي يدعى العلم و الحقيقة و الموضوعية فللغريب ان ما قدمه ابن خلدون في منطق علمي اجتماعي كلاسيكي ، لم يستطع الغرب هضمه واقعيا رغم ان ترجمة مقدمة ابن خلدون ظهرت في منتصف القرن 19 على يد البارون دي سلان . **B .de slane.**

إن المحاولة الاستعمارية التي بدات بسياسة ممنهجة بفلسفة مرتبة ، كانت تهدف إلى إحتواء تدريجي رغم البنية التي لا تساعد على ذلك والتي ظلت متماسكة رغم طول مدة الاحتلال .هكذا ظلت هذه البنية متواصلة رغم تغيرات الصيغ لها، كما تغير الشكل لرد الفعل الاجتماعي او السياسي والاقتصادي منذ بداية العشرينيات في القرن 20 بعد الحرب العالمية الاولى .واستمرت حتى بعد الاستقلال . (إن ردات الفعل تتم خارج البناء التقليدي – قرابي وقبلي – وهكذا يتم الان تفريع شحنات انفجار الهوية الاجتماعية في الهوية التقافية الدينية ، بعد الاستقلال) (**4**)، حسب الكولونيالية كما يرى بوطالب 100ص.

والواضح انه كانت سياسة اختناق قام بها الاستعمار مثلما كان يرى بورديو (بيار) وصياد ،من

---

[1]) robert Lhistoire de l’ethnologie classiquep182, in durkheim: les regles de la methode

[2] –robert lowie :opcit, p180

[3] –in robert lowie, p181

خلال كتابهما , **le deracinement** بينما كان يقوم الفلاح والموال بفعل استرداد الذات . فكان على فرنسا تصنيف الجماعات السكنية الى بدو وحضر ، بدو يتنقلوا ، يجب محاربتهم ، وحضر مقيمون ، يجب مداهنتهم وادماجهم... !

كما قام بتفكيك الملكية العقار ية وتسهيل الملكية حاصة للمستوطن في سياسة تقسيم البايلك والاحباس– منها 2300 هكتارا –فكانت فلاحة بدون فلاحون وحضر بدون مدينة ' لدا تعرض الريف الى التهميش وخلخلة في بنية التجمعات البشرية . فكانت سيايسة متعددة المفاهيم ومتخلخلة الاصلاحات التي تستوعب منطق التعامل مع هؤلاء المتحالفون والبدائيون كما كما رأت المركزية الاروبية . لدالك ساهمت الابحاث التاريخية والاجتماعية في فهم الاليات التي حكمت تغيرات وتطورات وانتكاسات البنية الاجتماعية للجماعات الريفية والحضرية في المغرب العربي والجزائري خاصة .

ومنها ظهرت نظريات متماسكة ومرتبة الافكار المبادئ رغم هدفها الاديولوجي و الكولونيالي والاحتوائي في كل الجوانب السياسية ، و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .لدا كانت : الإنقسامية و الكولونيالية ، والماركسية ابراز هنة التيارات العلمية و الانتربيولوجية التي فسرت مظاهر الحيوية والجمعوية للقرى والحضرفي الجزائر.

المطلب الثالث المقاربة الكلاسيكية

طبق الدراسات التي وضعت بنية وحركية المجتمعات في المغرب الاسلامي ، فإن جلها ركز على التحليل العلائقي الذي إستطاع ربط التواصل بين الدويلات المتلاحقة أو ضعفها أو خلق نسق جديد طبق اهداف جديدة كما فعل الاستعمار .لذا كانت المدارس التاريخية والاجتماعية التي ظهرت في المنطقة ساهمت في تلك المقاربات ولكنها سقطت كلها في احكام مسبقة مفبركة أحيانا وخاصة عندما جعلت التابو ، كمقيد لبعض العلاقات ومهندس لبعض المعاملات ، وخلقت من المرجعية الدينية من يعا لكل مفارقات إجتماعية . كما حاول البعض اسقاط المحتوى الأنتروبولوجي الافريقي ([1])على المجتمعات ذات الثقافة المكتوبة المؤطرة بكل تكامل والمفهرسة لكل موضوع ، ولكن تراكم الثقافي كان بالمرصاد رغم بعض المفارقات الذهبية بين الجماعات والقبائل والجهات . فالتجمع المغاربي قائم منذ القديم، كما رأى ابن الخلدون على العصبية ، وهذا من طبيعة خلق الله التي تجعل الانسان ابن جماعته و عائلته

---

[1]–) بوطالب : م س ص20

حتى يكبر ويتعلم شؤون الحياة ، وبعدها يدخل في جماعات اخرى تكون الالفة القومية أو السياسية أو المذهبية درجة بدرجة .

إن إبن خلدون كان يرى أن العصبية اتحاد قبلي ليس في الدم فقط لكن من كل أسباب التواصل ،و التعايش الاجتماعي التي ربطت سكان الأرض لبعضهم البعض وخلقت لهم مجال التفاهم والتضامن اتجاه الطبيعة والآخر الذي .يتعامل معهم دائما واحيانا ، قريبا أو بعيدا عن التجمع الحضري او البدوي . فالعصبية خلقت نماذج رمزية للتواصل والتكامل و قيم متكافئة للعمل ، تنظيم المراتب العمر والفئة و النوع – مع ملاحظة أن الهجرات خلقت نوعا من العصبيات ،فتحققت بفضلها عصبيات أخرى وتجمعات مكملة للمجتمع العربي والأمازيغي و الافريقي والاسيوي بفضل الاسلام كدين والعر بية كمصدر تعامل علمي ثري حامل للوعي و الذاكرة و أأنماط الادراك الواقعي للوجود .

فالاسقاط الذي خلقه الباحثون ، مصدره انزعاج من حالة الواقع المختلف الذي بنيت عليه هذه التجمعات البشرية ((فالاسقاط نفسه دليل فشل التنظير الاوروبي ووسيلة تأكيد على الاختلاف ....علم النظريات السابقة)) ([1]).ولكن هناك تحولات أخرى حدثت في التنظير المحلي المتدفق من عناصر الهوية والذات الجماعية المحلية ، فكانت تمازجات متراكبة و تبلورات فكرية عصرية واجنبية وقديمة ، ويمكن وصفها ((بالطابع الوطني ، وليس الهوية الجهوية لذا فالاجراءات ا لتي قامت بها الاستعمار والدولة الوطنية في المغرب العربي عملت بالتدريج على تفكيك البنية القبلية وخلخلة البناء الاجتماعي التقليدي ..فتم إدماج المجتمع القبلي في المجتمع الوطني)) ([2].)وذلك كان بفضل مهام الحداثة للدولة الوطنية اليوم التي وضعت التنمية و المستقبل المواطنة والجماعات المدنية

ويرى البعض ان الاستمرار في النمط القبلي في المجتمع كان خطرا قادما على الاستعمار ، لأنه خلق المقاومة من الداخل بفضل التواطؤ المذهبي الطرقي والجهوي مع الزعماء كما شكلت معرقل اساسي لنمط تحديث على الدول المستقلة فوجب تغليب المواطنة والتنمية الشاملة . لخلق هوية وطنية متكافئة

إن العصبية ألية للتضامن الألي طبق نظرية دور كايم في علم الاجتماع رغم أن الفكر العربي طعن في المنتوج النظري الخلدوني طبقا لأهدافه الاحتوائية . لذا قد رأى البعض (فرضية ثبات الوحدات

---

[1]–jean claude soutucci et habib el– malki, dirs . etat et developement dans le monde arabe in crise et mutaton au maghreb . col . etude de l’annuaire de l’afrique du nord CNRS : 1990

[2]–) م ن بوطالب م س ص 24

الاجتماعية المنغلقة ...)) ([1]) مما يعكس نظرية دائرية ، تعيد لنا ، فكره التاريخ يعيد نفسه ، أما الحقيقة فهي اعمق حيث أن النظر إلى الواقع ساد غهد إبن خلدون ، يختلف في كل مظاهره الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ,فالعهد الاستعماري زود السلاح والرجال والآلات ، بجمله نظريات ومناهج خطابـية مصدرها علم الاجتماع والانتربولوجيا تفيد بمؤادها إنقسامية بنيات المجتمع وخضوعه للوظيفة في التحليل . لذا ساهمت محاولات المفكر العروى صائبة لتطويق المنهج الاستعماري وتحديث الفكر التقليدي الاسلامي لدى ابن خلدون خاصة وغيره من الفلاسفة لرفض الدائرية والبنيوي ة وغيرها ، لفتح المجال للتطور والتنمية و التعاون الاجتماعي والسياسي طبق المواطنة .لأن الفكر الكولونيالي ، كان ضد البنية المحلية ، وفكر دائما في خلق بنية جديدة ملائمة للسيطرة على المجتمع ونبذ كل التوتر .فأعلن سياسة ممنهجة لفرض ذلك ([2])

- تأخير التنمية وخدمة المجتمع
- خلق تهميش جهوي واجتماعي
- رصد كل النشاط الاسترجاعي للقيم القبلية (هجرة – التضامن)
- خلق التسامح بين الدين واللغة (1930)
- اسقاط محاولات اعادة انتاج العلاقات القبلية والاجتماعية

من ذلك نكشف عن محاولة الاستعمار بث قاموس موحد للعمل أو التواصل يتكلم عن البنية الواقعية ، والاندماج مع الاستعمار ، وفكرة الصراع القومي بدل المقاومة او الثورة ضد الاحتلال .فكان على علم الاجتماع و التاريخي اليوم كشف المغالطات القديمة التي بدأت تتحول إلى الفكر البنائي للإستعمار .فكان عليه اعادة هضم الواقع والمنهج والميدان لخلق اشكالية مع المستعمر–بفتح الميم– الجزائري طبق فرضيات أخرى ،أدوات التحليل ودراسة مطابقة للواقع والهدف و التعامل .

فهل يمكن القول أن : أن التاريخ الاجتماعي للمنطقة لا يمكن ادراجه ضمن مقولة ، نمط الانتاج الآسيوي ، الذي قال به ماركس .. رغم صحته على مصر ...فإن حاله مسار المجتمع من حيث اعتماد الضرائب وسلطة القبلية أعطى شكلا آخرا ، ربما سماه البعض نمط الانتاج الخراجي ..([3]).حيث هناك دولة متسلطة ملكية عروشية . وضرائب سنوية وأتاوات وخراج من محاصيل فلاحية رغم أن الارض

---

[1]– م ن بوطالب م س ص 20

[2]–م ن بوطالب م س ص 25

[3]–م ن بوطالب م س ص 21

والماء بصفة عمومية .ألا يمكن أن منظور فيبر **weber**([1])حول الدولة الباتريمونيالية ‘أي دوله الارث الابوي ‘ملكا وحكما ، هي التصنيف الصحيح الذي وجب فهمه ؟ حسب م يرى بوطالب .

المطلب الرابع المقاربة الماركسية:

تبعا للمفارقات المنهجية ،و النظرية و اختلاف تحليل الواقع و إحالته على مرجعيات ثابثة متراكمة، ظهرت عدة معالجات اجتماعية للواقع المحلي لسكان المغرب الإسلامي لتقترب أكثر من الحقيقة بعيد عن التحيز المؤدلج التابع للأهداف الإستعمارية .لقد عالج الفكر الماركسي،الحياة في الجزائرواقعا ، من خلال ماركس نفسه ، بعد زيارته و إقامته فيها ،و لكنه لم يستطيع الولوج في خبايا المجتمع وثقافته و علومه ، فكان عليه إسقاط نظرياته السابقة فقط على المجتمع بنوع من التفرد والتمايز الذي فرضه عليه الواقع التاريخي و الفكري للمنطقة . لقد تكلم الأمير عبد القادر ، بعد استسلامه و كتب في جريدة " نجم الساحلي " فقال" كان صراع الهدو بلا أمل....."([2])

أما إنجلز فكانت له نظرة مقاربة لذالك في الاطار الماركسي ، بينما نجد إيف لاكوست **la coste** يرى أن مجتمع المغرب العربي الوسيط كان تجاريا إرستقراطيا وله نمط إنتاج إصطناعي (وليس صناعي) .، وذالك لضعف الإقتصاد و التكتل االطبقي – مم ا يعني في نظرنا أن النقسيم الماركسي للمجتمعات التارخية المؤسس على نظرة مادية ، كان قلب التحكيم الإجتماعي السائد في الماركسية وقد كسوها صبغة استعلائية للمركزية الأوروبية في الفكر و الإسقاط الإستشراقي الذي غالبا احتقر التاريخ الشرقي للشعوب.

لقد تكلم ماركس عن الإرث الأبوي **patrimonial** ، على انه مسير النمط الاجتماعي ، بدون تفسير للمسار الاقتصادي ولا الأسس العقائدية التي تحكم هذا النظام . مما جعل الماركسيين فيما بعد يصنفون النظام المغاربي الوسيط ضمن خانة التشكيلية الأسيوية للإقطاع .من ذلك نجد موريس قودليه **m. godelier** وروني غاليسو **R. galissot**;وقد فهموا ذلك وحللوه بمقتضى المنهج الماركسي بتوسع وإضافة أكثر واقعية . كما حاولت روزا لوكسمبورغ ، وغرامشي،والتوسير ومكسيم رودنسون**m.rodinson**([3]) تحليل ذلك طبقا للدراسات الجديدة الأنتربولوجية و الاستشراقية التي ظهرت

---

[1]–نفس المرجع السابق ص 21

[2])– كارل .ماركس : كتابات ماركسية حول المغرب 1860 – 1925

[3]–) تيرلز ، ماركس ونهاية الاستشراق

بعد احتلال فرنسا للجزائر والمغرب وتونس وإيطاليا لبلاد ليبيا . فكانت كلها تصب في حكم النمط الأسيوي للإنتاج لإقطاعي الطبقي ‘فخلف بذلك ماركسية جديدة متطورة .

لقد حاولت المدرسة الماركسية فهم بلاد المغرب من حيث آليات التعايش البنيوي الداخلي رغم دخول الاستعمار منذ 1830 ومجيء ماركس للجزائر حتى 1881-1882 ([1]) الذي اعتمد على أبحاث كوفاليسكي ، حول الملكية الجماعية للأرض من حيث أسباب إنحلالها وتاريخها ونتائجها سنة 1879. كما كانت له قراءة بسيطة لمؤلف أبن خلدون ((المقدمة)) وبعض الدراسات الاستعمارية السابقة . وقد كان قد رأى حسب بوطالب ((الجزائر مثل الهند تحتفظ بنمط ملكيه عقارية وهي قبلية وعائلية مشتركة .....)) ([2]). ومن ذلك نكتشف أن المغرب عامة ، كان يصبغ عليه بنظام ارستقراطي قبلي عسكري ، يحكمها رؤساء قبائل واسر كبيرة،تحتكر السلطة والثروة،تنحو بنظام ترتيبي **hiérarchique** رغ م ظهورها على صيغة متعادلة متكافئة ، عكس مارأت الانقسامية حسب التصديرات التي نقرأها من ماركس ولاكوست أما روني غاليسو ([3])،فيرى سيطرة صرا ع اجتماعي و ليس طبقيا ، و هناك صراعا في الريف ، مكن من خلق تكتلات اجتماعية ، مما يدعونا إلي تقويض النظرية الكولونيالية لأيام الاستعمار الأولى التي نشرت فكرة الديمقراطية بربرية بهدف احتوائي .

يرى البعض أن ((إن القبيلة لم تطرح ككيان منعزل عن سياق عام العلاقات المجتمعية ،كما فعلت النظرية الانقسامية و الكولونيالية) ([4])،حيث أصبغت عليها منظورا ماركسيا ممنهجا ضمن نسقها النظري ، رغم بعد الاختلافات و التطورات التي لحقت الفكر و المجتمع , أما رأينا كباحث من قلب الحدث و التاريخ ،فيمكن قراءة أن الإسقاط النظري قابل للمناقشة ،فهو شكلا مقبولا تبعا للواقع ولكن الخطأ يقع في التفسيرات التي عرضت على المتغيرات والأفعال المؤسسة على قيم و عادات و أعراف لايمكن الانزياح عن مبادئها ،فهي التي تنمط مسار الحياة والسلوك و الإنتاج و تخلق أطر التعامل مع النوازل والاحداث العارضة و تجهد لا ختراع /الاجتهاد القاضي بحلول الواقع.

---

[1]-) -ك. ماركس : إنجلز ‘الماركسية ، الجزائر تر -ج-طرابيشي -بيروت دار طليعة 1978

[2]-)بوطالب مرجع سابق -ص 47

[3]-) بوطالب : م س ص48

[4]))بوطالب م س ص 49

المبحث الثالث ميادين المقاربات االإستعمارية

المطلب الأول التجمعات السكنية والعمران

إن الوضع القبيلة كان مرتبط بمركزين للجماعات البشرية وهم البدو ، والحضر ، والفرق واضح ، بين جماعات في سكنات فردية وعائلية متنقلة ، متباعدة عن بعضها البعض ، وهي البدوية ، بينما في الحضر ، هناك تجمعات سكنية مستقرة متجاورة ، تمارس التجارة والحرف وقريبة من السلطان أو الوالي أو الامير ....لذا لايخفى وضع المغرب العربي ، عن وضع البلدان في المشرق ، طبق نظرية إبن خلدون ، حيث سيطرت البداوة على البلدان في المغرب كلها زمانا ' مما اكده ابن خلدون ([1]) في اصطلاح بدو مقابل حضر ، أساس في دراسة تاريخ المغرب العربي الاسلامي بنية وتحركات وعلاقات . مما أعطى مشروعية تاريخية ، للمشروعية المفاهيمية لأن هناك تواصل تحكم القبلية والعصبية ([2]) في مسار المجتمع المغربي حتى نهاية ق 19 أو منتصف ق 20 . حيث استمر الصراع البدو ، حضر ، وحتى الصراع البدو ، بدو م ما أكده عابد الجابر ي ([3]) – في تحديده لقوى المسار السياسي لمجتمع المغرب العربي – حيث وضع ثلاث محددات هي :

القبيلة

الغنيمة

العقيدة

ثم أضاف الريع حيث كانت حقائق لاملاء فيها ، ولامراء عليها وإن كان الريع ، أكبر العوامل المحددة لذلك.لأنه منتوج طبيعي تحت فرصة لأي شخص و لا يتطلب الجهد .وقد استمر ابن خلدون .رغم آليات التنظيم القبلي بالمفاهيم الوسيطية رغم فرق زمن 14قرن عن ق 19 . ويمكن ان نفهم ان الجابري يحدد القبلية 'الغنيمة و العقيدة كثلاثية تحريك ديناميكية المجتمع ' كما رأينا 'بينما جاءت القراءة جديدة للواقع من خلال البحث الاستعماري فكون نظرية مبهمة حول مصطلح ريف ، مدي نة 'صحراء ، للغايات السياسية .

---

[1]– ابن خلدون ،المقدمة

[2]م ن بوطالب ، ن م ص 154

[3]محمد عابد الجابري : العقل السياسي العربي –3–دار البيضاء مركز ثقافي عربي المغرب 1990

و يحتل المنهج البنيوي ،آثرا هاما في البحث العلمي الحديث طبق المنهج التجريبي الذي يتطلب ذلك للوصول كنه الأسياء و عناصرها و تفاعلاتها و وظائفها المتكاملة الت ي تؤلف الكل الواحد .لذا توجه علماء الإجتماع و الانتربولوجيا و الاتنولوجية الحديثة إلى فهم آليات تراكب المجتمع من عناصر و جماعات للاقتراب إلى حقيقة المسار المحدد و المنشط لكافة العمليات و السلوكات و الافكار والتصورات التي تحدد انماط معينة عن أخرى .أما لبحث الإستعمارى فقد ركز إلى دراسة الجماعات البشرية التي يحتلها لخلق آليات جديدة عصرية لإخضاعها فكانت النظرية الكولونيالية الأولى التي قامت على جمع المعلومات اساسا وجاءت لانقسامية في محاولة فهم و ادراك كنه التجمعات المغاربية ثم النظريات الأنسانية و الماركسية بعدها اثر سقوط نظرة الأدماج([1]).

لذا قرر البحث الاستعماري أن المجتمع المغاربي قائم على جماعتين هامتين هم.

قبائل المخزن و القبائل السيبا . – فالمخزن جماعات و قبائل مندمجة مع السلطة مثل قبائل القيش والأودية ،و الشرفة في المغرب الأقصى وفي الجزائر :الدواوير،الزمايل ([2]).أما في ليبيا فنجد ،أولاد نوار، و محاميد و تونس نجد قبائل دريد .كانت قبائل المخزن تقوم بجمع الضرائب ،حفظ النظام ،و تحضير أفراد الجيش النظامى من القبائل الخاضعة .وكانت تسمى (جنود الحلة)([3]) أو المدينة ،كما كانت تهجم احيانا على القبائل المتمددة في الريف و الدواوير و الصحراء مما جعل مصطلح الهوية في اضطراب و صراع إيديولوجي حول فلسفة العمل و السلطة و الوجود .

وهذا لا يعني أبدا ،أن كل القبائل الطرفية أو البعيدة عن السلطات ،كانت معارضة و متمردة .كما يرى البعض([4]أ) ان هناك كانت قبائل ريعيه ،و هي جماعات تقوم بين المخزن و السيبا أي في الوسط ،غالبا ما تقوم بالصلح و التهدئة بين الطرفين وقد كانت أغلب القبائل تتكون من:

ا– مجلس الأعيان:رجال الحل و العقد و السياسة لدى الأتراك

ب–اللزمة :جباة ضرائب.

ج–الصبايحية :عسكريون.

د–الصلحاء و الأشراف :أهل الدين و الشريعة.

---

[1]– الزماله : عاصمة متنقلة من الوسائل و البشر كونها الامير

[2]– م ن بوطالب ، م س ص 113

[3]– نفس المرجع ص113

[4]– م س ،ص 114

هـ–مزارعين :وهم من الرعاة و الفلاحين وهم ضحية الضرائب .

لذا نجد الاستعمار اجتهد كثيرا في فك ألغاز هذا المجتمع ،حتى جعل من الاوراس و البربر فبائل مستقلة ([1]) من السيبا،كما جعل قبائل خمير و سلات و مطمامه في تونس من ذلك . وقد تميز هؤلاء بمتوقع جغرافي منقارب غالبا، و تركيب قرابي نتيجة تضامن و قائى ضد الخطر الذي يحدد الاستقلالية المتراكبة غير متغيرات سوسيوتاريخية ([2]) حسب الوثائق و المراسلات .إن التاريخ يؤكد استقلالية قوية .قبل ق 16 وبعد دخول الاستعمار حيث الخطرداهم .لقد ساهم بيرك **JB**كثيرا في هذا النظرية ح تى أصبح يرى بأن هناك قبائل كبرى و قبائل صغرى و هناك مخزن ،و هامش حسب غلنر **Gilner** .

ولكن آخرين يرون أن هناك رؤية ، تدرك عامل الحجم و درجة الانحلال ضمن الجماعات الآخرى من حيث تكون جماعات وسطية .ويرى كتاب الاستعمار أن في الجزائر مثل أن هناك قبائل مثل الاربعة ، والأولاد نايل ، وهي قوية بوحدتها .أما في تونس فوجدت قبائل ضعيفة ،قد إختفت حتى قبل وصول الاستعمار ،حتى فقدت أسماءها مثل ما وجدوا في الساحل التونسي !حسب المفكر التونسي ' الهرماسي في كتابه 'المجتمع و الدولة في المغرب العربي الصادر سنة 1987.

لكن يجب أن لا ننسى الاثر التاريخى ،الذي تكون منذ العهد العثماني ،حيث كانت العصبية مظهرا للدولة حتى ق .18.أما بعده ، فظهرت من الخارج اثر الثورة الصناعية وبداية التوسع التجاري والتبشيري لاستكشافي الجديد ككيان مسقط للارهاص الكولونيالي . حيث بدأت العناصر الغربية في الجيش والادارة والملكيات .....([3])وبدأ التوتر منذ الاحتلال في البنية والعناصر والوظائف ، فظهرت دعوات الاصلاح قبله لتخلق بين الدولة وتركيبها انسجاما تاليفا (الدولة – القبيلة) ([4])

لقد ساهمت الاقتصاد قبل الاستعماري في اظطراب الوضع ، حيث كان الاقتصاد الج باية ، الضرائب والاعالة والاداءات ، والقانون والعشور ، يخلق الصراعات مع القبائل رغم تجند فئة الأمحال ، جند ، الأوجاق ، المذارقية ضدهم . وعليها ظهر صراع صفوف ([5]) وتكون الاحلاف وبروز زعامات فردية في جماعات قوية حسب العراقة واالجاه فكان العنف مثل ما (زغبة ورزية ..)

---

[1]– in Med,hedi ,cherif boutaleb in boutaleb p 114 م ن بوطالب . م س ص 114

[2]– بوطالب ن ،م س ص 115

[3]–م ن بوطلب م س . 116 عن الهرماسي ، المجتمع و الدولة في المغرب العربي ' م س ص 27

[4]– بوطالب م س ' ص 116

[5]– مرجع سابق' ص 117

المطلب الثاني بنية القبيلة و تقسيم العمل ([1])

ان التقسيم الاجتماعي القبلي في بلاد المغرب العربي ،حسب بوطالب ' لايتحدد بالمعطى الأثني العرقي فقط ، بل هناك عدة مؤشرات تحكم ذلك ، منها تقسيم الاثني ، تقسيم الدين ، التقسيم الطبقي ، تقسيم الحر ، الحرفي على أساس تقسيم العمل . وذلك كل وعكس النظرية الكولونيالية التي ركزت على العام العرقي ومنه الثقافي . حيث أكد التراكم التاريخي ، الحدثي البنائي على تكامل تاثير وتاثر قوى قاطع في هذه التقسيمات ، فالمذاهب الدينية كانت حاكما أوليا حيث لعب المذهب المالكي الاشعري ، جهاز قيمي عقائدي وسلوكي عاملا موحدا لغالبية سكان المغرب العربي ، بينما شكل المذهب الأباضي لجماعات قليلة في الجزائر و تونس وليبيا رغم الاختلاف في العناصر الأخرى . لذا وجدت متغيرات توضح التفاعلات الداخلية للخريطة القبلية في هذه المنطقة و منها :

1- التنوع لعب الفتح الإسلامي والغزوات و التجارة دورا هاما ني تنوع العناصر و في الاعراق بفصل الهجرات .

2-الحركية و كانت بصف أفقية :وهي هجرة في مجال الجغرافي واسع وعمودية :بفصل تطوير المواقع و المراتب بفصل تعليم .تجارة آي بصفة حراك طبقي نزولا و هبوطا خاصة في المدينة .بينما صفة الريف القبلية في القرارو السلطة و العمل .

3-الاندماج : و هي توحد جماعات مختلفة في السلطة و العمل ضمن كتل ماكافئة متضامنة ...متعايشة و رغم جذريتها القبلية ([2]) .'في (جبل – سهل)،(قرية – مدينة) مما أثرى المجال الثقافي و الاثني ،و خلق اله وية الجماعية و اندثرت عنها التمفصلات رغم بقاء بعض النقاطعات مؤثرة في كل العمليات .

أما البنية الإثنية فقد نظر المؤرخ و الاجتماعي الاستعماري ، إلى واقع عرقي متجذر في المجتمع المغاربي من خلال تجمعات سكانية من خلال : بربر–عربي .

البربر 1) برانس وهم بربر الشمال والمدن خاصة

بربر 2) البتر : بربر البوادي والارياف والأطراف

عرب 3) مدنية وريفية

---

[1]– م ن بوطلب م س ص 109

[2]– م ن بوطلب م س ص 110

وهذا لاينف نهاية الخريطة ،بل هناك بربر جبالية وهي قبائل أصيلة يقررها حتى ابن خلدون ، في القرن الرابع عشر . والمؤرخ شارل اندري جوليان الفرنسي كما رأى الاستعمار في قلب ا لتوصيف أن هناك بربري مسلم وبروتستاني ويهودي ومسيحي وآخر ديمقراطي وعملي كما لا يخف أن قام بتقسيم العرب إلى شرفاء ونسب الخلفاء والهلالية والخوارج و وجد البحث الاستعماري ضالته في فهم جغرافيا سكان الجزائر ، بلاد المغرب ، فرأى أن هناك قبائل السواحل ، هضاب جبال / سهول صحراء أما ابن خلدون فقد اكتشف قبلهم دور مهنة الرعي وتربية الماشية والفلاحة في التوطن ، مما خلق صفة الحركية والهجرة . **?**أما بارك **j– b** فقد راى وجود قبائل كبرى في الجبال والهضاب وقابائل صغرى في السواحل ‘ولكنه وجد مغاربة فرنسيين معتدلين في المرصاد مثل عبد اللطيف بن أشنهو و الهرماسي و شارل أندري جوليان‘ اومنها تم التقسيم المهني :

حيث لعبت الوراثة وفضاء العمل ومحيطه في خلق المهن

أ– قبيلة فلاحية : تقوم بغرس ، سقي ، رعي ، حصاد ، جمع.....

ب) قبيلة دينية :حفظ طقوس ،تعلم الكتاب ،عدالة ،توثيق

ج) قبيلة مقاتلة :كونت عناصر الجيش و المسلحين في المدن

وحسب النظرية الإستعمارية فإن مميزات القبيلة يتصف مؤدنها في،

– المساواة : يعكسها الملكية المشتركة والتضامن القبل حيث تختفي الفوارق والهرمية بينما نجد في النظرية الاستعمارية توصيف بالديمقراطية القبلية وانعدام التفاوت حسب الواقع البربري المدروس . – جاذبية الاصل : رغم أنه يمكن تعميمه حيث رابطة الدم تخفي الفوارق والدولة جباية على أفرادها .ويمثل النسب للرسول والخلفاءو زعماء الدول القديمة ‘ مرجعية بيولوجية أساسية في بلاد المغرب والمشرق والخليج .

– تداول الوراثي في السلطة القبيلية: وهي وراثة السلطة القبلية في متوسط ، مع قيادة مشيخة دينية عبر الطريقة والزوايا .

– التدين : تمكنت العصبية القرابية ، على الدين و كيفية التعامل مع الفضاء المحيط ، فالدين رابطة جماعية (غلنر) تقلص التهميش ، لأنها تفرض نظم قواعد تشريع إسلامية .

– الحرية : الجباية كانت دائما رمزا للخضوع ، ولكنها عملية تحقيق الحرية أكثر والحماية و التحالف داخل الجماعة‘ وقد كانت القبائل الرحل البدوية تدعي الحركة وحرياتها ، فأثارت الصراع ، مع المستقرين و الآخرين .

– التضامن الألى الجبرية القبيلة .

فالجبرية محدد أرتربولوجي قوى .فالفرد يتصرف بحرية نيابة عن القبيلة .فالفعل الفردي يحدث داخل القبيلة لصالح الجماعة القبلية وبارادتها ، ،لكن هذا بدأ يتفكك من خلال

- ظهور الشكل جديد لاستباح مقاومة – و شكل جديد من التجند و التضامن إلا أن الدراسات الحديثة ([1]) لاستعمارية قدمت جملة قراءات حول القبيلة المغربية و منها أعمال **Michaux Belairy**،ومونتاني و يبرك في توصيف متقارب :

- ([2]) خضوع القابل إلى جدلية المخزن ،سرها .
- تحآلفات سياسية و أمنية قبلية من خلال الأُنْصاف و اللفْ
- تقسيم عمل اجتماعي على أساس اثني و القبلي
- – خضوع علاقات القبائل إلى الانصهار و الإنشطار حسب القرابة و النفوذ.

و يرى التحليل في ذلك أن الأثر الفاعل في ذلك هو التغيرات التاريخية ،التي اثرت على الحجم ،و الوظيفة و هناك عوامل إيكولوجية و تعدد نمط الإنتاج و سيطرة سيادة روحية للدولة و سلطة العرف أحيانا و العلاقة مع المحيط المجاور آنذاك .ان هذا التحليل يقودنا إلى فهم الإنصهار الداخلي إتجاه الأخطار مثل الإستعمار بدافع ذاتي آما حالة الانشطار فتظهر عند الخصام و لكن مساهمة الصلحاء **Saints** من المشايخ و الرجال الدين تسهم في القضاء على كل خلاف و خلق التوافق رغم درجة التعامل المتفارقة بين الحضر المقرب إلى المخزن و البدو و الريف المتناقض مع المخزن .و هذا ما جعل اختلاف في درجة العمل مع السلطة من خلال شرعية مؤكده ،واحيانا تمرد الريف و المخزن و لكن نظم لإدارة الحديثة خلقت تفاعلات جديدة بين المخزن و الريف و السلطة .حيث يقول الهراس إن خطوط النسب و الدواوير هم الوحدات القبلية التي حافظت على ارتباطها بالتراب...رغم المساومات التي تعرضت لها ...) ([3])

المطلب الثالث الإحتواء الاستشراقي دراسة للعلوم المتسامية

كان هناك الإستشراق قبل الاستعمار وبعد الاحتلال ، لذا فهو ركز على هوية محمد وحياة محمد وأتباع المسلمين ، لذا كانت منه أجيال متعاقبة الأول ' الثاني ، الثالث ، فالأول قبل الاستعمار ، وبعده

---

[1]– م ن بوطلب م س ص 93/92

[3]– م ن بوطالب م س .ص 93

في مرحلة الاستعمار ، ثم بعد الاستقلال تواصلت البحوث حول التاريخ الإسلامي ترجمة . لذا ظهرت اعمال الدراسة و الترجمة حول التراث السلامي مثل الطبقات سنة 1862 لابن سعد ‘وطبقات ‘سنة 1868 ابن اسحاق .وألوس سبرنجر **springer**‘ الذي لعب دورا كبير في دراسة الشرق و الدراسات المحمدية.ومونتغمري وات : أحسن الكتب وأعظمها لمرجع الأساس .و له مؤلفات شهيرة .محمد في مكة 2) محمد في المدينة 3) محمد رجل دولة . ومن فضل الإستشراق اكتشاف حضارة المنتوج الإسلامي الذي تم اكتشافه وإخراجه إلى العرض الثقافي وعرضه على المنصة العلمية العالمية.وهناك الجيل الأول : من دوسلان وريتان وبلاشير وجماعته.و أجيال أخرى .وفي سنة 1973 مؤتمرالإستشراق وتم فيه الغاء مفهوم الإستشراق و تم وضع عدة مقترحات ، مستشرق , **islamologue, islamist , humanist** **arabiste/**وهذا يعني التطور الادراكي للموضوع حسب الاسقاطات الجديدة التي طرأت و التي فرضت الخوض و التعمق .البحث في طبيعته ومقاصده .لان طرق المعالجة اختلفت من أحد المستشرقين الى أخر .لذا نجد ‘**Enest renan** قد اهتم بموضوع : التاريخ العالمي الديني . و لويس بيرتراند في التاريخ المشترك والإسلام .وكتب جولدزيهر حول المذاهب الإسلامية و نولدكه ، تاريخ القرآن .

إن المحاولات الدائمة التي قام بها الإستشراق في فهم الشرق ، وعناصر قوته وضعفه وعبقريته ، أدت إلى تكوين تراث فكري عميق وعريض وبالغ الأهمية ، كما كونت قاموس اصطلاحي جمع بين المفاهيم الأصلية والتخريجات الغربية المتشبعة بالاصطلاحات الفلسفية والعلمية للعلوم اليونانية والرومانية والاكتشافات الحديثة منذ الفرن السادس عشر .ولكن ربما أن اهتمامنا يشير فقط إلى الإست شراق الاستعماري ، فإنه التركيز يكون عليه، مع ملاحظة أنه لا يهمنا الفعل الاستعماري تجاه الجزائر والأهالي والشرق كافة ، بل أثر ذلك الفعل ، وخرجات الفعل الثوري الموازي له ، أي أن المقاومة كفعل مواجه لهذه الحركة هو الأساس ، الذي جعل الشعب المحلي الجزائري هو مراسل لخطاب معاكس يمثل ردة فعل ضد فكر أجنبي يحاول احتواءه واستلابه وطمس تاريخه وتراثه بطريقة جد ذكية تحاول بصورة احيائية بعثية متجددة ولكنها متغذية ومتشربة بالفكر الغربي والمسيحي واليهودي والشطحات الفلسفية الغربية .

لقد اختلط البحث الاستشراقي بالدراسات الا جتماعية من علم الاجتماع من خلال أعمال **Doute , Delachapelle** وغيرهم كما اندمجت تلك التعميقات الاستشراقية بالبحث العلمي في الانثربولوجيا التي طبقت على إفريقيا وأستراليا وآسيا ، بينما وجدت الصدمة أمام حضارة مكتوبة عميقة لدى كل قبائل وأهالي المغرب العربي والشرق الإسلامي بفضل حضارة العصر الذهبي الأموي والعباسي

والمملوكي الذي مثل عصرا وسيطا حضاريا قائدا عالميا ،و هذا لم يستثني منه إلى المناطق الجبلية البعيدة عن الحضر.إن أعمال ماسكيراي ودوماس ، تقريرات ضباط الجيش الفرنسي مثلت تعريفات غير عميقة بفلسفة الحياة اليوم ية للأهالي في الجزائر سواء في الجبل أو في السهل أو في الصحراء ، ولكن نلاحظ أن الإستشراق قد عمق من البحث الاجتماعي والتقرير السياسي إلى بحث لفهم الأصول الفكر والفقهية التي مدونة رجوع منهجي فعل سلوك وكل فعل وكل تفكير بما فيه المقاومة التي كانت عبارة عن جهاد ضد الكافر والأجنبي.لقد نشأ الإستشراق ، استمرارا للبحث عن الذات والأصل التي حاول بها التيار الرومانتيكي الأوروبي فهم تاريخه وتراثه ، حيث كانت العودة إلى الذات هي دعوة إلى تطوير الدولة الحديثة وخلق النموذج الصناعي القوى في العالم ، وهذا ليس غريبا بما أن المسيحية جاءت من الشرق ، واليهودية جاءت من الشرق مما جعل مفهوم الهوية ، يمتزج روحيا وواقعيا بين التاريخ والفكر والسياسة وجعل الفعل الاستعماري ، يقوم على فكرة أن بلاد المغرب هي مقاطعة أوروبية بين أوصالها أوغستين ، الكاهن الفيلسوف المسيحي قبل الإسلام الذي اصلح ونظر للمسيحية الجديدة .

ورغم أن الإستشراق اهتم فقط باللغة ، الثقافة ، الأخلاق والفكر التي أنجزه المسلمون والعرب من جنوب آسيا إلى الأطلس فإنه لم يهمل قط العناصر الاجتماعية الاقتصادية للحياة وأشكال الثورة والمقاومة لدى الأهالي في المرحلة الأولى ثم خلال التوغ ل الداخلي عبر الهضاب والصحراء وجوارها ، فكان موضوعه ، يهتم بالدين في عنوان الإسلاميات والشرقيات و المصريات عن الفراعنة ، والتصوف البعيد بناء فلسفة قائمة بذاتها اعترف البعض بجدارتها وأنكرها البعض. فلم يكن البحث الاستشراقي وجانبا غير واعيا ، بل كان ترسانة م ن المصطلحات والمناهج ، التي إسقاط الحاضر مع الماضي حتى يسهل الاستعمار والاحتواء اللغوي والديني والأخلاقي فكانت ثورة الزنوج ، وثورة الحشاشين أمثلة اسقاطية ، وكانت مصدر ألف ليلة وليلة دعوة تصوير تاريخ أخلاق الإسلام ، ولكنها كانت اختزالية جاحدة و متعثرة برنص الشبوهات المنغمسة في النصوص.

لذلك ارتبط الإستشراق خاصته مع المرحلة التحضيرية للاستعمار قبل الحملة الفرنسية بقيادة نابليون على مصر 1798 ، وفيها كانت الدراسات المسيحية والتجارية والفكرية حول المجتمع الإسلامي والعربي لكي يسهل الاستعمار في مصر ، كما اشتد سا عد الفكر الاستعماري مع توسيع الاستعمار على الجزائر خاصة وتونس والمغرب وليبيا والتوغل نحو إفريقيا حيث الملامح ، الدينية والفكرية للثقافة الإسلامية

المختلفة عن المدونات المسيحية وتقاليدها ، مما جعل هذا التيار ، يجد مقاومة شديدة من طرف علماء الإسلام وعلماء الفقه أحيانا لأنه هناك طرفين في البحث الاستشراقي.

1 – تيار متعصب استعمار يتميز بالنزعة الأوروميركزية ، والخدماتية التي تجعل الجنس الشمالي للمتوسط هو الجنس العقلاني المتطور الذي يصنع الحضارة بينما المجتمعات الأخرى ، هي مجتمعات أنتربولوجية وبدائية وربما أصلها القرد والحيوان حسب علم الآثار وقبل التاريخ.

2 – تيار علمي باحث عن الحقيقة أراد اكتشاف ألغاز الحضارة العربية والإسلامية وعلوم الدين واللغة العربية وحضارة الأفكار وصناعة في كل بلاد الإسلام والعرب والأمازيغ وأفريقيا.

لقد كان الإستشراق إعادة بعث للهجوم الصليبي أحيانا بصورة فكرية ولكنه في الجانب الآخر لعب الطرف المدني والحيادي الإنساني إعادة احياء التراث الإسلامي و الأمازيغي والإفريقي إلى الحياة ، وهذا لا يمكن إنكاره ، حيث تركت الحضارة الأندلسية أثارا إنسانية عقلانية وعلمية وفلسفية هامة مؤثرة على العقل الأوروبي جعلته يركن ساجدا أمامها مثل ابن سينا ، ابن رشد ، ابن عربي في كافة العلوم الواقعية والميتافيزيقية ، وحيث ظهرت أولى ترجمة القرآن من طرف الأب بيار **verdal Piére** في طليطلة إلى اللاتينية بعد وضع الملك لويس 16 في الحبس أثناء الحروب الصليبية.

ولكن هذه الحروب التي كان هدفها التنصير ثم الإستعمار ، قد فشلت أمام مدونات النص الإسلامي المقنع بعلومه وأسراره الشرقية ، التي لا تنكر المسيحية ولا اليهودية ولا حضارة اليونان ، فغلبت على الرأي ، فتحول الإستشراق من رصد فوتوغرافي إلى قراءة نقدية حديثة متعددة. ومنها تم الابتعاد قليلا عن العجائبية الاسطورية ليبدأ بالبحث العلمي النقدي و التاريخي و الوثائقي و الانتروبولوجي المتعدد الاتجاهات .من هنا ظهر **Ernest Renan** لدراسة القرآن والإسلام رغم مواقفه المعادية للاسلام و الجاحدة فكشف عن محاولة كشف النفس وكشف الهوية المبحوث عنها وإنجاز ايبستيمولوجي متعمق في أصول المعرفة فخلق فضاءا آخرلإصدار الذات أمام ذاتها والخارج من طرف المسلم و الاوروبي ..

لذلك أضاف **berque jacque** وردنسون وغيرهم البحث التاريخي والاجتماعي كما يحل غلنر أرنست وجيرتز في أعماق المجتمع وأفكاره وعقائده التي تحرك السياسي الاجتماعي في الدولة القطرية أو دولة –الأمة المعاصرة و الحديثة ، فكان أن انتهى الإستشراق مع الاستعمار كما بدأ معه بعدما درس القيم و العدات و الافكار و العقل ة التصوف و قاموسه . ويشكل الخطاب الصوفي كشكل من الخطاب التقليدي ، و هو خطاب لاحق مباشرة للحدث الانفصالي للدين عن الدولة ، و نشأة الأمة الاسلامية و

ظهور الفتن و سيطرة الطوائف و تدخل الأجانب في حكم المناطق العربية ، بالاضافة إلى سيادة ظروف القمع و الظلم و القهر الاجتماعي ، نفسي و روحي لمعظم الطبقات الاجتماعية التي ابتعدت عن السلطة طوعا أو كرها ، فهي إما رافضة .

لقد حلل الخطاب الصوفي إشكالية العلاقات السائدة بين الله و البشر و درجات الإيمان و أنواع الكائنات كالجن و الملائكة و علاقتهم بالله و البشر ، و تفسير الظواهر الطبيعية كالريح و المطر و العواصف و الزلازل و الأمراض و تحليل القدر و المكتوب و حادثة خلق الإنسان و أصل ه ، و كيفية نشوئه و كيفية حلوله في ذات الله و حلول روح الألوهية و تناهي الإنسان فيها ، الشيء الذي أحدث ضجة كبيرة بين أهل الكلام و المعتزلة و الأشاعرة و الفلاسفة في الفكر الاسلامي القديم ، حيث نسجل المناظرات بين أبن عربي و ابن رشد و الغزالي و أبي حامد و الب سطامي و أبي القاسم الجنيد ، و أبي طالب الملكي و الحلاج و صهيب الرومي و حتى ابن خلدون كان فقيها و قاضيا و متصوفا .

شكلت الصوفية مظهرا ثقافيا متقدما وروحيا متعاليا على المجتمع الإسلامي و على قواعده الأخلاقية مثل الخروج عن السياسة وأنظمة الحكم وابتعادا عن الظواهر العادية و الحقيقية . وانقسموا إلى فئات منها التصوف الأشعري ومنها التصوف الشيعي ، و التصوف الفلسفي الذي تأثر بالفلسفة و الأديان الفارسية و الهندية و الصينية . وكانت لهم مواقف متعددة . فمنهم من شكل معارضة ، و منهم من اعتكف و لجأ إلى الزهد ، و منهم من لزم الصمت ، و كان ذلك تجنبا للفوضى و ترتيبا لنشر السلم الاجتماعي في مجتمع يتميز بسيطرة الطبقات العليا الأرستقراطية والوارثة للسلطة ، حيث كان المجتمع الاسلامي " **The saints of Atlas** وحلل كتابه " **E.Gillner** في الانقسامية فقط، كما يرى جلنر.

يقول عنه هواري عدي :"التألفي الذي تمارسه الفرق ، والانقسامات حول بعضها البعض ، و **Dissuasion**"السلم كان مضمونا بفصل .بفضل علاقة قوى متوازنة ، هنا يمكن تدخل المرابطين أو رجال التصوف و الدين الذين يضعون قناعا لهذه الحقيقة الذي يتأسس " **ex-post** و يعاقبون التوازن الحاصل .وهذا المقال عن هواري عدي هو تحليل حول الطابع الروحي و التقليدي للمجتمع العربي و المغاربي و العالم الثالث . و نظرية ابن خلدون الذي وصفت المجتمع الإسلامي بالرعوية و القبلية .

كما يقول أن " هناك من المرابطين من كان طرفا في النزاعات و الصراعات و لكنهم لم يستطيعوا أن يكونوا قضاة وأعضاء في الحل " .فالمرابطون أسسوا القبائل ، و هم الشيوخ الأوائل الذين تأسست عليهم السلالات الطرقية و العائلات الشريفة التي امتلكت الاقطاعات الفلاحية و الزوايا التعليمية . " فهم لم

يتدخلوا إلا عندما تصبح عشيرتهم في خطر " .وقد كانت لهم مكانة علمية و سياسية في الأمر و النهي وحل النزاعات حسب عدي ." فقد كان دور المرابط ليس أساسيا في السلم عندما ينشأ النزاع بين قبيلتين فقط و لكن أيضا داخل القبيلة الواحدة " ، حيث يرى لويس غاردي ذلك وهو الباحث الكبير في التراث الإسلامي وتاريخه الذي واجه عدة انتقادات علمية ومنهجية من طرف البعض ، وخاصة المفكرين العرب الحداثيين الذين نهلوا من الفلسفة الغربية ودرسوا التاريخ العربي والإسلامي على يد هؤلاء المستشرقين .

يقول غاردي :" إن التصوف كان مهمشا في الحياة العامة . فقد كان عنصرا من الحياة الاسلامية الحضرية في العصور الكلاسيكية ، وقد كانت هناك حلقات كبيرة . مثل حلقة رابعة العدوية التي تعزف الناي وتدعو إلى العشق الإلهي في مدينة البصرة في عهدها " .

ولكن يجب ملاحظة أنه تواجدت إلى جانب الصوفية ، كجماعة علمية ودعائية للإسلام ، جماعات معادية لها ، وهي جماعات سياسية وأخرى فلسفية ولاه وتية وأصولية وفقهاء من المعتزلة وفقهاء الحنفية ، أي أنصار المذهب الحنفي الذي أنشأه أبو حنيفة النعمان في العهد العباسي ليضع نظاما متطورا من الشرائع و القواعد الإسلامية. إن الحالة الروحية للصوفية هي حالة توحد مع الله بالتجربة ، لهذا اعتبرت الصوفية فرقة كافرة.وتقوم بالزندقة ، إذ حاربها العلماء و الفقهاء . وهكذا شاركت السلطة ورجالها و أهل العلم في محاربة الحلاج الذي اعتمد نظرية الحلول و التماهي مع الله و طرد من الأماكن المقدسة و قام الناس بتكفيره .إن الصوفية نشأت من تجمع حلقات من العلماء في المدن ، وقد كانت منت شرة كمايرى لويس غارديه **Gardet Louis** بكثرة في القرن العاشر الميلادي ، وهم الذين كانوا يلبسون جبة الصوف وعمامة الرأس ، وهم يتدارسون في الشارع أمام العامة ، وهم يتساءلون : هل هم علماء دين ؟ يمكن القول نعم بصفة عامة ، ولكن ليس رجال فقه ديني وقانون إسلامي ، و الطبقة الأولى منهم نشأت تبحث في الحديث الشريف و تدرسه و تدعو إليه ، ولكن الهدف كان البحث عن حالات نفسية عليا و الهوية الإلهية و الوج ودية للإنسان و الحلول في الله . وقد نلاحظ في بداية ظهورها صرامة القضاء الإسلامي مع هذه الجماعة و تعليماتها و بالتالي شكلت تي ارا هامشيا في الواجهة الإسلامية لتلك الفترة التي يسود فيها الإسلام الرسمي . منذ ذلك الحين نشأت مؤلفات تدافع عن تلك الحركة و ذلك المذهب و تؤسس له مبادئه و تعاليمه المذهبية التي تميزه عن الإسلام السني الرسمي .

الباب الثالث: معنى ونظريات المقاومة عالميا ومحليا

الفصل الأول : تعريف ونظريات المقاومة في الثقافة العصرية و التقليدية

الفصل الثاني : النظريات المحلية في المقاومة و الإستعمار –ابن خلدون و مالك بن نبي

الفصل الأول: تعريف المقاومة في الثقافة الحديثة

تمهيد

ان الدخول الى عالم المقاومة هو فعل تعسفي ، لأن أية محاولة اسقاط فكري و نظري غير مجدية بالأساس ،حيث يمكن القول أن مفهوم المقاومة ظل تصديرا اديولوجيا مرتبط بمراكز القوى و الترفع الحضاري الحديث .فكل المعالجات الفكرية في الموضوع لم تكن ذات مصداقية و لم تكن موضوعية بالحد المقبول .فالفعل الاستعماري الحديث لم يكن فعلا ظلاميا و استغلاليا و اجراميا في التحليل الغربي مهما كان التيار الذي يعالجه ،يساريا أو يمينيا أو وسطا بينهما .فكل المقاربات الغربية تتكلم عن حرب و حروب الجزائر ،في حين اختفى مفهوم المقاومة و الثورة الاستقلالية و التحريرية .

المبحث الأول تعاريف ومفاهيم

المطلب الأول تعريف:

هذا المفهوم سياسي حديث ولكنه ليس عصري رغم ذاك بقي سائدا حتى اليوم ، فالمقاومة دفاع عن وجود الذات وحركيتها في الزمان والمكان والفعل وحرية هذا الوجود في النشاط وتفاعلية وضمان الأمن والطموح للبعيد والتحكم في المحيط .فالمقاومة هي رد فعل ضد أي جسم خارجي، وذلك بهدف والاستقرار والاستمرار والحرية.وتعتبر من مرادفات الثورة والانتفاضة و التمرد و العصيان ولكن التطبيع السياسي الحديث غلب على مفهوم الثورة بصفتها حركة منتظمة من الأشخاص ومراتبهم وتنتهج تقسيم الأعمال والجماعة الثورية إلى فرق ومصالح وغيرها و حسب العصبية و التضامن العضوي و الألي .

فالمقاومة لها سبب واحد ، أما الثورة لها سبب أو أكثر في الأساس ، لأن المقاومة لا تحدث الا إذا حدثت الإثارة أو الاعتداء ، بينما الثورة يمكن حدوثها بدون سبب بينما يبقى المرجع الأول هذا الدافع لذلك. فقد كانت المقاومة الجزائرية في عهد بداية الاحتلال حدثت أثر هجوم فرنسا على الجزائر ، بينما الثورة التحريرية 1954 حدثت بهجومات الثوار الجزائريين ،بينما كان الحال راكدا تحت الوطأة لكن السبب الأساس المرجعي هو الاستعمار في حين يتكلم المنظر الغربي عن حرب و نقل حضارة عصرية و الفعل المقابل هو تمرد و عصيان و صعلكة همجية و لم يفق هوالى وحشيته ازاء الأهالي . والمقاومة تتطلب في كل الحالات تقديمات و عمليات لضم الصفوف و جمع القوى ومنها عمليات مبدأية وليست مدروسة بعمق لأن المقاومة فعل انفعالي سريع .لذا نجد بعض الاستعدادات وتزامنة مع التوغل العدائي

للجانب الأخر الذي هو الاستعمار الفرنسي . لذا نذكر الدعاية و الاشهار و الاتصال و الترغيب و نبذ الخوف و الوطنية و التكامل و الوحدة و الأثر المشترك و الكفالة المضمونة لكل مجاهد و ضمان حقوقه بعد التضحية في سبيل الوطن .و بذلك فهي لا تدعي التغيير و الاصلاح بقدر ما تلتزم أساسا بطرد المحتل الأجنبي أولا .و هي رد فعل شعبي عام تمثله أغلب الفئات الأهلية المسلوبة الحقوق و المتضررة من العدوان الغاشم من طرف الأجنبي . كما تتميز بوضع استراتـيجية سريعة و خفيفة و ترسم معالم حلول مؤقتة طبق مبادئ و قواعد تنظيمية متوافقة مع مقتضيات الوعي الجمعي المحايث و المتزامن مع الهجمة الاستعمارية ‘كما تفرض منطق قيادي بصير و حكيم متفهم لكل معنويات الفئات و الطبقات و العشائر و الجهات المشاركة في وحدة الوعي الوجودي الوطني المتراكم عبر القرون.

لذا كان طبق الظروف ‘ الشعر الشعبي و الحصان و التجارة و الأعياد الموسمية هي جه از الاتصال الأساسي في المرحلة المقاومة للاستعمار العقلاني والتكنولوجي و الحداثي المترفع عن بساطات المجتمع التقليدي و قواته الضعيفة و فلسفته الجامدة و اللاهوتية و التي كان يرى الاستعمار فيها مجرد ثنايا و مسلمات المجتمع الغربي الوسطوي المكبل بسلطة الكنيسة و البابا و نصوص رجال المعابد .ولكن لم ينتبه الى القوى الروحية التي ميزت الاختلاف الجوهري بين النصوص المسيحية المتجمدة و نصوص الاسلام المصقولة زمنا تلو أخر بفضل الاجتهاد و النقد و العلمنة المتسلسلة عبر كل الأزمنة .

و حسب ذلك نلاحظ المؤرخ الفرنسي أيكان لا يستعمل مفهوم المقاومة الا في عمليات الطرد المسلح للتدخل الألماني في فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية . ووقائع أخرى في اوروبا ذاتها و ما بين أبناءها مما غلب الشحنة الاديولوجية في معنى المقاومة .فالفعل المقاوم هو فعل سريع و منفعل لا يتطلب الاستراتيجيات العميقة و لا التنظيم العلمي.

" لقدعرفت كلمة مقاومة ,في السياق التاريخي و السياسي ‘إستعمالات مختلفة .فمنذ القرن العشرين يترنح خاصة في معنى حركةالتي تواجه الاحتلال لدولة من طرف قوى خارجية ‘من بداية الحرب العالمية الثانية . لذا فكل استعمال للكلمة من قبل كان يحمل غموضا .بينما كان في القرن 19م يعني ‘حزب المقاومة‘في فرنسا ليحيلنا الى معنى المحافظين ‘.ان هذه الكلمة تعني هي خاصة في أوروبا ‘مختلف

الحركات الذين شاركوا في مقاومة الاحتلال النازي في الحرب العالمية الثانية .'في مختلف البلدان الأوروبية التي احتلها الألمان ."'([1]) في ترجمة نص ويكيبيديا

المطلب الثاني المقاومة في الفكر الغربي

لم نلاحظ أية أثار للفكر المقا ومة في النظريات الغربية حتى الي وم 'بل كل ما نجده هو لفتات وتموجات نظرية مجانبة للثورة ومتخللة بالنظريات لأصلية لكل تيار 'بينما نجد التعرض لمفهوم التمرد و العصيان و التي كلها تتجه نحو النضال الداخلي للشعب الأوروبي اتجاه سلطته و طبقاته الحاكمة .و لذا يمكن أن نشير الى أن حتى الماركسية ا لمدعية للثورة و الثورية لم تتكلم في الثورات الخارجة عن مجال المجتمع الأروبي .و لا حتى المنظرين الكبار مثل مدرسة فرانكفورت و الفيلسوفة الباحثة المتعمقة في الثورة و هي حنا أرندت ([2]) .مايعني أن البحث في مطلوب الذات الثالثة أو الدول المتحلفة و المستعمرة هو كلام في الظل و لا يستحق الدراسة وهذا راجع الى المركزية الأوروبية و التعالي التكنولوجي الغربي المعاصر الذي يسيطر على كافة مناحي الحياة لعالم اليوم .

فكل كلام السحر الفلسفي المعصرن هو نقد فقط لمتطلعات التنوع الاجتماعي الحديث و التوزع الطبقي الناتج عنه و الهيمنة المنبثقة عن البيروقراطية و الأداتية و العقلنة التي فرضتها تسارعات الحضارة المعاصرة .وهذا ما لمسناه منذ فكر التنوير الذي لم ينادي سوى بتثوير العقل الأوروبي و لفظ الفكر الوسيط و القداسة الكهنوتية الظلامية عندهم وعمق الفكر الثوري الداخلي كلا من كانط و هيغل و فيخته و شيلينغ في اطار القومية و الرومانسية لاعادة المجد الجرماني و الروماني .

أما ماركس فلم ينتبه سوى الى الاستغلال الصناعي و الاقطاعي على الفرد و العامل الأوروبي من طرف رجال المال و البنوك و المصانع و الاقطاعيات و الذي كانت نتيجته الهيمنة و الاستلاب و حيازة فائض القيمة لصالح أرباب العمل و تضعيف العمال من درجة الى أسوأ درجة بصفة متلاحقة و مفقدة للحرية و الاستقلال الشخصي . وهوما يواصله حتى هربرت ماركيوز و حنا أرندت بصيغة أخرى و جمل مكررة أو ناقدة لبعض المقولات الماركسية أحيانا .

([1]) http //fr.wekipedia .org/w.indexp
php?title=resistance)(politique)&oldid136991740.fr2017/05تصفح جوان

([2]) Hannah Arendt, essai sur la revolution ,ed-fayard -1963-)

الا أن اللافت النظر هو الاجتهاد الوجودي عند سارتر و مدرسته التي حاربت الفكر الاستعماري و دفعت ثمن ذلك سياسيا و مهنيا و اشهاريا في الفكر المعاصر ‘بتأليب من المدرسة الكولونيالية الحديثة التي مجدت الاستعمار و طرقه المدعية للحضارة متحججة ببغض المستويات و التغيرات التي و صلتها دولا متخلفة بفضل الاستعمار كما برروا ذلك.ومعنى ذلك كله عدم التعرض للثورة و المقاومة ضد الأجنبي و الاستعمار الذي ظهر في القرن التا سع عشر و التوسع التجاري منذ القرن السابع عشر من طرف بريطانيا سابقا في الهند و أستراليا و غيرها من الجزر النائية .

المطلب الثالث مفهوم المقاومة و علاقته بالثورة:

لقد تكلم الفلاسفة القدماء عن الثورة ، وكان أرسطو يرى أن منابع الثورات ومصادرها يرجع لجملة أسباب واضحة كما نعرفها اجتماعية واقتصادية وثقافية ، كما ربطها أفلاطون بتغيير نظام الحكم السياسي فقط . فإن التطور الفكري قد زاد من تشبيع هذه الدلالة بمضامين أخرى طبق التغيرات الاجتماعية والحضارية والتكنولوجية المتواصلة ، لأن غضب الإنسان البدائي ورفضه لشيء لا يعني ثورة ، ولكن التماسك الاجتماعي وتوسع العائلة القبيلة عبر التاريخ هو الذي كون الدولة والإمبراطورية ثم عهد الدويلات الصغيرة ثم توحيد ذلك في الدولة القومية العصرية ، وما تبعها من فلسفة جديدة في النشاط والعمل والتسيير والنظام لهذا ، لا يمكن استبعاد المفهوم لماركس ([1]) المنظر الأول للمفهوم الذي يرى أن الثورة حادثة حتمية لبناء المجتمع بهدف إعادة خلق توازن متراتب بحفظ تكامل المجتمع وتعاونه وترابطه وإعادة توزيع الحقوق فيه لضمان الاستمرار، لأن الثورة هي " حل للتناقضات " التي توجد في البناء الاجتماعي وخاصة في نظام العمل أو الملكية والحق السياسي.لذلك رأى ماركس أن الثورة هي حدث ينتج عن تزافر علاقات الانتاج و قوى الانتاج لكن هذه النظرية لم تصمد كثيرا . أما الفكر الراسمالي التي تقوده النظرية الوظيفية التي ترى في الثورة مجرد صراع وليست تغيير شامل ، حيث أن الصراع إمكانية محتملة لإعادة هيكلة ظاهرة أو أكثر ، والفعل من ذلك هو إعادة ترتيب فقط ، لأن المجتمع الليبرالي لا يقبل سوى التوازن والاستقرار وتسيره يد خفية كما كان يرى سميث ‘ويرفض كل جذرية اقصا ية لان النظام الرأسمالي طبقي ديمقراطي يحفظ حقوق الآخرين طبق فلسفة براغماتية قائمة على المصلحة الفردية ضمن تنافس حر وعمل حر ورأي حر.

---

[1]–محمد.فايز عبد سعيد علم الاجتماع السياسي ن م، ص168–

بما ان مفهوم المقاومة مفهوم إجرائي ، وهي ذات اتجاه واحد في أغلب التوظيفات التاريخية ‘أي ضد الدخيل فقط ‘و قد تم استعماله من طرفنا لتقريب عمل القارئ من الدلالة السائدة ، فإنه يمكن القول أن الكلام عن المقاومة ، هو نفسه الكلام عن الثورة رغم أن الثورة بمفهومها السوسيولوجي والسياسي ن تعني عملية تغيير حالة من وضع إلى آخر ، بهدف تغيير نمط للحياة أو أسلوب للعمل أو لتنظيم ويكون محرك العملية هو الإنسان دائما ضد الإنسان إما بالطرق السلمية أو العنيفة مثل الثورة المسلحة. فالثورة هي مفهوم مثيل المقاومة ، ولكنها ذات اتجاهين ‘أي ضد الدخيل و ضد المحلي المتغطرس وإن كانت الثورة غالبا بالمفهوم الماركسي والاشتراكي والجماهيري عامة مثل الثورة الفرنسية 1789 وهي محلية والثورة الأمريكية وهي كذلك محلية والثورة الروسية 1917 أيضا ‘أما الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي عام 1954 أي ضد دخيل بشري و فكري وسياسي .

لذا وجد أغلب من يستعملون مفهوم المقاومة على الثورات الشعبية التي سبقت التحرير التي هي أكثر تنظيما وحداثة وتوسعا يبررها متن سياسي يمثل فلسفة الثورة ومنطق النشاط السياسي هذا ، بكل أهدافه ونتائجه وأساليبه ومناهجه وإستراتيجيته العملية. إذن الثورة عملية سياسية غالبا ، مما يعني تتكون من مركب داخلي يؤسسه " رجال السياسة " وجماهير السياسة ، وأحزاب السياسة وعناصر المشاركة في عملية الصراع.....([1]).

المطلب الرابع نظريات الثورة:

إن استعمال المفهوم في السياسة ، يقودنا طبيعيا إلى مفهوم آخر هو الدولة والعلاقة واضحة ، حيث أن الثورة في الدولة ، هي إعادة بناء الدولة " ([2]) ، وبذلك ، فإن البناء لا يعني زيادة وتضخيم وتطوير دائما ، ولكن يمكن أن يكون بناءا بالهدم والتحطيم ، وتبقى النتيجة حسب فلسفة ومنهج الثورة .

حيث يمكن أن تبقى البناء حطام وتختفي إيجابية الثورة الهادفة ، ويمكن أن الثورة ناضجة قادرة على تغيير الوضع وبالتالي إعادة البناء للحطام ، عن طريق تغيير الوجود النفس للأفراد ، لأن الوعي بالذات وبالمحيط ، هو الذي يقرر فعالية الثورة ، وهدفها السامي ضد السلبية والرجعية .....التي تعمل بفكر النظام التقليدي مهما كان درجة حداثته وعصرنته ، لأن تغيير أساليب العمل بالكمبيوتر الآن ، وأساليب عن بعد أو أزرار هوائية ، هي ثورة على العصرنة نفسها.

---

[1]– محمد فايز اسعيد ، الأسس النظرية لعلم الاجتماع السياسي ، دار الطليعة ، ط1، مارس 1983، بيروت ، ص145.

[2]– م عبد اسعيد، م ن ، ص169.

وهناك دراسات عميقة وجديدة في الموضوع ،ورغم اغتنائها فقط بالنظريات السابقة مثل المركيسية و مشال دي مايستر([1]) و روزا لوكنسنبورغ و غرامشي ،الا أنها استطاعت أن تخرج بفهم جديد .و منها ماركيز و كروزر و جاك اليل وتشريح ثورة ل كارن برينتون.

يرى العلامة برنتون كرين ، بأنها "عملية تغيير جذرية لنظام القائم مع كل قواعده وأسسه وقيمه " فهي قلب نظام إجتماعي . فالثورة هـ ي تغيير كاسح للأوضاع الحالية ، فهي ميكانيزم اتجاه وضعية محددة ، فهي ابدال للقيم وأركان النظام بكل فروعه المقررة في الحياة الفردية والجامعية سواء في الإقتصاد والإدارة ، المجتمع والثقافة...

وتبقى هذه التقديم أقرب إلى الماركسية ، التي تأسس ت على الصراع الطبق ي ، وفلسفة التغير الاجتماعي على أساس الجدلية التاريخية المادية ، لفض التناقضات ، وخلق علاقات جديدة ، فإن النظرية الليبرالية كما رأينا لا تحبذ ذلك كلية ، وتفضل فلسفة العنف ، التي يقودها أفراد وجماعات ضد وضعيات معينة . فالعنف اجتماعيا يعني "ا لاستعمال غير الـقانوني لوسائل القسري والمادي والبدني ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو جماعية. وفي المعنى النفسي " هو توفر وانفجار يسهم في إثارتها عدة ظواهر وأسباب يفرضها المحيط والواقع اقتصادي وثقافي وعقائدي والسياسي ، مما يعكس التناقض والتوزع والقلق الذي يعانيه الفرد أو المجتمع كاملا مما يخلق عدم التفاهم في كافة المجالات ثم سوء الظن والحقد ثم العنف .ولذا يمكن القول مع ماركس توقع أن السياسة هي حرب بدون عنف ، و الحرب هي السياسة بطريقة عنيفة...وهناك تفسيرات للعنف لدى بعض العلماء نذكرها:

أرنولدتومنبي: وهو المؤرخ صاحب نظرية التحدي والاستجابة في التاريخ والحضارة والمجتمع والذي تواجه العصبية الـخلدونية والحتمية الجدلية الماركسية وغيرها، نجده يرى أن انعدام الذاتية الفردية ، الفرد في آلية الحياة الميكانيكية من جهة وفي آلية الحياة الاجتماعية من جهة أخرى ([2]).

فالفردية المصلحية غلبت مع الـمجتمع الرأسمالي ، في حين غلبت الفطرة .الشيوعية لدى حيواني النمل والنحل ، وغلبت القومية على المجتمع القبلي لأنها ذات فطرة عرفية أو ثقافية. وذلك يمثل التكنولوجيا الحديثة وسط علاقات لا شخصية .اذن الاستجابة هي الفعل الثاني الذي يواجهه الانسان بعد ما كان التحدي اولا ولكنه غير صادر من الانسان او القائم بفعل الاستجابة فتصبح هي البديل

---

[1] Joseph de maistre ,, sociologie des revolutions (

[2]– عبد اسعيد م ن ، ص174.

عن مفهوم المقاومة حيث و هي شكل المواجهة او التحدي من الطرف المعرض لعراقيل نشاطه او حواجز فعله .

ولكن جون غاردنر ، فهو يبرئ العلم لتكنولوجيا من القلق الذي ينتج العنف في العلم ، لكن العلم والتقنية تزيد من رفاهية الإنسان ، تغير المحيط والأفراد وتخلق فسحة جديدة للاستراحة والرخاء المبهج للنفس مما لا يدفع للعنف .بينما يرى ماكس فيبر و هيغ ل و هيبرماس و مدرسة فرانكفورت سلبية الحداثة في العقلانية و البيروقراطية و العلموية المجحفة المستص غرة للسمو الفكري و التقاليد العقلانية القديمة التي لها منحى ايجابي مؤكدا . فالإنسان شاعر بشخصه وجوده الحر ، ولكن الحضارة المعاصرة التي هيكلته ضمن نظام متقوقع بفضل التكنولوجيا الحديثة ليصبح عبدا وأسيرا بطريقة أخرى ، و جعل منه ذا أحساس لا شخصي، مما يدفعه للع نف بعد القلق و الحيرة من حياته و وجوده المهدد دائما عند توينبي لكن عند غاردنر' إن ظواهر الاهتزاز و التغير الاجتماعي ، تكون أحيانا نتيجة الإبداع التكنولوجي المتجدد .لذا نجد عند غاردنر ([1]) يرى أن الخطر الحقيقي المهدد للإنسان ليس في التكنولوجيا و الإبداع ، بل في الأسباب العادية القديمة مثل : قلة الموارد و الأمراض و العدوان الخارجي و التفوق التقني من طرف الآخر، لذا يلعب التطور العلمي مبتغى لصد القلق و الأخطار لتفكك الانهيار و بالتالي فرض الحيوية و الفعالية .فالثورة دائما مرتبطة بالعنف و التغيير و الاقصاء لبعض العناصر .

إن التقدم يفرض البحث عن المشكلات، و إبداع الحلول و اكتشاف مناهج جديدة للممارسة والتكيف مع التغيرات والوسائل ومما تنتجه ، رغم أن كل منتوج تقني له آثار سلبية وأخرى إيجابية والمثال الواضح في التلفزيون ومن يخلقه أحيانا من أزمات نفسية واجتماعية ' ضياع الوقت وأمراض بيولوجية 'ولكنه أيضا وسيلة علمية ثقافية وتعليمية مثيرة . بينما نجد في الم اركسية ان الثورة هي ذات اسقاط اجتماعي فقط وهي نتاج تصادم بين علاقات الانتاج وقوى الانتاج بعدما ينفك التكافؤ الذي كان سائدا من قبل مما جعله ا نظرية دوغمائية تاريخانية جامدة من منطق المركزية الغربية .

---

[1]– عبد اسعيد، م ن ، ص175.

وهناك أخرى نظرية مجتمع الجماهير التي ترى في معناها إمكانية حدوث إنتفاضة جماهيرية في حالة فشل النظام القائم في تلبية رغبات الشعب . كما يوجد تفسير سيكولوجي ، الذين يعزى الثورة إلى مفهوم الصراع الذي يعيشه الفرد نفسيا حسب المحيط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الذي يعيشه ، وبالتالي فالثورة هي مجرد فعل ضد القهر والقمع الذي يتعرض له الفرد لأن القاموس العادي يعتبر الغضب ثورة ، والفعل المشمئز ثورة.....

الفصل الثاني المقاومة في الثقافة السياسية والممارسة الواقعية

المبحث الأول تعريف الثقافة السياسية والمقاومة التقليدية

المطلب الأول تعريف الثقافة السياسية

إن الثقافة السياسية نتاج مجموع التفاعلات الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و التي تنزع نحو وجود تألفي و تعايشي لمجموع فئات و جماعات مختلفة في عناصر كثيرة و في الصفات و السمات المميزة لكل جماعة .لذا يحدث التفاعل بين شخصين أو جماعتين أو أكثر ولكن المهم الذي يصوغه هذا التفاعل هو وحدة مشاعر ومواقف أو اختلافها، وبالتالي فإن التفاعل يكون موحدا ويخلق أشكال الانسجام والتوافق، عندما يكون للأفراد أو الجماعات نفس الأهداف والأفعال .وبذلك يخرج التفاعل الاجتماعي من حيزه الضيق ‘العائلي و القبلي و الجهوي الى الغاية الانسانية الكبرى و هي التفاعل السياسي و الذي يتراكم بالطول و يشكل ثقافة سياسية محددة و مميزة لها سمات وخصائص فريدة لجماعة كبرى معينة بصبح أليا متنفسا للفعل الاجتماعي ومحددة لظوابطه . هكذا يحدث التبادل وتناغم الفعل الثقافي المرتبط بمصدر منسجم ويعكس أثره والعلاقات الاجتماعية داخل وخارج الجماعة ، وهذا طبق أنواع التفاعل التي يحددها في تفاعل مباشر يتمثل في سلوك فعلي أو في تفاعل رمزي اتصالي حركي أو إشاري أو لغوي.

يخلق التفاعل أنماطا محددة ، كما يخلق هو نفسه من أنماط اجتماعية وثقافية محددة معاشة أو متقاربة التعايش بالتفاعل يحدث طبق الأنماط المغروسة ثقافيا ، ويغرس أنماطا أخرى جديدة أو مثيلة للسابق أو متطورة قليلا حسب السياق حسب درجة ردود الأفعال التي تحدث من اتجاهات محددة لدى الأفراد والجماعات وتحدد علاقة الواحد المتفاعل بالقيم والمثل والقوانين والمبادئ وضوابط الحياة العامة ومصالح الجماعة التي تنشط مسارها الأفعال الاقتصادية والتجارية التعليمية والدينية التي يحكمها الإمام المثل والمسجد الجامع بوضوح لدى المسلمين أو زعيم الجماعة .

ورغم ما يثيره مستوى الإجابة في ذلك من خلق جماعات أولية متمثلة وجماعات ثانوية تمارس نوع من الاستغلالية المهنية أو الظرفية أو المذهبية إلى غير ذلك من الإنسلاخات الجانبية للمجتمع. أو « ...جماعات ثانوية نظامية تلعب دورا هام ا في توجيه طبيعة ومشاركة الفرد في المجتمع الكبير ... ، وعندما يميل العامة .... ([1])» الى الالتفاف حول طبقة مسيطرة أو شكل نظامي فإن هذا يحقق لهم

[1] احمد بيومي ‘علم الاجتماع الثقافي ‘دار المعرفة الجامعية ‘القاهرة 2009 مرجع سابق ، ص60-

الاستقرار. و الواضح و الأكيد ان ذلك يرجع بطبيعة الحال الى طبيعة المجتمع في تسيير التفاعلات و خلق الرابط الاجتماعي الذي يتحكم في بث أنماط من السلوك طبق الذاكرة الجماعية الخاضعة بدورها الى النقد و الرد و التعديل و التكييف المتواصل لحاجات المجتمع السياسية مع العلم أن السياسة ترفض الانحيازأو التمذهب أو القبلية اوالجهوية الضيقة .بذلك كانت الثقافة السياسية هي الرافد و الحامل الشامل لتلك المعطيات من سرديات و معلومات وتصديرات فكرية .سواء في التاريخ أوالأمكنة أو الأشخاص و الذي يرسخ فعالية الرابط الوطني في أشكال متعددة من تمظهرات الثقافة السياسية فعلا و قولا و ممارسة و تفاعلا و التي تترسخ في ذاكرة جماعية مشتركة العناصر.

يقول المؤرخ لوقكوف. إن ما يحتفظ به المؤرخ عن الماضي هو ما يتناسب بدقة مع ما يريد فهمه أو تبريره ، بالنسبة إلى المجتمع الذي يحيط به ، ولذا شكلت دراسة أشكال الحياة اليومية جزءا من الفكر التاريخي مادام اهتمامه الرئيسي كان إعادة بناء مسار الحضارات وتطورها ولكنها ستصبح ثانوية عندما .جندت الدول و الامم الناشئة . والذاكرة الجماعية لتبرير هيمنتها الحاضرة على مجال ترابي ، ولتبرير طريقة تنظيمها للمجتمع بالاعتماد على الماضي .([1]). لذا أصبح الإنتهاج بالوضعية التجريبية ، توجها لا مناص منه ، ولكنه أمام عائق ايستمولو جي خطير ، لا يمكن تجاوزه لأنه معروف أن التاريخ لا يعيد أحداثه ورغم التمعضلات الجديدة للأمة ، من المجتمع إلى القومية إلى الدولة القطرية الحديثة التي ظهرت في إيطاليا ، وألمانيا وغيرها.

ان التراث البحثي يعلمنا ان السردية قريبة من الدولة ،بينما التحليل الذي تعمق في السلوكات فهو ولوج فضاء الشعبوية وفقد الدور السياسي . فالعلوم الاجتماعية أصبحت تحقق هويتها بكل حياء وكل استقلالية في الأدوات وفي أساليب ، والمناهج والأشخاص وكيفية المعالجة و مداخل العمل و انعكافاته .إن البحث الذي قدمه موريس أغولون([2])حول اندماج الثقافة السياسية في المجتمع الجنوبي ، هو بحث انتربولوجي وتاريخي ، وهو وصف لقضايا نشوء فرنسا المعاصرة.

فالسياسة ليست مجرد خزان الأفكار برامجية أنتجتها النخب الواعية والأحزاب التي ولدت من رحم الأزمة الثورية ، وقد أنتشر تدريجيا داخل كامل الجسم الاجتماعي بفعل قدرته على الإقناع

---

[1]– .جاك لوعوف ، نفس المرجع ، ص239.

[2]– ن م س ، ص274

والتعبئة....([1]).فالسياسة كما يرى بوغوف طريقة في التواصل مع الآخرين ، وطريقة لفهم العالم، فهو عمل ومشروع عمل وآليات ثابتة ومتغيرة تحقق التمايز ([2]) والاختلاف أو التماثل والانسجام فالبحث في فرق الاستعراض الفني نطرح المظاهر الشكلية للحياة وآلياتها. إن التطور المنهجي للبحث الأنثربولوجي في التاريخ أصبح مؤكدا منذ الثورة الفرنسية ، حيث توفرت الظروف عام 1789 ، التي توضح كافة الآليات وكافة التناقضات ، وكافة الأسس التي يقوم عليها المجتمع ، ويسقط منها كما أنها توضح السهل والممتنع في الحياة الاجتماعية والمتغيرات التي تخلق الأزمة وتحل أخرى ، في الاقتصاد في الثقافة ، في الدين في الدولة أو في العادات والسلوكات العمومية ‘سواء رمزية أو طقسية التي ينبني عليها الخطاب الإيديولوجيا الرسمي ، .و يحوط له قوته لتمكين عناصره من فرض سلطته ، لذا أصبح من الممكن رصد المعلومات الإحصائية الذي تكونت من الثورة الفرنسية ، المؤرخين من وسائل الاقتراب التدريجي فالزمن الحاضر ،من خلال تتبع المقاومة والانتقال لكل المكونات الأنثروبولوجية لفرنسا([3]).

ونجد من يمثل ذلك النوع من الدراسات ، مني أوزوف وميشال فوفيل وجاك أزوف ، وفرا نسوا فوريه ‘حيث ساهم كل منهم في دراسته الأعراس والاحتفالات وألغازها وتمثلاتها ، ودرسو الأمية والخريطة الحربية.فالتاريخ فرض علينا بالمنطق العصري ظرفة المعرفة التاريخية المحدودة الزمن ، وهناك تاريخ للظرفية ، إنه علم لم يقع نظيره كثيرا مطبق في مبادئه على تحليل التغيير...فهو محل التغيير([4]).

المطلب الثاني المقاومة في الثقافة التقليدية

ارتبط المجتمع في بلاد المغرب بفقه الإسلام بكل مصادره (القطعية) القرآنية والمستخرجة من السنة ‘ حديثا‘ سلوكا وإجماع العلماء ، وقد سجل التراث الفكري والقانوني هذه التعليمات في الكتب والمدونات ، ولكن بقي الحرج أما م تطور المجتمع وتطوير حاجياته ووسائله وتقنيات العمل والنشاط اليومي به .كما ترسخت القيم و العادات و الأعراف المحلية في تكريس الشعور الوطني و الإختلاف الهمياتي عن الفرني و الأوروبي ف التاريخ و اللغة و السلوك . وبلتالي وجد المسلم و الأهالي نفسه أما ظروف أخرى وصعوبات أخرى ومواجهات أخرى ، تؤثر على حياته وأفعاله وتجعله أما م مفارقة تقليدية أما الحداثة ،

---

[1]–المرجع السابق،ص274.

[2]– مرجع نفسه، ص275

[3]–جاك لوقوف ، المرجع السابق، ص275.

[4]–المرجع السابق، ص276.

والشيء الأخطر هي المظاهر الاجتماعية والسياسية الجديدة ،مثل الاستعمار بطرق حديثة وسياسة حديثة.من هناك كان اللجوء إلى فقه النوازل ، أمرا حتميا للبعض ،رغم أن النص القرآني واضح ، وكان أمرا داعيا للجهاد ضد الكافر وضد حكم غير المسلم ، ولكنه لم يمنع أبدا تواجد وتعايش الكافر والكتابي من مسيحي ويهودي ، في أوساط المجتمع المسلم.

من هنا يمكن التذكير أن حين دخول الاستعمار، كان هناك من اعتبره مكتوبا وقدرا محتوما من الله ، ولا مفر من الصمت والخضوع والعيش بسلام مع المستعمر ، مهما كان الحال ، ولو تحت الظلم والابتزاز والاستبداد ، مع العلم تأشيرة دي بورمون حين دخول الجزائر ، قدم عريضته للشعب الجزائري يعلن فيها بعدم المساس بالدين الإسلامي وتقاليد المجتمع وأملاكه وأخلاقه ولكن الأمر الذي سيواجه الاستعمار رأى آخر ، ثور ي لا يقبل الاندماج ولا الابتزاز ولا سحب الحقوق من أصحابها في الرأي والقرار والحياة التقليدية ، فكانت المقاومة والجهاد طبق فقه الإسلام وتراث العلماء وتجارب زعماء الدول الإسلامية السابقة التي عرفت عدة غزوات أجنبية من فرس وروم ومغول فكانت المواجهة حتميا.

اما أصحاب النوازل المستسلمة فقد فشلوا واقعا فمنهم من عاش في المجتمع الصناعي الحداثي في المدن الكبرى ، ومنهم من آمن بالقدر أو المكتوب الإلهي ، ولكنه تقطعت أوصاله ، والتوت أسماعه وأعينه ، بعدما رأى وسمع محارق الظهرة وتنس ومصادرة الأملاك وحرق المحاصل الفلاحية في بلاد القبائل فغير رأيه ، فكان حكم النوازل استفتاءا بدون قاعدة ولا مرجعية ، لم يقل بما القرآن ولا الحديث ولا إجماع العلماء لأن الأمر جاد و خطير و غير مألوف . لقد كان فقه النوازل تطويرا للأصول الفقية لهذا العلم الذي اشتهربه الوزان المغربي والونشريسي صاحب –المعيار– وغيرهم من علماء القرون الوسطى وآخرها و بداية العصر الحديث .حيث كانت مواجهة المجتمع لظواهر جديدة لم يسبق فيها حكم فقهي.فكانت النوازل هي الحل و حتى في الامور السياسية .وكان الاستعمار نفسه نازلة من نوازل العصر الجديث لأنه رغم هجومات الصليبية على سواحل المغرب و المشرق لم يكن الدخول بهذا الشكل وهذا الأسلوب .فكانت المراجعية الفقهية قوة وعاطفة وتملكا للحرية وبحثا عن المصير المظلم في زمن الاستيطان ومخالفة الثقافة المحلية.

ارتبط العمل العنيف في الاسلام فقط في حالة الجهاد ‘وخاصة عندما يكون بالغزو و دخول بلاد الاسلام ‘فهو بذلك دفاع عن حياض المسلمين وقصد لاخاج الكافر الذي تتنافى تقاليده مع العقائد الاسلامية . وبذالك نجد مدونة عقائدية لهذه المسائل لدى فقهاء الأمة .في مرجعية متكاملة مصدرها الفقه و الحدث و الواقعة و القرأن و السنة و التي حفظت مسوغات الجهاد أو مقاومة الكافر .لقد كون علماء

الإسلام من الحسن البصري وجعفر الصادق قاموسا اصطلاحيا ، وبالتالي مدونة فقهية سلوكية وعبادية للأخلاق والأعمال طبق المنهج الإسلامي ، ولكن ضعف الحضارة ، بعد هجوم المغول وحرق الكتب التراثية ، جعل المستودع العلمي يفشل للحركة والتوسع ، وبقي العلماء بدون مراجع ومصادر ولم تشتهر سوى دمشق وبغداد ، والأندلس في القاهرة التي حفظ علماءها التراث ، بينما تطورت حضارة علمية في الأندلس فيما بعد ، نظم قوامها ابن رشد وابن عربي وابن حزم وغيرهم ومنهم انتقل الأثر الفكري والأدبي إلى المغرب الإسلامي جنوب إسبانيا ، وبعد طرد المسلمين من إسبانيا هجر العلماء إلى المغرب إلا من تبقى من المورسكيين ، وبذلك نشأت حركة علمية في المغرب منذ 1492 حتى العهد العثماني رغم التحرشات الاسبانية على السواحل في بلاد المغرب.

وقد غلب على هذه المرحلة تكوين الرباطات والزوايا بفضل علماء التصوف طبق الطرف السياسي المضطرب ، ولكن الأثر الذي تركه علماء العهد الأندلس بقي قائما وخاصة في المغرب الأقصى وتونس على يدالوغليسي ، والماناكلاتي والمستدالي الذين علموا في القيروان وتعلم على يدهم سيدي عبد الرحمن الثعالبي ، عالم التصوف شهير العاصمة 1384/1464 كما ترك لهم ابن خلدون معلما مرجعيا فريدا في المقدمة ومات عام 1405 في القاهرة في هذه المرحلة عالم تونس يترك بصماته على العلماء وهو البرازلي ، وهو الذي درس على يد ابن عرفة شهير الحفصيين الم الكي (1916-1401) ([1]).و القيرواني الذي رسخ الملكية .كما استطاع ابن عرفة تكوين مجموعة علماء ناشطة اتبعوا المناهج الصوفية منهم 'اليوبي و الغبريني ، الذين تعلموا في تونس .ورجعوا إلى الجزائر للتعليم ونشر الدين واللغة وهذا في مرحلة قبل 1414 ، وفي هذه المرحلة أيضا كان ابن مرزوق التلمساني يعلم المستويات العليا ، كالجامعي اليوم الذي كان يكافئ بشهادة الإجازة في تونس.

لقد ساعد الحفظ التاريخي للفكر والمعرفة والمد ونات للأعمال التراثية الخاصة من التاريخ والفقه والآداب التي تركها الحافظ ال تنسي في التاريخ بعهد الزياني وما عاهدها من مملكات وأحداث ، والونشريسي في الفقه الجديد والخاص بالنوازل والأحداث العارضة لن لم تحدث من قبل ، الش يئ الذي ربط تونس والمغرب والجزائر في مملكة فكر وعمل واحدة على الأساس المالكي . كما شارك لسان بن الخطيب في الشعر و اللغة التصوف وعمر بن علي ال قالي في حفظ اللغة التي استعملها رجال العلم

---

[1]-)djilali sari , abdelrahmane athaalibi (1384-1468)une in etude islamique n : 11/juin 2007.

والتصوف .اللغة التي خلقت التفاع ل الاجتماعي و الثقافي المتكامل والذي سوف يمكن من وضع بنية جديدة و تمثل ناضج للمجتمع و الامة .

المبحث الثاني المقاربة الواقعية للمقاومة

المطلب الأول المقاومة في المعنى الصوفي

كانت الصوفية رمزالعمل و النشاط و الفكرلذا كانت واقعا حركيا فاعلا ، فقد اكتشف الاستشراق التقاليد و القيم المحلية ‘من خلال التصوف كمرجعية جهوية ‘والدين كتقمص روحي و أخلاقي شامل،لأن ذلك كان له دور خطيرفي المقاومة الوطنية ،و حيث تتبع فلسفة المقاومة لدى المتصوفة من قاموس خاص و فلسفة الحلول والحب الإلهي الذي جاء فلاسفة الصوفية قبل الطرق الصوفية ، وهي تجسيد الذات البشرية بالذات الإلهية نتيجة الحب والود إلى الله والذكر والتعبد لأجله لهذا تبقى مسألة البقاء والفناء عند الصوفية سوى مصطلح ليس له معنى وجوديا سوى مرحليا ، وهي المرحلة العادية ، أما المرحلة ما بعد الكشف والفرقان ، فهي تنمحي إثر التجسيد مع الكائن الذي له زمان ولا مكان ولا يموت ، فهو خالق الكون والطبيعة أزلي لطبعه .فالمقاومة ترتبط بالصوفية في أنها مجاهدة للنفس ضد الهوى و الرغبة الذاتية التي تتغلب على الشخص و تعرقل قوته و نشاطه التعبدي او سعيه في الحياة لضمان المعاش و الأمان و الراحة و ما يدمر مسار جهوده .من هذا المنطلق ، فإن الجهاد الواقعي مرتبط بالجهاد الصوفي الذي هو مجاهدة النفس وتطبيعها على محبة الله وعبادته والتضحية له ، وبالتالي في المقاومة عند الاحتلال ، فهي عمل بسيط ، بالنظر إلى الفلسفة القاعدية التي يقوم بها الصوفي.

فالصوفي ليس له معنى في الحياة أو الموت أو للبقاء أو الفناء بالمفهوم الصوفي ، فالحياة عند الله وفي جنة الخلود مع الشهداء والأبرار والأ نبياء والصالحين السابقين في ذلك كان المصطلح الثوري السياسي الذي يعوم في بحر الواقع الاجتماعي ويتغذى من التواءاته، فالمحبة الإلهية هي الواقع الحقيقي وراء أي نشاط يعمل لصالح الدين والمجتمع والجماعة ، وليس فلسفة فضائية بدون أرضية حاملة لها ، فكل الصوفية قبل تـوسخ الطرقية عبروا عن ذلك ، من الحلاج ، إلى الرومي وابن عربي والسكندري و الجنيد ورابعة العدوية ، وقبلهم الحسن البصري . فالمحبة الإلهية والجهاد الديني التعبدي هو عقد مع الله سري يظهر الصوفي إيمانه ....بالله ، وبالتالي هو انتماء الى جماعة تسمى " قوم " الصوفية.

« il est parle de ces liens qui unissent entre eux et ceux qui marchent dans la voie(tarîqa,sous la direction des maitres spirituels, aux Ames fières ces liens sont scelles par un pacte conclu sous serment, et t a la base de la tradition des soufis et l'organisation de chaque tarîqa ([1]

فالجهاد والمقاومة هم حلف وعهد مع الله ، والسلم هو " بيت الرضوان " مثل صلح الحديبية ، وهذا ما تحول الى المجاهدة ،وهنا يتحول الحلف مع الله إلى الحلف والعقد على الثقة والإئتمان مع البشر الذين هم قبائل مساندة للثورة ، طبق عملية اسقاطية على المستوى الواقعي البشري.وذلك لا يمنع السلم والصلح بالمفهوم السياسي ،لان له تقاليد في ذلك شهيرة .

إن الصوفية بصفتها الطقوسية و العرفانية تجنح نحو الإحتفالية في أخر المطاف ومنها تضمن السكون و التدرجية و التناغم بين الأفراد رغم أن البعض يختلف في درجة الاندراج و التحميل العقائدي نحو كل اتجاه صوفي والذي يحوي متمثلات فلسفية و عقائدية ووجودية ترعى الرابط الوطني و الاجتماعي و المخيال التاريخي أكثر من غيرها في فترة ما قبل الاستعمار و أثناءه ... مما يزيد أو ينقص التعاطف و التكامل في الفضاء الجغرافي المتماثل و الإلتفاف حول عقيدة و شعائر موحدة بدون طبقية و لا إقصائية في صور ظاهرة و أخرى رمزية جعلت للحياة معاني و طقوسا لها حدودها و له جماعاتها و ألغازها مما جعلها "مغلقة"([2]) مما جعل الدين أيضا دائرة مغلقة غالبا له سحره و جاذبيته، و حين الأزمات يمكن للجماعات و خاصة التجارية الإنضمام إلى المسجد و السوق، بعيدا عن السلطة و البلاط... لحاجتهم الحياتية الجديدة والتي لم يألف بها أهل الأمر حين ثورة داخلية أو ضد الغازي.

ان "الصوفي يوجه الصراع، يوازن التناقصات الداخلية طبق طبعة الأخلاق و النتيجة جمع الجماعة..". فالطريقة ظاهرة تاريخية تقوم على تعظيم وتقديس الأولياء، وجدت شعبية خاصة في ظل حكم البربر كما يرى غيرتيز ([3])، ثم حولت إلى حركة سياسية بعد ظهور الفوضى والإنهيار السياسي لذا حدثت الوحدة غالبا حسب وجود ولي صالح، سواء كانوا من مشايخ الإنعزاليين مثل المرابطين و

---

[1] Milad aissa ,–A–l –yaquota , , , opcit , p48

[2]) – ك. غيرتيز، المصدر السابق، ص 46.

[3])–المصدر السابق، ص 39/38.

المتنافسين في حين كان المجتمع حينها يشبه المجتمعات اليونانية ([1]) مثالية و عنيفة و ليس دويلات، أي كانت عبارة عن المدينة – الدولة، و تسود بينها الحروب و ..التصور المثالي و الفلسفي، و هذه ظاهرة حدثت حتى في إمارات الأندلس.

لذا كانت هناك شخصيات حيوية بعضها مح سن، وبعضها غير ذلك محصورة في معارك قاسية و رائعة"[2]، و منها تحول الدين من المحلية إلى الثورة ثم الولاية ثم الأسطورية من التجارة إلى الترحال إلى طلب العلم إلى التعلم ... من مدينة إلى أخرى من طريقة إلى أخرى في ظل المحافظة على التقاليد والحركة لفهم الحقيقة و العالم..."[3]، لأن الحضارة الزراعية قائمة على الإحتفالية و السكونية و التدرجية .. ربطت الناس بحياة مستويات مختلفة و عواطف مختلفة و قناعات مختلفة، للحياة نكهة ... للحياة بالتجربة نتيجة معاني و منها تتوضح الدوائر المغلقة "و هي الدين الذي سيحب ما يقنع به من الواقع المعروف حين تفقد المبادئ ظاهرها كحقائق مسلم بها، حينئذ لم يعد للعالم المعاش الواقعي، المتصور شيئا واحدا، و لم يعد للعالم أحدهما يفسر الآخر عندها و تظهر الإشكاليات ..."([4])

إن الطريقة ذات معنى شامل يخلق وعيا متكاملا و تضامنيا عب الزمن و ليس الحاضر فقط و انم ا تبع كل الأحداث و الظواهر المصطنعة وو العادية و النازلة عرضا . ولها أشكال وأنماط لشحذ الذاكرة و تجميع العناصرالفردية الى وحدة نفسية و اجتماعية و روحية . طريقة لعب، الذكر، رقص، حمل سيوف، دوران... تعطي للزاوية و الطريقة وحدة وإختلاف([5]) وتكامل و تجاذب رمزي يسهم في تنشيط القوى.

لقد كانت حصن التنظيم الإجتماعي بما يفوضها من دعوة و أمان و قضاء و تسيير للأمور الفردية و الجماعية ‘في الاحوال العادية ’ أما أثناء المقاومة و الحرب، فإنها تعطي المميزات الشخصية للفرد و الجماعة وتزيد من النشاط و القوة و الطيش، خشونة، قسوة، إختلاف، إكتساب شعبية و تأكيد الذات و الانتماء و التجذر وشعور بالتضامن الاجماعي .وهي بذلك تمثل "ثقافة فردية، للغيرة، القومية، التضامن، والتفاعل السريع([6]).أما البركة هي حركة هبة أو تعطيل إلهي .حظ وفرة، كمال، ثراء... صحة و عافية،

---

[1])–المصدر السابق، ص 39.

[2])–المصدر السابق، ص 40.

[3])–المصدر السابق، ص40.

[4])–ك. غيرتيز، المصدر السابق، ص 47/46.

[5])المصدر السابق، ص 58.

[6])المصدر السابق، ص 60.

قوى سحرية، قوى غير طبيعية أو نوع من الكهرباء أو الاتصال بعالم أخر مثلما .وجد عند الهنود و هي طريقة يصل بها الله إلى العالم .فهي حضور قوى غيبية لدى الحي أو الميت، كاريزمية أو وراثية مثل الملكية.. والشريعة.في حين تلعب المخيلة الوازع الرابط بين طرف و الذ ي أنتجته الطرقية في التنسيق الثوري و الاستقلالي . وتبقى المقاومة عند مصطلحات الصوفية الحديثة ، التي كما يشترط زمن الإستعمار ترجع إلى سياقين:

المقاومة الذاتية: ويعني محاربة نوازع النفس ومكابدة الصعاب و المجاهدة ضد الرغبات والنزوات لتعلم الصبر والكشف الصوفي.

المقاومة الدينية : وهي جهاد ضد الدخيل ، الذي يرفض الشروط الإسلامية ويمارس إخضاع المسلم له.

1) إن تكاثف درجات الوعي و الاستقبال الخطابي عن الرسالة الدينية ،حاضر بقوة لدى المجاهد الثوري في بداية المقاومة،لأنه أمام قوة غاشمة جديدة،لا يجعل لها مكان و لا تواجد في الوعي الثوري و الوطني .وقد ساعد على ذلك التنظيم الأسطوري و الخيال للتاريخ و التراث ضد الظلم و الاستبداد فالغياب العملي لكل تصوير مجاني اختفى كليا،إلا لدى بعض القبائل التي سكنها الخوف و الرعب و اشترت أمال الاستعمار،فتركت لديها الإدراك الفاسد و المغلوط حول الدافع و خداع الأسطورة الجديدة الاستلابية الموجهة لكل غريب بعيد عن حضارة الصناعة.

2) يقول الباحث،إن مجال الإدراك يكون الموضوع هو الأسطورة نفسها و طرف شعائرها و جملة الطقوس المتصلة بها أو المتفرعة عنها،أما في مجال التخيل الشعري فيكون الموضوع صورة هذه الأسطورة ..... فالخيال يتخذ مادته في الواقع،و لكنه يلغيه أو يعتبره غير حاضر،وذلك عن طريق المحاكاة و التمثيل و التشبيه .([1]).و ترتبط الأسطورة بالخيال الذي يرتبط بدوره بسعة التأمل و الذاكرة القوية.،و التفهم الداخلي للأشياء و المواد التي يقابلها الإنسان في محيطه الذي يؤثر في العالم و يتأثر بها.

3) يقول كولردج أنني أعتبر الخيال إما أوليا أو ثانويا .فالخيال الأولى هو في رأي القوة الحيوية أو الأولية التي تجعل الإدراك الإنساني ممكنا،و هو تكرار في العقل المتناهي لعملية

[1] –د.قصي الحسين–أنثربولوجية الأدب ،دار البحار ،بيروت ط 1–2009 ، ص334

الخلق الخالدة في الأنا المطلق.أما الخيال الثانوي فهو عرفي صدى الخيال الأو لى،غير أنه يوجد مع الإرادة الواعية .الخيال الثانوي يذيب و يلاشي و يحطم،لكي يخلق من جديد و حينما(يفشل)انه يسعى إلى إيجاد الوحدة ،إلى تحويل الواقع المثالي ...انه حيوي .... سيما الموضوعات ثابتة لا حياة فيها....."([1]) .

4) فالخيال الأول يريد إدراك ماهية الأ شياء والصفات بينما الثانوي فهو شعري يهتم الصعاب المقابلة بينما تبقى التوهم كذاكرة قد تحررت من المكان والزمان وهو يستعلم معارفه عن طريق تداعي المعاني أما من ناحية صفة إخراج هذا الخيال فهو جد متأثر بالعاطفة أو العقل أو الحالة العادية ، حيث يمكن القول أن الخ برة الأخلاقية والعقلية تشكل ملكة تصرف متداول تجريبي ونفس متلاحم مرتبط بمخزون فكري واعي وغير داعي وتؤدي إلى الإيمان والثقة . لذا اشتهر الشعراء والرواة بقوة الخيال وجمالية التصوير الذي يخلق سلاسة في النص وقبول متداعي للمستمع والقارئ.

5) فالخيال مرتبط بلواقع دائما ، ويشكل وحدة عمل وتسيير الخطاب والتأمل الذي يؤثر بقوة أو ضعف في الآخر ومن هنا تأثر كل جذور المقاومة بشخصية الزعماء ، بفضل الدين والأخلاق والكرامة والبطولة والخطاب ودافعية الجهاد ضد الآخر السالب للحقوق والوجود الحر.فالخيال عاملا مساعدا على رؤية الامل او الخطر او المصير او النتيجة عن بعد حيث تتشابك التاملات و التوقعات كما يمكن ان تخلق فضاءا جديدا لنفسيات الاشخاص .لذا وجدنا الشاعر عنترة يقوم في لحظة رمشة العين لمقاومة الخطر عن قبيلته .

المطلب الثاني نموذج مقاومة الحوارالمدني في الجزائر

اوجد برحال ،كما أوجد قبله حمدان خوجة ،فلسفة للحوار جديدة مرتبة معصرنة ديبلوماسيا ' لانه كان مثقفا مزدوجا وكان اماما ثم قاضيا و اخيرا مقاولا و برلمانيا ,احسب قول جغلول الذي رأى أن دخول الاستعمار هيأ ظروف الرأسمالية ، لكن التنظيم القبلي المعاشي والأقل تجار يا والحرفي ، لم يتمكن الاستعمار ، من تحطيمه كليا كما أن افتراض عدم دخول الاستعمار، يدفعنا إلى القول أن النظام الاجتماعي الاقتصادي ، كان له أن يسير في خط واضح ، تحكمه القيم الإسلامية والتحكيم الداخلي العائلي للاقتصاد الجماعي ، للتعاونيات العائلية ، القبيلية ، والارستقراطية سواء من الفلاحين الصغار أو

---

[1]--.قصي الحسين م س ، ص331.

المتوسطين أو الملاك الكبار من منظور إقليمي واحد ، في ندرومة فذلك شان آخر ، فالمقاومة هنا أصبح فعلا ضد فلسفة خارجية لهدم وبناء نظام اجتماعي وإرساء علاقات اجتماعية وقيم أ خارجية لم يكرسها التاريخ المحلي للحياة اليومية مع ملاحظة أن الاستعمار يجب الاحتراف ولا مناص منه حسب برحال ، والحل هو مقاومة بالحوار ، والتي يؤشر ها في ([1]) .وهي مقاومة الرفض التي تحاول أن تواجه ببطولة –لكن ببأس– عملية هدم وبناء التكوين الاجتماعي الجزائري التمردات المحلية والمتفرقة ، لصوصية الشرف ، وللهجرات . وكذلك مقاومة الحوار التي تحاول أن تطرح بغير عدائية مع أنها نافذة لمسألة هدم وبناء التكوين الاجتماعي الجزائري ([2]) وهذان الشكلان وقتيان ، اتجاه الواقع الكولونيالي العنيف .

"وإذا كانت مقاومة الرفض مخلوفة بالهزال فإن مقاومة الحوار محكومة بالإحباط" كما يرى جغلول لان المستمع لا يمنع للمتكلم إذا عبر عن قوى اجتماعية ممثلة .لان الحوار في داخله، بفرض الخلاف، والخلاف واضح بين المستعمر، ولا مستعمر، ففرنسا تمثل الدخيل العنيف القوي والجزائر المواطن المدني المستهدف في حقوقه وأملاكه وحريته، فالإدارة هي توجيه ال يومية، والتي خلفته فرنسا منذ نظام قانون الأهالي وقوانين أخرى لمصادرة الأرض.

فالمقاومة بالحوار ، نقيمها من خلال معناها الفلسفي أكثر من نتيجتها ، لان الهدف المقصود سيكون بكل وضوح هو الدفع إلى الاستقلال الذاتي الذي كان يراه المثقف محمد برحال في المراحل الأولى للاستعمار ، وقلب المعارك الضاربة في الجنوب الغربي الوهراني من بشار الاغواط إلى تلمسان وتيارت ، حيث قوى الاستعمار لم تتمكن من إرساء قواعدها العسكرية بعد، حيث يقول جغلول فالاختلاف الذي فرض الحوار له فريقين " هما الحكم الاستعماري ، الذي هو غير مكتمل بعد ولكنه هام لمعرفته ، والنسبة للآخر –مقاومة حوار– فهو تأكيد للحوار ذاته ، ولوجود مستقبل ذاته "([3]) وهذا الطرف الثاني هو واضح ، أي الجزائري الوطني ، المقاوم المدافع عن أرضه ووجوده وحريته.

لهذا قدم لنا برحال نموذجا ، فريدا ، من المقفيين في تلك الفترة ، حيث كان محاورا للسلطة الاستعمارية من موقف تناقضي ، ثم ممثل النخبة الجزائرية سياسيا ، ولكنه لم يرض لدوام الاحتلال والاحتواء ، بل كان معاشيا للواقع مدافعا عن تطلعات الشعب في عمومه .وله طقوس سياسية للعمل

---

[1] نفس المرجع ،ص 72

[2] نفس المرجع ،ص 72

[3] جغلول – نفس المرجع ،ص72

والنشاط ، جعلت له مدونة تختلف عن المقاومة الثورية ، ولكنها تقبل الواقع الآني الغير الحر ، ولكنها اندماجية لطلب المستقبل الحر بمعرفة طرق واقتصاد ومنهاج الاستعمار ، والتي لم ترفض الحوار والاندماج معها أبدا ، بل شردت وقتلت الثوار ، والأهالي من الرافضة للوجود الاستعماري لذا وجد خطة برحال تتلخص في([1])

- قبول الواقع الاستعماري والنزوح إلى الوطن.
- استدعاء مبدأ إعادة النظر في الواقع الاستعماري
- عقلنه الطلب والحوار ، بتفعيل المصلحة الوطنية ومصلحة الاستعمارية مؤقتا.
- ممارسة الحوار فرديا بدون تمثيل شعبي بفرض الواقع
- استعمال المتناقضات، التي ينتجها ويعمل بها الاستعمار.
- التركيز على قضية التعليم وتثقيف الجزائريين بالثقافة الصناعية والتكنولوجية حتى يمكن معايشة الاستعمار وفهم خطاباته المكتوبة المتناقضة.لقد غيرت سياسة التعليم الاستعماري التي بدأت في الجزائر رسميا منذ 1833 (1200 تلميذ) لأنها وضحت حدة التناقضات الداخلية في فرنسا حول مناهج و برامج التعليم أو أهدافه مما جعل الصراع يسود ببين العلمانية والكنيسة والرأي الثابت ، مما أخر فلسفة تربية كولونيالية حتى 1881 مع برنامج جول فيري وتطبيق مرسوم 1883 الذي يفرض العلمانية والديمقراطية والالزامية والمجانية في التعليم ولكن ذلك مجرد خدمة البورجوازية واحتواء نفسية الرفض الوطني الجزائري والذي كان ولازال سائدا في الجنوب لتأخر الاحتلال.

لان المسيرة الاحتلالية لم تتنته في يوم وليلة ، بل كانت المقاومة في الجدار الأمامي ، مع كل خطوة نحو الداخل الجزائري من التل إلى الهضاب إلى السهول إلى الجبال الداخلية إلى الجنوب، فالاحتلال لم يقتنع بسهولة لاحتواء حتى 1845 وحواليها حيث دخوله مناطق الجنوب الشمالية التي تفتح له شهية التعمق في الداخل الجنوبي العميق الذي تقل سكانه ، وتقسوا طبيعته الصيفية أكثر من الشمال المعتدل وله غرائبية مشوقة للفهم و التامل .

---

[1] جغلول – نفس المرجع ،ص74-75

إذ التحليل العلماني الحديث الذي درس الطبيعة و النفس والمجتمع قد فهم رفض الجزائر للغزو الثقافي ، فقرر علمانية المدرسة وهذا لم يكن نجاحا مجانيا للمقاومة بل غنيمة ثورية بالغة القيمة ، لان علمانية المدرسة ، لا تكلف الجزائري ، عن التقاليد المسيحية والانقلا ب على دينه الإسلام ، مما جعل الكثير من الشباب يلتحقون بالمدارس الفرنسية – بهدف تعلم الصناعة والتجارة والتكنولوجيا الحديثة ، وليس تعلم طقوس المسيحية التي قادها المبشرون ، رغم أن المدرسة الفرنسية تخدم الاحتلال وتوطينه ويعني غزو العقل الجزائري وسلخه عن هويته ، مما يدفعنا إلى فهم الاحتلال كما يفهم برحال هو ثلاث مراحل وكما ترى فاني كولونا في كتابها "المدرسون الجزائريون 1839/83"([1]):

1 – وانتهى عام 1871 بالقضاء على المقراني وسلاحه.

2– الاحتلال الثاني قبول الواقع السلطوي في العدالة والاقتصاد والسياسة.

3– احتلال ثقافي تمثله المدرسة وزرع لغة جديدة وبالتالي تغيير صورة فرنسا لدى الأخر .

لذا يمكن استنتاج أن برحال قدم فلسفة للمقاومة و الاحتلال كسرت التقاليد الثورية من جهة والمواقف المتواطئة ، بطريقة علمية ووبراغماتيه رغم انه كان عضو المجالس المالية وبرلماني وعضو الأعيان وغيرها([2])

وفي هذا السياق يرى بيرك ان لكل عصر ثقافته ولكن ان فكرة الثقافة تحوي الهيمنة او العولمة التي ساهمت في صهر بعض الثقافات لضرب الوحدة الثقافية وما يمثلها) لان الثقافة يجب ان تأخذ بكل البناءات اللواتي يتربع عليها العصر ومنها المتغيرات يجب ان تصبح ثوابت وبذالك فـان بيرك قيم بعض دور التغير والعصرنة على العوامل الاخرى ([3]).اما ثقافة الارض المحروقة فهي اجتثاث و اقصاء للتراث و أسباب الوجود مما يعني العدم و بذالك تصبح ثقافة المستعمر ‘ثقافة الخضوع و الاستسلام او التبعية والتقمص المصيري المفروض ‘وبذلك فالثقافة توجد في منعرجات التاريخ وتغيرات العصر حسب جاك بيرك الذي فسر الظواهر بالملاحظة المشاركة‘.بمستوى عال من التنظير.

---

[1] – عن جغلول–م س –ص77

[2] جغلول : م،س –ص 77 عن فاني كولون.

[3]– شريط الاخضر , و عن بيرك في الغزو الثقافي و المعامل الاستعماري–م س ن /ص56/54

فالعقل الثوري كان فعلا لضرب الفراغ و اقصاء اللاثقافة ومنها نجد المقولات امام صراع مع المثالية و الوضعية حيث التغير يطلب تفسيرات اخرى لذانجد بيرك يقول (وحتى تكون الثقافات اكثر حياة و اكثر حيوية و حركية ‘اكثرمما كانت عليه ‘فانني لا اطلب سوى الدليل و الابستيمولوجي لنرى كم كانت العلوم الانسانية و الاجتماعية متاثرة بالوضع القيمي للموجود وللمتخيل و المتكلم بالخبرة)،،،،، من يمكن فهم اليات الادراك الاستعماري للحدث الممارس على الاخر و الاجنبي و الضعيف سواء كانت له حضارة ام لم تكن له ,فهو امام حبكة تدعي الحضارة و التقدم و التجديد العصراني الحديث استغلال الثروات المخزونة تحت الارض لذا كانت القوة و العنف هي السبيل الواصل لذلك .

أما من حيث المقاربة واقعية اما التقسيم الذي هو محل نقاش حيث أن :هناك كانت في الجزائر ‘طبق البيئة ثورات منظمة ، والثورات الأخرى شعبية.

فهذا التحليل لا يصدق حجة أن الباي أحمد قام بثورة داخل النظام السياسي الذي استسلم ، وترك مفتاح القيادة للمستعمر الأجنبي من خلال الداي حسين وأفراد السلطة العثمانية في الجزائر بدون ثورة ولا مقاومة ، اذ أن الحاج أحمد الباي خرج من صلب النظام العثماني ولكنه لم يأخذ معه جزء من النظام السلطوي للمقاومة حتى يقول أنه ثورة منظمة بأركان وأطراف وتنظيم للأعمال وأسلحة مهيئة ومرتبة عمليا ، ولكن دعى الشعب العام إلى الثورة وشارك بعضهم حتى ذلك ، فكان بطلا شعبيا ، ولما لاحقوه في قسنطينة هاجر إلى بسكرة وواصل الثورة مع كل القبائل الشعبية وواصل الثورة ضد الاستعمار ، فما كان منه سوى إلى أن يطلب البيعة والنصرة ليستمر في الكفاح الشعبي المنتظم.

أما الأمير فزعيم شعبي لم يكن رجل سلطة مثل الحاج أحمد باي ، ولكنه وجد النصرة القبلية و الجهوية والوطنية من بلاد القبائل حتى الأغواط حتى تلمسان .الى بشار ، فهو رجل مقاومة شعبية و ولكن غير منظمة في الاول منظمة بكافة أركان التنظيم الحربي للقتال بالإضافة .و هدف الى تكوين دولة مصغرة في استراتيجية مرتبة ‘بعد محاورة الاستعماروكان له ذلك بتنظيم دولة تحت الحصار و لم تدم طويلا ‘ ومنها اصبح يتمتع بالنظامية وقتا محددا ولكن فرنسا نقضت العهد لأن هدفها من اليوم الأول الاحتلال الشامل لجميع الجزائر نظرا لمصالحها الاقتصادية ،الشيء الذي جعل الامير ينتفض مرة ثانية واصبح نشاطه يتمتع بالدستورية و القانونية وجعل مقاومته منظمة . ان الشمال منطقة كثيفة السكان وكانت تمثل مراكز الادارات السلطانية كما تميزت بالعقارات الفلاحية الخصبة الشاسعة .

أما مقاومة سليمان بن حمزة والشيخ بوعمامة فهي لم تكن مخرجة من سلطة الأتراك لان حكم الأيالة والباشوات كان ضعيفا في منطقة الثورة هذه وكانت شبه سيبا بعيدة عن ظغط المخزن ' بل جاءت رد فعل ضد التوسع المتواصل ضد حركة الإنسان ، معاشه وأملاكه وثقافته ، فكان أعلان الجها د بالمفهوم الإسلامي كما أعلنه الأمير سابقا '، ورغم أن حمزة وقدور ابنه كانا ممثلين لدى فرنسا منذ 1850 مرحليا ،إلا أن ذلك لم يمنع أن كذلك مجرد خضوع جبري وضعف حيلة لأيام الأولى عدم توفر الظروف الملائمة ، بينما بعد خرق فرنسا للعهد والسلم والاحترام الأهالي وأملا كهم تم إعلان الثورة من طرف سليمان بن حمزة 'ابن سي حمزة الذي قتل مسموما من طرف فرنسا وتم حبسه 7 أشهر في وهران من طرف الاستعمار لأن روح الوطنية النضال القومي.لم تنسلخ عن المواطن الجزائري في كل مكان .

كما كان المقراني في نفس الموقع ، حيث يمثل الإقطاعي ة المحلية في القبائل وكان متعاملا اداريا لتمثيل منطقة ، لدى فرنسا ولكن التوسع الإجرامي وتجمع وحدة الرأي الجماعية ضد الاستعمار خلفت حالة المقاومة والدفاع الذاتي لفرض الرأي الاستقلالي الجماعي و الذي شجع معنويات المقراني وثواره للإعادة السلطة و الملكية القومية للأرض والثبات والهواء والماء ، لأن الاستعمار أدخل المعمرين لخدمة الأرض والإنتاج فيها لتصديره لفرنسا.

الفصل الثالث النظريات المحلية في المقاومة –العصبية والقابلية للاستعمار.

تمهيد

ان محاولة فهم التنظير السوسيولوج ي و الانتروبولوجي للفعل السياسي داخل بنية متشابكة محافظة على القيم و المعايير التقليدية سوف لن تكون اكث ر من استعراض لمنظومة فكرية مغلقة لا تعرض ذاتها بالقدر الكافي الذي يمكننا من سبر اغوارها النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية و العقائدية التي تحرك الفعل و د ينامكيته ضمن استقطاب افقي او عمودي او مجرد تفاعل نفسي ملتهب سريع الانفعال لذا ان هناك محاولات يقدمها ابن نبي و يسبقه في ذالك العميد ابن خلدون من خلال العصبية وديناميكية الحضارة علميا وعبر كل مراحل التاريخ الانساني لذا نجد الاسقاط السيكولوجي عند بن نبي اكثر عمقا والتو غل الاجتماعي في الظاهرة الاستعمارية اقرب تفسيرا من ابن خلدون مع ملاحظة ان الاستقطاب هي اخر فهم للظاهرة بعيدا عن كل انسحابية او تشاركية او انجذابية .

فللاستقطاب هو مرحلة اخر تحرك للجماعات الفاعلة في المجتمع في اي مجتمع في العالم ام عندنا في هذه الدراسة النموذج الجزائري فاالاستقطاب بصفته عملية انزياح من مساحات واسعة متعددة النفسيات وغير ثابتة الاتجاه نحو مركز ثابت اكثر تقارب و تكامل و تبادل مع ملاحظة ان حتى الاستقطاب ليس ثابتا كليا مطلقاولكنه اكثر من السابق بدرجات فالاستقطاب اخر الانزياح اوما يشكل عصبية متماسكة تتحرك في اتجاه واحد وهي تثير نفسها من خلال رواسب الفردية و البيئية للجماعة المكونة له

المبحث الأول تحليل العصبية و أبعادها عند ابن خلدون ونقده

المطلب الأول مفهوم العصبية:

ان العصبية شكل من المقاومة ،و النصرة وجه أخر لذلك و الانقسامية هي شكل أخر للمقاومة لان الالتحام و الانقسام و التفرق هما وجهيها .ومنها يرى بعض الباحثين أن مفهوم العصبية مفهوم معقد رغم بساطته فهي شعور وهي حالة وهو قانون وهي علاقات من جهة أخرى ويرى آخرون أنها مرتبط مفهوم باتجاه بيولوجي سلالى وأ خرون بمنحنى اجتماعي والبعص بمنحنى سياسي فكل الباحثين الذين درسوا الفكر الخلدوني وجدوا فيها ضالتهم الفكرية والترفية والتجارب الفلسفي المترابط الاتجاهات ، رغم الإسقاطات المتنوعة التي ألبست هذا الفكر وصنفته في توضيفات غربية معاصرة أو قومية مركزة أو محددة بزمان إنتاجها وظروفها.

الا أن العصبية في أخر المطاف هي مقاومة ضد التفكك و ضد التميع و ضد الانحلال و هي نظام سلوكي و رمزي لرص الصفوف و تكامل العناصر المشكلة للبنية . وهي ليست نسب عرقي للعائلات و العشائر بل شعورالمشترك و المتفاعل بالوجود و متطلباته المعاشية . فهي رد فعل ضد كل داخل مشمئزعلى لكتلة الواحدة المتضامنة في تصوراتها و تمثلاتها و طموحاتها و مساراتها العادية و المفاجئة . و ا المتواجدة في الفضاء المحدد . فهي اسقاط سوسيو ثقافي – بكل ماتعني الثقافة من شمولية في الطرح – على الماضي ة الحاضر و المستقبل .

فقد ظهر طه حسين وساطع الحصري والعلايلي وغيرهم حتى تم البحث الإبستمولوجي الحديث مع الجابري وعلى إمليل ومجد الطالبي وغيرهم من النقاد والدارسين للتراث .العصبية هي رابطة المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة التي تشكل أمور المعاش فتكون قوى عصبية لمواجهة الظروف المالية لظالة أدوات الإنتاج وعدم تظور أسلوب الإنتاج ، وبالتالي يفرض التضامن والتكافل (1) الذي يقضي على التناحر والفساد بين الأفراد والأمة ، ففساد الملك سببه فساد العصبية التي انعزلت وانفردت بالحكم والقوة والوسائل ، والتطاول والمشاركة ولا يعني فساد المساهمة والمشاركة في الفوائد التي يحققها الملك و الخلافة الدنيوية .

---

[1]– الجابري – نحن والتراث ص 176/172

فالعصبية هي قانون انتقال السلطة البدوية إلى السلطة الحضرية (1) بفضل العامل الاقتصادي (2) الذي هو المعاش كمحرك القوة العصبية لدى الجابري الذي يذكر أن "العصبية هي ثمرة النسب إلى الالتحام الحاصل بسبب النسب (3) فهي ليست رابطة دموية فقط بل رابطة معاشرة والتحام وعلاقة اجتماعية طويلة الزمن عبر الأجيال المتعاشرة وتشبع بالتقاليد أو الرموز والمصالح أما النسب – فهو بصفة اختلاط وهو ظاهرة سائدة ، حيث لازالت الأنساب تسقط في شعب إلى شعب ويلتحم قوم بآخرين " حسب الجابري. فالعصبية لا تكون إلا بالنسب وما معناه وذلك أن صلة الرحم طبيعية في البشر إلا في الأقل ...!؟ حسب ابن خلدون ، هكذا تكونت المبايعة والولاء و الحلف ونزعة الجماعة واللحمة والقبلية مما حعل الجابري(4) يضع مرتكزات تقوم عليها برابطة العصبية .

1– وجود استعداد فطري يدفع الفرد إلى قريبه في الدم والدفاع عنه و النعرة عليه وهي طبيعة بشرية

2– تكون هذه النصرة أو التناصر أشد قوة وأكثر وضوحا بين النسب الواحد العصبية : عصبة خاصة وعصبة عامة

العصبة (الجماعية القبلية) التي يربطها نسب واحد تشكل عصبية خاصة ، أما العصبيات أو القبائل الأكثر اتساعا وأقل ترابطا فهي تشكل عصبيات عامة ...بينما نلاحظ أن ايف لاكوست (5) يضع تعريفات للعصبية هي:

القوة الحيوية للشعب – القوة المحركة الضرورية للدولة – الوطنية – الوعي الوطني – العاطفة الوطنية – الروح العامة – التضامن الاجتماعي – الإحساس الجماعي – النبل – البنية الأرستقراطية للمجتمع – التضامن المقاتل – الوضع العسكري النفس – روابط الدم – تضامن النسب – الفصيلة – القابلية الفطرية للسلطة– التعصب القبلي – طبيعة وجود البدو – وطريقة الحياة البدوية

---

[1]– محمود أمين العالم : مقدم ابن خلدون – الفكر الغربي عدد 6 – 1978

[2]– الجابري OP.CIT ص 177 – في المستقبل العربي ص 55

[3]– ابن خلدون لمقدمة ص 140–176 جزء 1 م 4 ص 55

[4]– الجابري OP.CIT ص 34 – المستقبل العربي ص 55

[5]– ايف لاكوست العلامة ابن خلدون ص 128 – 134في لبيض سالم ص 52 ص 128 – 134 لبيض ص 52 المستقبل العربي

إذن الفرق بين الفهم الغربي والفهم العربي متقاربين ، ويؤكد الجابري أن العصبية المفسر الوحيد للتاريخ الإسلامي كله ، وبذلك لها مفعول سياسي واضح وعميق نحو اتفاق الأهواء والمطالبة بكيان سياسي جديد فالعصبية هي ظاهرة اجتماعية سيكولوجية شعورية – لاشعورية معا ، تربط أفراد جماعة قائمة على القرابة ربط مستمر يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد ، كأفراد أو جماعة 1 وهي قدرة جماعية للمواجهة وأساسها . العصبية التي تحدد التبادل والتضامن بين الناس .لقد بحث الغرب الاستشراقي في هذا المفهوم كثيرا إلا أنه لم يجد المعن ى الحقيقي الذي تعرضه اللغة العربية وبذلك فتلك التحليلات

"لا تنطبق على ظروف إفريقيا الشمالية في القرون الوسطى المتميزة بطابعها القبلي..." (2)

فالتوسع الدلالي للغة جعل الترجمة غير معبرة ، وخضع التوظيفات الحديثة إلى سوق عصرية للفلسفة الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، مما جعل الجدل في العمق حول المسألة فالتأول أصبح مجرد استنتاجات سياسية ، وبعضها مطابقة لمفاهيم السوسيولوجيا الحديثة، والبعض الآخر جعلها تحت مغالطات تاريخية خاطئة ، وأخرى احتياطية لا قرابة لها بالمفهوم.

إن مفهوم العصبية عند ابن خلدون يرجع إلى كلمة – عصبة – التي تعني أوليا ء – المقربين – الورثة من الذكور أو التعصب من العصبية ، وبذلك تصبح العصبية مندمجة في هذا المجال الدلالي ، فهي أن يدعو لرجل إلى نصرة جماعته وقرابته التغلب معهم على من يناوءهم ، ظالمين كانوا أو مظلومين أما الحديث النبوي" العصبي من يعين قومه على الظلم ويغضب لعصبيته ويحامي عنهم ، أما التأويلات الأخرى فترجع إلى إيديولوجية على مفكر وعالم اجتماعي وبعضهم يعتبرها الروح الطبقية (3)وآخرين يعتبرونها القومية(4) .

المطلب الثاني العصبية في النقد الاجتماعي الحديث

---

[1]– الجابري ، العصبية الدولية ص 166

[2]– ايف لاكوست OP.CIT ص52 المستقبل العربي – لبيض سالم

[3] – باتبس ميفا: العمران البشري في مقدمة ابن خلدون ص 244

[4] – ايف لاكوست : العلامة ابن خلدون ترجمة ميشل سليمان ، ط3 بيروت – ص 35– 1982

يعتبر ايف لاكوست أنها أهم مفهوم(1) لأنها تشمل منظومة الفكر الخلدوني وتحدد مساراته في العقل والحضارة والتطور والعمران والتاريخ فهي تلعب دورا بنائيا في الملك والسلطة ،إضافة إلى الدين وربما تضعف حين انقسام القبيلة وحدث تعدد البطون والأفخاذ والعشائر ، فإن الملك يضعف وتصبح الزعامة الشخصية قائدة المجال ، فالعصبية تمثل مجالا ممتازا للسيطرة المحلية (2) هي أحيانا نزعة للالتحام وأحيانا أخرى نزعة للانقسام في حال الخلاف لقد إحصائية المفاهم عند ابن خلدون ضرب من القفز على المعاني والمجال الذي تحكم فيه ، فقد اعتبر لاكوست أن العصبية هي أساس فكرة ، أما طه حسين فيقرر الدولة – أما ساطع الحصري فيقرر أنها العصبية أيضا بينما يقرر على الوردي أنها البداوة والحضارة حتى يقول : أن العصبية هي من أهم القوانين الاجتماعية التي يجب أن يتبعها كل ذي شريعة أو عودة دينية ..." فإذا بطلت العصبية بطلت الشرا ئع...")(3) حين يرجع الوردي الإرث الثقافي العربي حولها حيث كانت مذمومة لدى الرسول وكانت معظمة في الجاهلية.

أما ابن خلدون فيعظمها وهي أحوال الدنيا شبيهة بالملك أو الغضب والشهوة وهي مذمومة ترى ومستلزمة الحياة ... ربما تكون لنصرة الدين وربما تكون للبلطل وتفريق الأمة (4)مما جعل منه يحددها كقانون عام بحكم الظواهر الاجتماعية والتاريخية وبالتالي تطبيق المنهج العلمي الموضوعي "فالعصبية كقانون محدد للتطور أو تحرك وآلية التجمع البشري ضمن مجموع علاقات مترابطة ، إن العلاقة مترابطة إن العلاقات في المجتمع المغاربي كانت قبلية ومتوترة أحيانا ، وأحيانا متعاطفة شكلت الدولة الإسلامية والممالك – إلا أنها ساهمت أحيانا أخرى في تهديم هذه الدول وهجوم الأجانب عليها . فالوحدة كانت القبيلة وهي عبارة عن جيش على أهبة استعداد والقتال"(5.)

إن هذا المعنى يفرض وجود تجميع بشري يقوم على المعاش ، كنظام اقتصادي تحكمها رابطة المصلحة المشتركة التي هي العصبية لمواجهة الظروف المادية وضآلة أدوات الإنتاج وعدم تطور أسلوب الإنتاج، ويقع التضامن المتكامل .إن فساد الملك سببه فساد العصبية التي انعزلت وانفردت بالحكم والقوة

---

[1] – نفس المؤلف op.cit ص 127 –128

[2] – مختار الهرماشي ص 17

[3] – على حسين الوردي منطق ابن خلدون ' في ضوء حضارته وشخصيته ********** 1978 ص 71

[4] – الوردي نفس المرجع ص 49– 100

[5] محمد عابد الجابري – العصبية الدولية – م د و . ع بيروت 1992 ط 5 بيروت ص 23–24

إلى وسائل والتطاول والمشاركة ولا يعني فساد النسب وإنما فساد المساهمة في الفوائد والملك . يرى ابن خلدون : أن العصبية تتجه نحو نزعة الالتحام ونزعة الانقسام

أ- نزعة الالتحام : هناك عدم إمكانية تصور بناء سياسي على أرضية منقسمة اجتماعيا ومتغايرة ثقافيا.

ب- الانقسام: فتؤدي إلى مرحلة البناء الأساسي أو إلى زوال الدولة القائمة.

والدليل على ذلك كله قول ابن خلدون نفسه "... والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم بادية وأهل المصائب وعشائر وكلما هلكت قبيلة أخذت الأخرى مكانها وإلى دينها في الخلاف والردة فطال أمر العرب في تمهيد الدولة بوطن إفريقيا والمغرب ، ويعكس هذا في الأوطان الخالية من العصبيات ، يسهل تمهيد الدولة ...مثل مصر..."

هكذا تم اكتشاف العصبية حسب المفارقات السياسية رغم التفارق بين مجال وآخر ، فابن خلدون يؤكد أن العصبية إذا لم تكن من قبيلة السلطان انعزلت وعاشت بعيدة عن الم ركز، وربما يحدث الحرب فيما بينها ومع السلطة ، أما إذا كانت قوية فإنها لا توقع الضرائب ولا نقوم بالخدمة العسكرية ، ونقوم مقام نائب سلطان في منطقة معينة على القبائل الأخرى المجاورة والقريبة لحماية السلطان ونفوذه مع أن ابن خلدون كان يلاحظ: تعدد القبائل – اختلاف أصولها والصراعات بينها مما جعل المفكرين يتناقضون في التحليل ويصولون في مجالات بعيدة أو مركزة في اتجاه واحد ، رغم أن ابن خلدون قدم في المقدمة بحثا منوغرافيا تصنيفيا للقبائل العربية البربرية والأعجمية إلا مواصلة التحليل أو التفسير مطلب أضافيا ومفروضا عليه.

المطلب الثالث الأساس أخلاقي للعصبية و المقاومة

تبعا للمقولات الأساسية النابعة من فلسفته، و المتعمقة في أعماق المجتمع تاريخيا وبنيويا و حركيا فإن مفهوم الأساس الذي يتبناه المعروف بالعصبية ليس مصطلحا وحيدا يحوط بنفسه لوحده ضمن فضاء توصيفي و تحليلي ، بل هناك مصطلحات أخرى تأكده وتوازيه و تضع له حدود النشاط و التاثير و التاثر.من ذلك نجد مفهوم الخلال، التي هي القوة المعنوية أو الأخلاق، بينما العصبية هي التي تعني القوة المادية.فقوة التشريع الديني و الأخلاق الحميدة هي أساس العصبية أو العطم الذي تقف عليه ع ند إبن خلدون كما لا تنجح الخلال لوحدها بدون قوة العصبية .فالخلال هي القوة الروحية و العصبية هي القوة المادية ،لذا إن طبيعة الخير الكامنة في الإنسان هي التي تجعل الطموح السياسي، بما فيه الثوري الذي نتكلم عنه، ناجحا فللفعل الطيب الحسن مناسب للحكم .

فالعصبية الكفيلة القادرة الطيبة يعتقد منه الجمع كله خلال الخير و أخلاق الإحسان، فتكون بذلك السياسة هي من كفالة الخلق الإستخلاف الله، و الدعوة إلى أحكامه، فالملك لا يتحقق إلا بتجمع الخلال الحميدة مع العصبية .فالخلال المشهورة هي الكرم و العفو و الوفاء و حمل الضعيف و الإ نقياد للحق وإحترام العلماء... فإذا وجدت هذه الصفات " علمنا أن خلق السياسة قد حصلت لديهم و إستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم، أو على العموم و أنه خير ساقه الله تعالى إليهم مناسب لعصبيتهمو عليهم"([1]) و العكس صحيح طبق قصة القرية في القرآن ، هكذا تحدث الغلبة ثم إستقطاب الجماعات الأخرى للعمل الموحد الإجتماعي و الثوري وغيره كالمقاومة و الجهاد، فالملك يحصل بالتغلب و التغلب يحدث بفضل العصبية، و إتفاق الأهواء على المطالبة و تألبف القلوب يكون بمعونة الله..

فإختلاف الأهواء و الميول، إختلفت درجة الأجماع و الوحد ة و ظهر الخلاف والتنافس، و لهذا يلعب الدين دور البارز كرأسمال ثقافي و روحي بعيد المنال على الأيادي البشرية، فيخلق الوجد و التعاضد لذا يذهب التحاسد و التنافس عكس الاديولوجية و خاصة المعاصرة التي يفسرها و يكيفها كل حسب حاجته و مآربه.هكذا يكون الدين دافع المقاومة أكثر نجاحا، لأن "أهل الدولة التي طالبوها إن كانوا أضعافهم

---

[1] عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، م.و.ك الجزائر، ص47.

فأغراضهم متباينة بالباطل، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل، فلا يقاوموهم و إن كانتا أكثر منهم، بل يغلبون عليهم و يعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف، الذل كما قدمناه.."([1])

فالدين و العصبية إذا إجتمعوا خل قوا الإستماتة و عقل ال فالدين و العصبية إذا إجتمعوا خلقوا الإستماتة و عقل الإستبصار بالأمور فتختفي أمامهم الصعوبات و هكذا أكد التاريخ كما يستشهد إبن خلدون دائما هذه الظواهر مثل نجاح المسلمين في اليرموك و القادسية و فشل الموحدين أمام الزناتة بعد ضعف عقيدتهم و خلالهم .([2]).إن مقولات إبن خلدون من حيث أن تجمع بين المجتمع و الدولة و الحضارة أو العمران، فإن بمقتضى ذلك تنظر إلى الفعل السياسي بصفة المحور المحرك لكل إهتزاز وتفاعل بين شخص و آخر، وبالتالي من شخص عن جماعة، ثم من جماعة عن جماعة أخرى، سواء للحرب أو الدين أو الإنماء و الترقي والتمدن التوسعي، لأن العصبية و أركانها و الخلال و آثارها و بداية المك تعكس ذلك بجلاء في المجتمع منذ بداية الأمل البدوي للتحضر، حتى بناء الدولة العمراني اللآحقة لها، فيدورات متراتبة تعكس الوعي و الهم الأوحد و التفاعل الخاص بين عناصر المجتمع.

إن كانت الدولة كالإنسان كما يرى إبن خلدون، تظهر في حالة نشأة و فتوة بداية، ثم نضج و توسع إنشاء القوة، ثم تبدا بالهرم و الشيخوخة، فتتهالك عليها القوى الجديدة حتى ترى الاغلال و السقوط و النهاية، لأن هذه المرحلة الاخيرة تكون روح المقاومة والمواجهة ضعيفة، لكن الدافع الحيوي في الشباب يضعها في السياق بقوة، لأن الأمل جديد و الحضر جديد و الوعي جديد و القديم في صعف و تهتك متلاحق لأن خلال الترف والنعيم قد نشرت أجنحتها على كل الأطراف و صارت عوائد يومية لا يمكن تجنبها فتصبح العوائد أمواضا خطيرة ضد المجتمع، وهنا تغلب المصالح الشخصية بدل العدل و المصير المشترك "و يزيد خلفهم في ذلك على سلفهم إلى آخر الدولة و على قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك..

"و الأمة لا يحصل لها الملك إلا بالمطالبة، و المطالبة غايتها الغلب و الملك و إذا ... الغاية إنقض السعي إليها، و إقتصر على المتاعب التي كانوا يتكلفونها و أقروا الراحة و السكون..."([3])

فللملك و المقاومة في تقاطع ، بما ان هدف بداية الزحف و التغيير هو الوصول إلى الملك، فإن الملك محفوف بالمخاطر لأن الأمة واسعة وعريضة، لذا نجد أن المقتضى الأول لذلك هو الإنفراد

---

[1] عبد الله شريط، المصدر السابق، ص48.

[2] نفس المصدر السابق، ص 49.

[3] شريط عبد الله، المرجع السابق، ص50.

بالمجد و مادام المجد م شتركا بين العصابة، وكان سعيهم له واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذات عن الحوزة أسوة في طموحها و قوة شكائمها و مرماهم إلى العز جميعا، و هم يستطيبون الموت في بناء مجدهم و يؤثرون الهلكة على فساده...([1]).

و هذا مايؤدي إلى حيازة فردية الملك و إنسحاب الآخر ين من القطب التوجيهي للقرار فيتكاسلوا عن العمل و المقاومة و قبلوا المذلة والإستعباد، بينما يكون الزعيم هو المقرر الأول، المالك الأول، و يجيء الجيل الثاني منهم فيعتادوا على العطايا و المعونات فيصبح هؤلاء عالة على الدولة أو الجماعة الكبرى و شرخا لشوكة الامة، فيبدا الضعف والفساد يدب في أركان العصبية. أما من ناحية ثانية، فإن طبيعة الملك تقتض الترف، فتكثر عوائدهم..."([2])، فكلما زادت النفقات نقصت الخزينة و نقص أفراد العسكر و الحامية كما يرى ابن خلدون، فيبدأ الصعف و الإنحلال حيث أن الترف مفسد للخلق و مذهب للخير و ا لإحسان فيبدأ العطب و ... نجد أن طبيعة الملك تطلب السعة و الراحة و السكون حتى يصبح جبلة من العوائد، و ينسى البنون عقليته و يدخل الحضارة في كل معناه، و مطالبها و أنماط عيشها، حتى يصبح عالة على الآخرين فتسقط دولته و عصبيته و ربما يبدأ الآخرين بتجميع قواهم من قراراتهم أو من خلال الحكم الحاضر المنتبه.

حيث يكون الشرط من الرعية أو الناصرين أو المنتمين إلى نفس التيار، هو جودة الحكم حتى يحصل المقصود من السلطان على أتم الوجوه، حتى تتجمع مصلحة الرعية والانصار مع مصلحة الحاكم أو الزعيم أو الرائد الثوري، "فإذا كان الحاكم أو الزعيم رفيقا بهم، متجاوزا عن سيئاتهم إستناموا إليه ولاذوا به و إشتربوا محبته و إستماتوا دونه في محاربة أعدائه، فإستقام الآخر في كل جانبّ، فيتم حقيقة الملك "([3]) عند إبن خلدون و زمانه أما اليوم فيكون تمام القيادة و سداد الرأي و إجماع النشاط الثوري ضد الإستعمار إو ضد الغازي مهما كان مصدره و اهدافه واتجاهه .لان الاندماج الروحي و الوجودي بالارض و الوعي الكامل بالوحدة الاجماعية للامة .

هكذا يكون "الرفق بالغفل و المتغفل" الحل المناسب سياسة الرعية أو الثوار والمجاهدين أيام الإستعمار حسب ما تصل إليه مدارك الإنس ان البسيط المتوسط .و أن نهاية الخلافة في الإسلام، بدأت في حوالي

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 51.

[2] عبد الله شريط، المصدر السابق، ص51.

[3] نفس المصدر، ص 53.

منتصف العهد العباسي و أصبح الملك هو محرك النشاط السياسي القيادي للأمة و هنا ظهر الوازع الذي كان دينا لعهود السابقة و بدأ يتحول إلى عصبية قبلية و طائفية و عرقية فظهرت القوة و العنف السلطي و أصبح الهدف هو التغلب و المسك بالحكم كاملا، و أصبح للخلافة الإسم فقط التبرك، الطقوس.

هكذا كانت الخلافة بدون ملك، ثم ... معها و أخيرا إنفرد الملك كنظام حكم بمميزاته لوحده ...([1])، فكان نظام الخلافة كسند مرجعي دائما و لو بإسم الإسلام في عهد الممالك والسلاطين .لذا كان قد ظهر الصراع في البحر المتوسط على إثر الحرب الدينية بين الطرفين الإسلامي والمسيحي، و لكن غياب الخلافة لدى المسلمين لم تكن مختفية تماما، بل كان هناك الحكم في إفريقيا بإسم الخلافة و صاحب المدينة في الأندلس بإسم الجماعة المسلة، وظهر الوالي في الإمارات العثمانية الاولى، و لجمعها لقوة و التسلط و العنف ضد المرؤوسين حسب المراتب السلطانية التي تم وضعها و تصنيفها .من ذلك كانت المرحلة الإستعمارية و التوغل الإستعماري، و أسلوبه في التعامل لذا كان الزعيم الثوري و هو صاحب السيف الذي يجمع بين السياسة و الأخلاق و التنظيم.

وقد أصبح أصحاب ،لاحقا، الصنائع هم سند الثورة و الشعب و تعدد الخبراء الإستشاريين في الجهاد في كل الثغور، فأصبح الزعيم أميرا واحدا و لكن قائدا بجماعته على كافة الطبقات و أصبح الغنيمة تقسم لأجل مواصلة الثورة و المقاومة و إعادة صولاتهم و فتوحهم و صلب شوكتهم كما كان القلم و السيف آلة لصاحب القيادة الثورية ن بالعلم و الإيمان و التصوف بقبضتين، لخوض غمار الجهاد و رفع معنويات الأمة و الشعب([2]).فيكون أرباب الأقلام في هذه لحاجة أوسع جاها، و أعلى رتبة و أعظم نعمة و ثروة و أقرب من السلطان مجلسا، و أكثر ترددا في خلواته نجيا،.."([3])

أما من حيث الأساس الأخلاقي للمجتمع والعمران، فإن الترف يقضي على الرجال، أما الظلم فهو قاض على الرجال و الأمة ن فهو يؤدي إلى كثرة المظالم و تنوع أشكالها و يضعف النظام .ان ابن خلدون يعتبر "أن العمل هو ثروة العمال "، فالظلم يؤدي إلى تحريف و جهة المال العام و تسخير العمال لصالح الأفراد من الدولة فبضعف إنتاج العمل و يحدث الفشل والإنكماش الإقتصادي و إستغلال

---

[1] عبد الله شريط، المصدر السابق، ص 57.

[2])- المرجع السابق، ص63.

[3])- المرجع السابق، ص63.

الأفراد..فيحدث العدوان على المواطن و يبدأ نقص السعي و الكسب و آخرها الفوضى والدمار و التدافع و التفرق و الهجرة، فالعدل يقوم على حفظ الدين و العقل و النفس.

كما كان المالك أو الحاكم أو الزعيم ملتزما بقيم الحكمة و النظرة الإستشرافية، حيث كان يطبق مقولة ابن خلدون في أن في حالة الهرم و ترف الدولة "يستبد صاحب الدولة بالمجد و ينفرد به، يأنف حينئذ عن المشاركة، ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإ هلاك من استراب به من ذوي قرابته، المرشحين لمنصبه"([1])، مما يخلق الشك لدى الأتباع، وبداية الإختلال ...، حيث يكون نتيجة الترف و الدهة، تقلص ظل الغلب، فيقتسم من رجاله دولتها الامر، و تتعد فيها الدول، لأن أساس الدولة هما الشوكة و العصبية أولا، وثانيا المال لتسيير الأحوال، فالعصبية تحوي ع لى نعرة من القرابة للتواصل و تقوية البطانة.

المبحث الثاني مالك بن نبي و القابلية للإستعمار و المقاومة الذاتية

المطلب الأول فلسفة القابلية للاستعمار:

خلقت حضارة أوروبا فكرا جديدا وطرقا حديثة في الحياة واستخدام الإمكانيات الطبيعية والإنسانية والعقلية .لذا إن هناك تطور وتدعيم في فلسفة الأرقام والكميات وقيمها ، الشيء الذي حول البشر إلى أشياء وسلع خاضعة للطلب والعرض، فانهارت القيم الاجتماعية وأصبحت الحياة مادية ، فقدت التوازن الروحي المادي. حيث أصبحت أوروبا بالمقابل تتنفس تحت ضغط علم الأشياء المتراكمة بقدر ما تراكمت الإمكانيات الحضارية ([2]) وكانت هذه النزعة المادية المنفعية،قد تحولت إلى نمط ثقافي وتربوي يقيم نفسه على النهب والتسلط والقهر، " ولا يحسن طريقة العيش توازن البيئة وبين غيره في علاقات سياسية وثقافية واجتماعية عاد لة "([3]) تبعا للنزعة الكمية التي جعلت حتى الطفل يبحث عن حظه في الحياة والمستقبل ،لا البحث عن رسالته ودوره الحيوي في البناء والحضارة وبالعكس تبني الطفل الأوروبي الفكر البرغماتي النفعي الطفيلي الذي يعيش على كاهل ثروة المستعمرات والريع المجاني السهل .

---

[1])– عبد الله شريط، المصدر السابق، ص 69.

[2]– السحمراني: مالك بن نبي ، مفكرا اصلاحيا، دار نفائس بيروت ط2 1986 ، ص 119

[3]– بن نبي – دور المسلم ورسالته – دار الفكر 1978 ، ص 44–45في السحمراني ص 119

إن التطبيع للاستعمار يمرره الآباء إلى أبنائهم حتى يتكون لديهم عقلية التمركز الأوربي ، وخط سير الحضارة من أثينا إلى روما ثم باريس، بدون الإشارة إلى حضارة الإسلام والعرب ولا حضارة الفراعنة ولا مابين التهرين وكان ذلك حتى قبل النظريت الجضارية الحديثة لما بعد القرن 19و خاصة الاحيائية و التحدي بينما سقطت الماركسية في الوحل الكولونيالي بعد تعليقات ماركس على الشرق من خلال كتابه عن الجزائر . لذا لا يوجد فكر وفلسفة وعلم بين أرسطو وديكارت ،سوى الفراغ ([1]).إذن هناك جنابة على التاريخ وتزويد الحقائق وعنصرية تساهم في خلق سلوكات مشابهة في الواقع وتحويل فكر الآخرين وتشويش عقائدهم .وهذه التصورات تحولت حقيقته إلى طريقة مبرمجة بذكاء لسلب مضاره الآخرين وسلبهم من هويتهم .

وزيادة على هذه الطريقة يحاول الاستعمار أن يجعل في كل قاعدة أخلاقية وسلوكية وطقوسية محلية، شاذة وغريبة عن الحضارة والمدنية. ومنها تزوير المفاهيم وخلق في مكانها أساليب جديدة وصيغ أخرى تتناسب مع فكر الاستعمار ومدونته الاديولوجية لكي تتوافق مع عقيدة السيادة المشتركة ([2]) التي تجعل الجزائر فرنسية تحت غطاء التحضير ونشر المدنية والتكنولوجيا الحديثة ، مما يكلف الاستعما ر إنتاج مدراء على الأهالي، يعملون على وصايتهم كأنهم قاصرين لأنهم حالات شاذة. أي هناك استراتيجية للاستهاء و الاستغواء و الا حتواء و الادماج النفسي و الوجودي للفرد الجزائري ضمن فلسفة أخرى غريبة . لذا ساء المنهج الاستعماري على الحياة، الذي حول القضايا إلى هيئة أمم تخدم الدول الكبرى ورغم الفارق بين سياسة كل دولة استعمارية، إلا أن بن بني يرى في ذلك خداعا غير مرئيا حيث أن التيار الماركسي لا يختلف عن تيار الرأسمالي، لأن الماركسية تهدف إلى جعل الفرد المستعمر من الأهالي والمتعلمين زبناء وخدم لهذا الفكر، حيث تعتبر تلك الفلسفات وسيلة ووسيط لزرع الاستعمار السياسي والفكري ، وهنا يلجأ إلى تبرير واقعي رآه ما ثلا في حكم الاشتراكيين في فرنسا عهد الثورة والحركة الوطنية حيث لا فرق بين ذا وذاك .حيث الوعي الجديد المغلف بحقوق الانسان هو الذي غلب في شعاراته . بالإضافة إلى ذلك يقوم الاستعمار بتصدير الأفكار والنظريات ويجعل له أبواق من الأهالي والعملاء بعد دراسته المجتمعات الضعيفة وفهم العلاقات الاجتماعية السائدة بين بنياتها وفهم عناصر

---

[1]– مالك بن نبي: في مهب .المعركة– دار الفكر ، دمشق ، 1981 ص43–44

[2]– نفس المؤلف ونفس المرجع ص47

العقيدة التي يسللها، فقام بتشويشها وخلق البلبلة في نصوصها ومعانيها ويحول الشواذ قواعد [1]وذلك في مقابل جهلنا بالاستعمار وثقافيته وطقوسه، مما جعله يتحكم في المواقف الوطنية والدينية بدون وعينا.

لقد ساهم البحث الاستشرافي في فهم آليات العقل العربي الإسلامي في الجزائر وبالتالي استطاع خلق غمامة أوروبية على هذا الفكر وهذا التطبيع العقلي والأخلاقي والعلمي مما ساعد على خلق اغتراب فكري لدى المستعمرات الشرقية، وأصبح الشرقي لا يأخذ تاريخه وثقافته أولا من خلال نوافذ غربية مما خلق انفصام في الشخصية العربية والإسلامية .وبالتالي تم في وجه أخر تشويش الموقف الديني ،لان الدين مفتاح النجاح لبلاد الشرق .من خلال القيم والعلاقات ا لتي يفرضها و خاصة خلق الأمان و الاستقرار و الترابط وعلى ذلك قام بخلق جهاز رقابي على مراكز الدين وعناصر الدعاية والمحافظة عليه، وتعليمه من خلال القرآن ونصوص الفقه والحديث والفتوى، بينما كان يشجع فتح مراكز اللهو والانحراف والجمعيات المسيحية وقد استولى حتى على أمال الاوقاف و الحبوس وأملاكها العقاري البائسة التي لاتغني أحدا .لمجرد ابتزاز المقاومة .

ومنها خلق المدرسة الاستعمارية لنشر ثقافته وفلسفته الاحتكارية والرأسمالية أحيانا و الاشتراكية أحيانا أخرى ، ولكن يجعل المستعمر عبيدا وآلات في يد الكولون ، كما يخلق جماعة تفهم ثقافته وتسييره لتوجهاته فهو قام بإخراج « ....الترتيبات الخاصة بتلويثه الأخلاقي يزيد الإفقار والتلوث معا في اتساع الهوة التي يجعلها أمام – القاصر– حتى لا يستطيع بلوغ رشده ابدا » ([2]) ،لان الإسلام احد عناصر المقاومة والمناعة الذاتية للجزائري و المسلم من الانحلال والتميع .ويرفع قيمة الهوية و الوعي بالذات المحلية . من هنا يبرز لنا المخطط الاستعماري القائم على الإغراء والإغواء والتأليب الجماهيري على الوطنيين ، وإفشال فاعلية الفكر التحرري المقاوم بالاستلاب وإفراغ الميداني الوطني من العناصر النافذة علما وثقافة.لقد ساهمت نظرية الكم والأرقام، في إنجاح الاستعمار 132 سنة ، حيث أن الرقم معيارا أو مقياسا تقويميا، يصادر حق الإنسان في جانبه الفكري والعقلي يصادر نبوغه وابتكاره([3])

وبذلك وجد المثقف المسلم مشدودا أمام لغة الحضارة التقنية الرقمية الدقيقة،وأصبح ببغ اءا يردد ماسمع فقط بدون تعقل و لا وعي .ولا تمارس التعديل ولا التبديل، بل الاجترار . هكذا رفضوا لتراث

---

[1]– مالك بن نبي ، إنتاج المشرقين : ص59 في السحمراني ص123

[2]– بن نبي ، وجهة العالم الاسلامي،ص69 عن السحمراني (م س) ص 128

[3]– السحمراني(م س) ص 128

العلمي الأسلوبي .وقبول كل ما يستورد من الغرب وتقمص عقلية تكديسية استهلاكية،لا تبعد ولا تجدد ولا تتأمل في منتجات الغرب لكي يستفاد منها بذكاء علمي، لقد كان ذلك كله عن حالة عصر مابعد الموحديين ([1]) التي تمثل عهد نهضة و بداية لإسترجاع قوته الاستعمار بداية ق م 14 في مقابل الاستكانة وفشل المقاومة الحربية والفكرية والسياسية.بينما فعل المقاومة سلوك يخلقه ظروف جديدة تحرك نقلة نوعية في العلاقات والأخلاق،عندما يسفر (القاصر) بكرامته واستيعابه للدرس الكونونيالي مقابل إدراك للاستعمار أن القاصر الشرقي كان تحت تنويم و تقميص و اعادة بناء للشخصية ،رغم أنها موجودة منذ قرون قبل الاسلام ثم ترسخت بعده ، و الحال أنه اندمج و لم يذب فأصبح راشدا ودخل الصراع الحضاري.

المطلب الثاني معنى القابلية للاستعمار لدى بن نبي

ان القابلية للاستعمار شكل أخر للمقاومة و لكن عند بن نبي ' ذات معنى سلبي .لقد استطاع بن نبي أن يدرس الفكر الاستعماري و الاسقاط الأنتروبولوجي له منذ بدايته حتى نهايته 'مستعرضا طرقه و أساليبه الاحتوائية 'التي مارسها على الجزائريين 'ولاحق مماراساته الحديثة و الممنهجة و المرتبة لبث صور منمطة عن هذا الشعب المتخلف لديهم ،فما كان عليه سوى أن يكون صوتا مدويا ضد كل أنواع التميع و الانخراط في التمثيل الكولونيالي و أهدافه المرسومة.لذا نجده فاعلا و منشطا لفكر الحرية و الاسترجاع الهوياتي و الدفع الحضاري رغم الوجود الاستعماري 'فكتب عن سقوط الحضارة الاسلامية و كيفية الارتكان الى نهج جديد للبعث الحضاري و التقدمي المعاصر للتكنولوجيا الحديثة .كما درس نصوص الاستشراق و أعماله و تنوع اتجاهاته خاصة 'والتي تحوي بعض الخطورة من خلال تضمينات يعرضها الفريق الحاقد و الاستعماري و التبشيري ضد الشعب .

كما ترك لنا مفهوم القابلية للاستعمار 'ذات البعد النفسي و الاجتماعي التي نشرت أوزارها بين المواطنين الجزائريين 'وخاصة بعد نهاية المقاومة الشعبية مع بداية الحرب العالمية الأولى 'وكأن تلك الحرب شماعة لتخ ويف الوطنيين بالمصير العالمي و الكون عامة . مع الملاحظة أن كثيرا من المفكرين نقدوه في هذا الاصطلاح 'لأنهم رأوا فيه استخفاف و انبطاح أكثر للواقع ا للكولونيالي . و لكنه دافع عن نفسه بمنهجية علمية و عين بصيرة وبفلسفة معتمدة 'ليكشف للقراء و النقاد أن مقصوده 'ليس

---

[1])- السحمراني ، مرجع سابق ص130

ما يفهمونه . لذا وجدناه يرى أن الشعب الذي سبق أن عانى من الاستعماريصاب في النهاية بمركب القابلية للاستعمار ،كنتيجة لما يفرضه هذا الأخير عليهم ،وهم الضعفاء على أمرهم . كما يجدد أن هذا المفهوم قد استعمله مفكرو الاستعمار لبث سمومه ودعواته التدجيلية . وذالك بأساليب عديدة ،و منهم منوني ، العالم النفسي الفرنسي ،و الذي كان نص بن نبي ردا عليه بكل دقة . وحيث تمثل الفروق التصورية و المواقع المعاشة و ومستوى الحياة و الأهداف أساس كل تفكير و كل تقييم أونقد و اسقاط تمثلي من واقع الى أخر .

فمنوني ينطلق من واقع أنه صاحب البلاد بينما الجزائري المستعمر – بفتح الميم –يرى أن الفرنسي غازي و دخيل على أرض غيره منذ الوهلة الأولى و المقاومة الأولى في العاصمة و الم تيجة أكبر دليل على ذالك . فالقابلية هي اصابة من نتائج ممارسات الاستعمار و طرقه التدجينية ،و ليس من الفراغ . لأن يفرغ شحنات من الايديولوجية الكولونيالة ،و التصوير الحضاري البديع و التقني العجيب ،طبق منظور مشهور في المركزية الأوروبية و الاستعلائية الغربية الحديثة .

لقد وجد منوني القابلية كصفة التبعية وهي عقدة من الشعور بالعجز و القصور مثل علاقة – الطفل بالأب– حيث تنشأ من وضعية الضعف و الجهل لدى الطفل مركب للنقص يحوله الى مركب تبعية .فتكوين سلطة فردية و ارادة حرة مستحيلة . لذارأى منوني أن الشعوب المستعمرة – بفتح الميم – لها غريزة عبودية نظرا لعجزها و تقاعسها فطلبت حماية غيرها ،فالاستعمار له عقدة السيادة و السلطة على الأخر . ولا يمكن تغطية تلك العقدة الا بخرافة التحضير و الدفع المدني و ال رفاه المعاشي و التنوير العقلي و الرقي الصناعي .

لقد رأى بن نبي الحل في بدأ معركة فكر و محاربة الاقطاعية و الرجعية و كافة السلبيات ،لأن الاستعمار نفسه وظف النماذج القديمة و السابقة في فرض سيطرته و عملياته رغم أنه يدعي الحضارة و التجديد و العصرنة .فالحرب ضد هذه النماذج مهمة تثويرية ومقاومة ملازمة و محايثة لتلك التمددية الكولونيالية .فالحرب عند بن نبي مزدوجة الاتجاه ،فهي من جهة ضد التنيات السابقة للمجتمع الجزائري ،و من جهة أخرى ضد الفكر التقميصي و التحويري الذي يمارسه الاستعمار لبث هيمنته و سلطته .و القابلية عند بن نبي ،مرض يمر بها كل مجتمع ([1]).حيث تكون الظروف

[1] شايف عكاشة ، الصراع الحضاري في العلم الاسلامي عند مال بن نبي ، د،م ج الجزائر 1982

الكولونيالية شبه متقاربة وطرقه متماثلة عموما .مما يفرض مقاومة ذاتية ضعيفة غالبا وغير ممنهجة من طرف الجميع.

وليكن في قوله و ملاحظته أن الشعب الجزائري ليس شعبا جاهلا بل شعبا له قيم العلم و الفكر العقلي طبق حضارة تاريخية ' وثقافة مثمرة فاعلة في ا لفعل و التخيل 'و لكن يجب الحذر من النزعة التكديسية ([1]) والترقيعية 'حيث الثقافة ليست مشكلة المتخلفين 'فالمتخلف يبحث عن السهل و الحاضر الموجود مما يجعله لا يفرز المفيد من الساذج و العقلاني من الخرافي 'و الرجعي من البنائي للمستقبل 'فتكديس الأفكار و الأشياء هي من أسباب القابلية للاستعمار 'مع ملاحظة خطر التكديس على الأفكار أكثر من أثره على الأشياء . حيث تظهر الرجعية و التقليدية بدون تكييف أفكار مميتة و قاتلة .و هي تأتي من التركة الثقافية و الممارسة اليومية و تبقى غير مغربلة مع الاستعمال الحصري المتواصل .

لذا تمكن الاستعمار من نشر دعواه و سهل عليه الاحتواء و الادماج الفردي و الجماعي لأبناء الشعب الجزائري . فالقابلية أخطر من الاس تعمار 'حسب بن نبي الأنها استحواذ ذهني ذكي و بناء مشاعر جديدة لانسان جديد منسلخ عن هويته و جذوره 'وذالك من الطمس التعليمي و التحويل الموضوعاتي لبرامج المعارف التي بدأت فرنسا بتطبيقها منذ خمسينات القرن 19م. في حين كان الجزائريين 'في معظمهم غير أميين 'وكانت الكتاتيب و المدارس القرأنية و الزوايا حاقظة للعهد العلمي و الثقافي و حاملة لواء التراث و اللغة و التاريخ . مع دقة و اختصار لبق سهل المراس التعليمي 'من خلال نصوص الأجرومية و القيرواني و مختصر الأخضري و خليل و ابن عاشر .....

ان القابلية للاستعمار هي رباط ثقافي و فكري ملموس و اقعيا ...و ليس علوما .لأن في رأيه المنطقي و و العصراني أن العلم و كسب التقنية ليس عيبا و مروقا عن الهوية . و لكن الخطر في أفكار كولونيالية و استلابية ماسخة و هدامة 'بينما العلم فكر حي و مفيد و بناء وحامل لواء الحضارة الحقيقية و ضمان ا لمصير الوطني و العالمي من هنا نكتشف أن القابلية للاستعمار هي أثرمن الموقف الاستعماري و رد المستعمرين عليه .بفتح الميم – . و الذي هو رد سلبي تخاذلي خضوعي لفسيفساء الحضارة ونثرات التكنولوجيا العصرية وبدلات التقدم و مصطلحات الحداثة واخلاق الدماثة و الهجانة .

---

[1] مالك بن نبي 'في مهب المعركة ص '160....180

ورغم ذالك فقد اعتبر بن نبي أن القابلية هي فترة نقاهة بعد مرض ،ولكن يمكن استرجاع القوة ،من خلال الشد على مقومات المحلية ،التي سوف تزيل كافة الرواسب الاستعمارية السلبية الموجهة الى ميل انصهاري ومائع ،لأن العلاقة بينهما غير متطابقة ،للفرق الصناعي و الفكري ا لذي أنجزته أوروبا منذ القرن السادس عشر .

االمطلب الثالث : مصادر القابلية للاستعمار

إن القابلية للاستعمار من ذلك ، هي نتيجة فشل المقاومة . لقد ساهم العمل الاستقصائي العلمي في دفع المعرفة الاجتماعية الثقافية والجغرافية بالبلاد الجزائرية لذا ساهم الفكر التبشيري المسيحي منذ شارل دي فوكو في بلاد الهقار و غيره في كافة المناطق ، كما ساهم البحث الا نتزولوجي والاستشراقي، في تطوير هذه المعرفة وتدجين الأهالي في فكر جديد ، واستطاع أن يدخل بيوت الجزائريين ويستأنس لهم وهذا الطريقة الخيرية و الإنسانية التي صبغت على هذه البعثات ، بينما كانت الأرجل المسلحة تقتل في الجبال والكهوف.

يقول مالك بن نبي: الأدب الاستشراقي له أثار سلبية ، وطنها رد أثار وهمية تتمثل في التعريف بالفكر الإسلامي ولكنها ضارة أكثر منها نافعة وذلك لأننا لا تعالج شقاوة لمجتمع برواية أمجاده ا لماضية ، وهو بذلك يربي مجامع على تذوق العجائب عوض أن يعلمه الفعالية .....([1]). وبذلك فهو نوع من الصراع الفكري تم خلقه لبلبلة الأفكار لأن هذا قد وجهه الاستعمار بمواقف متكيفة جدا ، إذ أتى بحلول خاطئة للمشاكل زادوه توغلا في الأخطاء وإذا أتى الجزء من ا لصواب فلإفهم سيبذلون قصارى جهدهم من أجل إبعاد هذا الجزء أو من أجل إبطال مفعوله وبصفة خاصة إذا كان له علاقة بجزئية الأفكار أو بنهضة العالم الإسلامي.

فللمستعمر طوال سياسته التوسعية، كان دارسا لكافة المتغيرات ،" فقد كلف المستشرقين بخلق تلك الغرائبية في التاريخ الإسلامي حتى يهر المستعمر- بفتح الميم- المغلوب بهويته وماضيه ...."([2])، وبذلك فهو يخفي عليه واقعه المر المعاش إضافة إلى الروح البربرية والفينيقية والفرعونية

---

[1] عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة في فكر ابن نبي ، دار الكتاب ، باتنة ، الجزائر، ط3، 1984، ص62-

[2] نفس المرجع السابق ، ص62-

والتقدمية والبهائية بصرف النظر على الواقع وخلق دويلات ([1]). وذالك للترعيب او التعنيف او التعنيف و الخداع ، وهذا رغم ما كان من تفتح بعض المثقفين من العرب المسلمين على علوم وثقافة الغرب " مثل ما فعل الطهطاوي و الجوهري في مصر حيث يعتبرهما بن نبي أنهما قدما عملا تكديسيا إمتثاليا مكررا بهدف إعادة إنتاج للواقع فقط ، وليس تمثلا راعيا للتاريخ لتفكيك ا لواقع ، فمجتمع ما بعد الموحدين ، يجب نقده حسب نبي نبي وقراءة التاريخ بصورة جدية تقريبا للأمل....".([2]). لأن القراءة الحداثية الجديدة المدركة لمتراكمات التاريخ وقوة الرأسمال الرمزي الذي خلقه تقارب العيش بين التجمعات العربية الإسلامية ، هي الحل لمواجهة الفكر التدجيني الكولونيالي العصري الذي استعمل كافة الطرق النفسية والاجتماعية للاحتواء و الاستلاب والتي منها:

- بدائية: قتل وتشريد ، اعتداء
- علمية: بعلوم عصرية مع ضغط وإغراء

إن كل ذلك يهدف خلق صراع يتوجه نحو الفكر من أجل تجميد مفعوله الرمزي المتراكم ، أو تدنيس ه أو شله أو تحويله عن هدفه أو إدماجه في مصلحة الاستعمار أو إفراغه من معانيه . كما طبقت طريقة التجزئة في الفكر أو جعلها مثالية مجردة غير عملية أو عزلة عن المجتمع وإقصاءه عن مجال الاتصال ([3]).لذلك كانت الطرق العلمية أساليب هادئة سليمة مبنية على التعايش بهدف ك ولونيالي ، واستطاع تقديم عملا راقيا مثل ازدواجية الدلالة في الثقافة العربية ، مما سهل إنجاز مشروع قائم بذاته مؤرخ اللغة عبر العصور. لذلك وجدنا غاردي وبيرك ، كوهن ، ولوكنت ، يعرضوا عملا عصريا مدهشا حول المدونة اللغوية حيث مجالا معقدا غير مدروسا ، كما قدموا دراسات في الثقافة البربرية واللغة الأمازيغية مما جعلها أكثر كتابة.

المطلب الرابع أساليب ممارسة القابلية عند مالك بن نبي:

ينجلي لنا واضحا أن الثقافة البنائية هي ثقافة مقاومة بالطبع ،فهي مقاومة للمحلي الجامد و الرجعي و مقاومة الدخيل الاحتوائي و التسلطي والبعيد عن كتلة هذا الشعب .بذلك نكشف عن أحد

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 63-

[2] ع عبادة، مرجع سابق، ص63-

[3] نفس المرجع، ص ص 71/70-

أسرارها التي كشفها ابن نبي و استقصى أصولها و فروعها أل و هي قضية الصراع الفكري الذي هو مفروض على العالم المتخلف اليوم كما فرض عليه في عهد الاستعمار .وهو صراع مقاومة أساسا . ليكن انطلاقنا و أساسنا هو كتابة الصراع الفكري في البلاد المستعمرة – بالفتح – و الذي هو خلاصة تجارب خاصة واقعية عاشها المؤلف في حياته و خاض معاركها و تناقضاتها.

إن أشد الأفكار إثارة و أكثرها عمقا إن له نقل خلاصة تحليلية للصراع الفكري في البلاد المستعمرة هو أن الصراع الفكري مسرحية يلعب أدوارها كل من الشعب أو لفكرة المجردة و الاستعمار و قد تكون الفكرة المجردة في مرحلة أولى عبارة عن فكرة متجسدة و هذا ما يعمل الاستعمار على بلوغه و الوصول حتى يتسنى إمكانية القضاء على الأفكار المضادة له لأن "الفكرة المتجسدة" أسهل و أقرب إلى الاستعمار و إلى وسائله الجهنمية لدفنها و مجرد آثارها أما إذا تحولت هذه الفكرة إلى مرحلة "مجردة" فإنها ستصبح في يد الشعب المستعمر و تدخل في وعيه و يتعلق بها و تشكل احد مبادئه و أهدافه.

و إذا كانت المسرحية تحتاج إلى مشرفين و تقنيين فإنه لاشك أن الاستعمار هو مخرجها و منفذيها و صاحب السيناريو و صاحب البث و الإرسال على شاشة التاريخ المرئية كما يكون لها الفنيين اللازمين للإضاءة و الديكور و الكوافير و عند بداية عرض المسرحية سنجد أن الاستعمار سيلقي الضوء على أحد جوانب المسرحية دون الجانب الآخر الذي يسبب له حرجا و موقف سل بي أمام جمهور المتفرجين الذين يغمرهم بأضواء كاشفة حتى يصبحوا في حالة تنويم مغناطيسي و تتحول أمامهم المسرحية إلى أشباح و ألعاب صبيانية لا يركز عليها كثيرا. و هكذا يدخل "مبدأ الغموض و الابهام" حيز التنفيذ حتى لا يكتشف الجمهور حقيقة الأمر و الأهداف المرسومة ل تلك المسرحية المصطنعة . و طالما أن ثنائية المستعمر – المستعمر تتطلب أدوات الربط و التنسيق فإننا نجد أن أسلوب القهر أو القسر أو الخداع النفسي أو الفكري أو الإيديولوجي هو واسطة هذه العلاقة المفروضة ، يتوضح لنا أن الهدف هو تجميد لوضع و المحافظة على نمط من الحياة و الواقع الاجتماعي و الثقافي السائد في مرحلة معينة.

أما إذا أتى دور الناقد و الواعي المتخصص في مجال المسرحيات الاستعمارية و تاريخها فإنه سيجد أمامه ركاما من الأساليب و التقنيات و المخططات التي يجب وضعها تحت المجهر . و بالتالي يتوضح لنا أن الصراع الفكري في البلاد المستعمرة و حتى في البلاد المتخلفة كما نشاهد اليوم هو أسلوب استعماري محض يتخذ من "مبدأ الغموض و الفعالية " تطرق لفرض رؤيته و تصوره للحياة و الطبيعة و

المجتمع بما يمكن أن نسميه – الضغط الإيديولوجي– و لنزيد الأمور توضيحا يجب أن نوضح معنى هذين المبدأين

أولا: إن مبدا الغموض الذي يبقه الاستعمار على مسرحية الصراع الفكري هو نفسه ما يطبقه على الحياة الاجتماعية الراضخة تحت قواعده و مسلماته . فهو حسب هذا المبدأ لا يكشف عن نفسه في المعركة التي يخوضها الشعب المستعمر فهو دائما يستخدم أو غالبا قناع ال قابلية للاستعمار " التي هي تخدم مصالحه و يفرض وجوده على أرض غير أرضه و قوم غير قومه و يرى فيها العامل السيكولوجي و الإيديولوجي الذي يبيح مشروعية وجوده لأنه حامل للحضارة الحديثة و التقنيات المعقدة و صاحب الروح العلمانية المتخلصة من رواسب الفكر اللاهوتي و الميتافيزيقي.

ثانيا : في مجال آخر نجد أن الاستعمار يركز على جانب آخر من مشروعه الاستعماري و الثقافي حيث نراه يدعم أفكاره و يحيطها بشباك من حديد لا يزعزعه إلا من كان في مستواه أو أكثر منه كما يجهد نفسه لإيجاد الطرق و الأساليب الناجحة لكي ينشر ثقافته و أفكاره بد ون أن يصبها خلل فني أو داخلي حتى تحقق له مآربه الاستعمارية الهادفة إلى طمس و مسخ حضارة يدنسها بقدميه. و لكي تكون مخططاته أكثر فعالية فإنه يستخدم طريقة "فرق تسد " بين التنظيمات الاجتماعية و الثقافية حتى يفكك الوحدة الشاملة و المواجهة المتكاملة من طرف كل الفئ ات الشعبية و لنخبة المثقفة و الواعية بسير الأمور و اتجاهها الحضري. و في هذه النقطة نجد مالك بن نبي يقول "إن أكبر لحظات التاريخ هي دوما للحظات التي تتكون فيها وحدة كفاح شاملة ضد الطبيعة أو ضد البشر" الصراع.

و عندما يحثث الاستعمار تفكيك المضادة له ينحدر ا لمستوى الإيديولوجي في البلاد الخاضعة حيث يتحول "العلو الإيديولوجي " إلى هبوط إيديولوجي أي انفصال في الوحدة الروحية و الثقافية و بالتالي يسهل له القضاء على الوحدة الاجتماعية و الحضارية للشعب .و هكذا نجده يحقق مبدأين أساسيين من مشروعه الثقافي و الاستعماري اله ادف.و إذا كان الاستعمار لا يمكنه كشف نقابه في المعركة حسب خططه فإنه يتخذ لعبة المنديل الأحمر كطريقة تحويل الأنظار و الاهتمام إلى مواقع لا تمسه . فنجده يستخدم أسلوب الإثارة و التمويه لإجهاد و إضعاف الخاضعين له حتى يفقدوا وعيهم و يصبحوا في حالة تنويم شاذة .وحسب هذه الخطط الاستعمارية فإنه يقتضي من العمل المتواصل و الجد الحقيقي لفك هذه الرموز و هذه الثنائيات و العلاقات و الأفكار الجادة التي قدمها بن نبي إلى الفكر العربي و الإسلامي و حتى العالمي . ان النظرية العامة لابن نبي تنم عن وجود ميولات و اتجاهات حول الثقا فة و الفكر و

اساليب الر و المقاومة و التواصل مع الاخر ام بطرق اندماجية او انعزالية او تعاقدية حسب الانسجام الاجتماعي و رؤية البعيد و القريب و توحد المصلحة الوطنية بالمفهوم العام لذي يمكن الجماعة من بلورة الفعل و وضع استراتيجيته من خلال نزعات محتلفة .

يعتبر المفكر مالك بن نبي أن ظاهرة القابلية للاستعمار هي ظاهرة اجتماعية ونفسية يهتم بها علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع وبذلك فهي تركيب ثنائي من المحيط والرواسب الداخلية للشخص ، وقد قام الاستعمار بخلقها بذكاء خارق، حيث ركب جهاز الكف أو مرآة الحرمان، لذلك كو ن أنظمة من النفوس البشرية راضية بالواقع .والحل المفيد لذلك هو تعديل الكف لأنه وجد ضده لدى الدوائر الاستعمارية. حيث تقوم عناصر الاستعمار بتأسيس هيئات بشرية ومادية تتوجه نحو عناصر محددة لكي يحتويها ويحملها في ظلاله ، وهذا مايمكن أن نسميه ، استقطاب أفقي يمارس الاجتذاب وللتعايش القائم على الروح الإنسانية المغطى بالتطوير الحضاري والتحديث البنائي و التدوير المصلحي .مما يجعل عضو البلاد المستعمرة طرفا متفرجا على لعبة يسميها بن نبي « لعبة الظل» عناصرها، المخرج، والممثل والضوء، والمتفرج ، وكأنها مسرحية هادئة.

فالمستعمر يركب جهاز مضاد، تكرسة الأفكار والمعاملات المدروسة بكل أحكام لإفشال الأفكار المضادة له .وهذا كنتيجة أن القابلية للاستعمار هي رضى النفس على الواقع ابتدع الاحتلال مسوغاته و مسهلاته ومظللاته للتغطية و التعميم . وتنصب هذه الأجهزة على العلاقات الاجتماع ية والحياة الشخصية والأفكار السائدة لدى الأفراد والجماعات، مما يجعل الخطاب المباشر بين الأشخاص والهيئات خطابا باردا نحو الاستعمار فيتحول المتكلم والكاتب والمحاور ناطقا ضد مواقفه وقيمه المعروفة والسابقة التي تكونت عبر قرون. بهذا نجد أن هناك " إيحاء " من نوع خاص يقوم به الاستعمار بالممارسات الأخلاقية والاقتصادية والاجتماعية مما يخلق صراعا مع الأفكار المحلية كما تفشل القيم الأجنبية نظريتها الداخلية، ورغم أن الأفكار كما يرى بن نبي لها حصانة ومناعة خاصة ، إلا أنها كما يرى كذلك تخضع لعملية قوية من طرف المستعمر وه ي جد ممنهجة، يساعد هذا الواقع الغالب والفكر المعصرن... لذا نجده يقول :« إن الشيء الذي يتكفل حصانة دائرة أفكار معينة ، هو في الحقيقة قيمة أخلاقية تشترط النظافة وتفرضها في كل الظروف ، وقيمة فكرية تجعلنا نميز بين الغث والسمين '([1])

[1]– مالك بن نبي ، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص 76

وفي محاولة لتبرير ذلك وتكريسه واقعيا، هو يرى « إن الأفكار لا تتمتع في المجتمع الإسلامي بقيمة ذاتية ، تجعلنا ننظر إليها كأس المقومات الاجتماعية – كقوة أساسية تنظم وتوجه قوى التاريخ كلها، وتعصمها من محاولات الإحباط مهما كان نوعها »([1]) حيث يساهم العامل الزمني دوره من خلال مرحلة – الطور قبل الاجتماعي – الذي يعيشه المجتمع، وهو في وضعية طفل لم يصل إلى الوعي الكامل ولا وعي للأفكار ومساراتها واتجاهاتها ومقاصدها . ففي هذه المرحلة لا يجد ذاكرة المجتمع حافظا لها، فتصبح الأفكار بدون مسوغ ولا مبرر، ويكون المجتمع غير مسوؤل عن ذلك.

لذا فالاستعمار ينشأ مركب من الأفراد، يتحكم في سياستهم وخططهم ومشاريعهم وأفكارهم، لأن السياسة عند الاستعمار علم وفن له قواعد ومبادئ ومقاييس وليست عقلية بل عاطفية ذاتية .ويقول([2]) « ... أساس نجاحه في هذه المهمة هو ما تتضمنه نفسية الشعوب بصفة عامة ، من ميل طبيعي نحو السهولة » لذا نجد عنده شعارات (الاستعمار– الامبريالية – الوطنية) في طرق خلق السهولة وتساعد لتهيئة الجو المناسب للاستعمار الفعلي. فمصطلح استعمار هو مصطلح كولونيالي .إن القابلية للاستعمار هي تجنيد قوى فكرية ونفسية وخلق معارك وهمية بين الأفراد والاستعمار مثل معارك أخرى ضد قرارات غير مهمة . بالتالي يصبح الفرد المستعمر في وضعية إيجاد ذاتي او بحث عن الذات او حالة بلور جديد للشخصية ، حادث بفضل التأثير الخارجي، حيث يتكون لديه رد فعل لا يلائم مقدرة الاستعمار على التلاعب الذي يجعل المستعمر في حالة ضعف وفقدان وعي من خلال لعبة المنديل الأحمر ، مثل الثور الإسباني بالإضافة إلى تحويل الموضوع ، وتقديم العطاء المادي لتجميد الوضع ، مما يجعل مستوى الرضى مرتفعا اتجاه الإستعمار.

---

[1]– نفس المرجع السابق ص 79

[2]نفس المرجع السابق، ص 27.

الباب الرابع : بنية المجتمع قبل الإستعمار

الفصل الأول: بنية المجتمع العثماني وتمفصلاته في الجزائر

الفصل الثاني البناء الاجتماعي والمرجعيات الجغرافية و الثقافية

الفصل الثالث: تصنيف الوقائع التلريخية في السوسيولوجيا الكولونيالية

الفصل الأول الحالة العثمانية

تمهيد

لم يظهر الضعف العثماني الا في في بداية القرن 19م. وذلك كان راجعا الى عدة أسباب اجتماعية و اقتصادية و ثقافية و سياسية .و خاصة أن هذا النظام لم يتوسع بالطريقة الامبراطورية المعروفة سابقا .وكان معظم أرض الجزائر مس ناقل أو أرض سيبا ‘بعيدة عن أمر الوالي العثماني .وحيث سادت الطرقية كنظام اجتماعي و ثقافي لتمثل الطبقة العالمة ‘ومقابلها النظام القبلي لتسيير الحياة و المعاملات الشاملة للمجتمع .في ظل غيات المدن الكبرى وغياب المراكز الاقتصادية الهامة وعدم تنظيم النشاط المهني و الحرفي في المدينة و الريف ‘مع سلطة الزعامات القبلية .وسلطة جيش الإنكشارية.

المبحث الأول التنظيم السياسي

المطلب الأول مدخل للحكم العثماني :

لقد كان الحكم العثماني ،حكما متسلطا ،متمكنا بفضل القوات الانكشارية ووجد قوته في استمالة السكان الحضريين وقبائل الجوار المديني نظرا للهجومات والتحرشات الاسبانية والبرتغالية على الساحل الإفريقي الشمالي ،ونجح في تطوير الدويلات المنتشرة في تونس والجزائر وليبيا ولكنه فشل في المغرب الأقصى .استطاع خير الدين وعروج صد الهجومات الأوربية على الساحل الجزائري حيث استطاع عروج أن يفتح تلمسان ويخضعها لخلافة أسطنبول وواصل خير الدين حملاته في التوسع واستمالة القبائل الحضرية والريفية في المناطق الداخلية .

لقد استطاع خير الدين ان يفشل حملة نائب ملك صقلية سنة 1518م/924هـ وقضى على افرادها واسر بعضهم وفاز عليهم ولكنهم ، نظرا لمعرفة الأتراك مسار الأمور والسياسة فعينوا بعض الزعماء والمشايخ على مقاطعاتهم ،منهم محمد بن القاض الزواري عليه قبائ ل الشرق ،ومحمد بن علي على قبائل الغرب الجزائري ،وبما هذين الأخيرين بصلة بالحكم الحفصي والزياني ،فقد تحرشا وتمردا من طرف الحكمين ضد الاتراك .ولكنهم عملوا مع الأتراك حيثا ونجحا في احتضان قبائل الذواورة في الشرق وقبائل بني عامر في الغرب الجزائري .

لقد رفض الأمير عبدالله ،خليفة أبي حمو الثالث ،سلطة الأتراك ى،لكن خيرالدين حمى ودافع عن – الأمير مسعود – الذين عارض أخيه عبدالله ولكن مسعود تمرد أخيرا عن الأتراك أيضا ،إلا أن المسار اتجه نحو الصلح * مع الأتراك واتفقا على سلطة موحدة عثمانية بفضل أحد الفقهاء وعلماء المنطقة .

والملاحظ أن عدم تماسك السلطة العثمانية ،في المرحلة الأولى كان واضحا وخاصة بعد وفاة عروج وأخيه مقتولا ،حيث عاد أبي حمو الثالث الى تلمسان غربا وحميده العبد الى تنس جوارا .حيث واجها كل منها التحرش الإسباني .لقد قام عملاء الاسبان بقطع الطريق عن عروج وأ خيه إسحاق حين عودتهم من الغرب الى العاصمة في موقعه حامية بني راشد كما تم حصار عروج في تلمسان .(2) حيث كان عروج متوقعا حامية السلطان الوطاسي في حمايته بالوصول اليه ،ولكن نفذ الصبرلديه فهرب ومنها نهايته عملاء الاسبان .فلحقه الإسبان في بني يزقن في غرداية في ماي 1518 وقضوا عليه ،فإنتهى الحكم الى أبي حمو الزياني بمناصرة الإسبان له حتى وقت لاحق حيث سيمتد التوسع العثماني الى تلمسان بعد فتنة خطيرة في ضواحي قلعة المشور بين الرافضين و القابلين للحكم العثماني .

المطلب الثاني النظام الاداري ظروف نهاية النظام العثماني

لقد تأسس الحكم العثماني مواصلا للقيم الاسلامية ومواجها للقوة البحرية الأوروبية الغازيةعلى شواطئ البحر المتوسط .فقد كان نظاما امبراطوريا كلفه استينفاذ القوة و تبعثر الجهود و تشتت المصالح .مما جعله لايطيل كثيرا في المنطقة المغاربية مع ملاحظة الظروف المحلية في تونس و ليبيا و الجزائر وحدوث ثورات مناوئة له في تلك البلاد.التي توسعت عبر الفضاء الجغرافي الواسع و حكمها الانكشارية و الشيوخ وممثلي البايات في كل االمقاطعات و مناطقها افي الجزائر العثمانية .

لذا قسم العثمانيون الجزائرالئ ثلاث بايلك 1–التيطري في المدية والشرق في قسنطينة والغرب في معسكرثم وهران ودار السلطان في العاصمة }وكان يسموا مناطق التابعة للبايلك سناجق كالولاية ثم النواح ثم الاحياء او الحارات كما القايدات أوالأوطان وأما الضواحي فكانت تسمى الفحوص.

1–البايلك هي مساحات كبربيتحكم فيه الباياو وترجع مداحيلها للخزينة العامة

2–ملك وهي ملكيات للاشخاص او العائلات ولها الحق الكامل للتصرف فيها

3–عرشية هي ملكيات غيرمجزأة يتصرف فيها الزعماء وكبار العشائر

4 –مخزن هي اقطاع عقاري واسع اعطاه الباي للشيوخ و الموظفين مقابل الا لزام

–5– حبوس و اوقاف يتصرف فيها وكلاء مكلفين'مردودها للمساجدوالمدارس

–6—املاك اخرى–موات—مهملة –منزوعة محولة —وسبل الخيرات

وقد كانت الضرائب و الغرامات هي الرابط السياسي و الاجتماعي بين العثمانية و الشعب .لذا كانت مناطق الجبال و الصحراء معفية من ذلك و كانت شبه مستقلة . .أما النقود المستعملة في الجزائر العثمانية هناك نقود التبادل وهي المعروفة عاديا ممثلة في قطع نقدية معدنية كان منها الزياني و الدينار الحفصي في المرحلة الاولى ثم ظهرت السلطاني العثماني و السكينية التركية كما استعملت الريال و الريل بوجو و الدرهم و البياستر الا سباني وكان هناك نقود الحساب التي مؤداها تقدير الاثمان و تقييم السلع مرة و للدفع المالي التبادلي مرة اخرى ,و منها الصايمة و الموزونة ريال دراهم صغار عموما ,كما وجدت نقود احرى مثل الخروبة و الدورو الفرنسي و المحبوبة و غيرها

بذلك كانت مصادر الخزينة الع ثمانية في الجزائر ،هي الرمز و الدليل للترابط السياسي الجزائري العثماني ، فقوتها وضعفها مقياسين لذلك .و التي كان منها القرصنة البحرية و الرسوم و االإتاوات المفروضة على الدول الاجنبية والسفن في البحر المتوسط – ضرائب على التجار الاجانب و الشركات الاجنبية و السواح و المقيمين منهم –هدايا و عطايا مفروضة على القناصل و بعد الاخلال بالمعاهدات المعلنة سابقا معهم – ضرائب على السكان المحليين– منها ضرائب على الارض و على الاملاك – فارس– و النشاطات---يبع الاسرى او تحصيل اثمان تحريرهم --غرامات متنوعة – منها غرامة اللزمة على غير القادرين على الجندية – غرامات على القرى للانكشارية بعد حروجهم للمحلات– غرامات الجمرك على التجار المتنقلين من بايلك الى اخر – غرامات على الحرفيين -- غرامات على الافراد و العائلات احيانا – منها على السيبا بعد دخولهم البايلك– غرامات على المطامير و المخازن على الفلاحين – معونات على المواطنين و حتى السيبا احيانا -- الجزية على اليهود–المكوس على استعمال المكان – وكانت تعطى تفويضا لموظفين مكلفين –تعميم غرامة اللزمة على كل السكان --- الزكاة–و العشور حكور – العوايد و الضيفة ايام الاحتفالات و الاعياد و حين دخول الباي المدينة او حين تنصيبه — الدنوش وهي عطايا متنوعة -- و البياشي وهي غرامة على السيبا بعد دخولهم البايلك.

ومن ذلك سوف نكتشف التغيرات و التأثرات لهذا النظام على المجتمع الجزائري و فعاليته و نشاطاته و وطرق اكتسابه للوعي و الادراك و شحنات الا رفعال .وذلك ما سوف يتم تواصله حين ثورة الحاج باي ثم الأمير و المقراني ،بما يشبه تلك المواصفات .

المطلب الثالث – التواصل السياسي في دولة الخلافة

نشأ الاسلام ، وهو دين كسائر الأديان السماوية ، في منطقة جغرافية تتميز بالجفاف و كثرة الصحاري مع وجود مناطق مائية و منابع سائلة و نبات صحراوي كالنخيل و بعض النباتات التي تأكلها الحيوانات الأنيسة ، و تكون في أحضان مجتمع يتميز بالخلافات القبلية و الصراعات العرقية وسيطرة الروح العائلية على سلطة القرار و الحكم ، حيث لم تكن هناك دولة أساسا . وقد نشأت روح جديدة تدعى الاسلام كبديل لروح القبيلة و مجتمع العائلات الصغيرة و الكبيرة التي كان يسودها الاستغلال ومنطق السيد / العبد و الخادم / الأمير و السلطان الذي لا يملك دولة فعلا و إنما يملك ذلك من خلال كبره و حلمه و عمله و الجاه و الشرف و سمعة أهله .

لقد كان ذلك في موازاة العمل الفكري و العقائدي الذي تقيمه المسيحية في بلاد الروم و شمال العرب ، و هي الديانة التي برزت خمسة قرون من قبل ، واهتمت بالجانب الروحاني لإعادة الإيمان و الثقة بالنفس و الأمان و اليقين أمام الظواهر الكونية و الاجتماعية الناتجة ، حيث كان الإنسان محتاجا إلى أفكار حول الله و الروح و الواجبات العامة تجاه الخالق و ما يشابهه ([1]) .هذه الأفكار الموفقة ، حسب توكفيل ، يملكها كل واحد عن طريق جهده العقلي الخاص ، وبالتالي تكوين روح منشغلة بالحياة العادية ، و الخبرات اليومية للنشاط الإنساني لمعرفة الحقيقة وتجنب الغلط ، تلك الأفكار التي تكونت حول الله و الطبيعة ناشطة يوميا و تلك الممارسات تمنعهم من اكتسابها في الحياة اليومية لأن الأقلية عالمة ([2]) . فالمسألة الأولى التي نشأت بعد وفاة الرسول (ص) هي إشكالية الخلافة و الحكم ، ذلك بعد انتهاء السلطة الإلهية النابعة من الدعوة المحمدية التي تتخذ القرآن و الوحي المنبع الأساسي و الأصلي لها .يقول الله سبحانه و تعالى : " إني جاعل في الأرض خليفة " كما جاء في القرآن " جعلكم خلائف في الأرض " .لقد دب الخلاف و الصراع بينما كانت الرسالة الإسلامية في أوج قوتها .و دخول فئات بعيدة إلى الإسلام.

---

[1]–)Alexis de tocquville de la democratie en amerique enag Alger p 29–

[2])–Ibid p 29–

فقد كان الصحابة أول الأفراد الذين يدور حولهم النقاش و الصراع و هم عمر وأبو بكر و عثمان و علي بالإضافة إلى الجنود الذين جاهدوا بالسيف مثل خالد بن الوليد و عبيدة بن الجراح . و لكن يجب أن نلاحظ ظهور الروح العصبية و القبلية مرة أخرى رغم دعوة الإسلام إلى محوها و دحض أسسها ، لأن الإسلام رسالة عالمية و كونية ، و هنا شكلت بعض الجماعات حزبا يدعو إلى خلافة علي بن أبي طالب لأنه الوحيد الذي ورث الرسول ، و هو ابن عمه وزوج ابنته ، حيث أن الرسول (ص) لم يترك أبناء ، لهذا ظهر ذلك الخلاف التاريخي بين أهل السنة و أهل الشيع ة و قامت القيامة حول مسألة الخلافة في الاسلام و الحكم في المجتمع العربي .

يقول ابن خلدون : " جاءت تسمية خليفة لكونه النبي في أمته .. خليفة بإطلاق و خليفة رسول الله .. واختلفت في تسمية خليفة الله لأن أبا بكر الصديق قال يوم السقيفة " لست خليفة الله " .ويرى أهل السنة أن خلافة ملتصقة بالمنصب الرسمي ، و لما آل أمرها إلى غير أهله انحرفت عن مبادىء الإسلام.بل لم يعد بينها و بين حقيقتها الأولى صلة إلا الاسم ، وأصبحت معاني جور وطغيان لابد أن يشار إلى الوظيفة الإسلامية على أنها الامامة ، لذا تحدث الفقهاء عن شروطها وواجبات الإمام ([1]).

هكذا تشكل ذلك الصراع السياسي الأول في الإسلام و في التاريخ الإسلامي ، حيث أن انتهاء سلطة الرسول كشخص بشري و إجتماعي له دعوته و له خطابه الخاص و له أهدافه قد تبلورت في شكل دين سماوي أمنت به الكثير من الشعوب المجاورة في الجنس و اليمن و الفرس والهند و الفراعنة و اليهود رغم الصراع الذي دار حول السلطة الزمنية والروحية التي قدمت نوعين من المعاني .يقول الريس : " و لكن هذه التفرقة لا أساس لها ، و لم تكن من الخلفاء ولا من الفقهاء من السنة والشيعة فليس في الاسلام تفرقة أصلا من الناحيتين (الروحية و الزمنية). الإمام الشيعي يباشر كل الوظائف ، ومنها قيادة الجيوش .والجهاد في الاسلام وظيفة روحية أيضا .ولقب الإمام مضاف إلى وصف الإيمان.و الواقع أن الألقاب الثلاثة كانت تتناول بدون مراعاة الفارق بينهما دالة على نفس الشخص " ([2]) .

هكذا قام العلماء فيما بع د بتحليل تلك الظاهرة وقدموا كافة الشروح مع مراعاة الجانب التاريخي والجانب الفقهي واللاهوتي الذي يستوحي من السنةة وأخلاق الرسول (ص) وآيات القرآن .يرى الماوردي

---

[1])- في ماجيستير لنا بعنوان" الخطاب الاسلامي في الجزائر وعن " ضياء د.الريس ،النظريات السياسية الاسلامية ، دار التراث ،القاهرة ،ص 120

[2] -الريس ض د ،المرجع السابق ص 19

في الأحكام السلطانية : " أن الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا " . فالماوردي كان قاضي قضاة بغداد ومن كبار العلماء من فقه الشافعية ، وهو الذي رأى أنه من اختصاص النبوة سياسة الدنيا . وقد أجمع الكتاب و المؤرخين على تلك الظواهر وحللوها و أعطوها التحليل الكافي وقدموها مشروحة مفهومة لدى الجميع . وقد كتب فيها ابن الأثير في الكامل في التاريخ ، كما كتب فيها ابن حزم في الملل والنحل ، والطبري في تاريخ الملوك و الرسل ، و الماوردي في الأحكام السلطانية ، وابن خلدون في المقدمة . ويقول أحدهم الإمام صاحب الحق الشرعي ، منصوص عليه شرعا وشريعة واجتماع الخليفة ، صاحب سلطة فعلية واقعة بحق أو بغير حق . فالإمام معترف به لدى الشيعة و لكن نلاحظ أن الخليفة غير معترف به لأنه يعبر عن سلطة دنيوية واجتماعية غير دينية إن عبد الله السفاح مثلا : كان إماما ثم خليفة عباسي وهو خلف أخوه إبراهيم .

يرى الريس : " إن إضافة الألقاب – إذن – دليل على أنهم صاروا يجمعون بين ال سلطتين الواقعية والشرعية ، وأن حقهم الذي كانت تعترف به جماعة معينة قد أصبحت تعترف به الأمة في عمومها ، وأخذ صبغة رسمية ".كما يقول أيضا : " ولما كان اللقب الذي اختاروه و خصوا به زعمائهم هو الإمام فإن المشكلة الأولى التي بدأوا فيها يبحثون ويجادلون فيها خصومه م كانت هي الإمامة بنفس اللغة ، فثبت التقليد ولم يكن هناك داع لتغييره ..."([1]) .

إن معنى الإمامة هو الهادي إلى الخير وإلى الطريق السوي و الذي يؤدي إلى السلام ، هكذا سمى أبو حنيفة إمام لأنه قدوة في الفقه و البخاري إمام لأنه قدوة في الحديث ، و الغزالي إمام لأ نه قدوة في التوحيد .كما أن الامام له مفهومه السياسي ، حيث معناه الزعيم الروحي السياسي للأمة ، و الإمامة الكبرى هي حكم الأمة ، بينما الإمامة الصغرى هي إمامة الصلاة ، لهذا يرى ابن حزم ([2]) أن الإمام هو صاحب الإمامة الكبرى ذات المعنى الشامل .لهذا فالشيعة لهم ا لفضل الكبير في هذا النوع من العلوم ، حيث أقاموا له نظريات ومبادىء وسموه " الإمامة " وهم الذين أوجدوه و أفردوا له مكانا بين مباحث علم الكلام . وإذا كان من المعروف أن علم الكلام فيما يختص بالعقائد الدينية إنما نشأ كنتيجة للمناقشة و

---

[1] –تقي الدين،عن ضياء الريس ،م س ،ص 118

[2] –الريس ض د ، مرجع سابق

الجدال بين الشيعة و المعتزلة وأهل الحديث ، وذلك أن مباحث الإمامة – و هي الجانب السياسي منه – إنما و جدت نتيجة للنقاش بين الشيعة و مخالفيهم من خوارج و معتزلة ، وأهل السنة أيضا.([1])

فالإمامة ، كما عرفت من خلال شروحات المؤرخين المسلمين و الأدبيات السياسية العربية الشيعية ، كانت وظيفة لاثبات أدلة منطقية دينية و تيولوجية و عقلية ، و لها مصطلحات فنية في النظريات السياسية للحكم في الاسلام ، بينما لا يرى البعض من المستشرقين أنه لم تكن هناك نظريات سياسية في الاسلام .لها أن الخلافة الإسلامية في الربع الأول من هذا القرن أن النظريات الإسلامية كانت **Arnold**يرى أرنولد.

1- اعتمدت النظرية الإسلامية على السنة و القرآن .

2- نشأة النظريات الإسلامية كانت في المدينة بعيدة عن أماكن الحضارة .

3- جاءت النظريات المخترعة لتدبير النظام السياسي القائم .

4- الأحاديث المعتمدة كانت أغلبها موضوعة و مخترعة و أسندوه ا للرسول ، بينما الأساس هو الإجماع في الخلافة .

و لكن الرد الذي تم تقديمه على النقطة الرابعة أن التاريخ الإسلامي شهد ثورات و فتنا و حروبا بين مذاهب الفرق . يعترف **Gibb**الإسلامية، تم فعل العلماء و الفقهاء الذين كانوا يشكلون خطرا على الحكم . كما سجل أن جيب . يعترف بأن الفقه يعتمد على الاجماع ، كما يذكر **Shakhet**بدور الاجماع في أصل الخلافة ، بينما شاخت أن في عهد العباس كانت بغداد مدينة حضارة نشأ فيها المعتزلة و أهل الكلام و الفلاسفة ، لهذا يقول ضياء الريس أن الأبحاث الأخرى و الفرق الأخرى إنما كانت محصورة في أنها أجوبة على الأسئلة التي يضعها الشيعة ، ولم تكن إلا مجموعة من الردود على الدعاوي التي كان الشيعة يبدأون بإثارتها ، بهذا شابهت صيغة الجواب صيغة السؤال ، و جاء الرد مطابقا للدعوى التي يراد منها أن يدفعها ([2]).

---

[1] الريس ن م س ،ص 95

[2] – الريس ض ،د مرجع سابق ص 95

لذا تعتبر القاعدة هي المرجعيةالتاريخية مفرزة من التجربة،العنصر الأساسي عند الأتراك ، و هي تمثل إحدى تمثلاته و تمظهراته للظاهرة الإسلامية و أبعادها السياسية ، حيث اللجوء إلى الأحداث التاريخية و الدول الإسلامية السابقة هو المرجعية السياسية التي يذكر بها كل مسلم ،ثن المرجعية الكلامية للعلماء. لذا و جب التذكير بالتاريخ فالخلافة نشأت كنظام حكم ديني بعد وفاة الرسول ، و هي خلافة على الأمور الدينية و الدنيوية ، دورها حماية الإسلام و الفصل بين أنصار الإسلام في الخصومات الاجتماعية و العقائدية و الاقتصادية و زيادة توسيع رقعة الإسلام و تجسيد دولة الإسلام .

المبحث الثاني النظم الإقتصادية في العهد العثماني :

المطلب الأول التملك والتمفصل الإجتماعي التقليدي

لقد مثل التنظيم العثماني في الجزائر ، هيئة غير موسعة ومتشتتة مثلت القبائل تمثيلها في الجنوب ، بينما كانت الخلافة في العاصمة قسنطينة وهران والتيطري حيث المدن الكبيرة وكثافة السكان والأراضي الخصبة البحر ،حيث العثمانيون إمبراطورية بحرية وجدت نافذة لها إتجاه إسطنبول المركز لقد ساهم في شساعة الأراضي العثمانية من المشرق إلى المغرب أدى إلى ضعف نشاط قبضة الحكم العثماني على البعض المناطق ،مع كثافة الروح الدينية وقوة الإرتباط بالقيم المرجعية للسكان معهم .لكن أن الواضح إلتزام ممثلي الخلافة في كل المناطق كان مرتبطا بقوة النظام ، بينما ضعفه في الأيام الأخيرة بعد ضعف الخلافة المركزية وصعود الحضارة التكنولوجية الأوروبية عجل في سقوط الخلافة منذ غزو نابليون لمصر وسقوط الأسطول الجزائري العثماني .

لكن الوضع الداخلي الذي يعلن صراع قوى بين القبائل إلى تعيين الباشا والآغا والخوجا ، كان متعدد الأوجه مما جعل البعض يرفض تسليم الضرائب وإعلان التمرد على خلافات العثمانية رغم قوة الجيش الإنكشاري الذي لم يحا ول التوغل في المناطق الداخلية لثقته في السكان إن التمثيل العثماني للجزائريين بدأ يضعف بعد مؤامرة التدخل الأوروبي على هذه البلاد ، فيما كان يعكس الوضع المحلي عدم تطابق إجتماعي ونشوء طبقات كان يخلقها عملية تقسيم الأرض وتعيين المراعي والسلم التجاري وقوة القوا فل التي كانت تتعرض للقطاع في كل مكان .رغم ذلك نشأت جماعات حرفية وجمعيات تعاونية ، تمركزت في القصور والتجمعات الكبرى . في حين بقي المواطن البسيط عالة على القبلية والعائلات الكبرى التي جعلت من بعض هؤلاء عمالا وخدما له في جميع المجالات الإقتصادية والفلاحية وا لتجارية والحربية ، وهذا من الفتح العثماني على المناطق الإسلامية .

يقول عبد العزيز الدوري (1) : فقد استولى العثمانيون على القطاعات المملوكة كلها ، فيما فيها تلك التي حولت إلى وقف أو ملك ، وضمت الأراضي السلطانية "الخراجية" التي تعمل بدفع – الخراج– المنصوص عليه في التراث الإقتصادي الإسلامي منذ عهد الخلافة الراشدية ولكنهم اتخذوا النظام الإقطاعي المملوكي أساسا في تنظيم الأراضي مع إبطال صفته العسكرية >>.

لذلك تقسيم الأراضي حسب سياسة إجتماعية محددة تم على إثرها توزيع إقطاعات على أشخاص لا يخدمونها بل هم مجرد أر باب عمل بالمفهوم الحديث مما سهل التفكك الإجتماعي وخلق الإضطراب وزعزعة ضوابط الإلتزام ونزع الثقة لذلك تم تسليم اخصب الأراضي على المقربين من السلطات والخليفة والباي والباشا ومشايخ القبائل الإسلامية عبر كل مناطق الإمبراطورية العثمانية ، وقد قام هؤلاء بتعيين ممثلين عنهم في تسيير وخدمة تلك الأراضي وبعدها توكيل جماعات من العمال يسهرون على خدمتها إذا كانت شاسعة أو عاملا واحدا إذا كانت قليلة المساحة وقريبة من السكن .

وذلك لم يكن نافيا لوجود ضرائب على استزراع هذه الاراضي كما يرى كذلك الدوري ، حيث ذلك يخضع لمعاهدة سابقة مع الإدارة وتوثيق تلك التعهدات وسجل أصحابها ، حيث لجأت السلطة أحيانا لتعيين عمالا من الجند يكونون تحت وصاية أمناء معنيين من طرف الإدارة العثمانية ولكن التطور اللاحق جعل السلطة تلجأ إلى المشايخ لأنهم أقرب تمثيلا للسكان وهم أكثر احتراما من الغير ، مما جعل العامل خماسا ، وأحيانا عامل يومي أجير بالمقايضة بدل عرقه لدى كبار العائلات والمشايخ .

إن تسليم الأرض لبعض ممثلي الخلافة ، جعل هؤلاء المكلفين ينتظرون الفرصة لنقص النظام وفرض قرارهم ، وأبدعوا نظام السخرة وانمحت الصفة العسكرية على ملك الأرض وتسييره ا هكذا تم توارث الأرض من المماليك والمتعهدين حيث كانت الضريبة رمزية تدفع للسلطان سميت المصالحة ، في بعض الأماكن ،رغم أن الخلافة العثمانية حاولت تجميد تلك العمليات لكنها فشلت ولم تحرر حتى تحديد الفترة الإستعمالية للأرض ، بل تطور النموذج إلى ملكيات وراثية بحق التصرف الكامل .

لقد مثل التنظيم العثماني للولاية الجزائرية مثلا مميزا يعكس توسع سياسي مبني على مرجعية إسلامية قوية يعكسها المساحة الشاسعة للأتراك للأرض العربية، و أساليب الحكم و التعامل و مبادئ القانون

---

[1] عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الإقتصادي في التاريخ الإقتصادي العربي (م د و ع) بيروت 2007 ص 94/93

الأساسي و تنظيماته. لذلك تم تقسيم الإدارة السياسية من بعد الخليفة الأكبر في الاستانة عاصمة الخلافة فقل توفير مناصب الباشا، و الأغا و الخوجا و غيرهم في التنظيم السياسي للحكم، و لكن إضافة إلى قوة جيش انكشاري مرتبط بنائب السلطان العثماني على أرض الجزائر بالإضافة إلى فرق محلية كانت تحت وصاية الولاية العثمانية مثل الجزائر مثل الجزائر و منها شكلوا حاميات عسكرية عاملة لحماية القانون و السلطة و الأهالي و بالتالي تكونت طبقات اجتماعية في المجتمع الإسلامي كله مثله بالجزائر، و تحكمت قلة قليلة في اقطاعات الفلاحة و المهن الحرة النبيلة، بينما بقي المواطن البسيط عالة على تقاليد القبيلة و العائلة الموسعة .

لهذا يعد الفتح العثماني : مساهمة متواصلة في الحضارة الاسلامية . "فقد استولى العثمانيون على الاقتطاعات المملوكة كلها، بما فيها تلك التي حولت إلى وقف أو ملك، و ضمت للأراضي السلطانية (الخراجية)، و لكنهم اتخذوا النظام الإقطا عي المملوكي أساسا في تنظيم الأراضي مع إبطال صفته العسكرية"(1) لذا قسموا الأراضي في مقاطعات على أشخاص مع الضريبة. وقد سلمت أهم الأراضي و أكثرها إلى رجال أقرباء للسلطة من موالي السلطان و موظفين لدى الداي أو الباشا، حيث يعين مساعد له في ذلك و يتم تشغيل عمال لذلك العمل و ذلك لا ينفي فرص ضريبة على استزراع الأرض بل كل ذلك موثق لدى الإدارة و تحت مراقبة.لقد كان العامل سابقا من الجند بتوجيه من أمين خاص بذلك و بعدها تم إسناد الأراضي للمشايخ و القبائل و أصبح العامل الفلاح خماس أو عامل يومي أو مجرد خادم لدى بعض عائلات الإقطاع و كبار القبائل.

و لكن الملاحظ أن الملتزمين بخدمة الأرض الذين لم يكونوا عملا حقيقة، فقد استقوى عودهم في الدولة و أصبحوا رجال قوة و قرار في الخلافة، و تم بسبب ذلك انتشار نظام السخرة بدون أن يتصف بالخلفية العسكرية، مما جعل البعض من المماليك و المتعه دين بالفلاحة أن يرثوا الأراضي لخلفاءهم و أبناءهم مع ضريبة رمزية كانت تدفع للسلطان و كان يسمى هذا الثمن – المصالحة– في بعض المناطق.و قد حاولت الحكومة العثمانية إيقاف هذه التصرفات فلم تفلح، و ضعفت ملكية الدولة كثيرا في نهاية القرن الثامن عش، و صار الالتزام يع طى لفترة محدودة كالسابق، بل طيلة حياة الملتزم، بل و يشمل حتى حق التصرف و التوريث (مالكانة)، و أصبح الالتزام قريبا من الملكية الخاصة في الواقع.(2)

---

[1])–عبد العزيز الدووري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، م.د.و.ع، بيروت، 2007، ص93.

[2])–عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص94.

المطلب الثاني المسالك الاقتصادية للدولة والعلاقات الإجتماعية

قامت الدولة الإسلامية على اقتصاد سلس وبسيط يحكمه بيت المال التابع للخلافة هكذا كان العامل يأخذ حقه من مؤجره وكان موظف الدولة يأخذ أعطيات من بيت المال أما في العصر العباسي الثاني أصبح الجند يأخذون إقطاعا من الأرض يقومون يزرعها وخدمتها والتصرف في إنتاجها هكذا اتسع هذا النظام الاقتصادي في الدولة الإسلامية حتى العهد العثماني لذلك تكونت ارستقراطيات عسكرية مالكة للأرض. لذلك كون جند الأمة طبقة مميزة حتى القرن الرابع هجري مما ساهم في توسع الدولة وتوسع الجماعات المستفيدة من تلك الخدمات من السلاجقة والفرس ،حتى أصبحت السلطة الحقيقية في أيديهم في عهد الدويلات ،مثل المملوكية والسلاجقة وأخيرا العثمانيين .وقد ساهم في تفكك الدولة منذ عهد المعتصم الذي استخدم جيشا محترفا من الفرس والديلم وخراسان ونخبة من الجواري أصبح لهم سلطة قرار وحكم. وقد كان ذلك بديلا عن عصبية داخلية لا تخدم إلا القبيلة وأبناء الرحم طبق السنن الإسلامية وذلك مما سهل انهيار الدولة وانحلال النسيج الاجتماعي كما يرى جاك لوقوق حيث يمثل "النسب بصفته "القطب المميز ل لعلوم التاريخية بصورة خاصة ،التمفصل بين التناسل البيولوجي وإعادة الإنتاج الاجتماعي كما بين جورج دبي **G.Duby**1 حول منطقة ماكوني"2.

في حين أن المقارنة هنا تبدو صعبة بينما يمكن تطبيقها حرفيا في المرحلة الأولى للدولة الأموية والعباسية ويختفى خصائص المقارنة بعد هذا العهد حيث نجد أن مناطق ماكوني والأنغدوك كونت طبقات سلالية من إعادة إنتاج اجتماعي حسب التوسع الإقطاعي للعائلات في أوروبا المل كية في القرن الخامس عشر"3. مما ساعد في تكوين عائلات موسعة أدت إلى قيام الأخويات والمؤاخات أو الجمعيات العائلية الحرفية الاقتصادية والتجارية الكبرى مما أدى التحكم في توسيع وتنظيم الدخل الاقتصادي وتنشيط علمي واستكشافي وجغرافي عالمي مهمد للثورة الصناعية .بينما الاتجاه السياسي ضد العائلة كبنية موحدة بصفتها تجمع تضامني محلي يضمن تراكم المال ولكنه يزاحم ويصادم السلطة والحكم على التسيير بما يؤكد أبحاثه مثل ج.دوبي وإمانويل لادوري حسب جاك لاكوف دائما في كتابه سابقا .

---

[1] عوني فرسخ: حول التاريخ والهوية في الوطن العربي،قسم3 ، عدد (51)1983/5

[2] جاك.لوقوق: التاريخ الجديد : م طاهر المنصوري (م د و ع)،بيروت 2007،ص268

[3] جاك.لوقوق: التاريخ الجديد،مرجع سابق،ص269.

إلا أن بعض المؤرخين الماركسيين يؤكدون دور العائلة الارستقراطية في تثبيت النظام الفيودالي في أوروبا وهذا واضح لأن الماركسية قامت على أنقاضه حيث "قام النظام الإقطاعي بترتيب (العائلة) وتنظيمها مع العلاقات الاجتماعية وانتقال السلطة طبق مواصفات جسدية وعرقية وخصائص وراثية وفيزيولوجية محدد ة..."(1). فطبق هذه الدراسات المؤطرة ضمن المدرسة الحديثة لعلوم لتاريخ والاجتماعيات الذي قادها مارك بلوخ (2)ولوسيان فيفر في فرنسا ما بين الحربين حيث أدمجت كافة العلوم الاجتماعية من اقتصاد إحصاء علم نفس علم اجتماع ضمن محور التاريخ للفعل والحدث والعلاقات. ومنها تم استنتاج أن ما وجد لدى فلاحي الأكستان في فرنسا الذين جعلوا الزواج والكفالة مركز لتقوية العصبيات فالبيت الذي ينتموا إليه هؤلاء الفلاحين هو الكافل الحقيقي لرابطتهم ونسبهم حسب ما يرى الباحث اندري بورغيار(3)

من ذلك يمكن أن نقرأ أن في المجتمع الإسلامي الوس طوى كانت له ظروف تاريخية وكان الدين عاملا موجها مرشدا لكافة أنواع الفعل السياسي والاقتصادي والأخلاقي مما جعل توسع السلطة وتوسع الملك الاقتصادي ينمو حسب مسطرة غير منتظمة ساهم في انكسارها الموقع الجغرافي والحروب مع الجوار والخلافات المذهبية في الدين التي خلقت خلافات في تسيير المجتمع.

يقول " كان المتتبع في صدر الإسلام أن يأخذ الجند أعطيات من بيت المال أما في العصر العباسي الثاني استبدل ذلك في إقطاعهم أرضا يزرعونها واتسع منح الاقطاعيات بضغط من الجند حتى نشأت ارستقراطية عسكرية مالكة للأرض وابتداءا من أوائل الق رن الهجري الرابع أصبح الجند "طبقة جديدة" من المكونات الأساسية للمجتمع وذات تأثير على مجريات الأمور في كل مجال".لقد قام المعتصم سابقا باستخدام الجيش المحترف والمكون من الفرس الديلم وخراسان – وأصبح لهم سلطة وقرار مع الجواري في القصر مما خلق انفصام الأمة عن قيادتها "(4) لقد ترك الإرث الطقوس الإسلامي جملة مبادئ عالمية للتكافل والتعاون وتحفظ الإسلام على الأرض وعدم العنصرية بين المسلمين مما جعل المماليك والفرس والأتراك يتقدمون في السلطة ،ويصبحوا أهل أملاك في الدولة الإسلامية الطويلة

---

[1]––جاك.لوقوق: التاريخ الجديد،مرجع سابق،ص254–255.

[2] Marc Bloch, le societe feodale la formation des liens de dependance, Paris, 1939/partie2/liv1.

[3]––اندري يورغيار في جاك لاكوف ،مرجع سابق

[4]عوني فرسخ: حول التاريخ والهوية في الوطن العربي،قسم3 في المستقبل العربي، عدد (51)1983/5.ر

والعريضة وهذا بلدان المشرق ،في بغداد،دمشق ،الكوفة، اليرموك ...أما في المغرب الإسلامي فقد ترك العرب السلطة لقبائل شمال إفريقيا.

لذا في حين نجد أن بعض مفكري (1) الماركسية الذين حولوها إلى تطبيق تاريخي حيث أكدوا ارتباط العائلات الارستقراطية بالنظام القيودالي الاقطاعي في أروبا الذي قام بترت يبها وتنظيمها مع العلاقات الاجتماعية وانتقال السلطة طبق المواصفات الجسدية والعرقية والخصائص الوراثية والفيزيولوجية)(2). وهذا ما وجد لدى فلاحي الأكستان في فرنسا الذين جعلوا الزواج والكفالة مركز لتقوية عصبياتهم فالبيت الذي ينتموا له هو الكافل الحقيقي لرابطته م ونسبهم حسب أندري بورغيار في مؤلف لاكوف (3) إن الترابطات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية و العرقية تبرر كل سلوك أخلاقي اتجاه الشخص الآخر أو اتجاه المادة والطبيعة طبق مدونة أفكار مقولبة .وقد بين حديثا جورج دبي **G.Duby**(4) بالنسبة إلى منطقة ماكوني في العصر ال وسيط المتقدم ، وإما نويل لادوري حول منطقة اللانغدوك في القرن الخامس عشر ..."(5).وذلك يرجع حسب الباحث إلى انهيار الدولة وانحلال النسيج الاجتماعي وبذلك فتكون استقراطيات قوية من سلالات محددة ونشوء عائلات موسعة بشكل المؤاخاة أو الأخويات **confrérie** والملاحظ أن الاتجاه السياسي للسلطة كان ضد العائلة والتجمع التضامني المحلي والاجتماعي الذي يضمن تراكم الثروة ويزاحم السلطة في القرار والحكم.

المطلب الثالث الاسلوب المعاشي الخراجي

استمد الواقع الاقتصادي الاسلامي أفكاره'في العهد العثماني ' من نصوص القرآن و السنة التي تضع حدودا للمعاملات و النشاطات العملية في الاقتصاد و التجارة و الفلاحة و الرعي ، لذا نشب خلاف بين التجار و الملاك وأصحاب رؤوس الأموال النقدية و العقارية و الفلاحية و الحيوانية الذين سيطروا بقوة نفوذهم المادي و المعنوي المتمثل في الجاه و السلطة على حركية المجتمع و نمطية الحياة الاقتصادية

---

[1]Marc Bloch, le societe feodale la formation des liens de dependance,Paris,1939/partie2/liv1.

[2]جاك لاقوف التاريخ الجديد،مرجع سابق،ص254-255.

[3]مرجع سابق،كل المقال

* اندري يورغيار في: التاريخ الجديد :جاك لاكوف،تر: م طاهر المنصوري (م د و ع)،بيروت 2007،ص268.

[4].ن م س

[5].ن م س

التي قدم لها الشرع الاسلامي إطارا تتحد فيه نوع و اخلاقيات النشاط الاقتصادي ، و بذلك جعلته تحت وطأة تنميط شكلي وظاهري ساهم في تجميد الحضارة الاسلامية ولكنه اتصف بمميزات خاصة.

لهذا نشب صراع حاد بين الفقهاء و شيوخ المذاهب الا سلامية ، وكذا رؤساء الطوائف العرقية و القبلية و الجماعات المحلية البدوية و الحضرية ، وكذلك السلطات القائمة المرتكزة على الجزية و الزكاة و الأوقاف و خزينة المسلمين التي أضاعتها الحروب و التطاحن اليومي داخليا وخارجيا في ظل إقطاعية ساهم فيها العبيد و الخدم بشكل خاص لتحصيل الريع الزراعي القديم . فالوضع كان ينذر بصراع ناشىء عن محاولة سيطرة البدو و الرحل الذين يملكون قطاعا ضخما من الماشية وأهل القرى و الحضر الذين لا يملكون رمق عيشهم و ظلم و استبداد الحكام و طغيان الطوائف المذهبية على الجماعات المحلية بدعوة التكافل و التعاون و التنظيم المشترك لمقاومة العدو الداخلي و الخارجي على البلاد و الاسلام . لهذا لعبت الزوايا في تنظيم الملكية الاقتصادية و توزيع الناتج دورا مهما ، كما لعبت أدوارا هامة في التعليم والمحافظة على القيم الاسلامية ، مما شكل نظاما إقطاعيا متميزا بالط بقية . يقول عبد المجيد مزيان في هذا الصدد :

" إن هذه الظاهرة في الغرب الاسلامي كانت في بداية أمرها ظاهرة سياسية بدت إلى الوجود في فترات إنعدام السلطة المركزية القوية ملبية رغبة الشعب في التجنيد و التسلح العقائدي من أجل مقاومة الغزوات الأجنبية وأنواع الحكم اللاشرعي . فإن هذا النوع من الطائفية الناشىء من تفكك المجتمع الاسلامي بعد العهد العباسي يوحي بالرجوع إلى العصبيات القديمة رغم مظهر العدالة و العمق السياسي التي تتضمنه بفضل النفوذ " كما يرى مزيان أيضا :

إن هذه الاقطاعية الطائفية ، كما يرى عبد المجيد مزيان ، ساهمت في تحويل الوضع إلى طبقة مجحفة على أكثر السكان ، لأن تلك الإقطاعية تمتلك سلطة روحية و هي الدين ، وبذلك عاشت تلك الاقطاعية على ظهر الأمة وكاهل الشعب من خلال الهدايا المقدمة و الزيارات و الجبايات و خدمات السكان المجانية لشيوخ ورؤساء الطوائف الذين يح تاطون لحركة الرفض المعارضة من الأفراد و الجماعات الذين يمكن "أن يألفوا تنظيمات سرية أو شبه سرية حيث تجد لها مبررات في فترات المقاومة السياسية"([1])

[1] عبد المجيد مزيان الفكر الاقتصادي عمد ابن خلدون ،م ة ك ،الجزائر 1981 ص 195

يقول عبد المجيد مزيان " أن الزاوية الاقطاعية تتبرأ ظاهريا من كل غرض استغلالي و تدعي الانتساب إلى الجماعة و تلج أ إلى التراضي أكثر ما تلجأ إلى العنف و كذلك موقف الفقهاء من هذه الطائفة الذي يتميز بالصمت و الانحياز لها و بالتالي نظام الإقطاعية و الذي يمكن أن يتلاشى بفضل"حركة دينية جديدة تكون شعبية في البداية و تتحول تدريجيا هي الاخرى إلى إقطاعية متسترة ثم سافرة في أخر تطورها "([1]).

ان رؤساء الطوائف و شيوخ المذاهب و زعماء الاقطاعيات و كبار شيوخ الزوايا كانوا ممثلين للسلطة المركزية الروحية لدى الجماعات المحلية حيث يكونون بدورهم أطرا أساسيا لهذا النظام السري أو القريب من السري حيث تتحول أملاك الاقطاعيات الفلاحية و الزراعية و الرعوية و العقارية و الهدايا إلى أملاك شخصية في أيدي المقدم المرابط يتسلط بها على جماعات أخرى و يعمل على انشاء جماعات سياسية جديدة تحت حكمه بفضل عمال و خدم و جواسيس يقدم لهم أجرتهم تحت غطاء الدين و الدعوة الاسلامية و بذلك تتحول الطائفية إلى استغلا ل اقطاعي ثم إلى حركة سياسية مستعملة الدين للدعاية و التوسع حيث يقول عبد المجيد مزيان "أن هناك أهمية الجانب السياسي لكل حركة دينية في المجتع الاسلامي و يمكن أن نقول أن السياسية كانت محور نشاط كل المذاهب الدينية التي برزت للوجود منذ فجر الاسلام([2])"ان الطوائف البدينية واصلت نشاطها حتى أواخر القرن 19 بسبب فشل الحكم المركزي و لجوء الجماهير إليها لأنها الممثل الشرعي للدين الأسلامي و الحامية للأرض و النسل و حيث تميل الجماعات المحلية إلى التجديد الروحي و السياسي مما يؤكد شعبية الحركات الدينية في المجتمع الاسلامي

كما يرى عبد المجيد مزيان أنه خلافا لحضارة الاقطاع الأوربي الذي كان يخفي العلاقات بين النبلاء و الفلاحين "فأن العقيدة الدينية تكون منبها سياسي عند الجماهير بقدر ما تكون محذرا يغطي طبيعة العلاقات عند الاقطاعيين ([3])" يعكس لنا نموذج المجتمع الاسلامي دور الز وايا و الطرقية و الرباطات و الحركات المرابطة في الجهاد و الدعوة الاسلامية و المحافظة على الثقافة و اللغة العربية و تجنيد الجماهير عسكريا في فترة ما بين القرن الحادي عشر حتى بداية القرن العشرين رغم المظهر

---

[1] –ن م س ،ص 195

([2] ن م س ،ن صفحة

[3] ن م س ن صفحة

الثقافي لهذه الطرق و الرباط و القلاع التي تحولت إلى شعبية نضالية و تنتهي بسياسة مبنية على عصبية الأسر المسيرة كما يقول عبد المجيد مزيان ابتداءا من القرن الخامس عشر و لكن الاستعمار عرف خطرها فقام باحتوائها فأصبحت مركز للخرافات و البدع و القابلية للاستعمار حيث تغطي تناقضا طبقيا خطيرا و منحرفا.

يقول عبد ا لمجيد مزيان :"نجد في اقطاعية الدولة لدى المسلمين عددا كبيرا من الطوائف و النشاطات المزيفة يمكن ان نسميها طفيليات لأنها تتعلق جميعا بالتقرب إلى رجال الدولة و الارتزاق منهم او تقول بواسطتهم على حساب الأمة " ([1])الشيى الذي يقدم صورة شاملة و عاكسة للاستلاب و الاغتراب بين الطبقة الحاكمة و الطبقات الشعبية التي يتهيأ لها سوى الارتزاق من الاقطاع الملكي او القصور و النشاطات الحرفية الصناعية او الابداع الثقافي و الفكري مثل الشعر الفلسفة الفقه و الكتابة و التدوين وفن الزخرفة و الذين لا يحصلون على أجور كاملة على أعمالهم سوى بعض المتملقين و المداحين للسلطة.

ان أهم أشكال العمل القديمة التي عرفها المجتمع الايلامي تحدث عنها ابن خلدون في "المعاش" و يصف لنا ان هناك معاش طبيعي و أخر لا طبيعي فالمعاش اللاطبيعي هو الملك أو الانتساب إلى وظائف الدولة أو الامارة و بالتالي الحصول على الامتيازات المالية و العقارية و حتى رقيق الأرض وهناك من يعيش في طبقة طفيلية مثل الشيوخ و أصحاب النفوذ السياسي لأنهم لا يقدمون أي خدمة .

يقول عبد المجيد مزيان :"ان مبدأ الشورى والمساواة والروح الدستورية التي جمعت المسلمين الأولين حول النبي لم تتجسد في قانون سياسي مكتوب ولا في مؤسسات ثابتة " ([2]) . فالوثيقة الأولى التي تشهد على دستور الأمة الاسلامية هي وثيقة حملها علي بن أبي طالب وقتل و هي في يده ، حيث كان يمثل علي بن أبي طالب وأبو بكر و عبد الله بن مسعود و أبو ذر الغفاري اليسار الاسلامي ([3]) كما يرى حسين مروة و غيره من الباحثين . إن العلاقات التي أوجدها الاسلام و دعا إليها من خلال النصوص القرآنية و السنة النبوية ومن خلال أعمال الصحابة سلوكاتهم و أخلاقهم هي التي ميزت الاسلام عن غيره من النصوص الدينية وبالتالي كونت علاقات متجذرة بين الأفراد و الجماعات و بالتالي

---

[1] – ع .مزيان .، ن م س ص172–173

[2] – م س ، ص 195

[3] –حسين مؤنس الحضارة الاسلامية

نتجت عنها روح سياسية جماعية و تكتلات إيديولوجية و مذهبية ووحدات إجتماعية مترابطة لأن العقيدة كما يقول عبد المجيد مزيان " تثير حماسا عاطفيا في الترابط بين المؤمنينبها ، وهذا ليس شأن الأديان وحدها و المعروف أن مثل هذا الحماس العاطفي يمتاز با لغموض ، إذ لم تأت أنظمة ومعاملات إجتماعية لإعطائه محتوى و حيوية متعلقة بالنشاط الاقتصادي و المجتمعي و السياسي " .

الفصل الثاني البناء الاجتماعي والمرجعيات الجغرافية و الثقافية

المبحث الاول تركيب المجتمع الريفي و المديني

المطلب الأول المجتمع وعلاقات الانتاج :

لقد خضع المجتمع الجزائري في عهد الأتراك و قبلها إلى فترة تبعثر في المناطق النائية البعيدة ، سوى مناطق المراكز البحرية و الحضرية الكبرى حيث كانت الحاميات العثمانية و أسطولها البحري ، و بالتالي خضعت الموارد الاقتصادية و خزينةالدولة إلى سياسة مقصودة من طرف مصالح الجبايات و الضرائب و جمع الزكاة . ان التجمعات القائمة على الخراج مثل المشرق – تضيف إلى رابطة القرابة و رموزها – حولت الانقسام و سلطة الشيخ و النخبة من رتب و مناصب إلى انقسام طبقي و بالتالي فإنه سلالة الشيخ أو خط نسبه ، ما هذا إلا بداية لطبقة من المستويين ، إلى الفائض الاجتماعي من النوع الخراجي . إن النوع القرابي و هذا النوع يقوم بالغزو في وقت ضعف الدولة المركزية حسب نظرية ابن خلدون – عن الحماديين و الترك و المغول .

و هذا ما يؤكد موقف ح . حسن النقيب : بأن النظام القرابي ليس منع زلا بل هو في ذوبان في الحضارة و هو في تفاعل مع المجتمعات الخراجية القريبة . إن الاختلافات التي ظهرت سطح العلاقات الاجتماعية و التي سيطرت عليها المسحة القبلية ، ساعدت على تشكيل مظاهر مناسبة للعمل و النشاط و الانجاز الاقتصادي فمناطق إقامة السلطة لها مظهر و المناطق الداخلية و الصحراء اتخذت شكلا آخر . فبينما كانت مصالح الجباية للأتراك تقوم بذلك ، كانت بعض الجهات يسودها نظام الجماعة – مثل جهة القبائل –و هي مؤسسة لتسيير الشؤون الداخلية كما كان

يعرض مونتاني بعض الوضعيات المركبة لهذه التكاملات الاجتماعية التقليدية ([1]) حسب ما وجد الديالمي ' والتي تبدأ سلطتها من الدوار **Hameau** إلى الفخضة **Sous fraction** إلى الفرقة **Canton** ثم القبيلة **Tribu** و هذا كان قد يسمح بتكوين اتحاد كونفدرالي <<الحلف >>مع القبائل الأخرى المجاورة في ظل علاقات خارجية ، إن تلك الظاهرة تحترم السن و ا لعدد ذكورا و إناثا وانحدار من سلالة شريفة و الملكية العائلية . فالسلطة كانت موحدة نحو رجل واحد ثم أصبحت في يد أقلية و القبيلة تمثل الجاه و المال و الرأسمال الثقافي و الانحدار السلالي .

---

[1] –عبد الصمد الديالمي في نحو علم اجتماع عربي 'مدوع '– م س ن ص 296

و قد سهل ذلك الوضع المعقد و تلك العلاقات المجمدة منذ قرون إلى اختراع – الظهير البربري (1)– من طرف ر .مونتاني و الذي وجد حماية له و دعما نظريا و منهجيا من طرف العلامة الفرنسي جاك بيرك **J.Berque** ، و بذلك يتم تحويل غير متجانس في حضارة قبل الاسلام للبربر إلى حضارة غربية حديثة . و بذلك أصبح التقابل بين عرب و بربر ليس انكشافا سو سيولوجيا و ثقافيا بل أرضية جديدة كإديولوجيا البحث الاستعماري (2) و بالتالي فرضت الاختلاف بين مجموعتين في دول المغرب العربي .

و قد كان تكريس هذا الفريق ليس مجرد عبث ، بل ربط الثقافة البربرية بالغرب و خلق بروليتاريا تخضع للرأسمال الغربي الصناعي و ضرب القيم ال دينية التقليدية و تفكيك البرجوازية الوطنية المناوئة للاستعمار . إن الاهتمام بالهجرة السكانية في القبائل ، و خاصة مدن الشمال و البروليتاريا ، جعل الاطروحة الكاشفة لخط الاستعمار باهتة و تضع صياغة مضمونها أن الهجرة كانت ترجع إلى ثبات الأمن و اللاخوف من جهة و تطور المواصلات الذي ساعد فئات جديدة على التحرك الجغرافي.

المطلب الثاني التجمع الريفي و القبلي للسكان

للوهلة الأولى نعرف أن الريف و البدو والدوار يتألف غالبية من أعضاء من عائلة واحدة و بالتالي يرتبطون بجد أعلى وحيد أو ثنائي'ومنها تكون التجمعات الصغيرة خارج المدن 'هي تألفات قبلية بالدرجة الأولى .بينما في المدن تختلف و تتعدد الروابط العائلية و الاثنية ومنها ببعرض المدينة لصفة الكوسوبوليتان . لقد ساد البناء الاجتماعي التهيكل القرابي عموما في الريف و بالتلي كان التكتل القبلي هو سيد الموقف 'وقدتعرض مفهوم القبيلة([3]) إلى عدد من التفسيرات في اللغة العربية و رغم ذلك حافظت على الاستعمال الحديث لها و إن كانت لها مرجعية لغوية حسب المناطق و حسب الطقوس القبلية هو الكفيل و العريف لدى الجوهري(4) . أما ابن منظور(5)، فيرى أن القبيلة هي مفرد قبائل و قبائل الرأس

---

[1] –L.Grych : Europeen et Marocain s 1930–1956

[2]– عبد الصمد لديالمي ، المرجع نفسه ، ص 296

[3] القبيلة : مجلة المستقبل العربي (261) 200/11 – ص 48

[4]– إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح : تاج اللغة – جزء 5 ص 1797 و صحاح العربية ط4 بيروت دار العلم الملايين 1978

[5]– ابن منظور : لسان العرب : دار إحياء التراث العربي – بليروت

هي أطباقه و هي أربع قطع شعوب بعضها إلى بعض، و يقال قبائل الفتح و الجفنة ، إذا كانت على قطعتين أو ثلاث قطع ، و قبيلة الرأس كل فلقة قوبلت بالأخرى ، حيث يتم ربط شؤون الشعر إلى بعضها ، و لذلك سميت شعوب العرب – قبائل عربية – و تعتبر الواحدة قبيلة إذا كانت من جد وا حد عبر سلسلة أجداد ، أما القبائل الرحل ، فمعناها أحناؤه الشعوب بعضها إلى بعض ، أما قبائل الشجرة فهي أغصانها ، و كل قطعة من الجلد قبيلة ، والقبيلة صخرة تكون على رأس بئر . كل جمع من و احد محدد يعتبر قبيل ، و لك صنف طير قبيلة (1).بمعنى يمثل جماعة تماثل متقابل في الجنس و النوع و الشكل .

يرى النويري(2) في تقسيمه أنساب العرب : أن هناك شبه طبقات العرب و هي الشعب و القبيلة و البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة و أحيانا العشيرة أو الرهط الذي يمثل جماعة صغرى عن القبيلة .فالشعب مثل (عدنان) والقبيلة : تقابل نسب العمارة – قريش – والبطن – عبدمناف – أما الفخذ – بني هاشم – أما الفخذ –بني هاشم – اما الفصيلة –بني العباس مما جعل قبائل العرب تتصارع وتتنازع فيما بينها حسب تلك التقسيمات ، وتتحالف حسب التقارب السلالي الذي يربط بين بعضها .هكذا وجد نا الجزائر التقليدية صنعت امة متناسقة داخليا رعم بعض الاختلافات التي فرضتها اللهجات و العادات الجهوية و الاتجاه المذهبي و النزعات القبلية والطرقية والصوفية التي ظهرت في الجزائر ‘لكن دولة الداى العثماني استطاع ان يجمع الدولة من خلال ضم بايلك قسنطينة الى بايلك المدية وبايلك وهران و جمع المالك ي والحنفي والاباضي في وحدة مذهبية متكاملة متقاربة رغم النزعات القبلية .

وذلك ما ينتج عنه تفاعلات تختمر في مصطلح تقليدي هو مفهوم العصبية حيث يرى بعض الباحثين أن مفهوم العصبية معقد رغم بساطته فهي شعور وهي حالة وهو قانون وهي علاقات من جهة أخرى ويرى آخر ون أنها مرتبط باتجاه بيولوجي سلالى وأخرون بمنحى اجتماعي والب ‘عص بمنحنى سياسي فكل الباحثين الذين درسوا الفكر الخلدوني وجدوا فيها ضالتهم الفكرية والترفية والتجارب الفلسفي المترابط الاتجاهات .. رغم الإسقاطات المتنوعة التي ألبست هذا الفكر وصنفته في توضيفات غرب ية معاصرة أو قومية مركزة أو محددة بزمان إنتاجها وظروفها . من ذلك فقد ظهرت الثورة كنتيجة تفاعل حي بمشاعر الاستعمار و المستعمر ‘ شارك في الثورات عدة جماعات ‘من قيادة الحركات ‘كما نجد

---

[1]– القبيلة اسم فرس مقصودها التفاؤل و كل جيل من الناس 1992

[2]– النويري . نهاية الأرب في فنون الأدب ط1982

اهل الحشم و بتي هاشم وقبيلتة و الشرفاء مع االامير ‘نجد العمور و الرزيقات و الطرافي و الزيا د و اولاد جرير و ذوي منيع و الشعانبة مع بوعمامة .كما نجد أن الظروف المحلية ساهمت سلبا او ايجابا في الحراك الثورية .لذا خلق صراع الحلاف ضد اولاد سرغين اظطرابات في المنطقة الاغواط خاصة ‘ اتجاه الامير اولا ثم اولادسيد الشيخ و بوعمامة .حيث كان في المنطقة فئات أخرى مثل اولاد بوزيان و دواودة .في قصور بدلة و ابن فتوح و بومنل ."

و يبدو ان هجوم السلطان المغربي سنة م 1666قد هجر سكان من منطقة الأغواط.كما سبب دخول باي التيطري 1727خلافات أخرى ‘ثم دخول باي وهران 1787م خلق وضعا أخرا .حتى دخول فرنسا الذي وجد الوضع سهلا للاختراق " ([1]) . لذا وجد الاميرالاندماج صعباجدا و حاربته الزاوية التيجانية ‘و استطاع ان يدخل ولكن لم يصمد له ذلك حيث عينت فرنسا ب ن سالم واليا على الاغواط . ولكن بقي الصراع ثم عودة فرنسا 1847ثم تركوها حرة الى وقت لاحق .

وكانت حملة بيليسي 1852جعلتها تحت الاحتلال الرسمي بعدما انهزم اتباع بن عبد الله صاحب ورقلة فيها .وكان اكافة الاوضاع اثرا على الجوار فالشعانبة الذين ك انوا ينقسموا الى مومن وبوروبة و التوامر و اولاد حنش و بني مرزوق و اولاد عبد القادر ‘برازقة فقد شاركوا في كافة الثورلت بالمنطقة غربا شمالا .وقد ساهمت بقوة مع بوعمامة عدة وعتادا ولكن سياسة فرنسا اخترعت معركة تيت في الهقاربين المهاريين و بعض الطوارق .7/1902ماي ([2]) وبعد دخول الهغقار انتهت حركة المهارية التي تأسست طبق صعوبة المنطقة الرمالية نحو بلاد الطوارق.

يرى مورقان **MORGAN** (ان نظام القرابة ينظم المجتمع المعاملة اما النظام السياسي فهو ينظم الدولة) ينظ(م بتبعية ماركس حيث القرابة (القرابة روابط الدم لشحصية – الدولة –مجتمع طبقات .بينما يرى هيغل ان الدولة مناقضة العائلة حيث الاولى لها مستوى سياسي بينما الثانية مستوى تقليدي .كما نجد بالوندي **JEORGE BALANDIER** يقول ([3])""هكذاان دراسة التنظيم النسابي و انعكاساته في المكان يظهر وجود علاقات سياسية تقوم على استعمال مب داالنسب خارج اطار القرابة وتقدم القرابة

---

[1] –اسماعيل العربي ‘،الصحراء الكبرى وشواطئها م س ص 222

[2] –م س ص 168

[3] ––جورج بالوندي .الانتروبولوجيا السياسية, ترجمة /ط/1986–ص71وبعدها ص 72/73/74/

PARENTEكذالك نموذجا للسياسي اما دوركايم يرى انه يجب دراسة السياسي و القرابة مع بعضيهما اي بدون انفصال في حين نجد ماير فو رتس ان النسب علاقات اجتماعية فالقرابة ليس لها مدلولات سياسية , الانتساب يخلق جماعات متا لفة قوية ,ومنها تحدث المواطنة و الرابط الوطني و الجماعي فتخلق دلالة سياسية تناقض القرابة من خلال تحالفات و مظاهرات و تعاملات)اكثر توسعا و نشاطا وتناظرا لتحلق التوازن والتبادل و التعايش التكاملي فوق القبلية و القرابية .

و يرى بالوندي اذا نظرنا اليها عل ى اساس وظيفي فانها تظهر متحدة و تملك رموزا مشتركة بين جميع عناصرها فتفرض ممارسات حاصة ولكن تبقى ضمن التمايز– بمدلول السياسي يظهر حلال علاقات متبادلة ,فالموجه ليس وظيفة ويظهر عندحاله علافات خارجية و التحكيم و المفاوضات مع جماعات اخرى اي ما يمكن تسميته السوق السياسي .لذا كان السحر يلعب دورا في المجتمع الافريقي (تيق)كماوجد ريموند فيرث **FIRTH** 20جدونجد 4 عشائر للقيادة في تيكوبيا .اما طريق الاصلاح ذات البين و نماذج المواجهة و النزاع و انساق التحالف و تنظيم الارض فهي علاقة متبادلة .

من هنا نجد في نيجيريا بنية هرمية للسلطة القبلية النسبية –مع ملاحظة التناظر و التوحد (تاي) تحكم في اطار اقليمي سياسي اولا اما جماعة (نانقو) في بلاد (تيق) اما الزعامة فتحدد (معاييرالتعامل داخلا و خارجا وهذا ما يوضح التجزء في المجتمع التقليدي ,ونجد غلوكمان يرى التنوع في اشكال سياسية المرتكزة على القرابة و النسب المساندة المؤلفة من الاخلاق وترتيبات متغيرة تحصل بين الاجزاء التي تعيد ترتيب الاخلاق بسهولة كبيرة ويعبر بالوندي ([1])

المطلب الثالث التجمع الحضري و تطور المدينة

يرى بعض الباحثين أن الريف و البادية هما أساس بداية الحياة التجمعات البشرية عبر التاريخ بينما يمثل الحضر شكلا أخر متقدما للحياة و هو منفصل عنهما و إن كلا من هذه الجماعات مكتف بذاته منعزلا و معزولا عن الأخر في النموذج الأسيوي و القبلي فإن تصورنا لها سيختلف تماما باستعمال

---

[1]– ن م س –ص80/75

النموذج الدينامكي للمجتمع العربي إن الحركة تخضع إلى هجرات من البادية إلى الريف و المدن و العكس حيث هذه الهجرات لم تنقطع رغم اخسارها و ذلك منذ الفتوح الإسلامية .

ففي القرن 16 و 17 كانت هناك هجرات في سوريا و العراق [2] عن اسقاط فانوس الدويهي : تاريخ الأزمنة 1951 بيروت .و بذلك مثل الريف مركز السلطة السياسية و العسكرية في المجتمع العربي و الإسلامي بينما كانت المدينة مركز التجارة و الحرف حيث تحالف حماة الشريعة من أهل السنة و الدين في الحضر مع شخصيات العسكر و السياسية في البادية ليكون عصبية عامة حيث يساهم الدين في الشريعة تماثل العرض و الطلب الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي في التجمع الإنساني .

و لكن استقرار الحكم يميل من البادية إلى المدينة حيث الاستبداد و تحدث الغزو من البادية مرة أخرى ، حيث الجهاز البيراقراطي و العسكري لا يمكنه السيطرة على الريف و الجمال و الصحراء البعيدة .و بالتللي قوة روابط منفصلة بين القبائل و بالتالي تساهم هذه القوة في إضعاف الدولة المركزية ، وهنا يعترف إنجلز بنموذج إبن خلدون بطريقة أخرى في 1894 في مقال له ([3]) .و لكن يرى البعض الأخر بعد تطور البحوث التاريخية و الاجتماعية أن هنالك تنظيم مفصلى – خضعت له بعض التجمعات القروية و الريفية . حيث أن هذا التنظيم غلبت عليه النشاطات طبق تقسيم قديم للعمل يقوم على إختصاص المدينة بالحرف و التجارة أما البادية و الريف فهو موقع هيمنة سياسية و عسكرية .

إن ذلك جعل هنالك فرق في توزع السلطة حيث الحرفين و التجارلهم موقع و الفلاحين لهم موقع أخر و يختلفون عن الرعاة و المزارعين القبليين حيث يرى جليز ، أن تحول المجتمع نحو مجتمع المدينة تم إبان الألف الثالث 3000 ق م و ربما قبل أواخر 4000 ق.م فالحضارة لا تتأسس إلا بعد تأسيس المدن . فبعد تحول القرية كوحدة سكنية إلى مدينة مؤلفة من تجمع معقد من البشر و انتشار المدن كمركز إستراتجية للثقافة و العلم و التجارة و يتحدث العلماء على أن توصل الإنسان إلى استخدام

---

[1]– خلدون حسن النقيب.

[2] –tertus chandler and gerald fox 3000 yeras uraban growth new york –– 1944 p196.197 et 220/ 367 .

[3]– خلدون حسن النقيب:نحو علم اجتماع عربي (مجموعة علماء) ص:231.232

النحاس الخالص .وكان النحاس بدلا من الصوان،ورغم ذلك توجد اليوم مجتمعات تعيش العهد الحجري .([1])

يرى المؤرخون أن تحول المجتمع في القرية إلى مدينة،تعرض إلى صعوبات خطيرة ومتتابعة،كانت مؤثرة على الحركات تأثير عميق في التطور الايجابي والتغير السلبي .وقد تكلم فيها المقريزي المؤرخ الإسلامي في كتابه:إغاثة الأمة بكشف الغمة ([2]). إن انتظام عملية التحضر لم تكن هناك فروقات بين المدينة والقرية من حيث ا لمرافق والخدمات والتنظيم إلا في الحجم والوظيفة (3). حيث انحسرت علاقة الريف بالمدينة بعد ذلك حيث جاء الفشل الحضاري،وبالتالي خلفها الاستعمار،وبالتالي الانقسام الذي كان سبب فشل التنمية. إن التجمع البشري الصغير كان شكلا لكل انسجام وكل وحدة نظرا تقارب البيولوجي والتكون الروحي .والمطلب الاقتصادي وبذلك فرض تنظيما مفصليا كما يرى البعض حيث نجد أن هذا التنظيم يتميز:

1-الأصل القبلي والاثني .

2 - الانتساب الى الدين والمذهب.

3-الانتساب إلى مهنة أو حرفة.

4-الانتساب إلى الحي أو الإقليم.

لقد كانت القبيلة تنظيم في وحدات قبائل وعشائر-عائلات-حرف-طوائف-ملل-مهن-حيث يوجد مدونة عرض وطلب لكافة الحقوق والواجبات، التي ينشط من خلالها التجمع الصغير المنسجم مع انتساب رمزي موحد .أصلا خاضع للاختلاف لاحقا يجعل التابو الثقافي رادعا للسلوك المضاد والطوطم مكسب جماعي .لقد كان انظم تجمعات مجاورة و هجرات متقاربة في الزمان و المكان ، سبب تجمع بشري كبير متوسع و بالتالي تكوين مدنا زاخرة بدل قرى متباعدة ، و ثم توحيد و انظمام عدة قرى إلى مدينة واحدة بفضل انضمام قبائل أخرى إلى قبيلة المركز الجغرافي و الروحي الهام .

- [1]- نفس الكاتب نفس المرجع.- ص225

[2]- المقريزي:إغاثة الأمة بكشف الغمة.بيروت-م ناصر-1980

[3]- عبد العزيز الدوري:مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي-بيروت دار الطليعة1969ص 94-

لقد ظهرت سلطة القبيلة بعد عودة قوة المدن المنتثرة التي حطمتها الحروب أو الهجرة ‘، ويحكمها أكثر من قبيلة في بعض الأحيان .وكانت تسمى القبيلة **pliyle** و الاحي **deme** حيث كان الاغريق يميلون إلى دولة المدينة بتجمع القرى و الضواحي في تجمع سياسي واحد حيث تمثل دولة المدينة **polis** و كونوا مدينة كورنثة . و ظهرت مدينة إسبرطة و ضمت حولها مدن : أرجوس و منطقة – أتيكا – ممثلة في آثينا وتضم قرى وأراضي زراعية والريف،بينما بنى بعضهم أسوارا على عدة قرى مجاورة ليشكلوا مدينة واحدة وأحيانا دولة موسعة واحدة في مدينة واحدة.

لقد لعب الدين دورا هاما في تجميع التصورات حول الكون والإنسان والحياة والأخلاق .وبذلك تم تكوين التجمعات الدينية قديما.فقد كان لدى اليونان–الاتحاد الديني الذي تكون في مدينة–دلفي–أما لدى الرومان فقد كون اللاتينيين اتحادا آخرا في المدن المجاورة لسهل – لاتيوم–خلال الدولة الاتروسيكية .حيث يتم اللجوء إلى معبد الإله– أبو لون–حيث توجد كاهنة– دورها استشارة–وفي دلفي . وذلك قبل أي مشروع سياسي([1]). فالاستشارة لدى الكاهنة مبدأ أساسي وشرعي ومنظم تشريع وقوانين الفكر اليوناني.([2]) لوكري أول مدينة وضعت تشريعا إنسانيا ينظم السلطة والقرار والمعاملات .**LOCRI**مثل ... لقد كانت سلطة المدن ملكية وتغلب عليها الأرستقراط فيما بعد وكونوا إليجاركية أو أقلية حاكمة،حيث كانت حضارة اليونان في بدايتها مجموعة قوى،متحدة في شكل قبائل ونظم قبلية يحكمها ملوك بالوراثة بمساعدة مجلس الشورى والنبلاء وأعيان القوم ([3]) وبذلك أصبحت المدن دولا– والقرى مدنا حيث أصبحت كريت وموكيناي(دولا–مدينة)قوية بعد سقوطها وتحطمها بينما سيطرت على مدن البيلوبونيز'([4]).

أما لدى الرومان فقد تكونت المدن من تجمع سكاني شاطئ التيبر من طرف اللاتين .وأقاموا قرية على سفح البلاتين ،بينما تجمع السابيون على سفو ح التلول،أما خلال القرن 7ق.م فقد كونوا مدينة– روما–ذات التلال السبعة،وكان يحكمها ملوك ‘ – حتى تم إعلان الجمهورية ‘ التي تعني–الشيء العام–[5]. لقد حكم روما الأتروسيكبين خلال 6 ق.م اتصلوا مع قرطاجة وسردينيا،بدأ توسع اليونان في القرن الثامن والسادس ق.م خوفا من إضطربات داخلية والفقر والتذمر الشعبي . إلا أن الملاحظ هو

---

[1] سيد أحمد الناصري–124

[2] سيد أحمد الناصري–125

[3] سيد أحمد الناصري–118

[4] سيد أحمد الناصري–119

– [5] ن م س– 120

إزدهار روما وحدها أكثر من أي مدينة ، بفضل الوحدة السياسة التي حققتها في التاريخ القديم بينما لم تستطع أتينا –وبلاد اليونان ذلك للفوضى والحروب والصراع الذي كان يسود هناك حتى النهاية حيث تم غزو مصر دخول الإسكندرية .أما روما فقد حققت اجماعا وهو عهد ميثاق سياسي وإجتماعي وروحي تم الإمتثال له التوافق عليه من كافة الأطراف كما إعترف بذلك المؤرخ بوليبيوس (2ق.م) لقد تم توسع روما مع مدن أخرى وبالتالي خلق عهد حضاري جديد عالميا حيث توج تاريخ العالم بمرحلة جديد ة حيث يرى توينبي أن اليونان والرومان حضارة واحدة لكن حقيقة التفارق تمثلت جوهريا في دولة بيزنطة بعد ذلك.

إذا كان التطور البشري لم يظهر حقيقة إلا بعد تطور تكيف الإنسان مع المحيط الطبيعي وقدرته على إبداع وسائل راحته وعيشه فإن ذلك أكيد من خلال معرفة الإنسان لإستعمال الحجر والبرونز والحديد وبالتالي إكتشاف النار والسلاح لقد كان العهد البرونزي في مصر , العهد الحديدي في اليونان فقد رأى تشاليد : أن المدينة توسعت بعد نجاح المجتمع في إرغام المزارعين والفلاحين إنتاج كميات فائضة عن الحاجة الإستهلاكية وما تتطلبه الحياة اليومية في هذا المكان أو العصر ..مما خلق فئات مختلفة من المهارة والمتخصصين في الفنون والعمران والإدارات ، وبدأ تصنيف الافراد مهنيا في المجتمع وتم إختراع النقود الرمزية بعد التجارة والكتابة والوثائق وبالتالي المحافظة على التراث السابق للجماعات البشري ة وجغرافيتها وثقافاتها مما خلق تاريخا سياسيا لكل منطقة .

هكذا أظهر الإختلاف والتشابه بين كل منطقة وأخرى والعلاقات التي تربطهم ببعضهم عرقيا وإجتماعيا وثقافيا مما يقدم لنا أمثلة ساطعة حول ذلك مدينة كريت التي كانت مملكة مستقلة استعمرها اليونان بعد 1000ق.م وكانت لها علاقة بمصر وسواحل بريطانيا والنرويج في عهد الحضارة المينوية – وقد كانت عاصمتها –كنوسوس –(2000إلى1300ق.م) والملك مينوس –وكانت مصر عهد البرونز في 3000ق.م قد تطورت أكثر .كان هناك بارزا غياب البناء المعماري في حضارة مصر عهد العصر الحجري الجديد مثل وضع بلاد الرافدين أي 4000ق.م[1] .. وقد كان سكان الدلتا غير السكان مصر العليا من ناحية العصر العرقي حيث الدلتا سكان الشرق أما مصر العليا في الجنوب رغم إختلاط مع العرق الأليباني ولكن تحت حكم واحد وحضارة واحدة ولغة موحدة مقاربة عهد كتابات السومريين ووصغت أنها لغة حامية مع تركيات من الدلتا تعتبر سامية ([2]) لذا يرى هيرودوت أن مصر هبة النيل وهي أقدم

---

[1] الناصري ص 74

[2] الناصري ص 72

وأكبر أرض ودولة توحدت عن حكم واحد ويرى * أن أول موحد لمصر هو –مينا – نامر 3200ق.م أن الصور التي تكشف عن السنان حليق الرأس وبسترة نعلى أسفل جسمه وتكشف التطور ا لأخلاقي والديني للإنسان البشري على مر العصور ([1]).

المبحث الثاني الفئات السكانية و التجذر الجغرافي و الثقافي

المطلب الأول مراكز التجمعات الأساسية في الجزائر

إن الاستعمار كحدث متعدد الأوجه والممارسات والأبعاد كان فعلا هادفا إلى ملئ فضا ء أرضي وجغرافي بقوى وعناصر خارجية وتوفير ثقافة جديدة ،وإفراغ هذا الفضاء من عناصر أخرى وأملاك مثل المنتوجات الفلاحية والمعدنية .ولكن الوجه المقابل الذي تكتشفه الحركة الاستعمارية هو رقص معنوي ومادي متأسسا على قوى مرجعية وكذلك معنوية ومادية ،التي سوف ستختل بم جرد فراغ أو انعزال طرف من هذه الأطراف البنيوية . من ذلك السكان والتي تعبر عن مجموع الانسان المفكر وأساس التاريخ والحضارة ،وهذا النسان الذي ينتمي الى عائلة ثم جماعة ثم قبيلة ثم فئات مهنية ،وفئات لاهوتية معينه ،ولذلك قسم بعض الدارسين الفرنسيين الذين نزلوا ب الجزائر للجوسسة ووضع المخططات الإستعمارية : إلى بعض الفئات هي أربع :

مقدمتها 1- الأتراك وهي طبقة حاكمة ومقررة

2- طبقة الكراغلة :فئة وسطى بين الأهالي والأتراك لأنهم من أب تركي وأم جزائري ،وعملوا في التجارة والفن حالتهم متوسطة .

3- فئة القبائل أو السكان الأصليين الذين يمتلكون أكبر نسبة ويشغلوا بالزراعة وهم ضحية الحكم التركي .

4- فئة اليهود : فئة دينية وسلالية قليلة تعمل في التجارة خاصة

إن التوصيف الذي يقدمه سانت أندري متوقع جدا ،فهو يرى بأن السكان الأهالي أو الأص ليين ،ولا يمكنهم قبول الاحتلال الفرنسي من جهة ،وهم يكرهون النصارى والمسيحيين .لأنه يتصفون بالتعصب الديني ولهم ثقافة ضعيفة جدا بمرتبة الجهل الأعمى ،ورغم ذلك يوجد قبائل في الجبال وهي

[1] الناصري ص 73

مستقلة تحكمها الأعراف والتقاليد والمشيخة وليس الأتراك ،بالإضافة إلى أن المناطق الجنوبية كانت بنفس الوضع وكانت غير تابعة للأيالة العثمانية .وهذه المواقف تبقى متذبذبة حسب نمط العلاقات والضغط الذي مارسته السلطة العثمانية على هؤلاء السكان .يقول بنور فريد)([1])

((مع مرور الوقت ،إن سكان المناطق الداخلية سوف يتأكدون من حسب نوايا ا لفرنسيين ،فحسب رأي بوتان **Boutin** ،هو أن الجيش بعد سيطرته على النقاط الحساسة يجب أنما مثلا وقدوة للعدالة ،وبعد ذلك ،أي عند الزحف جنوبه فإنه لا يصادف الكثير من العراقيل ،لأن السكان على علم بأن الفرنسيين عادلين)).([2]) هكذا يبدو تراتبية ومرحلية الاستعمار في م سرحية تدرجية عبر الفضاء الجغرافي وعبر القوى الروحية للتجمعات السكان والعناصر النافذة .

أما من خلال التكتلات الجماعية حيث ، تتوزع المقاومات في الجزائر على فضاء جغرافي و اسع تنتمي اليه مجموعات سكانية متعددة . ومن ذلك تظهر المقاومات قي مناطق التجمعات التار يخية الكبرى و التاريخية ‘و حيث تتقوى ثوابت الرأسمال الرمزي و الثقافي الذي أسس للمراحل التنظيمية للدولة وتكامل المجتمع . لذا كانت جماعة القبائل الكبرى و سكان قسنطينة ‘ رغم قيادةأحمد ‘باي الكولوغلي ‘ من جهة و و الجماعات الطرقية في معسكر و الجنوب الغربي من خلال الشيخ بوعمامة و قبيلته من قبل .فكانت عشائر الامازيغية و الصنهاجية و الشاوية و الحمادية و الزناتية و بني عباس في الصفوف الاولى .

فجماعة كتامة جعلها البعض إصطلاحا إلى معنى كتم العربية وبعض آخر مثل ابن خلدون يرجعها إلى نسب إيطالي ، بينما يرى موسى لقبال (3)أنها ترجع إلى مصطلح كان مكتوبا في النقوش القديمة بين جيجل وميلة ، وجدت قبل الفتح الاسلامي مما يعني أنها قبائل أمازيغية تواجدت هناك .من بطونها ما وطن ، مصالة ، معاذ ، وينطاسن ، إيان و صرنهاجة .وقد تفرغ عن هؤلاء : قبائل مصغرة تكونت عبر التاريخ من الإبني ن غرسن ويسوده ، وقد سيطرت على مناطق واسعة من الشرق الجزائري حتى المغرب الأقصى في سبتة وطنجة .ومنهم قبيلة جعلت –الصبي– كادوين معارك الماوطي الها يصلون قبلته ، وسموه المهدي وكتبوا بعض التعاليم إعتبرت أنها نزلن عليه بالوحي .وقد شاركت من بطونهم

---

[1] فريد بنور ، ((مرجع سابق)) ،ص444

[2] نفس المرجع السابق :ص444 :مشروع بوتان .

[3] بوزياني الدرلجي نفس المرجع – ص 139

لهيصة– في الدعوة الفاطمية ونالوا بعض المناصب السياسية بينما لم يبق منهم أثر يمكن الاستنتاج عنه وكان هؤلاء يقطنون مساكن الطين والحجر إلا قلتهم كانوا بدوا ، وقد شارك بطون كتامة مع صنهاجة في تأسيس الدولة الفاطمية . أما بطن (بنو ثابت) الذين سكنوا بيوت الجبال ، فقد شاركوا في الدولة (1) الحفصية وحصلوا على مناصب من الجباية حتى قياد الجيش وحاشية الملك.

إن المساهمات التاريخية للإنسان انطلقت من الفعل الفردي ثم العائلي وبالتالي كانت العائلة لا تزال الرافد الحقيقي للرواسب التاريخية هكذا كان انقسام العائلات الكبيرة أو تجمعها في وحدا ت كبرى تسمى القبيلة أو العشيرة أ, العرش كان يمثل دليل حاجة ماسة بين أفراد الإنسان للتملك والتكافل والتعاون لردع الخطر البشري الآخر أو الخطر الطبيعي وهذا ما ساهم تكون عصبيات داخل القبائل نفسها وتكوين إتحادات جماعية حتى مع القرباء الذين يستأنسون بها ويعملون إلى صالحها ويأتلفون معها .مما جعلهم في رابطة واحدة ، هكذا ساهمت هذه الجماعات في تسيير الدولة وخلفت تراثا موحدا إقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وروحيا ورمزيا لحفظ التواصل وربط التناسل بين الأجيال ومنها تكون الرابط الوطني .

وتعتبر قبائل صنهاجة من كبرى القبائل الأ مازيغية التي تنقلت عبر مسافات طويلة ، وشاركت في الدويلات التي نشأت في المغرب الإسلامي ، وهم يمثلون ثلث الأمازيغ حسب بعض المصادر (2) (حيث يقول ابن خلدون << هذا القبيل من أوفر قبائل البربر ، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد ، وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخل و من بطن من بطونهم ، في جيل أو بسيط >>(3) المقصود بسيط : السهول >>

و يرى البعض أن بطونهم ترد إلى سبعين بطنا منهم لمتونة ، مسوقة ، بنو وارث ومن أفخاذهم ملوانة فشتالة ، مزوارت ، حزولة ، لمطة ، هكسورة و هذا لا ينفي أن البعض قد اندمج تلك البطون والأفخاذ بالنسب إلى الأم والمعايشة . ثم ثلاث طبقات : (1) –1–أولهم تلكاتة التي قبضت بالح لكم في المغرب الأوسط خلافة الفاطميين وحاربوا الزناتية إلى الملك في المشيخة ، القادة ، الأمراء ، الولاية.

2– طبقة لمتونة مسوفة : يعتبروا من أهل الوبر سكنوا الصحراء ووصلوا إلى السو دان وكونوا المرابطية و حكموا الأندلس

---

[1] –الدراجي ب –نفس المرجع – ص 142

[2] –بوزياني دراجي –القبائل الامازيغية .ج 2 ص55

[3] نفس المرجع ص 55

3- طبقة قبائل متفرقة تتكون منهم فشتالة وأنوغة وبجاية وبطوية وبني زروال وزناكة و بن مزغنة وهم لم يصلوا إلى الملك .

إن التاريخ الذي حفظ التراث الأمازيغي ، أكد تكلف رجال الأمازيغ بفضل الدين و قبول الامتزاج بالروح الإسلامية جعلهم يندمجون بسهولة في الدويلات الإسلامية في المغرب الإسلامي مما جعلهم خلفاء وأمراء الدويلات هذه عبر التاريخ ، كما كان لهم الدور القوي في إنشاء أغلب الدويلات ، كما كانوا زعماءها و قيادها السابقين للحكم و هو واقع الإدارة فيها مع تكامل روحي وعرقي لتلك ا لإمارات المتلاحقة في المنطقة هذه ولأن المسلمين لم يهتموا بالحكم أكثر من الدعوة الإسلامية.

المطلب الثاني تجذر السكان في المغرب العربي

بعد هروب بعض العائلات العربية من السلطة الأموية ثم العباسية , استطاع البعض منهم الوصول إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب الاسلامي وهي بلاد الامازيغ الذين دخلوا اللإسلام وفتحوا الاندلس فيما بعد مع الفاتحين العرب . لقد كان بطش الأمويين ضد-أهل البيت – قويا منذ مقتل عثمان بن عفان (رضي الله عنه) الخليفة الثالث . و بقيت حالة الحقد و الضغينة متواصلة حتى توسع سلطة الأمويين و قوتها الحضارية من دمشق حتى مكة وبلاد الحجاز ورغم الصراع الأموي العباسي فيما بعد إلا أن الصراع الداخلي ‘الوضع الذي بقي على حاله ,حتى بين اهل الهاشمية و القرشيين –حيث نلاحظ العباسيين –أبناء عمومة الرسول- يحاربون أحفاد علي – رضي الله عنه –الإمام الرابع- لأنهم أقرب إلى الرسول –صلى الله عليه و سلم- و أسوار الإسلام مما يشكل خطرا غلى سلطة العباسيين الصاعدة . لذا وقعت معارك قاتلة بينهم و قد شهد لها التاريخ الإسلامي ,لذا حاربوا الحسين بن علي بن الحسين الذي توجه إلى مكة في حين وجد أمامه الجيش العباسي لمنعه من ذلك ومقاتل ته وذلك في معركة الفخ .بينما نجد إن حفيد أخر للخليفة علي رضي الله عنه وهو إدريس و الذي كان من المتضررين من العباسيين فلم يجد من حل إلى أن يفر إلى المغرب عبر مصر.

لهذا فقد كان قدر إدريس بن عبد الله الكامل مع أخيه من الرضاعة رشاد بن مرشد إن يجهزوا رحلتهم فوصلا الى بلاد تلمسان في الغرب الجزائري بينما واصل إدريس طريقه نحو بلاد الريف و طنجة في بلاد المغرب الأقصى .ثم اتجه نحو الجنوب المغربي في بلاد بربرية كانت تسمى – اوليلى-

volubilis –romaineحيث كانت تقيم قبائل – اورابية – **; aurabah**– او أوربة الأمازغية كما يفضل البعض تسميتها مثل الدراجي([1]) وهي اليوم في جبل زرهون .

لذالك وجد إدريس الأول مقاما كريما ومأمنا مضمونا من طرف قبائل الامازيغ –فأكرموه بزواج ابنه زعيم قبيلة أوربة,و أصبح أمير المؤمنين في المنطقة مع الإشارة إن ذلك جرى في السنوات 786م/169هـ وهناك مراجع([2]) لا تشكك في ذلك .وذلك يرجع إن هذه القبيلة قبلت السلام دينا منذ حملات موسى بن نصير سنة 720م/101هـ ,وساهمت في حماية أبناء الإسلام و مقاربتهم .رغم انه كان في جهات صعوبة في قبول الإسلام من طرف بعض القبائل نضرا لأخطاء و استبدادية بعض الحكام .لذا شارك بعض المناطق ضد ذالك وأعلنت رفضها و خروجها و أنظمت إلى النزعات الخارجية أي فرقة الخوارج.هكذا قام ميسرة سنة 122هـ وخالد بن زناتي بعده , بالثورة ضد الحكام العرب .ورغم ذلك انقسم الخوارج إلى الصفرية و الأباظية نسبة إلى مؤسسيها . وبذلك تم تحويل الاتجاه المتعصب في الإسلام ,إلى ديانة عالمية و إنسانية غير قبلية ولا عنصرية وتم الانسلاخ على الامامية التي كانت فرقة شيعية لا تقبل الإمام الإسلامي الا من نسب أهل البيت أو القرشيين.هذا الوضع سوف يخلق وضعا سياسيا جديدا , و قد مثله تكوين إمارات إسلامية عبر اقاليم المغرب الإسلامي كله م ن ليبيا إلى المغرب الأقصى .و أصبح الخوارج فرق دينية تشكل قيادات إنسانية حاكمة و مؤثرة و صاحبة مدونات للسلوك و الأعمال و صريغ القرار .

من ذلك نشات أمارة مكناسة في الجنوب المغربي و سجلماسة سنة 757م , و أخرى إمارة زناتة في تلمسان سنة 765م بقيادة أبو قرة .و هم من الفرق الخارجية الصفرية .بينما تكونت في تيهرت ,إمارة الرستميين الذين يشيعون الفرقة الاباضية 761م ([3]) هكذا سيطرت الحركة الخارجية في المغرب و الجزائر في مواجهة بعض الحكام من العرب المتعصبين وقد اشتد التوسع الخارجي بين تا فيلالت و تلمسان حتى تيهرت في الغرب الجزائري.

---

[1] الدراجي(لوزيان):قبائل الامازيغ

[2] مراجع أخرى مثل:ابن خلدون تاريخ العبر.و ابن الأثير في الكامل في التاريخ .النويري في نهاية الارب

[3] :ben amara kitab en.nassab p.13

الا ان النظرة الضيقة ,لم تدخل اعماق ادريس الاول حيث ان الخوارج هم قتلة الامام علي رضي الله عنه ,لان المغالطة في المذهب بينما خوارج الجزيرة ليس هم خوارج بلاد المغرب الذي كان سكانه من الامازيغ.لقد كان امازيغ المغرب مستقلون أحرار لا يرتبطون با لسلطة العباسية و لا الاموية التي كونت خلافة لها بالاندلس , بينما كانت أمازيغ تلمسان و تيهرت تابعين لهؤلاء لذا وجد ادريس الاول مأمنه في مناطق مسالمة بعيدة عن المخزن و التمذهب المؤسساتي المهيكل في طرق متجددة .

في هذه المرحلة كان التيار السني متصاعدا ناشطا و حيث أرسى قواعده الائمة و علماء الدين الاسلامي منذ الحسن البصري (رضي الله عنه)و الاشعري وحتى الامام مالك حيث ساهمت الحلول المعلنة في المذهب السني في تفعيل خطاب سياسي جديد متسامح مجدد و محافظ في نفس الوقت و قابل للتكييف للشريعة و الاصول مع النوازل و الطوارء . لذلك ساهم المنطق الجديد ,في خلق تيار شبه مستقل فهو من جهة تابع للفرقة الشيعية (1)[1] ومن جهة اخرى لتيار سني سلفي تسامحي ‘لذلك استطاع ادريس تكوين امارة اسلامية بعد هجومه على تلمسان سنة 790م حيث كان الامازيغ الخوارج موالين للخلافة العباسية.وتبعا للمكانة الاجتماعية و الروحية التي اعطاها له الامازيغ مكناسة وزواجه من أهلها زعيمها , فقد كون مملكة قوية واسعة النفوذ و الجغرافية و خاصة بعد سيطرته على تلمسان و مناطقها و جوارها مما سوف يجعله موقع للقتل انهى حياته بالسم من طرف مبعوث الخليفة الرشيد.

ولكن قوة نفوذه في المنطقة لم تمنع من تكوين مملكة يؤازرها الامازيغ ,و يساند بنائها أهل الاسلام الى ما كان يتأجج في بعض الحسابات السياسية حتى دامت الدولة أكثر من قرن , حيث خلفه ابنه الذي اسس مدينة فاس بعده و بعده أحفاده , وبعد نهاية و فشل هذه الدولة وصعوبة التطورات السياسية و الاقتصادية الجديدة و التوسع الفاطمي لخلق نظام جديد تحكمه الشيعة الامامية وذلك منذ921 م حيث حاصرو مدينة فاس و غرب الجزائر و المغرب الاقصى في غالبه

لذلك أعلن نهاية المملكة الادريسية سنة985م و فرّ قادة المملكة و علمائها و كبارها و أعيانه ا الى جنوب المغرب و جنوب الجزائر حيث أرض سبتا بعيدة عن السلطة المركزية و مرور قوافلها الحربية و التجارية –رغم ان اموي الاندلس كانو في استنفار دائم ضد اعين الطامعين في خلافة بلاد المغرب الإسلامي.هنا يبدأ –– المرحلة الثانية – حيث اتجهت بعض العائلات الى فقيف و تافيلالت في المغرب

[1] Ben amara khalifa, opcit .p14.

,جبل راشد وجبال العمور في هضاب الجزائر . بينما كانت تتوسع دولة المرابطين في بلاد المغرب كله منذ نهاية القرن العاشر ,وهم من الامازيغ المسلمين حيث سيطرو ا في القرن 11 و 12م و اتبعهم الموحدون 13/12م ثم تفرقت بلاد المغرب الى دويلات الزيانييـن و المرينيين و الحفصيين بعد ذلك في 13م حتى 16م حيث كان مبدا الامام القائد السياسي قد ألغي ([1]) و سيطرت القبائل الامازيغية على سلطة الامارات المغربية مع احتضان الاسلام الموسع و المتسامح وضم علمائه الى قصورها وزاد في تكوين أخلاف لاحقين .

و لكن الهجوم الاسباني البرتغالي المزدوج لم يهدأ ,وبدأ يقوض من دع ائم الدويلات هذه .مما سوف يؤدي الى اعادة انتاج الدعوة الاسلامية واعادة تركيز القوة العقائدية بشكل أخر , تحمله هذه المرة دعاة الطرق الصوفية , و علماء الدين في كل بلاد المغرب و بالتالي بدأ تكوين الزوايا الت عليمية و الرباطات الكلامية و الحصون العسكرية للملاحظة والارشاد المراقبة الحمائية لقوافل و أهالي المغرب.

المطلب الثالث الهجرة الهلالية التجمعات و البشرية المنطقة

لقد اعتبرت الصحراء مناطق خالية ، لكن التاريخ الطبيعي والبيولوجي للمنطقة يؤكد أنها كانت معمرة من طرف مجموعات من السكان متناقصون من طرف إلى آخر حواف الدول المعاصرة مثل الجزائر المغرب ، موريطانيا ، ليبيا النيجر ،مالي ،مصر ،السودان ،تشاد .وقد كان يسكنها الأمازيغ حسب بعض المصادر (2) وتوصلت إليها الإحتلال الروماني والبيزنطي حيث تركت آثارا وعمران ا شاهدا على تلك الإنشادات .أما بعد العهد الإسلامي فقد شاركت حملة عقبة بن نافع على الجنوب الشرقي عن توسع إسلامي وعربي عبر كل اتحاد الجزائر في الفترة الأولى بينما التحقت الجماعات العربية ، الأخرى غبر القيروان وإلى الشمال الجزائري بعد تطوير الأسطول الإسلامي .لهذا يؤكد التاريخ أن قبائل زناتة 3 هي القبائل الأولى التي قطنت مناطق الشمال الصحراوي حيث البساتين الزراعية ، ونشطوا في تربية الحيوان والتجارة مع الشمال والجنوب وآتو بالعبيد من السودان .لقد سيطرت البطون الزناتية على المنطقة القائمة بين بشار حتى بسكرة شرقا و حتى المغرب الأقصى حيث ثارامازيغ مكناس على ولايتهم في القيروان واستطاعوا ان يكونوا مملكة في مناطق واحات الغرب سنة 757م بقيادة بطن بني مدرار ،، حيث كانوا

---

[1] Ben ammara opcit .p15 .

[2] إبراهيم مياس قضايا تاريخ الجزائر المعاصرة 97

[3] نفس المرجع ص 98

مستقلين وحتى حدث صراع مع فرق الشيعة التي كانت تتوسع مع الفاطميين لكنها واجهت المواجهة من طرف الزناتيين لكنها في المقابل وجدت يد العون والمناصرة من القبائل الصنهاجية في الشرق الجزائري بينما كان الزناتيون في الجنوب الغربي .

لذلك كونوا تجمعات تمنطيط وتوات ، وتشتهر بطون مطغرة (1) من الزناتيين في هذا الحال التي كونت التجمعات الحضرية البربرية في المنطقة ، وقد و صلت توسعاتهم ودلالاتهم السياسية والدينية إلى مناطق فاس ومكناس إلى المغرب .إلا أن هجرة القبائل الهلالية إلى المغرب الإسلامي ساعد في خلق صراع قوى بين الأمازيغ وتلك القبائل في المرحلة الأولى إلا أنه انمحى بطول الوقت حسب قوة الدول التي سيطرت في المنطقة ، وحسب أخلاقيات هذه المماليك الإسلامية التي وجهت الامازيغ والعرب والعجم في ولاء واحد واتجاه موحد.

- لقد كان من نتيجة الصراع الأول هجرة بعض الأمازيغ إلى الصحراء ونشا بينهم صراع محلي مما جعلهم ينقسمون إلى طرفين كل واحد منهم ينظم إلى جناح من القبائل العربية من اله لاليين الذين التحقوا في شكل جماعات متتابعة عبر أزمنة متباعدة إلى المغرب الإسلامي .

- لقد خرج الهلاليون من مصر في عدد 400 ألف فرد 2 ودخل ليبيا بسهولة لكنهم واجهوا الدولة الصنهاجية والحماية في الجزائر والزيرية حيث لاقوا جيش المعز بن باديس حين محاولة التو غل إلى الجزائر رغم أنهم كانوا في هجرة بدون قيادة فاستطاعوا الوصول إلى المغرب الأقصى وطرابلس وتونس شمالا .وقد حملت هذه القبائل إسم الهلالية جميعا لأنها عربية ، ولكن بدون أن تكون جميعا تنتمي إلى الهلالية 3 ومنهم قبائل حجازية وأخرى يمنية .لذلك سيطرت قبائل الم عاقيل 4 على الجنوب الغربي لضعف الدولة بينما توطنت قبائل الشعانبة في الوسط الجزائري .....

إن التوسع الأخير للقبائل الهلالية لم يكن محدودا ، بل اتخذ إنتشارا أفقي عبر الخط الرابط بين بسكرة حتى بشار غربا ، واتخذ شكلا عموديا نحو الشمال خاصة جنوب العاصمة ونحو الش مال الغربي وجنوبه الذي يحفظ تاريخا متواصلا لها .بينما كانت القبائل الحجازية وقبائل الأمم الأخرى الفارسية والتركية والافريقية والهندية الذين جاءوا مع الفاتحين ، قد دخلوا عن طريق القيروان وتونس نحو الشمال

---

[1] مياسي ، مرجع سابق ص 99

[2] مياسي ص 100

[3] مياسي –ن م – 101

[4] مياسي ص 102

الجزائري عبر عنابة وقالمة وقسنطينة نحو العاصمة ونحو تـلمسان إلى غاية المغرب الأقصى والأندلس حيث أقاموا دولة مزدهرة معروفة ولكن لم يبق على الشكل الأفقي شمال – شمال – بل إمتد من الشمال نحو الجنوب حيث توزعت القبائل نحو المسيلة والجلفة جنوب الجزائر وتيارت ومعسكر جنوب وهران ، حيث خصوبة الأرض وحصانة المنطقة جغرافيا من الهجوم الأجنبي ومركزيتها بالنسبة للجنوب الشمال مما يسهم في سهولة التجارة وانتقال القوافل وقلة السكان في هذه المناطق في تلك الفترة .

لقد كان توسع الأشراف عبر المنطقة شاهدا قويا على المنطقة من الجزائر العاصمة إلى جنوبها وغربها دافعا قويا لبناء المدارس القرآنية ونشر الدين ، حتى وصلت بعض القبائل إلى ورقلة وأخرى إلى أدرار حيث تم أخيرا تكوين دولة المرابطين التي كانت خليطا أمازيغيا عربيا قويا ، إنتشر إلى الأندلس وتونس شرقا وجنوب الصحراء بإفريقيا ، وقد كانت العامل الأساسي في تطويرها هو قبول الأطراف المتملكة لنكامل السلطة وتبادل القيادات بدون روح عنصرية ولا مذهبية مع قابلية الإسلام للتسامح

المطلب الرابع أعلام المرجعية الثقافية للمدونة السكانية للمقاومة :

قام الشيخ المكي الهشماوي ,ومشيرا الى الطبقات العالمة المنتجة لتراث معرفي زاخر، بتسجيل العاءلات الثقافية و الشريفة في كتابه ([1]) مبرزا الاتصال السلالي بالخليفة الرابع للاسلام السيد علي رضي الله عنه رغم ان الملابسات تحوم في حقيقة هذا المؤرخ للمغرب الاسلامي . ظهرت اهتماماته حول المنطقة الواقعة بين تلمسان وفقيق و فاس و الجنوب الغربي الجزائري مع ان هذ هـ الشخصية تبدو انها كانت في المشرق و لا يمكنها معرفة الفضاء الجغرافي , الاجتماعي في المنطقة , رغم ان باحثيين مثل ليفي بروفنسال و جاك بيرك قد استعملوه و عملوا بأثره و استثمروا المعلومات التي قدمها في كتابه المشهور في و حول المنطقة و المسمى "كتاب النسب" في حين تنسب بعض الكتابات المشرقية العمل لرجل الصوفية و عالم الدين المشهور – ابن عطاء الله السكندري – الذي هو من مصر و الشام و عاش مرحلة القرن 13م حيث نجد تدوين لدويلات و سكان المغرب وأصولهم و تاريخهم .هكذا عمل الهشماوي الصغير متاثرا و مستندا لمصادر ابن خلدون وابن فرحون التي كتبت في القرن 14م و كذلك من مصدر جلال الدين السيوطي 1445/1505و ربما حتى من المدون المغربي ابو بكر السيوطي الذي عاش في 1612م و بعظها من المدون الافريقي بابا أحمد , الذي صادفت حياته ' السلطة السعدية في القرن 16م

كتاب المكي الهشماوي:ترجم من طرف ل.هـ فيرو .'و أ.جيا كوبيتيي 'رغم ان هناك خلط بين الهشماوي الكبير .و الهشماوي الصغير حيث اعتمد على الكبير كل من بكار وعلي حشلاف.بينما الهشماوي الصغير و المصدر الاصلي ---[1]– عن بن عمارة خليفة بترجمتنا .

حيث كان توسع كبير في السودان ا لغربي.هكذا انتقلت المصادر الشفوية الى مصادر مكتوبة رغم عدم مصداقية بعضها و ظهور صراع حول الحقائق و الاثار , الى ان التسابق الى معرفة ذلك من طرف المستشرقين و الباحثيين الغربيين ترك شغف البحث و التحقق لازما اتجاه كل اقتراب تاريخي من الاثار الادريسية و نتابع فروعها من طرف الحكاية الشفوية و التدوين الكتابي.

الا ان الحقائق التاريخية , قد أكدت تضارب الحقائق و عدم تاكيدها أمام صراعات التي جرت بين الامويين في الاندلس و بعدها ضد الفاطميين و ما جرى في الدويلات الاسلامية البربرية التي تبنت المذهب الخارجي في أغلبها .وقدحفظ ذلك التراث , في أغلب الاحيان رجال القضاء و ما كان في حكمهم مثل–الموثقين والنساخ و الكتاب– بالاضافة الى زعماء الزوايا الذين اهتمو بالعلم و الدعوة و التضامن الاسلامي – رغم قلة الورق و صعوبة تنضيد الجلد . التي حفضت المدونات العربية و الاسلامية في الزوايا و القصور و المساجد.لقد كان لهجرة الأشراف مصدر للتثاقف المزدوج هكذا بقيت الاثار العلمية رهينة مراكز سياسية و خاضعة للتقلبات السلطوية .من ذلك ساد الشك و الخوف و الفوضى منذ بداية توسع المرابطيين من جهة و بداية الهجوم الاسباني و البرتغالي على سواحل المغر ب الاسلامي, حيث تم احتلال سبتة و مليلة و تاسيس قلاع على مرتفعات وهران و تموشنت و مستغانم و العاصمة وغيرها .

في هذه المرحلة بدأت الدعوة تجديدية للدولة الادريسية و تمجيد الروح القديمة في المنطقة على أثار ادريس الثاني الذي توسع في دولته في جغرافية المكان المغ اربي–مما جعل السعديون يؤسسون دولة جديدة تحت لواء ([1])الامارة و الخلافة الاسلامية امام التوسع المرابطي , مما دعى الى ارساء احياء الشرعية السابقة بفضل بعض الباحثيين و المدونيين مثل –الهشماوي الصغير –الذي حافظ على السلالية في الوثائق الرسمية و المعرفية و ذلك كله حدث في مرحلة القرن 17م. لذلك وجد المدون الهشماوي اعمالا أخرى في المجال مثل عبد السلام بن الطيب([2].)الذي اعترف امام العلماء في خصوصه بصعوبة معرفة لبعض المشهورين في الصنف الثالث الذي يرجعه الى جماعة من نسب الرسول (ص).هاجرو الى

---

[1] المرجع السابق نفسه ص23

[2] عبد السلام بن الطيب مدون للسلالة المتخلفةعن سيدي عبد القادرالجيلالي

جهات اخرى مثل الاندلس واسيا اولا ثم التحقوا بالمغرب في حين وجد سهولة في الصنف الاول و الثاني الذي بقي بعضه في الحجاز و الشام او هاجروا مباشرة من بطش السلطة الى بلاد المغرب([1]).

هكذا يمكن معرفة ان مظاهر التحريف و الاضافة قد لحقت بالمدونات حول التاريخ الاسلامي الاول و حول الشخصيات الحاكمة و العالمة في المنطقة حيث كانت فاس و مكناس مركز سياسي و علمي مشهور في المغرب الاقصى , في حين ان مراكش لم تبن الى سنتين بعد موت ادريس الثاني.وبذلك خضعت المعلومات اللاحقة الى اظطراب و اختلال في التأرخة و الاسناد والتوثيق ([2]) في كل المنطقة من المغرب و الجزائر .وهنا يجب الاشارة الى الفرق الذي ساد بين الثقافة الجزاءرية و المغربية حيث ساهم الدخول العثماني في الجزائر الى التساوي السياسي و السلالي و الثقافي امام الحكم العثماني الذي بقي متميزا منفصلا عن الشعب العام الا من خلال ممثلي هذا الأخير الذي سماهم الاتراك باشا , الأغا , و خوجة و غيره و لكن في المغرب , لقد خلقت حالة الاستقلال عن العثمانيين ظروف اخرى بين الاشراف و المسلميين الاخرين و الامازيغ ‘و لكنه لم يؤدي الى اي تضارب او صراع حيث كان الخطر الاستعماري و الصليبي في الواجهة الاولى و كان التنظيم الاجتماعي متراتب و معترف به رغم بعض الامتيازات للجماعات المتوارثة للسلطة التي حددت مواقعها الاجتماعية و الثقافية في مواثيق جارية([3]).و اسنادات متيسلسلة من الجد الاول الى الجد الاحق الى أخر الأحفاد .

لقد أضافت البحوث الحديثة التي جاء بها الاستعمار , معلومات نقديق او مقلدة للمعارف السابقة , و لكنها تبقى في مضامينها خاضعة لدراسات جديدة, وخاصة ما جاء به كنزال (ستيفان) و ماسكاراي ,و جيا كوبيتي .حيث بعضهم لم يعتمد سوى على بعض المخبرين من العرب و الامازيغ , رغم ان بعض علماء الانتربولوجيا يستند الى مراجع يونانية مثل سترابون **strabon** الجغرافي اليوناني الذي عاش القرن الاول قبل الميلاد و الذي جعل أمازيغ زناتة من سلالة الجيتول **getules** من حيث الجسم و الملامح و القامة . مما جعلهم لا يختلفون عن العرب و جعل ادريس الاول يتزوج من كنزة ابنة زعيم البربر أنذاك. أما سيد الناصر فقد كان من ذلك الفئة وكسب تراثافكريامن تلك العلاقات ، لقد تركت

---

[1] هذه الاشارة يقدمها جيا كوبيي giacobittie في ترجمته لعمل بن الطيب

[2] – يشير الباحثيين الى تضارب معلومات من طرف المؤرخين من ابن خلدون و ابن فرحون و الهشماوي و التنسي و غيرهم وهناك مدونات ضهرت في مرحلة الاستعمار كتبها علي بن حشلاف و ابن بكار تشير الى الخلط و الالتباس حيث كان الاستعمار يحكم على المعارف

[3] – بن عمارة. عن المرجع السلبق ‘ عمارة .ص27.

هذه العلاقة عائلة محترمة للعلم و الدين و الجهاد و التمسك الديني في جبال العمور و بني راشد .لقد ولد سنة751ه /1350م في الساقية الحمراء ([1]) وينتمي ال سلالة الحسن بن علي بن ابي طالب عن طريق محمد العسكري و جعفر الصادق ثم ادريس الاكبر و بعد حكمه لمنطقة سجلماسة ،فقد ترك ابنه حركات هناك , و لجا ال حكم مازونة امام بني زيان و المولى عبد الملك .حيث سيطر بنو زيان عهد 1554/1235م, (633ه/962ه) وهي ايام الحرب مع بني مرين وبني حفص في الشرق الجزائري ايام الاظطرابات في بلاد المغرب كله .ان هذا التلاحم التاريخي جعل التوازن التاريخي للعلماء و المثقفين و رجال الصوفية في مكان من توطن الفكر القومي و الجهادي لحماية الارض و تجميع الناس حسب مدونات العقل الديني و جعل حتى النساء محدثات و متعلمات رغم الخياة التقليدية ([2]).

لقد نشأ الجيلالي بن عبد الحكم ([3]) في طريقة صوفية شاذلية حيث تعلم على يد ابن الشرقي .و بعد تعلمه اللغة و علوم الدين اهتم بالتاريخ و درس حياة الولي الصالح سيدي يحيى بن صفية – وكان مدرسا و اماما في العطاف ناحية الشلف ثم توجه الى عاصمة المنطقة الشلف ([4]) و قد ذكر في مدوناته عن طرق الولاية الصوفية و الاوراد و المرائي او ما يسمى بالمناقب بالمفهوم الصوفي .وقد تعلم عن تراث سيدي يحيى وهو حجة في النقل و السماع , اظافة الى معلومات مسجلة لدى عبد القادر الفاسي في- تاريخه- الذي تظمنت تاريخ الاسرة من حيث الاصول. أما في المنطقة المجاورة و القرى المتقاربة فقد وجدنا سيدي الناصر ، الولي الصالح و العالم الصوفي وصاحب المركز السياسي في حكم تافيلالت , قد خلقت منبرا تعليميا دينيا وهاجا حيث كان قد حكم مازونة وزار مكة ثم قطن في مدناس و تيارت و أخيرا بعد خلافه مع أهل منداس استقر في وادي القصب .لقد دام حكمه في سجلمامسة 4سنوات ([5])ووصل مازونة ليحكمها حوالي 16 سنة مع رفيقه الكاتب محمد بو جناح و لكن استقراره بين تيارت و البيض و الاغواط كان بهدف العلم و الدين , و السهل الخصب و الماء الجاري .

ويرجع ذلك حسب ما رأينا عند ابن خلدون الى مفهوم الخلال المتضمن معنى الأخلاق ،الذي هو شرط أساسي لكل عصبية ، التي هي القوة المعنوية أو الأخلاق، بينما العصبية التي تعني القوة

---

[1] Jean , despois : le djebel amour

[2] Mathea gandry. la sociiete feminine au djebel amour et au ksel

[3] الجيلالي بن عبد الحكم:،لمراة الجلية في ظبط مانفرق من أولاد سيدنا بن صفية مطبعة الخلدونية تلمسان 1953

[4] احمد بابا التنبكتي : نيل الابتهاج

[5] الحاج العربي المشرفي ،اليواقيت الوهاجة,,,,,,,,,,مولى مجاجة و يمكن مراجعة محمدبن عطاء الله ،النسب

المادية.وهي بذلك قوة الوازع و الرابط التألفي والتشريع الديني و الأخلاق الحميدة هي أساس العصبية أو العظم الذي تقف عليه كما رأى إ بن خلدون و هو وعي ميكانيكي يحصل من المعايسشة الدائمة و التعاون المتراكم عبر الزمن ' كما لا تنجح الخلال لوحدها بدون قوة العصبية .فالخلال هي القوة الروحية و العصبية هي القوة المادية لذا إن طبيعة الخير الكامنة في الإنسان هي التي تجعل الطموح السياسي، بما فيه الثوري الذي نتكلم عنه، ناجحا فالخير هو المناسب للسياسة.

فالعصبية مشروطة و ليست مطلقة 'والكفيلة بجمع الناس. وهي رابطة التراب و الزمن و الانسان كما يرى مالك بن نبي .و يعتقد منه ا خلال الخير و أخلاق الإحسان، ومنها تكونت المدن و القرى ' و التجمعات المختلطة فتكون بذلك السياسة هي من كفالة الخلق الإستخلاف الله، و الدعوة إلى أحكامه، فالملك لا يتحقق إلا بتجمع الخلال الحميدة مع العصبية . وهي خاصة الكرم و العفو و الوفاء و حمل الضعيف و الإنقياد للحق وإحترام العلماء ... فإذا وجدت هذه الصفات " علمنا أن خلق السياسة قد حصلت لديه م و إستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم، أو على العموم و أنه خير ساقه الله تعالى إليهم مناسب لعصبيتهمو عليهم "([1]) .هكذا تحدث الغلبة ثم إستقطاب الجماعات الأخرى للعمل الموحد الإجتماعي و الثوري وغيره كالمقاومة و الجهاد و الدفاع عن الحياض الوطنية بفضل علم اء و الخاصة من الجمهور العامل بالوعي و المخيلة المشتركة الحاملة لتراكمات الفعل الجماعي المشهود له بالتضامن والتضحية . لقد ساهمت المصادر في اللغة والدين والتاريخ في ترك حاسة خاصة للبحث والتمتع الفكري بالمعارف والحقائق التاريخية والاجتماعية للمنطقة خاصة و بلاد المغرب الإسلامي في كله منذ بداية الفتح مع عقبه بن نافع القهري .لذا ساهم ابن باب حيدة الذي كتب ي التراجم والتاريخ وأسباب القبائل الموجودة في المنطقة .حيث نجد كتب القول البسيط في أخبار تمنطيط وجوهر المعاني .

وهذا لم يختل المجال كما كان متواترا في الكتابات العربيه من الجاهليه حتى نهاية القرن الماضي حيث نجد التاريخ السلالي وعلم الانتساب فرع تاريخي هام في العلوم والدراسات رغم ما عليه من إشكاليات اجتماعيه وسياسيه إلا انه كان واقعا لا مفر منه حيث نجد كتب الكواكب البرية في المناقب البكريه. صاحب الشيخ البكري وكتاب مزيل الخاء عن سبب بعض الشرفاء لصاحبه محمد بن عبد الكريم بن احمد التواتي بابا أحمد . ولهذا اشكلت بعض المؤلفات مدونات اخلاقيه ومنطقيه للحياة والتنظيم الاجتماعي كما نجد النية البلباليه كما ساهمت الرحلات العلمية للمشرق والمغرب الأقصى والعكس عاملا

---

[1])–عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، م.و.ك الجزائر، ص47.

لتوسع ثقافي . كما تميز في هذه المرحلة الشيخ الغبريني صاحب النوازل و ابن حمادوش ، الرحالة و الطبيب الجزائري الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي ولر العاصمة .و المشرفي في معسكر . من ذلك قد تعاون كل من كالامير عبد القادر وابن شوشة والشيخ المقراني والشيخ الحداد و سي قدور بن حمزة والشيخ بوعمامة وبن شهرة وبن شوشة في محاربة الإستعمار بكافة اشكاله بصفة الدفاع عن الفضاء الجغرافي والمرجع الفكرية للمواطن الجزائري لكافة عناصره الذاتية والجماعية و طبق ذلك الإنصهار الفكري و الثقافي من هؤلاء الأعلام .

لقد وصلت المقاومة إلى حد مناطق الجنوب الشرقي والغربي بفضل الإتصال الروحي والفكري للزوايا ورجال الصوفية الذين كانوا يمثلون النخبة العالمة للمجتمع الجزائري انذاك حيث وصلت مقاومة الشيخ بوعمامة إلى فقارة الزوايا في عين صالح بعد متابعة الجيش الفرنسي إلى الجنوب . كما استطاعت الطريقة الصوفية السنوسية إلى مناطق توات بفضل تأسيس فرع زاوية سنوسية في <جغبوب > حيث كانت الزاوية تتحكم في الحياة الإقتصادية والسياسية وكانت مكلفة بمراقبة الصادرات والواردات الغذائية والصناعية من خلال أعمال سي محمد التواتي –حيث انضمت جماعات تيدكلت كلها إلى الزاوية السنوسية كما وصل صداها إلى عين صالح حيث أعلن ديبورتر **deporter** تذمره ز .من الموقف وتخوفه من ذالك .وبعدها أعلنت الاحتلال عن حملة فلامان **flamandre** لغزو الجنوب حول مناطق توات . سنة 1899 رغم أن المحاولات السابقة قد فشلت تماما تحت ضربات المقاومة و رغم شيخوخة بوعمامة و كبر عمره .(1)

كما ساهمت الزاوية البكرية بفضل مكانة مؤسسها سي محمد عبد الكريم البكري في نهاية القرن الحادي عشر هجري والذي اكتسب علما و نقله عن علماء من العاصمة ومصر والمغرب وتونس والحجاز حيث شيد زاويا على الطريقة القادرية المشهورة في كافة العال م الإسلامي وهي أم الزوايا و الصوفية . وقد ساعد في ذالك المركز الجغرافي للمنطقة الذي كان حلقة وصل بين السودان الغربي (مالي . السنغال...) والمغرب العربي حيث ساعدت القوافل التجارية على تكوين حركة رحالين من التجار والحجاج و العلماء الذين يتحركون عبر محور تونس ومصر والحجاز . رغم صعوبة التضاريس الجغرافية للصحراء وخلاءها من التجمعات السكانية .

---

[1]) فرج محمود : مرجع سابق ص 111

2) فرج محمود : ص 111 المبشر (جريدة) الجزائر جانفي 1900 عدد 172

حيث استطاع أن يصبح أستاذا في جامعة (1) القرويين في فاس مثل عمر بن عبد القادر التنلاني التواتي و الشيخ عبد الله محمد التواتي . ومحمد بن عبد الكريم البكري . وذالك بفضل العلامة محمد المغيلي الذي أسس زاوية صوفية قادرية في هذه المناطق ‘وتخاصم مع يهود توات حول بعض الأخلاق ‘ وكون نخبة علماء ممن استطاعوا تكوين مدينة تيمبوكتو كمدينة للعلم والتجارة والوصل بين المغرب والمشرق وافريقيا في القرن الخامس هجري حيث توافد عليها الكثير من ابناء توات . برز منهم الشيخ أبو القاسم التواتي الذي استعظمه سلطان تيمكتوالحاج اسقيا موسى (2)- إضافة إلى أبو الأنوار التنلاني وبن سعد البكري والحسن بن محمد الذي كتب عن علماء مالي وليبيا (3)

---

[1]فرج محمود .م س) ص 113

[2])-السعدي – تاريخ السودان (فرج محمود ،م س ، ص 115

[3])-فرج محمود – ص115

الفصل الثالث التصنيف السوسيولوجي للوقائع التاريخية

المبحث الأول الدراسة النظرية وقراءة في التاريخ الاجتماعي

حسب التحليل الميداني للتصنيف الاجتماعي لمجتمع الجزائر قبل الاستعمار ،و حسب الدراسات الاجتماعية المعاصرة فإن التعمق في فهم آليات المجتمع، كانت دائما تأخذ أفكارها من المنظور الشع بي أو من التحليلات النظرية لعلماء الاجتماع، و يمكن فهم ثلاث تصديرات حول ذلك في ثلاث نماذج مع ملاحظة سيطرة توظيف الإتجاه الإديولوجي في كل الأطروحات :

المطلب الأول التحليل في النموذج الأول

و الذي يرى أن البيئة الشرقية حسب امتدادها الجغرافي و عمق احتوا ءها للفكر الشخصي و الجماعي، تجعل هذه التجمعات الريفية منعزلة بمعنى أنها كانت مكتفية بذاتها و معزولة سياسيا، و جغرافيا، و هي تجمعات شيوعية قروية فيها ملكية جماعية للأرض و الوسائل الكبرى . لذلك كان ظاهرا، الانعزال و الاكتفاء الذاتي([1])، لذا الانعزال كان أساسا .

ثانيا الذي يقوم عليه المجتمع العربي عامة. و هناك نية جمع بين صناعة حرفية و زراعة تقليدية في القرية، و يظهر من ذلك تقسيم للعمل بين الزراعة و صناعة و تجارة في الريف، و خاصة نظام اقتصاد، لذا كان النظام الاجتماعي عبوديا عامة حسب ما يرى ماركس و إنغلز ، بحيث عدم الفصل بين الإنتاج و وسائل الإنتاج . أما فيتفوكل ([2])، المعدل لنظرية ماركس ([3])، فيضيف وجود علاقة هيمنة بيروقراطية على المحكومين. فالدولة لديهم كانت على السلطة ،على الماء ، الأرض ، احتكار السلطة و القوة على المجتمع، فكانت بصفة مركزية، و هي ما سماه بن ظرية الاستبداد الشرقي، حسب فيتفوكل

---

[1] – القرية – المدينة – البادية، هي أنماط المعيشة تربطها علاقة تكامل أو عزله أو اكتفاء ذاتي أو نزاعا.

[2]– حسن النقيب،بناء المجتمع العربي بعض الفروض البحثية ، مجلة المستقبل العربي نحو علم الاجتماع العربي، عن م د و ع ، ص 223

[3]– ماركس: المسألة الزراعية في الجزائر، و غيرها من التعليقات

وهي متصفة بمظاهر .وتميزه المرجعية السياسية و مصدر الريع المحرك .وبالتالي تخلق نمط المجتمع صاحب السلطة المائية الهيدرولية.ومن خلال صفات ،

1 -قبيلة التجمع و التفاعل، مثل قبائل جرمانية.

2 -نمط متمركز حول الدولة، كما في مصر و سومر و الصين و المهم الفاعل حضاريا، هو دور ملكية خاصة، صناعة، تجارة و ليس الزراعة.

أما الصفة الثالثة فكانت أن دور الملكية الخاصة في الصناعة و التجارة و الفلاحة فاعلا في الاقتصاد، و هناك تحكم في ملكية الأرض و ثم شبه حرية في التحويل، الملك، البيع، الإنتفاع ....و هذا ما ظهر في المرحلة العثمانية في المجتمع الشرقي رغم أن الطابع عموما في شكله الإقطاعي أو شبيه به لأنه يختلف عن النمط الأوروبي.

المطلب الثاني نظرية النموذج الثاني([1]):

فهي نظرية يطرحها علماء الأنتروبولوجيا باتجاهها البنائي و الوظيفي بجملة خصائص:

1 -تحالف أهل الدين من السنة مع الحضر مع نخب سياسية، عسكرية في البادية.

2 -تقسيم العمل أساسه التجارة و الحرف في المدينة، أما البادية مركز السلطة سياسية و عسكرية حسب الحاجة بينهما.

3 -يدعم الدين الإسلامي هذا المبدأ كمصدر التشريع.

4 -استقرار الحكم و الازدهار بتحول القوى إ لى البادية، و عليها يحدث دفاع من الحضر ضد البدو، و لكن البدو يواصلون الغزو على المدينة ثم استسلامها للحكم و هذا ما يشبه خلدونية محدثة.

5 -عدم قدرة الحكم في المجتمع التقليدي على ضم الريف و البادية كاملا.

6 -قيام روابط مفصلة، معششة للحماية المتبادلة بين القبائل، فتبدأ ضعف الدولة و تفككها في مجتمع قبل الاستعمار الذي نحن بصدد تفهم تفاعلاته داخليا و خارجيا.

7 -تحالف حماة الشرعية مع أهل السنة من الحضر مع نخب سياسية و عسكرية في البادية لهدف تكوين سلطة جديدة و نظام جديد.

---

[1]- حسن النقيب: م س، ص 232

إن الدراسات الاجتماعية و الإنتربولوجية حول المجتمع ا لجزائري و العربي و الإسلامي عموما، كانت قليلة:

1 –المجتمع تجسيد للجمود الأسيوي و الشرقي من خلال (ترنر، اندرسون).

2 –المجتمع منظم و متوزع حسب تنظيم مفصلي للسلطة.

و كانت نهاية أفكار الغرب، الارتهان إلى نظرية تمركز أوروبي و أنانية و استعلائية مفرطة، فكان منها تصدير فكرة العرب بلا تاريخ، و أن التاريخ العربي بقايا و فضلاية متخلفة **Residuel Survivals**، كالقبيلة أو الدين، حيث كانت تلك عوامل البناء و التهديم في المجتمع .لقد وجدنا عدة أطروحات حول البنية و العلاقات و التفاعل و التغير في مجتمع قبل الاستعمار حيث يتصف بمرحلة منعزلة عن حضارة الغرب. من هنا وجدنا أولا: حسب نظرية ستيوارت مل، الذي ينظر إلى المنفعة المادية و يزيد في ذلك، ماركس و إنغلز ثم فيتوكل و ما يضيفه قودليه **M.Godlier** ثم أحمد صادق سعد([1].)

التحليل ثاني: منظور يعمل أغلب الأنتربولوجيا من مالينوفسكي و بريتشارد و سبسر، و دوركايم و هي عامة وظيفية . حيث أن ذلك المجتمع قبل الاستعمار هو مجتمع رعوي مفصلي حسبهم ، طبق نظرية ابن خلدون سابقا و المجتمع الأسيوي عند ماكس فيبر في نظرية **Patriarchal**، حول الأبوية، لذا إن الخصائص البنائية واضحة و توجه الاتجاه العام نحو التغير رغم وجود فر ق بين البيئة و التغير أو بين الواقع الحاضر و التاريخ حيث التغير يصبح أوضح مع وجود النموذج و هو خطوة نحو فصل التغير من التاريخ كما يرى، ريمون بودون ([2]).و إذا حاولنا تفهم نظرية التحليل الثاني، فإنه يمكن قراءة أن هناك جماعات داخل المجتمع، منها الرئيسية و منها الثانوية المحلية .لذا حسب الجماعات الرئيسية، ليست المشتركات القروية بل هي هامشية كلية، حيث الفلاحين قلة و لا دور لهم عموما، أما الجماعات الرئيسية فهي:

---

[1]– أحمد صادق سعد و غيره من الباحثين حول النمط الأسيوي للإنتاج

[2]– حسن النقيب (م س) ص 219 عن raYMOND BOUDON

1 –جماعات القبائل و هي الفاعلة و هي جماعات قرابية معششة، تقوم على تقسيم عمل متميز، و تاريخي فيه مدينة للحرف و التجارة المختلفة (حضارة...)، أما البادية، مقر هيمنة السياسة و العسكر، أما عند غلنر **GILNER**، فيرى هناك مفترق طريق بين الوضعين([1]).

حيث أن الجماعات الريفية لا تجمع بين الحرف و التجارة و الزراعة .... لأنها تحتقر المهن و لكنها تقبل الفلاحة فقط، مما يخلق فرق في ا لمكانة الاجتماعية و السلم التراتبي بين التجار و الحرفيين من جهة و الفلاحين من جهة أخرى، و الرعاة و المزارعين من جهة ثالثة ([2]).فكانت النتيجة، العنف في هذا المجتمع و الثأر و الغزو و الشمولية و الروح القتالية، فهي غلبة بين البادية و المدينة، لأنه لا يوجد تقسيم العمل في الريف حيث لا يظهر فاعلا في هذا المجتمع القليل ...و طبق هذه التقسيمات، فإن السلطة هنا، فتكون حسب قرابة الجماعات (أفخاذ، بطون، عساكر، عائلات ....) فيه يلعب النسب و الوظيفة و التشابة و العصبية و الرموز المشتركة، و التنظيم الداخلين حسب ميكائيل ميكر([3].)

أما إذا تابعنا دراسات أخرى، فنجد أن ماكس فيبر **M.Weber** أن عدم قيام رأسمالية في أوروبا سابقا ،راجع لأن الإسلام كحضارة، هيمنة بيروقراطية أبوية للمماليك و فقدان احتقار حرف و صناعة، و احتقان فكري و سيطرة زهد و تصوف و عدم وجود قانون عقلاني مدني، و فقدان المد ن المحكومة ذاتيا، حيث كانت دولة الإسلام تضم معها مناطق معسكرة أو مدن ملحقة كولايات ... مما خلق حسب فيبر إضطراب و غياب حقوق مدنية و علاقات ملكية و سيطرة الدولة السلطانية، حيث الحضر كفئة سكانية في المدن لم تكون فئة بورجوازية حداثية، و لم تخلق أسباب نموها و تط ورها([4]).ومن هذا نفهم أن فيبر يريد أن يجعل المرحلة الاقطاعية هي افتراضيا نقطة بداية الرأسمالية كما أن المسلمين الغازيين حسبه على اسبانيا و شرق أوروبا كانوا متخلفين عن العقلانية و انهم كانوا أصحاب الأمر عالميا و على مناطقهم المفتوحة و منها اوروبا ..

المطلب الثالث نظرية النموذج الثالث

---

[1]– حسن النقيب، م س، ص 225

[2]– حسن النقيب، م س، ص 225

[3]– Michel Meeker ; Literature and violence, N.Y.1979 IN ح. نقيب، ص 226

[4]– حسن النقيب، م س، ص 229

أما النظريات التي يقدمها علماء العرب و المنطقة عموما، فهي تحليلات جديدة متجذرة رغم غموضها أحيانا أو اختلاطها بالنظرية الماركسية أحيانا او النظرية الانثربولوجية أحيانا أخرى و تعمقها في الرجعية أو السلفية المعلقة فكرا و فلسفة.من هنا نجد حليم بركات يتكلم عن الولاءات العديدة التي تؤلف علاقات المجتمع، و منه ولاء طائفي أو ولاء إثني أو إقليمي أو طبقي أو قبلي في كافة أرجاء المجتمع العربي([1]). من ذلك نجد حسبه أن هناك تعدد الانتماء و تعدد الولاءات و حسبه أيضا، هذا يسهل عوامل التج زئة بحضور سهل، و خلق نظرية عدم وجود مجتمع عربي واحد لدى الغربيين، و خاصة ممن كان ينظر بالمركزية الأوروبية أو المسيحية الصليبية ، أما أصحاب المنظور الإنساني المعقلن فهم كثير.

من خلال دراسة أبحاث حليم بركات نجد أن هناك مجتمع للمدينة و القرية و البادية، و تتص ف بتقدم التوحد، أي متمفصلة، بصيغة إندماجية و إنما متوحدة بالتلاقي *، فكل واحد قائم بذاته .إن بركات يؤسس لنظرية تحليل جديدة في العائلة هي أساس التنظيم الاجتماعي و لقيم هي أساس السلوك و المعارف و التفاعل، رغم أنها منظور إنتقائي، و ضمني حسب حسن النقيب([2])، لذا نجد بركات يرى أن المجتمع قبل الاستعمار كان يتركب من مدينة + قرية + بادية.و حسب النظرية العامة لابن خلدون، فإن الدولة تنشأ من الانتقال من العصبية الخاصة إلى العصبية العامة، و إن غزو الريف لا يسلم رجال القبائل سلطتهم و استقلالهم السياسي لسلطة أعلى إن لم يكن لوازع الدين.لذا نجد أن للدين وظائف استثنائية، في هذه البنية الإسلامية فهو يرفع اللغة الاصطلاحية، لسكان المدن و لسكان البادية و لجعلهم أجزاء في نظام أخلاقي واحد.و هناك ثلاث وظائف للدين([3])

1 -حافز للإتحاد و التجمع
2 -يوفر الشرعية السياسية و الحقوق
3 -العلماء و رجال الدين يوفرون الخدمات الإدارية للدولة.

---

[1]- حليم بركات في حسن النقيب، م س، ص 218

*- Social stratification in the middle : C.A.O. VAN new whenhuijze east, Sweden, Brill, 1965 in p218 حسن نقيب ص

[2]- حسن النقيب، م س ، ص 218

[3]- حسن النقيب: م س، ص 226

تبعا للتحليل الأنتربولوجي، فإن المجتمع المفصلي الذي يخضع إلى بناءات مختلفة و يتحرك ضمن قواعد محلية معتادة و لكنها تضمن مفصلية للسلطة، حيث يكون المجتمع القبلي من هذا الشكل، لذا أن طبيعة هذا النموذج الاجتماعي ظهور طبقات عمودية حيث الهيمنة على العلاقات الأفقية تقطعها الروابط القرابية من نوعين من الفئات:

1 -فاعلة أو مؤثرة.

2 -خاضعة مستسلمة.

و هذا ما يؤكده و يطول في تعميقه المفكر المغربي المعاصر، الجابري ([1]) و هوما توصل إلى بعض صفاته و تفاعلاته الإنتربولوجي المعاصر و كذلك الذي تعمق في دراسة المغرب، **E.GILNER**)([2])، فهكذا يمكن تلخيص النظرية:

أ – جماعات فاعلة، من حكام، نخب مستقلة.

ب -جماعات خاضعة، سكان حضر، سكان ريف، و شبه حضري.

و هذا وجدنا عند **Gilner** رغم وجود الاختلاف الذي فرضه الزمن أكثر من غيره لأن فرق 5 قرون له وزنه، كما نلاحظ الاختلاف ([3]) بين مجتمع الجزيرة و مصر و المغرب العربي فيما يرتبط بالنشاط الزراعي أو الحرفي، و نمط التفاعل القبلي أو غيره....، و لكن دخول الدولة العثمانية فإن النظام الشكلي المستقل عن المصدرين الاجتماعيين التقليديين للدولة الإسلامية، نظرا لوجود الجيوش القبلية و العلماء، الحضر، حسب جلنر، أما ما قدمته كدي **Keddy** ([4]) فهو تقسيم ثلاث:

1 -قبلية

2 -مهيمن عليها قبليا

3 -زراعية

---

[1]– محمد عابد الجابري، العصبية و الدولة، الدار البيضاء، 1971 المغرب، ج 3، نقيب ص 227

[2]– E.GILNER : Muslim society

[3]– حسن النقيب: م س، ص 228

[4]– راجع جمال حمدان و صادق سعد أحمد في الموضوع، ح نقيب م س ص 228

و إذا حاولنا التعمق في النظريات الاجتماعية الغربية نجد أن ماكس فيبر يضيف أن فضاء الاستثمار لم يكن موجودا، أو هو مختصر في مجال الأوقاف، و هو بذلك يحاول إسقاط نظام رأسمال ي عصري و مجال ربوي لا يهمه سوى الربح، بعكس المجتمع الاجتماعي الروحي لا يهمه سوى بناء المجتمع .إن ماكس فيبر يرى أن الأوقاف بعيدة عن سلطة الحكومة و غير قابلة للمصادرة أو التحويل .. وهذا في اطار نقده للمجتمع الاسلامي في مساره و توسعاته ...لذا وجدنا أن الاقتصاد الإسلامي كان تقليديا و جمد الرأسمال على نطاق واسع، و كل الثروة ترجع إلى الريع **Rente** و ليست أعمالا مولدة له، كما كان المدن معسكرات للجيش طبق أبوية السلطة. و حيث كان تتدخل هذه البيروقراطية الأبوية على النشاط و الأعمال كما قمع الطامعين في الملكيات الكبيرة خوف ا من طمعهم في الحكم، لذا كانت البرجوازية من تجار الحضر خاصة و لم تنمو في حياتها و لا طريقة عملها و لا معاشها .أما العهد العثماني فيرى فيه ماكس فيبر انه إسلام امبريالي توسعي عاش على الإقطاع الوقفي و قلص المنفعة التجارية لأن فيها الطمع و الجور و الظلم و الاستغلال. لذا كان الإسلام الإقطاعي حسب فيبر !في المرحلة العثمانية .

و خلاصة قوله أن التشتت الذي حدث من نظام مفصلي مرتبط بالأبوية البيروقراطية رغم وجود و زعامة قبلية غالبا، لذا كانت البيروقراطية قبلية و تقليدية، و مجتمع يحكمه القبائل في البادية و في الحضر تتوفو وسائل تكنولوجية بسيطة تساعد على الأعمال بفضل " العصبية الموروثة " كما يرى ابن خلدون.و لكن حسب فيبر أن الدولة العثمانية، جسدت سلطة سياسية في بيروقراطية أبوية. و لكن البعض يرى أن التغير في المجتمع العربي، كان دائريا قابل للإرجاع حيث تتميع أمامه النظرية الما ركسية و الليبرالية، حيث رأى ماركس عدم وجود تاريخ للعرب و الإسلام بسبب غياب طبقات اجتماعية، و لكن لاحظ كثرة الحكام و كثرة اختفائهم و بقاء علاقات على شكلها([1]).

أما التعميقات و التعديلات التي قدمها منظرو الماركسية على المجتمع الإسلامي العربي، حيث حاولوا إسقاط نمط الإنتاج الأسيوي على المجتمع العربي عامة، مع بعض التعديلات مثل ما قدمه م وريس قودليه، و فيتفوكل([2]) . من هنا .يرى فيتفوكل أن الصراع ليس طبقي في الإسلام و لكنه مجرد عداوات

---

[1]– حسن النقيب، م س، ص 230

[2]– حسن النقيب، بناء المجتمع العربي، بعض الفروض البحثية في ، نحو علم الاجتماع العربي، في سلسلة كتب المستقبل العربي، عن م د و ع، ط1، 1986، بيروت وراجع فيتفوكل ،الاستبداد الشرقي

فردية أو جماعية بين فئات محدودة ([1].)لأن المركزية للدولة لا تسمح بقيام طبقات منازعة ل لسلطة و لا عمل جماهيري ضدها.لذلك وجدنا: أنه نادرا ما تتطور الانتفاضات و التمردات إلى حركات ثورية، و إذا تطورت بهذا الاتجاه، فنادرا ما تستهدف تغيير حكام مستبدين أو طبقة حاكمة إلا لتستبدها بطبقة أخرى، و نادرا ما طلبت بتغيير نظام اقتصادي و سياسي حاكم و استبدا له بنظام أخر ... لذلك سرعان ما تفشل و يسهل قطعها و تشتت أفرادها لتعود الدورة من جديد حسب ما يرى فيتفوكل و حتى بعض العرب ،جمال حمدان و أ. صادق سعد قليلا([2]).

المبحث الثاني --دراسات من الميدان

لأن الاسباب متعددة للاستعمار والآثار الناجمة عنه فإن مظاهر هذا الاستعمار والعوامل التي مكنت قوته على الأهالي تبدو واضحة في معالم التي مكنت قوته على الاهالي تبدو واضحة في معالم التشكيل الاجتماعي والاقتصادي لهذا الوضع .وهذه الاسباب عميقة ومندمجة و دخيلة وقديمة ولكن الميدان كان كاشفا لكل التمظهرات .

المطلب الأول نظرية العتاقة أو القدامة في التنظيم

كما ترى ل فللونسي)([3]) **l.valensi** وذلك ما يعني أن البنية لما قبل الاستعمارية كانت عاملا ممهدا لذلك كما يرى حتى لاكوست ([4]) الذي قال أن نظرية ابن خلدون في دورة الحضارة وبنية العصبية وتفاعلاتها هي التي مكنت الاستعمار م ن ذلك ‘إذن كانت هناك وضعية بنيوية مؤهلة لقوى خارجية التمكن من سيطرة قادمة من وراء البحار حيث وضعية التخلف بكل مظاهره لا تؤهل أي قوة جماعية أو فردية من محاربة الحضارة التكنولوجية المنتظمة او رغم حالة التخلف المماثل التي عاشتها أوروبا من جهة أو رغم الاسلوب الاقطاعي الاجتماعي التي انبنت عليه حضارة القرون الوسطى الذي عاشته جميع مناطق الحوض المتوسطي.

---

[1]– حسن النقيب، م س، ص 231

[2])– جمال حمدان و أحمد صادق سعد: دراساتهم الحديثة في النقد و التاريخ

[3])–ل. فالونسي عن طيب شنتوف‘ دراسته في تاريخ الجزائر قرن 1918 .ترجمتنا . ص 37

[4])–أيف لا كوست نفس المرجع السابق ص 38

إذن الملاحظ أن التسارع القوي للنمط الرأسمالي في ظل نمو حركات حرفية ومنظمات صناعية هو عامل قوي مؤيد لنظرية القوى الحديثة مقابل التباطؤ الثقيل للنمو في المجتمعات قبل الرأسمالية في العالم الثالث .لهذا لم ينج الوضع الجزائري من تلك التضاربات في وضع هذا التصنيف منذ ماركس وانجلز إلى النظريات المعتدلة والليبرالية في بداية الاستقلال التي اكتمل لها مصادر المعلومات .

هكذا تبدو معالم نظرية متكاملة حول هذا الوضع التاريخي المتعدد المظاهر من نظرية جدلية إلى نظرية نمو حديثة إلى غير ذلك يقدمها باحثون جدد مثل **galissot ;** وج فالنسي وسمير آمين وغيرهم وكلها تنصب في بحث حول عنوان نمط الانتاج الاسيوي أو نمط الانتاج ما قبل الرأسمالي . وهي جملة من التحاليل تحاول ربط الحاضر بالتاريخ وربط التاريخ بالرأسمال الثقافي الذي يؤسس لكل منظومة فعل اجتماعي أو نتاج اقتصادي أي تنظير فكري محدث .لذلك ظهرت أبحاث متقدمة مثل قود لي موريس ([1]) وايف لاكوست وأندري – نوشي وغيرهم حيث وصلت بعضها إلى تفسير ذلك الوضع التاريخي بالديمقراطية العسكرية مختلطة بأنماط وعلامات أسيوية للتسيير والتصور.

تقدم نظرية العتاقة أو القدامة في تصديرات ل .فالنسي حيث تسمى هذا النمط نمط الانتاج القديم ومعناها أن الجزائر قبل الاستعمار كانت عبارة عن خلايا تقنية تعيش من بعضها البعض ([2]). بغض النظر عن تكاملية هذه المعايشة حيث تمكن العرب والبربر وقبائل المخزن والقبائل الصوفية من رصد نظام واحد داخلي وبنية واحدة ([3]) حيث مصادر الدخل والمعاش الذاتي من الضرائب والزكاة والهدايا والزيارات التي كانت تدفع إلى العائلات المخزنية أو المكلفة بالحماية والتعليم مثل الزوايا والكتاتيب القرآنية.أما الناحية الديمقراطية فإن القرية كانت تضم غالبا عائلات من جد مشترك وتجول في محيط حدود معينة ما يعني أن العصبية كانت قوية ومتماسكة تؤكدها مظاهر المعونة واعمال التويزة مع تكامل اجتماعي اقتصادي مع المناطق المجاورة في التجارة والتبادل وهنا كانت القيادة جماعة مقابل جماعة ولم تكن سلطة سيد على جماعة كما حدث في الوضع الاوروبي الغربي مما يعني أن التسيير السياسي لهذه الجماعات لم يكن مباشرا من طرف حكومة المراكز وأعوانها بل عن طريق ممثلي الجماعات الاهلية.

---

[1] موريس قودليه ش فورنيو أهود ريكور ،ش باران ،وج شنو، وي بواتو ،وس كنال ،وج ب فارنون

[2] Etude d'historie d'algerie : chentouf tayeb opcit /p 210

[3] نفس المرجع نفس الصفحة

وبذلك خلق هذا التضارب البنيوي في المجتمع أز مة تخلف رغم الارض الخصبة والمناخ المعتدل فكانت قوى الانتاج ضعيفة لا تلبي حاجات المجتمع المحلي مع أنه كان هناك نظام للرق أكثر اعتدالا وانسانية من مثيله في اروبا أو العهد القديم .وبذلك لم يتم اشباع فائض قيمة بالمعنى الاقتصادي الذي يضمن التطور الاقتصادي وإعادة الاستثمار المتجدد للرأسمال .وكلف تلك الجماعات غياب وسائل النقل والاتصال وقلة الرجال إلى نتيجة أخرى في التخلف مع أن نظام الحبوس والاوقاف كانت سائدا بقوة ليحمي الجماعات ويضمن للطبقات السفلي مجالا للعمل أو الانتاج مثلما كان يحدث في أراضي التابعة للمساجد أو لزوايا والتي كانت عبارة عن ملك عمومي بينما كان نظام الخماسة غالبا لا يوكل تشغيل سوى الخارجيين عن المجتمع المحلي ([1]).ولكن الملاحظ التاريخي المحلي يمكن أن يثير أمن هذه النظرية رغم ما فيها من تصويرات صائبة غالبا حيث ا لوضع الحضاري التكنولوجي لم يتمكن م ن الانتشار ومركز العلم لم تكن قريبة المنال كما أن ثقافة المعاش الذاتي والمحلي وجغرافيا العائلات لم تسمح بالحركة للكثير من القادرين .

المطلب الثاني – النظرية الاقطاعية المغاربية عند قاليسو

يرى قاليسو أن هذا الوضع كان يتحرك ضمن اسلوب إقطاعي ‘لكنه مخالف للإقطاعية الاوروبية بما كان يتصف من نظام طبقي واضح لأنه كان هناك وهم بالنظام الجماعي للمجتمع الجزائري قبل الاستعمار لأنه مرتبط بآليات استغلال داخلية تؤدي إلى ملكية منتوج العمل الذي يؤدي بدوره إلى الملكية الخاصة والاتجاه نحو الراسمالية ([2]) .

أولا – حيث سادت آليات علاقات انتاج كانت قرابية رغم أنها جماعية بحيث تحدد مجال نشاط الاعمال لا تمثله قوته إلا الأرض بصفتها وسيلة الانتاج الاولى وهي المؤثر الاول لتنظيم وتأسيس علاقات اجتماعية حسب توزيعها وإعمالها.والتي كانت ضحية تقسيمات متلاحقة وتجزيئات عبر التوريثات المتعاقبة تاريخيا .وقد كانت هذه المسطحات الجافة متجذرة في الثقافة المخيالية للتجمعات منذ العهود الاولى للجماعات مع أنها خضعت لتصنيفات ثقافية اسلامية بعد الفتح الاسلامي للمغرب حيث عرفت أشكالامن العرشية : أراضي الواقعة في الواد والتلول وهي شبه ملك مشترك وقروية قديمة أو ما يسميه ماركس الملكية البذرية **germanique**.وفي مناطق الرعي والجافة والجنوب كانت ملكية تسيطر عليها

---

[1] Tayeb chentouf– op cit 42/41

[2] Tayeb– ch– op cit p 44

العشيرة التي تضم عائلة كبيرة مالكة لها وهي من الملكية العامة او المشتركة القديمة .أما في المناطق الهامة أو الزراعية يسيطر نظام الملك وهنا ظهرت تخيلات بالعدالة من خلال سيطرة العائلة على الأرض ولكن إخلال السلطة السياسية أو الدينية جعل التمليك يتجه نحو الافراد.

1 -المدخل الثاني لنظرية غاليسو هو أن طبقة الفلاحين كانت خاضعة للعائلات الارستقراطية و هذه الاخيرة لأنواع اجتماعية انجزها التوارث الطبيعي للمال والتجارة وأخرى افرزها النظام السياسي للإدارة العثمانية من باشوات وآغوات وجنود والصنف الآخر كانت لجماعة الدعوة الدينية من الصوفية والطرقية([1])

2 -النظرية الثالثة : وهي نظرية وسيطة بين النظريتين السابقتين يقدمها أيف لاكوست وج دوكوا وهي بعيدة الاتجاه عنهما أي انها عن القدامة البنيوية والاقطاعية و أسلوب مضطرب .

المطلب الثالث نظرية لاكوست

فهو يرى الظاهرة من جوانب عدة – اولها –ا— ان المجتمعات المغاربية كانت شهيرة بالبنيات الديمقراطية العسكرية والتجارات الموسعة الممتدة بين جنوب الصحراء في ا فريقيا إلى بلاد الهند وجنوب اوروبا حيث الديمقراطية العسكرية ويشبه لاكوست([2]) حالة الجزائر قبل الاستعمار بالحالة البدائية عهد بداية انحلاله أي مرحلة نهاية المجتمع المشاعي وبداية مجتمعات الطبقات أي المرحلة العبودية في الفكر الماركسي الجدلي وهي حالة مركبة تفرض علاقات جديدة وبداية ترحال الانسان إلى الفضاء البعيد بهدف التبادل التجاري. والدليل على توصيف هذه المرحلة العسكرية أن النظام المجتمعي كان قبليا مغلقا يمنع انفتاح اقطاعي وجرى ذلك إلى غاية القرن 19 حيث كرس ذلك الاقتراب بالنظري ابن خلدون سابقا. ([3])

ب– الاتجاه الثاني لنظرية لاكوست يعرضها علينا دوكو([4]) حين يرى أن هناك سمات اسيوية في نمط الانتاج والتسيير الاجتماعي والاقتصادي حيث إضافة إلى النظام العسكري كانت هناك صفات اجنبية للحياة. حيث كان المجتمع الجزائري متخلفا جدا وبالتالي لم يكن هناك نظام سياسي ضابطا للحياة

---

[1] T.C hentouf op.cit p 45

[2] Lacost ,y, in t.chentouf p47

[3] T.chantouf :op.cit48

[4] T.chantouf op.cit p50

ولا دولة تقوم بوقف استمرار التجمعات الطبيعية للحياة القبلية هذا الوضع التي غيرته الاوضاع منذ تأسيس بايلك الجزائر بفضل الخلافة العثمانية منذ القرن السادس عشر .م **xvi.** ، حيث لا تفسد الخلافة النظام السابق بل ادمجته وربطته بدولات السلطة المركزية في العاصمة وسطنبول رغم أن ذلك بدأ ينقص قوة في هذه الخلافة. في حين كان في منطقة القبائل ملكيات عائلية صنيعة يستفاد منها بطرق مختلفة يتحكم فيها نظام القرابة ([1]) حيث ذلك لا يختلف كثيرا عن الاوضاع الشاملة في الوطن العربي والاسلامي حيث تفكك الخلافات السياسية أدى إلى ميوع البنية الاجتماعية والاقتصادية.

فالمجتمع الحاكم السلطوي القوي في عهد الاستعمار بعد أن وجد وضعا متفككا قد مثله ضباط الاستعمار وأرباب المزارع والتجار ورجال البنوك ' الذي كان يمثله غالبا اليهود ورجال المناجم وغيرهم من الموظفين والعلماء حيث كانت وسائل الضبط والقرار بينهم متداولة بالإضافة أن الاستعمار أخرج إلى الوجود طائفة غريبة من الزهاد وأصحاب الامتياز ([2]) من الاهالي محليا ومن المحتلين مما جعل الوجه الاخر من الاستعمار يتغير بوجه آخره مما كلفه تغيير الذات أخلاقيا وروحيا ([3].)حتى اندمج في ثقافة التخلف و فكك رموزها وتعامل بها وتمكن من السيطرة التامة طيلة قرن وربع .

المطلب الرابع تحليل النظرية الغربية ,حول المجتمع المحلي :

يقوم الدين و القيم كعامل أساسي في تسيير التجمعات البشرية و ذلك يظهر بصفة جلية في كل الانساق الاجتماعية – و بذلك يقوم الدين بترتيب القيم و تنفيذها على كافة المستويات الاجتماعية و بذلك يشكل الدين عامل تماسك و عامل تضامن آلي . و بالتالي تظهر الآثار النظرية التي قدمها هانوتو ، و لوثورنوا (4) –1872 حول منطقة القبائل ، و دراسات ماسكا راي حول السكان في الجزائر على أعمال دور كايم في نظرية تقسيم العمل و الوظيفية التضامن الآلي التي طبقها على المجتمعات الهالكة قديما وقد زاد في تطوير النظرية الأبحاث الأنكلوسكسونية مع أعمال بريتشاد **(E.P)** و**(E.G)** غلزر حيث طبقها الأول على قبائل النوير والثاني على المغرب العربي .

---

[1] I b i d : p51

([2]) جيرتز إ،الاسلام من وجهة نظر علم الانسان ترجمة ابو بكر باقادر ط 1،دار المنتخب العربي بيروت 1993

([3]) – جيرتز،م س ، ص 73

[4]– ليليا .بن سالم : التحليل الانقسامي في مجتمعات المغرب الكبيرفي مجلة المستقبل العربي م س

وقد تم توضيحه ا أكثر لدى- أرنست غلنر- حول سكان المغرب الأقصى، حيث وجد أغلب السكان ينتمون إلى ولي صالح مقدس يمثل – تابو- في النظرية الأنتربولوجية كما يمثل –تابو –محرم يقول باحث "إن المجتمعات الانقسامية هي المجتمعات التي تتشطر بصفة لا متناهية بحيث إن الأجزاء المتولدة في هذا الانشطار تتشابه فيما بينها ويعاد إنتاجها باستمرار وهي قادرة على الانصهار والاتحاد قصد خلق مجموعات أكبر" (1)

إن هذا التفسير لا بد له من مرجعية علمية ترى أن الجماعة الأولى التي كانت تشبه القطيع هي أول جماعة بشرية ثم تطورت إلى مستوى أعلى هي العشيرة عندما توسعت 2 وخلقت شعور الترابط . فمعنى الانقسامية في هذه الحالة يحيلنا إلى جماعات متكاملة في تكتلات تتشابه في ما بينها مثل الحلقات المتتالية ، ويمكن تسمية الكتلة عشيرة ، باعتبار هذه الصيغة تعبر عن طبيعة مزدوجة عائلية وسياسية في آن واحد "3 حيث تلعب رابطة الدم والقرابة دورا أساسيا بالإضافة إلى التقارب الاجتماعي . و بذلك اتصف المجتمع الانقسامي بخاصيات منها: ضعف تقسيم العمل و ملكية جماعية –سلطة عائلية – وعى واحد – وازع ديني له وظيفة ضبط القيم والسلوك ... و هذا يفسح مجال التفسير أمام تناقضات نظرية بين عدة علماء . ولكن يبقى التصور العام أن ميزة النموذج الانقسامي ، هو الطابع العشائري في الحياة وتسييرها أو بمعنى عدم تمركز السلطة..." (4) .

فالسلطة مظهر قائم بحد ذاته في النشاط والعمل والسلوك ، ويميز التضامن الآلي الذي يسود المجتمعات البدائية والعشائر التي تتميز بالانقسامية . " كما يرى سالم لبيض وبالتالي ترجع هذه الأفكار إلى نظرية العتاقة –**Archaïsme**–التي يقدمها فالنسي على المغرب العربي مطبقة ذلك على نمط الإنتاج والعلاقات الاجتماعية . أما فالنسي ترى أن المجتمع التونسي كان قبليا انقساميا بنسبة 50 %ويؤكد ذلك البحث عما هو مظهر سياسي أو اقتصادي أو تاريخي بألفاظ نسبية .."(5)وقد تم كذلك بطريقة موازية على الجزائر من طرف الثلاثة المعروفين ونظر لها دور كايم لأن فرنسا كانت تسيطر

---

[1]– Hanoteau / Le tourneaux : La Kabylie et les coutumes kabyles

[2]– مختار الهراس : التحليل الانقسامي للبيانات الاجتماعية في المغرب العربي في : نحو علم اجتماع عربي –266

[3]– دور كايم : La division sociale du travail 8ème Ed –Paris P.U.F. 1967 P98-102

[4]– P.PASCON : Segmentation et Notification dans la sociale rurale Marocaine ESH – P107-108

[5]–Valensi 4 : Fellah Tunisien aux 18/19 siècle P58

على العلم والبحث العلمي– إلا أن بعد حالة الاستعمار قام غيرهم بتصنيف المجتمعات قبل الاستعمار مثل —**Suret Canal**و حتى لوسري فالنسي وغاليسو(1)

ومن حيث رقد النظرية الانقسامية يرى البعض النظرية الانقسامية نظرية استعمارية هادفة إلى السيطرة مبنية على الاستعلاء والمركزية الأوروبية – مستفيدة من البحث الإستشراقي التقليصي. فنجد عبد لله العروي يرى أنها متناقصة ؛ لأنها لا تنطبق على المكان الآخر المدروس ؛ غير الأصلي مثل ما طبق على الحركة السنوسية في ليبيا ، حيث أن المغرب الأقصى حالة غير مشابهة لحالة ليبيا . ويرى آخرون أن الانقسامية تعميمية أهملت الخصوصية الجزئية لكل مجتمع إقليمي مثل علاقة الدولة المركزية ببعض القبائل الطرفية المحيطة مثل ما في المغرب ، وما يربطها من أنظمة تكامل اقتصادي وعقود إسلامية و جباية وضرائب وجزية وزكاة إلى جانب الملكية الخاصة وتغلب شعور بالقبلية والعصبية المحلية و السلالية . أما الهراس(2): فيرى أن نتيجة التضامن الآلي عند دوركايم لا يمكنها التحقق عند معرفة تلك الخاصيات الجزئية لكل تجمع. أما الأستاذ غاليسو **R.Galissot** فيرى

–اولا–أن المجتمع أن فالنسى غير دقيقة في بحثها حيث هي ترى أن المجتمع المغاربى يتميز بركود القوى الإنتاجية قبل الاستعمار–

وثانيا –لا يمكن الحديث عن طبقية في الجزائر لان المجتمع كان مركبا من خلايا إثنية عرقية منغلقة. و كل جماعة لها حد مؤسيسى وله عدة(^{3}) عائلات ولها فضاء واحد نسبتا إلي ولي صالح.

–أما ثالثا – لا يمكن اعتبار النظام الإقطاعي صنف هذه المناطق لان الإنتاج وتمثل الحبوس والأوقاف الدينية وحتى العمومية التابعة للمركز كانت منتشرة في مناطق السلطات ونذكر 0/10 والملكية في قسنطينة هناك عدم انتشار الخماسة –لأنهم ليسوا جزء من قبيلة فهم 0/20 فقط وسكان الريف – ضعف عدد سكان أقل بثلاث مرات عن 1969

---

[1]– R.Galissot opcit

[2]– العروى ع –نقد الاطروحة الانقسامية–في الانترلوجيا والتاريخ ص129–علي سالم لبيض م–ع ص80

[3]مختار الهراس –التحليل الانقسامي للبريات الاجتماعية في المغرب العربي ص28

ورابعا – ساد نظام غير إقطاعي بين السد وا لواحات وكان الإنتاج والعمل قائم على التعاون والمصلحة وتبادل الأدوات و المنتوجات و الحماية يوفرها مجموعات خاصة وليس السيد .

الباب الخامس: دخول الإستعمار ومجتمع المقاومة

الفصل الاول **دخول الإستعمار والوضع العام**

الفصل الثاني **مجتمع المقاومة والعلاقات الجديدة**

الفصل الأول: دخول الإستعمار والوضع العام

تمهيد

يمكن أن نتكلم بعد المرحلة العثمانية عن مجتمع المقاومة مباشرة ,و هذه مرحلة ظورلة بدورها وليست فقط عمليات ثورية و جهادية للمواجهة و التحدي .فهذا المجتمع هو حركية دائبة و مستمرة حتى الحرب العالمية الأولى ،حيث حينها كانت فرنسا قد كرست ثباتها وادارتها في الجزائر و بدأ ترويع الشعب الجزائري بالحملات الألمانية و الفوضى العالمية المتوقعة و المجاعة و التشرد .فنجحت في ذلك و حققت نصرا كبيرا لم يطول و انتهى بثورة الفاتح نوفمبر المنظمة و المعصرنة في سيلستها و تنظيمها و وسائلها فكانت المفصل القاطع لدولة المجتمع التقليدي ودخول عهد الحداثة و التراتبية الساسية البيروقراطية الحديثة.

المبحث الأول حيثيات المواجهة الأولى مع الإستعمار

المطلب الأول ظروف الوضع الداخلي و بداية المقاومات

انظرا للاختلاف الجغرافي للجزائر .فقد وجه الاستعمار جهوده الأوللى نحو التلول الفلاحية ،و هي المساحة الممتدة بين العاصمة و وهران .مما أدى الى تجند مجتمع كامل من المقاومون قادها سكا ن العاصمة ثم المتيجة . لقد قام بالمقاومة الأولى في العاصمة في 5 جويلية 1830 الطبقات المتوسطة و الفلاحين و سكان الأرياف وعموم الشعب ومن القرى الكادحين، وفي المقابل بقي رجال المخزن و الإقطاعية الفلاحية في تذبذب أمام قوة الحديد والنار . ورغم المعاملات التجارية التي حاصلة قبل الاستعمار وخاصة في سواحل عنابة و جيجل و القالة و ا لعاصمة من خلال بوضربة و بن دران و بوشناق .

لهذا لم يجد اتباع البايات خيرة من الحلول و لم يقرروا الأمر الثوري حتى عام 1832، فقد كان أغلب الزعماء بعد ثبات و نجاح الاستعمار في العاصمة، في يد الاستعمار بسهولة ([1])، حتى المقراني و التجانية و بعض الم نتخبين لحفظ مصالحهم وجماعاتهم،وحفظ الاساسي ومصادر الوحدة والتراث ولم يكن ذلك انغماسا حلوليا في الاستعمار ، لكن باي قسنطينة الذي شارك والتحق بثوار العاصمة من الايام الاولى و بومزراق في المدية قادوا في اليوم الأول برفض قطعى مواز حالا،

---

[1]– الأشرف، م س، ص54.

لذاوجدناهم يعملون لحي اة الضرائب و أمن العشائر التي يتواجدون فيها أو كانوا يحكمونها في العهد العثماني.

لذا كانت لإقطاعية الجزائرية وملاك العقارات الفلاحية الحضرية من التواطؤ مع الاستعمار حتى و لو كان ذلك محتما عليهم يرضى أو غير رضى، لكن الظلم الفرنسي و الأوامر التي كانو ا يتلقونها، كانت جد محرجة ووخارقة لحقوق الإنسان آنذاك، مما أدى بأغلبهم للثورة وتحريك الضمير الشعبي للمقاومة كما فعل الأمير عبد القادر وزعماء العاصمة قبل ذلك . وبعد التوغل المتوسط ، سي سليمان بن حمزة في الجنوب الجزائري في ورقلة و البيض عام 1864، رغم انهم كانو متعاملين معه أول المرحلة مثلما فعل المقراني ' حيث المناطق الصحراوية و الجبلية صعبة و قلة السكان وقلة الوسائل . بينما نجد أن الأميرمن حين بدايته عام 1832،في وضع عكس ذلك ، منح الروح القومية و الشجاعة الأدبية للبعض من كل رجال المخزن العثماني المتواطئين مع الاستعمار من الإنتفاض ضد الاستعمار ورفض الظلم لأنهم ذاقوا الإجحاف و حتى مع رأسمالهم الرمزي المتمثل في المراتب العسكرية و السياسية و الإدارية و ملكياتهم الإقطاعية و العقارية، التي أصبحت مهددة بعد رفضهم للإحتلالي، رغم تقربهم لثورة الأمير في 1832 و 1833 إلا أنهم قد تنازلوا عن ذلك في 1834 بعد معاهدة دي مشال، وقد ساد الشك لدى الأمير.

ظهر التناقض الاجتماعي إثر الخلاف السياسي داخل الطبقات الأساسية في المجتمع الجزائري، من ذلك نكتشف مواقف وطنية من طرف حمدان خوجة و بوضربة كجهة ممثلة للإطار الإداري و السياسي الجزائري و أحمد باي كممثل سلطة سابقة ووطنية، بينما نجد التواصل واضحا بين جماعات القوى التجارية مثل بوشناق و بكرى الذين كانت لديهم علاقات سياسية و تجارية قبل دخول الاستعمار. لذا غلبت روح الكفاح المسلح على السياسة، لدى المناضل الوطني الجزائري الذي فهم الرسالة من أول يوم الاحتلال العاصمة و جوارها، رغم أن إستراتيجية التحرير و المقاومة لم تكن واضحة سوى محاربة الأجنبي، بينما لم تكن معالم الدولة و الإيديولوجية واضحة.

المطلب الثاني العلاقات الجديدة بداية الاحتلال ([1]):

إن الأزمات الاخرى التي ظ هرت في فرنسا وخاصة ثورة 1848 ونتائجها الخطيرة جعلت الجزائر تعيش أثار ذلك رغم أن البناء الاجتماعي المؤسس على القبيلة كان لا يزال قائمة وكان التوغل

[1])- عدى الهواري (ن م س) ص 71

الاستعماري لا زال لم يشمل كافة الجزائر .لقد كان الفلاح يعمل بطريقة إتباع محلي ويتبادل بالمقايضة وكان في حماية ا لقبيلة، ولكن مع بداية 1863 وظهور قانون (**Scenatus / consult**) الذي فور مصادرة الأراضي وتفكيك الملكيات الكبيرة إلى قطع وبالتالي تفتيت الجماعات والدواوير والأسر والعائلات وبالتالي تفكيك العلاقات من هنا ظهر إرتفاع الأسعار أحيانا وهبوطها أحيانا أخرى وخاصة الح بوب، لذلك بدأن النظام الذاتي للاستهلاك والإنتاج قد أفشل العمل الفلاحي في الجزائر وجعله ضحية دخول العمليات النقدية والمصرفية النظامية في إطار النظام الرأسمالي . لقد كان التبادل التجاري سابقا يتم بالمقايضة العينية، وقليلا بالذهب في المناطق البعيدة الغير مم كنة أو غير مربحة، أما بعدها فرض الضرائب ودخول الرأسمال الأجنبي حتى تكونت المصارف لأن الاقتصاد السابق كان إنتاج ذاتي معاشي وقد تحول إلى نمط مفتوح على الخارج، وبدأ بيع القمح والحبوب إلى الخارج ولكن بأثمان منخفضة من خلالها تحول فائض القيمة المحلي إلى الرأسمال الأجنبي. لذلك يقول عدى:

كان النقد علاقة إنتاج اجتماعية- يخضع الفلاح الجزائري المستعمر للتاجر الأوروبي، ويسمح بإنتقال القيمة التي يخلقها عمل الفلاح، من جراء ذلك، كان النقد يخص أولية إستغلال (1).إن قراءة بسيطة لهذا يقول تجعلنا أمام تفسير ماركس متطور ولكن يوضح تفاعل بين الإنسان والنقد إن المال هو نفسه منتوج صناعي، فهو بذلك يساهم في تطوير الاقتصاد المحلي حسب عدى (2)، ولا يمكنه تدميره وبذلك يسيطر على أسلوب ما قبل الرأسمالية ويفرض قيمة ومرتكزا على قوة عمل –هادفا إلى إعادة إنتاج إجتماعي في ظل تناقض تاريخي .إن التطور التاريخي لفرنسا داخليا وضمن البورجوازية الصناعية الأوروبية المتفاقمة، والتحول التاريخي للجزائر ضمن نمط رأسمالي لا يقبله التراث المعنوي للشعب الجزائري،ولا يقبلها الو عي الوطني .

ان الرأسمالية الصناعية لم تكن تصنيعة في الجزائر وإنما لتجميع ال مواد وتهيئتها للتصدير والتعامل المحلي، فالوضع بداية الإحتلال حتى 1863 كان أزمة محلية في فرنسا وتدفق أوروبي على الجزائر وهجرة الفلاح الجزائري من ارضه نحو المدينة وأوروبا ونحو الجنوب الجزائري خوفا من القتل والمتشرد والتفقير والتعرض للظالم الكولونيالية ." بذلك كانت سنوات 1845، 1867 ، 1868 سنوات القرار في تسيير الكولونيالية في الجزائر وحيث تعرض النظام التقليدي في الجزائر إلى وإضطرابات

---

[1])-عدى هواري – (م س) ص 71-72

[2])- (ن م س) ص72.

وإتضف بالتوازن والتوتر وتهتك في البنية وشهد أزمة كامنة تشكل عوارضها عوارض التخلف الاقتصادي " (1). لقد كان ذلك بسبب القوانين ال عقارية وحجز الاراضي وفرض الضرائب وتهجير السكان، مما أدى إلى نقص الغذاء وسد الحاجات الاجتماعية من الغذاء والحبوب وأدوات الحماية واللباس والغطاء والمأوى والحاجات الأساسية للحياة.

المطلب الثالث الأزمة الكولونيالية: ثورة من الداخل

خلقت المقاومة الوطنية تعثرات ازاء الحركية التاريخية للمجتمع الكولونيالي في الجزائر و فرنسا نفسها ، كانت أزمة اجتماعية ظهرت بين الكولون سنة 1898 ، كان ضحيتها اليهود ، حيث طلب هؤلاء الاستقلال ، مما خلق تدابير إدارية أكثر من الجزائريين وقوى مهيمنة مثل الكولون الفرنسي كما شاركوا في المجلس العالي ومندوبية المالية وغيرها ([2]). ومع ذلك فقد كانوا شاعرون بالمرحلة وعدم الاستقرار رغم أنهم أقلية ، رغم أن بعضهم ومن الكولون الجدد ، كانوا من ثوار سنة 1848 التي غيرت الوضع والاجراءات وأنتجت الجمهورية الثانية في فرنسا ووفرت فرصة إدماج أقصائي للجزائر لفرنسا ، بعد سقوط ثورة الأمير، مما دعى إلى مواصلة المقاومة في ثورات جديدة.

إن التوثيق التاريخي لهذه المرحلة كان مشبوها بالإنحياز والعسكرية البحثية ، مما حفظنته وثائق **aix en provence** ([3]) ، وأرشيف السين .في باريس ، حيث كان الضباط يسجلون أحداث القوى الكولونيالية ، وكانوا من الفئات الدنيا وأقل سلطة من الأخرين . فقد تأثروا بالفكر الاشتراكي حيث رفض بعضهم التجند لعسكر الكولون منذ 1848 مثلما حدث في اجراءات بيجو لخلق جنود مزارعين وحماة الوطن الفرنسي والمعمريين ، وبالتالي وجد الأقدام السود وضعهم في حالة جزا ئر الاسلام ، وفرنسا المسيحية ، بينما كان أغلب الأقدام من اليهود مما جعلهم يقفون بين موقفين .

لقد كانت ثورة 1848 حركة تجديدية مثيرة جعلت المعمريين الذين جاؤوا بعدها قوة فاعلة لها خاصية محددة ، وخلقت من أجلهم قوانين سريعة ، وبعدهم تم الاستيطان أكثر وتم الح صول على 2/5 من أراضي الفلاحة الجزائرية حتى الجمهورية الثالثة ([4]). لقد تزايد الانفصال والصراع داخل النظام

---

[1])- عدى (ن م) ص 75.

[2] فريديرك أبيكاسيس و جيلييار ميني،م س ،ص140-

[3]م س – ص 145/144-

[4])نفس المرجع السابق ، ص 145-

االكولونيالي من مرحلتة حديثة ، حيث نشأ ذلك حين الحرب العالمية الأولى ، حيث كان تجسيد الجزائري والاسباني والهندي وغيره م ثار نقاش وخصام ، رغم أن فكرة حقوق الانسان قد بدأت تتكرس مع فكرة تقرير الشعوب لمصيرها ، كما ظهر مفهوم (الاقلية الإثنية)([1]) مما ساعد على إثراء الحركات الوطنية والاستقلالية ، كما ساعد ذلك حركة من المبشرين تعاطفت مع الأهالي مثال ما قام به لويس ماسين يين في بلاد الطوارق ومن خلال كتبه ذات النزعة الانسانية.

وحتى الحرب الثانية كانت فرنسا تشجع الهجرة ، وبعد بداية الحرب الثانية ثم اللجوء إلى اليد العاملة والمجندة في الجزائر عوض الإيطاليين والألمان والاسبان الذين دخلوا في حرب و كانوا محل شك فرنسي. لقد حددت بعض القوانين المعاصرة للدولة الفرنسية كيفية التعامل مع التاريخ من خلال إتجاه الأشخاص والمواقع والثقافات ، الشيء الذي ترك أثاره و فلسفتهالى اليوم مثل ما حدده أخيرا قانون **c.gayssot** الذي يهدف إلى وضع تعليمة مضمونها قمع كل فعل عنصري أو ضد السامية والأجانب ، وذلك في 23 جويلية 1990 ، والذين أضا ف مادة من قوانين 1881لتاريخ 29 جويلية الذي حدد حرية الصحافة وكان الهدف من ذلك نقد الجرائم ضد الانسانية([2]).

إن تضارب القوانين وإختلاف ظروفها ، قد شكل مصدرا آخرا للأزمة الكولونيالية ، لذا نجد أن قانون 1851 حول الملكية العقارية قد خلق تموقعا جديدا للكولون في بلاد الجزائر ، وزاد من الصراع ([3]) العقاري بين المستوطنين والأهالي لأنه جاء ليضرب فواعد تقليدية لتقسيم الأرض وخدمتها ، كما قضى على نظام عقاري متوارث من العهد العثماني الذي كون حالتين عن العقار منه العقارات المملوكة وأخرى غير المملوكة سواء كان خاصا با لأفراد أو الجماعات او أملاك عرشية أو اراضر موات غير واضحة الانتساب .

بينما نجد قانون 1889 الذي نص على الجنسية للمواطن الفرنسي والجزائري والكولون من الإيطاليين والاسبان وغيرهم فقد كان ذلك مدونة حلول لبعض الثغرات حتى أوجدتها القيم الكولونيالية الجديدة ، ولكن نجد أن بعض المستوطنين أكدوا بعض المقاومات إتجاه الفرنسة والمواطنة الفرنسية. لذا تم بعض الاحيان استيلاء غير قانوني على الأرض من طرف الادارة الفرنسية نفسها و الكولون حيث

---

[1]) –نفس المرجع ، ص152–

[2])– ف أبيكاسيس و ج ميني ، ص156.–

[3]) – ف ،أبيكاسيس /مبني ج ، نفس المرجع السابق، ص174–

قامت الحكومة ببيعها أحيانا ومنها خلقت أ زمات أخرى واظطرابات في المواقف . ومن ذلك وجد النظام الجبائي أزمة بحيث رفض الفلاحون و الملاك القيام بها وتقديمها للاعيان و القياد لجمعها وتنظيمها حتى أن بيع المنتجات الفلاحية داخل الجزائر تم استغلال أموالها في البنوك الفرنسية ([1]) واخراج هذه الأموال نحو فرنسا الام وراء البحر بدون الاستثمار في الجزائر ، في حين كان الكولون يحجز حتى آلات الموسيقى وتحويلها إلى فرنسا و يستولي على العقارات بالعنف .

إن أزمة البنية الديم غرافية ظهرت بشكل آخر ، اتجاه المجتمع و الادارة ، حيث نجد ثلاث جنسيات متواجدة في الجزائر المستعمرة ، منها الفرنسي ، والأوربي عام ة التي مثلها الايطاليين ، المالطيين ، البولونيين ، الاسبان وغيرهم ولكن بقي العنصر الثالث ص احب الأرض ،المواطن الجزائري ، بعيدا عن كل تقييم وتقدير ولا استشارة. لقد أغفل قرار فان 8 جوان 1851 الأملاك الجوفية والاشهار في حين طبق هذا القانون نفسه في فرنسا ذا تها مع أن السلطة الاستعمارية كونت مركزية قوية بين الضفتين للمتوسط تحميها قوى أمنية وقضائية واحدة رغم الاختلاف.

لقد تواصل الهجوم الكولونيالي ، فجعل حتى أملاك الوقف والعرش أملاك للوطن الفرنسي وتم بيعها والتحكم فيها ، كما تم تحويل ([2]) بضائع الفلاحية إلى م ا وراء البحر في حين كان المواطن الجزائري وفي ظل الجوع ، كان بعيدا عن أي قرار رغم دخول بعضهم إلى المجالس النيابية في الجمهورية الثالثة نهاية القرن التاسع عشر ، فما سماه بعضهم مرحلة جرأة نيابية للبرلمان الفرنسي ولكن ذلك كان شكلا فقط ([3]) ، حيث كان مظهرا للتعايش ملتبس فيما يخص من جهة الممارسات البدنية من حيث اللباس والترفيه والنشاطات الرياضية ومن جهة أخرى في مسألة التجنيد العسكري ، أصبحت في الأوساط الراقية الجزائرية المحاكاة برهانا لحسن النية لاسترضاء المعمريين ولفتح السبيل إلى عصرنة تمكنهم من منافسة الأوروب ين في ملعبهم ([4]). في حين كان المعمريين لا يشكلون مجتمعا مثل الجزائريين ، فكان بينهم صراع على السلطة والثروة والمكانة وخلق لهم اليهود أزمة أخرى في الصراع بين سلطة باريس وإدارة الجزائر في نهاية القرن 19في كافة المجالات .

---

[1]–)نفس المرجع السابق، ص174

[2])–كاسيس اج مبنى ، نفس المرجع ، ص175–

[3])–نفس المرجع ، ص176–

[4]–)–نفس المرجع ، ص176–

المطلب الرابع الممارسة الكولونيالية و إعادة هيكلة

رغم التطور الصناعي والتنظيمي للاستعمار ،إلا أنه حاول بكافة الطرق لإخضاع الأرض والإنسان ،لسياسة خاصة هادفة إلى إخضاع وقابلية الاستعمار .فحاول لإعادة تقسيم الأرض والأملاك وإعادة هيكلة القبائل ،وإعادة تقسيم الأرض والأملاك وإعادة هيكلة القبائل ،وإعادة إنتاج قيم ثقافية قديمة وهالكة ،لذلك قرر مجلس الأعيان في يوم 22 أفريل 1867/1863 ،تأسيس الملكية العقارية وتكوين الملكية الفردية وتشكيل – الدوار على قاعدة بقايا القبائل المفككة بفضل الحرب .

((إن نصف البدو من سهوب جنوب أورانيس – **l'oranais** – هم أولاد سيدي أمحمد ،ونصف البدو أولاد عامر من أولاد نايل ،يقدمون في الخريف زراعة الحبوب في ضواحي الحضنة)) .ومن خلال هذا الاعتراف التاريخي الذي يعلنه عدي الهواري يمكن أن نلاحظ تقسيم جغرافي عقاري على المستوى الجهوي لمنطقة الوسط والغرب ،وهذا طبق الوثائق الفرنسية طبعا .

إن ممارسة فرنسا كانت هادفة واضحا إلى إعادة هيكلة نمط الحياة الاجتماعية وبالتالي الوعي الاجتماعي بكامله وتحويله من النمط الإقطاعي والقبلي إلى النمط الرأسمالي بواسطة تغيير التشريعات القانونية للملكية والبيع والشراء وفتح مجال النشاط والإنتاج الرأسمالي لصالح المعمرين أولا ،وثانيا لتكوين الدوار – كتجمع رفي فلاحي – بتفكيك القبيلة والرابطة العائلية ،حيث الدوار – هيئة إدارية .لقد تناهى للعيان ، أم ذلك لا يتماثل مع القيم العلمانية الفرنسية و الغربية ولا تحافظ على القيم المحلية الأهلية ، لذا نجد أن التركيب الجديد هو تأليف خاضع لتمثيل سياسي مرتبط بالسياسة الاستعمارية لذلك نقرأ أنه كان هناك ([1]) .

طبقة الكولون

طبقة الباشاوات و مشايخ العشائر لااهلية

طبقة الاهالي و عمال الكولون

المهجرين و الملاحقين من المقاومة

الادارة و مراكز المعمرين

---

[1])- عدي الهواري ، نفس المرجع السابق ص 79-80

ب– المراكز الإداريةِ : إنشاء البلديات ، دوائر إدارية المكتبة الفردية الرأس المالية وبكنه خاضع لنظام خاص هذا الدوار كلف عليه شخصية مدينة كموظف و حاكم إدارية – مستقل – بصفة مدنية و متحكم في التسيير المالي .ولكنه لا يحكم لوحده ، بل بمساعدة مجلس مختلط من المساعدين وزعماء محليون و قضاة يرأس هذا المجلس الإستشاري هيئة البلدية ، و يتألف من منتخبين محليين و أوربيين من الجماعة الأهلية و القروية حتى المدنية التي لها علاقة ملكية عقارية بتلك الأراضي

بذلك يمكن أن نفهم – القضاء المختلط – الذين أوجدته فرنسا ، يضم أكثر من 80 ألف ساكن ، يظم داوير متعددة و متقاربة ، يربط بين عائلات كثيرة ملتحمة تحت الروح القبلية دمويا و اجتماعيا بالاضافة إلى مجموعة مراكز الأوربيين المتسلطة على الأراضي الخصبة ذات المواقع الاستراتجية ولكن الفرق يبقى واضحا مع مجمعات التي يسيطر عليها المعمرين الكبرى مثل الجز ائر ، وهران ، قسنطينة .أما هذه التجمعات ذات القضاء الكامل ، تكونت حسب قانون 1894/4/5 وهو نسخة عن بلدية فرنسا سوى أنه يضم مسلمين غير منتخبين من العامة العربية ، وجعلهم المعمرين الأكثرية المتسلطة ، بينما نلاحظ حضور قليل للمعمرين للمعمرين في القضاء المختلط . أما من الناحية سلطة القرار و الملكية ، فنجد هيمنة إقتصادية أوربية من القضاء الكامل ، أما الدور فقد بقي بصفة مجتمع قليل السكان ينبع الفضاء المختلط و المقاطعة الإدارية للسلطة الإقليمية .

– الدوار لقد ، يضم عدة قبائل التي كانت تتقاطع في علاقتها الاجتماعية و السلالية و و الإقامة الجغرافية عبر الزمن وتوطدت علاقتها زاد تركيبها مع انضمام أعدادا من المهاجرين و الخدم العمال لها فالقبيلة ، كانت تتكون من عدة فرق لذا انضمت القبائل 1/– دوارت : بعد قرار مجلس الأعيان السابق 1863/04/22 و بعد ما تحولت الدواوير إلى قضاء مختلط ([1]) وقد كان الدوار يظم منازل وخيام وغوربيات من الطين و الحديد .بينما نلاحظ قبائل اخرى ، لم تشكل دواوير بل تم الحاقها الى مواقع الكولون مثل قبائل :عبيد في ذراع الميزان وبني ثور في دلس ،او شنوى في شرشال ،او موزايا في العاصمة .لذلك يمكن ان نلاحظ احد رموز المؤرخين وعلماء الاجتماع الاستعماري وهو معروف بحياده وهو جاك بيرك :يقول : "ان بعض الجوانب هي المعروضة او الرمزية

و تم تسيير المرحلة الأولى عسكريا بفضل إدارة مركزية ويعدها بالتعاون مع المكاتب العربية التي تم إنشاءها بعد نهاية المقاومة واستقرار الاستعمار ، رغم أن بعض الدواوير بقت تحت إدارة عسكرية مباشرة

---

[1])– عدى هواري مرجع سابق ص 80

وقد تم تقسيم بعض القبائل إلى أكثر من دوار وحتى إلى أربع مثل قبيلة عطاف (1) وبعدها ثم إلغاء المكاتب العربية وتم جمع الدواوير في قضاء مختلف بعضهم في وضعية تابع لقضاء مختلط وآخرين في قضاء كامل (فضة أعطا ف) ومع تطور الزمن وتطور العمليات الاحتلالية وسيادة الشك من الأهالي ونشوب لإضطراب الأحيان تطور القضاء المختلط إلى قضاء كامل بعد سنوات مثل قضاء البراز وقضاء سان سيبريان .كما إنقسم قضاء فضة إلى قضائين مختلطين مثل شلف والأبراز .

وفي سنة 1884 إنقسم دوار فضة إلى جزء مختلط مع البراز وجزء آخر في القضاء الكامل مع وادي الفضة(2). بينما تقسيم القضاء الكامل أحيانا إلى قضائيين كاملين لتشعب المصالح وكثرة السكان– مثل سان سيبيريان عام 1892 إلى سيبيريان وروينا وفي عام 1921 تحول قضاء سان سيبريان إلى جزء في قضاء العطاف الكامل وتم إلحاق الجزء الأخر بقضاء كارلو الكامل (3).وكان وراء ذلك غالبا التحكم و تسيير النظام العقاري و الاراضي الفلاحية و نظم العمل الاجتماعي وحرية النشاط في كل المستويات .

وقد تم تنظيم النشاط الإستعماري والاداري فاعلة حسب مصلحة الإستعمار . فإدارة الشعب المحلي ،لم يكن منذ دخول الجزائر مجرد عسكر وقوى إحتلال، ذات إتجاه واحد في القرار، وكان تنظيما مترتبا، حسب مقتضيات الدولة الفرنسية و راء البحر، رغم الإختلاف الذي سوف يطرح في الثقافة و التقاليد و الدين و اللغة، القضاء ووضعية التسيير التي كانت سابقة، لذا كانت دولة الجزائر المستعمرة وراء البحر، دولة أخرى ذات نظام فرنسي مع بعض الإختلافات.

لقد بادر التنظيم الإستعماري إلى تطبيق هرمية إدارية و سياسية تسهل التحكم في تسيير هذه المقاطعة الكبرى في الامبراطورية الإستعمارية رغم أن الهدف العام كان كما يقول رئيس مج لس قضاء العاصمة: " ماهو هدفنا؟ إنه إحتواء الأهالي عندما يقدم شعب من الشمال للإقامة في بلدنا، فإنما يفعل ذلك للمكوث، قد يثور العرب و لكن سيتم إحتواءهم "([4]) وهي الكلمات و العبارات نفسها التي نجدها عند رجل قانون (غير معروف و معرب) في كتيب نشر عام 1871: " لا يمكن مقارنة مجتمعين يختلفان في الاخلاق، في الأفكار و في الدين، ولا يتم ذلك إلا عن طريق إحتواء مجتمع داخل الآخر .

([1]) –عدى هواري–ن م–ص84.

([2])–هواري ن.م ص86

[3]Accardo (A) : Répertoire Alphabetique des tribus et douar de L'Algérie, Alger1879.

[4])––دي مينيرقيل: تاريخ14 ديسمبر 1871، إقامة اللجنة التشريعية ،في أحمد مهساس، ص14.

المبحث الثاني الوضعية الاجتماعية

المطلب الأول أنظمة العمل التقليدي في الجزائر

رغم ان تاريخ الحركة النقابية فـي الجزائر لم يظهر الا مؤخرا ,لكنه كانت له بدايات في عهد الاستعمار منذ اللحظات الاولى .حيث بعد تاسيس النقابات العالمية سنة 1884فان ظهورها في الجزائر كان سنة 1887 بفضل عمال الحديد و المناجم والفلاحة و رغم ا خـتلاط الجنسيات في الموضوع من طليان و مالطيين واسبان وفرنسيين ا لان الجزائري كان فاعلا ضد الظلم و الحيف و الاستعب اد لدى الجيش و الصناعي و الاقطاعي الاوروبي .كما واصل الجزائري نضاله حتى بعد دخولهم لفرنسا للعمل و خاصة بعد تنظيم منظمة س جي تي /**cgt** العمالية الفرنسية.

أما سنة 1892 فقدظهرت حركة اضراب تمزغيت لحقها برنامج بوجي ‘م الذي دام فترة طويلة ام سنة 1848فقد برز استقلال الجزائريين في قرارهم عن النقابة الفرنسية و الت كان روادها من الحركة الشيوعية خاصة بعد ازدهار الاشتراكية في العالم .مما زاد التطور النضالي العمالي و الةعي التنظيمي و السياسي للطبقة المتعلمة قليلا .فكانت أن تبلورت اخيرا في جماعة عيسات ايدير .

ففي سنة 1956فقد استطاع ايدير عيسات تأسيس النقابة الحرة الاولى في الجزائر المستعمرة وقد ساعده في ذالك بوعلام بورويبة و اخرون .ولكن توقيفهم سنة 1957 و توقيف زعماء الحركة ولكن الجزائريين واصلو ا النضال في داخل فرنسا نفسها بفضل ودادية عمال الجزائر في اوروبا بفضل محمد يزيد و صافي بوديسة واخرون من جبهة التحرير الوطني . لم يتمكن المواطن عهد الاستعماري وصول حركة صناعية متطورة سواء كانت ستوردة أم محلية ، فكل ما كان هناك بعض الصناعات الحرفـية التي فرضتها الضرورة الحياتية لكسب العيش و حماية الجسم و الحيوان الذي يحتمي به هذا الانسان التقليدي .لذا كانت هناك حرف مثل صناعات خشبية ونسيجية إلى جانب التجارة و الفلاحة إلا أنها كانت ذات طابع معاشي غالبا .

لقد كانت أبناء الشعب الذي تحمي قبائل وعائلات موسعة يعمل في زراعة الأراضي العائلية الوراثية و إذا لم يكن هناك مساحة لذلك ، فيلجأ البعض إلى عمل بصفة خماس لدى الملاكيين الآخرين سواء أراضي عائلية موسعة أو قبلية أو قطع وراثية أو أراضي المعمرين بينما نجد الجزء الآخر من الشباب

والكهول لجأ إلى الهجرة الريفية وجزء آخرمن الشباب هاجر الى خارج البلاد مثل تونس المغرب وفرنسا بل من أجل جزء ثالث لجأ إلى الانضمام إلى عائلات كبرى وقام بالعمل لديها ومصاهرتها وبعضهم وجد التشرد ملجأه يقول "كروي")[1](ما أن يغادر دوره حتى لا يعود يستقر في مكانه ويبدأ تيها دائما في عرض البلاد ينتهي بالموت وينسى مع الزمن موطنه الأصلي ...))

وذلك كله يرجع الى سياسة مخصصة ومقننة وتسلط قوى لمنع أشكال القوى والتملك عند الأهالي والذي أدى إلى تفكك الوظائف وصعوبة نشاطها في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة وغير ملائمة وقلة الوسائل .((لم تعد تستطيع القيا م بوظيفتها الاقتصادية إلا بصعوبة كما أن وظيفة تحديد الهوية ضعفت تدريجيا مع ترسخ دوائر النفوس ،بيدا أن البنى استمرت كما هي ،مما أدى إلى زيادة التنافر بين الوظائف والبنى ،لم يؤدي الضعف في القيام بالوظائف إلى تغيير آلي في البنى ولا سيم أن هذه البنى تعتبر بمثا بة قيم معيارية)) حسب ما يرى ([2])

الشيء الذي يعني لنا نحن القارئون للتاريخ والأفكار الشفهية والمكتوبة ،أنه كانت هناك حياة متوازنة بالأجيال ناقلة للعادات وأساليب الحياة وكانت خاضعة لتطور بطيء حسب إمكانيات التثاقف والاستفادة التقنية في الآخرين البعاد أو الذين قربوا لنا تطويراتهم عبر الاستعمار وعبر النقل السنوي والهجرة أحيانا إن التثاقف هو بالتحديد الظاهرة التي أدت إلى قيام فصل بين الوظائف والبنى ،هذا الفصل الذي سبب الأزمة المزمنة التي تعيشها العائلة الجزائرية))([3])

بذلك أصبح البدوي الذي يعيش على الفلاحة خارج المدينة أو قائم على حياة رعوية مترحلة مرتبطة بمصالح موسمية مع المدينة يرى نيلون": إن البنية الاجتماعية القائمة على القرابة التي تصنع فحر البدوي ، لا يمكنها الصمود، أو تصمد بصعوبة ، أمام التملك الفردي الذي ينجم بالضرورة تقريبا، عن الإقامة

---

[1]A, karoui § Maturien d'immigration in Revue Tunisiene des sciences sociales N:23 – 1970

[2])– عدي الهوا ري ،ص 1226

[3])– عدي الهوا ري ،ص 127

الثابتة، وكلما إزداد عدد الناس كلما ترسخت النزعة الفردية، وكلما أصبحت العمليات البيع والشراء وسهلة الظاهرة أكثر نرسخا" (1)

إن النشاطات التجارية التقليدية تتطلب الحركة البعيدة والتنقل حيث لم تكن التجمعات في أغلبها إلا على شكل دوار وقرية من عائلات موحدة العمل والمصالح وبالتا لي سادها المبادلات بالمقايضة غالبا بينما غاب النقد.إن التبادل النقدي والنزعة الفردية النفعية والزيادة في عدد السكان، أصبح تتطلب تشريع متلائم وقوانين منظمة لهذه العمليات، ولكنها مثلت ناتجا المترتب عن احتكاك أفريقيا الصغرى بأوروبا، وحددت هذه النتائج سلسلة في ردود العمل المترابطة التي أدت إلى انهيار البنى "(2)هذا دائما في تحليل ج.تيلون والذي لا يبتعد عن الحقيقة الموضوعية التاريخية التي سادت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية داخل البنى التقليدية في المجتمعات الإسلامية والمغرب وكافة أشكال المجتمعات ذات النمط الإقطاعي.

المطلب الثاني الوضع الديموغرافي

هذا المجتمع الذي يجمع ديمغرافية مختلفة من منطقة إلى أخرى و لكنها لا تختلف كثيرا لذا نجد في إحصائيات سنتي 1872/1861، أن عدد السكان الأهالي كان (600.000([3])، مع العلم أنه سنة 1868/67، كان عاما جدبا وجافا، و لاحقت المواطنين أمراض خطيرة، وماتت بهائمهم التي يأكلونها و يحرثون بها و ينتقلون بها.

لقد خلق التيار الإستيطاني نهاية أسطورة الشعب الجزائري من خلال التقتيل الجماعي و الإبعاد نحو الجنوب الأقصى و إفريقيا، و التهجير نحو الجزر الفرنسية و مستعمراتها مثل كاليدونيا . كما مارست فرنسا استجلاب المعمرين، من اسبانيا و مالطا، و إيطاليا و سويسرا و ألمانيا، لكي يعوضوا الجزائريين على الأراضي الفلاحية، وتسلموا العقارات بدون مقابل و بدأوا ينتجوا ما يمكن تصديره إلى فرنسا ذاتها، لذا طلب دونالد مجيء مليونين من المعمرين سنة 1857 بعدما ترسبت أقدامهم في الشمال الجزائري بكل عنف و وحشية، كما توقع لبعض وصول أكثر من 6 مليون معمر في سنة 1875([4]).

---

[1]G. Tillon : Dans les aures, drame des civilisation archaiiques annades ES.C 1975P395.

[2]G. Tillon. Op.cit

[3])- مجهول عن أحمد مهساس: الحقائق الإستعمارية و الإستعمار، دار المعرفة، ص14.

[4])-أحمد مهساس، مرجع سابق، دار المعرفة، ط1، 2007، الجزائر، ص16.

و لذلك شكل تصدير المعمرين من أوربا، خطرا على فرنسا، و أصبح الطرد من الأراضي الفلاحية و المعدنية منهجا ناجحا ضد الاهالي، و لكن فشل المشروع التع ميري الذي يجمع الأوربين في إقامات مشتركة حسب أهداف فرنسا . لقد أخفت القوى الإستعمارية و مراكزها المعلوماتية عدد سكان الجزائر حين المرحلة الأولى للإستعمار، فكانت مرة تقول ب 2 مليون، أو ستة ' في أعوام 1860 ([1])، حيث بدأت حركة التقويم و التصحيح الإحصائي إلى غا ية 1872-1881 بعد .... قوتها على المدينة الكبرى و الهضاب العليا التي تمثل مناطق الكثافة الجزائرية.

ما يعني أن الجزائريين بلغوا 3 مليون عام 1872 وقد فقدوا 875000 وحدة من ضحايا الهجمة الإستعمارية. لقد حدث إضطراب في البنية الاجتماعية للطبقات و السكان، بفعل السلوك المنهجي الوحشي للاستعمار، والذي بدأ يحلم في نهاية السكان الاصليين بعد عام 1871 'بعد المجاعات و المعارك مع الاستعمار والهجرة. لقد ترك لنا الإحصاء عدد 2686.024 عام 1866،و عام 2.125.012/1872 ما يعني فقدان 561.012 نسمة([2])، وهذا دليل مادي رقمي عن الوحش التعميري المفترض.

في حين نجد عدد القادمين من أوربا كاملة بلغ سنة 1861 إلى 1871 من 192.746 إلى 279.731([3].) إن الدراسات التي وضحت تضحيات الشعب الجزائري أعلنت أن هناك ما بين 6 مليون إلى 10 مليون، ضحوا بأنفسهم بالجهاد من جهة وضحية القتل بدون سبب من طرف الإستعمار 130 عاما من الاحتلال وهذا كان من رجال فقط، أما النساء فهناك عدد قليل لم تعط إحصائياته.

لقد ساهم سكان الأحياء في خدمة المعمر الأوربي، بدون ثمن وهو في أرضه، فكان مستعيدا في حقوقه و حريته، حيث كانت النشاطات الصناعية و الحرفية التي جاء بها الاس تعمار، مساعدة لبعض المسالمين من إكتساب الخبرة، ولكن في نطاق ضيق، بينما كان التوسع الفلاحي ثقيل، لم تكن الصناعة تمثل سوى 18٪ عام 1880 من الانتاج المادي (فلاحة وصناعة) في حين كان تقدم الانتاج الصناعي يتحرك بدرجة 3.1٪ منذ عام 1880 إلى غاية 1955 بينما الفلاحة كان معدل نموها 1.5٪ فقط([4]).

---

[1]-) نوشي: إحصائيات 1861/ 1872 إنخفاض 607.799 و احصاء 72/ 1888 ب 717.445.عن احمد محساس م س

[2]-) أحمد مهساس، مرجع سابق، ص23.

[3])- نفس المرجع، ص23.

[4])- نفس المرجع، ص106.

وقد برزالتناقص الديموغرافي في مراحل مبلاحقة حيث وجد حمدان خوجة 10 ملايين ساكن في 1832، لكن بعد 40 عام لم "يجد الإحصاء الإستعماري 2.100.000 فقط، ما يعني فناء 8 مليون من جراء القتل و التشريد و الحرق و التجويع"([1])، هذا يفرض فئات من الضحايا:

1. ضحايا مسالمون
2. ضحايا مسالمون و لكن رافضين لأمر ما.
3. ضحايا مجاهدون مسلمون اعضاء الحركات الثورية.

و بذلك يمكن أن نأرخ لهذه الثورات بعد مقاومة العاصمة (الأمير، الباي، بو معزة، بوزيان القلعي، بوبغلة، فاطمة نسومر، سي صادق، بوخنتاش، اولاد سيد الشيخ، بـن شهرة، المقراني و الحداد، بوعمامة، الطوارق..."([2]).لكن للأسف بعد فشل المقاومات الشعبية، إستطاع الإستعمار أن يقفز وراء الستار ويدمج و يستلهم القلوب لكي يرزخ تحت اوامره كل قوي و ضعيف، وهذا منطقي لقوة الإستعمار و آلاته، وإنخراط البعض في دواليبه من الأيام الأو لى بديمومة.هذا ما جعل أغلب الزوايا و الطرق أن تخضع للإستعمار أنفا عليها و طبق شروطه و جعل ابن باديس قائدا آخر للإصلاح و الثورة و بقاء مصالي على الطريقة و المطالبة المسالمة"([3]).

و لكن ذلك لا ينفي جرائم فرنسا المادي و الروحي، التي كانت سنة 1865، كما يريى هاب ار (**HABART**)([4])، أنه كانت 132 مسجدا في العاصمة تركنا منها 12 فقط للأهالي، و البقسة توظفت في كنائس و مكاتب ..."، أما لامورسيار فيقول "أننا وجدنا نصف الذكور غير أمي، بفضل 30 زاوية في تلمسان و مدرسة لكل دور، ..." من نفس المصدر ن ص، "و كان 2000 إبتدائي 600 عال يقوم بإعالتهم المؤسسة أو الجماعة أو العائلة بتلمسان في حين كانت أزمة تثاقف و طمس ثقافي و حضر و ريف من جهة و وضعية (إنسان، طبيعة، ثقافة) حيث تم قتل كل قبيلة بني إمل في القبائل الصغرى([5]).

---

[1])- (Abdelghani MEGHREBI, histoire de l'Algérie, 06 Massinissaànos jours, SNED, Algérie. Op.cit. p102

[2]Op.cit. p102.

-[3]Op.cit. P 103.

-[4]Op.cit. 104, in Habart, histoire d'un parjure. minuit 1960.

-[5]Op.cit. 107.108.

المطلب الثالث العائلة الجزائرية التقليدية

إهتم الباحث الاستعماري بقضية العائلة و المرأة من الأيام الأولى للدخول الكولونيالي ،فالمجتمع لديهم كل متكامل ،وبما أنه صور عجائبية لديهم فذالك يرجع الى المراجع الفكرية و الطقوسية لدى سكان الجزائر و المسلمين .لذا نجد عدة دراسات في هذا الموضوع (1).مع ملاحظة أأن الدين و العادات أخذت الجزء الأكبر من الأبحاث الأنتروبولوجية االتي كرسها البحث الكلونيالي الفرنسي في الجزائر .و ذلك ما نجده عند روني باسي و ايدموند دوتي.

إن المرأة الجزائريةعند الفرنسي كانت مثار تعجب نظرا للباسها و نسشاطها و مكانتها ،و هو الذي وجد فيها الفئة الدنيا من المجتم ع وذات المرتبة السفلى و مجرد حادمة .وربما هي سبب التأخر الإجتماعي(2) العام في حين كان يرى أخرون أن الدين هو سبب التأخر . ;و السبب كان غالبا لظاهرة البداوة التي شغلت حياة الأهالي في الجزائر حسب ما يرى أغستن بارناردو هي قطاع تكيف ثقيل و صعب . فالعقليات تشكل حاجز للتغير و التعلم و الذي يجد كافة العراقيل لتطبيقه في الميدان و تعميم الثقافة الفرنسية بين أهالي الجزائر حسبه أيضا . في حين كانت المقولة العامة عندهم هي "الأهالي عندنا ،فهم أطفال و كبار أطفال وأيضا ووحوش صغار ‘فكان برمجة الجغرافيا لتعليمهم بلاد فرنس ا ‘لتأخير تعلمهم و توجيههم .لتحويل الهوية و التصورات و العقليات ة البنى النفسية لديهم .""فهم لهم

---

(1) – cf–in , JP. Bonnafont , La femme arabedans la province de contantine ,Mateste,paris1865 et autres comme ;Marie bugeja ,Nos sœurs musulmanes in la revue des litteraire ,Paris 1921.et Ernest Mercier ,La condition de la femme musulmane dans l’afrique septentrional ,Jourdan ,Alger. Et ,Augustin Bernard ,chanlamel ,Paris 1906. Et aussi ,H,Barbet ,femme berbere et femme arabe ,artticle in revue , de 16 pages.et,Alfred Bel,Djazia ,chanson et legendes .....1903) in journal asiatique .Desparmet ,L’enfance ethnographie de Mittidja .aussi par Despamet ,La mauresque et les maladies de l’enfance . en 1903.et Robert ,A,Metiers et types algeriens 1895.et meme par E,Doutte ,Magie et religion .et ,Ferdinand duchene Femme musulmane d’afrique du nord,.et Louis Milliot les lois et traditions de la femme algerinne .et G ;Daumas, Les aspects la vie de la femme..(en celebrations, fetes ,assembles…)

(2)– J,C,Vatin ,L’algerie des anthropologues ,.....paris,1968

حسن نية لا شك فيها وهم واقعيا يساندون الإستعمار بدون شعور القبضة الإستعمارية .كما يرى ج ك فاتان" (في كتابه السابق الذكر ([1]).

لقد كانت العائلة وحدة الوجود القا عدي لكل هوية صاعدة ،ولكن لم يستطع الاستعمار تحطيمها بينما وجه خططه إلى القبيلة ، وهذا منطقيا بكل وضوح، لأن القبيلة كان تمثل وحدة سياسية ومرجع اثبات الوجود ، ومخزن القرابة الفردية الاجتماعية ، بعد تشتيت القبيلة ، حيث أ صريحت العائلة منقذ المكونات الأخلاقية والدينية في المجتمع أكثر من السابق، ورافد للرابط الاحتماعي و الوطني .وبذلك أصبح تحديد الإنتماء الهوية ، مع استمرار المعايير الدينية والجماعية وتوحيد القيم السلوكية رغم تفارقها أحيانا، فقد كانت خاضعة للمد والجزر، في حالة استقطاب متواصل حسب قوة الثقافة ال غزية على معاقلهم وحسب وعي الأه الي بصفتهم الفردية أو الجماعية ضمن حالة المواطنة الدائمة المرتبطة بفضاء جغرافي ومشاعر هوية موحدة تتحرك في فضاء محلي و جهوي .

إن بنية العا طة الجزائرية كانت حسب للحاجات البيولوجية والاقتصادية ،لذا ركزت السياسة الاستعمارية على بلوغ السهول وامتلاكها والقيام بزراعتها، بينما أهملت الجبال والصحراء لغايات مؤجلة، وبالتالي تم تفكيك العائلات والدواوير التي كانت قائمة على زراعة الحبوب خاصة والتي كانت مصدر عيش الشمال والجنوب التي يوفر قوافل سنوية للتجارة والمبادلات، لذلك تم إغلاق الأراضي الفلاحية أقام الأهالي وأصبح معظمهم في حالة ترحال أو اللجوء إلى مناطق أخرى قاحلة ولا تضمن العيش وتفرقت – الأجباب)(2)– كما يرى عدى الهواري المناطق الشمالية الفلاحية وتم إبقاء البني التقليدية للعلاقات التي كانت سائدة به السهول، بينما إستمرت في الجبال لأنها ك انت بعيدة عن مثال الكولون وأهدافه، كما نلاحظ في الأوراس والقبائل" بيار بورديو حيث يقول " استطاع النظام الاجتماعي بتقاليده وقيمه أن يستمر بفعل التكيف إذ يمكن الكلام عن مجرد تناقض هو إحتكاك مجتمعين، في حالة الجبال، أما حالة السهول فإن التدمير الحاد لأسس المج تمع السابق الاقتصادية إلى تفتيت المجموعات الاجتماعية للقضاء على التقاليد الثقافية (3)" وخاصة القبيلة التي كانت الوحدة الاجتماعية والسياسية والثقافية للجماعات البشرية.

([1].) J,C,Vatin ,opcit p 36

([2])– عدى الهواري (م س) ص 119.

([3])–بيار بورديو في عدى الهواري (م س) ص120

إن القبيلة كانت ولازالت التمثيل الأكبر والهرمي للتجمع الإنساني المحلي بينما – الجب– أو البطن هو فرع اصغر وتأتي العائلة الموسعة ثم العائلة الذرية التي تتكون من الأب والأم وأبنائهم .فالعائلات الموسعة كانت في أغلب الأحيان حسي الضامن لكل **** وتواصل عبر الأجيال لأنها كانت الشكل الأوسط للتجمعات والتي تحفظ العلاقات السابقة التقليدية وتقترب في الجد الأسبق في حالات جيل أرجلين . وكان يعتبر الزعيم هو القائد الروحي لهذه الجماعة ومنظم أداءها وحاجياتها ووظائفها ومشارها اجتماعيا اقتصاديا وثقافيا. لذلك برزت الهوية– كعنصر هام في تشكيلة هذه الجماعة حيث يبقى الارتباط السلالي البيولوجي هو المحدد الأول لهذه الفئ ة وتم تحديد هوية الفرد– من صيغة اجتماعية وشرعية وجودة فيما يرى ستوتزل **J. Stoetzele** في كتابه) (1.)

لذلك يبدو أن حركة التناقض المعنوي والمادي فرضت نفسها إما تحسرا بواسطة الأوامر والقوانين الاستعمارية أو من خلال المعاملات اليومية أو الفصلية أو الأسبوع ية مع أفراد من الاستعمار رغم اختلاف هذه العناصر في الاتجاهات وطريقة التعامل لذلك يرى بيرك : " أن بعض الجوانب المقدمة أو الرمزية في العائلة قد ترسخت أثناء الاستعمار " (2)حيث العائلة لم يستطع الاستعمار تحطيمها بينما وجه خططه إلى القبيلة – كوحدة سياسية–حيث تعززت القرابة الفردية والدموية والعائلية بعد تشتيت القبيلة ، بعد أن أصبحت العائلة منقذ المكونات الأخلاقية والدينية في المجتمع أكثر من السابق وبذلك أصبح تحديد الانتماء والهوية : مهمة العائلة **Famille** وأصبحت تتكون الألقاب مع استمرار المعايير الدينية والجماعية. لذلك مثلت العائلات الموسعة، أكبر جبهة أمام تحديات الاستعمار وتعجرفاته، نهى ملاذ دفاع وملاذ قوه لكل عنصر يتمتع بهوية تلك العائلة الموحدة المتقاربة المتضامنة، ولكنها لم تصمد كثيرا أمام الطرق الاستعمارية بإزدياد القحط والأزمة الاقتصادية مع تكاثر تحدد بين العائ لات الذي يرجع إلى تعدد الزوجات من طرف كبار العائلات من جهة، وقدوم أعداد كبيرة من الأوروبيين إلى الجزائر المستعمرة وتصدير المحاصيل إلى ما وراء البحر.

ذلك كانت العائلات الموسعة مقر الاحتماء الاجتماعي ولكنها تعرضت إلى التفرق بسبب سياسته التفكيك الاستعماري ونهجه التسلطي القطعي، فتكونت عائلات ذرية على إثرها بفضل التناسل

---

[1] J. Stoetzel : les changements dans les fonctions familiales in renouveau idée sur la famille sied paris 1964 P 351.

[2] J. Berque : Sociologie maghrébine in annal ESC 1965 P316.

وأدى ذلك إلى تفكيك الملكية العقارية والفلاحية والوسائل وبالتالي تم تفكك القرار وخروجه عن مصدره لأول السابق الذي كان "الجد". لقد كانت العائلات الموسعة قائمة على قاعدة لإستغلال الفلاحي وإقطاع الأراضي وشراكة الوسائل حيث أصبح الذات المادي والمعنوي كله في ممتلكات العائلة الكبيرة ولكنه تفرق وتفكك هو أيضا ، فمفهوم العائلة كما يرى عدى كان " يختلط.. بالتراث في مجموع تتعايش فيه عدة أجيال...(1)" .سوى أن تقسيم الأراضي والإرث إلى اضطراب في المسار الاقتصادي وتوفير المنتوجات وتوزيعها وامتلاكها.

فالإنتاج الفلاحي التي مصدر معاش كل القبائل والعائلات أصبح في خطر أمام مصادرة الأراضي من طرف الاستعمار لصالح الكولون خاصة أن الأرض كانت عروشية وجماعية، حيث يحقق الإنتاج الجماعي والعمل المشترك في الأرض وحدة الأرض والا كتفاء الذاتي من المطلوب الغذائي، حين وحدة الأرض الكافية غذائيا شرطا للبقاء مع شرط الاستغلال وعكسها التبادل النقدي والنمو السكاني بسبب التفكك والإنقسام. إن ذلك أدى إلى خروج بعض الأفراد للعمل والاسترزاق لدى عائلات أخرى في الفلاحة والرعي والتجارة والخدمات لكي يتم تأمين الحاجيات المعاشية وذلك يرجع إلى بعض العلاقات المتوثرة أحيانا وأحيانا لقلة مصادر العيش وعدم التوافق العائلي واختلاف النزاعات القرابية.حيث أن القرابة المستمرة بين العائلات وعلاقات المصاهرة وعلاقات التعاملات جعلت من العائلات ضحية هذه الصيغ من الحياة والقيم.

المبحث الثالث الظروف الاقتصادية

المطلب الأول العقار و التهجير خلال العهد الاحتلال:

قامت فرنسا بتقسيم الأرضي الفلاحية المنتجة والخصبة إلى عدة أنواع حسب سلطة الوصاية .ومنها أراضي دومين تابعة للدولة ،أراضي دومين عامة ،أراضي ملك،أراضي عرش،أراضي البلدية . لقد كرس قانون 1863 اعتراف الجزائريين لملكيتهم للأرض واستغلالهم لها،وكان الهدف من ذلك هو كحكم سياسي متماسك وخلق استقرار بين الكولون والأهالي بينما كان الهدف السري هو تفتيت الوحدة القبلية. أما قانون وارني **warnier** عام 1873 (26/11 جويلية) فقد حدد توزيع الأراضي في منطقة القبائل، وتقسيم الأراضي على الدواوير أراضي بلدية وكان يهدف إلى تأسيس ملكية فردية مع منطقة قبائل لأهداف

---

[1])-عدى ص124.

إستراتيجية.أما قانون (1851) فقد كرس نصوصه لتوسيع الاستيطان ،تمليك المعمرين . الاستثناء أراضي القبيلة)البيع حسب القانو ن 544 في القانون المدني .كما قرر حق الدولة في شراء عقارات القبائل والتصرف في الأوقاف، كما قررت تطبيق القانون المدني في النزاعات العقارية بين الأهالي والمعمرين.

بذلك أصبح إمكان الكولون شراء الأوقاف ،وإهمال انتقال الملكية بالميراث أما قانون 24 أفريل 1863 (**senatus consult**)يقسم أراضي القبائل إلى اسم (ملك ، عرش، الدومين) كما تأسيس ملكية فردية على حساب الملكية العرشية أما الأمرية (1844-1846) قام الاحتلال بالاستحواذ على الأراضي القابلة للاحتلال في متيجة ووهران حيث أخضعت ذلك لترسيم إداري تحت وصاية الدومين . قانون فرنسي عام وخاص (16جوان 1851) كتنظيم العقار والمباني : لتأسيس دولة شعب أوروبي ' أصدار أراض المقاومة (بني عامر) مع الأمير عبد القادر و مناطق القبائل في حين يمكن أن نقر أن في أمرية جويلية 1846[1]تشكيل مجلس منازعات عقارية لضبط الأملاك حول الأراضي غير المستغلة للتقرير في نسبتها حيث تضم الأملاك غير المملوكة إلى الدومين حيث يتطلب ذلك التبرير بالوثائق والشهود وتنقل المقاطعات الإدارية الجهوية في حين لا ملك له بقوة الحركة والتنقل والسفر.

وقد كان هذا دليل واضح على الاضطراب في سلطة القرار واختلال قدارته وتميع جهاز التسييرلديه وتفشي المعارضة عليه حتى من داخل الجهاز الكولونيالي المتعدد الجنسيات والقوميات حتى اليهود – الايطاليين المطلبين – الاسبان... وكان الرقص الشعبي للأهالي عاملا آخر، والتردد الاستعمار في تطبيق وضعية من الوضعيات عاملا ثالثا لكثرة المشروعات والدراسات المتعلقة بتنفيذ السياسة الاستعمارية.

المطلب الثاني – المجتمع والمعاش الموروث

لقد ساعدت خصوبة الأرض المعمرين على الإنتاج الوفير، و ساعدت تطور التقنيات الجديدة على قبول السكان عليها وعلى المنتوجات الحديثة، لذا نجد أن الاستثمار الصناعي و الفلاحي و المنجمي و النقل مبلغ 1 مليار عام 1880 و 5 مليار عام (1910([2])، فهل يمكن مقارنة ذلك بالاستثمار المحلي في فرنسا؟

---

[1])–تيرس سعاد : قراءة في تشريعات عقارية فرنسية استعمارية في المجلة المغاربية عدد (2) بلعباس،جوان 2010،ص140.

[2]– أحمد مهساس، نفس المرجع السابق، ص113.

لقد كانت الصناعات الم حلية محل خطر و لكنها لم تختف نهائيا، حيث كانت سائدة في كافة المدن الكبيرة خاصة، حيث الجماعات الحرفية، لقد كا نت الصناعة في الجزائر صناعة عائلية غالبا و ذات استعمال عائلي، و القليل كان تجاريا، فكانت صناعات نسائية مثل النسيج من أغطية و أفرشة و ألبسة و الزرابي و الخيم، أما الرجال فكانوا يصنعوا وسائل الحصان، حديد المنزل و صناعة الطين الفخاري و الحبال، الجلود و الأحذي ة و غيرها من نحاس، أباريق، موقد، أثاث ، الحرف المشهورة كالأنسجة و الطرازة و الإسكاف و الصائغين، و أصبحت مهددة من طرف الصناعة الاستعمارية في الجزائر أو الآتية من وراء البحر.

وحيث يوجد في الورشة الجزائرية غالبا (رب العمل و العامل و المتمرن) حيث أصبح يكلف الكثير ما جعل بعضهم بغلق نهائيا، في حين التوغل الصناعي لم يحدث في الجزائر حتى 1880 و بداية من السكك الحديدية لجلب الحديد و المعارك، كما لم يبدأ استثمار الحديد إلا سنة 1880، حيث تم تصديره إلى إنجلترا حيث هياكل تصنيعه تكن موجودة، كما بدأ استخلاص الملح منذ 1880([1]) .

لقد كانت البدايات الأولى للتصنيع الأوربي في الجزائر في مرحلة متأخرة مثلتها تصليح حديدية و ميكانيكية ثم ورشات تحويل مواد غذائية و فلاحية، كما ظهرت صناعات تجهيز للبناء و النقل فيما بعد . وقد كان العامل الجزائري مهملا في كل حال، إلا في بعض الو ظائف الثانوية الكيماوية أو الخطيرة، في حين سيطر العامل الاوروبي على مراكز الصناعة و ورشات الاتمام التقني و الفني، و ذلك واضح لحملة التجهيل و عدم تسليم مشعل الحضارة و الصناعة للأهالي.

كانت الصناعة التقليدية ما سكة لقوى الشعب و آماله الحيوية للوجود، حيث كل تطور فيها يشكل املا جديدا في فتح العقول و تسهيل العمل و الانتاج و تسهيل الحياة، لذا وجدنا 50000 شخص في الجزائر سنة 1880 يعملون في هذا القطاع الذي يمكن إضافته إلى الفلاحة المعاشية التي تضمن حياة المواطن و غذائه رغم أنها موسمية و تخضع لمطر السماء([2]) . لقد لاحظ الخبراء، ازدياد وخبرة التصدير في الفترة الأولى للاستعمار ثم يستقر و يرتفع ثانيا بعد 1910 حيث نجد أن التصدير كان نسبته 5.2٪ مابين 1850 و 1880 و 2.7٪ بين 1880 و 1910 أصبحت الوتيرة 2.7٪ و تراجعت هذه الوتيرة

---

[1]– احمد مهساس المرجع السابق، ص 121.

[2])– أحمد مهساس، المرجع السابق، ص138.

إلى غاية الحرب الثانية ([1])، مما أثر على حجم الاستثمار و البنك التجاري و المصاريف العمومية، مما جعل الاستعمار يتحمل كلفة سياسته و بدأ يتفهم فشل أساليبه .

المطلب الثالث الإ قتصاد الاستعماري الغير تصنيعي:

لقد استطاع النظام الرأسمالي في العهد الاستعماري أن يمد شبكاته على كامل الأوطان القريبة منه وخاصة التي رزحت تحت حكمه، بصفته نظام لتقسيم العمل، وتوزيع الملكية وتكريس الأدوار وتحديد المكانات الاجتماعية ومسار الرأسمال المالي والمادي لأن هذا النظام تأسس على أولوية الصناعة .وبذلك كما يرى ماركس فإن هذا النظام قام على أكتاف العمال والبروليتاريا وأبناء الريف الذين هاجروا في الفلاحة الزراعية والرعوية نحو المدن الصناعية والتجارية والمتربول .فالرأسمالية تعاظمت مع حصولها على فائض القيمة وقانون الربح وقانون العرض والطلب حسب الماركسية يقول بعضهم:

" يستطيع الاقتصاد المتطور دائما ينافس الاقتصاد الأقل تطورا لأن التطو ر يطهر عبر قدرته على التوفير الخارجي أو المتدرج أو خصوصا بواسطة – صنع – الاستثمار والذي يسمح بالوصول إلى مردودية معينة تسمح وحدها بتخطي سنوات التجربة الأولى .فالصناعة المحلية لا يمكنها أن تنشأ لأنها تختنق فورا تحت ضربات منافسة المنتجات البترولية "(2).

فالواضح أن النشاط المتطور للصناعات الكبرى وخاصة الميكانيكية أو البحرية، قد برزت مع الحرب العالمية لأول حيثما نجد أن الاستعمار الفرنسي يهتم بالجزائر في هذه المرحلة لأنه وجدا المعادن المناسبة وجعل من الجزائر طريقا إلى إفريقيا والعالم العربي كله، فقد إهتم بالصن اعة ومصادرها وأنشأ مصرف شمال إفريقيا لصناعي سنة 1919 بعد مصرف مصر **la goubée** لأن التصنع فهم انه قوة ضد الحرب.

لقد رأى المؤرخون وعلماء الاجتماع ان التنظيم الرأسمال كانت قوة بناء ورفاهية في المجتمع الأوروبي، بينما كانت وسيلة لتحطيم البنى التقليدية وتفقير المجتمع في المستعمرات ." إن الرأسمالية الكولونيالية غير قادرة موضوعا على تصنيع المستعمرة إنها بالعكس تحجز البنى الاجتماعية وتسد الباب

---

[1])- نفس المرجع السابق، ص138.

[2])-عدى الهواري (ف م) ص 160/159

أمام أي أفق للتطور الصناعي " (1). حيث فرض منطق التعاملات والأساليب البرجمانية، وجود بعض الصناعات الضرورية والاستعجالية مثل تحويل الخشب البراميل، صناديق حفظ الخضر والتمور، صناعات غذائية ، مطاحن ، معاصر صناعات التصيير، البناء ، حيث كانت الجزائر معروفة بالمنتوجات الحمضية والحبوب والتمور، مما أدى إلى تلك لإهتمام بأنواع صناعية فلاحية خاصة موجهة . إلى جانب وجود صناعات حديدية بسيطة مث ل صناعة الأقفال – الأسرة–الأبواب، الألمنيوم، الأدوات المنزلية، حيث كان الحديد يستخرج في قسنطينة وتبسة وسطيف مع الفوسفات والذي بلغ إنتاجه 6000 طن سنة 1893 " حسب المصادر (2).

إن الوضع الاجتماعي الذي خلقته السياسة الاستعمارية، هو وضع مفكك ومحطم لم يكن فيه الأ هالي سوى مأمورين ومخطوفي الحرية وضحية استلاب معنوي ومادي، رغم الرسالة التحضيرية والبنائية الإنسانية الذي أدعى الاستعمار فالرأسمالية الصناعية لم تكن أكثر إنتاجية من نظيرتها التجارية لأن إنتاجية الصناعية تؤهل الشرائح الاجتماعية نحو تقولة الصناعيين ولكن الواقع التاريخي و الاجتماعي في الجزائر أعلى سيطرة البورجوازية الكمبرادوية . 3 تلك البرجوازية كانت متسلطة على التجارة والحرف وتوزيع الإنتاج الزراعي والتقليدي، وهنا يبدوا لنا واضحا حسب موقف عدى الهواري أن الاستعمار لم يكلف نفسه عناء التصنيع ولا توفير وسائل التقدم لأنه يخاف المستقبل ولا يضمن وجوده في بلاد الغير.

وذلك لا ينفي ظهور بعض الصناعات الأولية والأساسية فرضها منطق نقص الجهد وتوفير الوقت واليد العاملة ونقص التكاليف، وتلك الصناعات هي : صناعة قارورات الغاز، والكبريت والنحاس ولكنها إنمحت بعد الحرب الأولى، حيث رأت البورجوازية الصناعية ان إمكانية نقل المواد الأولية المصنعة إلى أوروبا فهي أقل تكلفة وأكثر فائدة لأن دول جوار فرنسا تطلب ذلك بكل ثمن مما أظهر فشل المشروع التصنيعي الكولونيالي في البلاد المستعمرة والجزائر خاصة، وفشل حتى المصرف الصناعي وتحول إلى عمل تجاري يوزع لأحوال وتعترض لصالح العمل الثاني للمواد أي التوزيع.

---

[1])–عدى الهواري (ف م) ص 162.

[2])–عدى الهواري (ف م) ص 160

[3])– نفس المرجع السابق

المرجع السابق – ص 163

رغم ملاحظة أن مفهوم الصناعة كان مرتبط بفلسفة عامة تأخذ من الاقتصاد وعلى الاجتماع مقولات خاصة، إن كلمة صناعة تأخذ معنى أصيل حيث أن حركة الرسامبيل تكون مضللة ووجود الصناعة لا يقود إلى الإنتاج الصناعي... وفي النهاية تصير الصناعة مضاربة أكثر منها تحويلا ، لأنها شكل من أشكال التجارة أو قل إنها تابعة للتجارة الكبيرة 1حسب هواري عدى والذي يقول لا يمكن لمسار التصنيع أن يبدأ لسبب جوهري هو أن الشروط التقنية الاقتصادية والاجتماعية لإنتاج فائض القيمة نسبي هي أكثر ملائمة في المركز منها في المستعمرة "([2])

المطلب الرابع الجماعة المحلية والاقتصاد الإستعماري

نظرا للنتيجة التي وصل إليها الوضع الجزائري، من خلال مرحلة مظلمة من التوغل الاستعماري و المقاومة بالمقابل، فإن بنية الوضع وصلت إلى خطورة متعقدة في كل الأحوال .هكذا نجد أن الاستعمار احتل الأراضي الخصبة و بقيت الأراضي الرديئة في يد الأهالي، كما ساعد على تردي الوضع نقص الإمكانيات التقنية و عدم تمويل الإستعمار للنشاط الفلاحي لأبناء الوطن، حيث كان المستوطنون يحصلون على قروض و مساعدات مالية، فأصبحت الاستغلال من 6 هكتار الواحد إلى 4,65 بين 1905 إلى مرحلة 1945[3].

و أصبح أكثر من 66% مستغلين من طرف الكولون و ليس مزارعين من 1914-1945، بعد تحطم فرنسا في الحرب العالمية الأولى.كما تم خلق فوارق جهوية بين المنطقة الأولى و الثانية ([4]) و الثالثة في الأجرة و القرض و الضرائب .لقد كانت إنتاجية الصناعة الكبيرة ضعيفة جدا في بداية الاحتلال، و ارتفعت بعد إثبات الاحتلال لقوته، فقد كانت 2% في 1880 و 3% 1910، و 6% 1920 و أصبحت 12% 1930 و 61% (1955([5]).

---

[1])-عدى الهواري Renet Galissot : le patrant européen au Maroc Rabat, 1964P19 ص166.

-[2])- عدى هواري (ن م س) ص165.

[3])- محساس أحمد.....، ص 80

[4])- أحمد محساس: الحقائق الاستعمارية و المقاومة، ص 75-90، ص 84

[5])- أحمد محساس..... ص 103

أما بالنسبة النمو فكانت 1910/1880 1,2% ثم ارتفعت [1] هذا مقابل تزايد ديموغرافي بـ 3% في السنة أي بحوالي مليون ساكن، مما أدى إلى انتشار البيوت القصديرية و الأكواخ [2]، حيث التقاليد الجزائرية لا تمسح كثيرا بتجمع العائلات .لقد كانت تمثل الصناعة سنة 1880 نسبة 18% من الإنتاج المادي من الفلاحة و الصناعة، بينما ارتفعت إلى نسبة 45% سنة 1955، طبق الأهداف الاستعمارية في استغلال المناجم و الطاقة و الصناعات التحويلية([3])، و هذا لم يمنع من اللجوء إلى الاستيراد في الصناعة التحويلية و المعادن و النسيج حتى .لقد كان معدل النمو في القطاعات الاقتصادية في فترة 1880-1955 كالأتي:

الفلاحة 1,5%، الصناعات 3,1%، الخدمات 2,0 %، السكان 1,6%، و الإنتاج (1,9%([4])).وظهر عمق النهب و الاستغلال و الاستنزاف الاقتصادي من مرحلة إلى أخرى، فقد كان 1 مليار سنة 1880، و 5 مليار سنة 1910، و 7 مليار 1920، و 9 مليار عام 1930)([5]).لقد كان الضعف التقني و الصناعي للجزائري واضحا أمام تطور الثورة الصناعية في أوروبا، حيث لم تكن سوى صناعات تقليدية للنسيج، و أدوات الحديد بفضل الحرف البسيطة، فقد كانت مجرد حرف عائلية للجماعة و القرية و الجوار السكني، بينما تغلبت الفلسفة الرأسمالية على الإنتاج الاستعماري الذي تعرض إلى المنافسة الحرة من طرف الدول الأخرى، داخل فرنسا نفسها و في الجزائر حتى قبل الغزو في 1830([6]).

فكانت النتيجة هجرة الأعمال و الحرف و هجرة المدن إلى فرنسا و أوروبا للعمل أو إلى القرى الفلاحية، رغم أن الصناعة المستخلصة إلا في سنة 1880 بعد استقرار الاستعمار في الشمال .هذا لم يمنع تفوق الجزائري بصناعته الحرفية على المستعمر، الذي أصبح يصدر صناعة الزرابي، 1162 قنطار من الزرابي بين 1919 و 1928، حيث كانت هناك 309 مؤسسة حرفية أهلية [7].اهتم الإستعمار

---

[1]-) أحمد محساس.....، ص 104

[2])- ن م س، ص 106

[3])- أحمد محساس،.....، ص 106-107

[4])- أحمد محساس،..... ص 110

[5])- ن م س، ص 113

[6])- ن م س، ص 115

[7])- أحمد محساس، ن م، ص 118-119

بصناعة الحديد عام 1880 بعد اكتشاف منجم الونزة و بوخضرة ثم عنابة[1]، ثم استغلال الملح أيضا منذ 1880 و الفوسفات عام 1925، و الفحم الحجري 1925 (قنادسة).

لقد خضع التصنيع في الجزائر غلى اضطرابات الحرب العالمية و المقاومة و حرية المنافسة الدولية آنذاك، فكانت محاور الإهتمام إلى الأساسيات مثل الزيوت المتوفرة في البلاد ثم الخزف و الإسمنت ما بعد الحرب العالمية الأولى بفضل شركات **Lesieur, SaintGodain, Lafarge niederwiller**.لقد كانت الصناعة الأهلية المحلية تشغل 50,000 شخص في الجزائر سنة 1880 بقدرة 5 مليار كإنتاجية([2]).في حين كان تطور الاستعمار الاستنزافي متزايد من مرحلة إلى أخرى، حيث نجد في 1880، 1 مليار إلى 5 مليار 1910 إلى 9 مليار عام 1930([3]).

كان الاستثمار 12% إلى 15% من الإنتاج بين 1880 إلى 1945 بينما نقصت حصة الفلاحة من 50 % إلى 20% 1880 إلى 1945 أما البنية السكنية فكانت 44% 1880 ثم 50% 1955 مما يوحي التوجه المركزي الأولى للاستعمار في اللحظات الأولى لإغتنام الفرصة لتوطين الاستعمار حسب ملاحظة فرق نحو 6%.كما نلاحظ دفعة التصدير من بلاد الأهالي إلى الخارج لاستغلاله في الصناعة، 5,2% بين 1830 -1880 و 2,7% 1880-1910، في حين بقي في حدود 2,1% بين 1910 حتى 1955، مما يعني أن الاستنزاف كان قويا في بداية التدخل، الذي لم ي كن تحتمل عواقبه، ثم انخفض بعد تطور الحلم الإستقراري الذي بدا لهم بعد 1900 و فشل المقاومات الشعبية أمام القوى الحربية و التكنولوجية و الأساليب الوحشية([4]).

كما يؤكد ذلك معدل النمو، الذي كان بين 1850 و 1880 بين 5,3% و 2,7% من مرحلة 1880 و 1910 ثم تراجع باضطراب في مراحل لاحقة و خاصة بعد الحرب و فشل النظام الاقتصادي الاستعماري في ضبط التكاليف و الخسائر و ربطه بحجم الاستعمار و التنمية حتى لصالح المستوطنين الذين فقدوا ثقتهم في سياسة الاستعمار([5]).

---

[1]- ن م س، ص 120
[2]- ن م س، ص 131
[3]- ن م س، ص 132
[4]- ن م س، ص 138
[5]- ن م س، ص 138

المبحث الرابع الثقافة و الدين

المطلب الأول ثقافة الإدماج والوعي الهوياتي

قام المبشر لافيجري بمهمة تبشيرية واسعة في منطقة القبائل حيث تمكن من توجيه قلة من السكان نحو المسيحية، فقد انزل بالمنطقة عدة من الآباء البيض لإعادة ديانة القبائل القديمة كما كان يرى ولكنه فشل على نطاق واسع ، لأن المتمسح القبائلي ، أصبح في مفترق تناقضات خطيرة لا تكلفه إلا الإستلاب النفسي والإحباط أمام المجتمع الذي يشاركه ، فهو مسيحي غير فرنسي وهو من الأ هالي ولكنه غير مسلم فعاش التناقضات . لقد قامت بعثات الأبا ء البيض بمهمة التوثيق البربري المفهرس ، كما هدفت إ لى توسيع الكنيسة الكاتوليكية بعناصر نيولاتينية إلا أن الواقع أن صعوبة الواقع الجغرافي الجبلي ، وتكرس الإسلام روحيا ورمزيا ، جعل المتمسحون في عزلة رمزية ومدنية.

في حين نجد أن " الطرف الآخر جماعة تمثل اليهود و الدين اليهودي ، ويمكن فهم أن هذا الدين ليس بتشيريا طبق عقيدتهم ، ولم تتكلف الدولة الكولونيالية الفرنسية بنشره ، ولكنها كانت راعية لمصالح اليهود وحياتهم وحمايتهم ، لقد وجد الفرنسيون " ([1]) سنة 1830 جماعات جديدة في عدة مد ن ، .مثل العاصمة، قسنطينة ، وهران ، مليانة ، الأغواط ،و تلمسان، إلى غير ذلك ، فكان هناك جماعة أكثر إرتباطا وتحالفا وأكثر إنغلاقا في وسط عربي وأمازيغي مسلم . فقد كان من اليهود جماعة عربية وأخرى يهودية اسبانية وغيرهم من الإيطاليين ، فقد كانوا من أ هل التجارة والبنوك وهذا حتى قبل الاستعمار كما نعرف مثل بوشراق وبكري.

لقد أصبح اليهود في عا م 1870 حسب قانون كريميو مواطنين فرنسيون بالجنسية الرسمية وهذا خصيصا لليهود الذي يسكنون التجمعات الحضرية ، ولكن كانوا في تخوف من وضعية جديدة أيام الكنيسة الكاثولوكية ، وبعد الامتياز السلطوى الذي كان لهم عهد الدايات في الجزائر .ولكن الوضعية الثقافية بقيت فسيفساء باهتة بين اليهود والاسلام والمسيحية المؤسساتية ، فنشأت أخطار ا نفسية و سياسية . لقد اصبح اليهود في عام 1870 ، حسب قانون **cremieux** ، مواطنين فرنسيون بالجنسية الرسمية ، وهذا خصيصا لليهود الذين يسكنون التجمعات الحضرية ، ولكن كانوا في تخوف من وضعية جديدة أمام الكنيسة الكاتوليكية وبعد الامتياز السلطوي الذي كان لهم عهد الدايات في الجزائر.

([1])– قريديك ،أبيكاسيس ،و ج ميني ،م س ، ص 54/53

ولكن الوضعية الثقافية بقيت فسيفساء باهتة بين اليهود والاسلام والمسيحية و المؤسساتية ، فنشأت أخطار نفسية وسياسية بين اليهود وأعداءهم في المقابل خلق شعور بالوطنية من طرف الكولون أكثر ، فكان مقابلهم شعور منافس من طرف اليهود الجزائريين ، فتكون يمين سياسي متعصب و شعور اللاسامية ، مما جعل هذا التيار يفوز بانتخابات 1896 في قسنطينة وفي وهران عام 1847 وانتخاب 4 من اليهود في البر لمان عام 1898 ومع ذلك فقد لجأ ([1]) اليهود إلى إنشاء جمعية إتحاد المؤمنين الموحدين في سنة 1935.ومن ذلك نجد أن هناك مناوشات ظهرت طيلة الوجود الفرنسي في الجزائر وأخيرها هجرة أغلبية اليهود إلى فرنسا وحصولهم على الحقوق الفرنسية الكاملة إلى اليوم.

وهناك تناقض أخر رسمت معالمه أقلية جديدة خلقها التواجد الطويل للمعمرين ف ي الجزائر ، حيث تمت ولادة الكثير من الفرنسيين في الجزائر بعد تأسيسهم لعقارات ثابتة سكنية وفلاحية وأصبحت شكل آخر للمواطنة رغم التناقض الهوياتي والشعور النفسي والديني المختلف ، وهي بنفسها مختلفة من حيث الترابط التاريخي ، حيث نجد الكولون من عدة دول أوروبا ، و كلها أخيرا أصبحت طالبة للسلطة ([2]) والهيمنة و التوسع الكولونيالي .

ويرى بيار بورديو يرى أن الاستعمار كون مجتمع طبقي ، تحكمه تراتبية صارمة أو حادة تهدف كلها إلى تكريس قوتها وفرض وجودها ، لقد كانت هناك مجموعات من الألزاس واللورين جاءت عام 1870 أولى اهتمام بينما كانت الجماعات المالطية الإسبانية أقل قيمة وأقل قبول للدمج في الجيش والمدرسة حتى الكنيسة رغم الشعار المرفوع لدولة شعب نيولاتيني([3]). لقد كان الأسبان دائما شاعرا بأن المنطقة الغربية من الجزائر هي امتداد للفضاء الاسباني ، لذا فهو ممتلئ بالحضارة وعدم ا لخوف نظرا للتعايش التاريخي القديم ، ولكن ذلك لم يسمح بتكوين جماعة موحدة للعمل والنشاط ضد الكولونيالية من طرف الكولون البسيط والأهالي.

لقد كانت **santacruz** ملك ثقافي وديني اسباني ، وليس ارث فرنسي مسيحي .فرنسي فقد كان الإسبان ، يحس بخصوصية وجوده في الجزائر ويشعر باستقلاليته في حياته ، ورغم ذلك فقد ساهموا في اكتساب لغة فرنسية وزرع ثقافتها التي لا تختلف عن فرنسا ، حيث مهدت الجمهورية الثالثة لكولونيالية

---

[1])- فريديريك ابيكاسيس ، أ .ج ، من أجل تاريخ فرنسي جزائري ، مرجع سابق، ص52.-

[2])- نفس المرجع ، ص49.

[3])- نفس المرجع السابق، ص49

تحكمها أقلية كولونية من الأقدام السود الذين سوف يخلقون فرنسا جنوبية تمثلها الجزائر كما تم تمثلها كافة الاتجاه المتوسطي في أوروبا لذا تميز المجتمع الجزائري الكولوني عن فرنسا المتروبول ثقافيا و نفسيا و سلوكيا .

المطلب الثاني الزاوية تراث ثقافي للتواصل :

لقد أصبحت الزاوية منذ القرون الأولى للإسلام ملاذ المتصوفة والمسافرين، والمجاهدين نظرا على المهام الاجتماعية والثقافية والدينية التي تضطلع بها، ونظرا لأنها تتصل بأعماق روحية عميقة مؤثرة فإنها حملت الكثير من الأدوار لتجميع القبائل والعائلات والمهاجرين وربطهم بقوة روحية ونفسية متجددة مع فرصة التعليم والتثقيف والحماية والعمل أحيانا لأنها مؤسسة متعددة بمهام ولها أملاك حبوس وأوقاف وقطع أرضية قابلة للزراعة وتتطلب العمل المتواصل والاستزراع.

يرى بعض علماء الإجتماع:" إن الأجيال التي خلدت عيادة القديسين لم تتعرف إلى القبيلة إلا من خلال الصور الوهمية والمثالية التي وصلت إليهم بفعل الروايات الشفهية وهكذا تترسخ إرادة إحياء العلاقات الاجتماعية السابقة بالاقتناع نموذج إجتماعي يرجع إلى إطار معياري لا إلى واضع معاش "(1).

فالوحدة الاجتماعية نتيجة وغاية من كل تجمع سياسي أو ديني " وهي تترسخ من خلال سيرة وتقاليد القديسين أو لولي الصالح وخاصة في السهول حيث ضغط الاستعمار وتوسعه" حسب ما يرى بيار بورديو)(2.)

لقد تركت الصوفية أثار فلسفية وعلمية ساهمت في تشكيل إنسان آخر مرتبط بثقافة خاصة ، كان لا يمتلكها إلا العلماء الفقهاء في الدين، ولكنها أصبحت في متناول الجميع وخلقت جملة تصورات وتقاليد متخالفة من جهة إلى أخرى لتأكيد خاصية هذه الطريقة أو لأخرى فالطرق الصوفية أشكال للحياة وأساليب للعمل والتدين والأخلاق .إن التقاليد الطرقية رغم حياة الاكتفاء الذاتي والمعاش الكفالي تريد بعث البنى الاجتماعية السابقة" حسب عدى الهواري (3) مع خلق توازن نفسي وروحي ونألف بين التجمعات منطلقا وعن الدين الإسلامي بوسيلة محو الأمية والتعليم .حيث ليس هناك رفض للحداثة ولكن تمسكا بالسلفية

([1])- عدى الهواري (م س) ص 128-129.

([2])P. Bourdieu – le déracinement- P118 - Op.cit P118 -.

([3])- عدى الهواري ص129

التي فقدت و التي كانت سبب السقوط ، حيث يلعب " التوهم الجماعي" في التصور الشعبي عاملا في الإسقاط على الماضي وتفسير الوجود الاجتماعي بالوعي من خلال الارتداد.

إن التكشيف الروحي والتربوي، كان سببا في إندماج جماعات متعددة المشارب في طرقيات محدثة، للحفاظ على التقاليد الدينية رغم الاختلاف التي أحدثته في مجال النواقل والطقوس غير المفروضة حتما على المسلم، كما ساهمت خلق تصورات وحدوية عاملة مع رموز تجميعية وتصنيفية لكل طريقة . لقد كانت الزاوية ملجأ إج تماعي ومدينة تعليم وإدارة تسيير العلاقات المحلية الداخلية للعائلات والدوار والمدينة ، ثم قاض حكم للعلاقات مع الجوار ومع الآخرين حتى ولو كانوا أجانب . وهي التي قررت الحرب على الاستعمار أحيانا أو الخضوع له، وقبول سلطته لذلك شكلت مدونة تسيير وتنظيم سياسي شامل لكل القبائل والسكان المجاورين لها، بحكم بها قوة وذكاء المشيخة الحاكمة والعالمة والمثقفة التي تقود بعض الطرق والزوايا التي ترجع في مرجعياتها الفكرية إلى أشهر العلماء الدين والفقه الإسلامي مثل أبو قاسم الجنيد، الأشعري أبو الحسن الشاذلي، عبد القادر الجيلالي- وحتما الإمام علي رضي الله عنه إلى أحدث المتصوفة عهد السقوط الإسلامي.

لقد كانت سياسة فرنسا الاستعمارية تنهج بمأخذ براغماتي يهدف على كل صيغ الاحتلال والإخضاع وقد كانت أعمال المشايخ الطرقية أحد هذه المساقط التي ثم عليها التطبيق حيث كانت دعم الزاوية التجانية إلى الدور الاحتلالي في بدايته فقد لقيت مأخذا في الجنوب الشرقي والغرب التونسي من خلال صدام بين القادرية والتيجانية على تلك المنطقة بفضل الشيخ الهاشمي الذي وجه وقاد الزاوية في البياضة في بسكرة التي كانت تنتمي إلى الطريقة التيجانية وخاصة في سوف مما أدى إلى القيام –ثورة عميش- خلال الحرب العالمية الأولى. وتم اعتقال الشيخ الهاشمي يوم 16 نوفمبر 1918 وبعد خروجه من السجن واصل النضال .

الباب السادس : الأمير و ثورته مجتمع المقاومة عمليات و هويات و مسارات

الفصل الأول حياة الأمير وأعماله

الفصل الثاني أنتروبولوجية حيثيات المقاومة

الفصل الثالث أنتروبولوجية التنظيم و فكر المقاومة

تمهيد

مجتمع المقاومة هو مجتمع متحرك ومثير ومظطرب يخوض الصر اع و الحرب ضد الاجنبي و زمنيا مجتمع منفصل عن أية سيادة سياسية فهو قد خرج عن التبع ية العثمانية و دخل مجابهة قوية و عنيفة مع الداخل الاستعماري المتحضر و المصنع والمعقلن الهدف الى استغلال القوة المادية و البشرية و المعدنية للدول الضعيفة المتخلفة . وفي تركيب هذا المجتمع كان بنيات عشائرية متقاسمة النفوذ و المساحات و الولاءات الاجتماعية حسب القرابة و العائلة والثقافية – حسب درجة العلماء و الشيوخ المرجعيين– و الدينية –حسب الطرق الصوفية و الزوايا الجامعة لكل الولاءات بدون تمييز – كما كان يخوض الفعل التضامني طبق تلك البنية التقليدية المتوارثة ‘من شاكلة التضامن الألي الذي تكلم عنه دوركايم لان الم جتمع الجزائري أنذاك لم يصل الى الحداثة و مقومات التصنيع و العقلنة الغربية الي توصلت لها اوروبا منذ القرن 18م. فهو مجتمع يرفض الخلل و التفكك والاختلال الوظيفي كما توصلت اليه النظرية البنيوية .

فهذا المجتمع كان في وضع جغرافي متباعد وفي شكل تجمعات عشائرية متع ددة ويسودها الوحدة داخليا و ترفض الاندماج الا بشروط .وحسب القيم و الثوابت و الرواسب الثقافية التي نمت عليها منذ السابق الزمني . وقد كان الدين و التراث المحلي مكونات هذا المجتمع مما جعله مميزا بتراكمات ثقافية وقيمية محددة وزاد من قوة تماسكه التوزع السلطوى للخلافة العثمانية التي أرست للدولة الجزائرية الحديثة .وكونت أشكال تسيير و تنميط الفعل الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي و الثقافي .

رغم قلة عدد السكان و قلة الاختلاط بين الجماعات .وهومجتمع لا يغره منطق التحديث و الحضارة و لا التبشير المسيحي لانه يعرف مسبقا نوايا الحرب الصليبية التي و اجهها منذ القرن 10م .منذالك بدأهذا المجتمع في خوض حرب الزعامات ختى دخول احمد باي في المواجهة لانه كان بعيا جغرافيا و استقلا ل الأمير مؤقتا في منطقة ضيقة .لأن الاستراتيجية الاستعمارية كانت محكمة بدهاء خطير .

الفصل الأول حياة الأمير وأعماله

المبحث الأول حياة الأمير

المطلب الاول تعريف الامير وحياته الجيوغرافية

هو عبد القادر بن محي الدين ابن المختار والذي كان ابوه شيخ الزاوية القادرية في غريس قرب معسكر حيث مركز للتعليم و الشورى الاسلامية للقضايا الدينية والاجتماعية و اليومية و السياسية و قد كان نسبه حسني وليس حسيني كما كان يكنى في الشرق وقد تعلم في معسكر ووهران حيث من أبرز شيوخه السي أحمد بن الطاهر ،كما تدرج في علومه في مكة والمدينة وبعد عودته من الحجاز و العراق و مصر واجه بعض القهر من طرف الباي العثماني هو وابوه حيث كان عمه متعاونا مع ثوار الشيخ بلحرش و الدرقاوي . اما بعد الاحتلال فقد وجد ابوه شيخا مسنا فكان على القبيلة والمنطقة تسليم الخلافة الدينية والعسكرية للامير عبدالقادر لقيادة الثورة .

ولد في قرية غريس غرب معسكر، و درس هنالك في زاوية أبيه ثم واصل الدراسة في وهران على يد أحمد بن الطاهر في أرزيو، كما تعلم علوم شتى مثل الجغرافيا، الفلك، و الرياضيات و تعلم فنون عصرية عن تجار أوروبا الذين يدخلون أرزيو و وهران .كان أبوه شيخ للزاوية القادرية في معسكر مما ساعده على التعلم و التكون الروحي و السياسي كثيرا، زيادة على تعلمه الديني في الفقه و اللغة و القرآن و اللغة مما جعله شاعرا و فيلسوفا ويعود الجد الأول للأمير إلى الإمام علي رضي الله عنه، عن طريق الجد إدريس الأول إلى الحسن بن علي رضي الله عنه، و إلى فاطمة رضي الله عنها .لذا هناك خطأ يرتكب غالبا عند تسمية الأمير الحسيني، بل هو الأمير عبد القادر الحسني.

لقد تزوج من الصالحة خيرة و كان عمره 15 سنة، و هي إبنة عمه علي بوطالب الذي كان رجلا زعيما سياسيا و ثوريا([1])، و عندما بلغ 25 سنة رحل إلى تونس ثم الإسكندرية، حيث زار ضريح و زاوية أبو العباس المرسي، و البصيري، و السكندري و هم من أعلام التصوف و الكلام في مصر في عهد سابق لذلك، و حيث وجد القاهرة في نهضة على يد محمد علي باشا فتعرف على علماء كثر، كما زار جدة و مكة حيث حج و أقام مدة، كما زار المشرق مع الركب الشامي للدراسة مع والده، و حولها إتصل بالشيخ النقشندي و عرف أسرار الطريقة و حصل على إجازة في ذلك .كما زار بغداد و منها زار

([1])- لأنه شارك مع التيجانية و الدرقاوية ضد الأتراك أخر أيامهم

ضريح الإمام عبد القادر الجيلاني، و أخذ عن علماءها علوم القادرية، حيث كان جده مصطفى بلمختار الطريقة أول من أسس الطريقة القادرية في معسكر، حيث أخذ عن الشيخ، محمود القادري العراقي مدونات القادرية.

لقد تضافرت الجهود الاجتماعية و الثقافية و العالمية، لتكون رجلا عالميا سياسيا حديثا معصرنا بفضل عدة متغيرات و عوامل داخلية و خارجية في زمن توغل الفكر الأوروبي في كافة المناطق المجاورة محاولا السيطرة و الهيمنة و أخذ سلطة القرار ([1])، حيث فهم الأخير كا فة مجريات الأمور و خبايا التفاعلات التي تخلق وجها أخر في المجتمع([2])، رغم الطابع التقليدي و لكنه معصرن للجماعات البدوية للجزائر ([3]).و بذلك كان الرأسمال الثقافي و الرمزي للأمير هي حياته المتفاعلة مع العائلة و المجتمع و المحيط و المؤسسات الموجودة و لو كانت أجنبية حيث كان ذلك سمة المجتمع المغاربي خصوصا الذي يختلف عن المجتمع الخليجي في التصوف، و عن المشرق في أسلوب الحكم العثماني فيها . و الذي أدى مطلب الخلافة بعد سقوط تركيا، و مطالب الاستقلال عن أوروبا بكل حنكة سياسية، فكان الأمير رجل الدولة الحديثة و مؤسسها في الجزائر([4]).

إن الإنتصار للعلم و المعرفة الذي صار به الأمير و هزم أعداءه به، هو فعل التاريخ الشخصي و فعل المعرفة الذاتية الإستكشافية المنهجية التي توصل بها في معارف بغداد و دمشق و القاهرة و مكة حيث قواعد المنهج الروحي الصافي، النابع من السموالفكري ' الذي كبل أعداء الأمة و الشعب بقيود لا ترى بالعين المجردة، و أخر يوم جلاءهم الكامل بفضل قوة القادر الأكبرهكذا كانت أسرة الأمير و محيطه مجال رأسمال ثقافي غني بالتراث و المعرفة العامة و الصوفيات و الرمزيات المتسامية العالية التي تشحذ الهمم و الأخلاق و ردود ا لأفعال مع الأخر و مع الله .ورغم التناقضات و الاختلافات الشكلية في الطرق الصوفية و مصادر المعرفة المتاحة في ذلك الوقت، و صعوبة التعلم و دخول عالم المعرفة المفصلة و الجامعية في ذلك الوقت، إلا ان الذاكرة المعرفية و قلة المهام و الإهتمامات كونت

---

[1])– بن التهامي مصطفى، سيرة الأمير عبد القادر، و مذكراته

[2]– محمد بن سويف الزياني، دليل الحيران و أنيس السهران، و فيه حديث عن بداية الاحتلال الفرنسي و أخباره، تحقيق المهدي بوعبدلي

[3]– محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر، عن رسائل في التراث و الثقافة، أبي القاسم سعد الله، ص 47، كراسات المجلس الإسلامي الأعلى، عدد 5 أفريل 2007

[4]– حميدة العمالي: كاتب و مؤرخ عهد عثماني، و مفتيا على العاصمة.

عاملا مساعدا للتفوق للأمير .وكان على رأس الخزان الرمزي له عدة مراجع و رجال وعلماء صهروا وشخصيته كما ساعدته الرحلات و الزيارات للعلماء و الامراء و ومشاهر المدن في ذلك .رغم أنه كان شابا .

و يذكر المهدي بوعبدلي في بعض رسائله ([1])،أنه كانت هناك مراسلات بين قبيلة مجاجة و عائلة الأمير، عهد جده مصطفى، حيث قام سي مصطفى بإرسال محي الدين أب الأمير إلى مجاجة من قبرص في طريق رجوعه من الحج و التي تتلاقى مع ما جاء في مذكرات الأمير المذكورة عند مصطفى بن التهامي ([2])، و قد زاد من شجاعته و تبلور فكره و نباهته، سجنه مع إبن عمه الشيخ الطيب بن المختار الذي كتب قصائد حين سجنه، كما تولى القضاء في سوريا حتى وفاته 1281 هـ، و حيث كانت له مساجلات أدبية مع حميدة العمالي([3]).لقد كان الأمير أثناء سجنه في لامبواز، يقوم بالتعليم لجماعته، كما ترك نفس الدور لأخيه محمد السعيد، و خليفته مصطفى بن التهامي، فقرؤوا صحيح البخاري و كتاب الشفاء و نصوص أخرى في السجن)([4].) ومن اثرها تمكن من تأليف بعض المصنفات الفلسفية والفكرية و الأدبية في التصوف و الدين .وخاصة منها كتاب المواقف .

المطلب الثاني الرأسمال الثقافي للأمير

تعتبر عائلة الأمير، من المشيخات التي كان لها موقف سلبي من الحكم التركي، في أخر أيامه وخاصة بعد حبس الأمير و أبيه محيّ الدين من طرف باي وهران و كذلك بعد وقوفهما مع ثورة التيجاني على الباي نفسه، حين استولوا على معسكر، وحاولوا الهجوم على وهران .لذا كان الأمير و عائلته من الطريقة القادرية، حيث كان لهم زاوية مشهورة في المنطقة، فكان له باع كبير في اتجاه السلطة و المكانة، بعيدا عن العثمانيين .لذا نذكر أن الباي الأخير لوهران (1816-1831) كان حسن بن موسى ([5]) و كان هناك عداءا واضحا اتجاه الزوايا و الشيوخ، تبعا لمعاملة المخزن للعشائر الأخرى، التي تعسف في المنطقة بالظلم وجمع الضرائب و الإجحاف، بعد قضائهم على ثورة الدرقاوي و التيجاني في الغرب

---

[1] المهدي بوعبدلي: مراسلات مع أبو القاسم سعد الله

[2]- أبو القاسم سعد الله، م س ، ص 82

[3]- م س، ص 47-48

[4]- م س، ص 47

[5]- سعيدوني، ص 359، دراسات و أبحاث..... ورقات جزائرية

الجزائري، و قد ظهر ذلك منذ 1792 عند استرجاع وهران من الإسبان .و يبدو أن إختلال العلاقة ظهر جليا، بعد تورط عم الأمير في دعم التيجانية ضد الأتراك، لكن الباي كان يناور بطريقة سياسية، لك نه اضطر أخيرا إلى فرض عقوبات على عائلة الأمير (هاشم) و كانت ممثلة في غرامات مالية في حين كان أبوه مختفيا و متجنبا الصراع([1]).ثم ظهرت قضية سجن الشيخ محي الدين و الأمير حين ذهابهم إلى الحج، فكان القبض عليهما في وهران حتى تدخل مصطفى بن اسماعيل و المرصالي لصالحهما وهم من كراغلة تلمسان.

كما كانت للأمير نظرة سلبية منذ مرحلة دراسته في وهران حين درس مع موظفي الباي و الأعيان من المخزن و زاد من ذلك احتجاز أبيه عام 1826([2].)و قد أدى ذلك إلى التقرب أكثر من السلطان المغربي العلوي، لتقارب النسب و الدعوة للمحافظة على الإسلام، الزوايا، و اعتماد الشيوخ لدى السلطان في النفوذ.و زاد من نفوذه بعد اطلاعه على حياة المشارقة تحت الأتراك، و وضعية الإصلاح التونسي، و استقبال أبيه من طرف محمد علي ([3].) هكذا يظهر لنا الحذر الكبير و الرفض من الشيخ محي الدين و الأمير لدى الأتراك، حتى اعتقد الباي أحمد أن الأمير يخطط للسلطة في قسنطينة فساد عدم الثقة و المناورة و العداء.

و ظهرت قضية طلب الباي حسن مساعدة الشيخ محي الدين لتجهيز جيش و المساعدة لمحاربة الهجوم الفرنسي على وهران فكان رفض الشيخ محي الدين و الأمير، و نهايتها دخول فرنسا إلى وهران في 4 جانفي 1831 و استسلام الباي حسن .لذلك سادت وضعية مضطربة في الغرب آنذاك، أبرزها طرد الأتراك من وهران و معسكر، ثم تقاتل الأتراك مع السكان، بعد تورط الأتراك في مشورة الفرنسيين في مستغانم([4]) وقد ساهم علماء و فقهاء العهد السابق و الموازي لعهد الأمير في تنمية روح ه العلمي و الفكرية و الثورية وصقل عقليته الاجتماعية و السياسية ومنهم .

مصطفى بن التهامي، عالم لغة و دين، كان أبوه مفتي وهران في العهد التركي، و تولى الخلافة على منطقة بني عامر و ولهاصة حتى ندرومة و تعلم في دمشق، عن أ. ق سعد الله .

---

[1]– ن م س، ص 340

[2]– سعيدوني، ن م س، ص 341

[3]– ن م س، ص 341

[4]– ن م س، ص 342

أثار بن عبد الجبار أبو ا لقاسم، المعركة الفكرية بين قاضي السجلسماسي (بومحلي)، و أحد زعماء التصوف (عبد القادر بن محمد ...) و التي كتب عنها J. Berque في كتابه (insurges.....Ulemas) و قد شارك سعيد قدورة بومحلي في موقفه.

مذكرات الأمير: أهداها جاك شوفالي هدية إلى المكتبة الوطنية.

عبد القادر المشرفي، أستاذ جد الأمير، مصطفى المختاري، مؤسس معهد القيطنة فهو رجل علم و ثقافة

بن عبد الله الحضرمي: الفرائد المرويات، و هي فهرسة لأعمال فكرية.

عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس وهو بيبليوغرافيا المؤلفات .

بن أمنة: و هو خال الأمير و له قصائد استغاثة سميت " الغوثيات"

إن التألفات التي خلفها الزمن الموازي كانت عاملا ثقافيا و سياسيا لنباغة الأميرمنذ صغره و حياته ورفقاءه و شيوخه و وعلماء عهده ([1]) و من خبرته تلك كان ذكاءه السياسي الحاد الذي جعله مراوغا و مرنا مع فرنسا مدا و جزرا (، قبولا و رفضا، استقلالا و حكما ذاتيا، وبين المقاطعة حرة و الاستسلام الكامل الذي لا مفر منه، و لكن بمواصلة القلم و الفكر و الجهاد الروحي و النظرة البعيدة للجزائر و المجتمع الجزائري الذي سوف يترك له القصائد و الأفكار و الفلسفات و النظريات(، التي تحرك لهم و تصنع الرجال العظماء من بعده من الأخلاق و الأصدقاء و الأقارب و الأقران حتى كان من وراء ثورته، ثورات و قيادات أخرى من صلبه تحت الأثر الأميري ملامحه، مثل ما قام به الأمير عبد المالك في المغرب و مساعدة الشيخ بوعمامة في ثورته، و دخول الزعيم الأمير خالد إلى الجزائر و إتباع سياسة

---

[1] –[1]– الطيب بن المختار: و هو ابن عم الأمير عبد القادر، و هو كاتب: القول الأعم في نسب الحشم، و هي قصيدة مدح الشيخ العمالي في 50 بيتا، الذي كان مفتي الجزائر في العهد العثماني

–و مصطفى بن أحمد التهامي: قصيدة الغوثية، التي نظمت في سجن لامبواز في 530 بيت، و قد كتبها بعد استسلام الأمير و ترحيله إلى سجنها ثم دمشق حيث توفي ابن التهامي عام 1280 هـ، ص 18

و– المزاري، م س، ص 81، طلعة سعد السعود، و كان المؤلف من أسرة مصطفى بن اسماعيل الذي إختلف مع الأمير ومحي الدين أب الأمير رسالة حول الرحلة من الحج – تكملة رسالة بن التهامي

الأمير بكل حنكة و تأسيسه لحركة وطنية سياسية جزائرية بعد الحرب العالمية الأولى جعلته رمزا لاحقا ثالثا للأمير و فلسفته الثورية وقد ساعدته عودته من بغداد إلى دمشق في تنمية زاده العلمي و الفكري ، حيث زاد في التعلم و الد راسة، مما ساعده على كتابة المواقف في التصوف فيما بعد ، و بعدها أعاد الحج إلى مكة، و بعدها رجع إلى الجزائر سنة 1827، حيث وجد السلطة العثمانية هو و أبوه متذمرة منهما بسبب الاظطراب الذي جدث من طرف التيجانية و الدرقاوية ضدها .

وقد كانا وقفا على العصرنة في مصر الناهضة و أخذ الحداثة السياسية و العلمية .و وجد المثل الأول في حمدان خوجة المفاوض الأول للجزائريين مع فرنسا و قيادة أحمد باي للثورة الأولى في قسنطينة.كما ساهم في تطور علومه علم تحرير الكتابة عن حسين خوجة ([1])، كاتب العثمانيين لدى الباي محمد بن عثمان و الباي حسن .حيث كان يرافق أبيه في الرحلة المشرقية و عند توقيف أبيه و إقامته الجبرية لدى العثمانيين، كانت فرصته للتعلم مرة أخرى.

المطلب الثالث الهوية الجغرافية التاريخية للأهالي

في العهداة التاريخية التي خلفت اثرها تجمعات قبلية متنامية ساهمت الهجرا ت المحلية في تغبير مكان الاستقرار حسب الاوضاع الاقتصادية وحسب التغيرات المناخية والطبيعية التي تدعوا الى الاستقرار لكسب العيش وتربية الحيوانات ' حيث كانت القبائل رحلا .لذلك سيطرت قبائل بني عامر على جهات متفرقة من الغرب الجزائري ولكنها اضمحلت بعد هجومات المخ زن من جهة ومن جهة أخرى هروبا من الاتراك المتقدمين مرحلة بعد مرحلة وخاصة منطقة ملاثة حيث بعد تمردهم ضد الاتراك لاقوا صعوبات في الاستقرار حتى قبل أكثرهم الخلافة العثمانية وأصبحت وهران وسواحلها وجوارها في سلطة الاتراك أي في معسكر وتموشنت ومستغانم وبلبعاس.

أما القبائل البربرية التي تسيطر في بعض القرى فكانت مشهورة مثل لماية ومديونة وسماتة وولهاصة في حين انتقل بعضهم الآخر إلى الغرب الاقصى لمناصرة الملك أدريس الحسني وبعضهم دخل مع عبد الرحمان الداخل إلى الاندلس([2]).في حين بقى بعضهم في مناطق غيليزان حيث خلفت مغ يلة ومنها بن عبد الكريم المغيلى والمازوني صاحب العلم الصوفي وصاحب كتاب الدرر . لقد كانت قبائل مديونة

---

[1]– عن أبو القاسم سعد الله، مراسلات المهدي بوعبدلي، م إ أ الجزائر، ص 69

[2] الناصري: (بوراس).عجائب الاسفار و لطائف الاخبار.تحقيق غانم محمد/.ط. مركز البحث وهران ص22/21

أمازيغية جوار تلمسان وكانت يهودية قبل الاسلام وبعده دخل بعضهم الاندلس والآخرين دخلوا المغرب الاقصى مثل اوزاع في حين منداس بقيت في منطقة الونشريس في الجزائر ([1])،أما قبائل حميان التي ترابط بين تلمسان وبلعباس ومشرية فقد التحقوا بقبائل بني عامر لأن زعيم الزيانيين لم يقبل بهم ' الملك يغمراسن. لذلك كونوا مع بني عامر تجمعا واحدا حيث كانت الحرب متوطدة بين بني زيان والمرينيين 'في حين قبيلة زغبة كانت تريد ال توطن والاستقرار في المناطق الشمالية التلية الغنية بالأراضي الخصبة.

وبما أن الحرب طالت وفشل فيها أبو حمو الثاني فقد استقوت بني عامر واستقروا في بعض التلال ناحية بلعباس في جبال هيدور أما حميان فقد استقر بعضهم في الاندلسيات الآن التي كانت تسمى أرض الحفرة وبعضهم توجه إلى وهران مثل المحاميد بنوكرز وبني موسى والمرابعة والخنشة أما فرع بني سويد فقد كانوا موالون للزيانيين قبل حكمهم على تلمسان أولاد عيسى بن عبد القوى ولكنهم دخلوا خلافا مع يغمراسن فنزلوا لدى قبائل توجين وقاموا مع الحرب على بني زيان ,.ومع ذلك استطاع ابن يغمراسن استمالة فروع بني حميد ورفض اقتراب بني يعقوب وبني سويد حيث لاقى منهم الحرب حيث كان بني يعقوب يتحالفوا مع المرينيين وتحالف بني سويد مع الاسبان عهد زعيمهم حميد العبد فحاربهم الاتراك في جوار وهران .و مثل مستغانم شلف و سيق والمالح و تنس حيث القر ب إلى السواحل البحرية ورغم ذلك بقيت قبائل مجاهر في مستغانم وفليتة في مينا كما حارب الاتراك بني عامر الذين تواطئوا مع الاسبان و انحسروا في اقليم ملاتة وخلفتها قبائل المخزن وذلك كل في بداية الدخول العثماني على الجزائر.

لذلك فقد التاريخي الجينيالوجي والسوسيولوجي للقبائل العربية ثباته 'فقد كانت الاختلافات خاضعة للتجمعات العربية أكثر وما عادلها من التقاربات الجانبية .لذا فإن زغبة كانت من جد بن ربيعة بن ناهيك بني هلال حيث كان مواطنهم الطائف في جبل غزوان في الجزيرة العربية وكان اخوتهم بنو سعد .بينما كانت بـفي عامر تنقسم إلى ثلاث بطون ما بين تلمسان والجزائر .وذلك في جنوب هذه الشواطئ حيث سوف نجد بعضها مثل ما يرى الناصري -- بنو يعقوب في جنوب معسكرو- بنو حميد الحجز جحواس المحاجزه و- بن شافع وعملوا جند للنصارى كما يقول الناصرى .

---

[1] الناصري: م س ص22

أما قبائل فرع سويد فكانت تنتمي إلى سويد بني عامر مالك بن زغبة ويتفرعون إلى مناطق واسعة في الغرب الجزائري إلى العطاف في غرب مليانة وديالم وجنوب ونشريس ، فليتة في سهل مينا ومجاهر مستغانم والحساسنة ومالفة في ضواحى عين تموشنت .أولاد مقدار ومخيس ضواحي وهران و هبرة المحمدية ‘صبيح جبل دراك عريب الشلف طلحة المعقل ‘ الاحلاف غرب تلمسان ملوية وأرض أنقاذ في المغرب حيث لهم جباية على ندرومة ووجده مديونة بني زناسن في العهد الزياني ‘حميان بني يزيد بن عيسى بن زغبة. وكانت لهم الآثاوه قبل الزيانيين على أرض حمزة في بويرة وهجرس في بجاية. أما عهد بني يغمراسن فكان معروف الموقف حيث قام بترحيل بني عامر إلى الجنوب التلمساني في نظر لعدم قبولهم سلطته فالحفهم بالمعقل([1]) في حين كانت مناطق سعيدة إلى جبال ملوية في الغرب وبعض من الاوراس يقطن قبائل أهل الوبر من القبائل البربرية والذين توطنوا مناطق معروفة بمواقعها مثل بلاد مزاب وملوية وتافيلالت حتى مناطق الزاب في الجزائر

إن التوحدات المتتابعة للهوية الجغرافية في المنطقة لم تتكون بهذه السهولة إلا عبرفترة تنازلات متواترة بين الاقاليم والعائلات والقبائل المتعرقة ولكنها جسدت لحمة أخلاقية واحدة يحكم فيها الضمير ا لاجتماعي والتشاركي في القوى الذي كونته مقولات فلسفية أكثر من اقتراب ثقافي . لذا نجد الانتربولوجيا السياسية التي كون مفاهيمها ‘ أحدهم في العالم الحديث قد راى أن أسس تكون التجمعات المنتظمة عبر التاريخ كانت عبر ترويح مقولات أساسية لجمع الفكر والوعي والمصير وه و ما يسميه المسار الاصطلاحي لتكوين الدول التقليدية في التاريخ ومن هؤلاء نجد **d.easton** و **g.smith** وقد ربطها هؤلاء بمفهوم التنافس والضبط والتنظيم مع أن اغلبها يبقى غير واضح ولكنها كونت ايديولوجية الهوية لها ([2]).وهي تحاول ارساء نظرية قوة و سلطة الفعل الثقافي في التغير و التنمية وتسيير لمجتمعات المتخلفة .

المطلب الرابع الطريقة و التصوف المرجعي

وهي شكل من الوعي الروحي و الفكري و الاجتماعي الهادف ومن الطقوس , الرابطة للقوة و العمل و التسيير و الهثرة و المقاومة ‘ولها مدونات التراثية و قد ظهرت الطرق ال دينية في بداياتها كمنهج اخلاقي ليحدد ضروب السلوك الفردي في مراحل القرن الثالث و الرابع الهجري اما في الخامس الهجري فكانت داعية للتمسك بالدين و نبذ المروق عنه و نبذ البدع في بداياتها و ان سقطت في نفس الفخ في

---

[1] الناصري:م.س ص21

[2] G. balandier anthropologie politique puf paris 1975 p 20-21

أخر المطاف .فقد اصبحت بمرور الوقت ' جملة من مراسيم و الطقوس للتدبير الروحي لهدف تكوين الاشخاص لدخول الجماعات الاخوانية التي تجتمع في بعض القيم والأعمال ومنها تكونت اندية ([1]) متوحدة في التصورات والالتزامات العقائدية و الطقوسية و التي كثيرا ما حرقت الدين الاسلامي مما جعلها تتحول الى تقاليد سرية . ;ومنها تحذر منها الناس ورؤوا فيها الزيغ و الضلال و البدعة . وفي اطار تطوراتها 'اصبح للشيوخ والمعلمين مراتب و مدارج حسب الخبرة و الاعتقاد و الالتزام و العلوم محصلة 'لذا وجدنا ان التصنيفات الاساسية كانت الوالي و القطب و النقيب الغوث و المقدم والمرابط و الترجمان و الشيخ 'المعلم و المريد ين و الاتباع .وتبقى الجماعة الموحدة لهم هي –الاخوان و المكان هي الزاوية .

[1]) –اسماعيل العربي 'الصحراء الكبرى و شواطئها–ط1– م و ك 1983الجزائر ص 219/218

وتبعا لفلسفة الاختلاف التي مارستها كل طريقة عن اخرى ‘نجد طقوس الذكر المختلف من طريقة الى اخرى .ولكنها بشرط ان تكون من مأثورات اقال الرسول و احاديثه كما نجد ال ورد و كذلك اذكار و دعوات و أيات قرأنية او احزاب او سور قصيرة .و هي من اسرار الانتماء الى طريقة او اخرى هادفة للربط البيداغوجي و المشيخي و الروحي للمسلم و المتعبد و العالم .لذا نجد ان الزاوية كانت تسمى في الشرق –خانقة اما في المغرب كانت تسمى – رباط واصلها قلعة للعلم و الحراسة على الغرباء و الغزاة تبنى بعيدا عن المدينة . وقد اصبحت الزاوية نظاما يشبه نظام الحرفيين و الاخوانيات المهنية في العهد العباسي و المملوكي و العثماني .تقوم على البيعة و الطاعة و الالتزام و التدرج الهرمية .

و المثال سيدي عبد القادر الجيلا ني (471هـ-561هـ)الشيخ الاول للصوفية السنية ‘و كانت هي الطريقة القادرية ‘ بينما كان للشيعة طر قهم منذ وفاة السيد حسين (ر ض)و منها تم بناء المراقد الطرقية ثم الانفصال الى الصادقية و الجعفرية و الموساوية و الكاظمية .وقد كتب المستشرق مرجيليوث كتابا مفصلا في ذلك .وكانت متأثرة بالهندية .([1]).اما في الجزائر فان القادرية فقد سادت في قسنطينة على يد الم ونوني و ابو بكر بن احمد الشريف ‘ولكنها توسعت في الجنوب و بنت قيادتها المشيخية لافريقيا في رويسات – ورقلة حيث لقت تر حيبا في جوارها في الوادي و بسكرة و الطوارق .اما في المغرب الاقصى فقد نشر القادرية سيدي عمر بن السيد احمد البكاي حيث نشرها ايضا في توات و القرارة وحتى السودان الشرقي .

ارتبط اسم القادرية بأول طريقة صوفية في الإسلام بعد تثبيت مبادئها من طرف الولي الصالح سيدي عبد القدر الجيلاني في القرن الثاني عشر ميلادي أي حوالي 1166م مقابل 561هـ، فقد ظهرت في بغداد بالعراق تم انتشرت في كل البلاد الإسلامية بعد توسع التيار الشيعي في المنطقة وخاصة العراق وانحرافه عن مبادئ أولية في الدين .لذا كانت مرجعية مبدئية للإسلام الصوفي السني، وتعلم عنها كافة العلماء للاحقين في التصوف وبناءا المدارس الطرقية، ومع ذلك المؤسس ونصوص الذكر وطرق سلوكية إتجاه المدرسية وتلقي العلم المعرفة وبعض الطقوس الاقتصادية والقانونية التي تضبط العلاقات داخل المدرسة وبين الأتباع ولم تغير مبادئ الدين إلا في مراحل لاحقة حين ظهور إنحرافات .لقد أثرت القادرية في كل البلاد، وحافظت على الإسلام من الجزيرة إلى آسيا وإفريقيا، وخلقت فروعا لها، فساهم خلفاءها في تكوين نخبة جديدة في العلم وطرق التعليم فظهر منها الشاذلية والبدوية الرفاعية وغيرها.

---

[1] –ن م س –220/219

الفصل الثاني أنتروبولوجية حيثيات المقاومة

المبحث الأول الأمير ووعي المرحلة محليا

المطلب الأول الأمير في المواجهة

بدأ ظهور الأزمات الاجتماعية منذ دخول الفرق العسكرية مدينة الجزائر فوقع الاظطراب و التصارع المحلي الجزائري، من ذالك مواقف وطنية من طرف حمدان خوجة و بوضربة كجهة ممثلة للإطار الإداري و السياسي الجزائري بدون دولة رسمية يقودان حوار سلمي وتصالح سياسي وعصري ،فيما كان أحمد باي كممثل سلطة سابقة ووطنية، يجهز لحرب منظمة ضد الاحتلال لكن نجد التواصل واضحا بين جماعات القوى التجارية مثل بوشناق و بكرى الذين كانت لديهم علاقات سياسية و تجارية قبل دخول الاستعمار. لذا غلبت روح المقاومةاعلى الحوار الانساني وغلب التوافق على الصراعات الطبقية ،بين أبناء الجهاد الجزائري الذين فهموا المقاصد الكولونيالية من الاحتلال للعاصمة و جوارها،حيث كانت إستراتيجية التحرير و المقاومة موازية لاستراتيجية الاحتلال وما هي س وى محاربة الأجنبي، بينما لم تكن معالم الدولة راسخة لعدم ثبوت الوضع و الكل في الاستنفار حالا و دعوة للجهاد ضد الداخل و الكافر الذي قتل و شرد و عذب اخوة الوطن و الدين و خرب غذاء الوطنيين ، . كما كان يرى مصطفى الأشرف في قوله عن الروح الثورية "...تلك الروح التي كانت تغذيها المثل السياسية و الاجتماعية معا، و إن كانت هذه المثل غامضة بعض الشيء في أذهانهم..."([1]).

فالهدف لدى الأمير كان تأسيس دولة حديثة بعد تحرير البلاد من الاستعمار و الخونة من الطبقات العليا و الأئمة و شيوخ الأعيان للعشائر في كل مكان ، بينما و جهت فرنسا قوتها لشراء ذمة البعض كخلفاء و باشاغات في الاستقراطية، أما باي أحمد و المقراني و الحداد فقد واجهوا القتل . لقد كانت مرحلة 1830-1848، مرحلة أولى للرد الجزائري على الاستعمار، وهي مرحلة كان فيها علماء الاستعمار، يعتقدون أن الشعب يثور، طبق روح عصبيته الدينية الإسلامية، و ليس أكثر من ذلك بينما الحقيقة كانت الأرض والوجود و الكرامة و الحرية المعنوية و المادية.

ومن هنا الفرق واضح يخلقه وعي الحياة لأن الشعب الجزائري قد كان ذاق الحرية و الاستقلال، منذ دخول الإسلام، و كان الجزائري في العهد العثماني، يتاجر و يتحرك إلى لندن و باريس و اسطنبول و

---

[1]– مصطفى الأشرف ،الجزائر الامة و المجتمع : م س ، ص46.

دمشق و القاهرة بكل حرية بدون رسوم، أما بعدها كان لخلق شعور مناقض بعد دخول الاستعمار بالإضافة إلى حرية التجمع و التنقل و الملكية وزرع الأرض و تطبيق الأعراف المحلية في الحياة الاجتماعية.

لقد كان المثقف الجزائري في هذه ا لمرحلة واعيا كل الوعي السياسي و الحضاري الذي يجعله في الموقع اللازم بكل تحد، لذا نجد سيد أحمد بن أحمد الطاهر معلم الأمير في صغره، أنه كان رجلا مثقفا و إطارا لدى الإدارة العثمانية في وهران كقاضي شرعي، كما نجد جودة بن دران الذي كان المثقف العصري الذي أصبح بع د الاحتلال مفاوضا لصالح الأمير مع فرنسا ورجل الديبلوماسية العصرية . إن هذه الأطروحات تساعدنا على ردع المقولة الكولونبالية، أن الشعب الجزائر قاوم خلفية بروح دينية فقط، وهو بذلك فاقد للوعي السياسي الذي ينبني على الوطنية و القومية كما يرى الأشرف([1]).

كما يرى أيضا أن نفي احتلال المقاومة في الروح الدينية مرجعه أيضا نمو الروح الإقليمية المغاربية و المحاولة لانسلاح عن السلطة العثمانية من طرف عائلات الأمير و سكان جرجرة في القبائل، والطريقة التيجانية في الأغواط، و و الحضنة في شرق البلاد ([2])، ولا يعني ذلك تذمرمن تركي قطعي و انسحابي، بل كان نزوعا فرضته الحالة الاجتماعية و الاقتصادية، حيث يمكن أن نبرر ذلك بموقف الداي حسين و شروطه على الاستعمار التي وقعها في مفردات، حماية الإسلام و الأسرة و التجارة و التقاليد بعد دخولهم الذي لا مفر منه . كما أن الأمير قد إستخدم اليهود كمستشاريين في نشاطه السياسي، مثل بوشناق ومردوشي عمار في معاهدات دي مشال عام 1834 التي تم خرقها، وإستخدم بن دران جودة في 1848 و نجح فيها رغم قوة الحديد و الثار الاستعمارية، وهي دليل إنسانية متفتحة و لا قومية ولكن عنصرية و دغماتية عقائدية متبجحة.

بالإضافة إلى الفهم الجغرافي للأمير للدولة الحديثة التي تمتد من الحارسة إلى الكاف ، أمن السودان القديم إلى الكاف التونسي، أما مصطلح – الجهاد– المقنن بمفهوم ديني، فإنه فرض سياسي في دلالته و ليس دينيا، لأنه نداء إلى جغرافية واسعة للدفاع و الحماية، و تحمل لرسالة القومية لدى كل بلد إسلامي، و أظن أن تلك المزاعم سياسيا و منطقيا بكل وضوح رغم ذكاء ما يمثله مؤرخ مثل أوغسطين بيرنار

---

[1]– الأشرف م، م س، ص 48.

[2]– الأشرف م، م س، ص 49.

حول([1]) الموضوع محاولا تبرير مع غيره من الاستعماريين ترسيخ الفكر التبشيري و التحضيري الذي إدعته فرنسا بينما هي مجرد صليبية حاقدة، افرزتها حتى خطاباتها الرسمية مثل ما قال Poujoulat عن بيحو، و ما قاله دي بورمون نفسه الذي فتح الجزائر العاصمة.

إن الصليبية كانت تعترف بعلو أخلاقية الجزائري مهما كان و لو يهودي، لأنه عاش تقاليد عامة مشتركة فرضها الواقع الجزائري العام، وكان يعترف أيضا باحتقار الجزائري له أخلاقيا، و يعترف أخيرا أن الجزائري لا يطيعه بمقتضى تقاليده الإسلامية . " فكيف يمكن إذن توقع الامتثال لقوانينا و مبادئنا و أوامرنا ؟ بما أن العرب أحسن أخلاقا ...."([2])، مهما كانت الطبقة أو الطائفة المنتمى إليهاأحدهم . ومن هنا نكتشف سيكولوجية الاستعمار منخفضة منذ الوهلة الأولى و مغلقة الآذان ، وتفهم ذات الفرد الجزائري ولا تحاول مساومته أكثر من اللازم لإختلاف القيم المرجعية لكل واحد.واختلاف وعي الوجود .

المطلب الثاني تأسيس القوى الثورية

ظهر في منطقة هاشم، حيث منطقة فلاحيه و جبلية و صعبة مناخا . تعلم القرآن و الحديث و الفقه، اللغة، التاريخ، البلاغة و الرياضة مثل: الفروسية و ألعابها. كما قرأ تاريخ فرنسا و قد استطاع أن يخلص وهران من حكم الأتراك الذي استمر لبداية الاستعمار، ثم كون في معسكر " جمهورية بعد ثورته على الأتراك....."[(3)] بينما وجد الخطر في تلم سان أين كانت الفتنة بين الحضر و الكراغلة و أهل المشور . كما وجد خطرا في مستغانم حيث انضم إبراهيم التركي إلى السلطة فرنسا .كما اعترف أهل أرزيو "[(4)]

ان قومية الأمير و حبه لأبناء وطنه مهما ابتعدوا عنه ، جعله يقوم بتحضيرات للثورة .منذ 1832 حيث رفض أبوه محي الدين زعامة القبيلة لكبر سنه . فكانت بيعة (عبد القادر) الابن مثار حمية قوميه لدى سكان المنطقة لصغره و شبابه و علمه و حنكته و شعبيته، حتى أصبح يسمى أمير العرب . و في هذه المرحلة كان الاستعمار قد دخل إلى العاصمة منذ 5 جويلية 1830 . بينما نحن هما بعد مرور عامين على ذلك ، و فرنسا تتقدم بخطوات جادة غير متيجة و سهل الشلف و الظهرة و التسلل إلى عقر

---

[1]– أغسطين برنار، مؤرخ فرنسي.

[2]– Poujoutat voyage en algerie p 280. 288.54 عن الاشرف م س –ص

([3]).أ ف د نيزن ،م س، ص 22

[4]) –ن.م.س ص22

الحرب مع الأمير، حيث كان الغرب الجزائري الاتجاه الأول للاستعمار عبر سواحله الفلاحية الخصبة التي سوف يبني عليها أحلامه الغذائية المعوضة لضعف فرنسا .

في ظل مسرحيات هزلية م فضوحة ، بتسليم الجزائر إلى باي تونس و منها قسنطينة و وهران خاصة بعد ثورة العاصمة في جويلية يرفض دخولهم مع خليفة باي تونس ، ليغالط الشعب أنه سوف يسلم له مفاتيح المدينة بمساعدة فرقة عسكرية قعدت في المدينة . و لكن السكان خرجوا منها و رفضوا دخول فرنسا و سلطة باي تونس ، فظهرت تغريرات لهم لحكم السلطان المغربي لهم.

لقد ساهم الأمير في المقاومة منذ امارة أبيه على القبيلة وزعامته للثورة قبل مرضه ،لذا وجدنا الأميريشارك في حملات أبيه على وهران و أرزيو منذ 1831 . لكن الأمير بقي معلقا، أثناء قيادة بيرتزين للحمل خلفا ل- كلوز يل ، حيث عقد اتفاقا مع باي تونس و أثنائها ينفي الأمير حاكما لوهران مع 300 تركي ، لكن جنود فرنسا سادهم الجوع و قلة الدعم و الرعب الدائم .[1]. لكن في سبتمبر 1831نزل جيش **Boyer** على سواحل وهران ، أسوارها لكنه وجد (جنود مغاربة) بقيادة مولاي علي (قريب السلطان) حيث بدءوا بالفوضى و القلاقل لمقاومة فرنسا . أما بوايي فبقي صامتا بدون هجوم و استمر الحال حتى نهاية 1831.

وكانت بداية الحرب : منذ 1832 و وصول إمدادات عسكرية لجيش فرنسا ، في افريل منه بدأ الجيش الفرنسي في العنف و قابله أبناء المدينة العزل بالحجارة و السيوف و السكاكين و الحفر . و منها يقرع الأمير أجراسه في النهر ماء من عمق النخوة و الوطنية. حيث يحاصر وهران على أساورها مع أبيه و الجيش العرب من الفرسان، و بدأت غارات ضد الجيش الفرنسي ، و منها توترات بين الطرفين و معارك طاحنة تركت شهداء من أبناء وهران و معسكر في المعركة.

في ظل هذه الظروف ،و خاصة دخول فرنسا الى أرزيو وبدا يتقدم الزحف نحو وهران ، وجد الأمير نفسه ملزما على خوض معركة عالمية، ضد فرنسا، رغم حذر الكراغلة منه و بعض الأتراك، طبقا لحالتهم السلطوية السابقة، لكنه كان سياسيا، فجمع الريف و المدينة في حركة واحدة، فجمع هاشم و بني عامر و الغرابة و الشراقة ، في ثورة واحدة([1]).

---

[1]- سعيدوني ،أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر ن م س، ص 342

إلا أن الخطر بقي مستفحلا بعد تعاون الكراغلة في تلمسان مع فرنسا، بعدما فشلوا في استمالة ملك المغرب.كما وجد الأمير نفسه أمام خطر أخر، لق كان كراغلة وادي الزيتون يطلبون حكم فرنسا ، لكن تعجل في الأمر و أجبر عائلات كثيرة منهم إلى الإقامة قرب إقامته و قاعدته في تاقدامت، فكانت العملية معناها خروج سكان الترك من مليانة و معسكر و مستغانم نحو قاعدة الأخير حتى يأمن شرهم فكان 3000/200 أسرة أمامه([1]).وذلك بهدف استئمانهم و ضمهم للخط الوطني المقاوم .

بعد حرب المقطع ثم دخول فرنسا عاصمة الأمير عبد القادر في معسكر، و ثم إحتلالها و ثم خروج الامير عبد القادر منها مع زمالته متنقلا في ثورته، وبعدها تم دخول تلمسان رغم الصعوبات و الأخطار الجغرافية، لأن معركة المقطع التي كانت قريبة من الجبال و وهران حيث ظه ر في الساحة خنزير، حيث توجه الرصاص لحد الخنزير و ليس بين الطرفين، و عاد الرصاص إلى الطرفين حتى المغرب..."([2])

أما دخول بيجو فقد خلق فوضى في الميدان جعلت الحرب أكثر إختلالا بين فرنسا و الامير عبد القادرو بين العرب أنفسهم، أي بين المولاة إلى المعارضة، فحدث فو ز بيجو في معركة أسكاك و خروجه من الجزائر و عودته في 26 مارس 1937، فكان الامير جد متحسسا للوضع و قراءة للقادم .من الحرب الطاحنة الساحقة و الأرض المحروقة... فكان كلهم مهتما بأخبار وهران و الجزائر و باريس ..."([3]).

لقد أصبح الوضع مدعاة لتدخل تونس و المغرب في ال جزائر حتى ظهرت نواياهم في الحكم في الجزائر بعد الفوضى، و لكن رغم ذلك كان الأمير الفارس المغوار الذي يحل الصراع، حيث إستطاع توحيد و جمع العشائر الجزائرية و يرجع ذلك إلى ذكاءه ، حيث أنه جعل نفسه مات من قتل بن نونة له، و منها خلقت فرنسا أجواء القلق و الحطمة و الهجرة، كما يرى دينيزن أن الخونة كانوا أكثر فتكا بالناس و إخوانهم بالتواطؤ مع الإحتلال ..."([4]).أما كبار فرنسا فكانوا أذكى، حيث فضلوا المعاهدة مع الأمير وجيشه على بن إسماعيل، ما فعله دي مشال مع الأمير نظرا للباقة العرب و تفوقهم الأخلاقي، ما أكده توريني **urini[5](T)** و ذلك بعد إعجابه بتنظيم جيش الامير و شعور الحرية لدى أتباعه، لكن الصراع

([1]-) سعيدوني، مس ، ص 343

[2])- دنيزن أف، م س، ص 9.

[3])- نفس المرجع السابق، ص9.

[4])- نفس المرجع السابق، ص6.

[5])-))نفس المرجع السابق، ص7.

يظهر بين العشائر/ الأمير بعد معاهدة مع الأمير و دي ميشال، لكن الأمير إنتصر على بن إسماعيل و المزاري آخرها ([1]).هكذا في تلمسان ، وجد الأمير الأمر أخطر حين جاءت حامية فرنسية لحماية الكراغلة، عام 1837 فكانت القوة للكراغلة و فرنسا ضد الأخير، كما تواصل الخطر من نواحي العاصمة في الأخضرية و وادي الزيتون، حيث واصلوا علاقاتهم مع فرنسا، فصعبوا مهمة الأخير التوسعية نحو الشرق و نحو القبائل (جرجرة و سيباو) عام 1838 فكانت المعركة واقعة معهم رغم قبول البعض التعاون مع الثورة لصالحه، و لكن شيخهم بن زعموم والزعماء السابقين قد رفضوا مصالحته مطلقا.

لذا كانت النبرة الدينية و حماية شعائر الإسلام هي المبدأ لدى الأمير، فكان نجاحه عليهم، فأعفى عن الكثير و أطلق الكثير منهم، و لكن قتل زعيمهم بيروم ([2])، أما بعد نقض معاهدة التافنة 1837، حاول الكثير التعاون مع فرنسا و نقض نفوذ الأمير و سلطته على المنطقة، فكانت الأتعاب و الأخطار متزايدة ضد الأمير، كان وراءها الكراغلة.

وقد ساهمت عشائر المنطقة القريبة من الأمير في ثورته بقوة، لذلك وجدنا، الدوائر، الزمول، البرجية، و هاشم، في حضن الثورة فكونوا فرسان جدد ضد الاستعمار، و ضد المخزن القديم التركي أحيانا، فبدأ الأمير يجمع الضرائب و الزكاة و العشور و المساعدات لخوض المعركة، فكانت وهران و معسكر و الشلف في خط واحد ضد الإستعمار، لكن حساسية المخزن إلى تلك السياسة أوقع الأمير في مأزق، فكان عليه المعادلة في دفع الضرائب، بين الرعية و المخزن السابق، لكن هذا الرأي، جعل المخزن يعادي الأمير و يفرض نفوذه.

.هكذا بدأت عشائر المخزن التركي السابق، إلى خوض مفاوضات مع السلطان المغربي " مولاي عبد الرحمن" لفرض سلطته عليهم، و لكنهم فشلوا، مما جعل هم يستنجدون بفرنسا لحماية أنفسهم و أموالهم و مصالحهم السابقة ضد الأمير، و هذا ما لاحظناه من أمثال مصطفى بن اسماعيل، و لخضر المزاري سنة 1835.حيث وقعوا اتفاقية حماية مع فرنسا، مما جعل الأمير يرى فيه خرقا لمعاهدة دي مشال 1834، أما بعد تغير الأوضاع قليلا و عق د معاهدة التافنة 1837، رأى المخزن ذلك أمرا جللا يمس

---

[1])- نفس المرجع السابق، ص7.

[2])- ن م س، ص 344

مصالحهم، فكانت مراسلة فرنسا و دعوتها للتراجع أمرا واقعا ([1]) و جعل الأتراك و الكراغلة في صف فرنسا .

لذا نجد الأمير بين أمرين، السلم و المفاوضة مع بن اسماعيل، أو الدخول في المعركة و الحرب المحلية، فكانت نها ية دولة الأمير المتراض عنها مع فرنسا ([2])، و حصار الأخير من طرف فرنسا من كافة الجهات.حيث بقي الصراع محتدما بين سكان المدن و الريف، بين المخزن التركي و الكراغلة من جهة و عشائر الرعية التي عرفت التعسف المخزني، كما كان كثير من شيوخ الزوايا في الأرياف و الحضر في المدن و البرانية .لقد كان المجتمع الجزائري حيا ممثلا واضحا من خلال المخزن، الذي يؤلف هوية الجزائري، بينما كان الأتراك و الكراغلة يمثلوا سلطة عسكرية و إدارية فقط.

لقد فرض الوضع الاجتماعي الأنتربولوجي للجزائر، على الأمير وضع رؤية واضحة و هادفة لإستنفار القوى المحلية ضد الاستعمار الفرنسي، من خلال رؤية للريف الذي عرف المعاناة و الضغط، و المخزن الذي عاش الرفاه و السلطة في عهد الأتراك .لذا لجا إلى تعيين بعض الزعماء من العشائر و الزوايا، كخلفاء لإمارته الثورية، فكانت أولوية الدين و المعايشة هي الأقرب في الاست خلاف و تحديد المهام، رغم أنه اصطدم بمقياس المعادلة و المساواة بين المخزن و الرعية فكان فشله واضحان لتذبذب مواقف المخزن من جهة، و نفور الرعية و أهل الريف من المخزن و عدم حصوله على امتيازات مقنعة.و قد كان بوحميدي خليفة له في طرارة على تلمسان و سيدي مبارك خليفة له على مليانة و هو في القلعة.حيث كانت له زاوية كبرى في تيبازة، و كان الشيخ بن علال زعيما روحيا و عسكريا قويا وهو من سلالة الشيخ مبارك . و البركاني خليفة له على التيطري و هو زعيم برني مناصر، و أحمد بن سالم خليفة عله في ساباو و جرجرة([3]).

و رغم ذلك بقي عناصر المخزن و الكراغلة في شد و لفظ، بين فرنسا و الأمير، إلا أن فرنسا كانت المحقق الأول لأحلامهم لأنهم يروا في سلطة الأمير احتقارا و ضربا لمصالحهم، و سلطة مرفوضة .هكذا

---

[1]– سعيدوني، ن م س ، ص 345

[2]– ن م س، ص 346

[3]– سعيدوني، ن م س، ص 347

كان وضعية الخطر أمام الأمير، من فرنسا، و المخزن و الكراغلة واضحة، فظهرت الدسائس ضد الأمير، فكان مخطط فرنسا في التفريق و خلق الصراع المحلي هدفا رائجا لكسب المعركة([1]).

و من خلال أعمال و أحداث المقاومة الفعلية، فإن الأمير وجد صعوبة في توحيد الصفوف، حيث بقيت بعض التشنجات من طرف المخزن و الريف اتجاه بعضهم رغم أنهم في صف واحد ضد فرنسا .كما أن الأمير وجد عداوات خطيرة من بعض الزعماء في كافة المناطق لبعض الحساسيات السياسية و الاقتصادية أو حتى الدينية، (طريقة تنافس أخرى ...).كما كان في الريف عداء له ([2])، مثل، قاضي أرزيو، لذا رفض معاونة الأمير ليضمن بيع الحبوب و الخيول لفرنسا، الشيخ الغماري (زعيم انقاد)، العريبي بالظهرة و الونشريس، و شيخ الطريقة التيجانية توتر علاقتهم 1838، و صراع مسلح.لذا نجد

حمدان خوجة: موقف عدائي و الأمير.

بن نونة: تزعم خليفة السلطان المغربي.

مصطفى بن اسماعيل : زعيم المخزن التركي في تلمسان([3]).

مصطفى باي: عدو الأمير لنيل مناصب إدارية من فرنسا 1839

ابراهيم باي: من أجل مناصب في فرنسا 1834

كان وضع الجزائر الإجتماعي، قبليا و عنصري ا بالمدن، قائما على مبدأ الامتيازات المصنفة للجماعات، و كان الحال الاقطاعي هو السائد و واصلت فرنسا على نمطه في بداياتها لإخضاع السكان.

---

[1]– ن م س، ص 347

[2]– سعيدوني، ن م س، ص 348

[3]– ن م س، ص 349

المطلب الثالث الأمير و الزعامات المحلية

لقد كانت الضربة الاولى قريبة من مراسم الامير في جواره ‘حيث نجد أن زعيم تلمسان بن اسماعيل ‘أنذاك رغم أنه كان من لواءه و ثواره في المرحلة الأولى .لكوه استسلم بسرعة و بدأيتعاون ضده مع فرنسا ‘ بينما بعيدا عنه ‘قد حارب بن سالم خليفة الأمير في مناطق بعيدة عنه ضربا للعد و المتواطؤ الذي اكتشفه في بوسعادة و مسيلة، الذين يمثلون الإقطاعية، في حين كانت فرنسا تبتغي السلم والصلح مع الثوار حيث قال أحد ضباطهم طالبا من بن علال و بن سالم و البركاني الإنظمام إلى الخونة فرأى انه " إن استسلام الأه الي هناك و هناك، لن يكون له من أثر رغم ما صرفناه من أموال ..."([1])، ومعني ذلك قوة هؤلاء الزعماء مكانتهم في القرار و التوجيه السياسي للأهل و أبناء المنطقة كلها من المدية حتى القبائل، في حين رأى الثوار أنه " الوسيلة الوحيدة لإيقاف هؤلاء الغزاة هي أن تقاتلوهم متحدين و بدون هوادة، و أن تعاقبوا الخونة و الذين رضوا بالذل و استسلموا..."([2]).

لقد ساد قيادة بن سالم المنطقة القبائلية و المدية و بتكليف الأمير، حتى نفذت قواه، و جاع الجنود، فضحى لهم ثيرانه فأكلوها لحما كمى ضحى لهم بماله و أولاده، وواصل الثورة رغ م انقطاع الأخبار و المعلومات عن الأمير . و قد كان ذلك في مرحلة 1842-1844 في حين كان الاستعمار يفتخر انه " قد وسع المنطقة المحتلة و فتح أراضي خصبة، سوف يتم توزيعها على المعمرين ...."([3]) لذا استطاع بن سالم دفع الحركة القومية للبلاد، و إثبات قوى روحية و مرجعي ة لكل شعور وطني للجهة الوسطى في الجزائر في القبائل، حيث كان رجلا واعيا، غنيا مثقفا.

كانت المقاومة في بدايتها في حسابات . الديموغرافية ، ليس أكثر من 15000 مقاوم مجاهد، بينما كان عدد العدو لا ينزل عن 100000 جندي من كل نوع راكب و ماش من الفرنسيين و الأوروبيين و حتى الجزائريين مثل القوم و الصيايحية و الزواف ، وكانت عدة الأمير قليلة و خفيفة من السلاح و الغذاء و الوسائل مما دعاه إلى صنع السلاح بطريقة تقليدية في بوغار، و أدى ذلك استمرار الثورة بكل دافع تحت نظم العصابات و الأفراد في القرى و الجبال و السهول حيث التوسع متواصل لنهب الأرض و الأملاك، بينما كان الجيش .النظامي بقيادة كتائب يتزعمها ثلاثة أشخاص غالبا بقيادة خلفاء

---

[1])- م الأشرف، م س، ص124 عن ..compagne d’afrique p 273/274

[2] – La grande kabylie . 258. 259. Doumas.

[3] – Opcit. Daumas. P 333.

الأمير من البوادي و الأرياف، وكانت تعترض طريق الجيش الفرنسي في كل مكان حسب قوة الاستعداد و التحضير، لقد كان الجيش الأميري حين موقعة ممر موازية الجبلي 2000 فرد، وفي موقعة قرب العاصمة أقل من 2000 بقليل مقابل 30000 فرنسي بقيادة بيحو عام 1840 أيام الهجمة القوية للتوسع الذي لم يثبت حاله.

فما كان على الأخير سوى نقل قواته و عتاده وحتى السكان في زمالات في شكل عواصم متنقلة ' نحو مناطق آمنة أكثر بعد الفشل إثر عمليات التمشيط الوحشية بقيادة بيحو، مما نزع أركان القوى للأمير تقريبا في نهاية 1845، وجعل الأمير يختفي و يترك كتائبه فقط بقيادة خلفاءه مثل بن سالم وقامت فرنسا بحصاره ، و أرادت القبض عليه و لكن لم يحصل حتى 1847 حتى توجه إلى منطقة الغرب تجاه المغرب حيث يريد تأسيس دولته ([1])، وحول بعض السكان و المؤن من حبوب و الأدوات، مما جعل فرنسا تجد فشل في حركتها لقلة وجود المؤن و الماء وغيرها التي كانت تجدها عند الأهالي . لقد هجر السكان مع الأمير ليس خوفا، ولكن محاولة لتجميع القوى و تحضير جديد للمقاو مة، في حين أصبح الأمير المسؤول الأول عن كافة السكان أخر ايامه ، بصفته قائد المقاومة و موجه السياسة المحلية الوطنية لجماهير شعبية ثم بطشها و تجريدها من حقوقها و أملاكها من جبال عمور جنوبا إلى التيطري شرقا إلى حدود المغرب غربا و البحر شمالا.

وقد أكد ضباط فرنسا آنذاك المارك دي كاستيلان حين إعترف أن الثورة لم تنته بهجرة الأمير إلى الحدود المغرب، بل وجدوا حامية من ثلاثمائة فارس قادمة من الجنوب الغربي قادمة إلى مناطق إقامة الأمير على ضفاف نهر المولوية، فلاقوهم بالحرب ([2]). ورغم ذلك التهجير و الحصار، فقد ر جع الأمير عام 1846 إلى منطقة القبائل 'بعد اختفاء طويل 'ووصل إلى خليفته بن سالم عبر جبال جرجرة فتغدر على فرنسا القبض عليه بقيادة بيحو دائما و جيشه من القناصة و العملاء ([3]).

رغم أن بعض المؤرخين ([4]) يقول أن الأمير كان في حماية و ضيافة أكثر من 1500 من السكان الأهالي المدنيين و القبائل، فلم تستطيع فرنسا بطش جماعي بالقبائل . هذه المنطقة أكدت سنة

---

[1]– م الأشرف، م س، ص 118.

[2]– م الأشرف، م س، ص120.

[3]– م الاشرف، م س، ص121 عن Compagne d' afrique lenoble p472

([4])– Dumas. La grande kabylie in الاشرف م، م س –ص 121أشرف ص121.

1844 مقاومتها ووطنيتها حتى خرج رجالها بقوة دفع من نسائهم الأبطال يناصروا الثورة و المقاومة وبن سالم كما أوردها دماس **Dumas** . كما جندت المنطقة خيرة أبناءها من المتع لمين في الزاوية (زاوية سيد عبد الرحمان) بعدد إلى 700 فرد طالب قرآن، وتم تسليحهم للجهاد و تدربوا على السلاح من البنادق و السيوف و عصي الحديد، وكان هذا في جامع الصهريج في القبائل([1]).

[1])- الأشرف م ، ص122.

المبحث الثاني مجريات المقاومة

المطلب الأول الأمير ومحيط الدافعية الثورية

رغم تباعد المسافات وصعوبة التنقل من جهة أخرى ورغم التقطيع الإداري الذي ساد الفترة العثمانية بين داي الجزائر ووسط الجزائر كلها ، باي وهران وقسنطينة ، إلا أن قوة التكاتف والتعاون جمعت الأمة في الدين واللغة رغم جهل العربية من طرف التجمعات الجبلية المعتزلة في مناطق القبائل و الاوراس والذين يشاركوا الحياة الثقافية و الاجتماعية العامة في المدن والأرياف المتفتحة التي كانت متصلة يوميا بالثقافة العربية.من المدارس القرأنية و الكتاتيب و المساجد و الاسواق التجارية .

لذا وجد الأمير أنصاره في القبائل والاوراس والجنوب الشرقي والغربي هكذا نجد بن علال وطد علاقاته مع الأمير وأصبح خليفة في الوسط الجزائري وقاد مقاومات قوية شجاعة لصد الاستعمار ولم يقبل شراء الذمة بالمال والمنصب والحياة التي عرضته عليه فرنسا عام 1842 فكان بطلا مقاوما لم يسقط حتى قتل من طرف الاستعمار سنة1843 وأتوا برأسه وقطعوه وعلقوه في مليانة عاصمته ومركز تحركاته ضد الكولون ، في المتيجة حتى الحدود المغربية مع الأمير وعمره 29 سنة فقط ، بينما الأمير لم يستسلم حتى 1847 حتى تم قبضه من طرف الاستعمار مع بعض جنوده الذين هرب اغلبهم ، وواصلوا المقاومة في المناطق الأخرى ، فكانت 1847 سنة استسلام ([1]) الأمير ولكن قوة السلاح وحصار العدو كان أقوى من الموجود وحيث هناك دفع من الجانب الجيش المغربي نحو الداخل الجزائري الذي كان يرفض وجود المقاومة الجزائرية خاصة بعد معاهدة1845 لالا مغنية.

لقد واصل بلحاج ، الثورة في الاوراس ، كما واصل بركاني الثورة في البويرة و القبائل والبيبان ([2]) أما بوبغلة فقد كان في عمق القبائل مع سي الجودي في قلب الجرجرة ، حيث كانت فرنسا تحضر لسياسة عنصرية ممنهجة . لقد نجح سي الجودي في حصار بجاية ([3]) أما محمد بن عبد الله الشريف ، فقد واصل المقاومة في الصحراء. و قد شهدت القبائل مقاومات عديدة ، منها مقاومة سي بشير في متيجة وابن زعموم وسي الجودي وبو معزة الذي كان في الظهرة ، أما في الشرق الأقصى فكان سي زردور في عنابة ونواحيها .

---

[1])- مصطفى الاشرف، الجزائر مجتمع وأمة، ص126.

[2])- نفس المرجع ص127.

[3])- نفس المرجع ، ن/ص127

أما الأمير فقد اعترفت فرنسا بقوته وذكائه ولم تستطع متابعته في تنقلاته الجهادية نحو التل الجزائري غربا وشرقا مما كان يشير خطرا داهما ، مانعا لكل جهود استقرار وثبات أولي لتأسيس للدولة الثانية الاستعمارية في شمال أفريقيا كما اعترف بيجو بذلك واتخذت إجراءات رادعة لذلك كان مضمونها تقليص القوى المعنوية للأمير التي تمثل قوته الروحية و النفسية التي تخلق الثورة ، هذه القوى التي فسرها احدهم الجنرالات دوكرو "' هي المدارس الإسلامية ، الزوايا داخل البلاد فقد نشأت مقاومة الزعاطشة 1849 وعقبها الاستعلاء على الاغواط عام 1852 وثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864 التي امتدت حتى 1908.

وفي هذه الفترة عام 1864 بداية ثورة سيدي الشيخ قال الجنرال دوكرو : أن هناك وسائل يجب استعمالها من اجل فرض السلام . أي سلام هل هم دعاة السلم الاستعماري أم المقاومة خارجه عن القانون ويجب تطويعها.([1]) لهذا اقترح محاربة المدرسة العربية و الزاوية وتنمية الروح العسكرية مقابل ذلك لدى الكولون ودمجهم في النظام العسكري سواء كانوا من فرنسا ، ايطاليا ، اسبانيا وغيرها.

لقد كانت الفترة الأولى بين 1830-1870 فترة من المد والجزر بين الاستعمار وقوى الأهالي المعزولين من السلاح إلا قليلا و الذين تم انتهاك قوتهم الفلاحية و الغذائية و الوقائية و تحطيم كافة البنى و المصادرالاقتصادية التي تساعد على مجرد حياة معاشية بعد مصادرة الأراضي وحرق المحاصيل و المنازل وتهجير السكان وفرض الغرامات مما أدى لاحقا إلى مجاعة 1871 وثورة المقراني .

المطلب الثاني الأمير في مواجهة مع الطرقية و الإقطاع :

لقد استطاع الأخير نشر دولته حتى مناطق الزاب، حيث عين خليفة له ، لحسن بن عزوز إلا أن هذا الأخير فشل أمام قوة فرنسا وانهزم في معركة وادي سرسو يوم 24 مارس 1840 مما أدى إلى الاستسلام والكتابة إلى فرنسا بتقرير خاص ، الشيء الذي دعا الأمير إلى عزله ، بعدما وصل توس ع بن عزوز إلى منطقة المسيلة (الحضنة) حتى تم استعمارها ، وتم طرد بن عزوز إلى قسنطينة ثم سانت مارغريت (جزيرة) ثم سجن بعنابة وفاته 1867 .

في حين كانت منطقة المقابلة في الجنوب الغربي في مرحلة استنفار لاستقبال الحملات العسكرية بالتمرد والمواجهة والحرب منذ بداية الخمسينات بعد احتلال مدينة الأغواط والبيض حيث التوسع

---

[1])- مصطفى الاشرف ، ص 132.

نحو الصحراء حيث تؤكد ذلك الرسائل والتقارير)([1])) التي بعث حاكم وهران إلى الحاكم العام في العاصمة وهذا الأخير إلى وزير الحربية لفرنسي ([2]).لقد كان التوسع الفرنسي لاستغلال المناطق الموالية إلى إفريقيا مهمة صعبة منذ بعثة الأب شارل دي فوكو الذي قتل سنة 1916 من طرف الطوارق .لقد كان إنشاء شركات أعمال لاستغلال القوى المصدرية للحياة الصحراوية عامل إثارة قوى لدى السكان الأهالي ومنها بناء سكة الحديد وقطع الحلفاء وبعض الأخشاب لأنها كانت مصدر غذاء المواش المنزلية والحيوانات المفيدة .لذا كانت ثورة بو عمامة ركزت على القضاء على تلك الشركة الخاصة بالحلفاء في ثورة 1881 وبعض أصحاب الصناعات الحرفية وأصحاب المزارع الذين كانوا من جنسيات إيطالية وإسبانية حتى .

كما نجد تطور المد الرافض للاحتلال قد تجاوز الحدود من المغرب غرب بفضل الشيخ بوعمامة إلى الشرق تونس بفضل بن ناصر بن شهرة و محمد بوعلاق الذي هاجم الإحتلال وأنصاره في الغرب التونسي .لقد حفظ الأرشيف الفرنسي تلك الأحداث والأعمال والتغيرات حتى أننا نكشف الوثائق الإدارية حول الجنوب بفضل مكاتب ابن جلاب الذي كان باي تقرت و كان يراسل لوزير الأول التونسي .لقد أدى ذلك التمرد الشعبي إلى تفكك العلاقات بين المغرب وفرنسا وبين فرنسا وتونس ، وأحيانا أمر رجال القصر في تونس إلى طرد الجزائريين الثائرين سنة 1907 في رسائل إلى الحكومة الفرنسية .

لقد كان من مؤامرات فرنسا قبول السلطة ال تونسية على قسنطينة ومحيطها ، لكن ضعف الباي في تونس وآمال فرنسا الإحتلالية الكبرى لم تسمع بذلك ، مع رد فعل محلي في أهالي الجزائر الذين شكروا كل بعيد عن التعاملات العادية المتراكمة عبر التاريخ . والتي توجتها الخلافة العثمانية عبر أربع قرون ، بينما جاءت فرنسا كقوة خارجة عن المألوف وبدين أجنبي وأقوام آخرين ، قد خلق التذمر الشعبي كما خلق رفضا لكل نوع من سياسات التبريد والتحضيرية التي تدعيها

كانت منطقة جنوب الأطلس ‘شبه صحراوية تسكنها قبائل زناتة وخاصة فروع –مغراوة – التي حاربت الإحتلال الروماني وقبلت بالإسلام في القرن السابع وخاصة دخول قبائل بني هلال العربية والتي توسعت في المنطقة واستوطنت على جوانب وادي –إجدي– حيث ساهم في بناء المنطقة وتأسيس مدينة الأغواط

---

[1]–ابراهيم مياسي .من قضايا التاريخ الجزائر المعاصر د م ج –ط2–2007–الجزائر –ص204/200

[2] ––رسالة من والي وهران 9افريل 1881 و رسائل الوالي العام المدني للعاصمة 15افريل 1881و ثم رسائل الجنرال سوسي الى وزير الحرب

سنة 1045م /. لقد ساهم التجمع المتتابع للقبائل المجاورة والمهاجرة مثل قبائل الأرباع ، معامرة ، الحجاج ، أولاد صالح ، أولاد يزيد (1)إضافة إلى قبائل أولاد سالم الذين هاجروا من منطقة قواراة بالجنوب الغربي نحو المدينة. و يعتبر بعض سكان الأغواط من جناح ، أغواط كسل ، والبدارة الذين تواجدوا سابقا في المنطقة ، حيث كونوا قرى متقاربة جغرافيا ، لأنهم الكل كانوا يبحثون عن قرب الماء والوادي وخصوبة الأرض والمناخ المعتدل مما كانت تتميز به المنطقة فهي منطقة سهوب لا ساخنة ولا باردة .

من هذه التجمعات القبلية المتعددة في الاغواط ([1]) المانحة للحياة بفضل جوها و سهولها و المقطوعات الفلاحية بين الرمال سميت الأغواط بذلك حسب المصدر اللغوي : لأنه تجمع سكني محاط بالبساتين ، أو بساتين محاطة بكثبان رملية بينما رأى ابن خلدون أن الأغواط هي فرع من مغراوة الأمازيغية الزناتية بذلك يمكن أن تفهم مجموع سكان المدينة يتكون من كافة أبناء المناطق والولايات المجاورة الآن ، بينما يمكن أن نفرق أن الأغواط كسال هم اليوم سكان في مناطق جنوب شرق البيض اليوم مثل قبائل أولاد مؤمن الرزايقة ،أولاد عمران ، أولاد عيسى كما يرى مياس '([2])

وقد كانت ملجأ لبعض السلاطين المنهارة التي تكونت شمال منطقة الأغواط وخاصة بعض أنظار الدولة الموحدية الذين هربوا حوالي 1269 ، وكذلك أتباع الدولة الزيانية الذين هاجروا من تلمسان مع أبي حمو إثر الهجوم المديني حيث واصل ابن حمو طريقه حتى بني ميزاب وتم سقوطه على يد المدنيين في قرية الدوسن شمال بسكرة . أما التطور اللاحق مع الفترة العثمانية فقد اتجه بعض المشايخ وبعض العلماء وخلفاء العثمانيين التابعين لبايلك التيطري في المدية منذ 1548 ، وأصبحت قبائلها خاضعة لتلك الباي في التيطري والعاصمة ، مما ساهم في خلق تضارب المواقف إتجاه العثمانيين من جهة وحدوث صراعات على الأرض والمذهب الديني وحدوث أزمات طبيعية مثل القحط . بدأت المنطقة في إضطراب منذ وقوعها في مركز إتجاه بين المهاجرين من الشمال والمغرب والجنوب ، حيث توجه عرب يوسف إلى قرية تاجموت بينما توجه سكان قصبة إبن فتوح الذين مهم من الزاب إلى

---

1 –) ابراهيم مياسي ،من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر –د م ج –الجزائر ط2–2007

[2]– **RENE TANNELACI ,contribution a l'etude de l'histoirel'evolution de population de l'annex de l'aghouat ,manuscrit ,a larchive d'outre mes aix aoh89P8** مياسي ،م س– ذكره .

غدامس في ليبيا بعد دعوة شريرة وقعت عليهم من طرف الولي الصالح سيد الناصر شمال شرق الأ غواط .هكذا لم تتمكن في إنهاء الإضطراب وتجميع السكان والقبائل إلى بعد وصول سيد الحاج عيسى ، الذي جاء يعلم القرآن وعلومه وأصبح يمثل رمزا ، متحركا حيا ثقافيا وروحيا قادر على إضفاء الروح الجماعية للمنطقة ، وقد جعله السكان رجلا مباركا وصوفيا مقدسا ووليا كراماته البرهانية وذلك في سنة 1698 وهكذا كانت المدينة موقع صراع بين باي التيطري.

وباي وهران حتى خضعت أخيرا للباي عثمان الكبير في وهران الذي انتقم لهزيمة عين الماضي السابقة التي خاضتها جيوشه وفشلت حيث كانت عين ماضي قلعة محصنة وحامية لمناطق الأغواط ، . وعلى إثر هذه الهزيمة التي أصابت الزاوية التجانية أصبح المجال مفتوحا أماما التوسع العثماني ، حيث هرب الشيخ التجاني إلى بوسمقوب غرب البيض ثم إلى الغرب حيث مات لكن الطريقة والزاوية وأتباعها واصلت نشاطها العلمي والتنظيمي في ظل العثمانيين .

إن هذه الوضعية الإجتماعية والسياسية والجغرافية خلقت حالات جديدة من التوزيع السكاني حسب انتربولوجيا المكان والمرجعيات الذهنية التي اكتسبت من خلال التراكمات التاريخية المتلاحقة ، بذلك تم نزوح بعض القبائل إلى مناطق جبلية وأخرى إلى مناطق سهبية بحثا عن ضمان العيش والاستقرار إلا أن الاسرتعمار لاحقا خلق توازنا آخر ة واندماج مصطنع من الفئلت السكانية المختلطة التي تساعده على مضلحته وسياسته . من ذلك نزحت بعض العائلات إلى قصر الحيران هروبا من الباي الذي فرض ضرائبا على السكان ، حيث كان أحمد بن سالم حاكم المدينة بعد مقتل سائح بن زنون الذي ينتمي إلى قبيلة –بني حلاف– التي تضامنت مع أولاد رحمان في قصر الحيران ، والتي كانت مناصرة للطريقة التيجانية في الدين والسياسة والحرب .

مما أدى إلى تواصل سلطة بن سالم حتى دخول الاستعمار على الجزار وانتشاره من منطقة إلى أخرى وخاصة في الجنوب أين كانت الخلاف ة العثمانية فاشلة غير معتمدة وكانت بعض الجهات عبارة عن أراضي سيبا غير خاضعة للمخزن العثماني في العاصمة أو وهران أو التيطري و قسنطينة . إن دخول الإستعمار خلق صراعات الرأي والمواقف إتجاه العثمانيين وإتجاه الإستعمار ، الكافر المسيحي ، بينما كانت تسود بعض ا لصراعات القبلية من قبل زاد توازنها دخول قوات أجنبية وتوازنات جديدة وتموقعات غير عقلانية حسب التراث الفكري والذهني للسكان .

ولكن أمل الإستعمار تكسر في بداياته إثر المقاومة المعلنة من طرف الأمير عبد القادر الذي وصل إلى المنطقة بجيوشه ليوطد دولته إثر معا هدته مع فرنسا ، ولكنه وجد المقاومة قوية من طرف السكان ، ولكنه استطاع أن يدخل عين ماضي ويسلم إليه السكان الذين عين عليهم الحاج العربي والذي كان من أولاد سرغين وخلف سيد الحاج عيسى بينما بن سالم هرب إلى الجنوب لقد استطاع في الأخير توسيع سلطته ولكن ذلك لم يم تد طويلا بسبب الخلافات التي كانت سائدة بين القبائل وعدم التوسع المكثف لفرنسا في تلك المرحلة ، حيث يمكن أن تكتشف مع المؤرخين أن بن سالم إتجه نحو بن يزقن جنوب الأغواط وقبلها لجأ عند الأرباع لأن الحاج العربي كان مستقويا بقبائل أولاد خليف وأولاد شايب وقبائل عم ور والزاوية التيجانية وأولاد حلاف إلا قبيلة بني سرغين التي كانت تناصر بن سالم .هكذا تم نقض العهد القبلي في المنطقة ضد الأمير وتم إعدام الحاج العربي سنة 1842 حيث كانت الزاوية التيجانية محل تذمر وتشنج من أهداف الأمير . لقد كان إعدام خليفة الأمير من طرف بن سالم الذي إستقوى بعد هروبة ورجع بجيش قوى بتواطؤ مع فرنسا ومساعدة التيجانية له في رجوعه الجديد .

بذلك تم لفرنسا إثبات حكمها وفرض الضرائب على السكان بعد وصول الجنرال سانت أرنو إلى عين ماضي أين استقبله شيخ التيجانية بعد مفاوضات ولاقى حينها بن سالم الذي و اصل الطريق مع البعثة الفرنسية جنوبا لإخضاع القبائل المجاورة في غرداية و ورقلة حيث كان بن سالم متعاهدا مع قبيلة سعيد عتبة في ورقلة .

المطلب الثالث الامير والفعل المضاد من مراكز الباي :

لقد ذكرت المصادر التاريخية في أغلبها لبعض الحقائق، والأفعال التي تتطلب التعمق وفهم فلسفتها، لأنه مهما كان الفعل مظهري في الشكل، إلا أن علم النفس يخفي أشياء وظواهر أنها أكثر عمق، أو خاضع لاستراتيجية بعيدة النفس و لنا في قصة موسى عليه مع الرجل السامري، الذي كان يترك له، كلما سأله لماذا فعلت هذا، فالإجابة تكون " ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا " وهذا لعمق السلوك و أبعاده . لهذا إن محاولة بعض الإستراتيجيات التي وضعها زعماء المقاومة لم تكن في العمق بسيطة ولم تكن بعيدة الإتجاه، لأنهم ليسوا جهال و أهل أمية من جهة و ليسوا من أهل العلم المعاصر و دارس العلوم الحربية و الإجتماعية و النفسية و السلوكية.

لنلاحظ أن الأميرقد تعمق في الجنوب الشرقي حين كانت مقاومة الحاج أحمد باي، قد وصلت بسكرة بعد هجوم الاستعمار عليه، اي كان هناك تلكأ من الباي ' فلعب الامير دورا آخرا، و ظهر

الخلاف بين الزعيمين ' رغم أن الخلاف ظهر منذ بداية المقاومة ومحاولة السيطرة كل منها على حكم الجزائر أو حكم جهة عن أخرى . لقد شعر الأهالي أن أن أنصار احمد باي، بعد فشلهم في دفع الاستعمار و إكتشاف تواطئات محلية، قد أصبحوا يفسدوا في الأرض بالقتل و النهب في الجنوب الشرقي مما أدى ببعض الزعامات أن يتصلوا بالأمير ليكلفوه بقيادة الثورة و البلاد، فأرسل له الحسن بن عزوز([1])، إلى الأمير مبعوثا ليطلب منه أن يعين خليفة له من المنطقة عوض خلافة أحمد باي، فما كان طالب لخلافة سوى بن عزوز الذي يريد القضاء على جماعة أحمد باي.

وبعد مرحلة ' إتصل مباشرة الحسن بن عزوز و الحاج بـاي شقيق فرحات بن سعيد، ليعينه خليفة بسكرة، فما كان على الأمير سوى قبول الطلب و تعيين بن عزوز بعد اختياره على فرحات بن سعيد، والحاج باي، و طلب من خليفة في المدية البركاني ليذهب معه، ليرسم إعلان ك خليفه بالفرسان و التقاليد الخاصة ." فما كان على أحمد باي و مساع ده بن قانة سوى الهروب نحو الشمال من بسكرة قرب الأوراس، لأن بن عزوز و جماعته عملت على محاربة جيش أحمد باي في المرحلة هذه التي كانت عام 1838"([2]).

ورغم مراسلة بن سعيد لفرنسا حول القضية، فإن فشل في ذلك و ثم قطع إتصالاته لأنه كان من جهة ضد أحمد باي و بن قانة ، وكان غاضبا من الأمير و بن عزوز و متذمر " من فرنسا التي أراد .التقرب ' منها، فما كان على جيش الأمير و خلافته سوى أن يقبض عليه، و ثم ذلك و أخذه البركاني إلى سجن تاقدمت فوقفوه في ذلك زمنا ثم أطلقوه كعقابا له لاتصاله مع فرنسا في الوقت الذي عانى أحمد باي([3])، العزلة وصدت أمامه أبواب النجدة من الدولة العثمانية و باي تونس، وثم التحاق بن قانة بالجيش الفرنسي و أصبح من قيادها، في المنطقة وكون اتباعا له من الجهة . لقد كانت طموحات الأمير متواصلة منذ معاهدة دي ميشال، إلا أن فرنسا كانت أعرف و أقدر لما تفعل، حيث تركت ا لحبل على القارب، فوجد الأمير في نجاح بن سعيد فرحات على أحمد باي فرصة لتوسيع الخلافة، لكن بن سعيد([4])،

---

[1]–) ابراهيم مياس: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، opu ط2، 2007، ص48.

[2])– ابراهيم مياسي، م س، ص48.

[3])– أ توفيق المدني اأ، رسائل جديدة بين أحمد باي و الباب العالى العثماني، مجلة التاريخ، الجزائر رقم 6–1978. عن مياسي م س –

[4])– إ .مياسي، ن م، ص 46.

ثم قبوله تعينه كقائد لبسكرة عام 1838 و ثم تحديد حدوده مستقلا عن قسنطينة، لأن فرنسا وجدته رجلا قويا محاربا.

لقد كانت الصراعات السياسية خطيرة في المحيط الثوري في المنطقة، حيث كان فرحات بن سعيد، يلعب ورقتين الأولى مع فرنسا ليصبح قائد، و لما لاحظ إهمالها له حاول التقرب من الامير لبيعته خليفة له، و خاصة تعيين بن عيسى قائدا للشمال القسنطيني و هذا الذي خلفة أحمد باي سابقا، أما الأمير فكان سياسيا أكثرفكان يهادن ف رنسا من جهة و إعلان الإمارة المنفصلة، ثم مواصلة الجهاد نحو الجنوب، في حين كان يفضل لقب الأمير، و يلحق دولته، بالمملكة العلوية بالمغرب، لتوسيع ارض الخلافة الإسلامية إلا أنه وجد فرنسا بالمرصاد و حددت له في معاهدة لالا مغنية ظروف و شروط التعامل مع المغرب، و مراكز نشاط القبائل المجاورة للحدودة من أنجاد وبني قيل و بني سنوس وزناتة و حميان و أولاد نهار و أولاد سيد الشيخ و حميان وذوي منيع .

كما يمكن بعد التأكيد التاريخي الوثائقي، ان الأمير بعد زيارته للأغواط و جد الصراعات قائمة بين القبائل و الزعماء فقام بت عيين الحاج العربي ([1]) السرغيني، عوضا عن أحمد بن سالم الذي قام بالاستحواذ على الملكيات و العقارات، مما جعل الأهالي يتذمرون منه، لذا كانت خطوة الأمير فعل تربوي سياسي ناضج متعرف لخفايا المجتمع و كيفيات تسيير أمور العشائر المحلية ، فاستطاع الأمير كسب ودهم، و جعلهم في مناطق دولته، ورفعوا له الطاعة و الانضباط، وقد كان الحاج العربي، ابن الحاج عيسى([2]) الأغواطي، الشاعر و لولى الصراع المشهور في المدينة . وكتب نص مرسوم يقول فيه أصدرناه: للكريم الحاج العربي الاغواطي و ذلك أنه، لما تقرر لدينا فضله وعدله، .....وجعلناه نائبا عنا وخليفة لنا..."حسب مياسي ص 116.

وقد كان هذا سنة 1838 بتوقيع الأمير، ليعبر فيه عن مسؤوليته الخلافة العامة و الإمارة للمسلمين في الجزائر، ويعير عن اهتمامه بالرعية، و جمع وحدة الصف و ترهيب قوات الاستعمار، و تكليفه بجمع الضرائب و تكوين جيش نظامي لحماية المنطقة وتنظيم الحكومة في إطار الأحكام الشرعية . ولكن الأمير لم يطل أمر ولايته، حتى وجد العصيان و الرفض يظهر من ناحية محمد الصغير التجاني، ورفضوا إقامة قوانينه، ولا دفع الضرائب ولا جهاد معه بعد تكوين جبهة للمواجهة .

---

[1] – E . Mangin (notes sur lhistoire de laghouat) in R.A n83. 1894.

[2])– محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر، دار اليقطينة العربية، 1964، ص 221 عن مياسي ص 113

هذا ما دفع الأمير إلى ضرب موا قع التجاني في عين ماضي مع جنوده و العشائر المنظمة إليه سنة 12/1838 جوان، مع ملاحظة ان القبائل التي حاربت مع التجاني، كان بعضها ينتمي إلى الحاج العربي، ما يعني القبائل المتحاربة، كانت من نفس الأصل غالبا، فكانت جماعات جيش التجاني من بني سرغين بن صالح، الأر باع و بعض من الغيشا و تاجموت و الحويطة، بالإضافة إلى بعض اليهود و الزنوج . وبما ان عزيمة الأمير كانت قوية، فقد حاصر الامير غريمه التجاني مدة 6 أشهر فعجلت فرنسا بمحاولة تهدئة، باستمالة الأمير و تسليمه بعض المدافع لتغيير في معاهدة تافنة فكان من الاميرسوى توقيف الحرب بين الأمير والتيجاني سنة 22/1838 نوفمبر، أهمها جلاء التجاني عن عين ماضي و أخريات([1]).

فوجدنا الأمير يدافع بالحمية الجهادية وتوحيد الصف و دفع الشقاق كما يقول هو نفسه مما جعل أهل الأغواط يرفضون الاستعمار فقاموا بعده بثورات بطولية بقيا دة الشيخ بن شهرة ولما أن الشقاق لم يتم إطفاءه نهائيا، فإن هناك من رفض دفع الضرائب و العشور، و رفض قيادة الأمير، فكان الأمر إعادة الهجوم من طرف الأمير، وعليه أن يعود من معسكر و غريس ليقوم بالهجمة المناسبة ضد الذين نكثوا العهد، فما كان سوى قبول الأمر الواقع من طرف سكان الاغواط بعد قوة هلع الهجوم الجديد الذي وقع، فأعلنوا طاعتهم و قبول شروط الأمير ثانية، ولكن بعد رجوعه في الصراع دائما بين أحمد بن سالم و صديقه التجاني من جهة و الحاج العربي من جهة أخرى، فتآمروا عليه و طردوه في الاغواط، فما كان على الأمير سوى تعيين خليفة آخر من تاقدمت، عاصمة الأمير اسمه عبد الباقي فهجم هذا الأخير على المدينة و احتلها باسم الأمير الثالث مرة، و أمره الأمير بجمع الشخصيات المنطقة و إعدامهم، ولكن الخليفة اختزل لأمر في تكبيل الزعماء بالقيود لكن أهاليهم علموا الأمر، فهاج موا جيش الخليفة و نفسه، مما جعلهم يحصلون على بعض السلاح و المدفعية، وهرب عبد الباقي بضمان الخروبي، و الآغا جديد سنة 1839([2]) .

ولكن تعنت الأمير رغم نظرته بحكمة للأمر، أعاد تعيين الحاج العربي لخلافته و أرجعه إلى المنطقة، لكنه اصطدم بعدو قوى هو أحمد بن س الم فقتله في قصر الحيران، لينتهي نفوذ الأمير في الاغواط سنة 1842 حيث أصبح أحمد بن سالم رجل المنطقة، خاصة بعد تقربه من فرنسا التي عينته

---

[1])- نفس المرجع السابق، ص117.

[2])- مياسي أ، ن م، ص122.

فما بعد قائد الاغواط و مناطقها . هكذا سهل الأمر على فرنسا لاحتلال المنطقة، بعد طلب بن سالم حكمها للمنطقة وحمايتها من ا لأمير، فكان طلبه واقعا 1844 حين دخلت فرنسا عبر تاجموت يوم 17 ماي 1844 بعد عبوره طاقين بقيادة الجنرال ماري مونج، يصبح بن سالم قائد العسافية، وقصر الحيران و الحويطة و تاجموت و عين ماضي و الأرباع، الحرازلة، وبني مزاب([1])، وعطاء الله و سعيد عتبة مما ان ورقلة و غرداية كانت في وصايته .

إن الغريب في الأمر، لم يسهل على فرنسا التفاوض مع التجاني، لأن وطنيته لم تكن بعيدة المنال، فطلبت فرنسا الوصول إليه، فرفض التجاني أولا من موقف ديني، لأن الاستعمار مسيحي، و كان غاضبا على البطش على الأهالي، و تكليفيهم بالضرائب فق ابل التجاني الجنرال سان ارنو **Saint arnaud** و الجنرال ماري مع الشكر و أعاد له الضرائب التي دفعهالهم. فكانت غنيمة فرنسا غنية و إستراتيجية بحيث تسطو على موقع مركزي للجزائر عامة شرقا وغربا شمالا وجنوبا، وحيث القوافل التجارية تمر عبر الأغواط من المناطق المجاو رة لأنها منطقة سهبية لا تتعب المسافرين و خاصة الحجاج الذي مروا إلى مكة و الحجاز، وقد تتمكن فرنسا بذلك من قطع الاتصال و المواصلات بين ([2])كل المناطق وتتحكم في كل القوافل الثورية و التجارية، ومنها تسهيل محاربة أولاد سيد الشيخ الذين كانوا في الجانب الغربي للمنطقة، حيث شارك بعضهم مع الأمير في الهجمة الأولى، رغم ان الحاج عيسى من ذرية سيد الشيخ، فجاء قادما من تلمسان أولا ثم استقر في الأغواط أخيرا، كما أن الناصر بن شهرة كان صهر لأحد عائلات أولاد سيد الشيخ وكان مقاوما ارتبط سمعته بالأغواط و ورقلة حيث وجد سي محمد الشريف بن عبد الله إلى جانبه الذي يعتبر هو أيضا من أولاد سيد الشيخ حسب أغلب المصادر، كما تزوج من ابنة الشريف بن عبد الله . لكن الأمير عاود الكرة بلجوءه للعون لدى أولاد نا يل حيث وجد الشريف بن الاحرش عام 1846 حيث كانت فرنسا مهتمة بالحدود المغربية.

لقد كانت الصراعات دائرة بقوة ، لأن المنطقة كانت في فوضى، كما كانت كل الجزائر في فوضى حيث هروب الأتراك وعدم تمكن دولتهم وتنظيمها في الجنوب من ترسيخ النظام الإداري و السياسي الجديد من بسط نفوذه، وخلق تقاليده النظامية التي تنمط سلوك المواطن و حقوقه و اعماله و نشاطا ته الاقتصادية و التجارية و السياسية . أما فرنسا فوقوعها، أمام ضربات المقاومة من جهة وسيادة صراع

---

[1])- نفس المرجع، ص 123.

[2])- إ.مياس، ن م، ص 125.

سياسي على بسط النفوذ الشخصي لبعض الزعماء، قد إظطرت إلى سياسة فرق تسد، وضرب هذا بذاك واشتعال الفتنة بين المقاومات نفسها و العشائر المجاورة لكل منطقة توتر ثوري.

هكذا و جدنا سي الشريف بن عبد الله، الذي كان مقيما و في تلمسان ومن أعياننها رفض قيادة البوحميدي، خليفة الأمير فتآمر مع بن سماعيل و مولاي الشيخ علي مع الكولونيل تمبور **Tombour** على الأمير، ففازوا عليه في المعركة، فقامت فرنسا بتعيين الشريف سلطانا وخليفة عل ى تلمسان و لكن برامج فرنسا و عقائدها الاستعمارية بالمرصاد، فلقب سلطان لا يعني أنه ملك مستقل مع شعبه لا يحكمه أحد، بل ظل الخليفة و السلطان و القائد كوالي، و عميل مسخر لفلسفة و سياسة فرنسا، لذا لم يطل الحال مع العمالة، فإندفع بن عبد الله إلى الثورة بعد، ضغوط فرنسا على الحريات فلجأ إلى ضريح سيد بومدين يتعبد، و هو يحضر للثورة أياما وزمانا، حتى قرأ الناس على الجدران " الشريف محمد ناصر الدين ....سلطة الله على رقاب الكافرين ...". فأمرته فرنسا بالحج، فذهب و إتصل هناك مع محمد علي السنوسي و باي طرابلس ورجع مع هذا ا لحاكم إلى تونس و منها دخل الصحراء الجزائرية ليقود الثورة في ورقلة من جديد ([1])عام 1851 فوجد بن شهرة مسنده . هذه المقاومات المرتبطة بحركة الأمير، كلها ضمن عملية مد و جزر، بين قبول الأمير، ورفضه وكانت فرنسا بالمرصاد، لتلعب قائد اللعبة، بهدف ترك المصير تحدده المجموعة المحلية بذكاء فرنسي، قوى لمسك نتيجة الفعل الثوري التي تعرف هزيمته مهما كان الحال وهذا لقوتها و دراستها للوضع الجغرافي و الاجتماعي والنفسي الثقافي الذي يمكن فهمه و بالتالي التحكم فيه بكل سهولة.

---

[1])- أ، مياسي، نفس المرجع، ص 130/127هامش.

المطلب الرابع الأمير و الحداثة السياسية:

لقد ساهم الأمير في ثورته المنظمة في خلق تجاوب نفسي واجتماعي لدى السكان الأهالي الذين لم يلقوا سلطة خارجية من قبل رغم خلافة الأتراك عليهم الذين لم يشكلوا حكومات محلية لهم ، بل ممثلين من الأغوات والباشوات والخواجه الذين كانوا من أصل السكان الأهالي والذين كان دورهم لا يتعدى جمع الضرائب التي كانت تعتبر ثمنا لحمايتهم ومشاركتهم في الحكم .لقد حاولت فرنسا التحايل مع الأمير وتقسيم الحدود معه ، لكن الإرتباط التاريخي خلق التأزم المتواصل بين فرنسا والسكان الذين التحق معظمهم مع الأمير رغم ضعف قوته أمام عصرنة القوات الإستعمارية ."يجب الذكر أنه لما ولى الماريشال(**valee**[1]) منصب حاكما عاما على الجزائر ، مارس سياسة التوسع الجديد ، ونقض معاهدة تافنة مع الأمير فجهز جيشا .لاحتلال قسنطينة ، والتي كانت في وضعية غير واضحة بعد هروب الحاج باي أحمد إلى جنوبها وعدم إستطاعة وصول الأمير إليها حتى ذلك الحين ، في حين كان الأمير ينتهز فرصة الصلح مع فرنسا ويؤسس لدولته المستقبلية وخاصة في تلمسان في تلك الفترة لأنها كانت عاصمة الزيانيين ووبوابة المملكة العربية الاسلامية في المغرب الأقصى " . لذلك حاول الأمير تعيين قنصلا له في وهران بناءا على معاهدة تافنة ، لذا عين الحاج حبيب الممهور ([2]) .

وأرسلت فرنسا العقيد مينوفيل **menouville** الذين أقام في معسكر ، في حين استمر الأمير في توسيع نفوذه ، حيث هاجم منطقة جنوب التيطري والصحراء وكتب إلى ممثليه في وهران وتلمسان ومعسكر لشرح تأييد السكان له وم بايعته لذلك وصل جيشه إلى تاقدامت في المدية ووصلت فرق أخرى إلى منطقة سعيدة في منطقة الجعافرة حيث طلب مساعدته بالأحصنة فكان له ذلك ، وعين خليفة له ، سيد الحاج مصطفى ثم واصل طريقه إلى قبائل أولاد عياد وأولاد عكراء ثم عين ماضي حيث كان يباع القمح وكانت قلعة محم ية طبيعيا بالجغرافيا حيث يقودها الزعيم التيجاني وشيوخ الطريقة وقبائل المنطقة المناصرة للزاوية التيجانية التي قاومت اولا ثم رحبت بالاستعمار بعد ذلك .لقد دامت رحلة الأمير وجيشه 14 يوما هاجم قبائل التي لم ترضخ لأهدافه وتحاشى العنف والتخريب مما جعل ا لاهالي ي قبلونه و

---

[1]) – ا–ف –دينيزن ،الامير عبد القادر و العلاقات الفرنسية العربية في الجزائر– تر–ا. دودو –دار هما ط 1– 2003الجزائر

[2])– ن م س ،ص 123

يساندوه ومنها حصل على تعهد دفع عشور السنوات الخمسة الماضية وحصل على عدد من الجمال 1200 بعير ، واتجه إثرها إلى حنوب المدية حيث انضم إليه خليفته هناك في جيش موحد.

في تلك الظروف كانت فرنسا تجند جيشا قويا لمهاجمة قسنطينة بفضل الكتيبة – 49 للمشاة – كما قام ممثل فرنسا لدى الأمير بالإنتحار في حين كان الجنرال بيجو يهادن الظروف وقام بترقية مصطفى بن اسماعيل إلى الجنرال في حين كان رئيس الدوائر الزمالة في منطقة الأمير بينما مثل بن اسماعيل ضابطا فرنسيا حقيقيا في هجوم كلوزيل على تلمسان .رغم ذلك لم يكن المستوى العلائقي بين فرنسا والأمير متوترا كثيرا نظرا للمعاهدة السابقة – تافنة– فقد كان الأمير يستقبل مبعوثي الحاكم العام والضباط كما استلم هدايا من الأدوات وحتى السلاح من فرنسا وقابلهم بالمثل بالحصان والبرنس . لكن العلاقة سرعان ما فسدت عند وصول دي ميشيل إلى الجزائر مع ملاحظته محاولة الأمير التوسع وبسط النفوذ حيث قام في فبراير 1838 بتعبئة جيش قوى نحو المدية منهم 5000 فارس منهم 1800 من الزواف و 600 فرد من الصبائحية ([1])، ومنها وصل الأمير إلى قرب حمزه حيث فشل في المدور وعارضته قبيلة وادي الزيتون برفض دفع العشور لخمس السنوات ، ولكنها خضعت اخيرا وتم عقابها ، في حين حاول الأمير الاستقصار عن سياسته ومخططات فرنسا الآنية عن طريق قنصل أمريكا ، لكن فشل في ذلك مما جعل اليهودي بن دوران يقوم بقيادة حكومة الأمير وتنظيم شؤونها حسب سياسة فرنسا .من خلال إقامة الأمير في جوار العاصمة بجيشه المحاصر لها لكن فرنسا فهمت الأمر .

وضربت قوات الأمير بقوة في وادي الخضرة والحميز وبها فسدت ثقة الطرفين ([2]) بينما كانت فرنسا تتطلع إلى احتلال البليدة والقليعة ، حيث لم تكن بنود المعاهدة واضحة ، وربما لبعض الجهل الكتاب للغة الفرنسية أو العكس ، بينما كان هناك أزمة في التنقل وأزمة تجارة بين المناطق .في تلك الظروف خلق الطرفين تهدئة بايعاز من القناصلة المعتمدين من الطرفين وقام الأمير بإرسال سفير له إلى باريس والذي كان"ابن عراش النبيه" الذي حول معه هدايا قيمة إلى الملك الفرنسي وحكومته ، وعاد بعد ثلاث شهور إلى الجزائر متوسعا في الإدارة الحديثة والعلاقات الواسعة .

إلا أن الوضع المتأزم في الشرق الجزائري لم يكن متضحا خلال توسع فرنسا نحوه من جهة ومقاومة الأمير المتواصلة التي انطلقت من جيوشه المتوقعة في المدية نحو قسنطينة حيث وجد (الفرحات

---

[1])–أ ف –دينيزن م س ،ص 124

[2])–أ ف دينسزن م س ،ص 126

فرحات) في استقباله وانظم إلى جيشه (مع أنه كان ادعى مناصرة فرنسا من الجانب الآخر) ، لذلك استطاع البركاني التوسع نحو بسكرة ووجد المبايعة للأمير وعاد بغنائم وهدايا للأمير في المدية رغم أن الحاج الباي قد خرج عن قسنطينة ولم يستطع المقاومة .في هذه الفترة احتلت فرنسا البليدة والقليعة وهرب سكان إلى المدية في حماية الأمير سنة ربيع 1838 في حين توجه الأمير نحو تاقدامت ثم عين ماضي **2** شهر جوان برفقة 2500 رجل و 1800 جمل .ولكن الحال كان صعبا أمام سلطة الزاوية التيجانية الذي كان يقودها شابا صغيرا رفقة 900 مشاة ([1]) ومجموع ة قبائل مبايعة ومناصرة . لقد واجه الأمير صعوبة خطيرة على أسوار عين ماضي ودامت حصاره لها 8 أشهر ولم يفتحها حتى شهر يناير بعد فرار الشيخ التيجاني ، وقد تم ذلك للأمير إلا بفضل قدوم البركاني خليفة الأمير في قسنطينة وشراء الأسلحة من فرنسا واستعمال الألغام في حين اعترف الأمير أنه ليس له سلطة مطلقة على القبائل الذي انضمت المقاومة وطمأن فرنسا بثقة حول المعاهدة المعاهدة (تافنة) ليضم حماية بنودها .

لقد وضحت مسيرة الأمير قوته وذكاءه أمام همجية مدعمة بالتكنولوجيا رغم سياسة المد و الجزر التي نشأت بين الأمير والاستعمار .لقد كان من بين مبادئ الأمير سياسة عدم إعلان نفسه سلطان ولا ملكا ولا خليفة ، بل جعل من نفسه أميرا تابعا لسلطان المغرب الأقصى ، بهدف الخلافة الإسلامية وربط قوة الدولة بقوة الملكية الشرعية ، حيث يتلقى الأمير مع الأشراق في النسب السلالي .ولكن ذلك كان سببا مناقضا لأهدافه ، لأن وجد معارضة من

بعض القبائل ، إلا أن العامل المساعد لنجاحه كان اعتراف فرنسا به بعد المقاومة المستميتة له مما جعل العدو يعقد معه عدة معاهدات بين 1834 و 1837 ، إنتهت بإعلان دولة الأمير على الغرب الجزائر ما عدا وهران و مستغانم بذلك فقد الواجهة البحرية وأصبح عرضة للحصار البحري . لقد وجد الأمير قوة مناصرة له من سلطان المغرب لأن المبدأ الإسلامي القومي مفهوم أخلاقي مدعم بكل فعل تاريخي في هذه البلاد غرسته الروح الدينية وعلومها .لقد كان إنشاء قوات عسكرية دليل منهجي للعمل السياسي الذي بدأه الأمير منذ بداية مقاومته ، لذلك تم إنشاء فرق قومية من 80 ألف رجل و 10 ألف فرد للأعداد و 6 آلاف للحراسة كانت تتحرك مع الخيام والوسائل بعد كل مرحلة . إلا أن تفكك القبائل الجزائرية وفراغ السلطة الذي حصل بعد هروب الأتراك واستسلام بعضهم وفشل ثورة الحاج الباي أحمد ، جعل من قوة الأمير ، وذكاءه ضخية دهاء وكثافة المد الاستعماري الذي كان له مقصد ثقافي

---

[1])-أ ف دينيزن مس ،ص /127

لاتيني على بلاد المغرب والمشرق ، كما كان بهدف تغطية حاجياته الإقتصادية ، والمصالح الدنيوية التي انتهزها ضباط وسياسة الإستعمار .

إن عدم تفاهم بعض القبائل للوضعية الجديدة جعل الصراع واضحا حيث كان الإيالات العثمانية غير واضحة المعالم وخاصة في المنطقة الجبلية مثل القبائل والمناطق الصحراوية حيث كانت سلطات قبلية أو مبايعة سياسيا بدون ارتباط إداري . (لا قانون ، ولا ضرائب.....) .وذلك مما جعل الأمير يعلن تبعية لملك المغرب ا لذي قدم له كافة أنواع المساعدة بالإضافة إلى اقتصاد الضرائب والزكاة و العشور الذي كان يقوم تأسيس دولته التي امتدت من المدية إلى معسكر وتلمسان غربا .وحتى الأغواط والجلفة جنوبا رغم مقاومة زعماء التيجانية له ولكنه حاصر قلعة عين ماضي وجعل شيخهم التيجاني ([1]) رهينة حتى يتم سيطرة الثورة على قبائل المنطقة وإعلان مصطفى بن التهامي خليفة الأمير) ضربة قوية ضد الإستعمار ، رغم أن هذا الأخير قدم العون بالسلاح واللباس للامير للتوسع نحو الجنوب .حيث كان دي ميشال مساهما بارزا في ذلك ونقص عهده على الأمير .

إن مواجهة قبائل المدية بقيادة محمد البغدادي ، كانت عملا واضحا للسلطة القبلية في المجتمع من جهة وعدم سيطرة فرنسا بقوة على المنطقة في ذلك الحين كما يعكس تضامن محمد بن علال وقواته مع الأمير ودخولها العسكري على المدية لإعلان الخلافة وإخضاع .

السكان عاملا مساعدا للتوسع الأمير أفقيا وعموديا على مستوى القبائل العربية والأمازيغية المتواجدة في المنطقة . مما جعل الأمير يواصل مساره ليواجه فرق المعارضة له حيث وجد محمد بن عودة مناصرا له وجعله آغا على المنطقة هذه في محيط المدية وهذا لم يثن عزيمة الأخير في التوسع جنوب المدية والقبض على البغدادي والعفو عنه مما يعكس الروح الوطنية تتغلب على المصالح الآنية .حيث عاش الأمير حتى من أخيه عمه حين تعاونه مع فرنسا وتواطؤهم عليه وفرض عليهم الضريبة مع مناصريهم ،حيث فرض عليهم تسليم ب 100حصان و 1000 بندقية .و قطع فضة كغرامة وعقاب.

---

[1]–) أ ف دينيزن ،م س ،ص 149

الفصل الثالث أنتروبولوجية المقاومة

المبحث الأول أنتروبولوجية تنظيم المقاومة

المطلب الأول الزمالة عاصمة متنقلة

وهي مراكز تجمعات سكانية متنقلة وتتحرك طبق تحركات الأمير وجيشه فحيث تنقل الجيش تتنقل معه الجل المدميين ز النساء و الأطفال و حيواناتهم م ماشيتهم لتحضير المؤونة و الغذ اء للجيش وهي عاصمة الأميرالمتنقلة .وكانت منظمة في ترتيب متناسثق من عناصر من الأعراش في المنطقة و وماجاورها و حتى من بعيد .وهي عاصمة الأمير المتنقلة .

الاميروبلسيس المراكز استقر الامير بعد جولاته و صولاته في القرية الاثرية بعد هجوم فالي فدحلها للمقاومة و تاسيس مركز ثوري **Taza** و التي حولها الاستعمار الى طاحونة وفق نظام التصنيع الكولونيالي .ثم تحول الى فرن اما الامير فقد حولها مصنع للسلاح كان فيها مائة عامل و قد بنى ذاك المصنع في سنة لموقعه وقرب الحديدلها سنة 1839 .وكانت مركز وسطي للمنطقة بين 1839-1848وكان منها 17 غرفة منها طابق سفلي و ورشة وتعمل بنظام كاتالاني وقد ساعده الكيير كاز وهو من الكولون لخبرته في صناعة الاسلحة و العمال من المساجين حيث كان كاز منهم فكانت النتيجة صنع الرماح والبنادق و المدافع ولكنه توقف بعد ستة اشهر وفي 8جوان 1848دخله الماريشال فالي ثم سيطرت عليه مع العلم انه موقع اثري قديم وفيه اثار مدفونة وحفاريات تاريخية ثمينة.

يمكن الاشارة الى ان قادة الاميراجتمعوا في 3جويلية 1839في اطا ر اجتماع شوربحضور مبعوث الملك عبدالرحمان و اسمه علي عبد القادر و هو ضابط سامي في الجيش المغربي و كان ذلك في قرية تازة الاثرية فكان مواصلة الجهادامرا جادا ([1]) وقد قال احدهم (وافقنا على طلبوه منا اولا في معاهدة دي ميشال و معاهدة بيجو ‘‘‘‘‘‘وقد قصدوا باعتداءهم هذا انهم سيستولوا على بلادنا و يستعبدونا ‘‘‘‘‘‘فلا عدول عن الحرب ([2]) .لقد‘ كانت القلعة هذه ‘مدينة رومانية ثم خربت و بعده تم

---

[1] -)-------مجلة افاق و افكار الصادرة عن جامعة الجزائر-مجلد 3و عدد4/2013/248

[2] عمر الصادق ‘مليانة و دورهاعهد سيدي احمد بن يوسف الملياني –د م ج –ط 4 الجزائر 1994- ص 44

تطويرها عهد الرستمي في 992م اما المير فقد استغل فترة معاهدة السلام و الهدنة بعد تافنة فقام بانشاء حصون و قلاع و مؤسسات مختلفة اما سكانها فهم من قبائل مطماطة و بلال ‘لذا مثلت لدى الامير حصن دفاعي منيع على سفح الجبل قرب الماء و الغابات ,فقد قام بن علال خليفة الامير بالتخطيط لبناءها ثم واصل بن رويلة انجاز ذالك عام 39/1838 . و قد كان هدف لاميرمن ذالك هو جلب سكان العاصمة و البليدة و جمعهم فيها لتهريبهم من الاستعمار حسب كابتن ديما ([1]) وقدكان ان يضع الامير برمج ان يضع خطوط ثلاث للدفاع موازية للساحل في حين كان خط الامير على محور تلمسان–معسكر ،ومدينة مليانة ([2]) المدية و كان ت خطوط الداخل هي سبدو تافراوة – سعيدة –تاقدامت –مليانة –تازة– بوغار –لذا هيأ الامير في تازة ثلاث مدافع و فرن للخبز و طاحونة للقمح يعمل فيها سكان المدينة حيث كانت تمثل خط دفاع جنوب التل الذي يفتح لمناطق الفراغ و السهوب

المطلب الثاني العناصر السكانية لثورة الأمير

تعتبر الزمالة المقر او العاصمة المتنقلة للامير بكل اشياءها و ادواتها و افرادها نساءا و رجالا و اطفالا ‘ لقد قسم الأمير زمالته إلى تجمعات سكنية متوافقة مع أهداف ثورته و إستراتيجيته الحربية لمقارعة الاستعمار ، فقد قسم الدواوير و القبائل إلى شبه أحياء تحيط بمركزه القيادي وتجند قوات الاستنفار و الإسعاف السريع لمعاركه لذا نجد تقسيمه كالتالي :حسب الحاميات :

الحامية الأولى :

دوار الحاج مصطفى بن التهامي **?** وهو خليفة سابق لمعسكر ، حيث كان قريبا للأمير من خلال زواجه لأخت الأمير خديجة ، كما كان زوجا لعائشة بنت قاضي وهران عهد الأتراك /

---

[1]– محمد بن عبد القادر الجزائري ‘تحفة الزائر ويمكن مراجعة التالي

–yeverG . :correspondances capitaine Daumas192 in /afkar/afak vol/3/no/4/2013

–lBellmare’(Emir)AEK,sa vie politique et militaire, ed–Bouchen.

Emerit(M) :L,algerie a l epoque d’abdelkader, وللمزيد يرجى p253

[2]–عمر الصادق ‘مليانة و دورها .....عن مجلة أفاق و أفكار ‘جامعة الاجزائر ‘م س .

– عائلة البكاري : قائد سابق لمعسكر ، حيث كان مكلفا بمهام نحو تونس و المغرب من طرف الخليفة .

– عائلة الحاج زيان : ابن عم القائد السابق لمعسكر

– عائلة الحاج بوعلام : رجل الخزينة للأمير

– سيد تهامي : رجل خزينة الخليفة

– سي بوزيد : خوجة اول للخليفة

– سي مرسلي : مستشار الخليفة

– الشرشالي : رجل حرب مشاة

– العربي بن مساهل : خوجه لقوات المشاة ([1])

أما الجوار الثاني أو الدوار فقد كان يتكون من :

–احدهم بزعامة الحاج عبد القادر بو كليخة : قائد سابق لزدامة

* عائلات الشاوش و السكان في الدوار ، رغم ذلك كان الاحتياط الوقائي للأمير في بين الد واوير ' إلا انه تعرض للهجوم في الدوار وتم جرح بو كليخة ([2])حيث شكل هؤلاء 15 خيمة .وهي ملتفة حول بعضها '.أما شمالا : فقد كان يحوطه دوار بن عراش إلي تعمره عائلة بن عراش وعائلة الغزي و الهاملين و بو عزة عدة وقوادجي وأولاد الغزي وبعض الخدم وهم 20 خيمة.

* اما جنوب خيمة الأمير : كان هناك دوار سي الخروبي الذي كان كاتب الأمير وخليفة فليتة.وقد كانت تتكون من عائلات الخروبي و ولد الحاج علي أغا هاشم ، غرابة وعائلة بلغالم اغا المشاة المنتظمة .وعائلة البركان خوجة **ire** وعائلة المدعو سي خوجة **(reg.iuf)** للمشاة المنتظمة 'وعائلة بالبرجي وقد مثلت تلك كلها 12 خيمة

–[1]– Anane cherif (m) .la destruction des tribus 1838.1847 . anep.alger.2011. p 86

[2] Anane ,med,cherif, la destruction des tribus 1830/1847 :. Op cit p 87j

أما الحامية الثانية :فقد تتكون من عائلات :

بن علال خليفة مليانة ، وآغا الفرسان ، ودوار الشاوويش و الحاج لحبيب وليد مهور ، قنصل الأمير في وهران وقد تقسم ذلك إلى :

دوار بن علال : منه سي محي الدين أخ الخليفة ،وسي الحاج ا لصغير باي مليانة سابقا ، وع ائلة الحاج قدور وعائلة الحاج شريف خوجة بن علال و عائلة بن لاغردار قاضي الجيش وعائلة سيد الحبش ، مرابط متيجة ، وعائلة بن عيسى ، وكيل تازة ، وبن نيار الذي كان خزندار الخليفة ، وعائلة قدور قوادجي مقتصد الخليفة ، وبن تركية صديق الخليفة وعائلة راشدي باشا ، شاويش الخليفة . وقد مثل ذلك عددا 30 خيمة مع الخدم إضافة إلى دوار الحاج الحبيب و لد مهور ، مستشار القاضي بالشؤون الفرنسية.

ودوار بن يحي الجم ، قد ضموا 10 خيم([1])

أما دوار الشاوش فكان 8 دوار تتواجد فيه شرطة الأمير للحامية الأولى و الثانية

* أما الحامييية الثالثة)([2])

فكانت تتكون من قبائل هاشم الشراقة و الغرابة من سهل غريس

أولاد عباس ، 30 دوار، الآغا عدة محمد ولد تافنش .

– المحاميد ، 15 دوار ، بقيادة الأغا الساسي

– السياقة وهم أهل سيق شمال معسكر ، فكان يقودها ولد قايد بن جوا .

أولاد كرامسة و القروات ، يقودها الحاج خلادي (تغنيف)

درادب : من أهل هاشم شراقة (10 دوار)

أولاد بغداد : بن عوف من هاشم غرابة (4 دوار)

---

[1] Anane (l.m.ch) . op cit . p 88

[2]Anane (l.m.ch) . op cit . p 89

أولاد ربو : من هاشم غرابة (10 دوار)

أولاد بركات : من هاشم غرابة (8 دوار) يقودها بن زيان ، قائد المكاحلية من حلقة معسكر

أولاد عياد : من هاشم غرابة 30 دوار، يقودها الحاج مجاهدي زعيم هاشم غرابة،

ولاد عبد الوهاب من هاشم غرابة 20 دوار ، بقيادة لقصير .

* عائلات متشاشين الوعد 10 دوار من هاشم غرابة

* العساسنة من أولاد الحمام 15 دوار من هاشم غرابة

* دواير واد الحمام ، من هاشم ، 10 دوار ، يقودها محمد ولد علي

* المزوار اهل تيفرورة ، أولاد بن داحة ، من هاشم 15 دوار، بقيادة محمد بن شنتوف([1])

الحامية الرابعة:

ونلاحظ ان هذه الحامية كانت في وضعية صعوبات مكانية لوجيستيكية و طبيعية .

وقد كان يقودها قبائل الصحراوي ومنها :

– أولاد خليف : بقيادة الخروبي وسي رابح – بن مدين ، 20 دوار

– اولاد شايب (او ربما شعيب) نظرا الى الترجمة ، ومنها 30 دوار بقيادة الجديد

– اولاد شريف ، منها 12 دوار – أحرار شراقة 20 دوار – اولاد كيراك 6 دوار

وتكون تلك الدواوير كلها 146 دوار . وتتميز انها كانت ترتبط بالأمير بعلاقات قوية ، قرابية و تعاونية ، خاصة مع السي الجديد ، و بن شعيب و الخروبي و بن خليف .

وقد كانت توجد مجموعة دواوير بين الحاميات بين الرابعة والثالثة مثل دوار سي قدور بن عبد الباقي ، خليفة الصحراء من 6 دوار وكانت تضم رجل لزاوية بسارة و أولاد شريف .حيث كان الحاج احمد وعمه بن عيسى ، فكانوا جانب سي قدور ومساعديه المهمين ، واتباعه حيث كان سي قدور مرابط

---

[1]) –Op cit . p 89

محترم .وخلاصة ذلك ان كل العائلات و الدواوير التي كان يضمها جيش الأمير 368 دوار في كل الحاميات في كل قبائل المنطقة ([1])

المطلب الثالث الرموز القيادية و أنواع الشخصيات

في هذه الحركات الثورية، كما في كل ثورة، يجدر بنا تمييز ثلاث فئات:

1 –متكونة من رؤوس، و هم الذين يجب إسقاطهم و يجب أن تكون أملاكهم مصادرة، و تكون في خدمة مؤسسات الكولون.

2 –الفئة الثانية تتكون من االعجزة من ا لكباش هي : و هؤلاء يمكن بتعديل صرامة معينة أن نطبقها عليهم، مثل غرامات حرب، رفع ضريبة العام، أو نزع السلاح منهم كعقاب ملائم كاف.

3 –الفئة الثالثة : تتكون من رجال شجعان الذين يهدون حياتهم من عمق القلب الثورات، و لكنهم، عندما يتواجدون في وسطها هو يخضعون لهاأحيانا و يشاركون فيها رغما عليهم .ومما يوجب على القادة من الاستعمار، تقسيم الانتفاضات و تفكيكها و عدم معاملة الأشخاص و القبائل بنفس الأوزان([2]).بعد تمييز المقاومة إلى مرحلتين:

1 –الأمير و أحمد باي.

2 –1845.. المقراني و الشيخ بوعمامة.

لذا وجدنا أن أسباب الثورات المقاومة([3])، في المرحلة الثانية، هي سقوط مملكة نابليون **III** في 1870 و قرارات كريميو .**CREMIEUX**المميزة لليهود .

أما في حين دخوله تلمسان وجد الأمير نفسه بين قوتين ،وهي القابلة لسلطته و الرافضة لها .لذا كان لزاما على جماعة الأميرتفحص الأمر سياسيا و لإجتماعيا و دينيا ق بل اصدار القرار .لذا بعث الأمير بمبعوث خاص لدى الملك عبد الرحمان المغربي و لدى فقهاءه لدراسة القضية ثم اصدار فتوى في الموضوع .لذا كان الفقيه المخزني الدسولي هو المختار لذلك ،و الذي كان حكمه له منطقه و عقلانيته وعلى شكلين .فالأول يمنع قتال المسلمين ما دام الكافر المحتل في أرض الإسلاملأن السلم يكون في هذه

---

[1])–Anane (m) Op cit i bid . p90– 91

[2]– Melica ounoughi : algériens et maghrébin en nouvelle caledonie…. P 56

[3]– Op.cit, P 56

الحالة صعبا و المعنى الذي يمكن فهمه من هذا التبرير أنه خوفا من الفتنة ، و الثاني يمكن قتالهم في حالة وفضهم لدفع الضرائب أو رافضين لبيعة عامة للأمير أو الإمام أو القائد المسير ....."([1]).

و لكن الأمير رفض ذلك ‘في حين كان متعاهدا مع فرنسا على الأمان و السلم . بينما لم يرض بفتوى الدسولي . وكان عهد تافنة حيز التنفيذ منذ 30جوان 1837مع بيجو مما ساعده الوضع على القيام بمواجهة المعارضين له و إعلان الحرب عليهم لفيض سلطته و جمع الضرائب ([2]) و الغرامات لدولته المعلنة و المحددة جغرافيا مع بيجو في المعاهدة السابقة .

لذا بدأ الأمير بغزو عشائر مهاية وهي التي تنتمي الى قبائل أنكاد القاطنة في الجدود المعربية الجزائرية و التي يقودها الشيخ الغماري و الذي قبض عليه الأمير و نقله الى معسكر و أعدمه . وتعد هروب رجال مهاية ‘،لإنتظر الأمير حتى لإستسلام القبيلة و قبول سلطته و تسليمه الضرائب السنوية لأجل صندوق دولته . وهو ماكان في النهاية .وبعدها قام الأمير بدخول تلمسان حيث قام هو و أمه – لا لا زهرة –بزيارة ضريح سيدي بومدين وحيث قطع عهده للنضال و المقاومة حتى الموت . وفي 12 جوان 1837 بدأ دخول تلمسان بعد خروج كافينياك منها وخلفه من منطقة المشور .

وهكذا لزم الأمر تجريد الكولوغلية من السلاح الذي تسلموه من فرنسا حين دخولها عليهم و تواطؤهم معها . فكان هناك رفض بعضهم و عقابهم بالتوقيف من طرف الأمير .وقد لا قى الأمير في دخوله حشدا شعبيا ضخما من الحضر و الدواوير و سمع هناك المديح الشعري لإبن رويلة له . ثم عين بوحميدي خليفة له في المنطقة الغربية هذه وتوجه الى تاقدامت ومعه ال صبائحية و القومية .

ساهم ذكاء و عبقرية الأميرفي استقطاب القوى الثورية من الطبقات العالمة و الطرقيات المثقفة ورموز الفروسية و الأعيان بين العشائر و الجماعات المحلية. فكان لإستمالة بن علال و البركاني و البوحميدي و بن سالم وقع نفيس في شخصيته و ذاته . لأن الأمر الداعي الى استخلاف السلطة العثمانية قد حان وقته ولزم تنفيذه عاجلا في ظل التوسع السياسي لفرنسا و الكولون .حتى وقع أعلان الدولة الجزائرية بعد المعارك الناجحة و التي فرنسا التوقيع معه على معاهدة السلم حين قيادة دي ميشال

([1]- -- Paul Azan ,L’emir abdel kader .....p 99

([2]- ---- Paul Azan ,opcit ,p100

للعمليات العسكرية ضده .مما سهل للأمير جمع قواته و تنظيم مقاومته من جديد ومنها الإعالان عن دولة حديثة رغم حصار كولونيالي من الشمال البري و البحري .

بينما في الجنوب لم يكن له الشعور الفردي و الجماعي في الخروج عن الوطنية و الإستقلال من أيا كان مادام الإسلام و الإلتحام الهوياتي و الجغرافي هو العامل المشترك . هكذا كان احد قيادات ثورة الامير السيد فندي عبد الله وهومن ذرية سيدي سليمان بن ابي سماحة و الذي ولد في ناحية بو فاطيس بوهران في عرش بني فريحة .وقد كان جده مدفونا في بني ونيف .واه اهله واقرباءه في الجنوب الغربي بين النعامة وبشارو البيض غالبا .وزيادة على ذلك كان الامير اح للامير من الرضاعة و كان قائدا لجيوشه لمقدرته وكفاءته العلمية و السياسية لانه تعلم فـي الزوايا في بني ونيف ثم وهران وكان عضوا في مجلس شورى الامير و مستشاره العسكري الخاص لانه كان علم الفلك و الجغرافيا و القران و الحديث و الفقه .وقد اشتهر فندي قبل الاستعمار حيث قام سنة 1829بتاسيس مدرسة للعلوم في قسنطينة و مدرسة للغة العربية في تمنطيط كما تم تااسيس مؤسسة العقائد لى الشعانبة وكان هو نفسه الشرف عليها . كما اسس ثكنة عسكرية على بعد 55كلم من بني ونيف ضمت ما يقرب 8000جندي حيث ساعدهم وضعية الفلاحين الذين لايمكنهم التحول من مناطق استقرارهم لخدمة الارض دون اللتحاق بالجيش .كما استطاع ان يصنع مع جنوده 50قطعة عيكرية و 700بندقية وبعض القطع من الاحذية و الالبسة وتربية الخيول ‘تضحية للوطن و الامة .

هكذا بعد اشتهار صيته انضم للامير من الوهلة الاولى في جويلية 1830للتحضير و الاستعداد للحرب من بداية التهديدات بعد احتلال العاصمة .لذا قام فندي و افراده باغراق سفينة امريكية لبيع القمح على سواحل ارزيو في اوت 1830كما قاد معركة المقطع قرب وهران في 3 نوفمبر 1830بعد فشل المفاوضات مع فرنسا .وقد وصلت النتيجة الى حوالي 2800قتيل حينذاك في مدة ثلاث ايام حسب الضلبط فيرداب مع ان فندي لم يستسلم وام بمواصلة الدفاع و ا لماومة حتى توقيع معاهدة لاحقة .تكلم عنها ريشيليو و بولينياك .

قام الامير بانجاز عمل علمي كبير ايام سجنه والتي منها اسهام فلسفي في زمن كانت تختفي فيه الابحاث الفكرية و الفلسفية ومنها –ت ذكرى العاقل و تنبيه الغافل – حيث يعترف الامير حين قوله)(رميت سهمي بين السهام)و اكرام مضيفه الذي كان حينذاك تركيا من خلال المجمع الاسيوي الذي قصد الانضمام اليه . ومنها كتب كتابه سنة1271ه 14رمضان . وهي فترة بعد سجنه في لامبواز في

فرنسا . واسعد هان يسلمه للمجمع الاسيوي في تركيا فكتب لمديره رينيو بادب اسلامي وثقافة العصري الخبير ,.وقد قسمه الى ابواب حول التعليم و الدين مع الاخلاق و الكتابة والعلوم عامة .فكانت تصورا شاملا قلسفيا .و اخلاقيا وثقافيا يخالف التصور الغربي الذي لم يعرف حياة الشعوب الاسلامية .والتي كانت عن صور استكشافية و عجائبية و ثقلفية با لمخيال الشرقي ولم تفهم الجزئيات .

و قد كان الامير قد زار الكنيسة في باريس وه مادلين وحينها قال)(ان ني كنت اعتقد ان فرنسا شعب لا دين له .....الكنائس ستقنعني بخطئي ....(). ويعترف البعض في ذكء الامير في جمع الرجال و الفرسان و الثور للمعارك رغم ان الاستعمار قد قام بجمع الترك و الكولوغلية في مستغانم و معسكر م تلمسان و مليانة كما راى يوهان بيرنت كرحالة الماني لثلاث سنوات .

المبحث الثاني أنتروبولوجية الفعل

المطلب الأول الفعل الثوري إتجاه البنية الإجتماعية

اننا نجد الأميرمن حين بدايته في الثورة عام 1832، قد استطاع امداد الروح القومية و الشجاعة الأدبية للبعض من رجال المخزن االسابق المتواطئين مع الاستعمار من الإنتفاض ضد الاستعمار ورفض الظلم لأنهم ذاقوا مرارة الإجحاف و حتى مع رأسمالهم المعنوي رمزي المتمثل في المراتب الإدارية والمشيخات و ملكياتهم الإقطاعية الواسعة ، التي أصبحت في خطر بعد رفضهم للاستعمار ، رغم تقربهم لثورة الأمير في 1832 و 1833 إلا أنهم قد تنازلوا عن ذلك في 1834 بعد معاهدة دي مشال، الا عقل الأمير لم يأتمن ذالك في منطقته بعدما تأكد أن الاحتلال فرض أقدامه و شروطه على العاصمه وتثبيت ادارته .

لذا وجدنا مصطفى بن إسماعيل و الغماري و و لعريبي في الغرب الجزائري بين واد الشلف و تلمسان، حيث يعترف أحد مؤرخي الاستعمار أن إبن العمار يدعى فرنسا لقتل رجال الأمير ([1]) ، حين عودتهم من المغرب، حيث كان لغماري شيخ قبائل أنجاد القاطنة بين وجدة و تلمسان .لكن دهاء الاقطاعية و الشيوخ لم تهضمه فرنسا رغم تعاملهم معها ‘كما تعامل كل الشيوخ و زعماء المقاومة معها

---

[1] – Philipe de cassé brissac les rapport de la france et du maroc pendant la conquéte del’algerie in م س ،ص 56.

قبل ذلك لان الظروف كانت غير مهيأة لخوض الحرب و المقاومة ومنها دور بن اسماعيل المزدوج مرحلة ما من مواقفه المثيرة للجدل .

إن التوقعات التي فرضت و جودها، دعت إلى الميل إلى أحد الطرفين إما الاستعمار أو الثورة رغم أن الحال لم يفرض استقرار لصالح فرنسا و لا المقاومة، حيث كانت معارك تدور من حين للآخر حيث نتذكر معركة مجازر عام 1834، 12 جويلية، ومعركة مينا بعدها بأشهر لتؤكد وحدة دولة الأميرة النموذجية رغم حصار الاستعمار لها، حيث تم بعزم من الإقطاعية و الإدارات السابقة مع الاستعمار، ونجد منهم مثال لعريبي و الغماري، كما أمر الأمير باختطاف أحد المتواطنين من جهة قسنطينة فرحات بوعكاز بن سعيد([1]) . حيث رأى الأمير بحكمته خطر التفكيك و تشتيت عمل الثورة على كل مكافح لأن الارتباطات البورجوازية و الإقطاعية المصلحية مع الاستعمار غلبت على البعض من رجال المخزن العثماني المتكبرين على الشعب، بينما كان الأمير مشهود بالديمقراطية و رأي الجماعة لأنهم كانوا يروا في الثوار و رجال المقاومة مجرد خدم و مواطنين محكومين لديه مثل العهد التركي، كما رأى بن إسماعيل حين زيارته للأمير في معسكر ووجده في اجتماع مع رجاله([2]) .

لقد كان الإقطاع في تواطؤه يستفيد من المحاصيل التي يخربها الاستعمار، وكانوا يشاركون في النهب و السلب مع الاستعمار، في حين كان روفيكو، وسان أرنو، و تبيليسي و موتنان ياك بجرائمهم الجماعية ضد القرى و العشائر من نوع الوحشية مقابل أن المتأمرين يتنطعون بمناصبهم على الفلاحين و الكادحين من الأهالي و كان البعض يفرح لجرائم فرنسا في المدن ([3]) و القرى وحرق المغارات المسكونة بالبشر .

بدأ تكسير العرف و التقليد الظبطي للعلاقات الاجتماعية ، فقد ظهرت أولى القوانين لتنظيم المجتمع في قانون 30 ديسمبر 1830 الذي منع الإقطاعية وزعماء العشائر، من فرض سلطة فعلية على القرى و التجمعات السكانية، ولقيت فرنسا الدعم السياسي و العسكري بطريقة غير مباشرة كما صرح مؤرخي فرنسا ، ولهذا وجد الشعب الجزائري نفسه في شقاق و معركة قبيلة قبل كل شيء ساعدت فرنسا على التموقع وفرض أساليبها الكولونيالية الحقيرة اجتماعيا و اقتصاديا و فلاحيا التي إنتهكت قوى و طاقة الجزائري للحياة . وصادرت قدراته للمعاش اليومي . فقد نظمت فرنسا علاقات مع الإقطاعية و الب ورجوازية

---

[1]– م الأشرف، م س ص56.

[2]– ن م، ص57.

[3]–ن م، ص 59.

المحلية و حاولت إدارة البلاد عن طريقهم، وقد لاقت لذلك جوابا من البعض في قسنطينة مثل بن عيسى و حملاوي و علي بن با أحمد، و المقراني في السنوات الاولى ، و فرحات بن سعيد، الذي خلفه بو عزيز بن قانة عام 1840([1])، فهؤلاء كانوا شبه موظفين لدى الاستعمار، دو رهم جمع الضرائب و الإعلام و تعيين رؤوس العشائر و العائلات.

اقترح الماريشال فالي، الذي كان ذكيا على غيره من سلطان فرنسا، حيث كان أول من طبق قانون الأهالي على الجزائريين و طبقه في قسنطينة أولا حيث أنه قد اكتشف أن تجربة الأمير بعد معاهدة تفنة عام 1838، قد سهلت للأمير سلطته و نفوذه على الأهالي و توسع دولته، في حين كان قانون الأهالي الاستعماري رغم خرقه لحقوق الإنسان، إلا أنه سمح لحكم الأهالي من طرف شيوخ من الأعيان و زعماء القبائل و العشائر، مما يعني حكما غير مباشرا للاستعمار رغم أنه عسكريا .

المطلب الثاني أنتروبولوجية طقوس المقاومة

لقد بوجه الاستعمار بصفة عمياء الى سلب الأراضي متوازيا مع سلب المعايير الثقافية ([2])، وذالك لتحطيم البنية الاقتصادية و المعاشية للمجتمع الجزائري ' وكان لمدة قصيرة لإدماج نسبة كبيرة في التعليم و الإسكات السياسي رغم قوة القبضة، و خاصة بعد القبضة الشرسة على الشمال الفلاحي الخصب التي تمت بين 1830 و 1845 ، حيث كانت مواقع الإستعمار تهدف إلى ضرب قوى ثلاث هي الإنسان و الطبيعة و الثقافة و خطت لهم أساليب إقصائية أو إدماجية .وهذا ما يفرضه التحليل أسلوب الإنتاج، طبيعة، إنسان، ثقافة، ولكن ضمن أساليب همجية عدائية، حيث كانت المرحلة العثمانية تقدم على التضامن الإجتماعي و المجتمع الجماعي و الملكية الجماعية، مع وجود نوع من الإقطاعية القبلية في بعض المناطق و عدم توسع الطبقة التركية عبر الأرض داخلا و جنوبا، فكانت المجموعة الحضرية لا تمثل 10% و البقية 90% من المخزن و الرعية و المستقلين أو السبايا.([3])

و يمكن أن نجد أن "الملكية العقارية كانت بين نوع **indivise** للحكام و القبائل وأرض جماعية لا تقبل التقسيم الفردي بإستغلال دوري و مجتمع رعوي قبلي و وعي جماعي و في عامته بدوي أبوي، و

---

[1] Louis rinn . histoir de l'nsurection de 1871 – م أشرف . م س، ص 63 عن

[2]) Abdelghani MEGHREBI, histoire de l'Algérie, deMassinissa à nos jours, SNED, Algérie P 92.

[3]MAGHERBI, A, op, cit, p 98.

يسوده إستغلال خ ارج القبيلة، و لكن بين القبائل نفسها ([1]) بمفهوم الولاء مما قوى اللحمة الإجتماعية، حيث أصبح الناس زبانية و خدم لبعضهم البعض وخلق التكامل الإجتماعي .وهكذا كانت صفة الجماعية، الولاء، الدورية، سمة المجتمع العام مع قلة الوسائل الإنتاجية و بساطتها و عدم تطور قوى ا لإنتاج، فكانت أنواع الخاصة و العرشية و الملك هي الغالبة في النظام العقاري العثماني وكانت الصوفية دار الإسلام كما يرى عبد الغاني مغربي.

"إن الفاطمية ولدت في القبائل الصغرى في كتامة، في الجزائر ثم توسعت إلى مصر و سوريا ([2]) و شعارها أهل البيت الخمسة، لتكريس الذاكرة الجماعية و تقليد إجتماعي و تنشئة إجتماعية راسخة".

إن ذلك ساهم في حفظ النظام الأبوي و الذي جاء من الأيام الجاهلية، ولكنه تغير أسلوبا و درجات . "إن النظام الأبوي يخلق وسيط كشخصية مسالمة مقبولة إجتماعيا يشبه الولي، أخلاقه حميدة ... يمثل الدين لقبيلة أو أكثر"[3]، رغم ان الإسلام لا يقبل وساطة بين الله والإنسان المؤمن.لذا غابت الفردية و نابت عنها البنية التقليدية ، أما "بعد 1882 و بعد توقف مرحلي لثورة بوعمامة، فقد طالبت القبائل المجاهدة تحت راية الزاوية بجعل المسجد الملجأ، وأصبحت هذه القبائل المقهورة تهدد فرنسا حتى 1882"([4]) ، حيث إنتهت شمالا و توجهت جنوبا أقصى في محيط أدرار و تمنراست وبشار حتى 1906.

"الأمير يحاول بناء دولة ... الخلافة رغم الخطر " القوي الداهم لأنه كان واثقا من الوعي السياسي للجزائري، خاصة المرحلة العثمانية حيث التوسع و الجغرافيا غير المحدودة و القوة رغم التطور العلمي و الإجتماعي، كما يرى دينيزن أن شعب الجزائر، شعب ذكي عارف مثقف واع، غير وحشي"([5])

هذا الشعب الذي قال الجنرال بيجو في رسالة موزعة على السكان "تهديداتك لا معنى لها، فالأرض كبيرة و هي مفتوحة على جميع الجهات " في مرحلة كان الزمالة والدوائر يحاربون مع فرنسا "و هم منافقونلكن يا فرنسا ... فهم يحولون لنا النعاج و الخراف والسلاح ..."، "إنك يا فرنسا تعتقدين أن الغرابة

---

[1]Op. cit, p 98.

[2]MERGHRIBI, A, Op.cit. p99.

[3]Op.cit. p 100.

[4]Op.cit. p 102.

[5]أ.ف. دينيزن، الأمير عبد القادر، نز،أ.ع.دودو، الجزائر ص11.

هم فاعلوا ذلك! لقد هاجم بن اسماعيل واد يسر ... و عاد حاملا لأس مقتول من مقاومي المنطقة ..."([1]) و معاهدة الأمير و بيجو و قدوم الآلاف لح ضور اللقاء، كان الأمير في هذه المرحلة الحرجة و شعبية الأمير القوية، فجعل من قنصل امريكا وكيلا له، أما بيجو فقد رقى مصطفى بن اسماعيل بصفته عميل له... كما تم تنويه المزاري قريب با اسماعيل "([2]).يرى دينيزن (أ.ف) أن الأمير كان ثريا ... حاول بناء أمة بعد هجومه على عين ماضي شمال الأغواط.وكانت له طقوس الحرب ومنها ،

- الحصان بربري له هدوء و سرعة فائقة و جلادة بالتدريب.
- كان تعطى جوائز لكل يأتي برأس فرنسي مقتول.
- كانت هناك بعض الأسلحة التقليدية و الحديثة مثل: السيف، الخنجر، المسدسات. [3]
- كان سكان المنطقة يحيون ظل الشجرة و الحصان و العين المائية.
- كانت لهم هواية و متعة في ركوب الحصان و الفرس و حمل السلاح حتى في السلم "

فهم يخشون المدينة أكثر رقيا و المكانة الاجتماعية أكثر ثقافة... لأنه على حساب حريتهم.." [3]

فالحصون هي الخيول و الفراش هي الأرض و السقوف هي السماء كما رأى أ ف دنيزن.

- تعصب عشائر المنطقة و عقدتهم في السلطة، جعلهم يتهربون منهم أحيانا. كما

يرى دنيزن و لكنه جعلهم بكل ذكاء بذرة لدولته ...."(4) و أضاف دنيزن فقد كان سكان المنطقة عن اتحاد فيدرالي مع الأمير لذا فهم يسندون السلطة لشخص واحد له مكان و شرف ، و رغم ذلك كلهم يرون أنفسهم ملوكا.....

- كانت لهم خبرة في اللباس الفروس و السروج .
- خبرة في الكمائن و الغارات.
- كانت طريقة الجهاد بالتضحية و الجماعي، حيث يتم الهجوم الجماعي لجيش الأمير حتى أمام طلقات البارود و المدافع....

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 10.

[2] نفس المرجع السابق، ص10.

([1]).أ ف د نيزن ،م س، ص 25.

(2). كانت تسمى مسدسات ذلك العهد حسب دنيزن يتاغانا.

([3]).ن ،م س، ص 18.

(4). ن م س ص 19.

- جماعات كبيرة حيان و فرق.
- جماعات دعم خلفية.
- مجموعات خيالة متمرسة.
- صيد الفرص من الخطأ.
- يترك الفرص البدوي دائرة بعد طلق النار.

كان الجندي الأميري، له استقلالية في إطلاق النار و الهجوم بدون أمر قيادي و نتيجتها السلبية كانت سهولة السيطرة عليه.....[1]انه تبعا لهذه الأوصاف و المنوغرافيا التي يقدنها لنا أ.ف دنيزن ، إلا أنه غير قادر على فهم المغازي الحقيقية و الدوافع الروحية و التي تدفع المقاوم الوطني إلى تلك الأنماط.

إن مبدأ الروحانية ليس موزعا بصفة متساوية بين الرعية لكنه موزع بصورة متناسبة مع مكانة الشخص في التدرج الاجتماعي السادس الذي يحرص من الملك إلى الفلاح، على اعتبار ارتباطه الطبقي التدرجي شيئا منطقيا..... فالتعريف بين العالي و المنخفض هي غي الوقت نفسه تعريف بين أولئك الذين هم أكثر قدرة على أن يعزلوا أنفسهم عن الوقتي أو الآني و يفكروا في الأزلي أو الكوني و بين الذين هم أهل قدرة بمعنى أن للمقدس كما رتبا و مراحل و درجات ...." و هذا ما يجرنا هذا القول إلى إدراك الفعل الطقوسي لدى المقاوم أنه فعل يناشد الكمال و التضحية و الذوبان في ماهية الآخرين من بني قومه و بلاده و أصحاب الوعي الجمعي المشترك و هذا ما يقرر أيضا " أنه على أساس التدرج في قدرات الناس على التنوير الروحي القائم على محاسبة النفس بصورة منظمة و قدرتهم و الوصول إلى الكمال ....." باعتبار الزعيم المركز القدوة و المشكلة ليس في دمج الشخصية الروحية بالقومية لكنها امتداد بقوة بدراماتيكية. الكاريزما و ذلك عن طريق تقوية شعاع شمس ، حتى يمكنها أن تعطي هالة أقوى أكثر تأثيرا....." [1]

([1]). د نيزن أ ف ،م س، ص 28.

(2). غليفور كيرتز:انتربولوجيا الدين ، تر.بقادر بوبكر.....ص45.

([1]). غيرتز .ك، م س، ص 46.

و هنا يطرح الإشكال الأخر بانجاز العظمة و تنويرها و إبرازها في حقل الثقافة المحلية " حيث يرتبط مفهوم العظمة و الأبهة من جهة و القداسة في العلوم و الانخفاض في تدرج السلم الاجتماعي لتصل إلى نفس العلو الذي و صل إل يه التأمل الديني ...)([1]). في عملية عادية يقوم بها الأفراد و هي الانخراط التأملي في الذات، الشيء الذي أعلن عنه النص الفقهي السياسي لخدمة م هجة الأمة.

كما يفرض ذلك أن المجتمع الزراعي الذي كان يعيشه الشعب الجزائري في منطقة معسكر بفضل سهولها الخصبة ، فقوم عل ى الاحتفالية و السكونية و التدرج ....ولكن الارتباط الجماعي مفروض على الأفراد في مستويات مختلفة و عواطف مختلفة . و قناعات مختلفة ....حيث الوطن و الدين هما محور التأمل الذاتي و معاملة الواقع . و مركز فتح المجال الاجتماعي الثقافي للأخر قريبا أو بعيدا جغرافيا .لقد مثل الأمير النخبة النيرة التي خرجت إلى العلم و الثقافة بفضل دراسته في الزوايا و مصر و مكة و زاد قوته عنفوان شبابه ، و مرجعية عائلته الشريفة المتدينة . و الملازمة للحياة الاجتماعية و الثقافية و السياسية و للمنطقية كلها. وقد كانت المنطقة تجمع سلكنة من

الشرفاء: تمثلها هاشم التي حادت عن فاطمي مصر.

المرابطين: و كانت لحماية الدين و التزامه.

و كان التاريخ الاجتماعي في قرن 11 م. ثقافة لحماية الدين و الجماعات القروية و حماية العادات و الاستمرار في الدعوة ." حيث في 1040م كثر الفساد و المروق بين كتامة و صنهاجة ف ي جنوب رأس نون "[(1)] فظهرت طائفة ملتزمة بالإسلام لإرساء الوضع السياسي الهادئ في منطقة نهر صغير في المحيط الأطلسي جنوب المغرب الأقصى وهي الدولة التي حتلت المغرب و اسبانيا مدة قرن ثم فشلت و هي المرابطية التي خلفها أمراء الموحدون في ق 12 م لكن ذلك لم يسقط رمزيتهم و جهادهم حيث بقيت العائلات الكبيرة بقوتها متوارثة للمشيخة في وراثة متسلسلة نظرا للغني و الطبقة العليا التي كانت تمثلها في مراحل سابقة ورد عن ذلك درجات العلم و الثقافة التي وصلها أهلها و كانت سلطتهم على بعض الجوامع و على بعض القبائل مثل الأزهر و عشائر ال جنوب لكن يلاحظ أنهم بعد سقوطهم السياسي انعزلوا عن التجارة و انعزلوا للدين و العلم و التعليم و المدارس و تكوين الربلطات و الزوايا.

---

[1]). ن م س ص45

([1]). أ ف. دنيزن، ص 20.

(2). ن م س ص21.

كما اشتهر بعضهم من خلال سلطتهم الروحية ، بالصلح الاجتماعي و التربية . وقد شكلوا نظامنا محليا يسمى " بلدي " في الريف يسمونه الوطن في المدينة و لكن ذلك لم يغفل أمين السلطات الوحدية عن نشاطاهم خوفا من عودتهم"[2]. و لذلك حافظوا على النظام الهرمي في قيادة العائلة و الأتباع لهم من العشائر المجاورة و البعيدة....حتى كونوا الأسر المحاربة و المرابطة بعدها ...أما الأمير فقد كان من فئة الشرفاء المنتسبة إلى علي بن أبي طالب، و لكن يلاحظ أنه ينتمي إلى الحسن و ليس الحسين (رض) حيث نلاحظ أن الكتب في المشرق تسميه عبد القادر الحسين ، فهو حسن النسب و ليس حسيني كما صرح أحد أحفاده.

لذلك كان الأمير قوة دافعة قومية وطنية و محلية و جهو ية جعلت من فلسفة الرد الوطني معزز يقوي روحية متكاملة.جعلت الجزائري من جبال القبائل الكبرى حتى قسنطينة و إلى الصحراء جنوبا حتى تلمسان غربا، تعهد له بالحمية و قداسة الاتجاه الثوري الذي قاده .رغم المناورات التي أحبكها بنفسه بفضل حنكته السياسية و الثقافية العلما و التي حاول منها الارتباط السياسي، مرة بالمملكة المغربية مرة و وأخرى باستقلال محلي. فذلك ما جعله يكسب قوة ، و يزيد الأنصارو يعزز إستراتيجية المقاومة.

المبحث الثالث النظرية الثورية والممارسة العالمية

المطلب الأول الأمير والسياسة الرسمية في الإسلام :

لقد تميز المجتمع الأول الذي تشرب بالدعوة الإسلامية كجماعات لها وعي ونظام واحد و قانون وذاتية مستقلة و تضامن و علاقات ، و لغة ودين وجنس ، ترتبط فيما بينها بعقد اجتماعي برز لأول مرة في عقد البيعة ، وهو فعل سياسي متميز ، حيث أن عقد البيعة هو اعتراف سياسي بسلطة أحدهم على الجماعة .فلقد كانت لها أمثال كثيرة و متنوعة ومعبرة عن جماعات مختلفة و لكنها منضوية تحت لواء الإسلام ، و كانت أولها العقود و المعاهدات التي جرت بين الرسول و الكفار و أهل الكتاب في مرحلة الغزوات و الحروب ، و بعد انتهائها و التي م نها صلح الحديبية و غيرها .كما نسجل بيعة العقبة التي كانت عبارة عن عقد بين إرادات إنسانية و أفكار واعية ناضجة من أجل رسالة سامية ([1]). لهذا تشكلت هذه الأنظمة من الفعل السياسي ، وهذه العمليات نوع من الظاهرات السياسية التي أنعشت الحياة الأولية

---

[1])–ضياء الدين الريس م س ،ص 19

لدى المسلمين و ا لعرب ، حيث شكلت البذور الأولى و الأشكال الأولى للدولة الإسلامية التي سوف تغطي مساحة كبيرة من الأرض و البحر بعد الفتوحات الإسلامية ، وقامت الدولة على أسس هي ([1]) ،

أ- قانون ونظام وشعور وجنس و دعوة

ب- عقد بين جماعات مختلفة ووحدة في الرأي و بالتالي في حكومة

ج- وظائف الدولة : عدالة ، دفاع عن المسلمين ، التعليم ، جباية ، معاهدات .

د- الأساس الفكري و النظري : الاجتهاد لتكييف التعاليم و المبادىء الاسلامية مع الظواهر الجديدة و الطارئة على الإسلام بعد دخوله إلى بلدان أخرى ، وتغير الزمان ، وهو عبارة عن الحل العقلاني و التعبير عن الحرية و التأمل و تجديد الأحكام حسب المقتضى .

هكذا عبر العقل الاسلامي عن نبوغه من الوهلة الأولى ، وهو الذي تغذى من الحضارات الجوارية مثل الفرس و الروم و حضارات الأنبياء التي سبقت الرسول محمد (ص) ، حيث كانت كل الرسالات السماوية دعوة متكاملة إجتماعية و أخلاقية و لاهوتية .يقول الريس : (إن الاسلام يورث أتباعه قواعد محددة جاهزة تصبح بمثابة معتقدات جامدة ، لا تجوز معها المناقشة ولا تقبل التغيير ، و هي تلك التي يعرفها الأوربيون في لغتهم " دوغما . أما الإسلام فقد خلا من أمثال هذه المعتقدات ، وهذا ما يؤكد عنه في باب السياسة على الأقل ، وهذه إحدى فضائله التي تميزه عن غيره) ([2].)

لكن تبقى هذه النظرية انفعالية وذاتية في نظرنا ، لأنها عاطفية . بالرغم من ذلك ، فإن الصراع حدث وجرى بين الفرق العرقية ، كما جرى بين الفرق الكلامية مثل المعتزلة و الخوارج و ال شيعة ، كما حدث بين المذاهب الفقهية في الخلافة و الإمامة ، كما حدث تقارب بين الأشاعرة و السنة ، لذا نعالج هذه الأفكار الفرعية فيمايلي :

المطلب الثاني - الامير بين الامارة والخلافة

أصبحت الإمامة اختصاص حسب العلماء الذين درسوا الموضوع و صنفوه في كتب من العلوم الدينية و جعلوه فرعا من الفقه ، وليس علم الكلام ولا أصول العقائد ، و هكذا نشأ ذلك الصراع بين

---

[1])-ن م س ،ص 31

[2] -،ن م س ،ص 33

الشيعة و السنة و الخوارج و الكلامية و الأشاعرة ، حيث قام كل طرف بوضع النظريات الخاصة بطريقته و نظامه الفكري . كان ذلك ردا على الشيعة التي تقبل الإجماع ، لأن الإمامة ، في نظرها ، من أصول العقائد و أنها من أصل الإيمان " ([1]).

لقد اعتبر العلماء أن الفقه أصل و الاجتهاد فرع منه ، لذا كيفوا الحالات الطارئة على الاسلام مع مقتضيات العصر و تركوا مكانه للعقل و الحرية و التقدم بكل أبعاده الاجتماعية و السياسية .لقد شكلت المعركة الحامية بين أهل البيت و العائلة الأموية مظهرا أساسيا في الاختلاف النظري و السياسي الأول في الاسلام ، حيث كان يدعو أهل البيت إلى تمليك الحكم إلى علي بن أبي طالب و تكون له جماعة سميت الشيعة وقامت بنصرة الحسن و الحسين على الأمويين و لم ينجح ، حيث قتل الحسن و الحسين على يد الأمويين . وقد تفرقت الشيعة إلى عدة فرق منها الامامية ، وهي التي اهتمت بأصول و فقه الشيعة في العبادات ، وهناك الزيدية و تهتم بالجهاد ، و هناك الاسماعلية و العلوية و غيرها ، وظهر لها زعماء منهم جعفر الصادق ثم إبنه إسماعيل اللذين كان لهما نظر سياسي.

ورغم انقسام المجتمع الاسلامي إلى سنة و شيعة ظهر هناك الخوارج و المتصوفة الذين شكلوا نظاما فكريا خاصا زاد من تغذية النظرية الاسلامية وطور الفكر الديني في أصوله و فروعه . لقد كانت الشيعة متشددة جدا و متخزبة لجهة أهل البيت ورسالة علي بن أبي طالب و أحدثت الحدث السياسي منذ الوهلة الأولى بعد وفاة الرسول (ص).و تطور الصراع في إطار الدولة الأموية حتى نهضت على أنقاضها الخلافة العباسية ، و هي بدون شك انتقام الأمويين من الشيعة ، كما نهضت الدولة الفاطمية في الجزائر ثم مصر لتؤكد الحضور الشيعي عل ى السلطة الإسلامية . لقد كانت الشيعة معرضة لعدة أخطار داخلية وفكرية ، لهذا لجأت إلى شمال العراق و إيران و نجحت في ذلك حتى اليوم ، و لكن لاقت الاضطهاد و القهر و الحرمان من طرف الملوك و السلاطين ، هذا بينما كانت آراء الخوارج أحكاما منطقية أصلها الكتاب و السن ة و تعبيرا عن الحياة الواقعية ، بينما كان الشيعة يقدمون للناس أفكارا عاطفية شكلت بذلك أول حزب سياسي معارض في الإسلام، له تنظيمه و له .يقول ابن خلدون : (إن الشيعة حضوا علي باسم إمام الامامة لأخذ الخلافة و تقديم مذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر) ([2]).

---

[1] – الريس ،ن م س ،ص 33

[2] –الريس ض د ،م س ص 119 ، عن ابن خلدون في المقدمة

لهذا نشأت فرق أخرى في نظام الشيعة الذي تعددت مذاهبها و نظرياتها و فرقها ، حيث يمكن اعتبار الفرقة الكيسانية هي أساس الشيعة و التي نهضت على أثارها الفرقة الهاشمية التي أسست الخلافة العباسية .و يرى الكثير من الذين درسوا التاريخ الإسلامي و المجتمع الإسلا مي و النظريات التي أبدعها المفكرون و الفقهاء و الفلاسفة المسلمون أن تلك الصراعات الأولى التي ظهرت في المجتمع الإسلامي كانت بذورا أساسية لتنمية الروح العلمية و الفكرية و العقلية في الإسلام و خاصة في الخلافة و الإمامة . إن الموجب الأول لعقد الإمامة أو الطرف الأول إنما هو الأمة ، حيث الأمة كوحدة متضامنة ذات ذاتية مستقلة تسمى " المسلمون"([1]). و قد أعلن العلماء في القديم ، عندما اشتد الصراع حول المسألة و ثبت العمل السياسي ، تلك الأفكار و عند انتشارها أن الإمامة تعتمد على([2]):

ب- الامامة فرض كفاية و جوب على الأمة القيام بها و النيابة عنها .

ج- الأمة صاحبة الرياسة ، لهذا يمكن عزل الامام لفسقه وتمرده عن العقد و العهد .

د- السلطة من اختيار الأمة كما يرى البغدادي ، مما يعني توحد في التصور و الفكر و المصير ، كما يقول مزيان مستفيدا من تجارب الحضارات القديمة .

"إن التميز و الوحدة والمبادىء الفكرية و العلمية ، التي حركت ولا زالت تحرك الحياة السياسية منذ فجر التاريخ وفي مختلف الحضارات ، و لعل انتقالها ، في بعض الفترات المتميزة بالغموض الشعوري إلى الوضع العصري و القانوني ، هو ميزة الحضارات الكبرى التي انصفت بالعالمي ة و مهدت الوسائل لمفهوم الأمة المعاصرة الواحدة في مبدئها و طموحها ، و المتميزة في تواجدها و تعايشها و تكاملها "([3]).

و هكذا شهدت الأمة الإسلامية صراعا في الشعور و القانون ([4]) و المبادىء و ظهر خلاف في الحرب و الزكاة و مسألة الخلافة و الإمامة مشكل متميز .إن الأشاعرة و السنة يقولون " يمنع عقد الإمامة لشخصين في طرف العالم ، و يرى أنه يوجب عقد الإمامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط و المخالف ، غير جائز بالإجماع ، و ذلك ما يعني أن الإمامة الجامعة للأمة هي الأساس ، و

---

[1] الريس ،م س ،ص 216

[2] ن م س ،ص 218

[3] -عبد المجيد مزيان في مجلة الأكاديمية ،فاس ،1994،المغرب ،ص 79

[4] راجع مؤلف الماوردي "الأحكام السلطانية "

النظر إلى الظروف الجغرافية و الطبيعية ، كما يرى الغزالي ، كذلك تلميذه ، من حيث وحدة الأمة القائمة على الشوكة . كما يرى محمد يوسف مرسي في كتابه ([1]). لذا قام الأميرمستندا الى هذه المرجعية وكانت مقولة الجهاد احد هذه الاخراجات الفكرية التي تتبنى الاسلام ومعتقداته'و هو الذي تبنى الامارة تبع شرع الإسلام فرأى أنه من الاستقواء خلق الامارة الملحقة بالمملكة المغربية لضم الجهود النصر.

المطلب الثالث الأمير والسياسة الإنسانية العالمية مع نابليون ([2])

كانت الازمة السورية و مجزرة الاهلية في الشام اخلق رؤية جديدة من طرف فرنسا فكانت المملكة العربية هناك لاصلاح الوضع السياسي و الاجتماعي .وكان الامير مريض الفرس لانه المصلح الوحيد الذي استطاع توقيف الجزرة ضد المسيحيين سنة 1860 في الشام .وقد رأت فرنسا ان الامير الحنكة و الخبرة والسمعة التي يمكن ان تنجز مشروعها الادماجي الحضاري بين السوري و الجزائري .و قد كتبت جريدة لو كوريي دي هافر([3]) مقالات لتسليم المملكة للامير .و لكن ذلك لم يكن سهلا للقبول من الطرفين المسلم و المسيحي .وكان ذلك ضمن مشروع تقسيم المنطقة الى ثلاث دول عربية و واحدة يهودية .

وقد رد الامير بعد ذلك في جويلية 13/1860وهو مترددا رقد تعرض للنقد واكن كانت اجابته مقنعة و تحدث عن فشله بصراحة في أخر المطاف ليلة وقوعه بين قبضة الاستعمارو سلطان المغرب الذي رفضه وثورته كما وجد نفسه معزولابعد هروب جنوده و انسحابهم من المعركة و قلة التموين الاجتماعي والغذائي و من السلاح.

في ظل هذه المناورة الكولونيالية ،تشجع الأمير بقوة ليجابه التغيرات و الأهداف الفرتسية اللإحتوائية فكان عليه أن يكون سياسيا حنكا و ثاقب البصر فحاول لإستمالة الشعب السوري و اللبناني ، من خلال حمل اسم خليفة الملك الفرنسي في الشام ،ليحمل لواء التاثمل و التألف الوطني بينهم من جهة ومن جهة ثانية ربط الشعب بالمرطقة و الجوار العربي و الإسلامي و الحفاظ على سلسلة التاريخ و التراث . و لكن بعض النخب رفضت ذلك من كبار الشام ،ولكنه كان يريد حفظ الدم القومي و محايلة الإستعمار في سياسته التسلطية .

---

[1] –محمد يوسف مرسي ،النظم السياسية الاسلامية

[2])– يحي بوعزيز 'ثورات الجزائر 'عن بسام العسلي 'م س 120/115

[3] – وفي كتاب المؤرخ الفرنسي Charles ® Ageron ?politique coloniales au Maghreb

هكذا فهمت فرنساديبلوماسية الأمير و عبقريته ، فلم يسمح للأمير بالنوم و التغاف ل بل دعتها الضرورة الى العودة للقتال في 1839 بعد معاهدة سلم دولي السابقة مع دي ميشال وفهمت أن في – تاقدامت –حيث تعلم جنوده صنع السلاح وسك النقود وحيث استفاد من خبرة العدو نفسه .لكن بيجو في اطار سياسة الأرض المحروقة ،لم يترك الأمر سائبا بل قام بحرق المزروعات و الاشجار و طرد السكان الى الجنوب وتم استقدام الكولون من وراء البحر لتعمير المنطقة بدلا عن السكان المهجرين عنفا .وذلك لا يخفى بعدما تم إستولت على تلمسان منذ 1834 وحينها كان الامير يتلقى الدعم المالي و القمح و المؤونات و حيث كان له حرية التحرك و الديبل وماسية .حيث ربط علاقات مع بريطانيا و الشرق الاوسط وكذلك تبادل الاسرى مع جنرال فرنسي في سيدي مبارك مع الضابط ديبيش بدون امر قياداته .

كما ساعد الامير انتصاراته في معركة سيدي ابراهيم وسيدي موسى و جمع الاسرى معه بعدها .الان الفشل القاطع كان معركة ايزلي امام دي جوان فيل و بعدها معاهدة ([1]) طنجة في سبتمبر 1843 وحينها كان الاستعماريقوم بتوميم لانها منطقة زراعية جد خصبة وبعده معاهدة لا لا مغنية في 18/ماي 1844التي رسمت الحدود المغربية الجزائرية . لقد تعرض الامير الى تضييق عنيف من طرف فرنسا حين وجوده على الحدود المغربية ([2]) وتم تهديد حتى الملك المغربي لمساعدته .كما اقترحت عليه اللجوء الى الشرق الوسط حيث كانت له علاقات مع اسطنبول ومكة .

---

[1] --بوعلام بسايح ، من الاحتلال الى المقاومة –مجلة الثقافة عدد 83/سنة 1984ص44/47/

[2] –م س ن ،ص48

المطلب الرابع أنتريولوجية الفكر و الثورة عند الأمير

و رغم تأخر الفكر المسقط على الأحداث الثورية فإنها أفكار م سقطة بكل ذكاء ، على المقاومة ضد الاستعمار ، و رغم صيغها الفلسفية ، فإنها تعكس القوى الذاتية و الرؤية الكونية ، إلى أنتجت فلسفة أخرى ضد الاستعمار و أبدعت فلسفة للتعامل مع الاستعمار و مناهج محاربته و مجارارته في أعماله ." إن فلسفة الأمير كانت عبارة عن تقلبا ت مستم رة لمجرى التاريخ لكن هذه التقلبات ليست إلا شكلية خارجية شبيهة بالتموجات التي تحدثها انعكاسات الصورة على وجوه المرايا المختلفة فيظهر فيها أحديداب و يظهر فيها أعوجاج أما الصورة ذاتها مغمورها لا يتغير ."([1])

لذا فهو يعرض صورة فكر واعي أو نظرية للت اريخ ، يحكمها التغير و لاجتهاد فهو يفرض قانونا حتميا عكسته حياة الأمير المتقلبة المملؤة بالجهاد والقبول و العدا ء من طرف الاستعمار الذي عرف عناد الخصم ' فللمواقف هي سلسلة من حلقات متصاعدة " من تاريخ النضال و المقاومة و الجهاد . رغم انه يفصح شخصيا بعض أشعارهـ ، انه هو.نفسه و غير قادر على تفسيرها ، لأنها جاءت من أعماق النفس و اللاوعي المختزن في الذاكرة اجتماعيا و سياسيا ، فهو يعكس مواقف بطولية و ثورية أحيانا ضمن الهمة الصوفية . و هي همة ضد الكافر و المستعمر ، و .تمجيد لأبطال و حماية الدين في صورة ملحمية متناسقة رغم لغتها البعيدة . و عدم وحدة الموضوع أحيانا في نفس النص حيث تغلبت الصيغ الصوفية و الخمرية المرمزة و لغة الشعر و شروطه .

يقول صغير بن عمار : إن فكرة المواقف إن كانت صوفية في الدرجة الأولى إلا أن النظام العسكري الذي عاشه فترة طويلة من حياته قد يكون بما يتظمنه من تدرج في المراتب ـ أتاح له أيضا الفرصة لترسيخ فكرة هذا التصنيف التصاعدي . كما أن خوضه المعارك بنفسه في السهول و الهضاب و الجبال و حتى تضاريس البيئة الطبيعية التي كانت تحيط به قد يكون لها اثر كبير في بلورتها و ترسيخها في نفسه ([2]) و المقال في قصيدة مدح البادية تلاحظ أسلوب المواقف . فالتعايش الذاتي الداخلي الصوفي مع التاريخي الوقائعي ، يوضح نقله ، في الزاوية ، و التربية الواقع يةِ التي زادت على التربية الروحية ، تؤكد اقترابه من الحياة العسكرية المقاومة ضد الاستعمار ، فالزاوية لم تكن تعل يم ديني

---

[1]–محمد الصغير بن عمار ،معالم شخصية الامير ،مجلة الثقافة عدد93–جوان 1986

[2]محمد الصغير بن عمار ،م س ص 09

وزهد فقط . فالنص لدى لأمير ، دائما يعكس قاموسا عسكريا و صوفيا و فلسفيا متعاليا ، و لذا نجده يقول في تعريفه للمواقف ، في مقدمته " يا قوم ألستم تعلمون إني طلاع الثنايا و سباق الكتيبة إلى ..... ألمانيا ؟ فانا أتيكم بحقيقتها و مجازها ، و أفك المعمى من ألغارها ...).([1])

و ذلك ما يعكس جل أفكار الفخر و الاعتزاز بقومه و ثورته و علمه و نسبه و بلاده . فالمواقف ، كانت في أسلوب مقامات ، و إن كانت تعرض تغيرات وجودية و تأملات فلسفية بعيدة الأفق ، تبحث في العرفان و الأزل و تعكس حتى المقام الاجتماعي التار يخي في تجلياته الواقعة العادية . ورغم استطاعته السياحة في فضاء ملغزّ، يفضل الكنايات و الاستعارات البعيدة المنال، فانه نجح في التعبير عن حالات الوجود الصوفي و حالات الإحساس الواقعي المنعكس في نصوص و خطابات مقصودة هادفة . لذا نجده يمزج التاريخ بالأسطورة ، بين الإبداع و الواقع ومنه تطرح السؤال " فهل نظام المواقف من الوجهة السياسية ليس إلا نظام لمدينة فاضلة تحكمها حكومة مثالية و يعيش ")([2]) فيها شعب سعيد ، كمدينة يوتوبيا التي تخيلها توماس مورفي فلسفته وقصصه .

لذا كانت هذه الخلطة الصوفية و السياسي ة مدعاة للتعمق و البحث أكثر ، رغم أنها دعوة الى ثقافة البحث في الكون ، و تأمل الوجود الإلهي و أصل الحياة المعروفة في الثقافة الإسلامية ، إلا أن الواضح أنها ترجع إلى مؤشر قرأني واضح ، هو الآية { الله نور السماوات و الأرض ' مثل نوره كمشكاة فيها مصباح 'المصبلح في زجاجه 'الزجاجة كأنها كوكب دري ، يوقد في شجرة مباركة 'زيتونة لاشرقية لا غربية .....}) ([3])

فالمواقف من ناحية التجذر الايسمولوجي تقدم لنا أطروحات فلكية و فيزيائية و فلسفية و ميتافيزيقية و جغرافية . فهي ترتيب لنظام الكون و تناسقه وروعة تكامله و ان كانت تلميحات و أشارات بالطريقة الرمزية الصوفية . والملاحظ حتى قاموسه اللغوي المستعمل يعكس الواقع و حياته و تنقلاته ، فتأمل ، برج الأطلس ، التي أخذتها كعنوان لمرتبة من المواقف ، و هي نص صغير يعبر عن جملة أفكار تبحث عن الأفلاك و الكواكب . لذا نجده يرجع جوهر الإنسان و منه شخصه ، إلى صورة في

---

[1]–مرجع سابق نفسه ص 10/9

[2]–م صغر عمار، مرجع سابق، ص12.

[3]– سورة النور، آية 35.

الكرسي و العرش ، منحدرا من العالم الكبير اللامنتهي . و لكن تاريخ لا ينتهي في مرحلة واحدة و من ينبغي دائما ترقب الفرج بانتظار زوال المحنة.....) ([1])

تبعا للتطور الفلسفي و الفكري لل تصو ف الإسلامي ، و تبعا لتغير أحوال ا لأمة ، و انتقال المجتمع من مرحلة تقليدية يدوية إلى مراحل متطورة ، حيث الاتجاهات السكانية في المدن و تكوين الزوايا و المدارس القرآنية ، فان المقاومة كانت نتيجة لتلك الأوضاع و البنيات و ليست سببا . لقد اتصف الصوفي المثقف ،بتعدد معارفة و هنا دقة كلام ها دف لان هناك من الزهاد الذين لا يملكون إلا ثقافة محدودة ، بينما شخص كالأمير و الحداد و بوعمامة ، فقد كانوا من ذوي الفكر و الفلسفة و العلوم و منها تكتشف حسب المسار الفلسفي إن تدرج مقامات و مدارج النصوص ت ضع المقاومة ، كإحدى شروط التعالي و التصاعد نحو الأعلى و التسامي إلى السموا للتقرب إلى الله و معرفته أكثر.

فالمقاومة في المفهوم الصوفي هي مقاومة النفس ، عن الملذات المادية ، خاصة و هي مجاهدة النفس ، و إبعادها عن الحياة اليومية ، حتى يتعلم الصوفي التجلد و الصبر و بالتالي المقاومة الذاتية ضد النفس و أهوائها و بالمقابل هناك مقاومة . الدخيل بفكره و جسمه لفضاء بعيد عنه و لا يرتبط به ، و هذا أمر تفرضه شروط الإسلام و أعرافه ، التي لا تلغ حقوق الإنسان ، بل تحفظها ، حتى و لو كان الدخيل كافر ، ملحد أو دين آخر فتلك كانت مقاومة أخرى ضد كل تنط ع بعيد الجسم و الفضاء و التقاليد و العادات و القيم المادية و المعنوية و هذا ما رسخه التراث الصوفي من الحسن البصري إلى ابن العربي، وكما حدده إبن خلدون([2])، في تعريفاته عن التصوف ومعاينة .

لقد وضح كل متصوف مقاصده و مراجعه الفلسفية و أفكاره في نصوصه الفقهية و رسائله وقصائده الشعرية، وهذا ما نجده عند أغلبهم من قصائد فلسفية مفعمة بالطلاسم و الت عالي و الألغاز الصوفية وإستعاراتها المجازية، التي لا يمكن فهم أعماقها غالبا إلا طبق تقديمات من الرجل المتصوف الشاعر نفسه، و الأمثلة واضحة كثيرا في التراث الإسلامي، عند الحلا ج ،ابن الرومي ،ابن سينا و عبد القادر الجيلالي وغيرهم .وهي بذلك ليست فقط امرا باهتا و منحدر من الفراغ بل فلسفة الواقع كما هومنظور و الواقع كما هو متخيل عنه وطبق تراكمات معرفية و ادراكية تمارس الاحالة و الكشف و رصد الواقع و المستورسابقا او حول المستقبل القادم . لذلك إن الشعر نص تعريفي و تصنيفي للمفاهيم

---

[1]– الأمير...المواقف، 1/141.

[2]– ابن خلدون ، المقدمة.باب التصوف

و المصطلح الصوفي وهي جرد لحقيقة الصوفي وتعرية قارئة لأعماق النفس الصوفية إتجاه نفسها و إتجاه العالم و إتجاه الله، و بالتالي فهو مدونة متكاملة للفلسفة و الفكر و علم النفس، وما تحتويه من مقاصد سياسية و إجتماعية و تاريخية هر مية متسلسلة للحقائق و الأحداث و الأشخاص أيضا و مشروع للعمل و السلوك و التغيير .

من هنا نكتشف أن الأمير قد عبر كثير عن ذلك في كتاب محض لذلك، ورغم أنه جاء بعض الأحيان عميقا ومبهما بصورته الفلسفية و الصوفية العليا، فإنه غالبا يوضح علاقة واقعية بالحياة و المجتمع الذي عاشه، مع ملاحظة ثم إنتاجه بعد الثورة أي 1847 وبعد إستسلامه أي في السجن في فرنسا ثم تهجيره نحو سوريا ' لكنه يعكس مواقف فكرية وواقعية تعبر عن مقاصده الأولى للمقاومة ضد الاحتلال وإن كانت لا تبلغ الدرجة الكاملة مثل النص المحايث و الموازي للحدث أو الذي أنتج أيام المقاومة، لذا وجدنا هيقدم لنا كتابه، المواقف، ل يعبر عن مواقف و حالات نفسية و مقامات صوفية و قصائد معبرة عن العمق النفسي التي تعرج عن أعماق التأمل و فلسفة الحياة لديه و تفضح الاحساس بالعظمة والعلو.)([1])

فالمقاومة كحدث إجتماعي و سياسي مبني على مرجعيات انترولوجية فعل مقابل فعل، فهي رد فعل على أثر خارجي على النفس الجسم و العقل الاسلامي و العربي و الامازيغي في الجزائر، التي خلق فيها هذا المركب الثقافي عبر زمان 13قرن حينذاك . يقول صغيربن عمار : " هل فكرة المواقف عند الأمير هي الأخرى هي كيفية للتعبير عن نظام المقامات؟ "([2])مع النظر إلى أن مفهوم المواقف يرجع إلى تحليل علمي دقيق يقدمه لنا أبن خلدون في المقدمة حين كلامه على المجاهدة و العبادة التي تنتج لنا حالا مناسبة لتلك الوضعية، وهذا مايسميه أبن خلدون موقفا، " وتلك الحال إما أن تكون نوع من عبادة فترسخ و تصير مقاما، إما أن تكون عبادة وإنما تكون صفة حاصلة للنفس..."([3]).

أما الأمير في مقاومته الشخصية النفسية و الواقعية قد تقودنا إلى مفهوم واسع وشامل، وإن كان عنوانا لكتابه المواقف في التصوف وال وعظ و الارشاد" الذي ألفه في الشرق يتضمن 372 موقفا، عبارة عن تفسيرات للقرآن في تأويلات حديثة **333**.ولكنها لا تشبه التفاسير القديمة و لا تنقدها .لذا كانت

---

[1]– الامير عبد القادر، كتاب المواقف.

[2]– م صغير عمار، معالم شخصية الامير من خلال شعره، مجلة الثقافة ص16. عدد93.ص 8

[3]– ابن خلدون المقدمة. باب التصوف

المواقف تفسير ديني حديث و تنوير سياسي مبني للحداثة و الواقع حسب رؤية الامير و ليس مجرد شطحات مع ملاحظة الرومانسية في الوصف للاشياء الطبيعية و نقل الواقع الاستعم اري و احداث المقاومة و أثارها على النفس و العالم الخارجي و اطراف الكون .

يحذر النص الأوروبي المنقول والمكتوب عبر بعض الرسائل التي ترد على مقالات ومطالب سلطات للاستعمار لإخضاع الأهالي وتركي عهم لقبول الأمر الواقع الذي ترعيه فرنسا وهو الحضارة و الصناعة بينما كان العكس لهذا الواقع الافتراضي . لقد عبرسكان فليتة بغليزان عام 1841 ، برأيهم عندما طلب منهم عدم مساندة الأمير ، فقد اجابوا { إننا امة عرفت القحط والجراد و الجوع لم نتوجه لكم يا فرنسا ...انتم امة فرنسية قوية لماذا تستعمرون بلاد غيركم وتريدون حرق م حاصيلنا وقتل ذوينا .....}.إننا مؤمنون عرب .....لن نخضع لكم .....([1]) أما عام 1844 تلقى بيجو عام 1844 ردا من سكان القبائل: { أما اليوم فتصرفكم معنا يدل على اعتقادكم بأننا خرجنا عن الإسلام بعد سقوط عبد القادر لقد وقعتم في خط أ كبير، فنحن ايظا مسلمون والله ينصر المسلمين ، فلا تعدونا من رعاياكم .....طلبتم منا أن نطرد بن سالم ، فكيف نوافق على ذلك؟ .....وإذا لم نقدر على الصمود أمامكم، فسوف ننسحب من موقع إلى آخر، إلى أن نصل تلك البلاد تونس، التي سوف نجد ملكها نصره الله، جيشنا الذي يتألف من إخوان لنا...}([2])

وفي إجابة أخرى على بيجو من طرف سكان القبائل ، هناك اعتراف هؤلاء أن اتهامات بيجو كلها صحيحة و المتمثلة في مساندة الامير و بن سالم و الهجوم على مواقع الاستعمار وجيوشه في البليدة و الحراش و الواد السفلي ، للقبائل ، مما يعكس الشجاعة الأدبية وصراحة الرد المعبر عن رفض الاستعمار رغم أنهم أدعو ا الحياد المرحلة الأولى وحيث قالت لهم فرنسا إننا نحارب عرب وإعراب لا يفقهون ... يقودهم الأمير وجيوشه ، ولكن الإستراتيجية العسكرية جعلتهم يصارحون قوى الاستعمار منذ دعمهم لقائد متيجة بن زعمون وبن سالم في الهضاب و الجبال ، وحماية عناص ر الثورة في كل مكان . وفي رسالة أخرى من سكان غريس في معسكر إلى الجنرال بيجو يرفضون فيه خضوعهم ويصرحون بنضالهم ودعمهم للأمير وجيوش المقاومة.

---

[1] مصطفى الاشرف ، ص132.

[2] مصطفى الاشرف ، ص132.

{... هلا حلئمتم بلادكم ....فلن تنالوا منا سوى البارود ...ونحن أصحاب البلاد وما انتم سوى عابرو سبيل وبلادنا تمتد من وجدة إلى تونس وان بقيتم ثلاثة قرون كالاتراك فلابد أن تخرجو ا....وان نفوذكم لا يتجاوز التراب الذي تدوسه أقدام جنودكم ؟ وما عليك إلا أن تذهب إلى الصحراء فسوف ترى كيف يموتون ويقتلون على أبواب المدن ، الجزائر ومستغانم ووهران..}([1])

وهذا دليل واضح ، للقارئ الذكي الذي يكتشف أن السكان جعلوا حتى الأتراك أجانب وان ا لذين يقتلون من الأهالي ليس لضعف ولكن تعبيرا عن جهادهم وتضحيتهم مهما كان الأمر ولو كان القتل بالآلاف .أما بن سالم عند ما واستسلم سنة 1847 فقد قال لهم " لقد حاربنا إلى يومنا هذا للدفاع عن حريتنا ودينا" ([2]). لان الأهالي كالجزائري كان يريد حريته وضمان حقوقه الأصلية الطبيعية التي ولدت بين يديه وبين أعينه لانه أصيل البلاد كما قال اهالي غريس([3]). لقد دخل الأمير عام 1837 ، ورغم خطأه في معاقبة الزواتنة ،وهم فلاحي في القبائل لكنهم من الاتراك . الذين كانوا عساكر يستغلون الفلاحة وهم مسلمون ، ولكن الأمير رأى فيهم خطرا ، لأنهم متعاونون مع الاستعمار ([4]).رغم أنهم أقدم من الاستعمار واسبق منه . لقد قاد الأمير مؤتمر الثورة والانتفاضة ا الوطنية عام 1838 في خرشفة بين مليانة ومعسكر بحضور وفود جزائرية لبعض المناطق.

كما تم عام 1841 مؤتمر آخر في الشه ونية جنوب بوغار وآخر عام 1846 في جبال صحاري جنوب العاصمة كما نذكر ذهاب الأمير الى الصومام وترتيبه لعمل الثورة في الاوراس و السوف بقيادة محمد بلحاج ، ودعوته لبركاني للاستيلاء على بسكرة حيث كان الصراع بين ا حمد باي وإقطاعية متواطئ مع فرنسا ([5])حيث استطاع حاج احمد باي تجميع الشباب كله في الجنوب و الشرق لقيادة ثورة مضادة للاستعمار وقاده بعض المنشقين عن الجيش الفرنسي الذين انضموا إليه ، للأيام الأولى منذ عام 1837 رغم أن منطقة التيطرى التي كان يحكمها بركاني لم تستعمر كلها حينها ، حيث كانت عام

---

[1] مصطفى الاشرف ، ص133.

[2] مصطفى الاشرف ، ص135 . ducrot, correspondance militaire,

[3])مصطفى الاشرف ، ص135. in rousset le conquêt d algerie , في .

[4])مصطفى الاشرف ، ص135.

[5])مصطفى الاشرف م س ، ص 136

1842 بعيدة عن الحرب كما قال شانغاريني ([1]) رغم أن أبنائها شاركوا في كل الثورات في المناطق المجاورة.

تميزت ثورة الامير بالمد والشد و الجزر لان المرحلة اقتضت ذلك كما دعى ذلك سياسة فرنسا التحايلية اتجاه قوة منظمة ومهيكلة و متحركة بكل قواها ‘كما لعب القم ع الاستراتيجي الفلاحي الوحشي لمناطق الامير موقفا مميزا .وهذا ماكان واضحا منذ اللحظة الاولى للتوسع في الاتجاه الغربي من الجزائر ‘في مساحات من السهول المميزة في الظهرة و الونشريس والهبرة و بني شقران وغريس .فبعد المهاجمة المتبادلة بين الطرفين مدة خمس سنوات الا ان الامر دعى الى التريث و بناء الصلح منذ معاهدة تافنة 1837 مع دي ميشال والتي جعلت من الامير اميرا للمؤمنين و حاكما لمنطقة تمتد من المدية الى تلمسان .ولكن ذلك تحت استراتيجية محكمة من فرنسا والتي خافت في نفس الوقت من الوضع في الجنوب الذي قلق من التوسع الاستعماري رغم اعتراف الباي التونسي و الملك المغربي بدولة الامير .

[1])مصطفى الاشرف ، ص137. في .g. Changarnier, mémoire ,

الباب السابع: مقاومة المقراني

الفصل الأول منطقة القبائل مجتمع وتاريخ

الفصل الثاني أنتروبولوجية المقاومة المعنوية والفعلية

الفصل الثالث أنتروبولوجية البنية الإجتماعية و التفاعل الناتج

الفصل الأول منطقة القبائل مجتمع وتاريخ

تمهيد

قام بالمقاومة الأولى الطبقات المتوسطة و الفلاحين و الأرياف وعموم الشعب و القرى من الكادحين، وفي المقابل بقي رجال المخزن و الإقطاعية الفلاحية في تذبذب اتجاه قوة الحديد والنار . وقد قامت المجابهات الاولى بقيادة ابناء العاصمة و المتيجة. فقد قرر الوطنيين المواجهة المباشرة رغم ضعف الوسائل .لذا نهض بن زعموم في مقاومة المتيجة و التحاق الحاج باي بالثوار في العاصمة فقد كان أغلب الزعماء بعد ثبات و نجاح الاستعمار في العاصمة، في يد الاستعمار بسهولة ([1])، حتى المقراني و التجانية و بعض المنتخبين لحفظ مصالحهم ، لتناقض مواقفهم حول المصير بعد طرد الإستعمار . لكن باي قسنطينة و بومزراق في المدية قاما في اليوم الأول برفض قطعي مواز حالا، لذاوجدناهم يعملون لجمع الضرائب و أمن العشائر التي يتواجدون فيها أو كانوا يحكمونها العثمانيون. لذا كانت لإقطاعية والملاك الحضريين من التواطؤ مع الاستعمار حتى و لو كان ذلك محتما عليهم برضى أو غير رضى .وتواصل الرعاية بالفلاحة لأنها أساس الحياة والتي أثار ت التشنج المعاشي لمشيخة المقراني. .

المبحث الأول بنية وحياة المجتمع في القبائل

المطلب الأول الدراسات الإجتماعية للقبائل

قبل تفكيك البنية يجب الجوع الى الرصيد النظري الذي تركه الإستعماررغم مبالغته وأهدافه الملغمة بالفكر و السياسة . بدأت هذه الدراسات منذ الوهلة الأولى لدخول الإ حتلال وهذا ما يعني أن التجار وعملاء القنصلية الفرنسية كان لهم دور كبير في جمع معلومات أساسية حول المنطقة قبل الإستعمار.

هكذا سهلت الإدارة الأمر للعسكرمن بين الذي جاؤوا مع حملة دي بورمون([2]). هكذا نجد "كارات أنطوان وهيبوليت أرنست " قد وضعا دراسة عميقة في الملف سنة 1848/ 1849 وقد كان مصدرهم معلومات شفهية في الريف والجبال والقرى، حيث لاحظوا أن المستجوبين كانوا حذرين من المصادر

---

[1]– الأشرف م ، الجزائر الأمة و المجتمع ، م س، ص54.

[2]–Settar ,Otmani: la Kabylie présenté par des auteurs Français du 19 siecle, opu, 19eme siecle.opu.Alger.ed1..2011. OP– CIT P8

الأخرى وجد مرتبطين بأصولهم العرقية ([1]). وقد كانت موضوعاتهم متفرغة حول الجغرافيا والمجتمع والحياة اليومية والنشاط والعادات، كما نعلم أن كارات **A –carrette** سنة 1855 أضاف دراسات حول الهجرات في المنطقة الشمالية لإفرقيا خاصة حول الجزائر وقد ساعد أيضا على توسع هذه الأعمال أوجين ديماس مع فابار([2])**Fabar** أين قدما عرضا سنة 1847 تاريخيا للمنطقة في العهود القديمة، إلى العصر الحديث وخاصة دخول الإح تلال ونمو المقاومات في المنطقة خاصة مع الأمير عبد القادر بالوثائق والأخبار الشفهية . وقد ظهرت عدة مؤلفات لهذين الباحثين في 1858/57 حول المجتمع القبائلي والجزائر عامة والتي فاقت عشرة مؤلفات في التاريخ والجغرافيا والأثربولوجيا.

أما الأعمال الأخرى فنجد أعمال جوزيف نيل دوبن،([3]) الذي ساعدته خبرته وتواجده في الوظيفة في الجزائر، أن يواصل فهم المجتمع الجزائري ومعرفة أسراره، فقد عمل 22 عاما في الجزائر حيث كتب منذ 1873 في الم جلة الإفريقية حول– القبائل– كما واصل دراسة حول تنظيم العسكر الفرنسي في المنطقة والمجاهدين وبني زعموم دائما في المجلة الإفريقية . كما كتب روبن حول شريف بوبغلة وثورة 1957/1856 وحول ثورة المقراني ومجراياتها .

أما ها نوتو الذي كان قائدا ساميا حربيا، فقد كتب حول العادات القبائلية مع لوتورنو، وكان له مشروع سياسي وقانوني لتطبيقه في المنطقة ولكنه أحبطه المعمرين الذي توسعوا في المنطقة لأنه يجعل الأهالي في نفس الدرجة مع المعمرين وكان نشره سنة 1873، أما بعض الكتاب الصغار فقد ظهر رين لويس الذي كتب عن أصل البربر وثورة 1871 . أما أميل كاراي **carrey** فقد عرفنا ببعثته 1857 في منطقة القبائل حيث كان مشار كا فيها . ونقرأ أيضا ل وبان ايدوارد 26 شهر في بجاية وشاسيني **chassignet** حول بعثة 1854. إن تطور الدراسات وتوسع الإحتلال إلى المناطق الداخلية والمناطق الجبلية جعل من الباحثين يفكرون في طرق ومناهج جديدة للبحث وزادت في تشوقهم للمعرفة الإجتماعية والثقافية لخلق توحيد ثقافي بين الضفتين ولكن الجذور التاريخية فرضت الصراع.

---

[1]–Carrette A , recherches sur l'origine et les migrations, imp , imperiale Paris 1853. et Etudes sur la Kabylie proprement dite

[2]–Dumas ,Eugene,et Fabar grande kabylie

–Robin,N, Notes sur l'organisation militaire et adminstratif des turcs dans la grande kabylie revue africaine1873–123 –in Settar Otmani op–cit P10 [3]

من هذا نكتشف أن الدراسات التي قام بها ما سكيراى كانت عميقة و أكاديمية أكثر، خاصة على منطقة القبائل لأنه رجل جامعي ، لقد وصل المنطقة عام 1873 وواصل زياراته و إقاماته فيها حتى وفاته، وقد قاد بعثة بحث لإنشاء مدارس فرنسية في المنطقة عام 1882 و بعدها كتب عن تاريخ المنطقة هذه و أضاف أنها منطقة الشاوية وبني ميزاب عام 1886 ويعتبر ذلك العمل أساسي لكل بحث جامعي. أما **Berbruger** فقد إهتم بالمنطقة بعدما عينه الماريشال كلونيل كاتبا له، حيث مارس أيضا محررا لجريدة المجلة الإفريقية ومحافظ مكتبة الجزائر، لذا نجده كتب عن العهود العسكرية في القبائل، ومنها دخول الإستعمار وتاريخ القديم للقبائل ثم إنجازها بين 1856/69. وقد إعترف فابر، ان كل زائر إلى الجزائر كان يترك مذكراته في نصوص ومقالات حول طبيعة وعادات المجتمع القبائلي([1]) .

كما كان أحد الباحثين عن الراحة والسياحة والمناطق الغرائبية قد وجد وجهته في القبائل، لذا نجد القائد **Buhausset** كتب عن زيارته المنطقة الجرجرة سنة 1865 و **au capitaine henri** حول زاوية شلاته سنة 1860. لقد كان يمثل شارل فيرو، مترجما وموظفا حكوميا منذ 1848 حيث حضر عدة بعثات عسكرية في منطقة القبائل بين 1859/1853 لذا كتب عن تاريخ غاية عام 1869 القديم والحديث. كما يمكن أن يساعدنا **c-fabre** على دراسته بعض الحالات وبعض الأساطير و المواقف بعد ثورة 1871 بقيادة المقراني حيث كان يعايش أيضا المنطقة في حياتهم وأفكار هم وعقولهم. وفي نهاية القرن 19 لخص جيل ليورال ([2])أعمال الفرنسيين و أبحاثهم حول المنطقة حول كافة القضايا والمواضيع الجديدة والقديمة([3].)

المطلب الثاني تركيب بنائي للمجتمع القبائلي:

تمكنت الدراسات الإستعمارية في فهم الحقائق الإجتماعية المتعلقة بنية وتنظيم المجتمع القبائلي إلى تفرعات وإلى تراتبية معترف بها توجه وتوضح مصادر السلطة والقرار بين أبناء المنطقة وخاصة في الحرب . لذا نجد أن البحث الإستعماري وجه إهتمامه القوي نحو تركيب وثقافة هذا

---

[1]-Fabre in settar , OP-CIT P 12- VOIRE,Faucon Narcisse-LivreD'orde L'algerie Paris1889 ET CHARLES Ferraud ,Histoire de Bougie 1869 ET Fabre ,c,Grande KABYLIE LEGENDE ET SOUVENIR

[2]-Liorel jules,Races berberes L kabylie Paris1892

[3]- Settar Otmani, OP- CIT , P13

المجتمع قبل الكولوتيالية يهدف لخلق تركيب جديد قابل للإندماج والذوبان، وسهل التطويع في ثقافة واحدة وتحت سياسة سيطرة . لذا تم معرفة أن تجماعت هي لجنة القرية، التي تقوم بنظام التسيير والتوجيه والتحكيم حسب دراسة هاتوتو و لوتورتو ([1]) كما وجدا أن القرية هي دولة مصغرة مستقلة يقودها هؤلاء المنتخبون بحرية الجماعة القروية كلها، فهي القادرة على التغيير و التكييف أو الاستناد إلى الماضي وقواعده.

ومن خلال القرية يمكن تكوين العرش بفصل عدة قرى حيث تبتعد التجمعات بالجغرافيا وحيث تختلف حجم السكان فالعرش أداة حرب وسلم ومصالحة مع الغير فهو قوة وعمل مشترك في المفهوم السياسي و الإدراي. بينما نجد أن القبيلة **Takbeilet**([2]) هي الشكل الأوسع حجما لأنها مجموعة عروش ولا تنظم و تتوحد إلا في حالات الخطر والحرب . فالقبيلة تشكل كونفدرالي للجماعة القبائلية فهي بنسبة عامة له، الذي يتكون من العرش والقبيلة والتجمع العام للقرية([3]) .

فالقرية تتكون أو التجمع القروي العام ينقسم إلى:

1/ الجماعت: جماعة المختارين والوجهاء في المجتمع، والجماعة تتكون من الأمين و الوكيل والتمان مساعد الأمين، ومنه عدة أشخاص. فالأمين هو رئيس الجماعة وقائدها وحاكمها المحترم الذي يأتمر به الأشخاص وكبار العائلات، و مساعديه ورجال الخزينة وحتى الإمام المكلف بالقيادة والتوجيه الديني.

2/ وهناك النوع الثاني الجماعة وهي كل القرويون الذين بل غوا مرحلة الثبات وقادرون على العمل النشاط والعقل وحمل السلاح.

فالجماعة هي مالكة القوى بكل ما يهم القرية وسكانها، فالجماعة تهتم بالصراع د اخل القرية وجمع الضرائب والغرامات وتنظيم الحياة اليومية، والضبط الأخلاقي. فهي مؤسسة قابلة للتجديد مع كل طارئة محلية أو خارجية عنها فهي قوى سياسية وإدارية وقضائية تحكم كل صراع وكل أزمة بين الأفراد والعائلات وهذا ما يراه لوتورتو، وهانوتو ([4]). لقد إهتم علماء البحث الإجتماعي الإستعماري بكافة

---

[1]–A,Hanoteau, /Letouneux, OPCIT,Les Kabyles et les coutumes kabyles

[2]–Faradji ,M,Akliin,in , ottmani settar opcit P 22

[3]– Faradji, OP–CIT, IN settar ottmani P 23

[4]– –Hanoteau /Letourneau ,OPCIT , IN, settar ,p25 /24

المظاهر والقيم والسلوكات الإجتماعية والنفسية و الإقتصادية، لمعرفة خبايا المجتمع و أعماق فلسفة الحياة التي جعلت مجتمع مثل يستمر ضد الرياح العاتية منذ بدأ الحياة، ضد الغزاة من روم و فنيق ووندال وحتى الأتراك. وذلك مالاحظناه مع حركة بني عباس ضد الأتراك في دخولهم الأول

إن المكان مقدس لدى المجتمع المحلي والتجمع المتكامل ضرورة نفسية و إجتماعية ومحاربة الغزو شعور داخلي يتمظهر طبق نوعية التحدي الذي يشكله الغزاة، فالمجتمع القبائلي يمثل حسب **J.N. Robin** طبيعة ديمقراطية متعايشة لا يمكن مقارنتها للقبائل، لا يمتلكها نظام آخر ([1]).وهذه الطبيعة التي خلقت وعيا متضامنا تكافليا ضد الإحتلال، فخاض المعارك بقوة وشجاعة ولكن فرنسا كانت تحتقر هذا الجماعات وقال احد ضباطها.

"Un peuple qui est capaple de pareils devouements peut devenir a un moment donné redoutable et il demande a etre traité avec une grande prudeuce"

والكلام يبقى واضح يقدمه ضابط معايش للجماعة والحرب والحياة عبر الإد ارة الحاكمة فقد وجه أن القبائلي تعلم اللعب بالسلاح وتربي عليه منذ 15 عام حيث يمارس إطلاق الرصاص عدة مرات خلال ثلاث أيا م من العيد كما هناك عدة طبقات في القرى للتدريب والتفاخر أو إعلان المكان بالصوت وفي ذلك ظهر قوة ضاربة قامت بالدفاع عن العاصمة حين خرج 25 ألف من شباب المنطقة إلى العاصمة ما تمثل عشر السكان([2].) لقد كانت السلطة العثمانية تفتخر بهؤلاء الأبطال وتجازيهم بالمكا فآت الذين إعترفوا بذلك وحيث كانت بنادق أبطال القبائل تضاهي العدو الفرنسي، مع العلم أنها صناعات محلية وتونسية أو تركية فقط وبينما كان البارود يصنع محليا.او ما اتى من المغرب .

فالمقاومة كانت عندهم – جهاد مقدس– بالمفهوم المحلي و الإسلامي الجزائري فكانت مو اقفهم كلها مجتمعة على تلبية نداء الداي للجهاد، كما يرى **Robin** وكانت النفس لواعية بالفعل هذا، حماسية وطنية لأن المجتمع كله كان مهيأ ومستعد لتبعات الحرب، والجندي محترف وحامل ملتزماته، فالجهاد كانت قوة دافعة لحماية الوطن والمجتمع، وإعادة صدع تشققات القبائل و ا لعائلات التي حولت أهدافها كلها إلى المقاومة الأساسية ، فكل رفض للمقاومة من قبيلة أو أخرى فإن الهجوم عليها ومعاقبتها كان

---

[1]–Merah aissa, IN ,SETTAR ,opcit 123

[2]– Merah A,in, opcit P123

عملا عاديا ضد كل متواطؤ مع الإستعماروممارساته ([1]) . وهناك طقوس عائلية وقبلية تنص على أن كل دين يجب تأخير استرداده من الطرف الآخر، وك ل خصام قديم يجب إنهاءه حتى يتم نهاية الحرب كما يمنع كل إنتهازية في حالة الحرب من طرف الأفراد والجماعات أو خلل بالتقاليد ، ويبقى السوق هو وكالة إعلام و إشهار بالقضايا و الأحكام و النشاطات التي يفرضها مجلس الجماعة على القرية([2]).

تعتبر الجماعة مجلس تسيير شؤون السكان في قرية أو مدينة مصغرة تتألف من أشراف القوم و الأسياد و السلطة بمن فيهم الامين، الوكيل و التمان و يضاف إليهم مجموعة تتفرغ منهم هي العقال رجل الحل و الربط، فالأمين هو المتعرف الإداري بالشؤون العامة وبعين بعد إنتخاب من طرف المواطنين، فهو مكلف بالملكيات والغرائب و الدفاع و إحترام الاخلاق وحماية الزوار . أما الوكيل فهو نائب الأمين فهو مكلف بالمحاسبة ومساعدة الأمين في أعماله ونيابته . أما العقال فهو رجال من ستة أشخاص يتكلفون بحل الصراعات والخصام ووضع الصلح بين الأفراد و الجماعات([3]) .

المطلب الثالث العرف الجماعي

وجد بورديو **bourdieu-p** المجتمع القبائلي أنه كان تكون من:

العرش، القبيلة، تجماعت

العرش: مجموع من الناس من عدة قرى.

القبيلة: توسع بشري أكبر.

الجماعة: **clan** وحدة أخرى وتضامن بالمشاركة

العائلة: أصغر وحدة و تؤلف مجموعة صغيرة منهم **thakharbuth**

Thakharbuth:ا- مجموعة عائلات من جد واحد ب- من عدة أصول مختلفة

Adrum: مجموعة عائلات تنتمي إلى مؤسس واحد و تؤسس **clans**

---

[1]-J :W :Robin,notes historiques sur la kabylie de 1830/1838 Bouchenen ET IN revue africaine N 18 /P 20 /19

[2]-Merah aissa opcit P124 /125

[3]- Ottmani Settar ,opcit p50/51

Taddart: قرى في الجبال تتألف من عدة **idarman** الذي يؤلف كل واحد منهم حي سكني.

أما الحكم السياسي و القانوني للمجتمع القبائلي فتكونه وتنمطه حسب هيئات العرش و القبيلة .لانهم تمثيل قوي وله رموزه الخاصة وله تراكماته التاريخية .أما **clon** فهو عبارة عن الجماعة **tajmaat** التي لها حدودها و طرقها و عيونا و تقاليدها حيث تحدث الوقائع تجري الحياة .([1]). بينما نجد م ااسكيرى يرى أن الجم اعة، هي ممثل مجموع الفروسيون فالجماعة هي جماعة حل وعقد، تمثل السلطة إدارة و قضاء بين أفراد القرية. بينما الإستعمار قام بتفكيك الجماعة وتقليص سلطتها([2]).

وكانت دراسة ماسكيرى جد متطورة عن أبحاث هانوتو ولوتورنو، حيث بحث عن تاريخ تكون المدن و كيفيات تنظيم ها إجتماعيا و إقتصاديا . فقد وجد أن تجمع القبائل في الجبال كان له معنى تضامن و توحيدي للجماعة، فقد تكونت **Taddart** عند القبائل، و **Tatilt** عند الشاوية و العرش عند مزاب و تيرغمت عند المغاربة. فالمدينة القبائلية عبارة عن أفراد، فهي التي يحمي الفرد و يعاقب الفرد و ما ينطبق على إفر يقيا ([3])، فالمدينة في شمال إفريقيا تتكون من ال قرية والمجموعة سكانية تضمها الحمية الجماعية وتنظمها مدونة اخلاقية متعارف بها لدى الجميع **Collectivite** وتحكم بينما مؤسسة الجماعة **Tajmaat**و يعتبر القانون القواعد العامة التي يجب تطبيقها على الأفراد ويجب الالتزام بها ,يقول بورديو: "إن المجتمع القبائلي هو مجموعة مغلقة تمثل حلقات مركزة من الثقة التي لها اسمها ولها أملاكها ولها شرفها"([4]).

فالقيم الاجتماعية المختزنة في المجتمع المحلي، معمورة في الذاكرة وفي الواقع فهي قابلة للتمظهر في أي لحظة، طبق احتياجات المواطن و طبق نزعاته طبق التحديات التي تواجهه، فهو يكيفها مهما كان الوضع، حسب ما يضمن راحته ;وتجنبا للكولونيالية ; وممارستها التصفوية ضد الآهالي، ركزت قوات الإحتلال إهتمامها على المراكز الأساسية للقبائل، والتي هي حقول الزراعة و الزاوية و الجماعات القروية التي مصدرها القبيلة، فالنشاط اليومي قائم طبق تقاليد كونها المجتمع المحلي، طبق

---

[1] –Bourdieu ,P,sociologie de l'algerie p 11. 12. 13. In faradji m. akli in otmani sattar p 27–28.

[2] – faradji in otmani p24.

[3] – Masqueray . op cit p18 in formation des cites sedentaire in otmani settar p 25.

[4] Ottmani settar opcit p 78–

ثقافة محلية من جهة وثقافة إسلامية مشجعة في الحياة اليومية .وبذلك كونت مدونة الأعراف ،قواعد للظبط السلوكي المنمط و المتجانس و الذي يحفظ درجات التوافق الاجتماعي و التع امل المنطقي حسب الحاجات و المصالح ومنطق التبادل المتكامل و المتبرر بقوى التناسق العام للمجتمع .و ذلك ماحققته التقاليد الاجتماعية و المخيلات الحافظة للذاكرة و الخيال الفردي و الجماعي . وما تبرره التنشئة في العائلة و القرية و الزاوية حيث يتعلم و يلاقي الأقرا ن و الجيران من كل المستويات و الطبقات و الجماعات لكي يخضع في النهاية الى نص مشترك واحد للفهم و العملو السلوك الذي يبني وحدة الشعب و بناء المصير ومشروع الحرية المبتغى ضد فرنسا. فالمراكز الدينية كانت قوى للدفع الثوري و التحرري .

يقول هانوتو : كل مرة كنا نريد ضرب ثورة معينة، كنا نرى أنه يجب تحطيم "الزاوية" و الأنظمة الدينية أو "الطريقة" لأنها هي التي توحي للثوار ..." ([1]) لأن مهما كانت البنيات الاقتصادية متدهورة أو متنجة، فإنها ضربة عنيفة لا يريد الإحتلال إقامتها، ذلك لكسب السكان عموما و أولا، إلا إذا اقتضى الحال و صعب الأمر أمام قوة ثورة عارمة. فالإضطراب البنيوي للمجتمع، لم يمكن تصنيفه لدى العالم الإجتماع ي الفرنسي و الأنثربولوجي، الذي كان يدرس المنطقة ضمن منظور بدائي، وليس طبق الشكل الماركسي في حين غيبت الانانية و الكولونيالية تاريخ الاماريغ و الاسلام .

فالعائلة مهما كان عدد أفرادها تمثل المرجع ية الأولى لكل نشاط حتى يكبر الأبناء مهما كلف الأمر، ومنه يبدأ التفكك العائلي الداخلي ثم تقسيم الورث و تقسيم الملكيات و تقسيم الأعمال وتتعدد النشاطات،وتوريث الانماط الاخلاقية و القيم الاجتماعية الموحدة لكل الفئات . ويتم خلق طبيعة خاصة فكل عائلة جديدة اجتماعيا و اقتصاديا المرتبطة بالزيتون و الماء العذب و رعي البهائم الغالية التي تغذى و تلبس و يخلق الثورة . يقول **J.N Robin** إن المنطقة غنية بالزيتون ومياه عذبة كما تقدم جبال جرجرة، مساحات واسعة للمراعي في فصل الصيف"([2].)

---

[1])–Guenfissi hayet, in,ottmani S,opcit p79

[2]–Robin ,j,w opcit in ottmani setar ,p112

المبحث الثاني الأعمال و الممارسات

المطلب الأول الحياة اليومية للقبائل:

في إطار وصف الشعب الجزائري، واصل الاستعمار بآلته العلمية و العسكرية البحث العميق في خبايا مظاهر هذا الشعب و سلوكاته و عاداته و حياته اليومية، لذا كانت القبائل ا لكبرى محطة هامة لهاته البحوث في الأبعاد الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية، وذلك بهدف معرفة أسرار تضامن هذا الشعب ووحدته التي مكنته من التعامل اليومي بدون خلاف منذ قرون تاريخية.

لذا تم اكتشاف من طرف هؤلاء أن الإنسان القبائلي فرد يقطن منطقة جبلية بارد ة و يفضل المواقع المرتفعة، وهذا في رحلة دخول الاستعمار في القرن التاسع عشر و هذا حيث كل باحثي الجغرافيا في المنطقة)([1])، وهو إنسان يتميز عن العرق العربي حسب **M.Daumas** و **M.Fabar** يقوم بالأعمال ليل نهار، يبني منزله من الحجر الجاف غالبا، لأن الحجر الجبلي متوفر و الحيوانات المساعدة لذلك كانت مدجنة وجد مهتم بها، كما توجد بيوت من الطوب([2]) ويرى **Duhausset** أن القبائلي إنسان فلاح صانع، وراع فهو عامل ناشط، ومستقر و ليس بدون متنقل بالخيم حسب المواسم الفلاحية وحاجاته([3])

ورغم قلة المساح ة السهلية الفلاحية، حيث المنطقة جبلية وعرة'إلا أن القبائلي قام باستثمار كل شبرمن تلك المنطقة ليحرثها ويغرسها بسواعده و آلاته التي صنعها ما يؤكده دوماس، هذه الأرض التي لم تبخل بانتاج أي نوع من الخضر التي يستعملها المطبخ القبائلي يوميا من البصل والعدس حتى الشمندر و الفلفل و البطاطا و الزيتون و خاصة العنب الذي سهل زراعته، والشمة التجارية و زراعة النخل الذي هو سلعة نادرة.

مع العلم أن طريقة الفلاحة المعتادة لم تكن بعيدة عن العلم الحديث من شروط إلا أنها كانت لا تترك للأرض فرصة إستراحة توظيف لقلتها، بينما كان هناك تغيير في نوع المنتوج المزروع في القطعة أو في المساحة الواحدة المصغرة، وكانت تسهل سنويا أو قبل كل فلاحة جديدة، حيث أغلب الحال كان

---

[1]–Ahouari zahir articles in ottmani settar opcit p 61

[2]–M,Daumas ,la kabylie ,ed hachette ,et cie Paris p7–1857in ottmani opcit p62

[3]–Duhausset , in ottmani p62 in E,Duhausset ,excurssion dans la grande kabylie 1864/1871p291

الزراعة تتم فترتين الأولى خريفية تضم 6 أشهر و الأخرى ربيعية تضم 6 أشهر .كما وجد هوداس **Hudas**في اثنوغرافيا الجزائر .

ورغم ذلك تبقى أنها زراعة معايشة غالبا و للأقراب، أما في مجال الصناعة فقد كان الوضع جد مختلف فكانت غالبا تجارية ولها حرفيين متخصصين لذلك فقد وجد بحاثة الإستعمار أن المنطقة تتميز بكافة النشاطات الأساسية الصناعية التي تستلزم راحة و الحياة اليومية ووقاية الإنسان و توظيفه للآلات للنشاط العادي والفلاحي، لذا صناعة الخشب و صناعة السلاح، وأدوات الفلاح، وجلود للباس، وغير ذلك وسيوف و الفأس والموسى ونسيج البرنوس و الجلابة وحايك النساء و الأفرشة.

مما يعني أن هذا الإنسان قام لتوفير أساسيات الحياة ([1]) للحركة و النشاط و العتاد و الحماية و العمل و بناء المنزل وغيرها . أما صناعة السلاح الذي تتم به المقاومة، والتي إهتم بها البحث الإستعماري فقد أن المناطق التي تتواجد فيها هذا النشاط هي قبيلة فليسة حيث نجد صناعة سلاح أبيض فقط، بينما نجد السلاح الناري يصنع في منطقة بني عباس، حيث كانت تصدر حتى إلى تونس ([2])، إلا أن هذ ه الصناعة شهدت الضعف منذ بداية القرن التاسع عشر، وهذا بعد التحليل يرجع إلى معركة نافارين التي أفشلت القوى الجزائرية حربا وتجارة، لأن بعض المواد الأساسية لذلك كانت تأت من المشرق ومن تركيا عاصمة الخلافة العثمانية.

بينما يرى **Liorel** أن وجود السلاح في المنط قة كان قليلا أو سياحيا مثل بنادق الفروسية و الصيد أو البنادق فليست للهواة و السياح([3]). لقد كانت هاته المواد التجارية بعضها موجه للمحليين و أخرى للمناطق الأخرى و ثالثة (للرومي). " للرومي" في فرنسا و غيرها التي كان لها سفن تجارية مخصصة للتنقلات و التجارة في بجاية و تيزي وزو و الجزائر العاصمة . لهذا وجد المؤرخ الفرنسي و إكتشف أن بني ساحل تتاجر بحيويتها لتشتري زيت الزيتون كما تفعل برني يني التي تصنع الجواهر مقابل الحبوب و السلاح . وقد كان بني عيسى يبيعون الفخار، أما بني سي يوسف فكان بيعهم الحايك و البرنوس و بني عباس برنوس، وبني واصف يعرضون الأبغال المدجنة....." ([4])

---

[1]–Liorel ,J opcit p(513

[2]–Daumas ,Fabar op cit p32 in ottmani s, p70

[3][–Duhausset ,e, opcit p292,in ottmani ,s, p72

[4]–Liorel ,J, opcit p517 inottmani s, p67

لقد كان سوق بني منقلات، ملتقى لجميع العمليات التجارية البسيطة و الهامة في المنطقة، وكما لاحظنا نقص مواد الحبوب المحلية التي كانت تأتي غالبا من مناطق داخلية وخاصة مناطق سطيف حيث السهول واسعة أين تشير هذه الفلاحة كما توجد في سهول قسنطينة و المتيجة مع العلم أن المنطقة مشهورة باستعمال الحيوانات وتربيتها لهذا الغرض.

أحد أهم المنتوجات التي يهتم بها القبائلي:

- الزيتون: في حالته أو حالته المعصورة لصناعته لأنه مادة غذائية وصناعية للصابون
- الجلود بدباغتها و صناعة اللباس الجسمي و الأحذية و السروج للحيوان.
- المنسوجات: التي تصنعها النساء أفرادا و جماعيا لتحضير اللباس النسائي و الرجالي.
- صناعة البارود: بإستعمال طريقة أوربية، إستطاع القبائلي صناعته لأهبة الحرب المفاجئة

في كل حال، حسبما يرى .**Liorel ,J**

- الفخار: وهي أساسية الأدوات الأكل و البيت.
- الصيد: كان يمارس في النهر و ليس في البحر.
- صناعة الجواهر: خاصة في منطقة بني يني.
- صناعة دراهم مزورة: بالنحاس و الفضة و الذهب، شبه النقود في كل العالم آنذاك.

المطلب الثاني الدين ممارسة المقدس

ارتبط التطور الثقافي للعصر الوسيط إلى غاية الاستعمار بالحياة ال دينية وتكفل الزوايا والمراكز التعليمية بالعلم والعقل . وقد ارتبط مفهوم – الولاية– والطريقة التي ظهرت منذ العصر الثاني للإسلام وخاصة بعد الدعوة والفلسفة الصوفية التي قدمها سيدي عبد القادر الجيلالي في بغداد وانتشرت إثرها إلى كافة بلاد الإسلام . لهذا ظهرت في الجزائر عدة طرق كغيرها من بلاد الإسلام وخاصة القادرية ([1]) و الشاذلية ([2]) و منها تفرعت طرق أخرى خليفة للشيوخ المؤسسين . هكذا وجدنا أن منطقة القبائل في بجاية وجرجرة ومواليها، قد تأثرت بهذا التيار، ا لذي كان عبارة عن مؤسسة فاعلة متكاملة تهتم بالعلم والدين والحياة الاجتماعية للسكان وتنظيم أحوالهم والحكم على مقاضاتهم وحل مشاكلهم.

---

[1] SAINTETE ET CONFRERIE OP-CIT –P83 –Bala sadek

[2] – الشاذلية و القادرية.طريقتين صوفيتين للتعبد و طلب العلم

لذلك عرفت المنطقة – لالا قورايا– في بجاية و إبنة الولي المعروف سيدي محمد بن عبد الرحمان ([1]) وكانت تعرف بإبنة الشيخ وقد مثل ذلك غرائبية رومانسية للبحث والتأمل لدى الباحثين الاستعماريين في العهد الأول للاستعمار حيث كانت محاولة التقرب إلى السكان ومعرفة حياتهم وعاداتهم الاجتماعية والثقافية وجذورها التارخية ([2]) . لقد عرفت – لالا قورايا– بالعلم والورع والرحمة، ولاقت الحظوة الإلهية والكرامات والسلطة الروحية على أبناء المنطقة مما جعل لها مؤيدين وأتباع يقدرون مكانتها ويحفظون تراثها في مناطق بجاية .وقد استطاعت ان تجهل المنطقة محج للزوار ة العلماء و الباحثين عن الامان و الهدوء و التعبد .

كما نجد ظهور الشيخ المهدي في منطقة إيراتن أين لاقى تقديرا واحتراما بين السكان، فكان معلما داعيا وزاهدا في حياته ومعتكفا للعبادة ملتزما بأخلاق الدين ومبادئه الإنسانية، مما جعل السكان يقدسونه أكثر من غيره ويسمعوا لدعواته . وقد تكلم الباحثون الفرنسيون عن هذه الظاهرة كثيرا في كتبهم رغم عدم اعتمادهم على ا لمراجع المكتوبة إلا أن دراساتهم للشخصيات وتحليل المعلومات الشفهية كان قريبا جدا من الحقائق ولا يبعد مصداقياتها . فقد تكلم آخرون عن طريقة أخرى، اشتهر شيوخها بحل المشاكل الاجتماعية ومنهم شيخ ظهر في منطقة آث منقلات([3]).

أما دراسات ديبون وكوبولاني([4])، فقد قدمت لنا حقائق أخرى حول التصوف والطرقية في منطقة القبائل، فقد اعتبروا أن الولاية هي درجة مختلفة عن العلم وهي تخضع لترتيب سلمى في التصوف والزهد وهي عبادة دينية لها تجذرها التاريخي وقواعدها الدينية . وقد يرجع البعض أصولها إلى أحمد بن حنبل شيخ المذهب الحنبلي، ولكن بن حنبل كان فقيها سنيا وليس متصوفا حسب التاريخ العلمي للإسلام.

كما قدم هؤلاء مقارنات بين الشيعة والسنة وما تحمله من اختلافات حول مكانة الإمام على .(رض) في الرسالة الإسلامية، فقد جعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم في مكانة واحد متعادلة مع الإمام على في رتبة الولاية... إلا أن المهم وحسب ما تركه التراث الصوفي في بلاد الإسلام وخاصة السني الذي ساد في المغرب وشمال إفريقيا، والذي كانت مراجعة، .المذهب المالكي فلسفة وفقها مما جعل أن

---

[1]– Daumas eugene / fabaR: la grande kabylie paris hachette 1874.

[3] – Daumas fabar . p295.

[4] – Depont octave / copolani xavier –les confreries religieuses. Musulmanes 1897. P33

التصوف لا يتجاوز حدوده في التوحيد و العقائد، رغم ما شابه من مظاهر خرافية تطورت عبر التاريخ، ومر بها غالبا لإثبات الاختلاف ورسم رياضة نفسية وروحية للمريدين والأتباع وطرق تفيد ودعوى هادفة . وقد اشتهر التنظيم الصوفي بمراتب علمية متسلسلة يمكن الوصول إليها بفضل التعبد، والتقرب إلى الله والتي تؤدي إلى الكشف عن الحقائق إلهية، يسهلها الله إلى العباد، الذين يمثلون في آخر مراتبهم خاصة –الخاصة، وهم أخيار الناس من العلم والخلق والإيمان.

لذا نجد أن الصوفية وضعوا مراتب * مشهورة هي القطب، الغوث، العبدال، النجيب، والنقيب، والأخيار وغيرها، ويعتبر سيدي عبد القادر الجيلالي هو أقرب ولي إلى النبوة. لقد مثلت المرجعيات الفكرية للتصوف أحدى منابع التدين والسلوك الاجتماعي مما أثر على المتموقع السياسي للرجال والعلماء والمتصوفة، فكل اتجاه صوفي كان له موقف يحدد مظاهر الحياة الشخصية للأتباع والمريدين، حيث هناك من المتصوفة من يدعوا إلى الزهد والاعتكاف و الاعت زال عن المجتمع . وهناك من كان له دعوة حيوية واندماج اجتماعي مقرب أكثر حتى يسهل خلق الأمثال والنماذج الدعوية للآخرين وتمرير الرسائل الدينية

لهذا وجدنا الرجوع إلى أبي الحسن الشاذلي فكان نتيجة عملية لكل سلوك صوفي مما تحمله الطريقة في أذكار عقائدية للإيمان تظهر الفرد وتحفظ علاقته بالله، وخاصة في جوامع الطرق الصوفية ومراكزها المخصصة للدعوى والصلاة والعلم مما يساعد على تطوير الزوايا والرابطات ومعها الدور الاجتماعي في التكافل و الإيواء والغذاء والعمل. وهذا الشيء لم يخف على قوات الاحتلال، مما دعاها إلى محاولة الفصل بين الدين والمواطنين وخلق بعد اجتماعي وفلسفي وسياسي بينهما حتى يسهل اختراق العقل الوطني للفرد.

وقد كان مراجع الصوفية في الجزائر معروفة، بالرغم أنها كانت ملحقة بأشهر الطرق الإسلامية، فقد توسعت طرق سيدي محمد بن عبد الرحمان، و عبد الرحمان الثعالبي في العاصمة، وسيد أحمد بن يوسف الملياني في واد الشلف، والسنوس في مستغانم والتيجانية في الأغواط والزيانية في بشار وغيرها .

ولكن يظهر أن الطريقة التي غلبت على منطقة القبائل، كانت لطريقة الرحمانية التي انتشرت من العاصمة حتى بسكرة والجلفة و بوسعادة، وقد جعل ذ لك من المتصوفة في القبائل رجال علم ومكانة إجتماعية وسياسية، جعلتهم أصحاب نزوع وطنية وقومية لدفاع الوطن وحمايته من التشبع بالهوية الإسلامية.

كما كان تأثير الشيخ بن يوسف الملياني على المنطقة بارزا من خلال علاقاته مع المتصوف سيدي زروق، وكذا زياراته لبجاية و المنطقة([1])* ، سواء في البث الروحي أو التماسك الإجتماعي ، حيث أن التصوير الشعبي و المخيلة السارية ، كان يضع الشيخ الملياني في صورة درويش فقط أو مجدوب لا غير في وسط تسود فيه الشاذلية أكثر، وقد ترك الملياني الصوفي العلم الزاهد اثره في كل المناطق شمالا وجنوبا طبق الطقوس الشاذلية ‘خليفة له تمثل في سي محمد بن نصير الدرعي في العلم والدعوة والصلاح. لقد كانت الصوفية ملازمة لمفهوم الولاية ([2])، لأنه لا يمكن أن تصل الولاية بدون تصوف وتعلم علومه وشروطه وروحانياته الكشفية بالطرق والمراتب والمدارج التي يجب أن تأخذ طقوسه ع ن شيوخ الطرق و هم يضمنوا سند الطريقة بكل مصداقية، من خلال نقل الأقوال وطرق السلوكات عن الأئمة السابقين وفقهاء ، ولذلك المتصوفة ‘اختلفت مراكزهم من المعلم والمقدم إلى غاية القطب والغوث والولي . وقدم رين **Rinn** بترتيب ذلك في([3])

الغوث: الحامي للخائفين

القطب: محور الوجود

الوتد: وهم أربعة هم مثل عمود الحديد الذي يشد الخيمة.

الأخيار: (المصطافين) وهم سبعة يجيبون لنور الله من خلال السفر والرحلة للأماكن.

العبدال: وهم المغيرون وهم 70، أو 40 فهم يبدلون المختفي.

النجيب: وهم المميزون وهم 70 فهم كثر في مصر.

النقيب: وهو قائد مجموعة من الأولياء وهم 300 فرد وينتشرون في إفريقيا ما عدا مصر.

الولي: وهو حبيب الله المميز، وله كرامات كصفة معجزات لا يمتلكها الفرد العادي.

Saintetè et confrerie soufies en kabylie au19 siecle –in otmani settar ,kabylie par des auteurs francaisP83-90[1]-Bala sadek . opcit.

[2]jourdan 1884- Rinn Louis. Marabout et khouans- In otmani settar

[3]- Bala sadek . opcit. P86.

فالولاية جزء من التصوف، والتصوف أداة للطرقية وتأسيس الزوايا، التي قامت كمؤسسة إجتماعية وقانونية وإقتصادية وسياسية في المجتمع الإسلامي منذ الإختلافات الخطيرة في العقائد الجزئية ومظاهر الأخلاق فقد مثلت الزاوية الدولة في أغلب الأحيان، أو كانت مستقلة كلية عن نظام المملكة أو السلطة أو الخلافة أحيانا. ن الصورة الروحية – للولي– فقد كانت في االميثولوجيا الشعبية رؤية خاصة يتميز بها كل شخص له أوصاف يحددها بعض العلماء و الخبراء من الخاصة. وربما لا يكون للولي زاوية محددة ولا طريقه.ورغم ذلك قامت وصنع الفجوات بين ابناء الشعب الجزائري ' وطمس القوى الروحية و الطقوس التي له ' وحملات تنصيرية،و أخرجت برنامج الظهير البربري للمنطقة بينما كانت النزعة الدينية الإسلامية في قائد ثورة المقراني([1])والشيخ الحداد وإبنه شيخ عزيز بفضل الرحمانية التي جمعتهم و أمدتهم بالسلاح والرجال

المطلب الثالث الزاوية تراث الوعي الإجتماعي

لقد تطورت الابحاث التاريخية والثقافية في العهد لااستعماري وحتى قب له من طرف المبشرين ورجال التجارة والاعمال والرحالة /فحسب الابحاث الانتربولوجية والتاريخية الفرنسية فإن منطقة القبائل كانت نسبة مستقلة متبعة نظام الجماعة ونظام القرية والقبلية إلا أن التطور اللاحق الذي شهدته الطرق الصوفية تكونت جمعيات أخوية دينية ت تبنى مجموعة مدونات شعائرية تحفظ تراث الاسلام وتقاليد بلغته فكان أن اندمج العلماء وزعماء القبائل في طرق معينة جعلتهم ينتمون النظم الدينية في الحياة الاجتماعية والسياسية

لقد كانت الزوايا بنيات تعليمية وشعائرية حسب الكتاب الفرنسيين وأحيانا مؤسسات سياسية و فضاء ديني للتوجيه والارشاد بدون قرار قطعي في الحياة العادية اليومية ([2]) لقد كانت المواجهة ضارية بين المسير المسيحي ورجال الطرق الصوفية المسالمين في المنطقة بفضل تعليم القرآن واللغة وحتى الرياضيات والفلك وتكريم الناجحين في نهاية الدروس لأبناء المنطقة وتكليفهم بالتعليم وارسالهم لتطوير المستوى في تونس ومصر والمغرب ومكة.وبذلك كان دور الرباط الذي كونته الزوايا دورا لمثيله في اروربا من خلال رجال الاكليرك في الكنائس وملحقاتها وحيث كان المرابطون رجال أجانب وأغلبهم عرب

---

[1])–Bala Sadek opcit p 87

[2] Otmani sattar : la Kabylie présenté par des auteurs Français du 19 siecle, opu, 19eme siecle.opu.Alger.ed1..2011.p56

وكانت مهمتهم حماية الاطراف من الارض الاسلامية وكان بعضهم رجال مجندين بالقوة وبالعلم وبعضهم ينتمي الى الصوفية ' فكان بعضهم من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وبعضهم من دعاة الاسلام وحمايته ([1])

وتبعا لهذا التكامل بين الدين وتراكيب المجتمع الطبقي الذي كون في المنطقة فإن شكل سبب تنافر من جهة أخرى حيث أنه حسب قول الباحث لكن الشيء الذي كان مميزا في هذا المجتمع والمجال الجغرافي فإن المرابطون كان رجال يستغلون ويسيطرون على الحضر يبين القبائل وكأنهم عبيدا)([2]) مما خلق تنافرا اجتماعيا وتذمرا سياسيا بنى مرتكزاته على الدين بينما الصوفية ' كان بعضهم من مراتب الطالب أو حافظ القرآن بالذاكرة وحافظ التعاليم حرفيا كما تلقاها بدون نقد ولا تفحيص بينما الاسلام كان متجذرا من من بدايات دخوله ([3]) أيام دخول العرب إلى المنطقة مما خلق شرخا مع ذلك لعب رجال الزوايا دور اصلاح اجتماعي وعلمي ودور ربط ثقافي واخلاقي من خلال التقرب إلى الله ودعوته هي داع إلى وصول كل مؤمن إلى المراتب العليا.

وهذا ليس غريبا أن الطريقة الرحمانية التي توطنت في المنطقة استطعت الحفاظ على التكامل الاجتماعي للمنطقة ورفض التوسع الاستعماري من خلال مقاومة الشيخ المقراني والشيخ الحداد حيث كان الدين مدعاة للتعاون ورفض كل تقميض آخر تاريخ عن المدونة الاسلامية فكان أن المنطقة استجابت لدعوة زعمائها وواجهت المحتل بعد أن استفحلت أساليب التجويع والترهيب وسلب الاراضي والمنمتلكات ومنع الفلاحة والتنقل منذ..**1863**

لقد ساهمت القوانين الجديدة التي اعلنتها السلطة الاستعمارية من 1863 وبعدها من 1871 قد أدت الى تنفر الشعب الجزائري حسب الظروف الجغرافية ومصادر العيش اليومي للوطن حيث كان أحد أثارها مقاومة المقراني في هذه السنة 1871 ظهر قانون رخصة الاستغلال ([4]) لزراعة الارض في حين كانت الفلاحة قبلها مبنية على توازن اجتماعي للعائلات لا يمكن التسامح فيه وهو ملكية مقدسة .

---

[1] Op cit p 54

[2] In , Otmani settar op cit p 55 par guenfissi hayet

[3] Op cit p 55

[4] melica ounoughi : Algeriens et maghribins en nouvelle –caledonie.de 1864 a' nous jour.ed .casbah.Alger 2008p55

إن هذه الاستقرارات أدت إلى كافة المقاومات بصفة عامة حيث لا يمكن للمواطن الجزائري السماح في مصدر عيشه لذلك كانت كافة المراسيم المماثلة والضاغطة على الحريات أو الالزامية لبعض الوضعيات قد مهدت إلى مقاومات ثورية قوية وعنيفة مثل انتفاضة المقراني وغيرها عبر مناطق الجنوب الوهراني وحيث قد شهددت تطورا عبر الزمن وخاصة 1864، 1864، و 1872 و 1873 ولكن في ظل مجاعة و بطش و حصار استعماري ‘بعدما تأكد الاستعمار أن قوته قد تمددت وتأكد من ضعف الشعب الجزائري أمام التكنولوجيا الحديثة . لقد كانت مقاومة أولاد سيد الشيخ مظهر لذلك مما جعل المحتل يقوم بنفي زعيمها الاول سي محمد ولد حمزة الذي نفي إلى كاليدونيا الجديدة بحيث سمحت له زعامته الصوفية لم جمع القبائل المحلية وجوارها ثم سي عبد العزيز وسي لزرق في الثورة الاولى .

الفصل الثاني أنتروبولوجية المقاومة المعنوية والفعلية

تمهيد

ساهم التاريخ المحلي في تثبيت القوى الشعبية و المتشبعة بال روح الوطنية ،حيث تواصلت أشكال التضامن الشعبي و القبلي في كل علاقاته .لكن المناورة الإستعمارية كانت قوية أكثر وطرقها التهديمية و التفكيكية كانت أشد فاعلية و اثرا على الوضع الإجتماعي و الإقتصادي و الثقافي الذي ترسخ عبر مراحل الزمن المتواصل . وكان التوصل الثوري و العمل المتناسق هو صفة كل المقامات الثورية في الجزائر من الأيام الاولى ضد الإستعمار الهمجي .فالفاعلية المضادة للقيم الوافدة من وراء البحر و رفض التجسد في الأخر صفة وراثية من تراكم الطبائع افنسانية للجزائري .و رغم ظروف البؤس و حملات المواجهة فقد كان متجلدا بفضل شعوره بالقوى و الأرفعية الأخلاقية وحتى المادية لأن كان يعرف حاجة فرنسا لقمح الجزائر و مناجمها من الذهب و الفضة و الحديد و غيرها.

المبحث الأول مجتمع المقاومة في المواجهة المعنوية

المطلب الأول ظروف النظام الكولونيالي

بدأ تطبيق النظام الجديد الكولونياليفي فترة هدوء و إستئناس للوضع ، وكان قد ظهر بعد تمكن الاستعمار من احكا م قبضته على السكان في الشمال وقضائه على ثورة الأميروتثبيت الادارة الكولونيالية ‘و هوالقائم على تفكيك القبائل و العشائر، و منح الإمتيازات و نزعها .ومنه يمكن القول أن مرحلة الخمسينات من القرن19م هي مرحلة تثبيت الدولة الاستعمارية في الجزائر.

- التوسع على حساب الأقاليم المدنية.
- توسيع الإستعمارالإستيطاني الحامل لسكان أوروبيين.

لقد كانت ممارسة اجتماعية من كافة الوقائع التاريخية وكانت تشير إلى صمت مؤقت للثورات . لذا كانت محاولة كريميو القدوم باليهود الأوروبيين و إعطاءهم الجنسية الفرنسية، سيرا جديدا في قلق السكان الوطنيين منذ 4 سبتمبر 1870، مما عكس أهداف نابليون بإقامة مملكة عربية .بينما تجارب المسلمين الجزائريين مع اليهود كانت بعيدة الزمن منذ هروبهم في الأندلس بدخولهم الجزائرو المغرب العربي .

و بدأت إثرهذه الأوضاع الجديدة في الجزائر ،اندلعت حرب فرنسا مع بروسيا، ثم تكوين الصبائحية من نهاية 1870،الذين كانوا يرفضون أن ينزلواو يتنقلوا إلى فرنسا، و نهايتها بداية ثورة المقراني منذ 11 أفريل 1871، ثم استسلام الثوار وهجرة السكان ومصادرة الأملاك ([1].) فكان ظهور قوانين جديدة و مصير الثوار، التهجير إلى فرنسا و جزرها المستعمرة، كاليدونيا، كورسيكا، مرغريت، كما تم إعدام بعضهم و فرض الأشغال الشاقة على الآخرين، و قد وضع لنا **R.PERENNES**، مصدرا موثقا ([2]) حول بعض الأسماء للمهجرين من الجزائر أثناء المرحلة الذين كانوا في **Les communards** و بعدها كونوا جماعات سكانية في الهجرة.

حيث تم إفشال قوتهم منذ سياسة تفكيك المجتمع و العشائر، و خلق الملكيات الفردية الخاصة عكس الملكيات العروشية الجامعة لكافة أفراد العشيرة كما تمت سحب التنظيم العريق للعشائر ([3])، مما سهل للاستعمار توسعه، من خلال الانضمام **agrégation** الاجتماعي للعشائر .فالملكية كانت في العهد العثماني عرشية (أو السابقة) و تضم كافة الاعضاء أو فرقة من العشيرة لخدمتها و استغلالها.

أما الممارسة الإقتصادية فكان الملك عبارة عن ملكيات خاصة أو مجموعات متفرقة ([4]) وما كانت سوى أملاك الحبوس التابعة للأوقاف أو الهيئات الدينية والمجتمع عموما و الاهال ي وهو ماهدد أمن فرنسا فحددت مساره وطرق تسييره وخاصة في وهران و العاصمة و قسنطينة . و هذا ما ظهر جليا في مناطق ورقلة، بسكرة، توقرت، حول حقول التمر، حيث كان العامل الفلاحي خماس غالبا عند أصحاب الملكية، مع ملاحظة أن الملكية الخاصة لم تكن واضحة جدا، حيث يعترف الاستعمار أنه كان أكثر من بائع واحد للقطعة الواحدة([5]).هكذا تم خلق قانون جديد، أخرجه الاستعمار سمي بقانون الملكية الاستعمارية سنة 1851ن لتغيير التقاليد الموجودة التي خلفتها المماليك البربرية منذ العهد **XII** حسب ما

---

[1]– Melica ounoughi : algériens et maghrébin en nouvelle caledonie.. Op.cit ,P 57

[2]– R.PERENNES…..Ibid, P 109

[3]– Melica‘ ounoughi ,Op.cit, P 58

[4]– Op.cit ; P 58

[5]– Op.cit, P 59

ترى الباحثة **M.ounoughi**)([1]) حيث وجدت اعتراضات كبيرة و إشكالات خطيرة أمام الاستعمار لتحويل الملكيات لإستغلالها([2]).

لذاك كان الهدف هو تحويل كل فعل إلى سلطة الإستعمار، في التسيير و التوزيع و التنظيم، و تقليص سلطة الشيوخ من كبار العشائر و ضمها إلى مجلس محلي متعدد المواقف و الاستشارات، ليحكم في الضرائب و ا لقضايا، و الأملاك و الأشغال بين الأطراف، و قد كان الهدف الأساسي هو القضاء على السلط الملكية الوراثية للشيوخ، فكان إدراج الطالب و القاضي و الشيخ و الأعيان في مجلس مشترك للتسيير ([3]). و بها يتم تحويل الملكيات العربية إلى ملكيات مفككة منقلة إلى الكل .لذا كانت أح د أشكال التفرقة الاستعمارية، هو منع عشيرة أل المقراني من عمل التويزة سنة 1863.لذلك كانت سياسة أصحاب سان سيمون، هي القضاء على الطابع الإقطاعي و الإسلامي للملكية و العمل القائم على الجماعية إلى شكل اشتراكي كما يوضح مايكل إميريت حيث كان الشيخ هو الذي يوزع المساحات حسب طاقة كل واحد على العمل و حسب عدد حيواناته (غنم، بقر)، فالأرض كانت شيئا مقدسا فكانت قبل 1871 ملكية إسلامية جماعية غالبا .

كان مشروع السان سيمونية في الجزائر، تكوين الحكومة المدنية في حين كانت المكاتب العربية مكاتب للجوسسة حسب السان سيمونية بدون هدف لها تحضيري و تنموي، لذا الهدف الرئيسي لهم هو التعليم و عدم الحرب([4]).لذا وقع الشعب الجزائري، ضحية هذه السياسة المضطربة بين الرأسمالية و الاشتراكية و الإقطاعية.فكانت الهدف السلمي هدفا لبعض الأطراف قائم على تقسيم مشترك للثروات و مسؤولية أكبر لدولة فرنسا و خاصة القرار الإداري و الأمني للأراضي الفلاحية، و التي كان نتيجتها تفكيك الأملاك العقارية بين العشائر و الأفراد و الكولون في جهة أخرى([5]).أما قانون 1854 فقد مهد لإسقاط فكرة السان سيمونية و خلق أزمة اجتماعية و ردود أخرى، فأصبح نظام الالتزام أو التنازل **Concession** طبق

---

[1]– M.ounoughi,Op.cit, P 60

[2]– Arch / hist de vincennes les proprietés chez arabes, Jerome David, imp, G,1962 opcit p161

[3]– M.Emerit, les saints simouniens en Algerie, ed,B.L, Paris,1941, P 120

[4]– ounoughi (M) : Op.cit, P 63

[5]– Ibid, Emirite (M) : Les saints simoniens

مفردات قانون الحق في الزراعة .كما جاء قانون 29 سبتمبر 1890 ليؤكد حق الإقطاعي المحرر من الكولون امتلاك الأرض بعد خدمتها و استغلالها ([1]) .

قامت فرنسا بتحدي شامل للشعب ومنها مصادرة الارض الفلاحية وامتلاك الارض والتوسع مباشرة اثر سقوط مملكة نا بليون الثالث التي كانت سبب في اظطراب خلق فوضى استعمارية . وفي 1871 أعطت فرنسا أحقية التجنيس لليهود الذين نزلوا الجزائر بصفتهم فرنسيين ،ولكنهم سيكونون أحسن وضعية من الجزائريين بين الاهالي في حين كانت الوضعية في حالة حرب بين بروسيا وفرنسا ،مما أدى إلى تجنيد بعض الجزائر يبين الزاما ،وبالتالي تم المساس بالتنظيم المحلي للاهالي ،والاجتماعي للعائلات في الجزائر.

لقد بلغ التذمر الشعبي ذروته ، من اساليب المصادرة وتمليك الارض للمحتل مظهرا خطيرا آخرا ،حيث كان شكل الملكية وراثية وعائلية وقبلية قبل الاستع مار فكان منها العرشي والملك والحبوس كما كانت بعض المساحات تابعة للباي ونجد منها عمال وخماسين بينما جاء الاستعمار بقوانين 1851 وفي حينها فالارض تباع للمحتل وتستغل جماعيا وراثيا([2]) حتى1871 حيث كون المقراني فرق المقاومة .ولعب التوسع الجغرافي للاستعمار دورا آخر في خلق جو آخر في حين كان يتعرض لأنواع الهجوم الفكري من طرف أصحاب الاتجاه الليبيرالي من مبدأ اتركه بعمل اتركه يمر .والذي يرمي ثقافة جديدة في الساحة , ولكنهم اصطدموا بتقاليد الملكية الجماعية والقبلية التي تضم أواصر العائلة الجزائرية لصعوبة العيش والعمل والتنقل وحماية النفس.

بذلك كانت فلسفة الاستعمار الفرنسية الاقتصادية قائمة على الاستئصال من جهة وتقريب المستثمر المحتل من ملكية الارضي بالطرق التعاقدية وتشاركية العمل من خلال بعض رجال المناطق في حين كان هدفا آخر غير موضحا وهو دفع الاهالي إلى الهجرة إلى كاليدونيا وامتلاك الارض هناك.([3]) وخلق تفرقة بين ابناء الامة الواحدة بشراء لبعض .ولهذا لا يمكن اغفال أنه من بعض زعماء المنطقة في القبائل وكان يسمى الاغا بوزيد بن ادريس بن سالم قد وقف حجرة عثرة امام الزحف الثوري للمقراني ،حيث كان الاغا بوزيد زعيما في البويرة .وهذا ما يذكره بعض المؤرخين .عن مجلة الثقافة

---

[1]– CF ; livret de libéré astreint à la residence

[2] ounoughi ,M opcit p 63

[3] Op cit p 67

83/سنة 1984.في نجد معلومات اخرى لدى جون بواسون في كتابه كتابات حول القضية الجزائرية وما يشير اليه المؤلف يحي بوعزيز([1]) .

المطلب الثاني مظاهر الفجوة السياسية

لقدواصل الإجتثاث الكولونيالي والاجرام الفرنسي و االتعليمات التي كان يتلقاها،هؤلاء المتواطئين كانت جد متجاوزة لحقوق الإنسان آنذاك، مما أدى بأغلبهم للثورة وتحريك الضمير الشعبي للمقاومة كما فعل سي سليمان بن حمزة في الجنوب الجزائري في ورقلة و البيض عام 1864،رغم استسلامه في . الايام الاو لى لضعف الحال .

لقد كان من رجال المخزن العثماني المتواطئين مع الاستعمار من يريد الإنتفاض ضد الاستعمار ورفض الظلم لأنهم ذاقوا مرارة الإجحاف و حتى م ع رأسمالهم الرمزي المتمثل في المراتب في المراتب العسكرية و السياسية و الإدارية و ملكياتهم العقارية، التي أصبحت مهددة بعد رفضهم للإحتلالي، رغم تقربهم لثورة الأمير في 1832 و 1833 إلا أنهم قد تنازلوا عن ذلك في 1834 بعد معاهدة دي مشال،.ومما أثر في الاستراتيجيةللامير .مما خلق استجابة مختلفة منهجيا لدى المقراني.

لقد خلق الاستعمار تراكيب اثنية قضائية تعمل مع المعمرين من كل أروبا ، هكذا أصبح نظام الأهالي –**Indeginat** – و هو سيد الموقف، منذ 1870 و بعدها ، مع تشتت المسؤوليات الاستعمارية وصعوبة التسيير مما خلق الفصل الخارق بين حقوق المواطنة الفعلية وهمجية المتدخل القوى . بذلك قام بفرض قوانينه ، المانعة للحركة والتنقل و الهجرة ومصادرة أملاك المواطنين ، و تفليص حريته والفعس في قيمه , وفرض ضرائب بطريقة – يد حنينة – لان القائمين بها هم جزائريون مما جعلهم يدعونها ضرائب عربية .

إن مطلب المملكة العربية للتهدئة و احتواء الأهالي ،كانت مشروعا من البداية ثم أصبح واقعا للأمر في حكم نابليون ،و كان شعار المملكة العربية كلاما فارغا حجة للفكر الليبيرالي لتلطيف الاجواء الاستعمارية وتقريب الاهالي من فلسفة الاستعمار وسياسة نابليون الثالث . لذلك حاول الفكر السياسي الرأسمال المحدث تطبيق الحرية والتعاون والمشاركة في الاعمال بصفة انسانية كما تراها في حين كانت

---

[1])- يحي بوعزيز في مجلة الثقافة عدد83/1984 ص227/224.

ملكية المحتل غير مباشرة بينما الوطني من الاهالي مالك مباشر بالوراثة والعمل ([1]) مما جعل منطقة القبائل تتزع إلى اتجاه مبدأ روماني في الملكية.لقد كان الاتجاه السان سيموني في الاقتصاد الفلاحي في الجزائر المحتلة نوعا متعدد المظاهر ' فقد كان في منطقة القبائل نوع من الشركات التي يقودها زعماء القبائل ويعمل فيها الجزائري والمحتل بطريقة تعاونية أوطريقة عامل محلي مستغل و مالك أجنب ي مع ضمانات قانونية يحددها قانون 1854 30 ماي([2])

لقد ساهم الإحتلال في شكل آخر على إندماج الروح الدينية للجزائريين وتقربهم من بعضهم أكثر لردع الخارج، ولم يكن من شكل الإرتباط بالتجمعات الطرقية التي تتلاحق مع بعضها في حلقات متتابعة تارخيا وتنظم نفسها في تنظيمات إجتماعية متماسكة تساعد على التناصر والتعاون والتكافل أكثر من التدين الفردي أو العادي الذي لا يجمع المسلمين إلا في صلاة الجمعة أو الأعياد، فقد كانت الزاوية بشكلها العمراني والطريقة بصورتها السلوكية والشعائرية، تنظيما بكل معانيه المؤسساتية التي تهيئ وتسير مجتمع متكامل بكل أعضائه ضمن مبادئ الواجب والحق والمصلحة الجماعية .فكانت مؤسسة شاملة الاعمال .

لقد علمنا التاريخ في منطقة القبائل أن التوسع للطريقة الرحمانية قد احتوى جميع علماء المنطقة، وهذا ما يؤكد ماسكيراى ([3]) الذي إستفاد من دراسات **louis rinn**، حول الموضوع رغم أن الإحتلال حدد أشكال التدين وشروطه في هذه المنطقة، منذ ثورة 1871 بقيادة المقراني، حيث كانت المنطقة هذه ضحية منظمات تنصيرية 'بينما قامت الرحمانية بدعم المقراني و ثورته امدتهم بالسلاح والوسائل وهربتهم للصحراء .

وامير قانون الإستعمار لهذاوفي ظل قانون الأهالي ، كانت الثورة ضد الاوضاع المجحفة بقيام أولاد سيد الشيخ عام 1864 ولحقتها ثورة 1871 بزعامة المقراني و أخوه بومزراق بدعوة الشيخ عزيز إبن الحداد رغم أن بعض رجال الثوريين كانوا متقبلين لإدارة الاستعمار و لكنها مجرد مرحلة مؤقتة أولى

---

[1] Ouennoughi M :Op cit p 64

[2] Op cit p 66[2] Ibid

1Emile Masqureray, formation des cites chez les sedentaires de L'algerie Paris Einest ,Lerroux 1886 IN Bala sadek cite in OTMANI SETTAR P 87 --

ظهرت جرائم الاستعمار الوحشية، وحصار الشعب ووضع المجاعة عام 1868، جعل الزعماء يثورون بكل ثورة، و بكافة العقائد الاستعمارية.ورغم التصادم بين الاخوة احيانا .

فقد وجد الفلاح أرضه مصادرة و عائلته في جوع كامل ، و المتعلم وجد الضيق و القيد على عقله لأن الدين أو الزاوية كانت تشكل خطرا على الاستعمار، لذا اكتشف أبناء الأهالي في كل المناطق أن البعض من محند بن علي الشريف أمزيان، محمد بن قانة، و ميهوب بن شنوف، وبن هنى بوضياف لا يقنعون الجزائري ولا يحررونه، بل مجرد أعوان للتعطيل و التنكر للهوية وكانت لهم حكمة في ذلك رغم مسالمتهم وتصالحهم احيانا مما يعني رسوخ الوطنية قليلا ([1]). كما صرح أحدهم و هو بن قانة، حين ثورة المقراني أن القياد و امثالهم: سنظل خاضعين لها خضوعا تاما، .....المقراني قد تمرد سنحارب كما لو كنا فرنسيين...."([2])، أي ضد المقاومة المسلحة التي أعلنها المقراني بعد انفصاله.

و الأدهى من ذلك أن هؤلاء الأعراب من الإقطاعية و بورجوازية من المدن، دعت إلى البطش و ضد كل من يحارب فرنسا..."([3])، لأنهم رجال مدن و تجارة وصناعة وفلاحة و ثقافة حضرية يرفضون كل فوضى ....وربما في ذلك حكمة وفرصة النيل المادي من فرنسا و انتظار ا للحظة المناسبة . فالإقطاعية المتمثلة في بن قانة، والباشاغات الحضرية التي وقعت عريضة تنديد بالثورة و مساندة فرنسا عام 1871 –21 أفريل في قسنطينة([4])، حيث نجد حتى قدماء الأعيان قبل بن ساسي علاوة وحمودة بن الشيخ و محمد بن عزوز و بن واذمل و الصغير بن كوجيك علي([5]).فضعف العدة هو المبرر لذلك .

وقد كان ذلك نابعا كله من تعصب محلي و فردانية في التفكير و الكسب المصلحي الاني و الإجتماعي الاناني و اللاقومي و لا يخدم سوى الذاتية الفردية.

المبحث الثاني مجريات الثورة

المطلب الأول ظروف الإنطلاق و تصادم الوعي

---

[1]– م. الأشرف ، م س، ص 62.

و[2]– م س، ص62.

[3]– م س، ص 63.

[4]– م س، ص 63/ par louis rinn .

[5]– الأشرف، م س، 64 عن لويس. louis rinn

كانت مرحلة لها اسس من المقاومة الشعبية للشيخ محمد الامجد بن عبد الملك (بوبغلة) في سنة 1851في مناطق الصومام و البيبان و جرجرة بني مليكش و واد الساحل الغربي . وحيث كانت الزاوية الرحمانية في المقدمة في المنطقة فكان الحاج عمر شيخ ا لفرع المنطقة وهو لا يعبر سوى عن مطالب اهله وقومه بينما كان الاهالي ضد أغا سيباو اوقاسي سنة 1854فواجهت المقاومة العملاء ولكن تم القضاء على زعيم المقاومة هناك بوبغلة ومع ذلك استمرت الثورة حتى 1856بفضل الاخوة الرحمانية .و الحاج عمر ‘اما سنة 1857فقد تم القبض على الحاج ع مر ومنها نهاية ثورة لالانسومر .اما حركة الشيخ الصادق ‘بعد مشاركته في مع الزعاطشة فقد واصل ثورة سنة 1858في جهة سيدي منصور ولكن قبض عليه سنة 1859جانفي .

كما تميزت المرحلة بخركات متعددة مثل محمد بوخنتاش الذي جمع سيدي رحاب البراكتة و الحضنة و اولاد سحنون والاد منصور و بريكة بين سطيف و المسيلة في ثورة ‘مع سي العربي سنة 1860لم تنته حتى 1868.وبجواره كانت حركة هيجان ثوري رغم الخضوع شكلا في اولاد عاشور و فرجيوة و اولاد عز الدين و زواغة مع الحمانية والهابور حتى 1864 .كما تركت حركة ابن خدومة بوبكر بن قدور بن خدومة قرب زمورة في غليزان تمرد محلي حول المدية مع المسمى صاحب الساعة سنة 1859حيث وجد صاحب الساعة بايم أخر في ذراع الميزان باسم محمد بن عبد السلام وحيث استضافه احمد بن اويحي الشاذلي في تازروت وفي بجاية اسس هناك زاوية – أيت عوانة فطردته فرنسا وظل متخفيا حتى قبض عليه من طرف اولاد عبيد و الحاج الجيلالي سنة 1871فبراير .ومنها نفي الى سان مارغريت . وفي هذه الظروف 1870كانت جرجرة والبيبان والاوراس في مجاعة مما جعل التلاميذ يضربون عن الدراسة رغم منحتهمالمدرسية وفي المنطقة تجارة البارود قادما من تونس و مالطا .

لقد زاد من تفاقم الوضع اضافة الى ما سبق قرارات كريميو، التي جعلت السكان ينتفضون و خاصة في القبائل حيث أ الأراضي الفلاحية و الأشجار المثمرة، فكان الشيخ المقراني و الشيخ حداد بالمرصاد، حيث اعتقدت فرنسا أنه مجرد أن ابن الأمير عبد القادر، قد دخل عبر تون س و يريد إثارة الانتفاضة مرة أخرى ([1])، في حين كان أغلب ضباط المكاتب العربية الفرنسيين قد غادروا الجزائر، كما أثر في الوضع رفض الصبائحية الخروج عن الجزائر في مهمات فرنسية .هكذا ألف اليهود جماعات

[1]– Gaid M, Mokrani, ed, andalouses, Alger 1993

مسلحة محمية من طرف قانون كريميو ([1]).في مراسلة1871**1**([2]):تؤرخ من 1 جانفي إلى 31 أوت.ويرى الكاتب : أن خطورة الثورة في منطقة مقاطعة قسنطينة ظهرت خطيرة، بحيث تضم عدة مجاهدين و زمالات، فهاجمت سوق أهراس يوم 26 جانفي 1871، بينما كانت البرواقية مجرد صبائحية في قلق يمكن إعادة إرجاعهم إلى الطريق.

كان المقراني باشاغا عند فرنسا لبفهم الوضع و المسار فقط و خضوعا تاما ،و لكنه بعدما عرف الهمجية الاستعمارية وكان حضر حفل الاستقبال الذي اقامه الامبراطرور الفرنسي في كوميبان عام 1861 كما حضره زعماء عشائروشيوخ اخرين لمناقشة مشروع المملكة العربية (2)الثقافة 1984/83. في ظل الظروف الاجتماعية و السياسية وهمجية التوغل الكولونيالي .حيث سادت الفوضى الشعبية والتذمر من الاستيطان و تحويل الاراضي الفلاحية و ظهور امراض وبائية و المجاعة حتى اظطر المقراني لفتح مخازنه للشعب وابناء منطقته .حيث تم اعطاء 200هكتارالف من الاراضي للاجانب من الملط و الطليان و الاسبان كم يعترف بذلك مالئماهون .

وقد ادى الى استقالة المقراني من منصب باشاغا للوالي العام ولم يوافق عليه الوالي حتى 27فبراير 1871 ليحقق المقراني حريته و استقلاله حيث سادت الغطرسة الكولونية و تجميع الاهالي في معسكرات ,. كما تم الاعلان عن الجمهورية الثالثة في سبتمبر 1870وعلى اثره قام المقراني بالصلح مع اولاد عبد السلام وهم جيرانه .كما كانت له اتصالات مع اولاد سيد الشيخ الذين قاموا بثورة 1864 ‘من خلال قراءة الصحف له من طرف ابناءه وبعدها اتصل بشيخ الزاوية الرحمانية الشيخ الحداد و قبول ابناءه بالثورة ‘العزيز ومحمد وبدات حركة دعاية و اسعة ظهرت للعيان في 8افريل 1871على اعلان اخ المقراني وهو الشيخ بومزراق فكان ان انضمت اليهم جميع العروش و القبائل المجاورة من سوق اهراس الى باتنة الى بجاية و بني عبايس في جرجرة ولكنه لم تدخل العاصمة لتجمع القوات الفرنسية هناك و من نفس السنة في5ماي وقد توفي مقراني و تم القبض على اخيه في السنة الاحقة بو مزراق قرب ورقلة .ثم تم سجنه ثم نفيه الى كاليدونيا الجديدة بعد حكم الاعدام عليه في قسنطينة وهناك عاش رفقة لويس ميشال .فقد وصل نوميا سنة 1877من السجن وعاد الجزائر سنة 1904 ومات 1905.

---

[1]– ounoughi, P 67

[2]– archvies historique de vincennes dos, d’Oran, 1871

لقد ابرز النظام الثوري للمقراني شدة الرفض الشعبي للاحتلال كما توضحه سرعة الثورة و قوة الاندفاع الثوري للقيادات المتراسة للتواصل و تحريك المسار الثووري وغم دخول العاصمة المحمية من كل جانب وربما ترجع الى قوة الاندماج الكولونيالي مع الاهالي و تعدد البنية الديموغ رافية للعاصمة .حيث نجد انة كان تتكون من الاسرى و الاجانب و العبيد و الاتراك و الكولوغلية مع مجموعات من القباءئل و الجيجلية و و البساكرة و الاغواطية و قليل من من مزيتة وبني عباس([1]) و الذين كان يعتبرهم الحضريين انهم من الدخلاء على المدينة العاصمة لايالة الجزائر العثمانية .

لقد كانت الثورة في القبائل ،نتيجة واضحة للمجاعة التي اكتسحت اليدان بين الاهالي ،فكان الحرمان و الجوع سائدا وهي بدورها نتيجة سياسة الأرض المحروقة .ومنها تخريب القرى و حرق المحاصيل الفلاحية و قطع الاشجار و متع التنقا و مراقبة القوافل و مصادر ة الأراضي .فكانت ثورة 1871ردا على الأوضاع المزرية في منطقة صعبة جغرافيا وتسود فيها الطريق الرحمانية ،السائدة في مساحة عريضة شمال وجنوب القبائل .لذا كون المقراني جماعات من – الشرطية –لحراسة المنطقة لحماية الاهالي ([2]) .وكانت هذه الجماعات من ممثلي الاهالي من 10الى 12 فرد تحوم حول الدواوير .و تراقب القياد و الجباة و الاسلحة و القضاء .وذلك في علم الاستعمار الذي تخوف منها كثيرا . فكانت منظمة لتحديث المجتمع و وتنظيمه و الاستعداد للثورة و بناء الدولة .

ونجدالدوق اورليان معبرا عن الوضعية العامة للشعب الجزائري اضافة الى مشاكل اسبانيا قي الاطراف في المغرب وقال ,""لقد لحقت من الاضرار اكثر مما الحقته جيوش العدو الاخرى بأكملها .....وحرمت جيشنا من النوم ...."."كما كان توماس دو كوينسي مؤلفا و منظرا للحرب و هي من لا تعدو من الفنون الجميلة و هي حرب من اجل الحرب فقط.لذا ظهر كثير من الكتاب و المؤلفين في تلك المجازر ونجد منهم فوري ([3]) ،ويستي ،بوتايو ،دي كاستيلان ،في جريدة الحملات الافريقية وبعدهم ظهر ،ليو ،ديسر و كلار .وقد كانت امتدادا لقوى الثورة ضد الكولونيالية وخاصة بعد انتشار المجاعة على المواطنين

---

[1] عائشة غطاس ،من اجل اعادة النظ في البنية الديموغرافية لمدينة الجزائر – مجلة انسانيات – كراسك –وهران –عدد 20/19 جانفي /جوان 2003–ص37

[2] louis d'orleans ,l'insurrection de1871

([3])–Duc d'orleans ,compagnes de l'armee d'afrique in Ashraf ,M, p 106 et p 130 , en arabe , ENAL–alger 1983

وموت اغلبهم ، حيث راح ضحية ذلك 500 ألف من الأهالي([1]) وذلك ما ظهر منذ 1868 حيث خيمت المجاعة و الفقر و المرض على الشعب الجزائري عامة ، وتم موت الأشجار التي كانت قوى الغذاء والآتية من الفلاحة ومن نبات الأرض والأشجار تم مصادرتها أيضا ، وتم حرق بعضها و المحاصيل فكان الرد تكون جماعات من المسلحين سميت –الشرطية– كونها المقراني وأهل الدواوير و الجماعات في الأوساط الريفية وكانت بعدد من 12/10 عضو شبه مجالس محلية .لقد كانت تقوم بمهام.

– مراقبة تصرفات القياد

رعاية المزروعات و حراستها

– فرض الغرامات

– مصادرة أملاك العصاة المنشقين في الجماعة

– شراء الجنود والسلاح

– إعادة النظر في أحكام القاضي

لذا كان هذا قلب التنظيم ا العصري الثوري للمقراني،و الذي كان تحضيرا للثورة ، والذي هيأ لمقاومة قوية ولكنها لم تتم لقوة الاستعمار وحصاره في منطقة جبلية صعبة استطاع التحكم فيها وقد كان كون عملاء له في المنطقة بكل ذكاء. لقد كان لهذه الجماعات ، مدونة عقائدية تكلم عنها الاستعمار ، تعتبر عقيدة الفلاح و الكادح المظلوم ليحضر نفسه ويكون موقف محلي ناطق بالجزائر وقيم المجتمع المحلي ضد الأجانب ، فتكونت لديهم عناصر التكافل الموحد الجغرافي أو السياسي وال ديني للوطن القومي الذي بنا التاريخ العفوي للمنطقة وجوارها و الذي عبرعنه حمدان خوجة قبيل ذلك رغم أرستقراطية هذا و كدحية وفقر الفلاح و المناضل من الأهالي.

في هذه الظروف رفض الصبايحية الذهاب إلى فرنسا للحرب وبعدها بقليل 14 شهر قام الباشاغا المقرانيي بثورته على النظام حيث لقى هجوما قويا من طرف الجنرال لاكروا في 11 نوفمبر 1871 ومنها تم القبض على الكثير من الثوار الذين تم حبسهم في الجزائر وفرنسا ثم تم ابعادهم إلى

---

[1]) – مصطفى الاشرف –نفس المرجع ،ص129.

كاليدونيا ([1]). بينما تم معاقبة البعض بالأعمال الشاقة في تولون ولكن البحث الذي قام به بيري ني **perennes** لم يقدم أي اسم شخص ثائر مسلح من منطقة القبائل ([2]) هل يمكن ذلك ..انها محاولة تفريق و تدجين معاكس للثورة من بيريني.

المطلب الثاني الأحداث وردود الفعل النهائية

كانت المرحلة جد قلقة و تعيش اظطرابا ملحا في ظل همجية استعمارية ،رعدم توافق متلائم للرأي الثوري . ضد فرنسا . ومنها كانت فرنسا في مأزق خارجي و داخلي ومن الازمة في الشام حيث تورطت في احداثه ،والصراع بين الملكية و الجمهورية في باريس وتوتر سياستها في الجزائر و تكوين منظمات مسلحة مثل الصبايحية و الزواف .أما الصبايحية فكانو قوات من المتطوعين من الاهالي وظهروا من عهد نابليون او ماكان يسمى الحركة او الاورطة كلفوا بالحراسة و المراقبة ،وكانت مراكزهم زمالات بحكم فرنسا ،اما سنة 1871في بدايته فقد امرت فرنسا بضمهم لجيشها وتهجيرهم الى فرنسا لكنهم رفضوا ذلك . لأنها كانت متخوفة منهم ومن نشاطهم.

و حدثت ثورة ضدها من طرف الصبايحية .في الطارف و مجبر و بومجار و عين قطار شرق البلاد ونجد بعضهم هرب الى مستغانم سنة 12//1870من زمالاتهم .اما الزواف فقد هرب منهم من بوغار الى المدية وقصر البخاري و لكن قبض عليهم و سجنوا لدى سلطة الاستعمار([3]).

كما نجد حركة اولاد خليفة في تبسة ، اولاد عبيد ،العلاونة ،الوشايش ،البرارشة ،و قاموا بحرق مزارع العدو و المخازن و هجوم ،بعد اعتقال مواطنين .للاشتباه بهم .ومن هذه السوابق التي لا تتم ال عن موقف موحد ثوري جزائري متعاقب ومتسلسل قد مهدت كلها لثورة المقراني 1871بعد استقالته من الباشوية للملك نابوليون .فكانت منطقة الصوما م و جبال البابور و ونوغة و مجانة و هضاب قسنطينة مع الرحمانية كطريقة روحية دينية .لقد قال لحد الضباط الفرنسيين دي ماس ""ضع جسم مسلم و اخر مسيحي في قدر واحد ،واتركهم في الغليان على النار ،.....ستجد في النهاية انهم لن يختلطا

---

[1] Ouennoughi.m.op cit p57

[2] Ibid.p57.

[3])- بسام العسلي المقراني سل الشعب الجزائر ،م س ص111

–اوالاد عبدون ' وقد انضم اليهم المخازنية و الصبايحية و ود الميلية حرق هجوم و حرق مزارع 'في بني تليلان 'قطع الهاتف 'فكان حصار فرنسي للمنطقة و توقيف البعض و حجز 900بندقية و سجن 400رهينة ' وقد دفع ضباط فرنسيين حتما للاعتصام معهم .

–حركة عين قطار ظهر غضب العائلات ضد تهجير الصبايحية الى فرنسا وقد وجدوا مساعد شعبية ومن اهل الحناشي و صالح و فضيل بن رزقي و بن الكبلوتي الحناشي فقاموا بحرق و فتل الفرنسيين في ديسمبر 1871في القالة و سوقهراس .اما بعد دخولهم تونس فقد استقبلهم الشيخ اليزوني و في الكاف التونسية .و الاخرين تعرضوا الى العقوبات و السجن و الاقامة الجبرية و الر هائن مما خلق نتائج اخرى وهي احداث اولاد عبدون و المقراني ([1]).

–حركة الصبايحية من الطارف 12//1871الذين دعتهم فرنسا للهجرة نح فرنسا كما امر امثالهم في بوغار بذلك . وكانت النتيجة ثوران في سوقهراس و عين قطار و الطارف مما جعل فرن سا تتراجع في الامر وتقرر ان الهجر اختيارية و ليس جبرا .

بعدما استفاد من كل الحركات السابقة العشوائية و الانفعالية الظرفية ،استنفر جماعة الرد الفعلي و السياسي المنظم ضد الوحش الإحتلالي . لقد مثل الحاج محمد المقراني وبو مزراق زعماء المقاومة رغم انهما كان من ممثلي الاستعمار في المنطقة قبل ذلك ، ولم تدم مدة تعاونهم مع الاستعمار سوى 10 سنوات لان النظرة التعاونية بين الطرفين أفشلتها المداهمات و المصادرات الاقتصادية ضد مواطني المنطقة ، أدت إلى فك عقد الربط بين الطرفين ([2]) فكانت الثورة منذ 1871 ولكنها فشلت بقوة السلاح وعدد الكولون وصعوبة المنطقة وتمكن الاستعمار معرفة أغوارها منذ دخوله الأول ، فلجا الكثير إلى أوروبا وخاصة إلى كاليدودنيا وسان مارغريت .

لقد سقط المقراني برصاص الاستعمار رغم انه كان باشا سابقا ، وكان ممثلا لمجتمعه المدني لمنطقة القبائل ، ولكنه سقط بعيدا عن تجمعه الثوري فكان ذلك في برج بوعريريج بعيدا عن بلدته ، وذلك لم يثن الشعب عن الثورة بل واصلها أخوه بومزراق قائد ونوغة ، بين الحضنة و القبائل ، ولكنه لجأ إلى بسكرة اثر حصار الاستعمار له ، ولجأ معه 100 فرد من الثوار المسلحين . بسبب الهجوم الاستعماري

([1])– بسام العسلي محمد المقراني –ثورة 1871–سل. شعب الجزائر' دار النفائس –ط2 بيوقت 1983ص /113/115109/105

([2]) – M. ounnoughi. opcit . p 84

حاول المقراني التوغل نحو الجنوب لجمع قواته وكسب قوات مساعدة و أخذ استراحة محددة ، ومنها التحق بزاوية الهامل في بوسعادة ثم واصل المسير إلى أبواب الزيبان حيث له صلات عائلية مع الشيخ بلقاسم شيخ الزاوية ، حيث أنجبت إحدى بنات المقراني – الشيخ المصطفى ([1]). ولكن اتباع المقاومة ([2]) الذين بقو في مناطق القبائل مثل هجرس تلقو تعسفا وقهرا استعماريا اثر وقوفها مع الثوار ونهايتها لاقوا مصير التهجير و الطرد نحو الخارج ومناطق محلية أخرى .

ولكن المقراني ، الذي تمكن من الاستراحة من الثورة وجد قبائل –سيدي بوزيد في حالة ثورة ضد الاستعمار ، من جنوب الجلفة و الاغواط حتى بسكرة . لذا وجدنا مقاومة سي الناصر بن شهرة ، شهدت توسعا في الجنوب حيث لاقت قبائل السالمية ([3]) وأولاد دحمان ، البوازيد ، وأولاد مولات ، زعيم الاغواط بكل دعم ، مساندة ودفع للثورة .وقد كانت هذه القبائل مسيطرة على أراضي النخيل في المنطقة حيث كان اغلبهم عرب ورحل ، على مسافة مساحة عريضة في تلك المنطقة من بسكرة ([4]) و الزيبان ومع ذلك كانوا خاضعين **infeodes** إلى بن غانة ، وقاموا بثورة ([5])على سلطة علي باي بزعامة الشيخ بن نزلة وبو شمل بن محمد قوبي ، أخوه قوبي بن قوبي .

كما كان منظما إليهم رجال زاوية مجراية ، الحاج بن علي الطرابلسي ، والحاج إبراهيم بن عمور **obedience** ملخقة ورجال الطريقة الرحمانية في نفطة بتونس كما زادهم دعما الرجال المنشقين لزاوية بن عبيد ' لهذا أظهر هذا التحالف الديني و السياسي و القبلي للقوة الى الثورة ، حتى اضطرب المكتب الاستعماري العربي في التحكم في الوضع حيث أصبح التقارب العائلي و السكن المستقر المتقارب و التبادل التاريخي تجاريا وعلميا ، رأسمالا ثقافيا وسياسيا قويا مكن قوى مساندة للثورة ودعم الثوار من النجاح .لقد أدت ثورة 1871 إلى هجرة العديد من الجزائريين إلى الخارج و الى الجنوب الجزائري و الجنوب التونسي في منطقة (الجريد خاصة).

---

[1] Melica ouennoughi. P85

[2] Un.nacib y .cultures oasiennes.boussad, enal .pub.1986.p 240

[3] Ounnoughi ,m , opcit .p 86

[4] Ounnoughi, (m),opcit p 87

[5] Op. cit. p 87

إن المقاومة لم تنجح ليس لضعف السلاح و قلته، ولكن خاصة لضعف التنسيق و الوحدة بين مختلف الجماعات القبلية، إضافة إلى تقليد أعداد زعماء الزوايا مثل القادرية التي خرج منها محي الدين و الأمير بعدما طلب منه قيادة الثورة من طرق قبائل الغرب و هو صغير بعمر 24 سنة ..." ([1]).كما وجدنا المقراني مريدا لدى الرحمانية في مشيخة الشيخ الحداد . لذلك وجدنا دونوفو يقول: "يبدو أن ... إذا كانت مختلف زعماء التمردات، لا يملكون علاقات مع المجتمعات الدينية، المعنية تحت إسم "إخوان "..."([2])، لذلك مارس جنرالات الحرب الإستعمارية دراسة علاقة الثورات بالطرق الصوفية و الجماعات الملتزمة في كل حرب و مواجهة .لذا إرتبطت المقاومة بالطرقية و الفلاح و البدوي أكثر من غيرها([3])، أما الجنرال بوسكي يقول: "إن الجزائريين ... كانوا أقوى قناصين في حرب كريميا بين فرنسا و الروس .." حيث كانت مكاتب التجنيد عمومية و شعبية "تجوب السوق و القرية لتسجيل و توظيف المجندين الجدد من خيرة الشباب، فكان منهم من يهفوا إلى تحسين وضعه من الكادحين الآخرين يتعاقد رسميا ليحصل على قائد و باشا و غيرها".و منها تلهفت التبشيريات إلى جلب الكثير إلى المسيحية و تم إلتحاق لافيجري بالجملة و قال يجب **crever** هذا الشعب .و منها كانت سياسته في التعليم و الدعم الإجتماعي للفقراء و اليتامى في العاصمة و الشلف 1867/68، كما دعم نظرية المملكة العربية...

و لكن المقراني كان من أعداء هذه الحركة، حتى فقد 75**%** من جيشه و قواته و أملاكه و قد مثل لافيجري **bicéphalisme** أما فارني **Warnier** فكان ممثل الإجتثاث الطبيعي على الأرض ومخروجاتها.."([4]).إن الإستغلال الإقتصادي الكثيف و الوحشي الذي يؤدي إلى تشيء**réification** للمرتغل و **déculturation** مسح ثقافي للمستغل المستقل..." "من ذلك نجد أن المسلوب الأرض و الأملاك من الأهالي صنف من فئة صعاليك أو قاطع الطرق، **déculturés** .."([5]).مما جعل سلوكات المقاومة هي فعل ضد الوصف و التصنيف الذي يخالف الهوية و الوجود و التلازم بينهما.

---

[1]MAGHREBI, op.cit. p107.

[2]Op.cit. Op.cit. 108, in de neveu, capitaine, les Khouans, ordre religieux chez les musulmans d'Algérie, Payot, parais 1746.

[3]CF. P.J André contribution à l'étude des confréries religieuse musulmanes, M. de livres, Algérie 1956 OPCIT.P114

[4]MEGHARBI. A, op.cit. p116.

[5]Op.cit. p109.

لقد كان الإستعمار يبحث عن طبقة إقطاعية تسهل له الدخول العميق إلى المجتمع، و تكون مستقلة و متعلمة للفرنسية و إدماجها بثقافته و لكن ليس ..."([1]).لذا تمت عملية الزرع الثقافي و الإحتلال نشر الفرنسية لخلق طبيعة و مجتمع مخالف، توضح العلاقة باللإستعمار و المستعمر، كما تراهم الفرنسية في خلق التفرقة بين المندمج و الأهالي.."([2]).يرى شارل أندري جوليان أنه يتم تجنيس فرني سوى 2500 في حتى 1865 ما يقابل 36 فرد في العام.

كانت صعوبة اللجوء إلى المقاومة اختيار صعبا أمام زعيم ثورة 1871 لقد كان ينتمي إلى طبقة نبلاء في منطقة القبائل وكان متخوفا من رفض هذه الطبقة من الوضوح إلى مطلبه والشيء الذي أصبح حقيقة بعد القضاء على المقاومة هذه في مدة عام ، لكنه وجد اختيار الطبقات الشعبية ورجال الثورة ' حلا مناسبا وأكثر فعالية رغم طلب زعماء الاقطاعية في المنطقة عدم توسيع الثورة افقيا وجغرافيا لأنه في معناهم السقوط بالطبقات القيادية من الباشوات والممثلين والكتاب إلى المستوى العام مما جعلهم ينفرون منه (3) بعد فشل الثورة. ولكن كل ذلك كان مساومة لاغير وقد كان له المثل الاعلى في ذلك ثورة الامير التي استطاعت أن تكون دولة في فترة م ا بلتفاوض والثورة .ولكن همجية الاستعمار و صعوبة المنطقة جغرافيا عجلت بوفاته .

لقد كان التنظيم الاجتماعي السائد الذي تكون بفضل زعما ء القبائل هو منظمة الشرطية أو الحراس التي كانت حافظة و حامية للنظام الشعبي والاقطاعي في المنطقة وخاصة أن المنطقة فلاحية وجبلية. ولكن القانون الاستعماري الذي وضع سنة 1863 هدم بنيات المجتمع وفكك الملكيات الفلاحية إلى قطع يملكها المعمرون وأخرى بعض الأهالي المحليين كما يرى * وتبعا لتلك المعطيات استطاعت فرنسا بالقضاء على تلك المقاومة بعد وفاة الشيخ المقراني 'وأصدرت قانون 1872 ومنها مصادرة أراضي الفلاحين واصبح المعمر المسيطر الأول على الارض والجبل **2640000**هـ.وصدر بعده قانون 1873 لتكميل قانون 1863 واثرها حدثت جرائم التجويع في الأرياف والقمع في الحضر وأصبح الفرنسي مالكا مع ملاك أجانب من ايطاليا واسبانيا ومالطا وغيرهم /.في حين كان الشعب يرزخ تحت التجهيل والتضليل و العنف ولم يكن هناك فرصة التعلم الا البعض من المدارس المخصصة للأعيان

---

[1]Robert Ageron, le .... Kabyle et politique berbère.

[2]Robert A. le musulmans Algériens et la France.

([3])- مصطفى الاشرق الجزائر الامة والمجتمع enh ط1 ** من عيسى 1983

والنبلاء وهي طبقة قليلة العدد كان بعضها متحالفا ويمثل هيئة ربط الحكم وبعضها محايدا منهم من كان بائسا وأغا وقائد ا ومنهم النائب ومندوب المجلس الولائي (1).حيث كانت الوضعية يقودها نايجلين nelegean في مكتب الولاية العامة. بينما بعدما نقل نايجلين أصبح البعض من أبناء المنطقة من النبلاء المتحكم الاول في الوضع وكان هؤلاء اداة ربط إداري وسياسي بالإدارة الاستعمارية وهذا مرتبط بهدف استعماري مقصود من خلال أبداء نوع من المرونة مع المنطقة وضم استدراجي و في حركية شعبية داخلية ضمن الاستعمار .

(1)- مصطفى اشرف، مرجع سابق، ص 74

الفصل الثالث أنتروبولوجية الهنية الإجتماعية و التفاعل الناتج

المبحث الأول التجمع السكاني و الموقف الثقافي

المطلب الاول التجمع الريفي في المجتمع القبائلي :

بما أن المناطق الداخلية و الصحراوية كانت تعيش على الرعي والترحال لكسب العيش لو كانت تعيش مجتمعات قبلية، فإنها كانت تحت إدارة عسكرية قوية، حيث كانت هناك مقاطعات فلاحية غير واسعة وأراضي رعوية معروفة بنباتها السنوية مثل النباتات الاستبسية والشجيرات المقاومة للحرارة والرياح.

وبما أن المجتمع و المناطق الداخلية كان منظما حسب الترتبات الوراثية بقول **.fermontA**(1) بينما كان الدوار يقسم إلى شيخات في مناطق باريكا وباتنة..... الملاحظة حسب ذلك التحقيق أن الدوار ليس مكان جغرافي تلتقي فيه بعض العائلات عن أصول ومصا لح متعارضة، تتعكس هذه التقسيمات بشكل جلي في توزيع أشكال السكن، يقابل العائلة – المشتى– الذي يضم عددا متغيرا من المساكن ، تكون الدوار من ضم هذه المشاتي وفق نظام سقيم" (2)

لقد كانت سياسة الاستعمار واضحة المعالم بهدف السيطرة والذل إتجاه الجماعات المحلية الأصلية، وذلك من خلال تقسيم القبائل بطريقة نزع الأراضي منها، إما بتحويلها إلى ملاك أوروبيين أو بعض الباشوات والقياد المتخاذلين معه .هكذا تم تحويل أسلوب الحياة وإنماط السلوك إتجاه القبائل فيما بينها وما بين الاستعمار والأهالي، وبذلك تم تفكيك بنية المجتمع الجزائ ري إلى عدة قبائل وعروش ودواوير وعائلات . فحسب مثال فرمان، إن المجتمع الشاوي تم تقسيمه من خلال تطبيق قوانين إدارية، جعلت عين مليلة (3) مجموعة إدارية منظمة مهيكلة مع ملاحظة عدم تجناتها حسب فارمون .

حيث أن البدو كانوا قبائل مترحلة بين الشمال والجنوب وهم من قبا ئل متعددة لا يجمعهم في الشمال سوى الربيع بنباته أوالصيف المعتدل وبقايا العشب اليابس.

---

[1]) – في عدى لهواري ' الاستعمار الفرنسي في الجزائر . م .س عن فرمون.

[2])عدى لهواري : الاستعمار الفرنسي في الجزائر– سياسة التفكيك... ،د م ج/د،الحداثة،الجزائر/بيروت1983 ص89.

([3]) A.Fermont : la region de Ain Mléla dans les hauts plateaux constantinois, in mediterranee 1962 N°02 Aix en province paris P89

لقد أكد علماء الاجتماع الإنتربولوجيا عناصر الوحدة القبلية التي جماعات إجتماعية متجانسة ، كما أكد ذلك الواقع التاريخي وحتى حسب الفكر الاستعماري المركزي البراجماتي :" القبيلة هي إطار إجتماعي وسياسي يعترف أعضائها ببعضهم البعض ومن خلال الانتماء إلى مبدأ طلق إسمه على القبيلة "وهو شخصية تاريخية تزدهر حول السير المعظمة، ومنه تبدأ شجرة النسب المهيوية التي ترضى ظلالها على كل الذرية (1"). ولكن العلاقات متعددة الاتجاهات حيث لا يكون الد م والتوارث البيولوجي هو العامل الوحيد للترابط القبلي، بل هناك عوائل وقبائل صغيرة وأفراد إنضموا إلى القبائل الكبرى وشكلوا وحدة قبلية واحدة في وضع موحد وهو وحد ومصير واحد وتحت سلطة قرار واحد.

لذلك يعتبر بعض مفكري الاستعمار وعلماء الإجتماع أن تلك الروابط ربم ا تكون وهمية وغير دموية سلالية ، حيث الأصل والعرق ليس من أصل واحد، حيث تربطهم علاقات مصالح ومصاهرة وأملاك والدفاع بالإنضمام والولاء والبيعة والإندماج الاجتماعي المتواصل في كافة أنواع الحياة اليومية المتواصلة، يقول بيرك :" حل مكان العالم الأسيوي الواسع المجا لات عالم الاندماج والمنافسة واللعبة النقدية، أو إنه بالأحرى لم يحل مكانه: إنه يطرده بدفعات كاملة في المظاهرة والتقاليد معا"(2)

لذلك القبيلة كانت مفهوم غير واضح، ولا يتأكد من خلاله سوى فسيفساء أخلاقية– حيث تتشكل مجمل العلاقات وتتعقد كلما توغلنا في أعماق حقائق القبيلة وتراكيبها وطقوسها المادية والمعنوية ، لذلك القرابة شكلت وجهها اجتماعيا واضحا، بينما غابت الصفات السلالية والدموية، قبل الاستعمار في الجزائر وقد سماها البعض، الجب– جمع أجباب– الذي هو فرع عضوي من القبيلة ولكن الجب ما جد واحد ولكن رغم ذلك يمكن أن نجد اندماج عددا من العائلات الأخرى بقدر كامل أو ناقص ، في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية كالملكية والتنقل والرعي والزواج والزراعة " لأنه توجد هناك أراضي مشتركة عامة وأراضي ملكية عروشية القرابة التي تكون في الحقيقة إلزامات حقوقية وأخلاقية يفرضها المجتمع على بعض الأفراد(3).

'([1]).Descloitre d, système de parenté et structures familiales en Algérie in annuaire de l'a 1963. afrique du nord

[2] Berque : Sociologie maghrébine in annal ESC 1965 P316.

[3] E. Durkleim : année sociologique 1896 P97.

لقد فهمنا مع عدى الهواري أن الاستعمار قام بتمويل القبيلة إلى فرق وأجزاء السيطرة، حيث كانت القبيلة ذات مضمون سياسي واضح يعكس تجمع سلطوى هو واحد مرحي الشكل في تراتبية للقرار التنظيم، يقول عدى: "عمل الاستعمار على تفتيت القبيلة لأنه أدرك بسرعة مدلولها السياسي ثم توزع – الأجباب– بعد إنتزاع الملكيات وتقسيم الأراضي الجماعية في الدوارات (1)" حيث كانت روابط الدم ثم الملكية الجماعية عامل قوة وقرار محلي، بينما قام الاستعمار بالتفكيك لتدشين شكل جديد من العلاقات الاجتماعية ثم الاقتصادية لبسط سياسته.

فالعلاقات الجديدة، قائمة على الاختلاف والتنافر، والبعد في الدوار لا على الوحدة والتقارب سابقا في القبيلة ، حيث أن " الإضرابات التي أدى إليها الاستعمار ظهرت في التغيرات العميقة لإنتساق الزراعة إثر إعادة تنظيم الملكية العقارية "(2).لأن النظام الزراعي كان أس‌اس ولازال محور العيش وتوارث الحياة من جيل إلى آخر طبقا للحاجات البيولوجية، وبذلك تتشكل نمط التوحيد، التجمع لكل وحدة بشرية.

المطلب الثاني المدينة و المقاومة

لقد خاض النضال الثوري ، في هذه المرحلة ، الطبقات الفقيرة ، لأنه لا يمكن القول أن ها طبقات فلاحية ولا تجارية ولا صناعية ، وذلك حسب الوضع الذي ترك عليه البايلك العثماني ، أرض الجزائر وأبناءها، حيث كانوا يعيشوا حالة مجتمع راكد، لا يعمل الفرد إلا حسب ما يعيش به ويضمن له حياة موسم أو عام، وهذا ما كانت تقوم به العائلات الجزائرية قبل الاحتلال وبعده.

فلم تكن فلاحة جزائرية في الأرياف و البادية ولم تكن حرف وصناعات في المدن بالمعنى الصحيح، فكل ما ظهر وتأكد زراعة معاشية تكفي حياة الفرد وتمكن أن يتبادل بها إذا كان الموسم ممطرا ، سلعا أخرى مثل التمر ، الملابس ، الأدوات ، التوابل ، الشاي ، غير ذل ك ولكن حسب المطلوب المعاشي فقط وليس تجارة وتعتبر هذه الفئة من "" العمال الزراعيين و الخماسين و المزارعين وصغار الفلاحين ، والملاكين المتوسطين الذين يشتغلون في أرضهم ، أو يستخدمون عمالا بأجر..."" ([3]) ولقد كانت هذه الفئة ، أهم فئة تكون ضحية الحرب الاستعمارية ، والتي مسها مصادرة الأرض وقطع الأشجار وتخريب المحاصيل والبيوت ، مما جعلها تتصدر الثورة التي قام بها المقراني والحداد عام 1871 حيث

---

[1]) – عدى الهواري– نص المرجع السابق ص119.

[2]) – نص المرجع السابق:ص119.

[3]) – جغلول ‘تاريخ الجزائر الحديث،دراسة سوسيولوجية ‘دار الحداثة‘تر. ف. عباس ‘ط3– opu –/1983 ص127

ساهم الاستعمار تعسفه بتخلف الفوضى وتفكيك المجتمع ، مما أردى الأهالي عليه، كما كانت الفئة جماعات قبلية متوحدة تدافع ضد تقدم وتوسع الاستعمار على الملكية العرشية وخطوط العائلات .

ولكن الاستعمار الذي نجح على المقاومة ، ضد المقراني وضد الأمير ، حول المجتمع القبلي الموحد ، إلى ارستقراطيات عقارية ، وإقطاعيات محلية وكولونالية مجحفة ضد الأهالي و العزل لأنه نزع الأرض عن أصحابها . لقد كانت ثورة المقراني تتميز بالانقطاع الذي حصل بين ارستقراطية الأرض وشعب الأرياف فقد نظمت هاتان المجموعتان الانتفاضية كل واحدة على حدة ' فمن جهة جمع المقراني الارستقراطية العقارية التي تريد الإبقاء على امتيازاتها المكتسبة على حساب الفلاحين في اغلب الاحيان ، و من جهة أخرى تريد الطبقة الفلاحية طرد المحتل واستعادة ملكية أرضها....} ([1])

والتعبير واضح من خلال جغلول لان تنظيم الشرطية أو الجماعات الدفاعية المسلحة ،وهي التي ربطت بين الريف و المدينة ،و كان له معنى وهدف – مراقبة القادة من قبل الحكم الاستعماري وجمع الأموال والسلاح. كما أن الطبقة الفلاحية فوضت الشيخ الحداد كمرجعية دينية ثقافية وطنية ، لرئاسة الثورة وتوجيه الجهاد كما يرى جغلول ([2]) والواضح أن الارستقراطية المدنية الفلاحية كانت تتعاون مع فرنسا وتفضل بقاء مصالحها حسب جغلول رغم أن المقراني خرج عن ذلك رغم انه كان منها واهل رأيها ' واتجاهها وقاد المقاومة حتى ديسمبر 1873 وفي ثلاثة أشهر بعد مقتل المقراني بقيت المقاومة بدون قائد ، حتى جاء الحداد الذي مثل الطريقة الرحمانية الصوفية في الجهاد.

ورغم أن الأسطورة الاستعمارية السوسيولوجية جعلت من الثورة الفلاحية قد ا نتهت ، إلا أن ذلك خطأ جسيما حيث تواصلت الثورات المدافعة عن الفلاح و الموال والمتاجر الذي قطعوا عليه الطريق غير أن الثورات تلاحقه ، كما أن الثورة التي كان يقودها زعماء الصوفية وإتباعها فقد مثلت مرحلة للنضال القومي الجزائري، لان المجتمع الثوري ، كان عبارة ع ن طبقات فلاحية وزراعية متشتتة رغم تقاربها وتعيش مجتمع قبلي يقوم على القرابة البيولوجية التي تتعامل بحذر من كل أجنبي حتى ولو كان جزائري من قبيلة أخرى ، ولكن الجرم الاستعماري جعل الوحدة والتآلف مبتغى القوة والحرية والفوز فالواضح أن الطبقة التي ستقود الثورة و النضال بعد هذه المراحل من المقاومة حتى 1916 سوف تكون الطبقات

---

[1]) – جغلول عبد القادر ن ،م س –ص128.

[2]) – نفس المرجع، ص 128/.

البورجوازية الحضرية في الجزائر وقسنطينة ووهران وعنابة وتلمسان ، وهي خريجة المدارس الفرنسية العربية ومزدوجة الثقافة ، ويظهر منها الأمير خالد ، ومحمد بن رحال وبلعربي وغيرهم .الا ان الثابت ان الزاوية و الفلاح هم عمالقة الثورات الاولى .

فالإدارة الاستعمارية وجهت ضربتها الأولى ، إلى القطاع العقاري الفلاحي لأنه أساس حياة الإنسان وضمان راحته واستمرارية نشاطه الحيوي والبيولوجي مع العلم أن هناك الفلاحة على جانب المدن وهي لا توجبا إلا المشي أوالتنقل على د ابة وهناك الفلاحة في القرى البعيدة وهذه بلزم صاحبها الاقانةو البقاء الدائم قرب فلاحته . لذا أطرت قانون الأهالي **Indigenat** لبطش الفلاحين. مما جعل البعض منهم يقاوم بالسلمية ، وهي عدم دفع الضرائب والغرامات ، رفض الطلب والتمدرس الفرنسي ، لكن بقاءها في مقاوم ة تقليدية– ([1]) كان مرسوما بخطى استعمارية الذي استحوذ على كافة السهول الخصبة ،لكن الاستعمار و المقاومة بقيت مستمرة على الأرض حتى 1914 في قسنطينة ([2]).

لقد كانت الطبقة الفلاحية هي المنتجة لعقول الجزائر وابناءه الاستقلاليين ، وهي التي جعلت من البعض مزدوجا في الثقافة وبعضهم تعلم في فرنسا نفسا ، وأخيرا ولدت لنا الحركة الوطنية الحضرية و المدنية والمثقفة التي مثلها حزب نجم شمال إفريقيا في باريس نفسها بقيادة الحاج مصالي ، وأبناء لبعض من الأحرار العمال والمندمجين ثقافة في النظام الرأسمالي الأحادي الذي يعيش على اس تغلال على عرق الفلاح والعامل الجزائري الذي سوف يقود النضال العصري ضد الاستعمار وضد الظلم وما مثلته كافة أشكال الفعس على عقائد الحق الإنساني و صوره في الحياة و ما يمكن تحقيق و اثبات المعاني الوجودية للفرد و الجماعة وحسب منطقها التاريخي المتراكم وتكامل وع يها المتكامل للمنظور و المعاش جمعيا ' ، فكان عليه أن قام بالمظاهرات والجمعيات والإضرابات ، وشارك في الانتخابات رغم التعسف و الإجحاف ضد الوطني 'فردا ا و حزبا أو جمعية.

---

[1]) – جغلول ، نفس المرجع ،ص129.

[2]) – نفس المرجع السلبق ص 130

المبحث الثاني تفاعل الموقف الثقافي و الديني

المطلب الأول الموقف الثقافي و الحداثة

إن التاريخ الفقهي الديني كان يعتبر كل كافر هو دخيل على أرض الإسلام، وما دام هو كذلك، فالأمر يستدعي حسابه على قائمة أهل الذمة مثل المسيحيين واليهود وما هذا ثمن لحمايتهم، فقط مع المحافظة أن النخبة الحضرية طبيعي بالتقدم والعلمانية بينما بقي ا لإسلام الطرقي غالبا في الريف كما يرى رضا بوكراع([1]) . لكن الأمر الحديث والذي جعل قوة الإستعمار قوة في قلب البلاد وأعماقها أحدث فلسفة جديدة وثورات حديثة معاصرة للحدث الاستعماري الاستيطاني .....، والذي لم يشبه المحاولة الإسبانية التي إحتلت فقط المناطق الساحلية، ولا لأتراك الذين طلب منهم المساندة والحماية ضد الإسبان من أهل البلاد وزعماءها، فكان الدين مشتركا، إلا أن القضية التي وضعت في البساط الفكري والفقهي والفلسفي، هي الحادثة العصرية الخطيرة بكل القوى التقنية العجيبة التي مكنت الإستعمار من بسط قوته على كل أرجاء البلاد الإسلامية بالإضافة إلى إفريقيا آسيا و أستراليا.

لقد رأى البعض من العلماء أن الإستعمار مكتوب وقدرة من الله، وليس هناك فعل إنساني في الحدث وما على المسلمين سوى الأمر و الطاعة لهذا الحادث القدرى الذي هو إمتحان الله لعباده، ولكن كان هناك كان من يرى العكس، وأن الإستعمار هو حركة صليبية جديدة وتحويل إقتصادي ضد المسلمين والعرب. لذلك اصطدم البعض بحقائق نصية مدونة فرضها القرآن، وأخرى أخرجها الحديث الشريف ولكن البعض أخذت به معارج الاجتهاد والإجماع و البحث الحديث عن فائدة المجتمع وجلب المصالح ودرء المفاسد فقط طبق قواعد الفقه الإسلامي .

فكان المواطن المسلم في البلاد المغرب، في وضعية مغلقة أمام ثلاثية القانون الشرع والعرف فالقانون وضع إنساني حديث تنظمه الدولة والهيئات الرسمية ملكية أو جمهورية أو سلطانية، أما الشرع فهو نص ديني تم إخراجه بشكل قانوني فقهي من طرف العلماء في الإسلام طبق نصوص دينية من القرآن والسنة، لكن الفرق فهو نص شفهي غالبا أو متعارف عليه وربما مكتوب أيضا في الحوادث السابقة لدى زعماء القبيلة أو إمام المسجد أو الشيخ الزاوية، وهو يحكم في قضايا تقع بين الدين والقانون، وربما في أحداث لم يحكم فيها قطعيا لا الدين ولا الدولة.

---

[1]–‘ ر ضا بوكراع ‘في ع ‘جغلول، مرجع سابق ص 184.

لقد كان العلماء الفئة الاستشارية الأقرب إلى الخلفاء والسلاطين في مراكز القرار الإسلامي، لذا سيطر المركز على نصوص العرف لاحتواء الهوامش أو الأطراف التي هي الطبقات الشعبية و أرض السبا التي تختلف عن أرض المخزن القريبة والخاضعة م باشرة للسلطان الإسلامي، فكان المركز ضد السبا وضد الزاوية وضد العرف ولكن لا يمكنه الاستمرار إلا ضمن هذه الهوامش . " ([1]).

ولكن بما أن السلطة منحت أمام تدخل الاستعمار فإن المقاومة بعضها أخذ بموقف الحاج باي في قسنطينة، فالتقى القائد بالعرف بالشرع وتوحدوا ض من فعالية واحدة "فالنزعة القومية حملتها نخبة مغربة مرتبطة بالنظام الاستعماري الدنيوي، فهي لم تخنق الإلهام الإسلامي وبالتالي الديناميكية الثقافية الاسلامية في الجزائر قبل الاستقلال وبعده ‘لذلك يمكن انه رغم تدمير النخبة ا و التقليدية و انغراس الدولة الاستعمارية ونظام اعادة الانتاج الثقافي الناجم عنه الذي يستند اليه ‘لا نعثر بالنسبة للجزائر على الاشكال ذاتها التي اتخذتها سيرورة اضفاء الطابع الدنيوي في تونس . حسبما يرى رضا بوكراع م س ص 184‘ لقد حاولت القوى الاستعمارية، من خلال العلم، الفكر، الدين أن تخلف ثقا فات أخرى موازية ولكنها لا تمس إلا الوعي اليومي الحياتي للمواطن، ولكنها لم تمس بالوعي الباطني للشخصية الهوية، فكانت محاولة براغماتية لخلق المواطن الحديث الحضاري، من خلال إدخال المنتوجات الصناعية الحديثة إلى الجزائر، وخلق فلسفة إدماج وتقميص عصري للمواطن المح لي بفصل خطاب أدبي إيجابي بالإنسانية و التكامل العالمي، لكن لاصطدام بالدين واللغة رغم أنها وجدت اختلافات بين المناطق.

يكشف آلان ماهي **Alain Mahé** أن الأسطورة في منطقة القبائل كانت تمثيل وتصوير استعماري منمط للمجتمع القبائلي ([2]) وذلك ضمن إطار السياسة البربر ية التي خلقتها المنهجية الكولونيالية، حيث كانت ترى أن هناك جماعات قابلة للإندماج والتوحد مع فرنسا في فلسفة ودين وسياسة واحدة، والقصد منها كان منطقة القبائل، عكس العرب الذين رؤوا فيهم أعرابا جلافا لا يفقهون شيئا لكم إصطدموا بالواقع الرافض من كل الطرفين.

---

[1]– رحمة بورقيق ‘في عبد القادر جغلول، الانتلجانسيا في المغرب العربي، مرجع سابق، ص133.

[2]–Alain mahe ?histoire la grande kabylie anthropologie du lien social dans les communautes villageoisesed–bouhene paris 2006

فقد حاولت بنار م لتهبة – الطيب الوحش– لإنجاز منظومة إدماجية حضارية للأهالي، فالأسطورة التي خلقت هذه الأيام كانت ذات صبغة إديولوجية ([1])، وكانت المدرسة هي أول العمليات للإستلاب، ولكنها لم تكن معممة مما جعلها تفقد مصداقيتها مما يثبتها حتى المؤرخين الفرنسيين مثل **ajeron.ch** الذي فضح الإستعمار في أساليبه بلغة علمية وحيادية بعيدة عن التزمت الكولونيالي الهادف ذلك في كتابه([2].) لقد حاول الإستعمار بمصطلح "خرافة القبائل" أن يخلق صراع محليا و إنقساميا وجعل من ذلك المفهوم عبارة لخلق وعي آخر وتصور تاريخي آخر، فكانت جملة للتأسيس لفكرة أخرى وخلق شرعية أخرى، حيث يقول أحدهم:

Comme tout mythe de fondation. Le mythe kabyle assure une fonction de légitimation de fonde une nouvelle société sure une terre nouvelle. Et ainsi que celle de consolidation par l'appropriation d'un légitimité déjà existante pour se construire une assise sur laquelle batir cette nouvelle societé qui produira a son tour une nouvelle identité) [3](

هذا في حين كنا نلاحظ أن بعض الباحثين من المؤسسة الكولونيالية، جعل البربر من المجتمعات البدائية، كما ير ى لورسان و أي باتريسيا في كتابهم، قبائل عرب فرنسيون ((الهوية الإستعمارية)، وجعلت منه الوحش الطيب، القابل للتعايش والتكيف مع فلسفة الغرب ([4].).

فالمهمة عرفت تجنيد قوى عالمة ومتخصصة من كل الوظائف ومن كل التيارات الأدبية، واقعية رومانسية ودينية لإثبات عقيد ة اديولوجية استعمارية استلابية ضد الهوية وخلق القضاء الجديد لصنع لمناخ البراغماتي لإستعمال القوى المادية والبشرية المعدمة المحلية لصالح لغرب و أوروبا . و كان الباحث الفرنسي متأكدا من تعددية الثقافة الجزائرية المحلية، كما فهم إختلاف طرف الحياة من المناطق م ن الجبلية إلى الريفية إلى الحضرية إلى الصحراوية وغيرها.

وكانوا يروا في ذلك فائدة وسهولة للسيطرة على هذا المجتمع المتخلف، وقد وجدوا في المعايشة الفعلية و الواقعية في العمل وربطهم يهيأ كل إدارية للتعايش مع المدرسة الطب، الإدارة وغيرها بخلف التواصل الدائم وفهم الأعماق النفسية والسوسيولوجية . لأن المحتل فهم دور الثقافة العربية في بناء العقول وربط اللغة بالدين والمحافظة على الثقافة العائلية التقليدية التي أنجبت الاستمرار والمقاومة و

---

[1]–Alain mahe ?opcit p

[2]–Charles ageron ?histoire de l'algerie contemporaine puf t1–2/1871–1954 paris 1979

[3]Hamoud leila in ottmani settar opcit p106

[4]–opcit p 107

القوى ضد المحتل من الرومان حتى الإسبان والبرتغال، لذا نجد البعض مهم يتساءل ع ن فائدة المجتمع الذين رأو فيه الوسط و النموذج الغرائبي الذي هو أمامهم وفي خضوعهم تحت الإحتلال، واعترفوا أنه كانت له حضارة عبر المتوسط و إفريقيا([1]) .

و في البحث المتطور في هذه القضايا ([2])، نجد أصحاب النظريات الأنتريولوجية، يوسعون هذه الرؤية ويعمقون النظريات رغم أنها لا تطبق على الجزائري المثقف الكاتب البحر المتنقل عبر الزمان و المكان. " لقد ورثت الجزائر الدولة الكولونيالية المضفى عليها الطابع الدنيوي لكنها وجدت نفسها كمجتمع اكثر دينية أكثر من أي وقت مضى ....." حيث يرى ذلك واضحا وبرز في الاستقلال في جم ع الاشتراكية و الاسلام كمنهج للعمل و التسيير كما يرى رضا كوكراع م س– ص184. لقد اهتم الفرنسيون بمنطقة القبائل قبل الاحتلال منذ الحملات التجارية لبعض الفرنسيين وزيارات بعض رجال الدين المسيحي ولكن بعد الاحتلال توسعت حركة البحث والتعمق في فهم المنطقة ودراس ة السكان اجتماعيا وثقافيا وكون هذه النخب بعض من الجغرافيون الضباط المبشرون، إداريين...

لذا حاولوا دراسة المعنى و المشاعر و التاريخ والعادات التي تجعل من التصنيف صعب أمام الباحث، حيث يفرض التنظيم الاجتماعي و السياسي، يعكس نتائج متقررة لذا بحوث **daumas** كرائدة في المجال، مما جعل البعض من هؤلاء المكتشفين يدعون إلى ممارسة خاصة بالمنطقة وهذا ما رآه **dumas** و **fabar** بينما رأى فيها **EACarette** أن الفائدة العملية للاستعمار، ولكنهم خطأهم جعلهم يجزئون القبائل الكبرى عن الجزائر قاطبة، في حين أن الأمازيغ في الجزائر قبائل مختلفة ومتباعدة التجمعات من الحدود التونسية من الحدود المغربية وحتى داخل المغرب، فوقعوا ضحية تجزئ مهترئ لا يفضل عن تكامل جزائري مرسخ عبر التاريخ . لقد أهمل الباحث الفرنسي العقلية المتحررة الصامدة لمنطقة القبائل مما يصعب فهم الأعماق المحلية للعادات والتقاليد، حيث لعبت الصوفية دورا روحيا جامعا للمنطقة كما نجد بني جناد وسيدي بلوا ومولا الناصر وحيث شمل ذلك نقاط ذهول الاوربي رغم مطارحاتهم بان البربر من أصل أروبي روماني أو جرماني.

---

[1]–Jean claude vatin lucas philipe ,l'algerie des anthropologues ed–maspero paris 1979l

[2] –Voisin jeorge ,l'algerie pour les algerien paris 1861 par hammoud leila in ottmani settar opcit p108

إن التوغل العميق لفرنسا في المنطقة حدث في سنة 1857 رغم أنها جد قريبة إلى العاصمة التي دخلها الإحتلال منذ 5 جويلية 1830 والسيطرة عليها كاملا حتى 1832 ما يعني قوة المقاومة التي وجدها الإستعمار، لقد كانت مقاومة الشريف يوبغلة و لالافاطمة نسومر مقاومات أساسية قبل دخول الإستعمار فكانت مقاومة على أطراف المنطقة االقبائلية الكبرى، بينما حدثت ثورة المقراني و الحداد، يعد توغل فرنسا في المنطقة وتنظيم المجتمع وتعيين ممثلين لديه في طرف الأهالي و إدماجهم في مجالس شؤون الإهالي. لقد عبر بوضوح **Louis rinn**([1]) و **robin** في هذه الأحداث والظواهر المحايثة لذلك، والتي بينت قيم منفردة وزعامات داخلية تعكس ال روح والعادة المحلية التي ترفض الاستغلال والاستبداد مع ملاحظة أنه ليس كل من كتب عن المنطقة وسكانها وزعمائها وعاداتها، كان له حس علمي ومصداقية وكفاءة في التحليل، بل يفترق أغلبهم في ذلك .لأن الحداثة جاءت تحت غطاء الإستعمار وجنحة تسلل تسلطي على الإنسان و الارض و الوعي رغم شعاراتها البراقة .

المطلب الثاني المقدس الروحي تضامن جغرافي

تشكل الزاوية الترسيم الفعلي و العمراني للطريقة حيث هي مكان ممارسة الطريقة و مزاولة الشعائر الطرقية المميزة لها، ومن هذا فالزاوية لها تركيب منظم إجتماعي وقيادي ومالي يحدد الوظائف و المهام التي يتكلف بها كل شخص . لذا نجد الباحث الإحتلالي ديبون وكوبولاني ([2])في كتابهما – الطرق الدينية– يمكن قراءة هذا التنظيم كالتالي:

1 – رئيس الطريقة: قائد روحي للطريقة

2 – المقدم: ممثل الطريقة أو ممثل شيخ الطريقة في ملحقات الزاوية في الأماكن البعيدة .

وقد قدم الباحثان في تحليلهما الرحمانية الخلواتية والتيجانية كمثال لهذا التنظيم، فالأولى كان يقودها سيدي (بوقبرين) محمد بن عبد الرحمان، والثانية سيدي أحمد التيجياني. وقد وجد أن الرحمانية تنقسم إلى 25 فرع منها زوايا في بوسعادة، تولقة، ميلة، أقبو، قسنطينة، **jemmapes**، الناظور، **hanade**،

---

[1]/–Louis Rinn l’insurrection de 1871 et Boumama,les ecrits consacres a la kabylie au 19 siecle ,in ,settar ottmani , opcit

[2]– Dupont octve / xavier copolani les confreries religieuses. Musulmanes 1897 p 160–180.

عين توتة، وبذلك تكتشف توسع جغرافي لهذه الطريقة عبر بلاد المغرب العربي من تونس إلى الجزائر إلى المغرب إلى الصحراء، حيث تكون الأتباع وجاهدوا في تنظيم واحد وبزعامة واحدة.

وبما أن إنتساب الطريقة إلى طريقة أكبر وقيادية وه ي الخلواتية التي إنتشرت في العهد التركي مع الطريقة النقسبندية في الجزائر، فإن شيخها الأول بن عبد الرحمان القشتولي الأزهري، الذي تعلم عن الشيخ الحفناوي، فقد إكتسب كرامات إلهية جعلت له قبرين بعد دفنه حتى سمي بوقبرين . ومع تطور الزمن إكتسب الطريقة إستقلالية و خصوصية، ويعترف شيخها في العاصمة بتلمذته على يد الشيخ بن عيسى و سيد مصطفى باش تارزي في العاصمة، أما في القبائل فنجد أن السلسلة المشيخية إنتقلت من ابن عيسى، إلى بلقاسم الحفيد إلى الحاج البشير، ومحمد بن بلقاسم (أيت عنان)، إلى الحاج عمار، سي محمد الجعدي، إلى محمد أمزيان الحداد ([1])، ومن ذلك تكتشف علاقة المقراني بالشيخ الحداد كبيرة لأنه ابن لطريقة وتلميذ الحداد الروحي.

ونجد للشيخ الحداد أتباع و رؤساء زوايا كان يقودهم وبوجههم وهي الشيخ الحملاوي وبلقاسم، ومعطالله وبن سعيد وبن حميدة وبن البوزيدي، بن ونيس وولد لحبي ب.....([2]) وقد كانت تنتهي دراساتهم الدينية بإجازة ورتبة خاصة كل تلميذ (كالحملاوي وبلقاسم) في القبائل بصفة جدير بالاهلية وكفاءة و التقدير الأول لديه.و الملاحظ أن كل هذا النظام التعليمي كان سائدا في الزوايا ومراكز الطرقية في الجزائر . لقد تكونت الزوايا في المنطقة من طرف معلمي القرآن الذي كانوا يسمون المرابطين الذين منهم من هم من الشرفاء من نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، و الآخرين من المرابطين المتعلمين عن أشياخ متخصصين في القرآن و الحديث و الفقه من السابقين، فقد كان أغلبهم من العرب([3]).

لذا أصبح هؤلاء من مشيخة القرآن والدين رجال سلطة روحية ورمزية عالية، و أصبحت كرامتهم وسمعتهم محفوظة بكل قوة من القرية و الجماعات بالإضافة إلى العناية الإلهية التي يقولون بها، ولكن خطأهم الذي جعلهم أنهم جعلوا من الدين وسيلة كسب شخص وجعلوه مجموع من البدع بعيدة عن الفقه وقواعد المسالك المحمدية الأصلية مما جعل البعض من أهل الفكر العلماني ينتقدهم بأنهم جعلوا السكان

IN Settar Otmani OPCIT 88/89 [1]– Bala sadek Opit p 88. 89

[2]– Bala sadek IN settar ,o. opCit p 89.

[3]– Quenfissi hayette in ouatmani opcit p 54.

من الأنديجان، والفقراء عبيدا العلم([1])، مع العلم أن بعضهم كان لا يحسن سوى تلقين آيات القرآن للطلبة والمتعلمين بدون شرح، مما جعل البعض يرى فيهم مجرد مبشرون للإسلام مثل ما يفعل المسيحيون، كما أن دورهم كان إدماج صوفي غير مقنن وغير سني للسكان وسياسي لنشر الخلافة الدينية ([2]) ولعب دور الحكم السياسي والقضائي بين السكان .مما جعل الزاوية المؤسسة السياسية في المجتمع و هي منتعددة الاشغال ة الوظائف وخاصة مناطق السيبا والجنوب من الهضاب .. بينما كان البحث الكولونيالي يرى في الزاوية مجرد مدرسة من جهة أو مؤسسة سياسية لتنظيم المجتمع ([3]) ولكنه تخوف منهم كثيرا لأنهم رجال العلم والكتابة، كما لا يعلمون الخوف والعبادة إلا الله لا لبشر، مما جعل مهمة التحضير المدمجة بالتنصير تفشل([4]).

لقد لعب التصوف دورا كبيرافي التوازن الاجتماعي وحفظ التراث، بالإضافة إلى الدور السياسي الذي كان يظهر حينا ويختفي حينا آخر، لذا يمكن القول أن التصوف كشكل من العبادة الفردية، الملتزمة بالدين فإنها غالبا كانت انعزالا عن المجتمع، في القرى أو البادية والخلوات، من الكهو ف أو الجبال، ولكن هناك شكل من التصوف الحضري الذي تكون مع تأسيس المدارس القرآنية، ومجالس الذكر الديني وتجمعات حفظ القرآن وتلاوته و إنشاده . مع العلم أنه في نظرنا أن التصوف ظهر منذ بداية تيار الشيعة الذي أعطى صفة النبوة إلى علي رضي الله عنه، وجعل من أبناءه مقدسين مثله وجعل لهم مرقدا ومزارا مخصصا ومقدسا مما خرق التعليمات المحمدية ، كما هي اليوم في شكل قباب للصوفية السنية، ولكن لقي الفرق في الممارسة السياسية التي تحدث حسب الدرجات وحسب المواقع.

ورغم البحوث والتطورات التي شهدها العالم الإسلامي فإن البعد عن الفعل السياسي كان مرتبطا بظاهرتين، الأولى قبول ورضى سياسي وقضاء منافع الإشتغال بالزهد والدعوة مع ملاحظة أن الدعوة الصوفية، لم تكن جهازا و جماعيا، بل مجرد إشارات وتلميحات وتوصيات إلى الأفراد والزوار القلائل، الذين يتصلون بالشيخ المتعبد، سواء كان صوفي حضري أو بدوي، حسب الإقامة .
فالإسلام الصوفي ممارسة اجتماعية من جهة، ولكن هناك أيضا من كان معارضا للخلافة والسلطان فلجأ إلى الدين بعلمه ليتجنب الصراع المباشر.

---

[1]– Quenfissi opcit p 55.

[2]– Ibid . p55.

[3]– Ibid . p 56.

[4]– D.bonnafont,perigrination en algerie ,p 232. 236.

لقد حاول الغزالي في العهد (م1111) مقاربة تأليفية بين الفلسفة و الدين والتصوف الهندي والفارسي، مما جعل قراءته من طرف علماء الصوفية المرجع الحقيقي والسني الذي يمكن الإستناد إليه، لكن هذا لا يعني أنه بداية التصوف ولكن إعادة قراءة للمدونة الصوفية وإعادة إنتاج النماذج الصوفية القادمة، لتلقينها العقائد الأصولية والمحافظة على كيولوجيا التوحيد الإسلامي لكي لا تختلط بالأفكار الأخرى من مسيحية ويهودية وهندوسية في هذا المقام.

وقد طور الإستشراق ([1]) هذه المؤطرات التاريخية التي ألقت موسوعة التصوف ورتبت أفكاره وقواعده سلوكيا وعقائديا وجعلت منه منبر آخر تطل به على الإسلام . لقد رأى البعض منهم أن تطور الصوفية، أدى إلى تفاهم بين الإسلام السني و الإسلام الصوفي، من حيث أن الصوفية كانت فلسفة عالمية حتى في المسيحية والهندوسية، وكما أدت إلى ظهور الطرق التي تعني لأخذ بمرجع سلفي واحد كوالي صالح، يعبر عن مجموع ترتيبات، حتى لا نقول عقائد أو تشريعات، ترجع هي أيضا إلى عالم صوفي أسبق منه و أكثر منه علما، فالصوفية كانت تقربا إلى الله بالتقيد للوصول إلى مراتب الكشف والعرفان و الإيمان القوي بالممارسة المتراكمة و التمارين المتواصلة كما يرى الصوفية .

ولكن محاولة فهم دراسات بال **(BEL)**([2])، لا ترضى النظر العقلي والتاريخي من هذه الزاوية ، التي جعلت من خلال كرونولوجية التتابع الحدثي، أن التصوف بالمعنى الطرقي، وتكوين مواقع مثل الرباط القبة، الزاوية، لم يظهر حتى القرن **XV** الخامس عشر، لأن المؤشرات في الشرق الإسلامي، تكذب ذلك بينما في المغرب يمكن ذلك ويبقى مجال البحث .وذلك لاختلاف بنية المجتمع و ثقافته المتراكمة في الطرفين شرقاو غربا . في حين نجد أن جاك بيرك **J.BERQUE** يرى أن ظهور الحركة المرابطية تشكل للتصوف، بدأ مع حروب الإسيان ضد العرب المسلمين في الأندلس، فما كان عليهم سوى اللجوء إلى شكل سياسي ديني وحربي، يحمي الذات والهوية ويعكس منطق المقاومة ضد الخارجي، مايعني أن ذلك بدأ قبل 1492 سنوات مع بداية الحملات و التهديدات ضد المسلمين في الأندلس خاصة الحضارة الإسلامية، كما يرى ذلك عبد الله العروي المؤرخ المغربي الكبير الحديث. وتبقى هذه الأطروحة تحت التحقق، لأن دراسة تطور هذه الظاهرة يكشف علماءها، ويعلمنا بعهود سابقة لذلك كما تعلمنا أزمته

---

[1]–((Berque (j) et autres Rinn,Glner ;Popovic,Bell,Keddie, Dumezil, : ulemas fondateurs insurge de maghreb.

([2]–‘ Yazid ben hounet : Analyse anthropologique d’un saint maghrebin . sid ahmed majdub….in insanyat 21 jul .sept 2003. P 61 – 85.

حياة بعض علماء الصوفية لأولى مثل أبو القاسم الجنيد، و السكندري وغيرهم، هذا من جهة التصوف السني، أمامن التصوف الشيعي، فكان أول تصوف إسلامي ، أي منذ موت الحسن والحسين رضي الله عنه.

فالطرقية ارتبطت لإقامة الرباطات و الحصون و القلاع الجبلية، لتكون مراكز حرب دفاعية و استعلامية ضد الأعداء من جهة ولتكون حلقة وصل مع المجموعات السكانية الداخلية للاستنفار و التحضير و التموين المتعدد الجهات . وأظن أن في المغرب العربي كان واضحا في تكوين دولة المرابطين، كأقوى دليل على هدف الوح دة الإسلامية والجهاد الوطني و القومي، لتعويض الصراعات القبلية وتفكك الدويلات الجزئية التي حكمت بلاد المغرب . أما عندما جاء الأتراك، فإن تصدير بعض الطرق المشرقية كان دليلا آخر للتعبير عن زمنية سابقة للتصوف، حيث وجدنا دخول التقشيدية، والمولوية والخلوتية، كطرق جديدة على المنطقة، و أضاف إليها تشجيع وتقديس سلاطين الأتراك للصوفية و احترامهم و إكرامهم، وهناك دليل آخر وهو وصول الولي الصالح معمر بلعالية إلى الجزائر منذ 1370 هروبا من بطش والي تونس آنذاك الحفص،سي محرز، حيث كانت الدفعة ا للإسلام في الجنوب و شمال الصحراء وراء ذلك ،وخاصة مرحلة تفكك الدولة الزيانية، وظهور جناحين منها.

إذن فإن رجال الطرقية استطاعوا بفضل توسع علومهم الدينية و الفقهية، جعلهم رجالا محترمين سياسيا و اجتماعيا غالبا، كما ساعدتهم من منجزة "البركة" التي يتمتعون بها عن غيرهم، وهي دليل تفردهم عن الحالات العادية و "الكرامة" التي فضلوا بها وهي حجتهم. ورغم هذه الصورة الذاتية مجموعة الصف الطرقي أو السلسلة الصوفية المتتابعة أو جماعة المريدين والاخوان إلا أن الصورة الكاملة الحقيقة ليست دائما كذلك رغم الانتشار الواسع الحركي لهذه الطرق وعلماءها([1]).

هكذا وجد الإشكالية واقعة بين المثقف المركزي والمثقف الطرقي، والتي هي بالدرجة انقسم جغرافي و لكنه ينتج عنه أيضا عدم تدافع متساوي في درجات قبول التدين، مما يجعل المسألة منعكسة واقعا حسب الجنس، العائلة القبلية، العمر، اللغة، غير ذلك . وبذلك نجد ذلك يحتوي ع لى فعل ثقافي يرتبط بالوعي حيث تتطرح ضمن " لا وعي الثقافة الذي هو في طور التكوين بالمعنى الضيق الذي يقول

---

[1]) – فاني كولونا . مثقفون في الاطراف في ع جغلول انتيلجانسيا المغرب. م س ص/241 243/242 244245

به بورديو أن "لا وعي نظام علمي هو تاريخه "([1])، تكوينه الممحي إذا اخترنا كثيرا، (أ) يمكن الإنطلاق من إشكالية بتعابير ثقافة شعبية / ثقافة شرعية، حقل نظري قد ساء تنظيره واسع "ورخو"، يمكن الإنطلاق من الدين، ويصوره أكثر دقة من الإهتمام بما ثمة إتفاق على تسمية الإسلام في السياق المحلي (، على سبيل المثال أعمال علماء الإناسة حول العبادات المحلية.."))).

وهذا ما تفترض دراسته السوسيولوجيا التاريخية من جهة والسيكولو جيا الإجتماعية من جهة أخرى، لأن المثقف الصوفي في صراع أمام المثقف السلطاني، في ما قبل الإستعمار، وهي فترة طويلة عاش التصوف والسلطانية، في صراع غالبا تدافعيا منذ القرن العاشر ميلادي، وحتى قبل ذلك منذ الثورات العربية منذ الخلفاء و الولاة. وكل ذلك يرجع لنظريةِ الممارسة التي يقوم بها بيار يورديو ([2]) حول المثقف و محيطة ‘و أعماله ومفهومه، فالمثقف وضع تصنيفه بين المندمج الببغاء في السلطة و آخر إصلاحي، و آخر متصوف منعزل وجاء آخرون بعد الإصلاح . لقد مكن الحقل الثقافي جغرافيا و دلاليا وسلوكيا، ليحدد مستوى فعالية التصوف كظاهرة تأثيرية ديناميكية دخول العقول وبين الأميين أو أوصاف المتعلمين ‘ هذه العقول التي لم تكن تدرك أن التصوف علم بكل مراتبه ومعانيه، وليس فلسفة فقط، وهذا كذلك مؤشر فعل لاحق يمكن أن يكون سياسي إقتصادي، عقائديوبالتالي خلق فضاء انساني متجذر في التاريخية الهتراكمة .

فالتصوف تحول إلى مركز إقتصادي كذلك،و يسير كافة النشاط الفلاحي والتجاري والحرفي في المدن، وإهتم بزراعة النخيل وزرع البساتين وتنظيم القوافل التجارية بين الشمال والجنوب، كما نظم المجتمع في ترتيبات حسب تقسيم العمل الإجتماعي، فمنهم المربي، الخ ادم، والعامل، وشيوخ الطريقة أو المسؤولين سياسيا عن تنشيط الطريقة والزاوية. لذا أكدت الوثائق والسجلات أنه حدث في قسنطينة مثلا " يبدو أن مؤشرات مثل السعر المرتفع جدا للأرض، ندرة المبيعات، الشراء التدريجي من جانب جيلين للأراضي البيامون الشمالي و الجنوبي .... مؤشرات سوف أعود إليها بصدد صعود بعض الأنساب

---

[1])– فاني كولونا، مثقفون في الأطراف،... جغلول، أنتلحانسيا، المغرب العربي، م سابقة، ص 242، 243.

[2]–) – بياريورديو، سوسيولوجيا المثقفين، المؤلفات.عن فاني كولونا نفس الصفخات

الدينية، مضمونة .الى ملاحظة تنوع عظيم جدا في الإنتاج الزراعي، من الشمال إلى الجنوب، ممارسة مكثفة للتبادل....تعزز فكرة إقتصاد محلي موازن، بلا شك توسعي"([1])

فهو يتكلم مرة بصفة لسان جماعته، وأخرى بصفة عائلته و أخرى بصفة طريقته الصوفية، وأخرى بصفة عادية، لا تملكها ضوابط مهما كان نوعها، حيث أن الضغط الكولونيالي شكل فاعلا أساسيا في كل خطاب ثنائي أو أكثر كما جعل المرجع الديني واللغوي في مفترق الطرق، ولكنه لم يهمله تماما، "والقول أن النقاش اللاهوتي أخيراالذي يعيد تحريكه في الغالب حضور الأجنبي الكافر، وهو أحد موضوعات الحوار المألوفة أكثر دقة من غيرها في المساء، بعد العشاء، بين الرجال وحتى النساء، إذا جاء حدث ما فقدم مبرر لذلك"([2]). وهنا واضحا الكلام، يبدو واضحا حول موقع الدين، ومن جهة أخرى أهمية السكان في الجيل، الذين هـ م يعيدون عن اللغة و الصوفية والمعرفة، مع العلم أنه كان هناكمن لا يعرف العربية في مناطق الأوراس وجرجرة في جبال حسب كولونا.

هنا كانت الذاكرة التاريخية تلعب دورها في حياة الشقاء اليومي لتحصيل المعاش، وخاصة الماء وزراعة الأرض الصعبة في المناطق هذه، مما جعل الجغرافيا هي الحاكم الفعلي، كما يرى إبن خلدون و مونتسيكيو، أن نقل المعرفة لم يكن سهلا، إلا للرجال خاصة الذين يتحركون عبر المسافات البعيدة، بينما المرأة، فلاحة وصانعة وساقية وحتى محاربة ضد قطاع الطرق. لقد حاول البعض تفهم ذلك وقراءة الوضع من خلال تعمق في دراسة الطرقية و آثارها، فنجد من يقول : "إن وجود أقطاب ثقافة ونبؤة دينية ثابتة نسبيا، في زمان لمتعلمين وشبكات طريقية، يضع بالطبع على طريق مصادر عربية محلية مكتوبة، أو يطرح في كل حال السؤال بصددها، لا بد أن مراسلات وربما سجلات محاسبة و إجازات تعليم، قد وجدت أو ربما لا تزال موجودة"، كما وجدت في الزوايا المراكشية بعض الوثائق التي تدل على ذلك.

رغم أن الخطاب كان غالبا شفهيا، فإن ثقافة المكتوب التي تؤسس الحوادث و الظواهر و العهود و العقود على الترسيم الفعلي القانوني المشهود به، فالشفهية غيبت حقوق النص وحقوق ا لرد و الإجابة وحقوق الاستشهاد، كما يرى بيار بورديو أن "التاريخ الموضوعي **ojectivée** لا يتحول إلى عمل تاريخي، أي إلى تاريخ فاعل وفعال إذا اطلع به فاعلون يهيمنهم تاريخ للإضطلاع هذا، ويكونون ميالين

---

[1]– فاني كولونا: المرجع السابق، هامش 247.

[2]– فاني كولونا : مرجع سابق ص 252.

بفعل توظفاتهم السابقة للإهتمام سيره .." ([1]). إن التصوف بشكله العلمي الدقيق وغموضه الرمزي، لم يكن مثالا سهلا للبعض، مما جعل متعلمي الاطراف كما تسميهم فاني كولونا، يحتاطون من مداخلته، وتقمص أفكاره كما أنه عبارة عن فقدان الحياة الإجتماعية المعاشية أو الإنعزال عن الجماعة المحلية، سواء حضرية أو ريفية . فالمشافهة غلبت واقع ا على الحياة، وغيبت الذاكرة المكتوبة والتراث الحدثي، حيث كل شخص يتكلم عن نفسه و بنفسه وحول أموره و يرفض الوصاية، لأنها طبيعة الحرية و الأناقة الجزائرية عموما، كما كان التراث الأدبي قليلا لم يتوسع من خلال معجمية شعبية يومية.

المبحث الثالث نتائج المقاومة

المطلب الاول تهديم الكاريزمية الوطنية

كان هذا الوضع المتناقض واقعا بين المبادئ الرأسمالية المجحفة والأهداف الكولونيالية عبر العالم المتخلف ، فكانت أزمة النظام السياسي المضطرب في فرنسا آخر القرن التاسع عشر ، سببها الاستعمار نفسه وأعوانه وأصحابه لنفوذه اي فرنسا للجزائر ([2]) حيث أظهرت الوثائق الفرنسية ، وجود 300 قضية فساد في التسيير في هذه المرحلة ، وسيادة العنف بين 1880 حتى 1914 ، حيث نشأ التنافس القوى بين الدول الاستعمارية في هذه المرحلة وبداية التطلع الألماني و الايطالي لاكتشاف الجغرافيا الجد يدة ، في حين كان الوضع السياسي في فرنسا ، عدم إرساء القواعد العدلية التامة ، لذا فرغم عدد القضايا المطروحة على المحاكم ، فإن وزارة العدل و الداخلية آنذاك في كل تلك القضايا قررت ([3]) محاسبة المتورطين بأشكال متعددة من الأحكام.

-9 موظفون بتهمة التعسف

- 96 توقيف بقرار ولائي

- بين (3-4) ملفات عالجتها السلطة العليا فقط

- 44 توقيف من وزير الداخلية

---

[1])- -فاني كولونا في م س -ص 255/254

[2]-فريدريك ايي كاسيس ،و ج ميني م س ص23

[3] -فريد ريك ايبكاسيس ، ص24

- 80 طرد موظفين ومسؤولون
- 39 حل مجالس بلدية بقرار رئاسي
- 125 إلغاء انتخابات بلدية (كاملة /جزئية) من مجلس الدولة

إذن لماذا كان الوضع كذالك ؟ لقد كان هناك رفض من المجتمع المحلي من جهة وهناك أنانية وطمع توسعي للموظفين الإداريين و العسكريين في السلطة والنفوذ و المال وكان تواطؤ من بعض القياد و الباشوات .وكان هناك تزوير إحصائي ات حسابات التكاليف الصحية ، وخلق إجراءات شخصية من خلق الوالي أو الحاكم المحلي – بدون إذن الوزارة في باريس . مثلما فعل حاكم تنس ([1]) من فرض ضريبة على المقاهي واختلاس تلك حقوق المعوزين + المسالمين – واستلام الرشوة من الفلاحين و الحجاج لمساعدتهم على الفلاحة و البذور أوالتنقل . لقد كان التجاوز للحقوق المعلنة للفرنسي في الجزائر ، صورة واضحة من صور الظلم والاستعباد ، لقد كان مبدأ « المركزية الأوروبية » هو الشعور الذي يعمل به ويسلك به الكولون في الجزائر الضعيفة ، لقد جوز لنفسه ما لم يفعله في فرنسا فمارس أخذ الأراضي ، المواشي ، المال ، المجوهرات ، وأدخلهم إلى السجون وقتلهم جماعيا ، من خلال إدارة الأملاك و الأشخاص .ومنه تحول منطق الهوية الأحادي ، إلى جملة مصطلحات متغيرة تجمعها مفاهيم

- المسلم : هوية الانتماء الديني بدون رؤية مذهبية
- الفرنسي : الكولون الداخل
- الخاص : ما يعني خاص بالجزائر
- المشترك : أن الجزائري الفرنسي المشترك في الهوية

لقد كانت الضرائب العربية – و الرسوم على كاهل المواطن الحقيقي ليستفيد منها الفرنسي و الأوروبي مع امتيازات في الحرية للأوروبي ، مما يعكسها أنها كانت ضحية جهات خاصة لا ترتبط بالجزائر و لا بفرنسا . حيث نجد أن في سنة 1891([2])لم يناقش البرلمان الفرنسي ميزانية الجزائر بل قبلها حسب ما جاءت به من تقارير الإدارة الاستعمارية في الجزائر و ممثلها في المقاطعات . لقد كان

---

[1] –نفس المرجع السابق ، ص24

[2] –فريد ريك ايبكاسيس ، ص 25

الكولون يمارس قانونه لوحده بكل حرية و فوضى دون استشارته للنظام المرك زي في غالب الأحيان ، فجمع الضرائب كان ضحية تحايل ومحسوبية على جهة دون أخرى و كان عمالها يأخذون الرشوة ، في حين كان موظفي البلديات و المنتخبين وأعوان الكولون يحتقرون الشعب ، مما خلق فوضى 1880-1903 في فرنسا و الجزائر ([1])

لقد كان النمط العثماني في العلاقا ت جد توافقيا حول الممارسة اليومية و الحياة والتاريخ ، كان التخاطب اليومي إلى أعراف قانونية تحكم العلاقات ونقص من القاموس اللغوي و الثقافي، و تزيد من الرابط الوطني و المحلي ،وهذا في المناطق التي كانت مركزيا تابعة للعثمانيين وهي الساحل و الهضاب أما جنوب الهضاب والجبال و الصحراء فكانت شبه مستقلة، ولكنها ملتحمة به أخلاقيا . بحيث أنه حكم إسلامي وتشريعاته و لكنه لم يقم محاكم للتفتيش و الضغط مثلما حدث في أوربا، لا سياسيا ولا دينيا حتى يجعل الدين تجارة، بينما كان سكان الصحراء وحتى الجبال في مأمن عن حياة الضرائب، والباشوات ومراسليهم من الممثلين المحليين، حيث لعب رجال الطرقية رابطا أو مانعا قويا بذلك.

تقول كولونا " إن التقارير الإدارية (الكلام عن بداية الإستعمار) الخاصة بالمراقبة لا تعطي غير صورة عرضية " عن الحياة الثقافية في السلسلة الجبلية لنجد ملفا يجب أن يكو ن ثمة قضية " إن الأرشيفات هزيلة بالنسبة للفترة التي أعطيتها الأولوية في هذه الدراسة، تحدد فقط المعلومات حول الطرائق الصوفية و حولها و حسب منذ تحقيق ديبون و كوبولاني 1896/1895. كما ترى كولونا .

ولكن دخول الإستعمار ساهم في انتاج خطاب مظطرب و مزدوج و جعل الفعل الفردي يخضع لمقررات الجانب الأجنبي الإستعماري من جهة، والمقرر الجماعي للدوار و القبيلة أوو العشيرة و الطريقة ، مما يجعله تقع في تناقض أحيانا مع أهداف أو مع هويته أو مع مصلحة جماعته . من ذلك يتحول الحوار بين الأشخاص وبين الجماعات، فعلا لزقا وزئيقيا، حيث تتغلب فيه التمزق الذاتي، والتناقض الواقعي، وتلاعب في المشاعر، كما نجد التحليل العميق الذي يقدمه كويرى **(koyré)** ([2])، في قوله ((إن الطابع الدرامي بالمعنى الأول للحوار يفترض بالإضافة إلى الشركاء المرئيين في النقاش "ثالثا غير مرئي لكن حاجزا، ولا يقل أهمية' القارئ و المستمع). من هنا نكتشف أن الخطاب التبادلي بين المتكلم

---

[1] – –نفس المرجع السابق ، ص 25

[2]– K oyré: introduction a la lecture de platon , 251 في فاني كولونا: المرجع السابق ص

و المستمع تحكمه القيم والرؤى العقائدية أكثر، بالإضافة إلى المصلحة الواقعية، ولكن الإستعمار جعل الخطاب متصدعا ومتشققا من داخل جمله ومفرداته المعجمية.

المطلب الثاني الهجرة في حركة المقراني :

لقد كان لتوسع الطرقية ‘لأنها ملاذ فكري وثقافي رادع لكل قوى خارجية، دورا بارزا في التوجيه السياسي والثقافي القومي مما جعلها رائدة وحكيمة في خطابها أمام شراسة المحتل .فقد إنطلقت ثورة المقراني في محيط ثقافي محافظ تواجدت في جوانحه زوايا ومدارس تقليدية ، حافظت على القيم المبادئ الاجتماعية ومنها حافظت على الروح الوطنية ومشاعر الإحساس بالأرض والفضاء التنفسي للإنسان المواطن للمحيط الجغرافي.

لقد كان هناك أكثر من 2000 منخرط، ومريد يتواصلون مع الطريقة الصوفية مشبعين بالروح العلمية والمشاعر الإقليمية للوجود ا لإنساني ،وهذا لا يدحض الدور الثقافي والاجتماعي لذلك في النهوض ضد الاستعمار ومحاولة السلب الأخلاقي والمادي للأرض والمشاعر بتحويلها في قبضة يد خاضعة فاقدة للحرية وسلطة القرار الشخصي .والنهوض بدوره والانتفاض ضد الاستعمار، خلق فضاء جديد للمشاعر المخنوقة بقوة الهلاح والتكنولوجيا المعصرنة والعلم الحديث الذي بدأت أعماله منذ العهد وسط العثماني مع التجار والمبشرين والرحالة ،فكانت المواجهة الحادة بين الجغرافيا والإنسان الغريب، وخلفت المصادمة أثارا جديدة ومستويات للتثاقف مضطربة، أدت إلى الهجرة وبذلك حدثت هجرة قوية منذ سنة 1898 إلى سوريا ومناطق عثمانية أخرى، لأن خطورة الوضع الاقتصادي والاجتماعي كانت السبب الأول في ذلك، وهنا يجدر المقام بملاحظة التوسع البشري للمنطقة عبر الفضاء المغاربي والمشرقي، فرضته المعايشة التاريخية التي بلورت الأفكار والمصائر في كتلة واحدة.

لقد كانت المعاملات الجهنمية لضباط الاستعمار مثل ما فعل (دوروفيقو)([1]) في قبيلة العوفية في الوسط الجزائري وهي إبادة جماعية ،حيث كانت قوة الرفض مساوية لقوة الرد لأن الإنسان في المنطقة رغم فضاءها الجغرافي الصعب أكسبت ذلك الإنسان صلابة وقوة رأي لا يتلاشى بسهولة أمام أو امر الاستعمار بفرض الضرائب وفتحة لسلاحه ضد الأهالي .لذا كونت الهجرة حركة جماعية للفعل التاريخي والسياسي الكامل للمضمون الثوري وليس ذلك انسلاخا من قلب المواطنة ،ولكن مرحلة الاسترداد القوة .

---

[1] عمار هلال – ص107 . مجلة الثقافة . هجرة الجزائريين للمشرق – عدد رقم83.سنة 1984الجزائر.

لذلك سجل بعض الباحثين سنة 1888 هجرة نحو تونس ومنها إلى سوريا وفلسط ين ولبنان وحدثت هجرة أهالي تلمسان سنة 1911 في حين كانت لمنطقة تعيش البؤس والاضطهاد والاستلاب المادي والمعنوي، حتى واصلت الجماعات هجرتها في سلاسل زمنية نحو الولايات العثمانية .ومن ذلك لا يخفى دور العلماء والأعيان في توجيه العامة وبعض المعرضين للخطر الدائم، نحو الهجرة والاختفاء إلى مناطق مأمونة مرحليا على الأقل لأن حتى المشرق في غمرة انهيار وأنانية تركية من جهة، وأطماع استعمارية شديدة الضراوة ومتماسكة الإستراتيجية . لذلك نجد أن الشيخ المهدي وهو شيخ طريقة صوفية في –بني اراتن– في بلاد زواوة، قد اقترح على بعض الأ هالي الهجرة والترحال نحو سوريا في مرحلة اشتد عود الاستعمار وزاد في غطرسته ونجح في توسعه عبر الفضاء الجغرافي للمنطقة الشمالية وخاصة منطقة القبائل التي كانت منفذ للدخول إلى المناطق الداخلية والجنوب.

وقد حدث ذلك كله سنة 1847 حيث توضح استعمار بلاد القبائل ،ولا ننسى أن حتى سكان سبدو في غرب الجزائر بعيدا عن بلاد القبائل لجأ أهالي هذه المنطقة إلى الشيخ المهدي مقدم الرحمانية للاستفسار والنصح في كيفية التصرف في الحال ،فنصحهم بالرحيل نحو ديار الإسلام "وأن يغادروا هذه الأرض الملعونة التي مات فيها الإسلام على أيدي الك فار .."[1] الذين عاثوا في الأرض والعباد حاملين معهم أخلاقهم وثقافتهم العنيفة القاتلة بدعوى الحضارة. وهنا تكمن الحكمة العلمية والسياسية لشيوخ الجماعة في بلاد الزواوة، وليس ذلك فقط بل نجد حتى الشيخ المهدي نفسه هاجر أواخر 1847 نحو سوريا واستقر فيها متبوعا ببعض تلاميذه حيث شكل مع كافة الجزائريين المهاجرين ،كتلة قومية متجانسة لنصرة الإسلام والعروبة،ومقاومة الاستعمار عن بعد وكونوا منبرا ثقافيا وسياسيا تمثل في جريدة المهاجر سنة 1912 ،التي كانت تصدر مرة واحدة في كل أسبوع حيث قام بتحريرها على بن الأمير ثم محمد السعيد ابنه الآخر وكان كاتبها :محمد الشطة.أما في سنة 1848فقد نزح أكثر من 200 عائلة من قبائل زواوة كان منهم 60 أولاد شرفة ،و30 من بني أيت بوعدة و90 بني غبري([2]) وغيرهم .

ولذلك لم ينته بهذه الدرجة ولا كثافتها ولا روحيتها المستوطنة في النفس المتعاشرة في عهود، حيث تو اصل المد الحركي للهجرة إلى غاية 2000 عائلة نحو سوريا وحدها بالإضافة إلى لبنان

---

[1])––عمار هلال – ص107 . مجلة الثقافة م س .مقالة – الهجرة نحو المشرق–ص68.

[2])– هلال ع .،نفس المرجع،ص69–70.

وفلسطين.وفي هذه المرحلة توطدت أقدام الاستعمار وواصل إبادته وتجويعه للشعب الجزائري بين 1867 حتى 1868 حيث ضربت يد الحديد على الأهالي .

الباب الثامن ثورة بوعمامة

الفصل الأول تعريف المنطقة و تاريخ مجتمع

الفصل الثاني أنتروبولوجية الظواهر وأحداث مقاومة بوعمامة

الفصل الثالث أنتروبولوجية مجتمع المقاومة

تمهيد

تواصل مسارالمقاومة في عهد التوسع الفرنسي في الجزائر كلما توغلت الى الأم ام و الى الجنوب و شرقا و غربا .في حين كان السكان بالمرصاد لكل متر لحركة تقدم الاستعمار الذي لا يرحم انسان و لا حيوان و لا طبيعة ولاما أنتجه الساكن الجزائري ' لذا كان الاستمرار و التواصل منطقي و متكامل و متتابع في تسلسل جغرافي و حركي واقتصادي .وذلك واضح من خلال التعاون و التكتل الموحد للمقاومة منذ دخول الاستعمار يوم 5جويلية الى غاية 1916 في مقاومة التوارق وهي أخر مقاومة شعبية جزائرية

ولذالك لاحظنا الحاج باي في العاصمة و الأمير في بلاد القبائل وبسكرة و بوعمامة في عين صالح و تلمسان وتيارت وأولاد سيد الشيخ في ثورة الأمير بدعم وفرسان ميدان.كما كان قائد جيوشه الزعيم فندي من تلك القبيلة .وشارك بوزيان القلعي في ثورة أولاد سيد الشيخ الأولى و لذا وتكامل الدفع الثوري من خلال توحد زعماء الشيخية الشراقة – سي قدور و لعلى – مع الغرابة –بوعمامة –و سليمان بن قدور – أحيانا ' رغم الخصام الذي كان سائدا بين الفرعين .فكانت ثورة 1881 بقيادة بوعمامة امتدادا لثورة 1864 .

الفصل الأول تعريف المنطقة و تاريخ مجتمع

المبحث الأول الطبيعة و المجتمع

المطلب الأول الطبيعة و الجغرافيا في المنطقة :

تمتد منطقة مقاو مة و النشاط الثوري لأولاد سيد الشيخ و الشيخ بوعمامة ،في المنطقة التي عاش فيها ابناء العائلة و مريدي الطريقة الشيخية وهي الواقعة جنوب الأطلس الصحراء ، وهي شمال الصحراء إلى العرق الغربي الكبير عموديا، اما أفقيا فهي منطقة تمتد من تيارت إلى المغرب الاقصى فكانت قلب الجزائر غربا بين الشمال الخصب والجنوب الاعلى وهي منطقة متنوعة التضاريس فيها الهضاب و السهول وجبال مرتفعة مثل جبال دروز وجبال قصور وجبال عمور ، كما تتنوع مناخيا بين البارد الأقصى و الساخن الحار كانت هذه المنطقة متصفة بالغطاء النباتي والحيواني ففيه ا نجد الأشجار الصحراوية التي تعتبر غذاء للحيوانات المدجنة والمغذية .مثل السدر والعرعار و الرمث والرتم غيرها .

كما كان يوجد فيها حيوانات مثل الغزال و الاروي و الضبع والذئب و النعامة و الحجل والغراب .بينما نجد في مناطق الأغواط غطاء كثيف و حيوانات و طيور كان ملاذ الكولون للصيد ([1]). ولم يبتدى الاهتلاك النباتي سوى منذ 1852 بعد استغلال الكولون بكل الثروة الطبيعية الموجودة داخليا وتصديرها إلى فرنسا مثل الحلفاء .

وإن هذا الجو الطبيعي قد ساعد على استقرار هذه المجموعة السكانية في المنطقة و التي عاشت في الرعي وتربية الغنم و الإبل و الفلاحة المعاشية للشعير و القمح في ملكيات عرشية مجزاءة والتي توفر الغذاء والحليب و الصوف و السميد و تساعد على التنقل (الإبل) من جهة ، وكانت معاشية ساعدها تساقط غير منتظم للأمطار ولكنها كافية في أغلب المواسم لزراعة الحبوب وخاصة القمح والشع ير التي كانت مادة غذاء أساسية بالإضافة إلى التمر القادم من توات والمنيعة وغرداية وورقلة وقرارة ، وهذا لا ينفي وجود بعض الفواكه مثل الرمان ، والتين والمشمش ولكن بصفة قليلة في . ربوات ....والشلالة و بوسمغون و مغرار ، بني ونيف وشمال الأغواط وجنوب تيارت وحيث كان السكان ينتقلون في جماعات بحثا على غذاء الحيوان من يشار إلى تلمسان وفي تيارت إلى فقيق حيث المنطقة رطبة وغنية طبيعيا .

المطلب الثاني البنية الاجتماعية

ساعدت التجمعات السكانية على تكوين بنيات قبلية أثنية في القبائل والعائلات لقربها سكنيا ، وتضامنه ا في الحياة ، وهذا كله كان يرجع إلى مرجعية روحية وثقافية جزائرية تجعل من العروبة و الإسلام كقوى روحية مثالية رابطة بين الواقع والأمل البعيد الذي يتخلق به المواطن ويسلك على أساسه ، حيث وجد القيم القانونية حاضرة في الشريعة و الدين من أفواه شيوخ الطرق الصوفي ة و المتعلمين الذين زاولوا دراساتهم في الزوايا في المنطقة وبعيدا عنها فكان العلم الديني الرأسمال الثقافي الرمزي القوي الذي جمع اقتصاد وبناء التجمعات واستمرارها .فالصوفية كانت مدونة للسلوك و التعامل اليومي وأخلاق النشاط التي تحمي الفرد و الجماعة وتخلق تنظيم ها المساعد على التكيف والمقارنة . لذا كانت قبيلة أولاد سيد الشيخ سيدة موقف منذ قاد الطريقة سيدي سليمان وسيدي محمد أب (سيدي الشيخ).كما يرى الجيلالي صاري

---

[1] –الجنرال مارقوريت كان يصيد في المنطقة في نهاية قرن 19وراجع–
–anales algeriennes de geographique hourou n° 06/1968 alger in sari dj op cit p23

أما جغرافيا التحرك ، استطاع زعماء الثورة بفضل ثقافتهم' أن يكونوا قوى مرجعية للدعوة والمقاومة بفضل الدور الروحي الصوفي للزعماء وبفضل انتشار الطريقة عبر كامل المنطقة ،وخاصة انتمائها الى الشاذلية كطريقة ام و علاقتها بالقادرية الحميمة كما لدعوتها التنظيمية للتكافل السياسي والخروج عن الاتراك سابقا في أيامه الاخيرة ومحاربة الاستعمار حينها ، وكان لها أثرا قويا بالغا، اختلفت به الطريقة عن الطرق الأخرى والمجموعات التي انكفأت عن نفسها ولم تحاول النشاط خارج التصوف والتعليم الديني.لذا وجدنا القرى التي كانت معنية بالثورة أولا قبل التوسع :هي .بريزينة- غاسول-مشرية كسال ، اربوات الشلالة ، بوسمغون تيوت ، مغرار ، ص فيصفة ، غيشة ، وفقيق .تافيلالت 'بني ونيف ' متليلي 'سبدو 'فرندة .عين الصفرا والخيثر .

أمافي مناطق التوسع الملكي نجد بني قيل وذوي منيع .وفي جانب عاصمة الثورة نجد قبيلة حميان المعروفة بكل قواها التجارية .ونجد جنوبا قبيلة الشعانبة المتفرعة إلى فروع كبرى وخاصة من متليلي .الى غرداية الى ورقلة و المنيعة . أما في الغرب فنذكر دور زواج أخت أبوبكر بالسلطان مولاي عبد الرحمن ([1])الذي جعل التقارب مفيدا وداعما لكل نشاط متكامل لحماية المنطقة من التوسع الاستعماري ، بالإضافة إلى دور الخدم في أمانتهم في خدمة الطريقة وعدم ال تردد بكل الأملاك والتضحية . و المشاركة بكافة الطرق لحماية الارض و المال و الدين و الكرامة .

كما عرفنا أن الجذور الجغرافية لعناصر الثورة ، ترجع إلى أبناء المنطقة كافة ، والذي كانت أصولهم مختلفة من عرب وبربر ، حيث تعايش كل منهما عبر القرون في الأرض والتجارة والتقاليد الدينية رغم بعض الصراعات الذهبية التي كانت سائدة الأيام ، لوصول سيدي معمر بالمنطقة في القرن الثالث عشر ، حيث وجد بعض السكان يأخذون بالذهب الأباض ي والخارجي . لقد وصل سيدي معمر إلى القصور بعدما ضايقته السلطة الحفصية بتونس ، فجند قافلته من الأنصار والأهل متوجها إلى الجزائر التل الغربي والهضاب حتى وصول أربوات وجوارها من القرى المتوزعة ، ورغم ذلك وجد سلطة أخرى يقودها بنوزيان في تلمسان والمرينيون في المغرب ثم الأتراك والسعديين في المغرب حيث للمنصوفة مكانة هامة وخاصة القادرية والشادلية.

[1])-Sari dj op cit p29

لقد ترك سيدي معمر ذرية عالمة ومثقفة بالعلوم الدينية قادها كل من سيدس سليمان بن بن بوسماحة و سيدي سليمان ، وسيدي محمد بن سليمان حيث مثل سيدي سليمان سيدا عالما وداعية رحالا حتى وصل إلى قرب أدرار حيث مات كان مجاهدا ضد الإسبان خلال حروب 1492 ([1])، وقد اشتهر بالزهد والعلم والصيام والتأمل والمصالحة بين المتخاصمين كما واصل نفس التقليدي سيدي محمد الذي ساد الشلالة ومناطقها علما وورعا وزهدا رغم عدم ترحاله. أما سيدي الشيخ الذي جاء كنجلا لأبيه سيدي محمد رجلا متحليا بالشجاعة والعلم والزهد إضافة إلى الزعامة السياسية يقول بعضهم سيدي ا لشيخ هو الرجل الأكثر شعبية في الجنوب الغربي ، ولكنه الموضوع الأكثر إثارة ، فشخصيته المعقدة ذات الجوانب المتعددة والتناقضات الظاهرة تحول دون الإحاطة بها يوجد هناك مؤيدون ومعارضون. ([2]).

لذا نجد أنه كان معارضون من الفقهاء ([3]) والمتصوفة وحتى من عائلته وبعض القبائل في المنطقة ذاتها وحتى داخل المغرب في فقيق حيث تعلم سيدي الشيخ مرحلة معينة وعاش فيها حينا إلى أن الواضح من خلال وسيادة الطرقية والقلق الذي عاشه السكان . لقد كان رحيل زاوية وقائدا للقبيلة والمنطقة ، ومفاوضا رسميا أمام السلطات وأمام القبائل البعيدة ([4])لذا كنا نجده يلبس لباس الأبهة أمام ضيوف القبائل و لباس الحرب بسلامة حين الحرب ، فكان رجلا مجاهدا على المنطقة التي عاشها العرب والأمازيغ في واستقرار في عهده . لذا اتهم بالطابع السياسي ، في حين كانت العلاقات متوترة مع السعديين في المغرب والعثمانيين في الجزائر ، وكانت تنشأ صراعات مع القبائل المجاورة على الأرض والماء والتنقل.

لقد كانت الشاذلية طريقة معروفة جدا ، تعطي أحقية مظهر القوة والملك للشيخ ، حتى يؤكد لأتباعه قدرته وشجاعته أمام الآخرين ، في حين نجد ذلك طريقة مرفوضة من المتصرفة الآخرين الذين يعملون بالزهد والاعتكاف إلى بعد ملذات الدنيا . إن تجارب سيدي الشيخ بين الديني والعقلاني والواقع ، فعل منطقي فرضه الواقع ، ورغم ذلك كان متخلقا متوضعا يجيد الاستماع إلى كل طالب معونة وكل مفاوض و محتاج ففرض ثقته وإقناعه بأسلوبه حسب التوازن الاجتماعية والدينية مما أكثر أتبا عه. فكان يقوم

---

[1] بن عمارة خليفة ، السيرة البوبكرية ، ج2، ص112-

[2] نفس المرجع السابق، ص110-

[3] -أبو راس الناصري يقدم عرضا في خصام سيدي الشيخ مع أبو محلي الذي ينتقد سيدي الشيخ في طريقته ويعتبرها بدعة على الدين راجع عجائب الأخبار.

[4] بن عمارة ، نفس المرجع.-

بالعمل الاصلاحي والخيري داعما للعمل العلمي والقيادي للزاوية ولم يزهد مطلقا بل كان يراقب الزاوية ووضعية الطلبة والأتباع ، فكان يعطي من ماله للمحتاجين ، وكان مشرفا على تسيير الزاوية وتوزيع ممتلكاتها وتوظيفها على المريدين .لقد ترك لنا الأثر ، أ ن سيدي الشيخ أوصى بتكليف العبيد وال خدم بالزاوية بعد موته خوف الصراع أبنائه وخوف تقلص الطريقة مع العلم أنه حرر العبيد قبل وفاته ووظفهم في الفلاحة ثم أصبحوا ملاكاء وعمالا أحرارا .

لقد كان إختيار زعيم القبيلة براغماتيا وكان نعمة على العائلة كلها لتجنب الخلاف ورغم ذلك ، فغن خدم الزاوية لمقاليدها ، لم يجدث إلا ....سيدي بن الدين الذي عاش بين 1630- 1710 ([1]) ، حيث تعددت الزوايا عند جميع عائلات الخدم القديمة في القصر الغربي ، والقصر الشرقي ، فكانت كل عائلة زاوية ، وذلك لم يمنع من تواصل الزاوية المركزية و الجهوية لنشاطها القيادي والروحي . قد ساهم تحرير الخدم في كسب الأملاك والقيام بالأعمال الفلاحية والتجارية مما ساهم في حفظ التاريخ والطريقة ، بينما الصراع قائما بين السلطة السعدية والعثمانية في المنطقة على الضرائب والجباية وإخضاع السكان لقراراتها فكان تذبذب المواقف في المنطقة. إلا أن الحد القاطع بينهم هو سيادة الطرق الصوفية من قادرية وشاذلية اجتماعيا وثقافيا وحتى سياسيا تحت قيادة زعماء القبائل والأعيان على أهاليهم.

كما ساهم تعلم بعض الأشياخ على يد سيدي الشيخ في ذيع صيته واحترام أتباعه من الشيوخ الجدد مثل سيدي خليفة ، وسيدي علي بوشنافة ، وسيدي لكحل ، كما حمل لواء الطريقة أبناء حميان وبن عامر والأشراف وغيرهم مما جعله يحمل أسماء : الكبير والحمياني ، والبوشيخي ، والبوبكري والمرابطي ، وذلك عبر منطقة واسعة من جبال عمور حتى جبال كسال من جنوب تلمسان حتى بني ونيق وبشار إلى غاية تيارت شرقا. حسب بعض المصادر في المناقب ، نجد أن سيدي الشيخ قام بتلقين 50 جنديا تركيا للطريقة الشاذلية في تلمسان حيث يمثل داعية لها في المنطقة رغم أن الظروف كانت صراع الموحدين والزيانيون والمخزن ([2]) لا زالت في لهيبها منذ القرن 12م. فقد لبس سيدي الشيخ ثو ب الصدق والثقة والاستئناس من طرف القبائل جنوبا وشمالا شرقا وغربا عن عمور ومنها الى سكان التوات.

المطلب الثالث العلاقات بالمنطقة:

---

[1])-بن عمارة ،السيرة البوبكرية ، جزء ثاني، مرجع سابق، ص115

[2])- بن عمارة ، مرجع سابق، ص115

لقد كانت مناطق الجنوب الغربي منطقة أمازيغية ، يقطنها سكان بربر زناتة الذين تعايشوا مع المسلمين منذ الأيام الأولى لدخولهم للمنطقة وحاصة بعد رجوع الأغلبية من الأندلس عقب حروب الاسترداد التي قامت بها إسبانيا بعد 1452. لقد اشتهر في هذه المنطقة قبائل الأحلاف ، وحميان ، وبني عامر ، وأولاد الشيخ ، والشرفة ، هؤلاء الذين جاءوا للمنطقة لأثر الصراع الذي نشأ في المملكة السعدية والإدريسية قبلها بين ورقة التاج الملكي.

تذكر بعض المصادر أن الشرفاء الذين استوطنوا عين ورقة أن أصلهم ليس من إدريس الأكبر ،حسبما نقرأ عن خليفة بن عمارة ' في كتاب الجنوب الغربي 'حيث يرجع جدهم الأول إلى عبد الله الكافل حيث يعتبر أول شريف جدلهم ، مما يدعونا إلى وضع أطروحة أن هؤلاء يعتبروا أجداد العلويين في المغرب ، فهم دخلوا المنطقة منذ عام 1770 م ، وقدموا من تافيلالة في المغرب ، مايعني أن هناك 125 سنة عن ذلك ([1]).لذا نجد أن محمد بن عبدالملك جاء يقطن المنطقة ، ولكنه وجد تذمر من أحلاف المنطقة ، ولكنه تمكن من ذلك بعد قتل مرابط صوفي للمنطقة كان يدعى سي أحمد بن الحبيب ، وإثرها بقليل حدثت وفاة سي محمد بن عبد الملك ، حيث دفن هناك في تيوت بعد طرده من عين ورقة من طرف أب المرابط الذي قتله ولهذا لا يخفيه حتى الناصر مؤرخ المغرب في كنانة)([2]).هذا في حين كانت ظروف المغرب في مرحلة السع دية ، وكانت تقود جغرافيا واسعة حتى تميكتو ، وكانت مقاطعات منظمة مكلفة بتسيير الرعية ، ولكنها بدأت تضعف مع بداية سيطرة بعض الزعماء ، من رجال الدين والقبائل على الأقاليم مما جعل هشاشة الوضع. ولذا لم يستقر الوضع في الجنوب الغربي ، إلا بعد 4 قرون حيث ثم التفاهم بين سي محمد والأحلاف وحكموا تيوت حتى وصول الرجل الصوفي سيدي أحمد بن يوسف المليانى ، نجد أن قبيلة أولاد رحو ينضموا إليه ويؤسسون زاوية للطريقة الشادلية التي كان المليانى داعية لها. هكذا لم يستطع الاستعمار المنطقة إلا عام 1847 ، منها لجأ إشراف المنطقة مع الأحلاف إلى الجبال والسهول المجاورة.

لقد تزعم الأشراف الأوائل من طرف الشريف بن علي المراكشي الذي ينزل عن الشريف السجلماني ، الذي ترجع إليه أشراف تافيلالت وجنوب غرب الجزائر ، بينما سادت الحرب بين الأشراف وسكان فقيق في القرن السابع عشر مما جعل سي المر سي تستولي على تخرج من .... ليجد أولاد سيدي الشيخ في

---

[1]-) De la martuniere ,les docments,1896-

[2]-) El-naciri , Al -istiqsa

الحدود الجزائرية في منطقة .بني ونيف ، حيث كانت السلطة العثمانية موسعة إلى ذلك رغم سلطتها – الشكلية – وثم بعدها إعلان سي محمود زعيم حميان خضوعه للملك الع لوي مع سكان الغسول حوالي 1653 في حين يتم قتل سي محمد على يد أخوه رشيد عام1667 ([1]). إن حادثة القتل تؤدي إلى رجوع أعوان سي محمد إلى .....([2]).ومقتل زعيمهم ، في حين لم يستقروا إلا في عين ورقة . إن سي محمد بن عبد الملك الذي استقر في ....عام1770 قد واجه أولا الأحلاف وأولا د رحو الذين سكنوا فليه المنطقة ولكنه تصالح الأحلاف وتزوج منهم ، وتم دفنه بعد موته في سيدي عيسى في تيوت.([3])

بعد دخول الاستعمار قتل قبائل المنطقة القائد الذي عينته فرنسا على المنطقة في حوالي 1872 في حين بقى الأشراف معزولين عن فرنسا غير قابلين لسلطتها ، حتى ثم قتل ، في تيوت ، تسمح زاوية اليوسفية من طرفهم بعد معرفتهم بتعاونه مع الاستعمار عام 1881 في حين كانت بداية ثورة الشيخ بوعمامة في الأفق وتم لهم م بتغاهم في المشاركة مع الشيخ في ثورته الشعبية ، حيث استقروا في بوسم غون وعين ورقة ليكونوا درعا واقيا للثورة. ولكن الاستعمار لم يكن غافلا فقام بطردهم إلى فرندة ثم هجرة بعضهم إلى المغرب لمضايقة الاستعمار لهم بحيث لم يستطيعوا التأقلم مع البربر في القريتين ([4])

المطلب الرابع تكون المراجع الفكرية لمنطقة للجنوب الغربي

نظرا للتواصل الثقافي والاجتماعي في المنطقة ،يبدو أن السياق العلمي الذي كان منتشرا ال ذي هو بطبعه علم الدين قد كان متناغما مع تلك الحركة الصوفية السائدة والاستقرار السياسي الذي كان بعيدا عن مراكز القرار والاجتذاب التنافسي ومع معاش الكفاف الاقتصادي و الأسلوب الخراجي في المعاملات .

هكذا وجد في المنطقة في المرحلة هذه الولي الصوفي سيدي الناصر ك ما كان يتواجد قبله سيدي معمر بالعالية والذي جاء لاجئا من تونس خوفا من بطش سلطانها أبي محرز أما سيدي الناصر فتقول المصادر عنه أنه ولد سنة 1350م-751هـ في الساقية الحمراء في الصحراء الغربية اليوم وتؤكد تلك المصادر أنه من سلالة الحسن بن أبي طالب ومن حفدة محمد العسكري وجعفر الصادق تم ادريس

---

[1])-بن عمارة خليفة، كتاب النسب ، ص210-

[2]-e.a jilali et a meziane.

[3]-de la maRtiniere documents IN ben amara ,OP-CIT p211.

[4] -ben amara , opcit ,p211

الأكبر وأخرها علي (رضى)وقد ولد ولدا سماه حركات وقد تركه في المغرب الأقصى وقد تنقل سيد الناصر من مدينة إلى أخرى ومن قرية إلى أخرى والتقى بعض العلماء حتى صار فقيها وعالما صوفيا . وهذا لم يلهه عن السياسة والحكم فقد تولى منصب حاكم مازونة عهد أبي زيان أيام مولاي عبد الملك ثم هرب إلى منطقة بعيدة عن ذلك بالقرب من البيض وآفلو وهي وادي القصب وتسمى الحاج المشري ثم إلى البقاع المقدسة للحج ومنها كسب زيادة في درجة العلم .(1) في هذه الفترة كان بنو زيان يسيطرون على منطقة الغرب الجزائري بينما كانت صعوبة منطقة الهضاب قد منعت التقدم إلى المناطق الداخلية.(2)

لقد كانت هذه القبائل منتشرة في مناطق الغرب الجزائري إلى الشرق المغربي وقد وصلوا إلى بلاد مزاب تم ملوية في المغرب ثم تافيلالت إلى مناطق الزاب في بسكرة إلى مناطق سجلماسة في الجنوب الجزائري والمغرب .والملاحظ أن ذكاء سيد الناصر ومكانته العلمية جعلته مقر ثقة واحترام من طرف الحكام والعامة حيث تولى حكم تافيلالت وسجلماسة ثم حكم مازونة ثم هاجر إلى مكة وعندما رجع توقف في منداس في تيارت ثم فرندة حتى استقر به المقام في وادي القصب جنوب تيارت وشرق البيض وشمال الأغواط.لم يدم حكم سيد الناصر (4سنوات) في سلجماسة ثم 16 سنة في مازونة أو حسب الآخرين (12سنة)، وقد تنقل إلى هذه المدينة مع عدة وزراء سافروا معه ،منهم (محمد بوجناح) (3). لذا تؤكد السيرة الذاتية أنه عرضة ترحلات فذلك يرجع إلى المكائد التي كان يواجهها حيث وجد في فرندة أعداء ومتأمرين فلجأ إلى جبل راشد في جبل عمور حيث درس واستقر أخيرا في الحاج المشري "وداي القصب" حيث وجد الماء والعين والسهل الخصب وجوار من السلم والكرم والاستقرار .ومنها وجد نسلا طيبا له للعلم و الجهاد .

لقد كان الأستاذ الجيلالي بن عبد الحكم شاذلي الطريقة ،من ناحية التصوف درس ذلك على يد شيخه الحاج العربي المشرفي صاحب "اليواقيت الوهاجة.". وقد انتقل الشيخ الجيلالي من العطاف في منطقة الشلف إلى مدينة الشلف اليوم ولقد كان يتكلم عن الأوراد ،والولاية الصوفية ،والأذكار والمرائي أو

---

[1]Jean despois, le djebel Amour

[2]Mathea Ganndray,la societe feminine au djebel amour au Ksel…

[3])-أحمد بابا التنكتي ،نيل الابتهاج بنطريز الديباج.....

المنامات الصوفية كما اهتم بالزوايا. وساهم في حفظ التراث الصوفي للمنطق و المقاومة .وزاد من تقوية الربط الثوري والسياسي للزعامات والأعضاء الناشطين .

و في هذه الأثناء يبرز " سيدي يحي بن صفية ،دفين سبدو و الذي كان يعتمد على ما بعث له إمام العريشة السيد عبد الرحمن من التقاليد ا لموجودة عند أولاد يحي الكائن بأولاد نهيار ،سيدي العربي الذي يعتبره المؤلف حجة في النقل والسماع كما يستقي معلوماته من السيد عبد القادر الفاسي في (تاريخه) الذي يحتوي على أصول هذه الأسرة دون الفرع "1. وتبعا لهذه التذكيرات التي يقدمها الشيخ في كتاباته فإن صاحب رواية موصوفة بالسير الذاتية عليم بالرحلات والسلالات والحياة اليومية كان يقدم معلومات عن الزوايا كافة، عن التلاميذ والمريدين ،عن العلماء المتصوفة وعن أعيان المدن والقبائل .وقد كانت الدولة الزيانية أيامها (سنوات 1235م 1554م) دولة توسعية قادها زعماء زناتة التي خرجت منهم عائلة بني عبد الواد (633هـ-962هـ) .

حسب المصادر التاريخية ، فإن قبائل الأشراف ، تمركزوا في منطقة فاس ومكناس بالمغرب الأقصى ، ولجأ بعضهم إلى جبال راشد في الجزائر وهي جبال عمور اليوم ، وهي تقع بين النعامة والبيض والأغواط وتيارت حيث تتركز تجمعات أمازيغية قديمة وعربية من بني هلال وبني عامر وزناته . من ذلك نكتشف أن سيدي موسى الذي كان من أوائل الأداريسة الذين نزلوا الجزائر ، قد استقر في صفيصفة نهاية القرن 15 ، حيث عاش مع قبائل الزناتة الأسبق في ذلك كما عاش معهم أحفاد سيدي عبد الرحمن الودغيري. تعلمنا سير الأعمال أن سيدي موسى كان معلما للقرآن لدى أهل القرية ولقي مكانة مقدرة ، وهو الذي يرجع نسبه إلى سيدي محمد بن العطا في تلك المنطقة ، ومنه جاء سيدي الرحمن سلف سيدي يحي وعيسى وعلي الذين استقرا في غرب ذلك الفضاء .

أما زيد الذي عاش القرن 14 فقد استقر في جبال عمور ([2])وهذا مما سمح بحرية وسهولة التنقل في المنطقة لقبيلة أولاد نهار ، مما ساعدنا أن نجد أن سي عبد الرحمن قد تعلم في الشلالة وفقيق وصفيصيفة ، حتى أصبح من المختارين للتعليم من طرف سيدي سليمان بن بوسماحة جد سيدي الشيخ . من ذلك تكاثرت قبيلة أولاد نهار وتثاقفت في المنظقة في التراث الصوفي والعلمي في صفيصيفة وجوارها

---

[1])-الجيلالي بن عبد الحكم،المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولا سيدنا يحي بن صفية 1953،مطبعة الخلدونية،تلمسان.

[2])-بن عمارة ، مرجع سابق، جزء ثاني، ص92.-

لهم أحفاد زيد بن محمد بن أبي العطا في نهاية القرن 15.و بعد تعلمه ونشاطه التعليمي طلب سي عبد الرحمن لدى سيدي سليمان يد إبنته صفية فلم تثاقل الشيخ حتى التأكد من نسبه وبعدها قبل ذلك إثر معرفة أصله الشريف ، لذا قرر إعطائه خيمة وقطيعا وزجة لا لا صفية ، فعاش في إقليم البوبكرية في بداية القرن السادس عشر ، ثم مات شابا بينما ترك سيدي يحي إبنه طفلا وأخويه أحمد وموسى.

في حين نجد أن الأم لا لا صفية تبقى في حضن عائلتها حيث كانت أمها من الأحلاف من تيوت لأن المصادر تذكر أن أهل صفيصيفة ، مما يعني أن أم لالا صفية هي لا لا عائشة التي هي أم سيدي محمد بن سليمان وسيدي أحمد المجذوب. وقد كانت إمرأة تقية متدينة مثل أبيها وأخويها حسب مصدر الجيلالي بن عبد الحاكم ([1]).لقد كان سيدي عبد الرحمن معلما لدى سيدي سليمان وقتا قليلا قبل زواجه من لالا صفية وربما حسب توصية من سيدي أحمد بن يوسف الملياني الذي زار منطقة ولاقى علماءها.

المبحث الثاني الثورة الأولى مرجعية لبوعمامة

المطلب الأول ظروف الصراع و تناقض الوضع :

بعد انقطاع السلم ، أو ظهور حركات ثوري ة أخرى في سنة 1839 ضد الاستعمار ووجدت فرنسا أمامها خطر داهم ومقاومات متجددة ورفض الأهالي ورفض المغرب للتدخل ضد المغرب و الجزائر .لذا وجدنا أبناء التل الغربي قد بدأو مواجهة العدو الاستعماري من الغروات حتى بني سنوس في منطقة تلمسان ‘في حين كان الأمير يسيطر من معسكر حتى تموشنت لذا قام الاستعمار بمتابعة هؤلاء ، حتى دخولهم في حدود المملكة المغربية ، كما كانت تواجه قبائل حميان وتدفعها للهجرة نحو جبال العمور وجبال القصور.

لذا نجد قبائل جبال العمور في سنة 1846 دفع هؤلاء 3000 ثور 7000(غنم) من خروف ماشية ‘بينما نجد 700 ثور و 2000من الغنم و 300 دابة و 30جمل على حساب قبائل الحدود المغربية وداخلها الذين هاجروا إلى تلك المناطق ([2]).ونجد قبائل حميان قد فقدوا، استقبالهم للأمير عبد القادر، 4000 رأس من الغنم ، عام 1846 ، اما في سنة 1847 33000 خروف ، 500 جمل وأحصنة وخيم ، وكثير من المحبوسين ، وغرامة 200 إلى 300 فرانك للرأس في حق الأحرار في الشط

---

[1])- الجيلالي بن عبد الحاكم ، المرأة ، تلمسان ، الجزائر، 1953-

[2]) -Sari dj op cit p30

الشرقي([1]) ونجد أعوام 1847/1846 حيث كان الجيش الفرنسي يجمع قوى تتعدى أحيانا 100000 فردا فيما كان في بداية عام 1839 أقل بعشرين ألف ' وذلك لقوى المقاومة وتوسع مناطقها ، مما يستدعي تجنيد أكبر قوى . أما في القصور وجبال عمور فقد ، كان محاولة التوغل الى المنطقة سرسو ووحشية دفع ثمنها السكان عام 1845 ، حيث تحطم النخيل وقطع الأشجار وتدمير مخازن العلف وتخريب المداشر ، وأدوات النسيج ونهب النساء جواهرهم وقطع ثمار الأشجار([2]).

المطلب الثاني حيثيات الثورة

لقد كان هجمة الجنرال كافنيناك على الجنوب الوهراني بعد إفشال قوة الأمير في الشمال حيث وجه الاستعمار قوة الأمير في الشمال حيث توجه قوته إلى الواحات حيث الفلاحة الصحراوية و المياه العذبة وحيث هي مقر مرجعي للبدو الرحل الذين ينتقلون طولا وعرضا ويرجعون إلى التجميعات في الواحات لاجل التجارة وجمع الوسائل وخزنها ووقايتها لوقت الرجوع ، وحيث كان التضامن والتآلف سائدا بين القبائل غالبا ولكن معاهدة 1845 كانت أخطر هدفا والذي كان نتيجة حتمية لفشل مقاومة ايسلي سنة 1844 مما جعلها تلجأ إلى هذا الوفاق و الصلح مع المغرب في معاهدة لالا مغنية 1845 لقطع الطريق أم الثوار وقطع علاقتهم مع المغرب وتسهيل محاربتهم.[3] على اساس تعيين الحدود .

ومنها كان الحل الجغرافي هادفا ، بتوقيف القوافل التجارية المغربية عند القصور ، وعدم توغلها للداخل لصرب المقاومة لقد كانت وضعية سكان مناطق الحدود المغربية في نفس الحال مع سكان الحدود التونسية ، حيث كان الاستعمار قد فرض قبضته على مداخل الثوار ومواقعهم .وحيث كانت المقاومة في بسكرة و ورقلة و الاغواط في استعداد .لذا وجد حميان أنفسهم في موقف محرج أمام .القوانين الجديدة للإخضاع وعدم الحركة م منهجة التنقل والتزام التعليمات ، كما نجد أولا سيد الشيخ في حالة خطر داهم، أمام انفصال الشراقة عن الغرابة فالشراقة كان لهم صلة بالعاصمة الجزائر، بينما كان الغرابة في ارتباط يقاس في المملكة المغربية عبر وجدة وفيقيق.

لقد عزل الاتفاق الأمير وحدد نشاطه ، وق رر حياد سلطة فاس عن الجزائر ، وجعل التفرقة قائمة ومانعة لتوحد أولاد سيد الشيخ ، وجعل البعض يقع تحت مساومات فرنسا ، التي واصلت زحفها على

---

[1]) –Sari dj op cit p30

[2]) –Sari dj op cit p31

[3]–) Sari dj op cit p32

الصحراء ، وواجهت مقاومة الشريف بن عبد الله في نواحي ورقلة واتباعة من كل الجنوب 1853.لقد كان بن حمزة خليفة ورقلة و خ لفه سي لعلى ،في مرحلة اقلى حيث لا طاقة و لا عتاد حيث دامت الاضطرابات من دخول فرنسا حتى 1864 حيث اندلعت الثورة ([1]) حيث تمكن الثوار جمع السلاح من المغرب الذي يجلب من اسبانيا من سبتة ومليلة كما جمع الاخر من تونس و بلاد القبائل .ومن هذه الثورة نتائج نفي وتهجير بغض المجاهدين بعد توقيفهم الى كاليدونيا مثل سيد محمد ولد حمزة كما نجد سيدي لزرق الذي قتل في الصحراء و سيدي عبد العزيز ‘‘’)([2]) .

المطلب الثالث التراث المرجعي لثورة الأولى 1864:

بعد تفاهم وسلم بين فرنسا مع سي حمزة و سي لعلى إلا أن الوضع تم بشكل حذ ر في الطرفين .حيث بعد انتفاضة الحضنة 1860 التي شارك فيها سي الفضيل ولد ماضي وهرب إلى زاوية سيدي الشيخ ، حيث عمل كاتبا لدى سليمان بن حمزة الذي خلف أبوه بعد موته مسموما حسب الرواية التاريخية . أما سي الفضيل فقد قتله العقيد بوبريتر عام 1863 وأصبح الناس في قمع وخوف ومجاعة بعد حصار الاستعمار وقلة الثقة ونقص الموارد بين سي سليمان وسلطة فرنسا .

فكانت ثورة 1864 سي سليمان بن حمزة ، حيث التحقت جيوش سليمان بن حمزة بالبيض .و الابيض و ضبت جيوش بوبريتر في عوينات بو بكر قرب البيض ، حيث قتل الضابط بوبريتر وقتل أيضا سي سليمان فخلفه أخوه محمد .فشتغلت الثورة وتوسعت فهاجمت فرنسا المناطق الغربية وحاصرت الطرق وخاصة اتجاه نحو الشرق في البيض و الشمال الغربي وواد مينا حتى القبائل الصغرى ([3]). لذا وجدت القوى الشعبية ، مثلا في واد مينا دفعا ثوريا في سيدي لزرق ، بينما لاقت التدمير في طرق قيادة عمي موسى التي تحالفت مع قيادة الأصنام ضد الرحوية وزمورة وغليزان الثائرة وتيارت كما تواصلت المقاومة تاريخية في تازينة قرب الشلالة والخيثر (قرب بوقطب) والبيضاء وقرع بن حطاب وشعب الأحمر حيث كان يتجمع 5000 رجل.

---

[1] Sari dj op citp33 p3

M/ounnoughi /.op.cit p55 in (histoire de l insurrection des ouled sidi chikh au sud algerien de 1864Aà 1880/imp jord.Alger1879)[2]

[3]–)Sari dj op cit5 p3

وتوجهت الثورة نحو بلعباس بقيادة س ي لعلى ، حيث سادت الفرحة بين سكان المغرب وحتى تونس ووجد ناصر بن شهرة فرصة أخرى لخلق موقع آخر كثورة ملتهبة .في ناحية الأغواط . ولكن الفشل بدا يدب منذ 1866 لعدة أسباب اقتصادية وسياسية واجتماعية والتي منها الجفاف وقلة المحاصيل ونقص الموارد التجارية بسبب حصار الا ستعمار للطرق ، وسبب الخلافات التي كانت سائدة بين الغرابة والشراقة.

إضافة الى هجوم قوات مدربة بحنكة على واد مينا من الضباط الخبراء باللغة والطرق وقادة جيش إفريقيا المخصص للعمليات هذه([1]) الذي كان يسبقه دائما القومية والصبايحية من العرب لحمايته ، والتي حاصرت فرندة تيارت وجبال عمور.كما قامت السلطة ، بمصادرة الأراضي والموارد الغذائية ونهب الإنعام والحيوانات الأليفة ونهب الأموال والجواهر لذا وجدنا : كنتيجة للهمجية الكولونيالية في هذه الظروف .22000 رأس غنم ، 6000 (في العاصمة) 4000 ‘قسنطينة 12000 رأس في وهران ([2]).لقد تركت هذه الحرب عديد من الثكلى والأرامل و الأطفال الذين قتلهم الجوع والتنقل، مما

جعل وفيات الجزائر بين 1868/1867 اكبر عدد في الوفيات ([3].)ثم تم حرق الغابات في القبائل وقطع الأشجار المثمرة وتم عقاب أولاد شعيب بالزبالة الخضراء .ومناطق اخرى كمنطقة متليلي حيث تم فرض غرامات مالية أو قطع النخيل من 1170 نخلة إلى أكثر ضد قبيلة شعانبة لأنهم متضامنين مع الثورة .أما قبيلة حميان فقد تم قتل أكثر في 100000 رأس غنم وغيرها من 600 حصان ، 90000 كبش ([4]).في إطار التركز الجهوي وتأسيس القوى المتحركة عبر كل الاتجاهات المتحركة عبر كل الاتجاهات الوطنية ، فإن الهجوم على عين ماضي في جانفي 1869 هي إحدى الحوادث التي سوف تؤسس القوى الأساسية للثورة ، رغم توغل الاستعمار.

وفي نفس الوقت في جانفي 1869([5]) حدت اجتماع القنادسة و الذي ألف بين القلوب والإعداء حيث أنضمت الجماعة التيجانية إلى هذا الاجتماع بهدف التوسع الثوري نحو الهقار و الصحراء ، الشرح

---

[1])–Sari dj op cit 37p

[2] –)Sari dj op cit p38in offiicier grandin temoin

[3]) Sari dj op cit p39

[4]) Sari dj op cit pp40in h183 rapport de 26/06/64

[5]) –Sari dj op cit p41

الذي وافقه ناصر بن شهرة وهو ينظم مقاومته في الاغواط وورقلة وشمالها وشرقها، مع العلم أن الأمير عبد القادر واجه الاخطار لردع الشق . و إن كانت معركة عين ماضي رمزا للوحدة ([1]) حيث شارك فيها 6000 فارس و 3000 راكب ، بقيادة سي لعلى ، وحضور سي قدور الذي كان مترددا في هذه المعركة ولكنه قبل دعوة سي لعلى وشارك معهم زعيم الغرابة الحاج لعربي.

و حيث تم التجمع يوم 31 جانفي 1869 في إطار خطة إفراغ الزاوية من الأعداء ثم التوجه نحو الشرق لمنطقة سوف وبوسعادة و الجلفة ، ولكن الأمر كان معاكسا ، فتم فشل ورجع الثوار نحو بريزينة والأبيض و البيض وفقيق لذلك كان الأثر بالفاعل المنطقة كاملة وخاصة الغرب حيث رجوع الثوار إلى الحدود الشمالية و الجنوبية وكما زاد الخطر على ناصر بن شهرة في جهة تونس((2)).

ومن ذلك الوقت ، أصبحت السلطة الكولونيالية في استنفار دائم ضد حركة الحدود الشرقية و الغربية ، من جهة بن ناصر بن شهرة في تونس، وجماعة قدور بن حمزة في الغرب على حدود المغرب، ورغم أن بن شهرة لم يلقى صعوبات ، لأنه لم يتوغل ، ولم تكن فرنسا محتلة لتونس، فإن الحدود المغربية كانت ساخنة مع توغل الثوار وخلق أزمات داخلية للمخزن الملكي ، وتخطيط هجمات قوية وعنيفة ضد فرنسا تلك المواقع بفضل مساندة قبائل الحدود من العرب و البربر وغيرهم . وثورة الطوارق كانت نتيجة المقاومة في الجنوب الغربي بفضل الشيخ بوعمامة ، فوصول زعماء الثورة قبله إلى عين صالح كان دليل قوة بشرية وتحكم جغرافي ، وبمساعدة أبناء المنطقة الذين يعرفون صعوبة الصحراء و الرمال في المنطقة ، مما جعل مهمة فلاترز تموت بكامل أعضائها في 18 فيفري 1881 ثم إعلان ثورة للشيخ بوعمامة 1881 حيث كان الثوار مجندين في كل المناطق قبل الثورة .

وفي هذا نكتشف تعاون بن شهرة وبوشوشة وأولاد سيد الشيخ في المنطقة ضد الاستعمار وبالتالي دعم الطوارق لإعلان ثورتهم منذ 1880 أثناء الجمهورية الثالثة وحيث كانت أطماع فرنسا توسيع الرقعة التجارية لها وتدشين خط جديد من العاصمة نحو تمنراست ثم تمبكتو.ومنها لفريقيا الغربية .

---

[1]-) Sari dj op cit p42

[2])-Sari dj op cit p43

من هذا الهدف من القافلة التجاري المقنع جعل بعض رجالها يقتلون من طرف الثوار (**1874 duperé)** وطرد بول سولايي وفشل فيكتور لارجو 1875.([1]) ولقد استطاع المقراني الهروب إلى الجنوب حيث وجد الدعم ، بداية مقاومة أخرى بقيادة بوشوشة وبن شهرة منذ 1872 من جانفي لها رغم التمركز الكولونيالي في الاغواط وبسكرة وكانت بمشاركة قبائل الأرباع و الأحلاف وغيرهم، حيث كان بن شهرة مشاركا أيضا في ثورة 1864 مع أولاد سيدي الشيخ في المنطقة التي بجواره نحو . بتونس وورقلة وسوف ([2]).

لقد واصل الثوار عام 1874 محاولاتهم ضد الاستعمار فكانت معركة مولاق غرب عين صالح بفضل ثوار بن شهرة وبوشوشة وأولاد سيد الشيخ عير الاغواط وورقلة ومنيعة كمحطات إقلاع .فرغم الحصار الكولونيالي ، وقلة التجهيز ، فعن الثوار كانوا على صلة دائمة ورغم حبس بعضهم مثل بوشوشة في قرب بلعباس في بو خنيفيس فانه التحق بالثوار في فقيق والصحراء وحيث لقى وهاجم منطقة الأرباع في 12 ماي 1870 قدوما من المنيعة ، لكن فرنسا قد وطدت قواتها فكان التوجه نحو شمال والى عين صالح ونتيجتها معركة مولاق([3]).

إن محاولة المستمرة لتقليص التوسع الفرنسي ، واصلت المقاومة بين ((1871و 1881 ثوراتها ومعاركها شمالا وجنوبا رغم قوة فرنسا وصراع القبائل أحيانا وتهرب المغرب، من حماية الثوار بضغوط فرنسا ، مما ألزم فرنسا برمجة استعمار آخر للمغرب لضرب المقاومة رغم معاهدة لالا مغنية 1845 التي تحطم العلاقة بين البلدين في ظل الخطر الذي داهم البلدين وأولاد سيدي شيخ الذين تم تفريقه م فيه و كان الهدف من معاهدة خلق صراع ومعارك بين الإخوة الأعداء ، ومنها معارك بين بوسعيد وزوى في 17 ماي 1871 ومعركة مع حميان بعد ذلك بشهر من طرف سي قدور ([4]) ذلك بعد هجوم ما قورة (.بلعباس) مما أدى معركة بين الشراقة و الغرابة أنفسهم.

إن أسلوب الفرنسي ، نجح في إستمالة البعض ، في تعيينهم كأغوات، وقياد، وتهجير البعض إلى المغرب و التهجير حتى نحو الجزر الفرنسية مثل كاليدونيا.اماقدور يستسلم ، وبقيت المعارضات في

---

[1])Sari dj op cit p49

[2])Sari dj op cit p48

[3])Sari dj op cit p48

[4])op cit p46

طريقها، بدون استسلام شامل ، حيث قعد سي لعلى ، في قرب المنيعة مع ثواره منذ 1870 ([1]).في حين التجمع الط رقي قائما بشكل مرجع ثوري واجتماعي وسياسي لكافة المنطقة الحرة . وبفضلهم استطاع بن شهرة التوغل إلى تونس ، مع الأغا سي نعيمي وزعماء ورقلة ، وفي حين بقيت عين ماضي تحت خلافه الطيب بن سليمان،بعد استسلامه ' الذي عينته فرنسا لشد الحبل ذلك بعد معركة 1869 .أما نهاية 1869 بقى الربط لثورة بين بن شهرة وسي لعلى وخلق التوحد القبلي وانضم إليهم محمد بن عبد الله شريف ورقلة ([2]).أما في سنة 1870 فقد هجم .ويمبفن في حملة شرسة على ثوار المناطق الحدودية الغربية فقتل وهجر البعض وصادر البهائم ،و أخذ الموقوفين ([3]) ورغم ذلك بقي ذوي منيع مرتبطين بتلمسان وسبدو و ومساندين للثوار وبقيت العلاقات التجارية ناشطة . ولكن الثوار فشلوا في المسار اللاحق . بين 1872/71 بسبب الأزمة الجفاف التي حصل 109/67 واثر على الحياة والغذاء النقل([4]).من هنا بدأت سياسة جديدة ، وتنظيم إداري جديد ، بهدف استمالة الأهالي في الجنوب الغربي ، و الجنوب الأقصى ، وهذا البرنامج توازن مع الحكومة في الجمهورية الثالثة ونهاية الإمبراطورية الثانية ، وكان المنهج والاهتمام بالنظام المدني .

وهذا ما لاحظناه في الضاية وفرندة عام 1876 ، كبلديات مختلطة وهناك بلديات كاملة المدنية وخاصة ذات الصيغة المغلقة مما ابعد المراقبة الأوروبية على الجزائري ومن هنا بدى القائد الأعلى للدائرة وهو المسير الحاكم بدل المكاتب العربية وقد طبق هذا أولا في الشمال الجزائري والدائرة محكما مجلس مختلط من ممثلي الأهالي والجزائريين برئاسة القائد الأعلى الفرنسي ك ان الهدف إرساء السلم في هذه الرحلة استقر الاستعمار مؤقتا بعد اكتسابه المناطق الخصبة على طول الساحل الغربي الذي كانت تمتد عليه المقاومة ، وهي سهول للحبوب والخضر و الفواكه تمثل ذهبا اخضرا .

ولكنها لا تهمل أيضا سهوب الحلفا . التي تصدر إلى أوروبا لصناعة ال ورق وغيره، والتي وجد ثمنها أسهل من التبن وأقل تكلفة لأنها ربح طبيعي مجاني، وقد صدرت منه الجزائر إلى فرنسا 225000 طن في عام 1885([5]). إن الاستغلال الفعلي للحلفا في المنطقة الغربية بدأ منذ 1862 بعد استقرار

---

[1]) op cit p47

[2])op cit p44

[3]) op cit p45

[4])op cit p46

[5] op cit p53

الكولون في المنطقة وخاصة في سهوب فرند وسيدو سعيد ة ، الضاية ، والمقصود اليوم هي جنوب هذه المناطق بما فيه اليوم السهوب بين تيارت أو الاغواط وسعيدة وبشار. ومنها بدأت عمليات نهب للغذاء الحيواني للأهالي ، على يد الكولون وصناعة الأواني و الافرشة التقليدية . فبدا الإنتاج بـ 4500 طن في 1868 ، 37000 عام 1870 ونجدو 11000في 1879 اما في 1885نجد 92843 طن ، منها 89000 بنسبة غالبا مطلقا في الغرب مقابل 2250 طن فقط لمنطقة الوسط، 1593 للشرق فقط ([1])

مما استدعى فرنسا إلى برمجة خط حديدي تجاري وصناعي بين وهران وأرزيو نحو الجنوب والذي قامت به الشركة الفرنسية الجزائرية ومنهال حدث انجاز خط مصباح ، مشرية علم 1881 ثم نهاية الى مشرية ([2]) نهاية 1882 اثر استقرار مؤقت للثورة . بينما خط مشرية الى عين الصفرا لم ينجز حتى 1887 هذه المرحلة التي مثلت زمان المقاومة للشيخ بوعمامة ووضح نوايا الاستعمار التوسعية و اثار الاهالي ،وثم تقسم إلى مرحلتين في 1883/1881 و 1908/1883 بينما كان اتفاق 1873 لاستغلال الحلفا التي هي من حقوق الأهالي ويضمنها قانون 1851 الاستعماري وقانون 1874 للغابات الذي حول الاقتصاد المحلي إلى اقتصاد رأسمالي متنطع على الحقوق وخاصة مع الشركات الاسبانية للحلفاء وأخرى تجارية بريطانية وقد كانت هذه الممارسات نسبيا واضحة في ضيق الأهالي وكذا وتذمرمرهم وثورتهم عام 1881([3]).

المبحث الثالث أبعاد أنتروبولوجية للثورة

المطلب الأول ثورة لتجميع الفضاء المتباعد

لقد كان التكامل الروحي بين المكان و الزمان ، ضمير مرجعي ف ي الفعل الثوري للمقاومة فكانت الحركة من الشمال إلى الجنوب و من الغرب إلى الشرق و العكس ، دليلة امتلاك الفضاء الجغرافي و عزة النفس و كرامة المكان ، و شرف المساحة ، في اعتزال الرومانسية بالتولع بالتاريخ و التراث , لذا وجدنا انه بعد مواصلة الثورة من طرف 'محمد بن حمزة المقاومة و استشهاده قرب البنود ، في معركة عنيفة ، فمات يوم 4 فيفري 1965 ، فخلفه إخوة احمد بن حمزة ، بعد وصول أعمامه سي لعلى و سي الزبير من منطقة ميزاب ، حيث كانوا مقيمين مع الثوار ، و كانت لهم علاقة بكل المنطقة تلك من ورقلة

---

[1] Sari dj op cit p54

[2] op cit p58

[3]– op cit p61

إلى الأغواط و غرداية و المنيعة ، حيث كان لهم شرف المشاركة في موقف ثوري آخر من طرف بن ناصر بن شهرة الذي كان يقود ثورة أخرى من الأغواط حتى ورقلة و جوارهما . فأخذت الثورة مسارا أخر و توسعا قبليا و جغرافيا و ديمغرافيا جديدا .

وفي هذه المرحلة نجد الثوار ، متحركين ضمن المنطقة الغ ربية للجزائر شمالا و جنوبا ، فكان عليهم بعد عدة معارك " دخول الجزائر عبر التل الغربي من جهة تلمسان و وهران ، مع جيش من 50000 من الثوار و بمرافقة الشيخ مولاي بن محمد ، صاحب كرزاز و هو مغربي ، فأخذت فرنسا كافة التحذيرات " ([1]) لكن المقاومة لم تكمل كل الطريق بل وصلت قرب بلعباس ثم هبطوا جنوبا نحو عين ماضي و غيرها من الديار من العمور و الأرباع ([2])

فما كان الحدث ، سوى بعض المضايقات من طرف الجيش الفرنسي ، فزاد إصرارهم ضد قوات بن شهرة و بوديسة ، خلال كل شهر أكتوبر ، و أما أواخر شهر ديسمبر ، اتجه سي الزوبير و سي لعلى نحو غرداية و متليلي . حيث كانت تتواجد ممارسات بعض محاولات احتواء استعماري للمنطقة . فدخولها في جانفي 1966 ، كان لة اثر خطير على المقاومة ،رغم تخلف احمد بن حمزة عن هذه الوجهة حيث كان قد توجه مع فرقة له ، نحو فقيق بالمغرب حيث وجد ذوي منيع . فكانت أزمة مؤقتة .فقد واجه سي لأعلى بعض أعوان فرنسا من بعض الفصائل جوار الحاج الدين شمال متليلي و جنوب بريزينة و حدثت معركة بينهم . أما فرقة من جيشه بقيادة سي النعيمي و بن شهرة توجهت إلى منطقة ورقلة ([3]) فواجههم ، على باي عون فرنسا في تقرت ، و قبض على احد زعماءهم . و إبراهيم بن عبد الله ، الذي كان يقود انتفاضة في بوسعادة و انضم إلى سي لعلى و سي الزبير و بن شهرة و أرغم الثوار أن ينسحبوا نحو تونس و ليبيا ([4]).و ذلك لم يثن الحال عن مساره .

و بقي أن سي احمد بن حمزة ، كان في فقيق رجع مرة أخرى إلى الهضاب ليجند قبائل المنطقة من أولاد عمور أولاد جرير ، .واولاد ذوي منيع و الدرارجة و أولاد زياد لتمشيط المنطقة من الاستعمار و عملاءه ، فاخذ معه الأغا بوديسة و كان ذلك بعد رفض فرنسا قبول التفاوض و الحوار لاقرار السلم

---

[1]– يحي بوعزيز: أضواء على ثورة أولاد سي الشيخ، مجلة الثقافة، عدد 51 جوان 1979.

[2])– نفس المرجع، ص32.

[3]–)– يحي بوعزيز ،ثورات الجزائر –ص 33

[4]– –Trumlet t notes pour servir l’histoire de l’insurrection in rev ,africaine 1881

([1]) فهجم على المرازيق ثم خاض معركة حاسي بن عشاب قرب البيض ونتج عنها مصادرة ملك الزعماء .

المطلب الثاني تطورات نحو مراكز القوى

حدث الصراع الملتهب بالنيران بين محمد ولد البشير والمقاومين منذ سبتمبر 1873 ‘حيث اقامت مخيمات في المغرب بينما كانت الحاميات الفرنسية في مغنية لحصار المنطقة حيث كانت قبيلة بني واسين في المرصاد مما جعل الجيش الفرنسي في خطر حصار يصدها عن مساعدة القومية الذين سبقوها في التقدم للمواجهة المقاومة وقطع الطريق عن المغاربة القادمين ([2]). هكذا نشب الصراع بين ولد البشير و الحاج زعيمي في سبتمبر 1873/6من جهة ضد فرنسا و جهة اخرى ضدالمقاو مة الجزائرية لبلاد المغرب الاقصى بحيث لم يدخل ولد البشير المعركة ضد المقاومة ولكنه اشترط مبالغ كبيرة و غرامات عليهم وقرر وضع السلم في المنطقة وحماية الحاج زعيمي.

ولكن هذا الخير لم يستأنس له فطلب اللجوء الى الاراضي الجزائرية في رسالة الى ضابط فرنسي حاكم تلمسان و مغنية لذا تركته يخيم مع اربع خيم في تافنة اما اولاد سيدي الشيخ بعد امر الوزير الفرنسي في المغرب فقد طردهم في الحدودوحمت فرنسا منطقة سيدي زاهر بقوات ضخمة منذ سبتمبر 11/مما جعل اولاد سيدي الشيخ يهاجرون الى اولاد الحاج قرب واد ملوية حيث اقامو هناك منذ هروب سي سليمان ثم توجهوا الى الى الجنوب حيث تعايشوا مع قبائل بربرية هناك في امان قرب الحدود مما هدد وضع فرنسا , في هذه الاثناء هرب سي سليمان بن قدور من تموشنت في 11 افريل 1873اما سليمان بن معمر فقد جمع اولاد رزاينة و اولاد زيد ويمر عبر منطقة اولا د الحاج و في الاحلاف نحو وجدة و تازة وخلالها قام بالهجوم على اولاد نهار في راس العين و برغنت .

هكذا التحق سليمان بن معمر رغم توقيفه من طرف الانج في الحدود في تافراتة مما دعى فرنسا الى جمع قواته كثيفة من كل الفصائل من الجيش و قناصي افريقيا و اتجه ت نحو الحدود اما السكان في المنطقة فقد بداوا في تجنيد لجان للحوار مع قرنسا ومع القبائل المعربية في وجدة حيث جاء علي ولد رمضان قاضي وجدة و عاملها الجيلالي بن القطبي و اخرين الى مغنية لاجراء المفاوضات . من هذا

---

[1] - يحي بوعزيز ‘ثورات الجزائر –ص 33

[2]–Voinot; IN Raport du b/a Marnea in ra .annee1920/n261

يشترط قائد معسكر تلمسان الذي طرد اولاد سيدي ال شيخ من وجدة وتم تسليم سي سليمان الى السلطة الفرنسية حيث يقل ان قباءل بني سناسن و انجاد هم الذين اوقفوه في افريل 1873([1])وقد تكلم عامل وجدة عن السرقات التي حدثت في المعرب الاقصى مما دعى الى محاربة العصابات بالتعاون مع فرنسا مما ادى الى خلافات بين القبائل الح دودية المغربية خيث نجو كان هناك قبائل بني خالد بقيادة محمد زعيمي ضد بني سناسن لان سناسن يريدوا الاطاحة بالحاج زعيمي و لكن المزاوير انضموا اليه و ساندوه فكانت النتيجة بزوغ المعركة في سيدي عياد.([2])

المطلب الثالث الثورةالاولى والرأسمال الإجتماعي

بعد حصار فرنسا للمنطقة الأساسية، لثورة قدور بن حمزة و سابقه سليمان بن حمزة، و ذلك بعد هزمها للمقاومة و فرضها شروط ا على الأهالي، و تحطيم ممتلكاتهم وتخريب بيوتهم ومصادرة بهائمهم إتجه زعماء الثورة إلى الشمال من السهوب الغربية إلى تلمسان ووجدة على الحدود المغر بية رغم الإنقسام الذي كان قائما بين الغرابة و الشراقة. رغم تفرق جماعة الثورة بين مؤيد للمواصلة و آخر رافض و آخر قد إستسلم، فإن القلق و المعارك واصلت مسارها عبر مناطق الحدود الجزائرية المغربية بين أولاد سيد الشيخ و فرنسا، مما خلق إضطراب في العلاقات المغربية الفرنسية و قلق بين العشائر القاطنة في ذلك من هنا نجد فرنسا دائما تبحث لإستمالة زعماء الثورة بالمناصب و الإمتيازات و لكنها وجدت خصما عنيفا في البعض من أولاد سيد الشيخ و لكن البعض قبل بالخضوع([3]).

لذا نجد أن قدور بن حمزة بعد إتفاق السلم الذي قرره مع فرنسا، ق د جمع ثواره و خيامه المتنقلة حول سبدو ومع بعض القبائل المجاورة للتهيء للحرب مرة أخرى، هكذا وقع القتال مع حامية الجنرال ملويز، **Meloise** يشارك معه بعض القومية من العرب جاءت من منطقة سعيدة حيث كان التركز عسكري قوي مستقر منذ عهد بعيد، وقد كان بعد قدوم الجيش ال فرنسي الهجوم على الثوار، في ما قورة عبر سيد

---

[1] –(–Voinot ;op cit.

[2] voinot ,in la revue africaine ,p133,n62,1878,in rapport du BA–6,du marnea MAGHNEA–p131

[3] –voinot ,article, in la rev.africaine n/ annee 1879 opcit –p71.

الجيلالي يوم 17 أفريل 1871([1])، بمشاركة الفرعين الغرابة و الشراقة، من جهة قدور بن حمزة ومن الغرابة ممثلا في الحاج العربي وسليمان بن الشيخ.

لذا استطاعت المقاومة مواجهة فرنسا و قواته المختلطة و انسحب كلا من القوتين ليجمع قواه ويدفن موتاه، ويجلب تموينه فوجدنا سي قدور يلتحق قرب واد ملوية في منطقة تفراتة لجمع الحبوب، رغم الهزيمة التي تلقاها زعماء المقاومة وفقدوا حاولوا جمع جيش آخر و إعادة المواجهة، حيث قبائل وجدة بالمغرب قريبة من الثورة و عناصرها، مما أخاف فرنسا حيث أثا ر الصراع، مخاوف السكان المسالمون و جعلهم يهربون إلى الجبال الابتعاد عن مواقع الحرب في حلقة تلمسان و عمالة وجدة، مما جعل سلطان المغرب متذمر، عن عداوة أولاد سيد الشيخ لفرنسا، مما جعله أصدارا للمخزن لأمر سي قدور و جنوده الإبتعاد عن المنطقة المغربية، كما أمر البحث عن أبناء سي الشيخ بن الطيب ([2])، لأنه يريد السلم مع فرنسا التي هددته كثيرا، مما خلق التفرقة بين الفرعين من القبيلة ‘والمنطقة ‘ ما ترك قبائل بني سنا سن يتراجعوا عن الثورة و يقتربوا لفرنسا، ويمنعوا دخول أولاد سيد الشيخ أسواقهم.

وفي سنة 1871 جانفي، أصبح البعض من القياد الذين عينتهم فرنسا لتسيير أمور الأهالي، يع يون عن القلق لذا وجدنا فيه زعيم بني سناسن محمد ولد البشير ‘حيث قد أبدى تراجعا عن مواقفه، في منطقة نمور ومعه عشيرته، في حين توجه بوعزه ولد العربي، إلى قوافل وخيام أولاد سيد الشيخ ليتعاون لمقاومة الإستعمار، رغم أنه فشل سنة 1867 عبر الحدود مع المغرب. لذا وجد قرب حدود الجزائر، في الطريفة خيام المقاومة ومعها قبائل بني بوياحي، أولاد سلتوت وسجعة، في حين كانت قبيلة بني سناسن في فوضى وتناحر، تبعا لعدم الموافقة على رأى واحد ([3])، حيث تواجد هناك من يناصر المقاومة ومن هو عدو ذلك، رغم قبضة محمد ولد البشير على اهله منهم . إلا أن الحدث العالمي لمعاهدة فرانكفوت بين ألمانيا و فرنسا ظهرت لتفتح مجالات للسياسة الدولية و التوسع الكولونيالي .

في هذه الاجواء ، كان سي قدور متهيأ لمعركة رغم مساومة فرنسا، حيث وجد مشاركة الغراب ة له في الثورة عاملا ايجابيا و لفرعي القبيلة التي شهدت العديد من الصراعات ‘ سي قدور يتعاون مع سي

---

1 – Op cit. p 72.

2 – Op cit. p73/72.

3 – VOINOT . opcit. P65.

معمر بن الشيخ، في مواجهة أخرى ([1]).رغم قلق الملك المغربي من هذه الوضعية، في سنة 1870 سبتمبر، طلب سي قدور مساعده عامل بني سناسن، المشاركة في المقاومة، فرفض العا مل ذلك حيث أرجع ولد البشير الأمر لسلطان المغرب.

رغم أن هذه القبيلة كانت قوية في المنطقة ما يؤكده ضابط حلقة مغنية التي كان جزء منها تابع لعمالة المغرب، وحيث كان موقف ولد البشير، عامل بني سناسن، مضطر بين الثورة و الخضوع لفرنسا، بينما كان هو يتربص للأحوال الدولية. و اخيرا جاءت نهاية ديسمبر 1870، حين بدأت انتفاضة كبرى في المنطقة . إستطاعت فرنسا بقصل بعثة ويمب فن **wumpifen** أن تحكم قبضتها على المنطقة الشمالية الغربية من الجزائر و بالقرب من الحدود المغربية، و لكن صعود سي قدور وسي معمر سي الشيخ إلى المنطقة لم يترك لفرنسا راحة النوم الهادئ، حيث كان قبول سي قدور لدى حميان ورقة رابحة لخوض معارك في العريشة و سبدو و مغنية و تلمسان، وهذا لم يبعد القبائل المغربية الحدودية لمساندة الثورة رغم معارضة البعض لآخر.

في حين كان سي قدور مناهضا للإستعمار، من جنوب الجزائر الشرقي إلى شمالها الغربي، نجد سي الشيخ بن الطيب زعيم الغرابة، قد تقرب من فرنسا و هادن الوضع و مات في 15 جويلية 1870. هكذا قاد الغرابة بعده– سي معمر ولده، أي معمر بن الشيخ، بينما كان إبن عمه سليمان بن قد ور متواطئا منذ 1868 و عينته آغا على حميان.حسب فوانو . بينما على حدود المغرب، نجد بني سناس ن يقودها محمد ولد البشير اما وجدة فكان يقودها علي ولد رمضان كزعماء للآهالي، ولكنهم يبدو عليهم التواطؤ، بينما نجد عامل الملك بوشتة بن بغدادي يظهر عداوة ضد الإقتراب الفرنسي.

لقد كان يقود الثورة في المرحلة، وهذه المنطقة سي الشيخ بن الطيب، وحلفة ابنه معمر بن الشيخ عام 1870 وقتل عام 1874. سي سليمان بن قدور وهو سي الشيخ بن الطيب رغم أنه منافسا للشراقة فإن تعاون معهم مرحلة ثم تواطؤ، كما شارك ضد الحميان عام 1870 وحصل على أغوية حميان. لقد كانت معركة ماقورة، و معركة نفيس صرخا با رزا في التوسع الثوري، فكانت ماقورة بين بلعباس و تلمسان، بينما كانت نفيس في جبال المالحة على الشط الشرقي وواد ملوية([2].).

---

[1] Op cit. p65.

[2]– ابراهيم مياسي، قضايا من تايخ الجزائر المعاصر، نفس المرجع، ص155.

ورغم أن سليمان بن قدور كان مقاوما مجاهدا بين 1867 إلا أنه استسلم لفرنسا 1868 حيث حصل على منصب آغا البيض، وأصبح مكلفا بضرب الثورة في م ناطق القصور (الشلالة ، عسلة، القام، نيوت ...)، و كانت معركة أم الدبداب دليلا على تواطؤه، عام 1869 حيث إنتظر العدد على المجاهدين، لأن أنصاره الذين عملوا مع الثورة، إنسحبوا و اتجهوا إلى المغرب ([1])، مما جعل قدور ولد حمزة ينهزم مع ثواره.

هذا المقاوم خلف سي أحمد و لد حمزة، و استطاع قيادة الثورة، رغم ان إخوته رفضوا ذلك بحجة انه من أم سوداء و ليس له الحق في الميراث، لكنه وجد المساعدة من طرف سي لعلى وسي الزوبير . وإثر هذه الصراعات على الزعامة والتي كانت قائمة بين فرع الشراقة و الغرابة، فإن فرنسا لم تلغ الطرف عن المرتقة و ثوارها، حيث خطورة الموقع الحدودي مع المغرب و حيث إختلاط العشائر و القبائل القاطنة هناك، كما تعتبر منطقة عبور القوافل الجزائرية ، الفرنسية القادمة من المغرب و بريطانيا و اسبانيا عبر جبل طارق و سبتة و مليلة .

في هذه المرحلة عام 1871 إلتحق الفرعان ببعضهما حيث شكلا تجمعا موحدا، مرة أخرى و لكن بدون توحد سياسي منضبط، من هنا طلبت فرنسا من قبائل بني بوسعيد مراقبة هؤلاء، ففشل قائدهم في ذلك نظرا لغياب الفرسان و البهائم ([2])، وكان ذلك يوم 16 مارس زمن ربيعي معتدل . ولكن الأمر لم يطول في الإستقرار، حيث قام الحاج العربي بالهجوم على بعض القبائل التي كانت متواطئة مع فرنسا، في الأرض المغربية فدخلوا على بعض منهم مثل جاولة أولاد عباس لأنقاد، بني حمدون' بني حمليل وهم بذلك فرعين 'جزائري و مغربي ' ولكن توعد شيخ أنجاد، من خلال اعلانه بمعاقبة السلطان المغربي لهم، جعل ان الحاج العربي يمسك غنائمه عنهم تلك عن القبائل كلها التي دخل عليها .

وقد كان يرى من ذلك أنهم تعاونوا مع قبيلة سيدي أحمد بن ميلود وهم فرع من أولاد نهار، بحيث كانوا متأمرين مع الإستعمار ([3])، لذا وجدنا سي معمر بن الشيخ، يهجم عليهم عبر منطقة بني بوسعيد بمساعدة أولاد عباس و أنقاد، كما هجم على البراكنة بفرقة أخرى و أخرى مع سي بوشتة في قار دوبان، حيث حدثت معركة سيدي زاهر التي قتل فيها الزعيم مزيان بن أحمد بالرصاص وأربعة رجال،

---

[1]– ابراهيم مياسي، نفس المرجع، ص156.

[2] – Voinot. Op cit p66.

[3]) – Op cit 67.

وتم أخذ بعض القطيع من البهائم ، و بعدها توجه المقاومون الى مغنية، حيث أولاد قدور الذين ينتم ون الى بني واسين، حيث قتلوا الحارس و أخذوا 6 رجال كما دخلوا دوار مسيردة، فلم يخربوا ،سوى بعض الأواني بعد شربهم الحليب لذا لجأ بني واسين إلى الجبال المجاورة هروبا من حركة المقاومة المتوسعة، و لما علمت فرنسا، التحقت بجيش قوي لمحاصرة المجاهدين، وجدت 4 فرق من صبايحية، ولكنهم فشلوا في المواجهة ولكنها زارت المنكوبين بينما اعلم عامل و جدة على ولد رمضان، به قائد بني واسين بأن المقاومة تتجه نحو أولاد احمد بن ميلود، و ثم نحو بنى بوسعيد ، فالتحق القائد هذا، بهم ليستعيد 3 جمال تم أخذها عن أولاد قدور .

لقد كان هجوم المقاومة على بعض الهياكل ، لطرد بعض العملاء و ترويضهم على المقاومة ، و لكن القبائل الهادئة تفاجات واستنفرت ، لأن المنطقة الآهلة بقوم أولاد واسين ، في نمور ، هي منطقة سهلية فلاحية ولا يمكنهم الهجرة عنها ، و يجاورهم بني عشاش حيث صار بينهم خلاف و أصبح كل طرف يطلب ابتعاد الأخر عنه . و كانت الجبال محاصرة أيضا لهم ، في حين كانت بني سناس ن في صراع بين المقاومة و قبول المشاركة مع فرنسا في الحكم ، و حيث ال عمل المغربي لوجدة متدمر من فرنسا وحتى المقاومة , أما حلقة سيدو و و تم السيطرة عليها ببعت فرق عسكرية من تلمسان ([1]).وبذلك قد هددت المقاومة قبائل المنطقة من التعاون مع فرنسا . كما هددت العمل المغربي و لكنه لم يستخوف الامر بل حاول اقناع المقاومة بعدم التعرض لقبيلة أنجاد .من هنا استطاع الحاج العربي التخييم في عقلة سدرة في حلقة مغنية كما سبقها اقامة في طيولى بعد معركة بني بوسعيد .

في حين نجد قبائل بني يعلى ، تهجر إلى الجبال هروبا ، من المعارك أو الهجومات رغم انها تجري في المنطقة المغربية في 26 مارس يلتحق سي معمر بن الشيخ و سي الحاج العربي و ينضموا الى سي قدور بن حمزه زعيم الشراقة . في خمق الهدة ([2]) حيث أصبح الخطر يهدد فرنسا على كامل منطقة سيدو و مغنية و الحدود المغربية حيث أدى ذلك الى طلب فرق عسكرية للجيش الفرنسي و من يساعده من العشائر في القومية و الصيايحية . لقد كانت فرنسا ، دائما تقوم بأعمال من قبيل الحماية المناطق المساندة لها ، و بهذا قامت بضرب القبائل التي ت ساند المقاومة منذ عهد الأخير ، حتى و لو كانت

---

[1])–voinot –opcit –p 69

[2]–) – Voinot opcit p 70

مهادنة . لذا نجدها عام 1870 تحاصر قبائل ، بني قير ، و عين شعير في المغرب لأنها ساندت وآوت قبائل أولاد سيد الشيخ و ذلك من 29 مارس حتى 7 ماي 1870 بينما لم تمس قبيلة بني سناس ن لان زعيمها قد أنسهم سلما . و في هذه المرحلة تقوم حرب بني فرنسا و ألمانيا ، حيث اثرت على سياسة فرنسا في المنطقة و نشاط المقاومة . لقد كانت لمقاومة، شديدة الأثر، في هذه الأيام و حيث كانت قبائل عديدة تتحرك ، بين مدوجزر ، مع الثورة و ضدها ، و ان الخوف العظيم ما هو سوى الفزع من وحشية فرنسا و قوة سلاحها و ليس أكثر من ذلك فك ل قبائل الجزائر و المغرب كانت مع محاربة الاستعمار ومع دعم الثوار .

فقد كانت قبيلة أولاد سيد احمد بن ميلود متعايشة في المغرب ، في وجدة مع قبيلة بني بوحمدون ، و لكن أحداث تواصل التوسع الاستعماري ، و التهديدات ضد المغرب و ا لمقاومة أدى بهم الى الرجوع الى مناطقهم الأولى مع أولاد نهار في العريشة و س بدو و جوارها ([1]) و هذا يعكس شيء آخر ، غير الاستعمار ، وهوتحفظ و تدمر مرابط وجدة من وجودهم بزاوية إلى جانب زوايته , في حين نلاحظ حركة لم تقف حدها ، بل واصلت حتى ضد القبائل المسانده لفرنسا في إطار بنفس الطريقة ، حيث نجد هجوم سي معمر على بني بوسعيد ([2])، و كان للترهيب و التقرب للمقاومة أكثر من الارتقام ، لأنه مهما كان مستوى التقاتل مع الإخوة الأعداء فلن يصل إلى معارك إجرامية و تحطيمية , كما تم هجوم على قبيلة بوسعيد ، اتجه سي معمر نحو أولاد عباس و منها الى سيدي زاهر بفضل إرشاد من طرف دليل من أولاد عباس ([3])، بينما كان الحاج العربي ، يحضر لضرب القبائل المساندة لفرنسا في لأرض المغربية الحدودية ، و هذا ما أعلم به رسميا عامل وجدة بذلك ، حين كان في عقلة سدرة جوار وجدة ، حيث نجد سي معمر ، و سي الحاج العربي يخيمون قرب وجدة ، في بعد مسافة عن الجنود في خطة منهجية لدراسة الوضع . و اثر هذا الوضع نجد بني يعلي يهربون إلى الجبال خوفا من الهجوم عليهم .

و الملاحظ حسب شهادة من أولاد بن احمد بن ميلود ، ان زعيم بني سناسن كان حذراً و منها لقبيلة انجاد و في مساندتهم للحاج العربي و بني معمر ضد بني سعيد و بني يعلي و غيرهم حيث احتجاج

---

[1]) Voinot op cit p 99

[2]) Op cit–p100 . –

[3] –, opcit –p 101

البشير من بني سناسي ضد الهجوم([1]).لقد كان للوجود الاستعماري في المنطقة الحدودية خطرا قويا على الاستعمار و المقاومة حيث تجذر التجمعات السكانية و ارتياحها التاريخي ، جعل المس بتلك ا لظواهر لعب بالنار ، مما جعل الاستعمار يلجأ إلى معاهدة لا مغنية للكسب و المعاهدة مع المغرب و ضرب المقاومة الجزائرية ، لذا كان لهذه المقاومة نتائج خطيرة على الاستعمار و اخرت استقراره ، و كانت سببا في جعل بعض القبائل ضحية همجية و وحشية استعمارية و خاصة تخريب الفلاحة و مصادرة البهائم و الأملاك و قتل شباب القبائل المشاركة في المقاومة ، كما كانت المقاومة للجنو ب الغربي التي ضربت إلى مناطق مغنية و وجدة ، سببا في اضطراب العلاقات الأوربية و خاصة بريطانيا _ فرنسا ، و اسبانيا فرنسا وخاصة سنة 1870 ما حدث من اتفاقيات مثل معاهدة 1880 من مدريد([2]).

---

[1]– voinot , opcit –p101

[2]– Sari, dj,opcit –p158/159

الفصل الثاني أنتروبولوجية الظواهر وأحداث مقاومة بوعمامة

المبحث الأول تعريف بشخصية ومحيط بوعمامة:

المطلب الأول تعريف

هو بوعمامة بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن براهيم بن التاج بن عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة .ولد سنة 1833 في ناحية بني ونيف، وقد كبر وتعلم على يد سيدي محمد عبد الرحمن، فخدمه، وتعلم منه كافة العلوم وخاصة الدينية والشاذلية التي كبر في أحضانها ووجدها لدى جدوده.وكان غالب التنقل بين فقيق بالمغرب وبني ونيف ووجدة، كما تنقل أثناء ثورته شمالا وغربا وجنوبا في الجزائر بين 1884-1904.ويحكى أن آخر أيامه، أن فرنسا بعد رجوعه من دلدول، وعند موقع مزاريف، وصلته هدية من فرنسا من الحرير والكتان ولكن الشيخ حرقها ورحل ونزل أهل سيدي بوثعاب في الزعفراني وزاد ترحالا حتى مات في سيدي ماخوخ –عين سيدي ملوك – قرب وجدة في عام 1906 في أكتوبر 1323هـ في 12 رمضان (17 أكتوبر) 1906([1]).

لقد كان تأسيس زاوية خاصة للشيخ عام 1878 عملا دينيا وثقافيا ، اجتماعيا ،وذالك بعدما اقامته في مغرار منذ 1874 بعد قدومه اليها في تلك السنة ‘و الهدف تجنيد ثوري للشعب ‘ كما هو معروف سابقا، ولكن كان مركزا سياسيا وثوريا لاحقا ، يهدد مراكز القوى الاستعمارية ، في كل المناطق الجوارية عبر كل الاتجاهات المتناظرة ، كما كان يعترف قائد الجيش الفرنسي لكافة الغاضبين ([2]) أي الأهالي الذين فقدوا حقوقهم وتشردت عائلاتهم وقتل أبنائهم إثن اء الثورة 1864 وبعدها ، وما خلقته من عملاء لها للسيطرة على المواطنين مثلما كان البعض ([3]) وحتى من داخل الثورة .

المطلب الثاني الرأسمال التراكمي

1- جذور الذاكرة

هو نسق و اطار ثوري متشابك رغم أن السيادة العثمانية كانت شبه معدمة في المنطقة إلا أن ممثليها من أبناء القبيلة كانوا واسطة للداي في العاصمة وذلك لجمع الضرائب و و الغرامات ، فالحكم المحلي

---

[1])-خليفي عبد القادر، خليفي،أ، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ،ط1،د م ج الجزائر. 2010 ، ص157.

[2] SARI .DJ.OPCIT.P83p

[3] SARI .DJ.OPCIT.P83p

القبلي كان هو الغالب الفاصل في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها مع أن البعض من أبناء القبيلة كانوا أغوات عند الداي وقد شارك أبناء القبيلة في ثورة الأمير في عاصمته ومعسكر وهران ، بقيادة القائد فندي الشيخي ، الذي كان قائدا لجنود الأمير ومدربهم وقاد معهم عدة معارك في تلول الغرب الجزائري .

كما شاركوا معه في ثورة ضد شيخ التيجانية بقيادة الأمير في عين ماضي ، وكما شاركوا معه في ثورة صد فرنسا لما لاحقته حتى منطقة الأبيض سيدي الشيخ و البيض ، وحسب طلب المساعدة و التحضير لثورة مضادة .كما كان لهم الدور في نجاح قواته في حدود الغرب ومعاونته له عبر حدود المغرب وكانت معاهدة لالا مغنية 1845 علامة على ذلك الأثر ، والتي فوضت علاقة فرنسا بالمغرب ، وأخرت احتلاله.و وضعت رسما للحدود المغربية الجزائرية .

2- الرأسمال الاجتماعي قوى روحية

إن البعض من الأدارسة ، قد أسسوا بالمغرب الأقصى مملكة و قوة ،وزادهم فخرا و اعتزازا بتقربهم الى البربرفي البلاد . ولجأ بعضهم إلى جبال راشد في الجزائر وهي جبال عمور اليوم كما سبق وه ي تقع في جبل لعمور و راشد حيث تتركز تجمعات من بني هلال وبن ي عامر وزناته . وذلك بعد نزاع العائلة الملكية، ومنها نكتشف أن سيدي موسى الذي كان من أوائل الأداريسة الذين نزلوا الجزائر ، قد استقر في صفيصفة نهاية القرن 15 وعاش مع الزناتة في ذلك وكان معهم أحفاد سيدي عبد الرحمن الودغيري . كما أضاف التراث الصوفي لسيدي سليمان بن بوسماحة في توات والمكانة العلمية و الرمزيات الصوفية للجد سيدي معمر و خصامه مع سلطان تونس سيدي محرز الذي هو اخوه من الرضاع حسب بعض المصادر . وثم تكوين عائلة مشتركة مع أولاد نهار و المجاذبة ، ابناء أخ سيدي الشيخ ،الذي سيدي احمد المجذوب .و تراث الربط السياسي بين الأتراك و السلطة العلوية في المغرب . و التضامن و التكاتف البربري الإسلامي في كل المنطقة .

لذلك نجد أن –جد أولاد نهار– سيدي يحي بن عبد الرحمن قد تربى على يد أمه لالا صفية بين أخواله صمت تلقى التعليم وطرق التصوف لأن أباه تركه صقلا صغيرا جعلت جده يتكفل به ، وهذا الذي ينتمي إلى النسب الإدريسي([1]) عبر أبيه سيدي عبد الرحمن الذي عاش صفيصيفة في القرن 14 ويتكلم

---

[1]) –لأن جدهم لأول معركة عند الواد ، أو أن المعركة دامت نهارا واحدا–

عنه يحي بن خلدون عند مرور أبي حمو موسى الثاني السلطان الزياني بالمنطقة . وقد كان جده محم د بن أبي العطا مستقرا في جبال العمور حيث يوجد قبره خاصة لأولاد نهار في القرية وفيه قبر لالا صفية وقبر سي موسى وقبر محمد بن عبد الرحمن إلى جانبه فهم كلهم نسب أولاد نهار الذين شمو على ذلك نسبة إلى كلمة نهر وربما نهار ([1])، حيث كانت عدوه واصل المهاجم ، واصل بن الزمري ، وكان نهارا مشهورا .وقد تعلم سيدي يحي مع سيدي الشيخ الذي يعتبر إبن خاله في فقيق عند سي عبد الرحمن الغربي ، قعد هناك يعلم القرآن ، ثم توجه إلى ..... تلمسان حيث أسس زاوية ، بينما رجع إبن خاله سيدي الشيخ إلى الشلالة ليواصل التعليم ويقود الزاوية مؤق تا ثم يتنقل إلى الأبيض سيدي الشيخ حيث يؤسس زاوية خاصة. لقد كان سيدي يحي متوجها إلى إقليم أعمامة في سبدو بينما ترك أمه عند أخواله في صفيصيفة ، وتيوت ، حيث إبنها موسى وبنيت له قبة من طرف أحلاف تيوت.

وقد ماتت لالا صفية حوالي 1588 وقد دفنت أولا في صفيصيفة ثم نقلها أحلاف تيوت قوة غلى تيوت غرب القصر ، غير بعيد عن مكان قير إبنها موسى . لذا نجد أن عائلة سيدي يحي إشتهرت أكثر على أعمامه أو إخوته وبعدها نجد أن أبناء فيما بعده ، قد إتجهوا نحو الجنوب إلى أخوالهم لحاجة الدراسة والرعي ، وخاصة إبنه محمد والزاير([2])رغم أننا نلاحظ مولد سيدي يحي أخواه أمحمد وموسى ، وبعدها قليلا مات سيدي سليمان ، وترك الأبناء الثلاثة ، وأمهم لدى أخوالهم وجدهم سيدي سليمان الذي توفي عام حوالي1539 ، أي بعد عامين من وفاة أبيهم ، حيث دفنوا ربما في قصر تيوت([3]).

لذالك تجمعت القوى الروحية و العلمية و الصوفية لخلق قوى أخرى من للثورة و المقاومة التي سوف يقودها أبناء المنطقة من بربر وعرب و جميع القبائل المجاورة .لذا تكوم دافع للردع و المجابهة و التثوير لدى كل سكان المنطقة وكل الخدام و لك الأصدقاء و كل المتاجرين مع هذه القبائل و المتعاملين معهم من أجل الثورة ومحاربة المحتل .من تيوت الى تلمسان ومن مغرار الى عين صالح ومن الأبيض الى تيارت ومنها الى الى المغرب .

-3 - المرجعية الصوفية

---

[1])-الجيلالي بن عبد الحكم م س و بن عمارة م س

[2])--بن عمارة ، مرجع سابق، ص94

[3])-نفس المرجع، ص95 -

من ذلك كان لأميروثورته و الشيخية في مدوناتهم متشبعة بالنفس الصوفي القادري ولكن الشيحية انتمت واحتضنت إلى الصف الشاذلي ([1]) حيث وجدت قريبة من هذا الفضاء جغرافيا وعلميا، فكان إتصال سيدي أحمد بن يوسف المليانى إلى المنطقة بادرة الدعوة إلى ذلك تأسيس مركزا لها، في عهد سيدي محمد بن سليمان وأحفاده وخاصة أن سيدي معمر بلعالية كان في تونس حيث نسود تلك الطريقة أكثر، ولكنه حين وصل إلى أربوات([2]) وجد أحد العلماء، وهو سيدي بودخيل يعمل بالطريقة القادرية قبله وذلك في القرن 14م ولكن الأسطورة تقول أن سيدي الشيخ بعد وصوله، وإقامته جاءه في الرؤيا سيدي عبد القادر الجيلاني وأمره أن يفرق إسمه عن اسمه لأنه كان يسمى (عبد القدر) قبل سيدي الشيخ، وذلك في حادثة انقاذ الطفل من البئر . كما ترجع الى كاريزمية سيدي بن يوسف المليانى وروحانية سيدي بومدين و أقطاب الصوفي المعلن اسماءهم كسلسلة مشيخية للجد سيدي الشيخ .

لذلك جمعت الشيخية بين الشاذلية و الطريقة القادرية من خلال المبادئ ة والممارسات و ذلك ما توضح من علاقة التواد الديني الذي يدعوه الإسلام طبق المبادئ الواحدة رغم المناوشات التي حدثت بين سيدي أمعمر والطريقة القادرية عند سيدي بودخيل، فقد تم الزواج ([3]) بين أحفاد كل منهما وتم مقامات لسيدي عبد القادر في كل مناطق الطريقة الشيخية عرفانا وتقديرا، وتم ترحال أحفاد سيدي بودخيل إلى عين الصفراء في 1408([4]) لينشروا القادرية أكثر وبنوا قصرا هناك بعد ترحاب المنطقة بهم، وكان في حوالي 125 سنة قبل مولد سيدي الشيخ حيث كانت هناك صراعات ومناوشات .كما بقي الاتصال الديني والدعوى رغم بعض الخلافات في منطقة عسلة وعين الصفراء، في حين تم هجرة البعض إلى المغرب الأقصى من أبناء سيدي بودخيل في القرن 18م. وكان منهم البوتشيشي، نحو تلمسان والمغرب الأقصى، كما بقى الود والولاء رغم اختلاف الطريقتين من خلال حفظ أذكار القادرية وزيارة الزاوية لها والوعدة لها . وكان ذلك ما وطد التوا صل و العمل و الحيوية و الرفعة و تثوير الشعب في كل المنطقة.

المبحث الثاني مجريات ومراحل الثورة

المطلب الأول ألية الإستعداد للثورة

1- خليفي، م س، ص 90.

2- أربوات: قرية قرب الأبيض سيدي الشيخ.

3- زواج سيدي أحمد المجدوب عم سيدي الشيخ من أبنائه سيدي بودخيل.

4- خليفي المرجع السابق، ص 97.

تبعا للعاطفة القومية والهوية الترابية بعيدة عن الهوس السياسي او تنظيم الدولة لانها مثار نزاع و خصام كما الأسلوب المنظم للعمل الديبلوماسي كان مرفوض ا من المبدأ . فقد بدأت المقاومة كفعل تواصلي و عشوائي وإندفاعي في بدايتها وبدون تنظيم .لأن المنطلق الأول هو لإخراج الإستعمار الكافر بكافة الطرق و لا نقاش في ذالك بدون مساومات ،وذلك و اضح من خلال التصريحات الأساسية لبوعمامة للمفاوضين ومبعوثي فرنسا .وهكذا تواصلت المقاومة حتى في الجنوب البعيد، في الهقار و توات بعد فشل ثورة أولاد سيد الشيخ الاولى التي كانت حاجزا قويا مانعا لأية عملية توغل في أعماق الصحراء، وهذا ما جعل التجمعات القريبة في الأبيض و المشرية عين الصفراء من الاندماج مع الثورة في مناطق غرداية و بشار كلها و أدرار حتى لا يتم المسح الاستعماري على المنطقة كاملة .

لذا وجدت استمرار ثورة أولاد سيد الشيخ على يد الشيخ بوعمامة التي تواصلت حتى 1904 وما يؤكد ذلك هجوم الشيخ بوعمامة و جيوشه سنة 1903 في ماي و أوت على قوافل عسكرية في تا غيت و الثانية في مقرار و الأولى كانت بـ 6000 جندي و الثانية بـ 200 جندي مما يعكس قوة الثورة و معنى رفض الشعب للاحتلال و ضخامة تضحياته . ونجد في الهقار أن المقاومة بدأت من 1880([1])، بعد قرب الهجومات و المعارك إلى المنطقة بعد أن كانت سالمة هنيئة، وهي توصلت ح تى بعد بداية القرن العشرين رغم قلة العدة والعتاد، وحيث كانت منطقة تواصل بين المغرب الأقصى من جهة و تمبكتو و طرابلس و غدامس و مصر تجاريا و سياحيا ودينياو ثقافيا وحتى احساسا بالوجود .

إن بداية الثورة عام 1881 وخاصة في بداية و منتصفه الثاني تؤكد على إستر اتيجية تورية خاضعة على أساس سياسة واجتماعية مرتبة ، حتى يتمكن الزعماء من ربط الأحزمة وتحضير الجيوش وتهيئة القبائل المرابطة في المنطقة للعمليات ، لذا نجحت الثورة في التل و الجنوب ، شرقا وغربا ، وتم جمع كثير من القبائل والجماعات للمقاومة الثورية كما كانت ق واعد نضال متطور في توات وغرداية ، مهيأة كاملا . رغم أن الاستعمار لم يسقط مرة واحدة ، بل كان يحضر لمرحلة غزو أخرى عبر سعيدة وتيارت ، وتخطيط هجمات في المناطق الحدودية مع المغرب وحتى داخله ، رغم أن بنود ([2])معاهدة 1845 تفرض شروطا على كل الأطراف في المنطقة إ لا أن الصدام الثوري مع الاستعمار الذي انطلق في المناطق القبلية للتوسع منذ ثورة الأمير ، فإنها تواصلت حتى مع ثورة أولاد سيدي الشيخ الأولى مرحلة 1864 حتى 1873 وهدأت بعد ذلك ولكنها تواصلت في مناطق أولاد نهار وإنجاد وبن سنوس

---

[1] – Sari (dj) l’insurrection de 1881-1882 sned &Alger 198-p49.

[2] SARI .DJ.OPCIT.P79

وغيرهم وبني واسين بين 1873 حتى 1879 في عمليات متفرقة حتى انطلقت ثورة بوعمامة.حيث ساهم الصلح و السلم و التفاهم بين القبائل سهل العودة للثورة .

في هذه المرحلة كانت بداية ثورة الإصلاح الإسلامي في مصر بقيادة الأفغاني ثم محمد عبده ، كما كانت الهجمة الانكليزية في لحظات إعلانها ، لأنها كانت تنت ظر اللحظة الحاسمة ، كما كانت فرنسا تحضر إعلانا لاستعمار تونس ، فكان اثر المقاومة في الجزائر يعرقل مسار الكولونيالي ، ويفشل مخططاتها ، فكانت ترى في ثورة الشيخ بوعمامة مجرد فوضى ، وان قيادات ثورته مجرد رجال غير شرفاء ولم يعملوا في الإدارة الاستعمارية ([1]).

إنما جعل الإدارة الفرنسية متحذرة ، وجد مجهزة بكل قواتها البشرية و المادية لعمليات الثورة الجديدة حيث جندت جنود ، القومية ، والصبايحية ، وزادت من مصادرة الأغنام و الحيوانات بهدف التجويع ، بالإضافة أن العام 1881 كان فترة قحط طبيعي كما كانت هناك صراعات قبلي ة داخلية بين الغرابة و الشراقة ، حيث ، فرقت بينهم معاهدة لالا مغنية عام 1845 فجعلت الشراقة من الجزائر أما الغرابة فهم مغاربة يحكمهم العرش الملكي ([2])حيث ساعد في تكوين تجمع قبلي وطرقي قوي بين زعماء شيخ بوعمامة وقبائل بني قيل ، وذوي منيع وخلق ذلك صلابة وحدة وعمل ثوري . كما ساهمت في ذلك مرحلة حياته في فقيق وما كسبه من علاقة مع العرب و الامازيغ ثم انتقاله إلى مغرار حيث تقرب أكثر إلى أصوله ، التي ترجع لاحد جدوده ، إبراهيم بن التاج ، حتى وصوله الى قلوب ، بني سميل في أولاد ميمون ([3]) شرق تلمسان وغرب بلعباس.. في هذا الإطار الثقافي السياسي اكتمل اللم للشيخ ، وحيث يتذكر ثورات أهله في ثورته الأولى لعام 1864 ومعاركهم القريبة في المنطقة بقيادة سليمان بن حمزة ومعركة عين ماضي عام 1869 في حين كان فرع الغرابة يستقوى بكل ذكاء من فاس والعائلة الشيخية.لكن مصطلح الجهاد، الذي أعلنه شيخ عارف بالقرآن وعلوم الدين، ليس بعيدا عن منال الأهالي، الذين اغلبهم في أمية ولكنهم يتحكمون في المفاهيم السلفية التراثية التي جمعت الأقوام و القبائل على التعايش السلمي والتعاوني في الحياة اليومية.و القضاء الجماعي .

---

[1] SARI .DJ.OPCIT80.P

[2] SARI .DJ.OPCIT.P81p

[3] SARI .DJ.OPCIT.P82p

هذا بينما كان شيوخ ثورة 1864 بقيادة سليمان سي لعلى ، اقل دراسة بعلوم الدين وثرائه الاصطلاحي وفلسفته ، وغلبت عليهم معاني العصرية و الدعوة السياسية الحديثة التي استفادة من خبرة إدارية استعمارية قبل الثورة لانهم عملوا مع مع فرنسا في بداية الاحتلال ولكن ذلك مجرد إستراتيجية للاستدراج ودراسة النوايا الكولونيالية .التي جعلت سي بوزيان القلعي ، قاطعا للطريق ، وقامت بأعدامه يوم 21 جويلية 1876 في سوق المحمدية، ما جعل الأهالي يقاطعون كافة مصالحه ([1]) لأنها كانت تثق فيه كمقاوم مع سي سليمان وسي لعلى عام 1864 في حوض مينا . لقد كان محمد بلخير ، الناطق الرسمي باسم الثورة بلغة شاعرية جذابة ، وكان معه مجاهدا مقاوما بكل قواه وأملاكه ، ومثلا لقبيلة مساعدة في الثورة ، فكانت تقيم بين البيض وبريزينة و الأبيض وهي قبيلة رزيقات فكان شاهدا ومؤرخا لذلك للتاريخ و الثورة و القيم و الجغرافيا .

إن الفعل التحضيري لم يكن فقط تهيئة مجموع القبائل والعشائر، ولكن خلق حركة استنفار ثوري وجمع الإمداد و الاعداد المادي للجنود المقاومين، ولم يكن الدين هو الوسيلة الوحيدة للدعوة والنشاط بل كانت الفعل الثوري المجسد. فقد كان تعرض القوافل التجارية الفرنسية التونسية من جهة تونس نحو الشرف و الوسط الجزائري ، الى هجمات وعمليات حصار لسلب المواد وتسليمها للمجاهدين وتقوية قوى الأنصار.فقد ساهمت بعض نشاطات الوطنيين في التل الوهراني وبني مزاب في ذلك بكل قوة ، وهذا ما يؤكد النشاط الثوري عبر كامل الوطن ، كما كانت عمليات في التل في تبسة أثا رت قوى ([2]) الاستعمار ومخططه المغلق بالتوزيع التجاري للمنطقة الجزائري بكل مناطقها لان الشعائر الإسلامية كانت تسن الحج من جهة إلى مكة ، والى القدس حتى كما أن الصوفية ، كانت في حياة تواصل دائم بين مشايخها رغم البعد ، من العراق والسودان ، حتى مصر وبسوريا ، وكانت الهجرة إلى تلك المناطق قديمة التاريخ.

المطلب الثاني الإطار التاريخي للثورة:

لم تعتبر ثورة الشيخ بوعمامة سوى مسيرة مكملة ‘كما عرفنا ‘لثورة بدأت منذ 1864 بدأته قبيلته الكبرى ، التي هي أولا سيد الشيخ مع القبائل المرابطة معها و المندمجة في تنظيمها . لقد فشلت فرنسا ثورة الأمير و المقراني ، كما فشلت ثورة اولاد سيد الشيخ‘ وقام الاحتلال إثرها على احتلال كافة الشمال بكل قوة ، ويبدأ من جديد ، وما تبعها من سياسة الأرض المحرقة وجرائم الحرق في الكهوف جماعيا ، إلا

---

[1] SARI .DJ.OPCIT.P84p

[2] SARI .DJ.OPCIT.P86

أنها كلما توغلت في الداخل إلا وجدت قوى رافضة ل ها ولوجودها في البلاد ، حيث تلقت ضربات في الاوراس سنة 1879ومقاومة ناصر بن شهرة في الأغواط و الجانب الشمالي لثورة اولآد سيدي الشيخ سنة 1864 التي واجهت الاستعمار في مناطق تيارت وسعيدة.حتى تلمسان و عين صالح . لقد أخرت توغله داخل البلاد قليلا وجعلت الشيخ بوعم امة يواصل الثورة منذ تحطيم وقتل عناصر قافلة فلاترز حيث كانت الأصابع موجهة أولا إلى عناصر الشيخ بوعمامة لذا كانت سياسة الاستعمار الاجتماعية التفكيكية و الاقتصادية الاستفزازية ، والثقافية و الاستلابية واضحة المعالم، حيث ظهر تطبيقها مباشرة بعد فشل المقاومة التي بدأت مبكرة في المنطقة.

لذا وجدنا البعض من الكولون يقتلون لأسباب بسيطة مثل التاجر دورنو ديبري، أو طرد بول سولايي في سنة 1874، حيث كان ممثل تجاري في تيدكلت، و حيث تم فشل فيكتور لارجو في 1875 في قطع طريق غدامس و قتل لأب 1879/1876 . ورغم محاولة تطمين الأهالي ببناء الطرق و جلب التجارة، و خاصة مشروع 1875 من طرف **Duponchel** بخلق طريق عابر للصحراء، إلا ان المقاومة تواصلت عبر كامل هذا الطريق في الجزائر الى توات ات و الهقار و تمبكتو حيث بدأ المشروع منذ 1879 بخطين، و حملة الأولى– وهران – عين الصفرا – مقرار– أدرار و الثاني العاصمة بسكرة و المنيعة وقد جاءت حملة فلاترز و فتحها لطريق جديد. نحو عين صالح .

ولكن هذا التوسع الذي أدعى الحضارية و التصنيع و المتاجرة اصطدم دائما بصدام عنيف من طرف السكان ضد الأجنبي حيث محاولة فلاترر الأولى و الثانية سنة 1880 باءت كل منهما بالفشل، حيث أن الثانية التي حدثت في 18 فيفري 1881 ([1])، ثم تم قتل كل أعضاء القافلة الإحتلالية الاستكشافية، وحيث لعب فيها ثوار الشيخ بوعمامة الدور الكبير، بعد أن كان لهم السبق في عين صالح و استماله المواطنين الثورة و بعد اطمئنان أهل المنيعة و توات إلى ثوار الشيخ و ما يؤكدها رسالة باشاغا فرندة الذي يؤكد علاقة عين صالح بالثورة في الجنوب الوهراني.

المطلب الثالث النشاط في مراحل

النشاط الأول:

إن مراحل وهي بداية من 22 أفريل 1881 بعد مقتل ضابط فرنسي في عين الحجل، حيث هناك علاقة مباشرة مع الجماعات القريبة من هناك، وكانت استنفارات حدثت قبل ذلك من ثوار بوعمامة، فكان

---

[1] – Sari (dj) opcit. P 50.

الإعلان الرسمي بعد التهيئة والتحضير فانطلقت المقاومة من مغرار التحتاني جنوب عين الصفراء، متجهة نحو البيض وشرقها، على خط أفقي لأن الاستعمار آنذاك لم يكن متوغلا في الجنوب الجزائري، رغم بعض الرحلات الاستكشافية والتبشيرية وقد جمع معه العشائر([1]) القريبة من المنطقة مثل ،الطرافي، والعمور وحميان وأولاد سيد الشيخ كجماعة مع الثورة الكبرى، بداية ،بعد اتصالات مكثفة ومشورة ثم توسعت مع كل الزعماء والشيوخ في المنطقة من برابر و رزيقات و شعانبة .وهذا كان في فترة لازال فيها الزعماء السابقون لأولاد سيدي الشيخ في الثوران، ومنهم سليمان بن قدور، وقدور بن حمزة وبن الأعلى.فحمل للثورة الطابع الديني الروحي أكثر من السابق وزاد من توسع المقاومة وجلب المقاومين.

لذا ظهرت قوة الثورة وتنظيمها الحربي بعد معركة تازينة بين البيض وعين الصفراء قرب الشلالة. فكان اللقاء مع جيش فرنسا المدعم بجيش إفريقيا وعملاء فرنسا الجزائر مثل تل الآغا صحراوي، والآغا قدور ولد عدة، وبعض من تيارت([2]) فكان اللقاء يوم 19 ماي 1881، وقد كان الاستشهاد هو المبدأ طبق روح الدين وحب الوطن . وكان نظامهم عصري في قادة وحدات، ومنهم حاملوا اللواء الديني ومنهم فرسان الدعم والرسائل والمئونة . فكان عدد الضحايا 60 فرنسا و 22 جريحا مما أدى إلى إينوسنتي ضابط المنطقة في سعيدة أن يستنجد ببعض السكان فوجد بعض الدعم([3]).

النشاط الثاني:

وهي رحلة تواصل الثورة، بدون تصادم مع فرنس ا فكانت الانطلاقة يوم 30 ماي إلى 21 جوان من الأبيض سيدي الشيخ إلى غابية بين فرندة ومعسكر .ورغم التناقض المحلي في المنطقة و ثتبات الإستعمار لأقدامه و تكون طبقات من الأعوان له إلا أن التمدد الثوري و التضامن القومي تكامل أكثر و حقق مناله بجدارة طبق الرأسمال الإ جتماعي المتراكم و الضمير الجمعي المترسخ في الذاكرة و المخيلة الجماعية.

النشاط الثالث:

انطلاقا من مشرية يوم 5 جويلية 1881 قاصدا فرندة وجوارها بعد تواطؤ بعض العشائر مع فرنسا، فكان عليه خوض الطريق من مشرية نحو الخيثر ثم سعيدة ثم فرندة .وقد ساعده الشيخ في هذه

---

[1]) عبد القادر خليفي، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة، ص62

[2])- نفس المرجع، ص 69.

[3])-خليفي عبد القادر، نفس المرجع، ص70.

الحركة عشائر المنطقة ،بعدد 400[1] فارق و 2500 من المشاة، فكان الشهداء مجرد شهيدين وجريحين، وكان الرجوع عبر مديريسة، البيض ثم مشرية .في حين كانت قوات فرنسا متفرجة أمام القوافل، سوى تصادم خفيف مع قوات الآغا صحراوي ثم انسحاب الشيخ وقواته خوفا من الحصار من طرفين.

النشاط الرابع:

وهي محاولات الثورة، حصار السكة الحديدية، وقطع المئون القادمة من وهران على قوات الجيش الفرنسي المتكون من طوابير ثابتة ومتنقلة، مع العلم أنه منذ بداية الثورة سنة 1881 تم وضع قاعدة عسكرية كبيرة متحكمة في كل منطقة لكي يتم القضاء على الثورة.حيث كان الثوار في حالة هيجان وخاصة من عشيرة العمور، القريبة من الثكنة . بينما انطلق ضباط فرنسا بقيلادةتيقري بتفجير قبة سيدي الشيخ بين 15 و16 أوت وحرق القرية ([2]).لقد كلف الأمير عبد القادر، زعماء ولاد سيدي الشيخ بدعوة القبول للمشاركة ، لتبني الثورة والجهاد في عهد ثورته قبل استسلامه عام 1847، وقد لقي الأمير كامل الاستجابة والقبول والمساندة [3].لقد قام الأعيان بالمهمة، كما قاموا بمساندة الثورة في المرحلة الأولى وشاركوه بجيش من الفرسان ولكن كان الرفض في الطلب الثاني بعد زمن من الإستقواءالإستعماري.

وقد كانت المنطقة الحدودية الجنوبية الغربية بين الجزائر والمغرب موقع ثوران وهجومات على القوات الفرنسية مما دفع فرنسا إلى فرض سياسة خاصة في المنطقة حتى احتلال بشار وجنوبه، تلك البؤرة التي بدأت منذ ثورة اولاد سيدي الشيخ الأول سنة 1864.وكان من نتائجها تهديدات الاستعمار ل لمغرب، وتعرض الشيخ بوعمامة لمحاولة حبس، وعدم سماح إقامته فيها([4]).وا لنتيجة الكبرى إقامة قاعدة عسكرية في عين الصفراء، تم إنشاء مركز إداري فيها .أما المشاركة الموحدة بين الجزائر والمغرب، فكانت معركة تيفري عام 1882 جنوب المغرب، ضد الاحتلال الذي ادعى المسح الطب وغرافي والجغرافي للمنطقة، فواصل المسح حتى التشاد وهو متنقلا على الخيول.

المبحث الثاني المسار الاجتماعي و السياسي للثورة

المطلب الأول الرد الثوري البنائي من المحيط القرابي

---

[1])- نفس المرجع، ص78.

[2])-المرجع السابق، ص80.

[3])- خليفي عبد القادر، نفس المرجع، ص89.

[4])- نفس المرجع، ص89.

إستطاع مجاهدو بوعمامة أن يتحركوا بقوة ، أمام تفسير الإستراتيجية الفرنسية ، إلا أن المهم كاد توسع و توغل بوعمامة وجنوده السيطرة على تيارت وشمال الاغواط ، وانطلاقا من مقرار وجماعة الشلالة وغيرها ، رغم قلة توثيق الأحداث سوى ماكتبه ، كتاب فرنسا و الذي غالبا لا يخفي الحقيقة . إن البحث في مذكرات و تقارير الجنرال قرول ([1])واينوسنتي ، توضح أحداث المعارك والظروف التي سادت ضد التوسع الكولونيالي ، والذي لم يقم بهجومات في تلك الأيام وإنما كان هادئا في إطار خطة بعيدة المدى ، ولكن الشيخ بوعمامة ومجاهدوه ، قاموا بالاستنفار قبلا ' لان توقعاتهم بهجوم مقبل كانت منتظرة لان الثورة كانت مهيأة في الشلالة وعين الصفراء وعسلة ومشرية وبني ونيف كانت بؤرة افسدت الخريطة الاستعمارية التي دخلت الاغواط جنوبا شرقا وحاصرت الشمال في تلمسان وجنوبها.

فالتصادم الأول الذي حدث بين افريل وبداية جوان أكد بطولة المجاهدين وقدرتهم على اهوال المواجهة ، حيث حدث ذلك قبيل حصد المحاصيل خاصة من الحبوب ، وبعد قيام الجواسيس من الثوار بمعرفة الظروف وتحركات فرنسا ، وتبليغ بقبائل المساندة للثورة وتجنيد ثوار جدد ، هذا الفعل الذي أدى محاولات القبض على المبعوثين ، وبالتالي نشوء خصامات وصدامات حول ال موضوع في مناطق فرندة خاصة من الرافضين للثورة ، وأما في دوار الجرامنة من أولاد زياد الشراقة ، حيث تم قتل الضابط الفرنسي **weinbremer** في 21 افريل الذي حاول القبض على الثوار ([2]). أطراف التعاون مع فرنسا مثل آغا فرندة ، وقايد سعيدة وقايد الأحرار ، فقد جندوا فرق القومية من سعيدة نحو الشط لاتجاه البيض ، مجندا عناصر من قبيلة الطرافي بالتهديد 'وتواصلت الهجمة نحو قواعد بوعمامة ، فتلقت جيوش القومية العربية المسلمة المتواصلة في صفيصيفة ، فإنسحب قيادها.

ومن هنا بدأ التهيؤ الاجتماعي والاقتصاد للثوار ، بإعلامهم العائلا ت القيام بلاحتياط وخزن المؤون وموؤن لدعم التحركات الثوار لكي يتم تزويدهم ، أما فرنسا فأخذت استراحة لإعادة ضبط الاتصال وتقوية الصفوف ومعرفة نشاطات المقاومة .من هنا بدأت حرب رقسية ، يقودها المكتب العربي في البيض بعد مقتل رئيسها ، في حين أتم مبعوثي بوعمامة نشاطهم ولكن فرنسا كانت تضرب في العمق

---

[1] SARI .DJ.OPCIT.P 92p

[2] SARI .DJ.OPCIT.P 92

السوسيولوجي والثقافي للجزائري ، حين جندت حتى قضاة الإسلام والأئمة الموظفين لديها لردع الثورة وتحريض المواطنين على المقاومة ([1]) .

لذا كان اللجوء إلى إصدار فتوى ضد المقاومون ، أمرا واقعا من طرف فرنسا من مركز المنطقة في البيض ، حيث المكتب العربي فكان القاضي عطاء الله فهو المعين لذلك ، فكان الرد أكثر مشابهة ، فقام الشاعر محمد بلخير بالرد الشفهي السلمي المعاكس للأمر السلمي الذي بادرت به فرنسا فقدم أمام المجاهدين وبوعمامة قصيدة ، يذم فرنسا ويسخر من عطاء الله ، ويدعوا إلى المقاومة أما عطاء الله فقد أثنى عن الطلب ، وذهب إلى الحج ، ومنها لاجئا ومات في مكة بعدها بقليل . لذا كانت هذه الحركة تتصف بالمهدية أو التبشيرية بدعوى إلهية صوفية تتصف بالمعجزات الخارقة لذا نجد صاري يقول ([2]) " هذه الحركة يمكن وصفها بالمهدية **messianique** " كما تؤشر لها الأبيات الأربعة الأولى في قصيدة الشاعر بلخير ..." حيث كان للمجاهدين طموحات أصولية ثابتة تؤكد الأرض والهوية والوعى الذاتي والاختلاف حيث نجاح الثورة زاد من هول الأمر.

وقد استطاع الثوار فرض قيمتهم من معركة الشلالة حيث يؤكدها ضباط الاستعمار مث ل اينوسنتي وقرول وتقرير 10 فيفري 1882 فقد سجل قرول أن عدد جيش بوعمامة كانت 1500 فارس 1200 راكب ، بأسلحة مختلفة غير واضحة ، وكان ذلك أمام جيش فرنسي يتكون من عدة 3 فرق مشاة وكتيبة من جيش افريقيا وجيش مدفعية وقومية سعيدة فرندة وتيارت 2500 جمل للأحمال والمؤونة . هكذا بدأت المعركة من يوم 19 ماي في المويلك ([3]) بعد خبر من قائد القرية إلى فرنسا ثم تخطيط فرنسا ، فبدأت جنود زواف بالانسحاب ، وتم قتل كل جيش إفريقيا .ومنها تم قتل الضابط لانيري و اختفت الجمال و لم يقبض بثلثيها سوى قائد الرزاينة الذي لحقها حيث كانت الجم ال ملكيتهم ولكن فرنسا التي دفعت ابناء ليتقاتلواو رجعت انفاسها بعد رجوع القافلة و السلاح اليها كما وجد صاري في كتابه السابق .

المطلب الثاني الحدود رأسمال رمزي لبوعمامة

لإذا كانت الملكة المكتسبة تجريبيا ،و التي يسميها بورديو –الهابيتوس بصفتها دافع نفسي و عقلاني حسب الراسب التصوري للشخص ،كانت متثبتة لدى الشخص الثوري الكاريزمي ومنها تواصل الدفع

---

[1] SARI .DJ.OPCIT.P 93

[2] SARI .DJ.OPCIT.P 94

[3] SARI .DJ.OPCIT.P3/in gaulle (16) p4 مترجم صاري عن ص/99/97

الجهادي بقوة عنيفة . إن التوجه العنيف نحو الجنوب الغربي ، لم يكن عبثا ، بل فرضته قوة التوسع الاقتصادي و السياسي ، الذي توفره التلول الخضراء الفلاحية ، بل مناجم الجنوب شرقا و غربا و أعماقه هي التي دعته إلى فرض توسع كل ما فسح الحال ، لذا كانت توجهات الاستعمار نحو بسكرة شرقا ،لأنها مقاومة حية برمزية سياسية , في إطار ملاحقة مقاومة الحاج باي ،فتم ذلك عام 1844 ، لان الجنوب كان يمثل المركز الاحتياطي للمقا ومة ‘بعد فشل الشمال لضعف الامكانيات و الوسائل ‘ حيث لم يستطع الاستعمار الفرنسي دخول قسنطينة حتى 1837 فكانت المجابهة حتمية بقيادة الباي احمد و الذي لم يسقط ويستسلم بعد القبض عليه الا سنة 1847حيث لعبت صعوبة المنطقة جغرافيا حتمية تاخير استعمار المدينة الجبـلية وقد لحقها استعمار الأغواط في نفس السنة بعدها بشهور ، تم احتلال بريزينة 1854 التي كانت قريبة من الأغواط و آفلو حيث تم بناء قاعدة عسكرية قوية و كان البيض عام 1845 كما لعبت قاعدة فرند و تيارت قوة ضاربة لخدمة الاستعمار نحو الجنوب .

لقد افرز الجنوب ثو رات متواصلة من الحاج باي إلى أولاد سيد الشيخ عام 1864 و الشيخ بوعمامة 1881 و محمد الشريف بن عبد الله ثم الناصر بن شهرة .و الكل كان متضامنا متوحدا ، ضمن قوى تلاحم ثوري متجانس رغم بعد المسافة و رغم الخلافات القبلية أحيانا و الخلافات الطرقية أحيانا أخرى و المصالح الاقتصادية .وكان موقع الاستنفار السريع و الممون الاول للمقاومات اجتماعيا و اقتضاديا و اليا بعد حصار الشمال . فالجنوب الغربي عرف تطورا قويا و عنيفا بين 1854 إلى 1904 فكانت المقاومة مواجهة بكل معانيها و كانت بداية التوسع عام ، و هي بداية الاستكشافات س ياحية و جغرافية ، حدثت بتوجيه و قيادة من طرف دوما ، كولومب ، و دوكا ستري ، كما كانت المناطق الشرقية الجنوبية المغربية في الهدف في هذه المرحلة ‘ فقاد كولومب حملة إلى الأبيض سيدي الشيخ ، ثم منطقة فقيق ثم حملة ثانية عام 1866 ، و كلونيو 1868 و حملة دى ليبيك ، و 1882 حملة مارني قرب بني و نيف ([1]) حيث جرت معركة وادي فندي عام 1882 أفريل . بقيادة لشيخ بوعمامة ، و لأن الثورة الأولى عام 1864 ، استطاعت دفع قوات الاستعمار إلى الشمال ، فان المقاومة شدت قوتها و راحت تتوسع شمالا و جنوبا و فرضت حالة الحرب في المنطقة منذ 1864 حتى نهاية المقاومة في الجنوب الغربي عام 1904 حيث لم تتقطع المعارك و المواجهات حتى 1904 وفاة بوعمامة 1908 بعدشيخوخة في ارض المغرب الأقصى .

---

[1])–طواهرية عبد الله " جامع التصنيف في احوال حاضرة بني ونيف "‘دار الهدى –عين مليلة ط 1 الجزائر ص 39

إستطاعت فرنسا أن تتوغل إلى المنطقة و لكن بحذر أمام المواجهات المفاجئة ، بعد الصراع الذي خلقته بين الغرابة و الشراقة من أولاد سيد الشيخ ، فبعضهم استسلم و حصل على مناصب و الأغا ، و لكن الغرابة واصلوا الثورة ، فكان عام 1885 عاما لتوغل محتشم في بني ونيف ،جهة بشار لقوات ، قورارة و تيد يكلت ، حيث ساعد تركيب السكة الحديدية من وهران إلى عين الصفراء في تسهيل النقل البشرى و اللوجيستيكي عام 1900 .

و كانت خطة الجنرال ليوتي هادفة لخلق مركز وسطي جغرافي و عمراني يسهل التحرك عبر كل الاتجاهات فكانت منطقة زوزفانة و بني ونيف رابطا بين ذلك ، في حين منطقة اقلي ، منطقة مقاومة خامدة ـ و خطر القوافل التجارية ، و التموينية للثوار ، فكانت معركة المنقار ، و حاسي المرة في ديسمبر 1900 ([1]) . و تم احتلال تاغيت عام 02/ 1901 و بني عباس في جويلية 1901 ، بعد معركة فندى الثانية و جنان الدار ، فكانت مجزرة على فرنسا ([2]) ، دخل الاستعمار الرسمي و الثابت يوم 19 يناير 1902 بعد معاهدة لآلا مغنية بين فرنسا و المغرب لترسيم الحدود و تصنيف القبائل التي تعتبر مغربية و أخرى جزائرية و منها قبائل أولاد سيدي الشيخ الغرابة ، و بعدها تم مواصلة مد الخط الحديدي نحو بشار من عشر في مشرية عير بني ونيف و ليس وادي زوزفانة ، حيث كانت المقاومة لا زالت تحاصر المنطقة في جيوب جبلية متباعدة . و قد كان الهدف الاستعماري هو إبعاد بوعمامة من المنطقة لأنه الخطر الداهم ضدهم ، لذلك انشات مركز بني ونيف . و رغم ذلك حدثت معارك قصر العجوز ، و معركة تاغيت عام 1903 ، في أيام ماي و 17 أوت 02 سبتمبر من نفس العام و معركة ازناقة اثر هجوم على الحاكم جونار .فأدى ذلك إلى قصف فقيق في المغرب التي كانت سند للمقاومة في 08 جويلية 1903 و بعدها بدأ مواصلة الخط الحديدي إلى 2 أوت (1903([3]) و عليها تم تعيين قائد للمنطقة ، لربط الاهالي بواصل مدني مع الاستعمار وخلق جسر التواصل الجغرافي مع الاستعمار . فما كان على لاستعمار سوى تعديد الأساليب لكسب المعركة و منها ،

1) الخطط الإستراتيجية
2) تكليف وحدات متخصصة للحرب (قناصة ،مخزن ،وحدات ،،،،،،،)

---

[1])–ن م س –ص41
[2]–)ن م س ص41
[3])–طواهرية ،ص 43

3) استعمال الحرب النفسية

4) استمالة الأطفال و العجزة بالهدايا

5) التنمية الاقتصادية

و رغم ذلك بقيت المقاومة في تواصل ، و حافظت على مراكز التحويل و الاتصال و عملاءها داخل الجماعات الحضرية ، رغم خروجها إلى الأرياف و الجبال و العرق القريب فقد تم استعمار بشار عام 1903 ، و معركة زورفانة في أفريل ، و معركة قير كذلك ، و المنابهة و حاسي لغزال ([1]) في حين كان الخط الحديدي في تواصل ،و رغم المخططات الحربية الوحشية و الذكية ، فانه كان يلاقي مقاومة من كل جانب ، حيث كان توغل فرنسا في توات و بني ونيف عبر منطقة قورارة ، قد يؤسس مراكز تحرك خلف المقاومة و على جانبيها لإسقاطها لذا وجد حملة كلونيو و الملازم بيران عام 1861 تفشل و تلقى حتفها و تعود . فكان أمر لتطويق الثورة عن طريق المنيعة عام 1873 و حيث تعرضت فرنسا إلى هجومات أخرى ، رغم أن الزعماء تفرقوا و كان بعضهم في مناطق وجدة و تلمسان للمقاومة و تجنيد القبائل ماديا ومعنويا .

و لكن معركة تازينة عام 1881 ، أدت إلى ابتعاد الشيخ بوعمامة إلى قورارة ف ي الدلدول ، لجمع الوسائل و الاستراحة و إعادة التنظيم و تعبئة القبائل لذلك ، فكان له ذلك و إثارة سكان المنطقة وقتا و خوض معارك ناجحة ، حتى تم حصاره ، لكنه التحق بالحدود المغربية لمواصلة الكفاح الثوري . حيث كانت فرنسا سيطرة على المنيعة جنوبا و أقامت هناك قوا عد عسكرية للتوغل نحو عين صالح ، و تميمون ، لكنها واجهت عدة معارك قد كان الشيخ بوعمامة مكن لها روحيا و سياسيا ـ بالجهاد فقام سكان المناطق بالمواجهة في اقسطن الدرامشة عام 1900 و معركة انغر بفصل سكان وقوات و مجاهدين بعدد 3000 مجاهد كما حسب معارك دلدول ، و المطارفة قرب تميمون .و شروين، طلمين، رغم عدة و عدد الجيش الاستعماري الذي خلف الطريق السابق المعروف وجاء من عين صالح و ضواحيها ([2]) وحسب ما يقدمه الجيلالي صاري([3]) . في حين كان تضامن من مناطق مزاب مع الثورة

---

[1])–ن م س ص 43 حتى 46

[2]–)زكي المبارك في مجلة الثقافة عن الحسن الحجوي و المختار السوسي ‘عبد الوهاب بن منصور و عبد الله العروي و الناصري ‘في المخطوطات و الكتب .

[3])–الجيلالي صاري ثورة 1882/1881،ص 156

و كان هناك تموين مادي ساعد في حصار فرنسا اتجاه الجنوب ، رغم أن دخوله لها كان منذ 1853 و مراقبتها من طرف حامية الأغواط و عقد معاهدة 1883 .لان الحصار كان من كل جهة.

المطلب الثالث الأزمة مع المغرب فجوة للمد الثوري الإقليمي

حين ظهر الزعيم المغربي الجيلالي الزرهوني ، الذي ادعى انه اخو الملك المغرب ي ، و انه الذي يستحق الخلافة و لكنه ظلم وطرد من القصر الملكي ، فكان بروز الأزمة في أيام ثورة بوعمامة و تنقلاته بين الجزائر و المغرب ، فكان لقاء ثوري بين الزعيمين و انضم إليهم لأمير عبد الملك بن عبد القادر الجزائري ، ليكونوا مقاومة موحدة . من جهة ضد السلطان القابل لشروط الاستعمار ، و ضد فرنسا نفسها . و قد ترك لنا مؤلفو التاريخ المغربي و الفرنسي عدة وثائق ([1]).، في الملف توضح ذلك عن هذه المقاومة المشتركة ، و تؤكد ذلك علميا و رسميا و شفويا حتى من طرف الحاضرين لتلك المقاومة في نهاية القرن التاسع عشر و بداية العشرين و منها كتاب الاستعمار في مذكراتهم مثل , **vachi jules courbon ,victor piquet**.في كتب و دراسات مطبوعة في مجالات ووثائق ديبلوماسية .

فقد أكدت علاقة الجنوب المغربي و شماله الشرقي بالمقاومة الجزائرية و تلاحم سكان الحدود ، لطرد العدو الاستعماري ، المتسلط ، إلا أن صراع الإخوة ، و تفكك المواقف في أخر المطاف بزعامة القبيلة ، أدت إلى استعمار رسمي للمنطقة الجنوبية الغربية الجزائرية و استسلام قدور بن حمزة سنة 1883 و لجوء الشيخ بوعمامة الذي لم يستسلم إلى الجنوب الشرقي من المغرب حيث يلتقي يوما ما مع بوحمارة أو الزرهوني ، حيث يجند قوات شعبية للثورة ضد المغرب و فرنسا و القبائل المتواطئة . و هذا التجاوب ليس جديدا ، منذ قبول الأمير عبد القادر الإمارة التابعة للخلافة العلوية بالمغرب ، حيث نجد الفقيه التسولي المغربي ، يؤكد في رسالة إلى الأمير عبد القادر متضمنة ج واب حول سؤال الأمير عن شرعية الجهاد ضد الاستعمار ، فكانت إجابة التسولي انه "إذا نزل عدو الدين في ارض الإسلام أو قريبا منها مريدا الدخول إليها ، فان الجهاد فرض عين على أهل ذلك البلد و على امامهم .....أحرارا و عبيدا ." ([2]) كما تؤكد لنا تلك العلاقة قبول الزعيم الثاني بعد بوحمارة و هو الشيخ

---

[1] زكي مبارك –ثورة الشيخ بوعمامة و الزرهوني –مجلة الثقافة عدد 83 سنة 1984ص415/454

[2] –زكي المبارك ‘ثورة المجاهد بوعمامة و بوحمارة ‘مجلة الثقافة الجزائرية عدد83 /1984 ص415 عن المنوني ‘مظاهر يقظة المغرب الحديث 1973–ص17 –

محمد العربي .العربي المدغري الدرقاوي ، الذي أعلن دعوته للقبائل المجاورة للثورة ضد الاستعمار و مساندة الشيخ بوعمامة بكافة الطرق .

لكن فرنسا بفضل معاهد ة مغنية و طنجة 1845 و أصبحت تلاحق الثوار و سندهم حتى في ارض المغرب كما فعلت ضد بني يزناسن .وانتفاضة الحاج ميمون في 1859 من خلال نفس المصدر السابقة .و لكن الذين سكنوا المغرب من المقاومة، ثاروا من جديد و رجعوا إلى الثورة عام 1881 و منهم سليمان بن قدور زعيم الغرابة،. ورغم ترحاب الملك لهم، حيث كان قدور بن حمزة و الشيخ بوعمامة إنطلاقه أخرى ، و لكنهم تصادموا داخل المغرب بموقف بعض القبائل و السلطة ، مما جعلهم يدخلون في معارك طاحنة أحيانا و قضايا سلب و تهب من الطرفين لجمع السلاح و المؤونة لمواجهة الاستعمار ، و ذلك صراع حتى داخل قبيلة بني يزناسن ضد و مع بوعمامة و بوحم ارة الذي اتصل بطرق صوفية في الجزائر' في مستغانم وبطيوة. فأثاروا فيه نعرة المقاومة ([1]).

لذلك كانت مناوشات قائمة بين مساعدي بوعمامة وبعض سكان الحدود .فقد كان الادارسة وزناقة و بني هلال هي سكان المنطفة في الحدود وكانت تحت سلطة الملك المغربي عموما سو ى حالات .إلا الأزمات المركزية حيث كان الانتماء الى الى العثمانيين احيانا الا ان اتفاقية لا لا معنية 1845قد سجلت فيقيق ([2]) كبلدة معربية رعم مساندتها لثورة بوعمامة و قبله الامير في او اخر و خاصة بعد ظهور الدعاية الفرنسية بان هناك تحريض عثماني ضد فرنسا و تكوي ن خماعات ثورية للمقاومة بقيادة شريف او اخر و خاصة في سبدو و لدى عشائر الطريقة السنوسية حيث حذرت فرنساكل متواطئ كما وجدت رسائل تحريضية ([3]) من جهة مجهولة بعنوان لجنة الدفاع عن حقوق الشعوب العربية لدى مكاتب البريد في مدينة سبدو الانسان . اما و صول الشيخ الى فيقيق لقى الرفض هذه المرة للمشاركة في الثورة لتوغل الاستعمار .

---

[1]) –زكي المبارك –ن م س –ص418

[2])– خليفي ع مقاومة الشعبيّ للشيح بوعمامة– م س –82/81

[3])– ن م س –ص 88

الفصل الثالث أنتروبولوجية مجتمع المقاومة

المبحث الأول أنتروبولوجية الفعل و المشاركة

المطلب الأول إستراتيجيةالعمل

مثلت المخيلة الروحية و الجغرافية قوة خلاقة للضمير الجمعي و ترابطه المتواصل بدون تشنج .لا من التراب و لا الأشخاص و الخيالات الفردية المظطربة .فقد كانت إستراتيجية الثورة عند الشيخ ، هي تجنيد بعض القبائل الموثوقة ، وتجنب الأشخاص المشبوهين ، ثم ضربات هادفة على الاستعمار .حيث أن الشيخ كان مستهدفا منذ 1879 بعد تأسيسه لزاويته([1]). كما أن قتل بعثة فلاترز 21/188 فيفري ، تركت لدى الاستعمار ، حقيقة تواطؤ الشيخ مع مقاومة الجنوب بحيث كانت الطريق التجاري إلى غرداية والمنيعة وعين صالح بحركة دائمة ولكن تركيز الشيخ على منطقة تواجده في مقرار ، كانت هادفة إلى توسيع رقعة الحركة و النشاط أولا لأن الحصار العسكري من كل جهة ، كان قائما ، سوى منفذ الجنوب الذي كان غير مختلا في تلك المرحلة .

لقد كانت جيوش فرندة ، في استعداد حاضر لكل عملية ضد الشيخ منذ افريل 1881 حيث بدأت العمليات الاستعمارية بمنع كل اتصال وكل تجمع في زاوية الشيخ في حين ، واصل المبعوثين إلى القبائل المجاورة رسالتهم الثورية ، ولكنهم فوجؤوا بنشاط استعماري لقطع الطريق إمامهم للرجوع ، وبدأ نهب الأغنام والبهائم لإفشال الثورة ، حيث ساهمت بعثة **decastrie**([2]) منذ 1879 في حصار الشيخ وعملها على إيقاف كل تمرد وحركة نحو اتجاهات أخرى بينما كان الاستعمار حائرا على الجماعات و العشائر التي يعتبرها أنها تنتمي إليه والى قوته " أن بعض من القصور الذين ينتموا إلينا يدفعون الثمن ..... ونحن لا يمكننا حمايتهم ولا احتلال المنطقة ([3]).

إن التوقعات الاستعمارية لم تكن ف ي موقعها ، بحيث كانت حقره فرنسا لجماعة الشيخ وقواته جد مترسخة ولكن بعيون نبيهة، مثل ما فعلوا مع بوزيان القلعي ، لأنهم رؤوا في بوعمامة رجل طرقي زاهد ، حتى أنها حاولت سحب قواتها نحو تونس ، ولكنها تفاجأت بالقوى الشعبية ، التي قامت بالتمرد وضرب العدو بكافة أنواع السلاح.لمواجهة التوغل الاحتلالي الجارف ووضع استراتيجية للحرب والمقاومة .

---

[1] SARI .DJ.OPCIT.P88

[2] SARI .DJ.OPCIT.P89p

[3] SARI .DJ.OPCIT.P 90page – in 19/01/1881– رسالة إلى وزير الحرب الفرنسي

ورغم أن كل جانب من الطرفين كان عملاءه بين الاتصال والإعلام حول تحركات الاستعمار ، وخاصة عن طريق العشائر البدوية ، والرعاة والرحالة عبر المنطقة ، في حين كانت فرنسا تعتمد على القياد والباشاغات ، الذين غالبا من يتسلطون على الأهالي لنيل المعلومات منهم ، لهذا نجح جهاز اتصال بوعمامة عن فرنسا ، أيام معركة الخيثر ([1])وذلك ما اكده جنرال الحرب **graulle** حين قال "" إننا خدعنا رأينا انه يمكن وضع جدار حديدي دائري على الثوار، وبذلك يمكن حصارهم كلهم وقتلهم "([2]) فالثوار كانت لهم معرفة بالمنطقة وسهولة تحرك على الميدان .

رغم طول المقاومة زمنيا وتفرق مراحلها وتعدد أمكنة المعارك والهجمات ، وتباعدها جغرافيا من تيارت إلى فقيق ومن الاغواط الى الحدود المغربية وداخلها ، فإن الثوار ، كان ينقص هم العقل المدبر البعيد النظر ، لان قوة الاستعمار ، وجدت نفسها تتحرك في كل المناطق وتحرر كل الأقاليم لصالحهم ليدوم 132 سنة والاستعمار .لقوته وشراسته ووسائله المجندة من كافة أوروبا لذا وجدنا أن المقاومة بدأت متسرعة في ([3]) هذه من ثورة اولاد سيد الشيخ الى قيادة بوعمامة في ماي 1881 ، كما أنها واصلت المعارك بدون هوادة وذلك ما عجب الاستعمار ورافقته متعة النزوح إلى التل و المناطق الجبلية والوعرة والسهول الفلاحية التي يملكها المعمرون منذ 1830 فالاستعمار قام باستدراج المقاومة إلى الأمام حتى يسهل الاقتصاص على عناصرها . فالاكتفاء بهجمة واحدة تكفي والبعد الزمني بين ا لهجمات عن بعضها رغم أن الصيف هو مرحلة الغلال الفلاحية وجني الحبوب والخضار.

إلا أن البعض يحلل تلك السرعة في الرد ، أن المقاومة كشفت مخطط فرنسا للاعتداء والهجوم يعد مقتل الضابط **weinbremer** في 22 افريل 1881 كما كان عدم تخزين الغذاء سببا آخر لدفع هجمة أخرى ثانية في حين كانت موسم ممطر في الشمال ، كانت موسم قحط الجنوب الغربي في ذلك العام مما جعل هجمة اغواط كسال تقع بطش وقمع كولونيالي عنيف كما عرفنا . لقد أصبح التفكير في العودة إلى مغرار وتواجر بين عين الصفراء وب ني ونيف ، الهم الاول للثوار بعد هجومات الاستعمار على الأهالي والمدنيين بتهمة مساعدة بوعمامة على الثورة على الرغم أن المقاومة المسلحة كانت ناجحة في

---

[1] Sari dj opcit , p114.

[2] Sari dj , p114.in graulle (16) p55.

[3] Sari d j opcit P117

بعض هجمات ، هذا ما جعل الخوف على الأهالي أكثر هما من سقوط المقاومة أو شهادة الثوار في المعارك ، رغم ان تركيز الجهود وتخطيط ذكي حلاء ذلك ، ولكن لايكفي .

حيث أن الاستعمار ، بخبثه ومكره ، لم يدفع جنوده للمعارك ، بل كان المقدمون إلى ذلك ، هم من أبناء الجزائر ، من عشائر الباشوات والآغوات والقياد ([1]) الذين عينتهم فرنسا كخلفاء لها في بعض المناطق مع أن بعض القبائل ر فضت المشاركة ضد المقاومة ولم تسلم أبنائها كجنود لفرنسا ولا بهائمها كوسائل نقل كحماة لفرنسا مثل فعل قبيلة رزاينة قرب الخيثر إثناء معركة الشلالة ، حيث يرى قائد سعيدة في ذلك : انه استطاع « قطع الحبل بين ثوار بوعمامة ورزاينة رغم أني فشلت..."([2]). لقد كانت نتيج ة لثورة في مراحلها الأولى 1883/881 طرد كل قبائل الثورة والزعماء إلى منطقة بني منيع جنوب المغرب ب 800 كلم في حين كان هجوم عين ماضي عام 1861 درسا مقدما للثورة، فالشيخ لم يستقيد من ذلك رغم نصيحة سي لعلى له.

لقد كان هجوم جوان وجويلية مبادرة شجاعة ولكن عدم درا سة خطط العدو ساعدت على ردعها إلى الوراء . وبقيت المقاومة مدفوعة بقوة الوطنية والجهاد وحب الأرض ولم تفرقها القبيلة ولا الجهوية ولا الحدود ، فكانت مقاومة تضرب من تيارت شرقا ومن الاغواط إلى المغرب غربا حتى عين صالح جنوبا والى تلمسان ووجدة شمالا حتى داخل الحدود المغربية بعد حصار المقاومة من الشرق وتأسيس قواعد عسكرية في عين الصفراء وبشار وبني ونيف مما دعى المقاومة النزوح نحو المغرب ، وضرب العدو ضربات متقطعة د اخل الجزائر و الحدود وداخل الأراضي الملكية رغم رفض الملك لذلك .

---

[1]) Sari dj , p118

2)– Sari dj p119 in graule p 39)

المطلب الثاني الفلاعل الجماعي التقليدي

لقد شارك في المعارك كل عشائر المنطقة و التجمعات القبلية البعيدة و الجوارية القريبة من الثورة ، وهي التي عرفت التعايش و التكافل و التضامن الاجتماعي عبر التاريخ السابق وكان يجمعها الدين و اللغة و التبادل و المصالح و النسب و التنسيق الوقائي ضد الاخطار التي كان ت محدقة بالمنطقة . وكانت تلك تتكون العشائر من ‘العمور الطرافي اولاد زياد شعامبة الاحرار رزاينة رزيقات اولادجرير ذوي منيع اهل موغل شموية تيرت مهاية مقنة مرابطين مخادمة الكرارمة فليتة الغياترة غنانمة زناتة سجعة سواحلية زكارة زعاطشة رومان عكرمة اولادصرور صنهاجة جرامنة حميان حساسنة بنو هلال بني يعلا بني خالد بني ثور بني قيل بني بوزقو البرابيش البرابر اولات مولات اولا سيدي علي بوشنافة اولاد عيسى اولادسيد الناصر اولاد سيد احمد المجذوب اولاد قويدر اولاد مومن اولادقدور اولاد عيشة اغواط كسال اولاد بديار ا ولاد بلحرمة اولاد بوبكر اولاد بوزيان اولادزيان اولاد عامر اولاد قطيب الولاد عبد الله اولاد عبو اولاد عروشة انقاد بني سنوس بني واسين اولاد نهار .

وهذا لا يعني ان كل افراد القبائل المذكورة قد شاركو ا في كلهم و انما هناك بعض من قيادات بعضهم من رفض المشاركة ا و الحياد و ما جرى حتى داخل قبيلة الشيخ نفسه حيث عاداه ورفض ثورته حتى زعماء اولاد سيدي الشيخ الشراقة وحاول بعضهم قتله .لذا كانت قيادات المنطقة ا لمشاركة دارسة لكل التغيرات حيث كان يسود المنطقة بعض القبائل هي([1])

1تجمعات من من سيدي بوتخيل والاحلاف في عين الصفراء

2- جمعيات قبلية في مشرية ومناطقها من حميان

3- العمور في جنوبها وشرقها وغربها

4- طرافي و سرور: في الشرق من بوعمامة

5- شمالا أولاد نهار وانقاد

6- بني قيل في الغرب

7- ذوي منيع واولاد جرير: في الجنوب الغربي بشاروحولها

---

[1] Sari dj op cit p25

8 –الشعانبة في الجنوب الشرقي

9–اولادزياد و الدراقة 10 –اولاد عيسى و اولاد مومن ورزيقات شرقا و جنوبا

لذا نجد أن بني حميان وبني قيل مع أولاد سيدي الشيخ واجهوا قسوة الطبيعة الجنوبية القاسية ، رغم وجود سهول وديانية الا انها وموسمية الانتاج أي حسب كثافة وكمية سقوط الامطار ، بينما كان شمالهم غنيا بالطبيعة و النبات وقرب موارد القمح و الحبوب القادمة من الشمال والمستوردات القادمة عبر السفن التركية والأوروبية قبل الاحتلال التي كانت تصل قليلا إلى المنطقة ومنها السلاح والبارود ملابس صنائع . لذا وجدت أن حميان انتشروا عبر خط طرائق تافلي لات– قورارة تجاريا وحتى تلمسان ووهران شمالا ، لأنهم في منطقة عبور تجاري و جغرافي مركزي وسهل المنال سواء في الشمال أو الجنوب أو الغرب أو من الشرق حيث سهول وهضاب مسطحة بعد التوسع التجاري سبب الخصامات بين القبائل إضافة إلى مناطق الزرع وتربية الحيوان وخلقت نزاع مع المغرب العلوي([1])

وقد كان هناك تكتل القوى المقاومة رغم التجنيد القوي للاستعمار وعملاءه من القومية وبعض العشائر ، إلا أن الدفع الثوري للمقاومة كان أكثر حماسة رغم وشراسته المستعمر لهذا وجد أن ضباط الاستعمار يحطمون ضريح وقبة سيد الشيخ بأوامر نيقري **nigrier** ، إلا أن المقاومة صمدت ، ورجعت فرنسا على خطاها لشعورها مس كرامة التقاليد المحلية ، واعترفت بذلك حتى بالمفاوضات ،و قامت بتفويض عن ذلك ، بالإضافة إلى شروط وتنازلات زعماء الثورة وذلك عهد سليمان بن حمزة وسي لعلى .

في هذه الثورة بقيادة الشيخ بوعمامة ، فإن فرنسا التي حاصرت كل الأرض وزادت من توسعها فقد كانت تتوقع أن الثورة انتهت ، وحاولت بناء السكة الحديدية نحو بشار من المحمدية ، كما حاولت التسلط على نبات الحلفاء في المنطقة وبيعها إلى مصانع فرنسا لصناعة الورق ، لكن المقاومة نهضت ضد ذلك وحرقت بعض الم خازن وخربت طريق السكك الحديدية نحو الصحراء العميقة حيث مواقع أساسية للشيخ بوعمامة في فقيق وبني ونيف. لقد اخطأ الجيش الفرنسي ، حين هجومه على الثوار ، بعد تقدم بوعمامة إلى التل الجزائري وخاصة نواحي سعيدة وتيارت شمال شرق قاعدة بوعمامة ، بينما الشمال الغربي والتحضير حيث كانت وجدة بالمغرب ، تحت للدراسة حيث وجدة موقع ثوري وحدودي هام.([2])

– [1]– Sari)(dj) op ctit– p 25

[2]) –Sari dj,op cit p114

في هذا المجال ، نجد توزع ج يوش بوعمامة نحو الخيثر كانت مدروسة ، في حين كان جيش القومية حول مقام سيد الشيخ لضرب الثوار. بالإضافة إلى فرقة ديتري وبرينتيار ، الذين وجدوا أنفسهم في خطر لعراء المنطقة من الجبال و الوديان ، كما ان بوعمامة غير طريقة بكل ذكاء وكان مر بجانبهم ولم ينتبهوا له وقد كانوا قد خربوا الوسائل التلفونية التي قطعت اتصال القيادة العامة لضباط الفرق المتنقلة والمحاربة في الجنوب الغربي.

المطلب الثالث أعيان الثورة ، و المساهمات الفردية :

قد كان هناك من ساهم فعليا في المعارك، وهناك دعويا فقط وجانب الوسائل فكان اختلاف ... وقد كان الحاج بوحفص ذكيا نابغا شجاعا، تكلم عنه أبو سالم ([1]) العياشي في رحلته، حيث يذكر عنه أنه تعلم عن سيدي الحاج بومحمد دفين بلكوزة في توات وكان يزور مكة كثيرا، وتوفي عام 1651م، 1071 هـ، وكان مصليا بانيا للمسجد، واستطاع أن يجمع العديد من العشائر لخدمته والمنطقة)([2]).

كما ساعد في ذلك عبد القادر بن عيسى الأعرج بن عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة، استقر في بن ونيف في القرن 11 هـ، وشيد مسجدا للتعليم فيه لأبناء المنطقة وأحفاده هم الذين يقيمون على خدمة زاوية سيدي سليمان([3]).

السيد بوفلجة بن عبد الكريم، شيخ الزاوية الكرزازية وكان نزيلا غالبا عند سي محمد بن السيد الراضي، وكان يزور سيدي سليمان بن بوسماحة في بني ونيف وتوفي عام 1947 وكان من أحباب الشي خ بوعمامة ودعاته، وعلم تلامذته زيارة ضريح سيدي سليمان .كما اشتهر في المنطقة الشيخ مولاي التهامي الوفراني، والمقدم بوشتة، بالتعاون ودعم المقاومة حينذاك.وسيدي عيسى بن طالب، وهي فرع في الدراسة [4] الذين قدموا في المغرب، وهم من سكان واد غير ونجيج، وقد كان تقديره ل دى الشيخ قوي، حيث جدد الشيخ ضريحه عام 1883، ولم يكن له أخلاف ولكنه ترك أحباس لخدمة الدين.

---

[1])-العياشي، رحلة العياشي.

[2])-عبد الله طواهرية، مرجع سابق، ص151.

[3])-)عبد الله طواهرية، نفس المرجع، ص 151

[4])-العشماوي، الياقوتة الصامتة.

وذرية سيد أحمد عبد الجليل بن أحمد الوادغيري، الذي كان له 11 ولدا مات منهم 7 في جهاد الروم في الحروب الصليبية، وترك أسلاف في بلعباس، بطيوة ومديونة. إلا أن المشهور "سي امحد ونيف" أقام في بني ونيف وسميت باسمه، وضريحه جنب سيدي سليمان بن أبي سماحة[1].

محمد عبد الرحمن بن محمد بن زيان بن عبد الله [2]، والي ولد عام 1850، وتعلم في تافيلالت بالمغرب، وقد خدم زاوية سيدي سليمان وعلم الطريقة القادرية الطيبية والشيخية وتوفي عام 1904.وقدشارك مع الشيخ بوعمامة في المقاومة وحضر معركة فندي في شمال بشار، وذكر بمناقبة عن سيدي سليمان وسيدي الشيخ وسيدي الغزاوي الذي تعلم عنه في المغرب، وقد تعلم عنه الطيب بن عبيد، وبوسطيلة والشيخ بوعمامة.

ونجد سي امحمد بن زيان الذي ولد عام 1854وتعلم في فيقيق و تافيلا لت وكانت له خزانة كتب لانخ كان قاضيا شعبيا ومات عام 1326/1926وهو من احفاد سيدي بن عيسى

لذا يجب ان ننوه بتكريم الشيخ بوعمامة لرجال العلم مثل سي جلول بن المعزوز وهو من احفاد بن عيسى بن سيد الشيخ وه خال الشيخ بوعمامة وه الذي تكلف بدفنه في الرماد في السهلي بالمغرب عام 1892.كما نجد سي ابن زيان بن محمد بن سليمان بن محمد بن عبد الحمان وكان رجلا نسابا عالما بالانساب و الاحداث و احوال الشيخ بوعمامة وكان استاذه سي الطيب بن بوعمامة .

سيدي مومن: وهو رجل صالح متصوف، ويوجد ضريحه في مدفع بين بشار وبني ونيف وينتمي إلى بن عامر والأشيج، وكان معلما ومرشدا في المنطقة، وكان له إخوة هم عثمان وأحمد وعيسى والطاهر في جبل قروزومزاريف وبشار مما ساعده على قيادة روحية في المنطقة.

التاج بن منور: وهو من تلاميذ الشيخ بوعمامة، وهو من أهله ومن أقربائه، وكان رجلا متصوف لله وكراماته كانت قوية([3]).

الشيخ بولنوار: وكان ولد سنة 1846، مات شهيدا سنة 1906، وقد تعلم عن شيوخ الكرزازية، ودفن قرب سيدي عيسى بن الأعرج في بني ونيف.

الحاج محمد بن الحاج بحوص "زوي" الذي كان رجلا مجاهدا ومتصوفا والذي تعلم عن شيخة سي الطيب بن بوعمامة زعيم الثورة 1881، وقد كان الحاج محمد قد أقام زمنا في زاوية سيدي سليمان في

---

[1])–العشماوي، السلسلة الوافية.

[2])–محمد بن الرحمان، فيوض العرفان في ع طواهرية، مرجع سابق، ص152.

[3])–بن محمد بن زيان بن عبد الله.

بني ونيف، وكان شابا عهد الشيخ بوعمامة فكان مجاهدا في صفوفه البعيدة .([1]) الشاعر مصطفى الزيادي المرزوقي: الذي هاجر إلى المغرب أثناء المقاومة وكان شاعرا للمقاومة عن بعد.

كما كانت هناك بعض الوقفات لصاحب الثورةالا ول سي قدور بن حمزة بن بوبكر الذي قاد المقاومة سابقا ولكنه فشل و تلزم عليه توقيع السلم مع فرنساوخاصة بعد قوة ثورة بوعمامة لذا وقع معاهدة معها سنة 1897 و لهدف استراتيجي من فرنسا لافشال ثوار بوعمامة الذي تمكن من تحرير مناطق واسعة في الجنوب والشمال

لئما شارك حتى الا طفال في الثورة بامكانياتهم فكان منهم حمدوني الفراجي بن احمدالفنداوبالذي مات عام 1983على عمر 94سنة كما عاش في المرحلة الشيخ بوشتة ولد موسى الذي درس عن الشيخ عبد الرحمان و عاش مع الشيخ بوعمامة ايام بني ونيف

ونذكر اسم مولاي احمد الذي تعلم في موريطانياو المغرب الاقصى ثم استقر في بني ونيف بهعد تيميمون ضد مولاي الحسن وكان مع طنجاوى فكانت سجنه نتيجة لذلكو خروجه بعدهاحيث استقر اثر ها في بشار اين واصل التعليم مع العلم ان الحسن الادريسي عالما شجاعا ونجد في تلك المرحلة السيد مصطفى بن امحمد القاضي بن زيان وهو من احفاد سيدي بن عيسى بن سيدي الشيخ حيث تعلم عن الشيخ بوعمامة وهو الذي تكلف بغسله بعد مماته وقد مات سنة 1955في بشار بينما ولادته سنة 1874

ونذكر السيد المزوزي ابن بودواية الذي هو حفيد سيدي الشيخ وكان له 22عاما في 1881في عصر سيدي التيج اني سيدي احمد و سيدي محمد بن بوزيان القنادسي و سيدي بن الدين حفيد سيد الشيخ و قد عاش في بني ونيف اوخر القرن الثامن عشر . كما يوجد من ساهم في نشر وبتوصيل الرث الذي تركه سيدي سليمان بوسماحة ويمكن ان نضيف الامام محمد بن عيسى الذي جاء حفيدا لسيدي محمد بن الشيخ وهو الذي ولد في

فقيق وتعلم فيها ثم انتقل الى عين الصفراء ليعلم فيها كما رفض دعم فرنسا للتعليم وتوفي عام 1939بعد مشاركته في الثورة 1881.كما نجد ونجدالسيد السباعي مولاي احمد المولود عام 1850 حيث كان تاجرا بين السينيغال و موريطانيا ومالي عبر توات و قرارة.

---

[1])– عبد الله طواهرية، حاضرة بني ونيف.

المبحث الثاني الطريقة وممارساتها الطقوسية

المطلب الأول الحضرة الصوفية

وتقوم هذه الطريقة على الاذكار النبوية والادعية و الاورادوتعليم القران والخخحديث لذا قام الشيخ بوعمامة بالدعوة لذالك في مناطق واسعة من اقلمته و حولها و بعده ا قام بالجهادمما اضعف عمله العلمي و يتعرض للملاحقة من طرف الاستعمار ولكن رغم الخط الواضح للطريق الشيخية الا انه اكمل العمل الصوفي لجده سيدي الشيخ وقد ترك نصوصا معبرة عن خاصية منفردة له ونجد من ذالك الوصية و بعض الاذكارمنها ،

أعوذ بالله من الشيطان ا لرجيم بسم الله لالرحمن الرحيم .و صلى على سيدنا محمد و اله ,هذه جلالة القطب الصالح والدين الواضح ‘قطب القطاب و مغيث الاحباب ومسلك كذا اصحابه يوم الهول و الحساب , ,الشيخ سيديعبد القادر بن محمد نفعنا الله و اياكم ببركاته امين ‘امين.

وعند الابتداء اعوذ بالله من الشيطان من الرجيم ‘بسم الله الرحمان الرحيم ثم يقرا الفاتحة مرة و بعدها يقول الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ‘انربنا لغفور شكور ‘–ثلاث مرات –وبعدها يقول ‘لا اله الا الله ‘مائة مرة ‘وبعده يقول يا الله ‘الله الله ‘يا الله الله ‘يا الله الله ‘يا الله الله ‘يا الله الله ‘يا الله الله ‘و بعدها يقول ،

ياالله خلخل قلبي ‘في هوى ذكرك نهواك ‘قلتها يا ربي للمرصاد لقاك

خلقتني للتعريف عبيدا لك ضعيف ‘الطف بنا يالطيف ‘بالرضى يوم لقاك

.....الى اخر الكلام .....

يا الله طب المعلول ‘يا الله بجاه الرسول ‘يا الله و اشف المضرور ‘يا الله وف ذا القول

ثم يقول ‘يا الله الله الله ‘يا الله الله الله –مائة مرة – وبعدها يقول يا الله يا حي يا دايم يا باقي .لا تجعل فينا محروم ولا شافي – عشر مرات –وبعدها اللهم اجعلنا في الدنيا مهتدين و من الحلال مرزوقين ,ومن الخرام معصومين ومن المعاصي هاربين ‘و على الطاعات واقفين و بالشهادة ناطقين وفي القبر مؤنسين و عند السؤال ثابتين و في الحشر امينين و على الصراط جائزين ومن الحوض واردين وفي الجنة خالدين ‘وفي عليين ساكنين برحمتك يا ارحم الراحمين ‘يا رب العلمين و صلى الله وسلم و بارك على سيدنا محمد خاتم النبيئين و امام المرسلين و رسول رب العالمين والحمد لله رب العالمين .

ولهذا التجمع أو الحلقة الصوفية أسرار بين المقدم و المريد وهي – الورد –ونصه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ‘بسم الله الرحمان الرحيم ‘وصلى الله على سيدنا محمد واله و صحبه وسلم تسليما .لبيك لبيك ‘اللهم ربي و سعديك ‘الخير كله بيديك ..

ثم تبدا قراءة ،الحمد لله رب العلمين الى اخرها – مرتين –و اذاجاء نصر الله – مرتين –الى اخرها .وتبدا تذكر ‘استغفر الله ان الله غفور رحيم –مائة –سبحان الله و بحمده –مائة –لا اله إلا الله –مائة – ان الله و ملائكته يصلون على النبي ‘يا ايها الذين امنوا صلوا عليه و سلموا تسليما ‘عشر مرات–اللهم صل وسلم على سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله و صحبه تسليما – مائة –لبيك لبيك و سعديك ،الخير كلخه بيديك ‘فاني عبد ممتثل لامرك – مرة–بسم الله الرحمان الر حيم – ماءة –وبعدها تقرا الحوب عند تمام الذكر الهم اني اسالك بحقك السريع المجيب القريب الذي خزنت به مفاتيح رحمتك و خواتم ارادتك و سرعة اجابتك ،يا سريع لمن قصده ‘ويا قريب لمن ساله و يا مجيب ([1])

كما يطلب قراءة الأذكارو الادعية اتصفت جميع الاذكار الت يوؤديه الشيخ ابوعمامة انها كلام من سنة الله ورسوله ‘وهي احاديث مسندة الى مراجعها الاولى بلسان الشيخ عن الصحابة والتابعين والمحدثين الأوائل وقدكانت تضمنت في عمومها دعات للتاليه و التسبيح و التحميد و ادعية للحمة و الغقران و التسامح و الصلاة على الرسول – ص–وكانت مع طلبات للتكرار بعشرات المرات لانها جامعة للخير و السلامة و العفو الالهي صادة للشر و الضيم و الضلال وعذاب الدنيا . ([2])

المطلب الثاني الوصية مرجعية النص و تراث الفعل

نجد نقل الخبرات الخاصة و نصائح حول ممارسة الحياة و تر تيب العائلة دينسيا و اجتماعياو تنظيم الزاوية ورعاية طلابها لذانجده انه من وحي الطريقة في معناها الادبي انه كتب وصيته باسلوب تقليدي معروف لدى الصوفية و علماء الدين فقد كانت ابتدات بالستهلال الفني الذي يتوجه بالصلاةعلى الرسول

([1])أ بن ابي بكر السكوني الفقيقي , تقوية ايمان المحبين تحقيق /طواهرية ع. الله –دار الاديب ,وهران – 1991 ص–210/207

([2]) –السكوني ‘المرجع السابق –ص203 –راجع ايضا السيرة البوبكرية –بن عمارة خليفة و الطريق الشيخية ل–خليفي عبد القادر

–ص–و الدعاء بالخير و الهداية و الرحمة للقريب و المؤمنين جميعا وقد تم تنظيمها في ترتيب محكم خطابي و منطقي .

المقدمة =وهي الاشارة و التاكيدعلى بعض الحقائق الاساسية من اتباع ومواقعو اعمال و اسماء الشيوخ و يحثهما على عمل الخير بالخبر عن نهايته.وقلب الوصية هو تعيين خليفة و ابنه ال طيب الذي تعلم على يده في الجزائر و المغرب و الذي علم في الاغواط فيما بعد نقله من المغرب الى الجزائر بين 1907/1905.

وهناك الموضوعات الاضافية التقوى و الدعوة الى الله و الاجتهادفي العبادة لانها مجلية للولاية وطريق الفلاح ويقدم راي رجال الصوفية مثل القشيري و ابن العربي هكذا وجدنا قوله (كونوا واقفين لله لا نغيره بالجد والاجتهاد)ويضيف ايضا (اجتهدوا في خدمة الله الربانية التي اكرمكم الله بها)و تكون عبادة الله ايضا بالذكر حيث (ينادم المريد ربه)حسب المفهوم الصوفي .وتكون العبادة بحضور المسجد و الصلاة و تقوية الصفوف الجماعية للتكامل كما تكون بتلاوة القران لان ذالككله بهدف ارضاء الله , و – الدعوة الى الاخوة و الامر بالمعروف (كونوا اخواناوعلى الدين اعوانا)وذالك واضح لان الاخوة علمية وانسانية وقاءمة على الدين فقط لا على و لا العرق ولا الجهة ولا الحزب و اللغة ولا على الابوة .

اما من النصائح ترك الحقد و الحسد بهدف بنيان الجماعة والوئام

6–)–موضوع الطريقة الشيخية فهو يدعو الى اتباع العلماء والشيوخ الذين يحفظون الطريقة وسندها الى الرسول و الله والاتباع يقوم على الصدق والنية كشروط دخول حلقة الطريقة .

لانها ضامن النجاح و الرضى و عدم البلاء حيث التحام الاتباعباحد الشيوخ يهدف الى عدم الخلط وعدم الوضوح و التناقض والحيرة بينما كان ذلك سيئ اعند جمع العلماء اما عدم الاخذ بشيخ فهو يؤدي الى سلب النجاح و الفوز و البلاء في (الحركات و السكونات كما قال الشيخ بوعمامة حيث جعل الشيخ عبد القادر بن محمد شيخه و معلمه و هاديه وهو في نفس الوقت جده بفاصل بحوالي خمس اجيال فهو عنده ثلث الاوصياء بعد الله و رسوله

في خطبة الشيخ كانت مصادرالشيخ في كل عملية دعائية قائمة على مدونات مقدسة وهي القران و السنة والحديث والتراث الصوفي وكان ت اللغة عامية مفصحة وقابلة للففهم سهلة للعوام فكلما كان الخطاب بسيط لهم يتكئعلى الباطنية و الصوفية العميقة بل خطاب عام يعامل الناس على مقربة

عقولهم الظاهرية بصفة الحكيم الهادف المحترم من كل الناس .بذلك كان الدعوة الى العمل بحلقات منهج علمي و عملي صحيح للدين و العمل و الثورة و الاتحادو كسب القوى حيث علنت لغة المقاصد علىلغة الدعوة و الطريقة لان حلقة الذكر و الابتهالو الاذكار و دعاء الادعية غالب الوقت دعوة للتجمع الثوري و الوقائيفي الشر و الخطر الطبيعي و الانساني و الاستعماري لانذلك جهاد و تفريغ سيكولوجي وزه د في الحياة مما يحضر للثورة و الجهاد حيث كانت التقرب الى الطريقة قائمة على النية لان غيابها ينزع استعداد الجهاد و التموقع الثوري و لان ذلك شرط اساسي لكل صوفي .

وعن وراثة الطريقة و الزاوية ترك سيدي الشيخ الخلافة لابنه الحاج بوحفص رغم انه الثاني عمرا لان سابقه الحاج بن الشيخ ‘ثم تسليم الخلاقة الى الى الحاج عبد الحاكم و الذي سلم الخلافة الى ابن اخيه الحاج الدين ثم استرجعها احفاد الحاج عبد الحاكم من خلال بوحفص الحاج والذي سلمها الى سي بن الدين ثم حدث و خلاف بين الأ حفاد ادى الى انقسام داخلي أحدهم غربي و الاخر شرقي و رغم محاولات سي بن الدين الصلح بين العائلتين الاان الافتراق تم على زعامة الزاوية و ميراثها وخدامها حيث استمر الخلاف بعدها بين سي العربي من الشرقية و سي سليمان بن قدور من الغربية حتى عهد 1766م.

حيث تم التفاهم على انجاز زاوية غربية بقيادة حفيد الحاج عبد الحاكم وبقاء الزاوية الاصلية مشتركة بين الجميع ومنذلك تعددت الزعامات حتى قيام ثورة 1864مبقيادة سي سليمان بن حمزة الذي ينتمي الى الزاوية الشرقية و كان قد مات1861م في وهران بعد تسميمه من طرف فرنسا بعد استدعائهم له للتفاوض فخلفه سي بوبكر عاما فخلفه سي سليمان الذي قاد الثورة . اما سليمان بن قدور فقدخلفه سي الطيب والذي سلم الخلافة بدوره الى سي الشيخ بن الطيب (ابنه) حيث وقعوا على الصلح قي عهدعام 1839م لان الاستعمار كان خطرا مشتركا عليهما فكان التجمع الواحد هو الحل الانجع لوقف زحف التوغل الاحتلالي في الجزائر العميقة وحسب قدرة المقاومة ونفوذ زعماءها من تيارت شرقا والى ورقلة جنوبا وتلمسان –بلعباس شمالاواسفل بشار جنوبا والمنطقة الشرقية من المغرب .

أما سنة 18289بين بوبكر بن النعيمي وسي الطيب مما ادى الى هجرة البعض منالقبيالة الى المغرب الاقصى و خاصة من الغرابة 1حيث تم تكوين رصيد اجتماعي ثقافي سياسي لمن شارك في ثورة الشيخ بوعمامة فيما بعد وخاصة في بدايتها الحامية الوطيس حيث كانت لها قاعدة شرقية قوية لان فرنسا لم

تكن حينذاك تواجدها مما جعل فرنسا تلجا الى تفريق القبيلة و خاصة بعد اتفاق لالامغنية 1845مع المغرب وبعض الزعماء المحليون لذا توزعت القبيلة عبر الغرب الجزائري شمالاوجنوبا .

وفي نظام الطريقة تخلق رجال الطريقة بمبادئه و طقوسها بالحكمة و الحنكة بفضل تعلم التصوف واساسيات الدينفي ظل المحافظة على السنة والماثور الاسلامي الرسمي لذا كونت كونت انظمة واعية للسلوك و الاعتقاد مما لا يشكل خلافا عقائديا لذا طوقت بناءها النظرى و الفعلى بمسالك و مقامات صوفية حسب مراتب متلاحقة طبق درجة التعلم و الذكاء و قد وضعت طقوس نو عية لها و قد مثلت السبحة احد ادوات هذه الطريقة رغم ان البعض يرى فيها بدعة لكنها مستحسنة لدى البعض والصروفية .

و رغم استعمالها في كافة الطرق الدينية الان ميزتها عند الشيخية وأحفادها المعلمين مثل ابوحفص الحاج ';([1])هي عدم اظهارها وو جود حبة مرجان بعد الحبة الخمسين لتفرق بين النصفين واستعمالها لتسهيل الحساب للاميين الذين يمكنهم الحفظ والاسترجاع هكذا كانت له ا ميزة واعية هادفة الى عدم استعمال السبحة كوسيلة للعظمة و الكبرياء او جلب المنفعة باشهارها فذاك مذمة وجدنا عند الشيخ بوعمامة عند زيارته لاحدالمقدمين للزاوية كما يطلب من مريدي الطريقة قراءة و انشاء قصيدة الياقوتة بصفتها مدائح وذكر لله بالتقوى و الخشوع وو سيلة للوصول اليه ورضاه

لذا نجد الشكل الدائرى هو الغالب كما كانت تفرض غرامات او ما كانوا يسموه الانصاف والتي كانت تطبق على الفقراء بعد الخط أكما تشترط بعض بعض الاوصاف و سلوك يلزم بها المقدم و المريدين و الفقراء ([2])–كما تفرض انواع من الادب للتجمع الذي ا لحضرة ([3]) و الذي يتم فيه الذكر و قراءة بعض الفرأن او ما سمي (حزب الفلاح)ومن شروط المقدم تعلم مبادئ الدين و محافظا على الصلاة داعيا للعلم و الرحمة و التعاون .فالفقير هو رجل ام امرأة من عامة الناس يجب عليه ان يكون

---

[1]) بوحفص الحاج الذي ترك مؤلف بهجة البهاج في التصوف وكتب مفتاح الخيرات وهو الذي سافرالى مصر للدراسة و مات فيها (خليفي م س /ص32/31)

[2] –الفقراء لفظ يطلق على المريين و الاتباع و مؤنثه الفقيرات راجع ايضا بن عمارة خليفة =السيرة البوبكرية الجزء لثاني

[3] الحضرة وهي يوم التجمع للدرس و الدعوة و االذكر الالهي و النبوي –راجع خليفي ع –م س /ص**31** ..35..**36**....

ورعا و متقيا و مطيعا للشيخ و المقدم و حين الحضرة يجب عليه ان يكون متوضيا ويتقبل اي يتجه نحو القبلة الا اذا صعب الحال ,مع شرط نظافة الفم و الجلوس على الشق الايمن و لا يشرب الماء حين الذكر و الورد مع ترديد جملة سبحان الله احيانا حين ذكره.ويبقى الانصاف عملية قضائية دينية واخلاقية واجتماعية ‘فهو عقوبة على الحلق و الهجر و الخصام و سوء الاخلاق وهي تطبيق على المقدم والفقير من طرف الشيخ الذي يحضر المقاضاة و ربما تكون هناك مبالغة في احترام الشيخ وطاعته ويتمثل هذا الانصاف في اطعام شاة من الغنم او مبلغ مالي وهناك ثلاث انواع من الزوايا،

-زوايا للتعليم وحفظا القرأن و الدعوة

-زوايا للاطعام و الايواء

-الزوايا لذكر وجلب الاتباع

اما الشيخ فيبقى المقدم هو النائب عن الشيخ العا لم و الفقيه,الدين بينما المقدم هو رجل قليل العلم و لكنه يتميز بالورع و الاحترام و الاخلاق ‘و رغم بعد الزوايا الفرعية عن المقر المركز ي ,الان كاقة الطقوس تتم بشكل منتظم و خاصة حين الماسم و اللقاءات الكبرى و حفلات تخرج التلاميذ (القناديز)من المدرسة وهم الطلبة بعدحفظهم القران . ومن جهة اخرى فان الشيخ حتى ولو كان للزاوية الفرعية حملته للتعيينات الجديدة و الترقيات للمريدين و الممثلين للز اوية وتسمية المقاديم و احيانا لتلقين الاورلدو تنظيم شؤؤن الجماعة اواقامة الصلح و ذلك بموافقة الشيخ المركزي لان كل زاوية فرعية لها محيط جغرافي منتظم تنشط فيه قريبا لها ويوجد احيانا عدة مقاديم للزاوية الواحدة وعدة مقدمات من النساء ولهم مسؤولية شاملة على الزاوية ويمكن تغييرهم حين الحضرة والذكر حيث يلتقي جميع المريدين كما تتم معاقبة الغائب او الغائبة . من هذه الوصفة التعريفية للطريقة و الزاوية يمكن ان نعرف قدرته على التحرك الثوري والجماعي و لصالح مساحات كبرى وواسعة لان الاسلام قوة دافعة و المواطنة سند اخر للقوة و التو حد و الممارسة الميدانية للعمل المنتظم في الثورة و المقاومة تبعا لعمليات التجنيد الاجتماعي و الاقتصادي و النفسي و الروحي المرتبط بالارض و التراب و الانسان مع تصوير مصيره الدنيوي و الاخروي في الجانب الاهوتي والواقعي ,.

(ثم يقرا حزبه من الق ران اذا لم يكن قد قرا قبل الصلاة ثم ورده الجهري المسمى حز ب الفلاح ثم يتصافحون بعد ذلك بايديهم ناظرين الى وجوه بعضهم قائلين)(اللهم صل على محمد و على

اله .اللهم اغفر لي ولاخي هذاالمؤمن ....). ص 107من سورة الفاتحة واية الكرسي وامن الرسول .لقد كان حزب الفلاح موجودا من عهد ابو الحسن الشاذلي في القرن ثالث عشر ولكن اضاف اليه نصين كانا في نهاية ق 16–وهم الحضرة و الياقوتة .وكانت الشيخية اضافة الى السهولية و الكرزازية و زوايا التل و الشرق الجزائري .اما حزب الفلاح هو حزبا واحدا من عدة احزاب ينشدها الشاذلية و التي من هـ حزب الكبير و الايات و النوؤر و الفتح و حزب اللطيف و النصر و البر و الكفاية و يبدا من الاية 111من سورة الاسراء (الحمد الله الذي لم يتخذ ولدا .....)و الاية 43من من الاعراف) الحمد الله الذي هدانا لهذا .....)ويضاف اليه خمسة عشر سطرا تقريبا من مو اضيع الشهادة و والحمد و الاستغفار و التسبيح .كما تضاف اذكار اخرى في الدعوى و طلب الاستغفار و و الشهادة و الصلاة على النبي (اعددت لكل هول لا اله الا الله ....‘بكل نعمة ‘الحمد الله ...لكل اعجوبة سبحان الله ‘و لكل مصيبة ‘انا لله وانا اليه واجعون ...لكل بلاء و شدة استعنت بالله .....)‘ ([1]) .

وتذكر السلسلة من الشيوخ للطريق حسب السهولية و التي ذكرها مؤلفها احمد السكوني في المناقب و التي الفها في حياته على الطقوس الشاذلية الشيخية . و الملاحظ هنا أن النص الطرقي ليس اعتباطيا ولا مجانيا لأن الجملة يمكنها اثارة نعرات أو حساسيات فردية أو جماعية ‘ لذا كان التوجيه و الدلالي مراعيا لكل ذلك و حتى في أواليات الفعل الثوري و تنظيم العمليات و الترتيبات الثورية .ولإليكم بعض الأبيات المميزة للفكرالصوفي أنذاك ،

بدأت بحمد الله قصدا لنجح ما أروم من إستفتاح نظم القصيدة

بالإتباع نلنا المراتب و العلى فبالله ما حدنا عن شرع وسنة

ومنذ عقلنا سدد الله سعينا وما زلنا مقتفين نهج الشريعة

فشيخ الشيوخ ذاك شيخ زماننا إليه انتهت فنون هذي الطريقة

فمن شيخنا عن شيوخه تسلسلت الأشياخ أهل العناية

---

[1]) – خليفة بن عمارة سيرة البوبكرية ج 2ط م جودي –وهران 2011 ص104.....107

أبوعبد الله يسمى محمدا الى عابد الرحمن يعزى بنسبة

فبالراشدي إقتدى و عن الزروق اهتدى عن الحضرمي ثم شيخ القرافة

عن ابن عطاء الله بحر علومنا عن المرتضي المرسي أحمد حلة

عن الشاذلي السامي أبي الحسن الذي بحوز الكمال أضحى بحرالحقيقة

عن الشيخ تاج العارفين رئيسهم أبي القاسم الجنيد روح المجادة

الى الحسن البصري الذي فاق نوره نجوم الدجى ونور كل منيرة

المبحث الثالث الأهالي بين الإحتواء و الإجتثاث

المطلب الأول كتلة الإحتواء الكولونيالي المحلي

القومية ،الصبائحية و الزواف

أما القومية فقد قاد فرقتها – دي كاستري سنة 1879بعثة للاطلاع من عناصر جيشه و القوم بمغرار لفهم وضع و كانت 1880بقرار توقيف ––وقد تم مقتل بعض القوم ية منهم في معركة –ركاب– في واد الحجل قرب الرقاصة جانب البيض ‘في 22افريل 1881مما ادعى الى توسيع الثورة– اما في معركة تازينة فقد فشل القومية في مهاجمة بوعمامة وما حماهم سوى الاحتماء بالبل و الاحصنة و القش وقد وجدنا فرنسا قد امرت بعدم رشر نصر بوعمامة في مولاق – تازينة 1881 في 21/19ماي كما صورها اينوسونتي .

أما قوات العقيد مالاري في الخيثر فساندها – القوم –في تاقراوة في خلف الله وحيث كانت قوات صفيصيفة لحراسة الماء في جوان 1881 في نجد اغا سعيدة بالقوم على الطرافي في الشط – كما نجدبالمقابل انب وعمامة لقوم فرندة و اغا دريس –جويلية 1881 ونجد الاغا صحراوى و الباشا احمد ولد القاضي لدفع انسحاب بوعمامة نحو الجنوب ومنها وجد في ديسمبر 1881في تبلبالة جنوب بشار ,. و بعده تم تصادم في فندي شمال بشار

اما في 8نوفمبر تم هجوم بعض الثوار على زواف و قوم فرنسافي واد درمل – الحج –ميمون –قب بني سمير و ميرو مزي و عين الصفراء ,وقد كان ان القوم سرقوا 2000شاة من الاهالي – . اما سنة

1882فقد حدثت معركة في واد الشارف ضد القومية و ذالك في الحدود –تيقري وفندي قبلها حيث بدا بوعمامة يفقد قواته و سيطرته على المعارك ,ص90 كما ظهر صراع بين سي سليمان بن قدور وعلال بن الشيخ من الغرابة و مقبالهما قدور بن حمزة و الدين بن حمزة حيث حاولا اقناع بوعمامة بالاقلاع عن الثورة كما حاولوا اغتياله . –لذا كلف الضابط الفرنسي قوردون 400فرد من القومية للقبض على بوعمامة من الحاج الدين في زوزفانة ([1]).

كان احد الأعيان وهو السيد بلخير منهم قد عين محافظ سياسي – ص 125 للقوم وكان في المرحلة سكان تافيلالت يفقدا مؤتمر للكلمة ودفاع عين صالح مع فقيق ،ذوي منيع ،اولاد جرير ،وقبائل الحدود اواخر سنة 1900.وقد قتل 2قوم 3صبائحية من جيش فرنسا قبل دخول بشار 1905في 7جانفي في رسالة ضابط سيرفيار كما تم تفسي م جيش فرنسا استعمار الى المهارية في قورارة وحاسي منصور وحاسي او شان – .اما سنة 1907في مارس فقد زار جماعة من مغنية الشيخ لكنه لم يجاوبهم بعد الثورة التي قام بها الزرهوني في شرق و جنوب المغرب ضد الملك وفرنسا و شاركه بوعمامة في ذالك ,.حيث ساد التوتر المنطقة كلها .

المطلب الثاني المشاركة الثورية و الإجتثاث

المهاية ، كان احد مشاركتها استقبال الشيخ سنة 1883لبعض البربر و تحييد قبائل اخرى مناصرة مع مهاية ‘في قرارة في تافيلالت من ذوي منيع و اولادجرير التي كانت متمردة ضد فرنسا ,‘مام نهاية جانفي 1902وصرول سي الطيب لابن بوعمامة الى علال بن الشيخ بن الطيب زعيم زوى غرابة وث انتقل بن الطيب الى مهاية و بني قيل المغربية فخصل على الدعم ‘فاخذ الدعم المالي وقام بوعمامة بالصلح بين بني قيل والبربر في المنطقة .. اما سنة 1904فقد انتقل بوعمامة الى شمال مطارفة في توات صحبة شعانبة وبني مطهر ومهاية وبني يعلى و اولاد بشنافة و زكارة .أما في 1905تتعرض مهاية الى هجوم من الشعانبة هروبهم لحماية فرنسا خريبشة .

لكن **المرينات** فكانت فرع من العمور كان جوارهم اولاد سيد التاج بين واد الناموس من جهة ومغرار من جهة اخرى ,,.

---

[1])–خليفي ع ،ق،المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ،في – فهرس القبائل وعن **Journal Le reveil de mascara**

اما المرابطين فكان منهم الغرابة منهم باشاغا فرندة الطيب بن حمو لذي اعترف لبوعمامة

بعد وصولهم لهم بعد معركة تازينة 1881‘كما هاجم مناطق المرابطين واولاد زيان في تيرسين و الحساسنة قرب سعيدة بعد 21جوان 1881و قد هاجموا حتى اغوية فرندة قرب تيارت –.

سيد الناصر، تم نفي قبيلة سيد الناصر الى ياط في تيارت بعد ثورة 1904مع بوعمامة و الزرهوني من طرف فرنسا وقد تكلف الناصر بن بغداد بتسجيل الحضور من اهله لدى مكاتب فرنسا .اما سنة 1881 فقد شارك اولاد سيدي الناصر في معاركه المتواصلة في جهات البيض .

تم إحصاء الخيام و القبائل المشركة مع بوعمامة في الجنوب الغربي بداية سنة 1895وهي مر حلة استرجاع بوعمامة لقوته حيث كثر من اتصالاته و عمل بالوساطات السياسية للتنشيط .بين مناطق واد غير و واد الساور وزوزفانة ثم فيقيق على الحدود المغربية .في ربيع تلك السنة وكامن بجواره اولاد قطيب و اولاد عيشة و الشرفاء لمنطقة عين الصفراء و العمور عامة وفي سنة 1896/ماي التحقت به جموع من العشائر حيث لاقى دعما عربيا و لسلاما يضم اعترافا بخلاقته في الصحراء ومنها السلطان العثماني وو المغربي واثرها تلقى الشيخ رسالة من الحاكم الفرنسي تضمن له الامان و السلم و الصلح . ولكن بقي التوترو الحذر من الطرفين في عز قوة الشيخ . وإليك بعض الأرقام،عن مرجع خليفي سابقا.

القبيلة	سنة الهجرة	منطقة الاصل
عكرمة	1881	البيض
اولاد مومن	1888	البيض
بني ثور	1889	غرداية
مخادمة	1880	غرداية
شعانبة أولاد/سماعيل	1884	غرداية

كما كانت هناك خيم اخرى

40 من اولاد قطيب

15 من اولاد سيد التاج

40 من اولاد سيد الشيخ الغرابة (سيدي بن عيسى –سيدالحاج براهيم

100 من اولاد جرير

150 من ذوي منيع

500 خيمة و700بندقية

حول زاوية الشيخ بو عمامة سنة 1907 (1)

الجماعة	عدد الخيام	ع. رجال	ع. نساء	ع. عبيد	ع. الإماء	ع. الأطفال
بلحرمة	16	27	34	41	39	31
الخدم	67	82	22	00	00	10
سيد بن عيسى	08	10	09	00	00	02
سيد أمحمد	09	14	12	02	00	11
سيد الحاج أحمد	13	21	13	00	00	11
أولاد جرير	05	07	07	00	00	05
الشعانبة	69	93	73	04	00	95
سيد التاج	13	21	02	00	00	09
العمور	35	157	131	01	00	89
المجموع	285	432	321	48	39	260

المصدر (1)–اسماعياي مولاي عبد الحميد ال غوي .تاريخ وجدة و أنكاد – ص–254م ن وثائق القنصلية الفرنسية –وجدة

أولاد تومي فرع من العمور مثل اولاد قطيب و المرينات كانو جوار اولاد سيد التاج من جهة واد الناموس و قد تم اتصال اولاد التومي في بداية الثورة 1881للدعاية و التحضير كما تعاون اولاد التومي و الغياثرة و اولاد احمد للهجوم على حامية فرنسية .ص 65/64/60

–**أولاد جرير** قبائل قصور بشار كانوا جماعات تعاون مع الشيخ بو عمامة قبل الثورة وحينها اعلنت الثورة مع بداياتها في حين كانت تسيطر الطريقة الطيبية في المنطقة وقد عاش بعضهم في تافيلالت هروبا من فرنسا و هم يواصلون المقاومة مع بوعمامة .وقد حفر معهم ابارا في بني عباس والعرق الكبير واولاد اوبر والعقلة الجديدة وزوزفانة .حيث كان هناك موعد لقاء بين بوعمامة واولاد جرير بعد عودته من الدلدول ,.وسنة 1895كمن هناك 100خيمة منهم معه وفي اوت 1900تم احتلال عين صالح وتوات وفي جوان تم هجوم اولاد جرير على قافلة فرنسية قادمة من ايغلي كنهاية القوة .

حميان –كانت تحت قيادة سليمان بن قدورفي أفريل 1869 البيض وحميان والت تم ج معها في اشراف موحد .وكان سليمان بن قدور و الحاج صحراوي قد عاونوا فرنسا ضد فدور بن حمزة –وسي لعلى و سي العربي .بينما كان استقبال مبعوثي بوعمامة من طرف حميان .رغم أنه اختلاف في المواقف بينهم في الثورة .وكان منهم فرع حميان جمبة خدام بوعمامة في 1881.مما جعلهم سباقين في الثورة في أفريل 1881.كما إستفادو من الهدنة و السلم في 1883. بينما بدأت هجرة حميان شافع الى داخل التراب الجزائري رجوعا بعد قمع فرنسي لهم.وذلك بعد طلب و رجاء بوعمامة لهم في رسائل بينهم .

وبقيت العلاقات مشدودة بينهم حتى في أثناء هجرة بوعمامة الى دل دول في توات 1895 من خلال الرسائل و المبعوثين بالتوازي مع صلات مع الحدود المغربية . و أواخر ثورة بوعمامة وقع شيخ بني قيل المعربية سلما مع فرنسا في 1904 حتى دخول بيوتي الى عين الصفراء'ومنها قام البعض من بني قيل و حميان بهجو م على بوعمامة ولم يدم طويلا .لأن الحصار كان مشددا على بوعمامة شرقا و غربا بالعناصر المناوئة له . ولكن ذلك تم بحذر كبير عند بوعمامة الذي قام بتهديدات متتالية لتلك الجهات انطلاقا من وجدة عام 1904كما واجه الجنرال ليوتي في نفس العام . وقد كانت تلك الصراع الثوري قد سبب نفي بعض حميان الى خنشلة ومنهم المقدم و الفقيه وحتى بعض المخازنية وفيها تم نفي قائد سيد الحاج بن عامر الى سان مارغريت .وبعض من رجال سيد الناصر الى كاليدونيا.

ذوي منيع ، تذكر المصادر أن سي قدور نجحو ذوي منيع بعد هزيمة ماقورة في 17 افريل 1871 و قد رفض المفاوضات و انسحب الى واد الخ ير وكان قبلها الى بني مطهر في المغرب على الحدود .ولكن الخلاف القبلي الداخلي خلق التوتر لديه واستمر الى1871/12.

كان أولاد جرير وذوي منيع وبني قيل من خدم بوعمامة وكانت بينهم لقاءات و زيارات معتادة و عائلية ./أما قبائل الرزاينة و أولاد سيدي خليفة و الأحرار و شعانبة فكانوا يقدمون هدايا و زيارات من بداية الثورة وخاصة في 18 أفريل 1881.أما بعد لجوء بوعمامة الى دلدول في توات ،في مرحلة راحة وعبادة ،وبعد قبضة و المغرب على الحدود و الهضاب الغربية.رغم التوتر كان البعض قد رحل ،من ذوي منيع و جرير وشعانبة الى تافيلالت بالمغرب الأقصى وهي التي رفضت الإستعمار كما حارب بعضهم مع عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي .

التقى بوعمامة جماعة من ذوي منيع في قورارة ومعهم قبائل الأطلس الكبير من المغرب الذين دعوه للإقامة بينهم وهنا تم تجنيد لمواصلة الثورة . ومن ضمنهم غنانمة وأولادجرير و زوي و برابر . وفي هذه المراحل لم يقطع الإتصال مع فقيق و العائلات الجزائر مثل بني قيل و جرير و منيع وبربرو حميان . بينما كانت فرنسا كانت تناوش في اتجاه عين صالح وكان سي قدور قام بإتصال بذوي منيع وبرابر الساورة .كما تهيأ سكنة تافيلالت للدفاع عن عين صالح و ذوي منيع في 1900أواخر .و حيث كانت تجمعت 150 خيمة من ذوي منيع وقبائل الثورة بين 1895في الجنوب بين الساورة و زوزفانة الى فقيق بالمغرب و العرق الغربي .في 1896لخوض مراحل جديدة من الثورة . حيث هجم ذوي منيع وجريرعلى قافلة للتموين عائدة من ايغلي وتم قتل 06من الفرنسيين في جويلية 1900.وبعدها تم تخيير ذوي منيع بين الإنضمام للمغرب و الجزائر الفرنسية فكان موقفين .كما تم بناء مركز جمركة بين فرنسا و الجزائر في 20جويلية 1901.طبق معاهدة 1845.وأخيرا في 1903 حدثت معركة في تاغيت بمشلركة قوية لذوي منيع .ثم معركة المنقار بقيادة البرابر/1903/25جويلية.وهجوم على مركز فرنسي في 18 أوت من ذوي منيع و 200 من الشعانبة تبعا لمعركة تاغيت .

العمور وهم عشائر قاطنة غرب أولاد سيد الشيخ ،وفي عهد بوعمامة ،بين فج حجاج الى العرق الغربي جنوبا وهي تتواجد اليوم من عين الصفراء غربا الى أفلو شرقا .وقد ناصروا بوعمامة بجنود وتموين حربي .و كانوا في صف واحد مع جيرانهم بني قيل و ذوي منيع و أولاد جرير و حميان منذ اللحضة

الأولى .والتي كانت في 22 أفريل 1881وكان لهم إتصالات متتابعة مع سي قدور و سليمان بن قدور وسي لعلى منهذ الثورة الأولى 1864.

وقد تعرض العمور الى المطاردة منذ تأسيس مركز عسكري في عين الصفراء حيث فرض الإستعمار على البعض سكن عين الصفراء في 14 ديسنبر 1891 .وذلك بعد مشاركتهم القوية في المقاومة وحيث تم حصار عمور في 1881 من طرف كولونيو و نيقريي و ديلينباك حيث جرت معارك بينهم في مزي و سمير وجبلها.وأثناءها مات شيخ سيد التاج سي محمد .أما في 1882 فيفري فقد تم الهج وم عليهم قرب فقيق بهدف نقلهم الى الغرب من ذلك .كما تم الهجوم على أنصار بوعمامة في مارس 1882.مع العلم أنه كان إنتشار الطريقة الطيبية في المنطقة.ولكن ساد التضامن و التوحد .وقد ساهمت الحركة الثورية في تأجيج التوسع الكولونيالي بعنف و سرعة.فنجد احتلال جبل عمور وبني سمير و بورزق في 1884 بعد جصار العمور .أما في 1888 فقد تم حشد العمور ضمن عملية اقامة جبرية ‘بعنف فرنسي فهجر البعض الى أفلو و الأخرين الى سعيدة للعمل وجهات أخرى ‘ومنها تم تفريق القبيلة بسياسة فرنسية.

كان العمور من خدم سيد التاج ويذكر أنه في 1894 هاجرالبعض منهم الى أرض المغرب بمساعدة أولاد عيسى ‘بعد رخصة فرنسا لهم سنة 1891بالعودة الى عين الصفراء ومع ذلك قد رفض بعضهم ذلك .كان العمور في أرضهم في الجزائر و المغرب ولكنهم لم يعهجروا مع بوع ماممة الى دلدول .ولكن عام1893تعرضوا الى الضيق فرغبوا في الرجوع الى الجزائر .ولكن الشيخ بوعمامة نصحهم بعدم العودة في تلك الفترة .وفي 1904رافق العمور بوعمامةمن المطارفة الى حدود المغرب ‘سيدي ملوك .مع 1000مجاهد .أما حين طلب بوعمامة رخصة تنقل عبر الحدود المغربية ‘بدات فرنسا في احتلال رأس العين لضرب بوعمامة .

وفي تلك المرحلة كان الزرهوني مولاي محمد في ثورته ضد الملك المغربي .وفي عام 1904 تم نفي العمور الى أفلو ‘ قرب الأغواط ومنها اقامة جبرية على سكان سيد الناصر و ممثلهم الناصر بن بغداد في– زياط–قرب تيارت ‘وفي أخرماي 1904 تم اعفاء العمور من العقاب وخدم تجنيدهم .

أولاد رياح قد اعترفت فرنسا بجرائمها بتحطيم الممتلكات وحرق الاحياء في الكهوف ومحاكمة رجال الدين و ذالك عهد بومعزة 7/1845/1844 حيث قام تيبيليسي في جبلا الظهرة حرق البشر عهد في مغارة فماتوا اختناقا انه حر بنا الفرنسية ضد العصبية الوطنية والدينية .عن يحي بوعزيز – ثورات الجزائر 1980ص57وعن خليفي ع قً ص20.

أولاد زيان كانوا خدم للشيخ بوعمامة في تيارت وثاروا مع شاوية تيارت واولاد قدور سنة1878احتجاجات ضد فرنسا في كل مناطق اولاد سيد الشيخ ‘لذا صدر امر اعتقال بوعمامة في حين كان سي حمزة يواصل الثورة واثرها تقوم فرنسابعث مراقبين للمنطقة لتفقد الوضع وتفهم ذالك الحال .

أولاد عامر هي قبائل من عمور كانت تجاور لولاد سيد الشيخ حول بني ونيف وواد الناموس امل لولاد عبد الله فقد كان زعيمهم محمد ولد علي والذي ثار في 1880حتى 1900ومات مجاهدا على يد فرنسا فقد كان يسمى سلطان الجبل ‘وقد التحق بعائلته في جبل الاخضر ‘في ناحية بوعرفة بالمغرب حيث قتل بعضهم في معركة باردیل

أولاد عبو من خدم اولاد بحوص الحاج من واموقد كان بعض قد رفض استقبال بوعمامة ن منطقة تينركوك و دلدول من وماد غير مع ذوي منيع نحو قرارة ‘صراع 1882,.

غنانمة قبائل من بشار و الساورة

أولاد عروشة من قبائل توات

شعانبة

كان الشعانبة من قائدي الثورة مع جماعةمن بني مطهر و سيدي خليفة والرزاينة و الاحرار و بني مطهر كما كان الغياثرة و اولاد احمد و اولدد تومي من العمور .لشعانبة من الاولين في صناعة الثورة المعلنة من طرف بوعمامة عام 1881حيث شاركو ا في الاتصالات ألأولى والتموين و الاسلحة لذلك .لذا وجدنا ان بعض زعماء القبيلة زاروا الشيخ في زاويته بالاضافة الى عروش اخرى .وكان ذلك منذ مقتل الضابط الفرنسي وينيبرينر في 22افريل 1881قي واد الحجل –قرب البيض .ص78و قد شارك منهم 400فارس ز .وقد شارك 400 مجاهد وفارس حربي مهاري و من المشاة 2500رجل في معركة الخيذر في جويلية 1881.

مما سبب لهم ملاحقة فرنسية وفسخ اتفاقية 1853التي جعلت منطقة ميزاب في سلم مع فرنسا ,اما بعد مشركتهم بوعمامة فقد اصبحت ميزاب دائرة تحت حكم في غرداية و حامية عسكرية ومكتب عربي

.ثم مركز في رويسات في ورقلة 1883)حسب.وقد تاكد نشاطهم بكل قوة ف الذخيرة و المؤونة لبوعمامة في تزويد السلاح رغم الحاقهم بالخكم العسكري 1882.رغم تواجد قوات في ورقلة مهيكلة متذ 1883.([1])

كما التحق بعضهم م ن 54 خيمة وكان معهم الجرامنة و قبائل الاطليس و سهوله و زوى الغرابة و المجادبة,و قبلهم ذوي منيع ‘في انسحابه نحوقرارة و دلدول حيث كانت تسود هناك طريقة الطيبية وحيث اولد عبوخدام سيدبحص الحاج .بعد رفض اهل فكيك استقبا الشيخ لتهديد فرنسا لهم .كما كانوا على اتصال هع الطريقة السنوسية الت كان يقودها الحاج مهدي صالح في عين صالح 1885وحيث كانوا ضحية وبعض التيجانية ، وقد قامت معركة ضد الطوارق التابعين لفرنسا سنة 1887كما حدث ان قبيلة اولاد مولات بالهجوم على جنوب مغرار مما خلق توت الوضع ويقظة المجاهدين في كل المنطقة .ص 109.ا ([2]). اما بين سنة 1888/1883فقد تعرض الشيخ و جنوده و الزمالة التي كانت تلحق به ,الى فتل و سرقة و تشريد من اعوان فرنسا ,كما التحق البعض الاخر من شعانبة لبوعمامة بعد خذل سي قدور بن حمزة بعد صلحه مع فرنسا ,وكانت منهم عائلات من ورقلة ومتليلي و مواضي و غردا ية و المنيعة سنة1887حسب دي لا كروا و لا مارتينيار .كما نجدهم سنة 1890قد كونوا 84خيمة مع خيام بوعمامة مع اخرى من الجرامنة و الزوى .في حين نجد جماعات اخرى من المجادبة و الكرارمة و الطرافي .قد رجعوا الى الى موا قع اقاماتهم الدائمة .في حين نعرف ان احتلال الم نيعة في جانفي 1891ومنها توغل خطير في اعماق الصحراء ,من توات الى قرارة الى تيديكلت الى الطوارق .كما جرى اتفاق سلم مع بين الشعانبة و و الطوارق ‘الذين وصلوا الى بوعمامة في اقامته وكان بوعمامة في نفس السنة بعث في جانفي رسالة الى قايد الوادي لكي يعلم دوره ورقلة ومنيعة و متليلي في نفس الوقت جاء بعض زوى شراقة لفع السكان الصلح مع فرنسا .

---

[1]) .دنيس بيلي ‘معالم لتاريخ ورقلة ,1892/1872,ط هيريكوم 1995

- قرول ,انتفلضة بوعمامة
- هنري قارو ,التاريخ العام للجزائرط 1910كريسمنسو

[2]) .أحمد العماري مشكلة الحدود

وهكذا قام الشعانبة مع اخرين بغزوة ضد اعوان فرنسافي شمالي ورقلة 150كلم و استولوا على 300 راس ابل وهربوا الى توات ونفس الوقت يتعارك بوعمامة مع طوارق فاخذ 600ابل وقتلوا 11رجلا .وكانت النتيجة تقرب فرنسا و السلطان المغربي من بوعمامة و جنوده للنتصاره في الميدان .ولكن وجد قيودا وغطرسة في الصلح والسلم مع فرنسا .ومع تتابع الزمن سنة 1894والرجوع من دلدول وتوات عامة حدث تصارع بين شعانبة و اولاد جرير تابعين لبوعمامة ‘فما على بوعمامة سوى ان يوقع بينهم الصلح فدفعوا 20جملا .فكان الاتفاق بينهم بشرط حضور اولاد جرير الى زمالة بوعمامة ومنها مساعدة شعانبة لاولاد جرير ضد بني قيل .في وقت كان اولا جرير في واد غير .ثم تنقلوا الى زوزفانة ثم الى العرق في عين الوبر ثم حاسي بوعمامة .وفي الطريق حدثت معركة بين بوعمامة و فرنسا واعوانها فمات لبوعمامة 50رجل من الولاد جرير وعين شعير وذوي منيع وموغل و لحمر والبرابر.

وكانت معركة تاغيت حاسمة مات فيها 9قتلى من فرنسا و 21 جريح منهم وذلك سنة 1903اوت 18/ومن بوعمامة 200من شعانبة و برابر و ذوي منيع كما تم قبلها في 25جويلية 1903.ص 142‘اما في اوائل ماي 1903‘انتقل بوعمامة و الشعانبة ومن المطارفة ثم عين رقادة وكانوا بصحبة من قبائل العمور وزوى الغرابة وبني مطهر و مهاية وسجعة و بشنافة و بني يعلى و زكارة و ذلك بعد هروبه من من المغرب بعد هجوم مغاربة من لعمور و بني يعلى و بني مطهر على زاويته قي صيف 1904.

وقد حدث هجوم الشعانبة على مهاية بعد غدرهم في 1905/ماي /20و استولوا على مواشيهم بعد استنجادهم بفرنسا في العريشة .وحيث منطقة معمرة من قبائل سجعة وانقاذ و بني حالد وكانوا متواطئين مع الملك المغربي ,.ايام ثورة الزرهوني([1]) .وقد اعترف ليوتي ان هناك صداقة وثيقة مع بوعمامة ‘وقد التحقوا به في الحدودو العريشة و توات .وقد كانوا في المنقار سنة 1903 و حاسي اوشان 1904حيث تم قتل زعيمهم مسعود بن محمد من الشعانبة من ورقلة 1906في جانفي وقعت معركة بين ترك فيها الشعانبة كل ماشيتهم من الغنيمة في المعركة في الحدود منها 600بعير وقتل لهم 12رجل و 3مجروح . و كل الامتعة و 22بندقية .

وبعد خروج بوعمامة من الحدود و هجومه على البرابيش و اخذ الف بعير و فقده 35رجل و مرت القافلة بمدينة تافيلالت .ص 165 ‘اما سنة 1907فقد وجد ان الشعانبة 69خيمة من 93رجل و

---

[1] – الملتقى الول لمفاومة الشيخ بوعمامة –الجزائر اوت 1999

97امراة و 4عبيد و 95طفل .في الزاوية بوعمامة .وكانت قبيلة تعتمد على المهارى ومنها ما اخذ مع بوعمامة .حيث كانت العشور والزكاة الهدايا و الهبات الممون الأول للثورة و الثوار .

ونحن نعلم هجرة البعض من الثوار الى بو شبكة و تعظمت و البرواقية و سان مارغريت في فرنسا و كاليدونيا الجديدة و بعضهم من اولاد سيد الناصر –12فرد –ورجع منهم المختار بن منصور عاد الى وطنه سنة 1894بعد 13سنة في الهجرة .و تم تهجير حميان الى خنشلة من طرف فرنسا ومعهم المخزنية و هجر القايد الهادف من صفيصيفة – عين الصفراء الى افلو و نفي بن يعقوب من الواد لخضر الى صفيصيفة .وفي سنة 1881عقوبلاتعلى المجاهدين كضريبة ربع محصول الزراعة اوربع الماشيةو الضريبة العادية وحتى اعمال السخرة .كما تم القبض على رجلين من الشعانبة في متليلي و سجنهما في غرداية ثم نفيهما الى باتنة مدة 4سنوات و سجن اخرون عدة شهور . بسبب الثورة([1]).

[1] – خليفي،أ، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ،د م ج الجزائر. 2010 في الهامش عن صفحات حتى ص 183

الباب التاسع تحليل و نتائج

الفصل الاول التحليل العام للعمليات

الفصل الثاني نتائج عامة

تقديم

قام الشعب الجزائري منذ الوهلة الاولى ضد الاستعمار ' فكانت المواجهة دموية بينهم رغم عدم التساوي بين الطرفين عدة وعتادا ' لذا كان الجزائري هو الضحية الاولى وتضرجت ساحاته بالدماء .هكذا نجد ان المقاومات الاولى قادها في العاصمة الشيخ السعدي و قادها خارج العاصمة و البليدة سي محمد بن زعموم وحسين بن زعموم وموسى السعدي ولكن فرنسا واصلت توغلها وجرائمها في الريف و المدينة و السواحل فحرقت الحقول و المزارع وقطع الشجر في المتيجة لانها معاش سكان المنطقة .اما جنوب العاصمة فقد ذكرت المصادر ان قبيلة العوفية قد كانت ضحية انتقام استعماري الايام الاولى بالقتل الجماعي والتعذيب وقطع الرؤوس التي تم بيعها في سوق بول وغين مرصعة بسلاسل الذهب و الايادي بالاساور .عام 1832افريل .ومن ذالك كان كل ابناء الحي الحراشي ضحية الابادة من ابناء خليل وبني سبت ,بعدما قاموا بتعرض و هجوم على قافلة من المتواطئين مع فرنسا .

الفصل أول التحليل العام

المبحث الأول التحليل السوسيولوجي للمقاومة والفعل الكولونيالي

المطلب الأول أساليب نشر القابلية للاستعمار:

إن فعل المقاومة من طرف المواطن المظطرب الوعي امام هجمة غريبة بوسائل جديدة و همجية هي دعوة الى المقاومة الشاملة وتثوير الفرد او نقل المقاومة من الوعي الذاتي الى شعور وطني، يعكس شعور بالذات المستقلة، و الفضاء الجغرافي لذا يمكن أن يتحرك فيه ومجمل السلوكات التي يحق له أن يفعلها في إطار قيم جماعية تكون وتربي عليها في الجماعة التي يعيشها في محيط واسع و صغير ومتوسط وبعيد لأن ارابط الوطني و المخيلة و الذاكرة الجماعية كانت متوترة و جد ومنفعلة من الوضع الانساني المظلم .

هكذا كتب بعض المؤرخين عن هذا الشعور العميق الذي لم تقض عليه لا الحرب ولا القتل ولا التشريد ولا الحرمان من الأملاك و المحاصيل المعاشية، لقد قال هذا أحدهم في بصريحاته " يخيل إليه أنه أمام إنسان صلب ش ديد لا تجدى معه، أية محاولة لخنقه أو قتله، بل لا يكاد يشرف على الهلاك حتى يبعث حيا من جديد ."([1]) و كان ذلك عام 1844 الذي دعى إلى شجب ذلك من طرف ضباط

---

[1])– م الأشرف، الجزائر الأمة و المجتمع م س، ص104 عن المؤرخ conte d'lorisson في كتابه: المطاردة للانسان.

الإستعمار ضد هذا الكتاب. لكن الاستعمار الذي حاول إصدار فتوى من علماء مكة و تونس لوقف الحرب من طرف الجزائريين، فإنه وجد ذلك أضحوكة لدى المقاومة، فواصلت ثورتها بعد ذلك و أكدت معركة سيدي براهيم عام 1845 قوة المقاومة و صلابة الشعور الوطني المتجذر ضد كل تغليط من طرف **Leon roches** الظابط الإيطالي المجري ، الذي جاء بالفتوى و خبراءه معه في الدين و السياسة . فكان ضحية المعركة أقوى جنرال حرب، وهو مونتنياك فلاقى حتفه على أيدي المجاهدين .وقد جاء بالفتوي من الازهر و الزيتونة و مكة ليدعو الشعب الجزائري للاستسلام . في هذه المرحلة كان حب المغامرة و الحس الرومانسي يقلق أنفاس ضباط الاستعمار، لكن سيادة النزعة العدائية الم نفعية الاقتصادية و السادية الدموية هي لب المشاعر الذاتية لفرنسا.

لقد كان الضابط الفرنسي متآلما للوضع الفرنسي، حاقدا على بعض أسلاف النظام الملكي، وغيورا على إنجلترا المتوسعة أكثرإستعماريا، فركبه هوس البطش و القوة ضد العزل و المسالمين حتى في المغارات و الكهوف، ليظهروا على أعدائهم وجيرانهم من الأوروبيين الذين فرضوا عليهم شروطا للحرب و الاستعمار و البلدان المستهدفة لذلك كما فرض في الحلف المقدس، فكان آمالهم متعلقة برجوع عهد نابليون التقدمي . لقد وجد جيش فرنسا، متعة في حرب الأهالي و المقاومة، رغم ما يلاقي ه من عمل متواصل في حرب العصابات التي كانت هادفة لأخذ السلاح خاصة من طرف المجاهدين و الأهالي الذين مورس عليهم القتل و التجويع و الضرائب ووقف التجارة ، كما فرض عليه التنقل لغرض عملية الاستسلام وودعوة الخضوع لكافة السكان([1]).

وصل بسذاجة و سفاهة بعضهم اعتبار الحرب فن من الفنون الجميلة، وكأنها لعب فروسية سياحية وهي كذلك ما دام الفرنسي كان يقوم بخطف الأطفال و النساء وقطعان الماشية .كما صرح فوري **Forey** عام (1843([2])، بالإضافة إلى حرق القرى و قطع الأشجار المثمرة . و الغرابة في الأمر أن الجرائم الاكثر بشاعة في التاريخ البشري الحرق في الكهوف كانت ماثلة للعيان، و مسجلة في مخيلة كل وطني ، في الظهرة ضد أولاد رياح و في تنس ضد الصبيحية عام 1844، لقد أعلن دي كاستيلان أنه وجد سكان الظهرة يعيشون في " نظام شبه جمهوري " أي غرابة في التحليل و الوصف السياسي للمجتمع المحلي للمنطقة. فقد كان البؤس الجزائري يقابله العتاد و السلاح الإحتلالي والعبثية الوحشية.

---

[1])- الأشرف م، م س، ص 107. عن Memoirs-changarnier

[2])- الاشرف م، م س، ص 108

من هذا أن الفعل الاستعماري و الذي لا يهمنا أكثر من اللازم في هذا البحث– لأنه يتطلب بحثا منفصلا – بقدر ما يهمنا البحث في الفعل المحلي الثوري اتجاه الداخل المستعمر وذل ك طبق اشكالية الموضوع المقترحة عليكم منذ البداية ولكن ان الفعل الاستعماري يمكنه ان يقدم ما يفيدنا في التبرير و التوضيح فقد كان نزعة عسكرية إجرامية، قام بها بعض خريجي السجون و حتى حثالة من الجيش الفرنسي، كما كان يرى احد الضباط أنهم عندما بحث عن حقيقة الك تيبة ([1]) . لقد إعتبر البعض من الضباط أن القتل مهنة و الآخر أن جيشه – مشاة الموت– وبيحو سم ى جيوشه الطوابير الجهنمية ([2]) أما الشعب الأعزل ومن المقاومة المسلحة فقد واجهت ذلك بقلب بارد ورفضوا الاستسلام رغم جرائم بيليسي في الظهرة، وكافيناك، في شلف وسانت آر نو، و كاتروبير . حيث كان ملل الجيش الفرنسي واقعا، وفرض فلسفة جديدة للاستعمار، ومنها فكرة – إستعمار جديد– أو إعادة دخول للجزائر، لأنهم فقدوا الأمل من الوصول إلى أعماق الجزائر، ولا حتى في العاصمة و نواحيها التي ركزوا عليها أولا و أقاموا حولها آلاف العساكر و حاصروها بكل قوة لإثبات مركزهم و قوتهم لأنها مركز التوثيق و الفعل السياسي .

في حين كان بعض الضباط يهصل الى الترقية و الرتب الإضافية بفضل التقتيل و الإرهاب الذي يمارسه كل ضابط ضد السكان، ولكن الوطنية المحلية كانت أقوى من ذلك حتى قال أحدهم " لا تكاد طوابيرنا تغادر المكان حتى نضطر لإرسال الجيش من جديد ..."([3]). و كونت فرنسا فرق عسكرية من الزواف واخرى من الصبائحية من بدايات الدخول الاستعماري .لذاكانت فرق من الزواف وهي من افراد و عناصر من الجزائر يين فقط .وقد كونها الجنرال دي بورمون اولا .و هي متصفة بالبطش و العنف و القوة .اما الصبائحية فكانت فرقة مختلطة من الجزائريين و من الكولون من مالطا و الاسبان و الايط اليين كما تم تكوين فرق من القومية فيما بعد من ممثلي العشائر وجنودهم .

المطلب الثاني المقاومة و الهوية إمتلاك الذات :

إن التعدد الإقليمي في عهد لأتراك و تبلعد القبائل و العشائر الجزائرية لم يكن رادعا لتوحد هوياتي منفجر بالثورة ضد الاحتلال و توحد الرؤية و المرجعيات الاساسية رغم المفارقة في التقسيم الشكلي ‘الذي هو استهداف استعماري للشعب الجزائر ،الذي وحد هالدين أولا و تألف العقول و القلوب بالنظر

---

[1]– الأشرف م ، ص114.

[2]– ن م س، ص114.

[3]– ن م س، ص115، عن COMPAGNE D’afirque .de wumpffen

إلى منطق الأخلاق الإسلامية و الامازيغية و الثقافة المحلية المتجذرة في مخيلة ثرية بالصور البطولية والرابط الوطني و المستثارة أليا من الخضارة الاندلسية و البطولات العثمانية في البحر المتوسط .

إن ردات الفعل ، كانت تتم خارج البناء التقليدي المعروف بالقرابي أو القبلي المبني على العصبية ‘فالفعل الثوري من أفراد أو جماعات ضربت قيمها و أملاكها و مصيرها ،فوحدت بينها إلهوية الثقافية و الدينية ([1]) وخطر المستقبل المظلم . و لكن الفعل الاستعماري ،كان من يوجد طبق شدة المقاومة قام بالإجتثاث **Deracinement** ([2]) ،كما حلل ذلك عبد المالك صياد ويبار بورديو في كتابهم المعنون بذلك . فكان الحفاظ على قوة الإستعمار و فتح مجال لتوسع و إضطهاد الأهالى هي المبدأ . لذ نجد الاستعماريركز حربه على الرحل حيث فيهم خطر الربط الجغرافي . بينما رأى فائدته و سهول ة الاضطهاد بين سكان المدن و قرى الجبال ال بربرية و القريبة من السهول الخصبة حيث قام باغرائهم .لفصل القيم و الثوابت المتراكمة في العمل و التضامن و التناصر السياسي و الثقافي

يقول أحد الباحثين ([3]) كانت العروبة و الاسلام تمثيلا للهوية مافوق الوطنية ،في تونس في مرحلة البناء و التجديد. أما في نظرنا ،إن ذلك كانت مشاركة و جدانية في هوية ثقافية ترسيخا للمواطنة المتراكمة . أما الهويات ما تحت الوطنية،فكانت دوائرمقاومة إمتدت بشكل جغرافي، و شكلت قلاعا حصينة حسب تعبير جاك بارك، حيث نجد الأمير عبد القادر في الجزائر وعمر المختار في ليبيا رموزا لهذه الهويات ، ومنها الأرتكاز القبلي في الحركة الوطنية ‘ آي أن في فهمنا أن تشخص المقاومة والثورة في رموز من الأفراد تعكس ثقافة توأمه ومواءمة ربطتها الوصال القبلية المتعددة الأنساب في كتل موحدة ضد الاحتلال فالعصبية خلال المقاومة ، كانت روابط سياسية واجتماعية فقط .ولم تتغلب عليها الصفة البيولوجية للدم إلا قليلا بمقتضى بعض النزعات المصلحية والعلاقات العائلية.

أما العائلة فقد خلق التراكم التاريخي‘ لبنية الجماعات السكانية في بلاد المغرب والجزائر خاصة ، فعاليات جديدة ، وتمظهرت وحيدة تساهم في فرض اساليب جديدة في الحياة والنظام الفردي في التعامل والتعايش البشري .لقد اكتشف الباحث الاستعماري ، نوعا من الفرادة في العمل والمقاومة بعد دخوله هذه البلاد . وذلك لا يعني أنه كان تضعا مجهولا علميا منذ ابن خلدون في نظرية العصبية . لقد وجدت الانتروبولوجيا الاستعمارية ان ظاهرة التلاحم الصفوف تتجاور حدود القطر واحد ، لتصل القبائل الأخرى

1- بوطالب م س.ص 100

[2] المرجع السابق ‘ص 102

[3]- بوطلب م س ‘ ص قبل الأخيرة

على التخوم والجوار ...كما نجد أثناء المقاومة ، في مثال مقاومة الباي و الامير ' صفوف بن قانة وصفوف بوعكاز ... اما في المغرب الاقصى فنجد ظاهرة " الأصناف " وهي تابعة لظاهرة "اللف" كما وجدها مونتاني ، فـي نظرية الانقسامية المجحفة ([1]) ومعناه أن هناك تضارب في المواقف والسياسات مما عكس الواقع الى صراع الاطراف ضمن صراع الصفوف وذلك لا يعني أنه صراع في السلطة في الأسرة الحاكمة .فالصراع سبب الانقسام و التصارع و اختلاف التموقعات و الانتماءات و القيم وطرق الحياة . " فكانت أسباب الانقسام صراع يومي حول الخيرات و وكانت علاقات الجوار عاملا مؤثرا على جبهتين (ضد و مع) تؤدي إلى جر أتباع ... " حسب رأسمال ثقافي أو اقتصادي أو اجتماعي متراكم .

لهذا كان لذلك خريطة جغرافية ، شبه شطرنج ، تمثل طرفين ، وثقها الأدب الشعبـي. مخياليا في الشعر ،و الامثال و القصص التاريخي السردي . إن التكوين المتشابك للقبائل و العشائر كان سببا في خلق دلك النزاعات الداخلية و ضد الاستعمار، و لكنه في جهة أخرى ، كان عاملا لانتفاء تلك الصراعات في الخطر الحاد ، نظرا لبنية العائلة وليس القبيلة ،لأن ا لعائلات أحيانا لاتكون رابطا داخليا فقط بل رابطا بين عدة قبائل و عشائر طبق مصادر العمل والإرث والزواج و الجوار و التعامل مما خلق قبل الاستعمار جماعات من العبيد و الخدم .كانت مفخرة لكل عنصر في بنية المجتمع . فالعائلة كانت ،إقتصاديا ممتدة بداية من القرن 20، و كانت رعوية و فلاحية و حرفية و دينية .([2]) كما كانت هناك عائلات نواتية، تقوم بالرعي، طبخ 'تسوق و توفير أمن عناصرها . كما وجدت عائلات فردية أوخلوية ،بعد تطوير المجتمع الريفي و الحضري و التعليم و الصحة ' بينما كانت العائلة قبل للاستعمار و حتى نهاية المقاومة وبداية الاندماج المظهرى السلمي ' مند القرن 20،فكان هناك الشكل القبلي العشائري و هو الذي يحرك و يحكم هناك و يقدر الظواهر طبق الدين أو الاعراف في العمل و الحرب والاقتصاد و الحركة .

حيث الحركة تحكم تنقل الافراد وهجرتهم حسب المواقع الجغرافية المنا سبة للعيش و الأرض و الاستقرار و قبول الاخر .من هنا نشأ الاندماج المهجن الداخلي ،الذي خلق عصبيات اخرى و جديدة في المجتمع المغاربي ، حيث تكونت روابط جديدة وعلاقات جديدة، كونت الهوية الجزئية الصغرى تابعة للهوية القومية الكبرى للقطر أو للأمة .فالاندماج خلق الهوية بفضل التكامل ، بالتراضي والعفو والتسامح ، بينما كان منطق الدولة يفرض الخضوع الاستغلال سواءا في العهد العثماني أو الاستعماري .

---

[1]- بوطالب م س ص 117

[2]- بوطالب م س ص156

لذا لجأ الاستعمار إلى عمليات توطين بفلسفة استعمارية اخضاعية مكنته من فرض قوته حتى 1954 فقد كان اجراء عمليات وتنقلات بين القبائل والعشائر والعائلات مساهما في تفكيك القبائل للسكان وطمس القيم .فكان فرض اماكن لتوطين هذه القبيلة أو تلك في المواقع الجغرافية المحددة ، عاملا في خلق البلبلة ' انظمة تركيب المجتمع والانتقال من الحالة القبلية الى النواتية أي المفككة . من ذلك اصبح التو طين الجغرافي مقصد التوطين السوسيولوجي 'في معنى الاستعمار هو التهجير و النقل الجغرافي للبشر حسب أهداف كولونيالية مرسومة والذي يهدم فلسفة الجماعات البشرية التقليدية، وهو ما عبر عنه المنظر الاكولونيالي بالادماج و اعادة الادماج بمعنى أخر لبيهيل الاحتلال ' فقد خلق الادماج مجموعات في جماعة الوطنية تعرف اديولوجية ثقافية و سياسية و اجتماعية و ادارية بهدف القضاء على النظام القرابي ,والملكية الجماعية وخاصة العقارية ،وإلغاء الولاء المحلي ونبذ الصراع مع الجيران على مصدر العيش ([1]) هكذا وجدت الخلدونية مرعى لها رغم بعد الزمن من ق 14 إلى ق 19 .

أما االجابري منا رأينا في نظرية العصبية فقد حدد (القبيلة –الغنيمة –العقيدة) كمفاهيم الوجود ' و لكنها في محل نقا ش؟ أما الاستعمار فقد ركز على الاستقرار لخلق وحدات متشابهة لكنه فشل في مقولات 'الصحراء' الريف' البادية ([2]). لذا كان الاستعمار يهدف بالتوطين خلق الاستقرار ، في المرحلة الهدوء والتوغل داخل أنظمة المجتمع الجزائري وخاصة التل حيث سيطر على الأرض الفلاحية وبدأ يستغلها ويستخدم فيها من الاهالي عمالا، كما بدأ فتح مدارس وجامعات وفتح الهجرات نحو فرنسا وغيرها قسرا ورغبة . فقد كون بدلك تكوينات اجتماعية ناشطة ،من اثر التعايش الجغرافي الفكري و اللغوى و بالتالي بنية سياسية متكاملة و وعي حداثي بالمواطنة و بدأ يظهر دور الانتماء الاجتماعي الثقافي في توحيد الانتماء السياسي الهجذر تاريخيا و الذي تم التنضيد له و دوره الفاعل الثقليدي في حركية المجتمع المتلاحقة .

- إلغاء مصداقيتة المطارحات والمصادرات والسابقة التي عرضها الانتربيولوجيون و المستشرقون ([3]) و المؤرخون حول بنية المجتمع الجزائري ،والإسلامي و فواعل حركيته داخل بنيته ومع الخارج .
- رفع مصداقية الاختيار الواقعي للمقولات المحلية ،و الإقليمية للجزائر .

---

[1]– بوطالب م س ص 152

[2])–نفس المرجع السابق ص 153

[3])– م ن بوطالب م س ص 19

إن الاكتشاف الكولونيالي هو مهاترة،قضت على مضاجعه من الوهلة الأولى ،و ظهر فساد المنطق الجغرافي وفلسفة التموقعات ، طبق انتقال الثورة والمقاومة من مكان إلى آخر بنفس النغمة ونفس الروح ونفس الأشخاص –مثل بومعزة الذي ظهر في كل مكا ن في الجزائر المقاومة – ونفس الجماعات رغم بعض الاختلافات أحيانا في درجة الروح الوطنية وقد ساهم هانوتو و لوتورنو ،في تقديم أبحاث في ذلك في منطق ترسيخ القابلية للاستعمارو تاهيل النفسية للخضوع والاهتزازو الشك .رغم أن دوركايم ادعى العلمية و الحتمية في فكرة ال تضامن الألي التي طبقها على الجزائر ، لكن الواقع جعلها متذبذة بين الوقوع والتلاشي حسب السلوك الاستعماري و حسب إستراتيجية المقاومة والأهالي .

المطلب الثالث تكوين القيادات الثورية للمقاومة

تختلف ظروف تكوين القوى الثورية من منطقة إلى أخرى ، و من دولة إلى أخرى ولكن الواضح تدهور الاجتماعي وفقدان حرية الفرد في المجتمع الجزائري لأي عاملا أوليا . إن المجتمعات الفلاحية ألف كانت تشكل ولا تزال جزءا مهما للغاية / مما سيغدو المجتمع الجزائري ، كانت تضم مثقفين ، بما للكلمة من معنى ، حيث يقول مصطفى الأ شرف أن البورجوازية في قسنطينة تمكنت وحدها أن تلعب دورا القضائي في مواجهة السلطة الاستعمارية عام 1884 بسبب انفتاحها على مؤخرة البلد ...([1].)

بينما نرى أن فاني كولونا تناقضه في المجرى التاريخي للأحداث والمبادرات التي يخضع لها المجتمع القيادي مثل العمل ' الملكية ' الديموغرافية '.... وغيرها و كانت سوف تولده و تنشطه على الفضاء المتوتر 'و طبق الاعمال التي مارسها الاستعمار أو الأهالي حيث حسب أطروحة أنتربولوجية لديها ، ترى أن هناك بناء اجتماعي متماسك تحكمه القيم والجغرافيا والثقافة ، لقد تكلم ما سكيراي عن .. ([2]) الدور الديمغرافي ووضح أن هناك كانت هجرة عام 1876 بعد هجوم الاستعمار على الأرض والأملاك في مناطق جنوب قسنطينة بعد فشل المقراني عام 1871.

والمعنى الذي يمكن رصده أن المجتمعات التقليدية هي مجتمعات فلاحية بالقوى زراعية أو رعوية ، ولكن ذلك لم يمنع من وجود مثقفين تكونوا في تلك الحلل القائمة الثابتة أو خارج تلك لتغطية الحاجيات الجماعية والفردية لذا نجدها تقول أن وجود أقطاب وبنود دينية ثابتة نسبيا في الزمان لمتعلمين

---

[1]– فاني كولونا، في عبد القادر جغلول الانتليجينسيا في المغرب العربي، ص240–

[2] ماسكيراي، عن فاني كولونا ، نفس المرجع السابق، –

وشبكات طرفية ، يضع بالطبع على طريق مصادر عربية محلية مكتوبة أو يطرح في كل حال السؤال بصددها ، لابد أن مراسلات ، وربما سجلات محاسبة.

لذلك الجماعات المحلية في مواقع الأمر والنهي كانت لها هيمنة عن المتعلمين تقودها وهي الأقل المسجد الذي يوحد في كل دشرة أو دوار ، كما كانت توجد الزوايا في الحواضر الأكثر عددا . ففي نقل المواقع كانت هناك طرائق تسيير حسب القضاء الإسلامي في العقود والزواج والإجازات ([1]) وغيرها ، وكانت تشكل وثيقة تاريخية . ولكن حسب البعض أن التوثيق التاريخي في العهد الكولونيالي لازال في ثنايا الغبار والهزلية من طرف البعض في حين نلاحظ أن الذكرة التاريخية لا تكتمل إلا بالجزئيات التي تبدو تافهة. لقد استنكر البحث الاستعماري بعض الحقائق ، وبعض الأماكن بعد توطد قوته في الجغرافيا الموسعة ، حيث أنهى ديبون وكوبولاني سنة 1896/1895 تحقيقاتهم حول الطرقية ووثائقها([2]).

أما من وجهة الثقافة والتاريخ الثقافي فإن البنيات العالمة في المجتمع لم تتوحد وتت وسع إلى حسب أهمية الموقع وحساسيته الفكرية والاقتصادية والاجتماعية لا يمكن أن تكتشف حسب علم الاجتماع الثقافي ، أن موضوع نشأة الأنتلجانسيا في بلدان المغرب وكذا لا يمكن ايصاله من البحث الاجتماعي عامة والتاريخي خاصة ، لأن التنظيم الثوري للمقاومة وتسييرها لم يك ن خارج الأنتلجانسيا التقليدية في عهد المقاومة الجزائرية حيث أن تأسيس القوى الثورية في المدن والصحراء لم يكن هكذا مجرد عبثا وفوضى من العوام بل لها إسناد ثقافي علمي ، جعلت الفئات المثقفة إطارا وخطابا مدونة رجوع مهيكلة ، ورغم أن التاريخ لا يمكن تغطيته في كافة ثغراته فإن البحث المتواصل هو الحل الوحيد لفهم أعماق الأحداث و لأن التنازل من جهة لا يكفي للوصول للحقائق بل تعدد النظريات هو الكفيل بتقريب الحقائق إلى الباحث.

ونجد أن بعض الباحثين يتكلم عن صراع البعض الآخر عن تنوع ثقافي داخل الرافد الديني ، ولكن كل ذلك ضمن التكامل الاجتماعي الذي حدث بسبب الاستعمار رغم أننا نجد مصطفى الأشرف قد قام بموقعة المثقفين في طائفة البورجوازية والأرستقراطية)([3]). ونجد جورج دوبي يمثل تلك الروح المعرفية بطريقة ميشلي المؤرخ الفرنسي الروماني ، حيث انتقد ميشلي مما يعني أن التيار الروم اني لم يتكلم

---

[1])- فاني كولونا، (م س)-

[2])-فاني كولونا (م س) ، ص265-

[3])-عبد القادر جغلول ، الأنتلجانسيا في المغرب العربي ، دار الطليعة ، ط1، 1984، ص 239-

والحقائق بالشهادة أو بالعلم ، وإنما بالانحياز والخيال العاطفي المبني على تصور مسبق قائم على الوطنية والقومية المشابهة لنهضة القومية الألمانية آنذاك.

لقد استطاع النص الثوري،خلق إ دراك جديد ،حول الواقع و التاريخ و المستقبل،و كان رابط مشاعر مختزنة بين الكبار و الصغار،مع ملاحظة أن الشاب في سن 16 من العمر ،كان رجلا متكاملا،يستطيع المقاومة و المحاربة و حمل السلاح و الزواج و التكلف بالأسرى و حمل مسؤولية الزعامة . فالنص المكتوب والخطاب،ا لذي يحمل المضمون الديني و الصوفي متقمصا لمعاني الثورة،يفضل دعوة للوطنية و القومية،بغذاء الروح المعنوية،والمجتمع الدولي و القيم العالمية بروح التسامح و حقوق الإنسان و التكافل ضمن القضاء و المكان المليء بالخيال الذاكرة.

المطلب الرابع الإتصال و التفاعل :

يساعد توفر المعلومات والبيانات على التحكم المنتظم في المؤسسة، ويسهل على المسؤول اتخاذ القرارات – حيث يساعد الاتصال الصاعد و الهابط من ظبط العلاقات و التسيير .وبما أن المجتمع كان أنذاك تقليدي و متخلفا ،فقد كانت الوسائل الحداثية غير موجودة ،فكانت المبادلات التجارية و الزيارات العلمية و العائلية و الأعياد الموسمية و الوعدات المبرمجة سنويا و الحلقات الصوفية هي الجامع المسهل للإتصال و التقابل و اللقاء. هكذا نجد أن العلاقة الوظيفية التي ترسمها الوصاية، يحدد حدود نشاط كل مركز وبالتالي من له أحقية الحصول على المع لومات ومن له حق إصدار القرارات الجزئية والتعليمات، مما يشكل خطوط السلطة ولكن ضمن حدود وشروط عامة .وحدة السلطة الآمرة : وهي عملية سلسلة الاتصال من المسؤول الأكبر إلى مرؤوسيه المباشر ثم إلى المرؤوس الأصغر درجة.

فالمسير الأول و الأمر الأول هو المنظم الذي لا ي ترك فجوات للانفلات و التبعثر القيادي لجماعات بشرية متعددة الفضاءات و التقاليد . فللمدير–رئيس ، أو رئيس المنظمة ، هو الحاكم الأول في المؤسسة في البيروقراطية العصرية .. وذلك يعني تدرج السلطة وتراتبية السلطة أو هرميتها ولكي لا يعني ذلك الإكثار من المراتب المتدرجة لأنه يفسد التسيير . وهذا ما تعكسه المرحلة المقاومة من ريادة الزعيم و الشيخ المتصفة بالكاريزمية . كما يجب أن يكون رئيس واحد يتخذ القرارات ويمثل مركز ملاحظة انه لا يجوز وجود شخص يحكمه سلطة رئيسين، لأنه دليل تفكك السلطة ومراكز القرار مما يطلب عقلنه البيروقراطية.إن وحدة السلطة تحقق تنسيق الأعمال وتالف الجهاز الإداري وتحفظ المؤسسة من التفكك

وبالمقابل حالة الاتصال الصاعد يجب تنظيمها وتخفيضها لكي لا يكون الرئيس موقع كل المعلومات والمشاورات فتخلق الفوضى.

وهنالاننسى الاتصالات الروحية الاتصال الأول حيث يمثل ا لهيكل التنظيمي أ و المثال النموذجي لسير الاتصال مع و التأملية التي يدعيها رجال الصوفية و هي الكشف و العرفان و الاتصال بالقوى الالهية وغير المرئية و التي تهيء المجال العام للثورة ضد الكافر و الذي لا يعمل او لايتأمل في كلمات الله في قرأنه،حيث لعب التصوف و الطقوس الدينية دورا هاما في الاتصال و التواصل و الربط بين العبد و الله و الأخرين و المجتمع بصفة عامة لأنه محتاج الى مؤثر للتنشيط لخلق الفعل و الأثر في الأخر.

التفاعل يحدث طبق مستوى التكليف والانسجام مع الرسائل الاجتماعية والثقافية التي يبثها الأفراد الآخرين في محيط التفاعل وبالتالي تحدد أنماط السلوك والاستجابات مثل الحب والكره والغضب والكرم وغيرها « فكثيرا من الجوانب التي تجعل الأفراد يختلفون فيما بينهم يمكن ردها إلى التكيفات الشخصية والاجتماعية ، كذلك فإن كثيرا من الصفات المزاجية والقلق والأنماط العدوانية يمكن ردها أيضا إلى تلك التكيفات ... »([1])مع أن التعلم هو تعلم وراثي وتعلم ثقافي متطور مع مقتضيات القيم والتصورات المثالية أو الواقعية .لذا كانت المقاومة خاضعة لنمطية التمثلات و البناء ات التي يخلقها المجتمع و يتقمص بها .فالتربية الروحية والمجاهدة ، الإشراق،استرجاع المخيلة هي الإتصال فعلا.

لذا لعبت كل المقاومات على تلك ال وتيرة لكسب النجاح و الأنصار و الثوار ، وبذلك فإن التكيف الشخصي الاجتماعي ،حسب كل قبيلة أوجماعة ، يلعب دورا هاما في تنظيم الأنماط الثقافية الجديدة ، فالأنماط الثقافية تظهر إلى حد كبير من عناصر خليطة من مكونات الثقافة المعروفة ...»([2]) مع أنها تخضع لنتائج التعلم . يعتبر البناء العضوي للفرد وطبيعة التفاعل مصدرين للاستناد لدى الشخص وعملية التكيف ، حيث خصوصية الفرد بيولوجيا وثقافيا ونفسيا تلعب دورا محددا لمستقبل هذا الشخص ، ولكن ذلك يبقى خاضعا لطبيعة التفاعل نفسه ودرجته وكثافته وطرق احداثه ، القائم على القبول أو التوقع ، كما يمكن أن يكون قهريا أو اختياريا حسب كل نمطية تفاعلية .ومنها الفعل الجماعي المتصف بالعدوانية او التضامن او السفر البعيد او التجارة البعيدة المحاطة بالمهالك .مما يفرض انها تهيء للتنظيم و ربط الجأش و تحكيم العقل و العلم .وبذالك كانت المقاومة حداثة قبل وقتها .

---

[1])- أحمد بيومي ،علم الاجتماع الثقافي ،دار المعرفة الجامعية 2009 القاهرة ،-مرجع سابق ، ص80.

[2]- ،أحمد بيومي ،المرجع سابق ، ص82

أما سوسيولوجية فعل المقاومة فمدخله الإتصال السوسيوثقافي كعمل منهجي ودلالي لها يحسم عدة مواقع وعدة تفاعلات داخل الحركية الثقافية التي يتصف بها كل مجتمع ، بحيث أنها تفرض أنواعا من التطابقات والتمثلات والتركيبات التي يحددها العقل الإنساني حسب تطوراته ومستوى إرادته في التكيف أولا العزل والفرادة الهوياتية على حساب التغيرات المجاورة . ان الفعل و الفاعل و أليات الفعل و دلالات الفعل هي الركن الذي يجب أن تتوجه نحوه محاور الدرس ال سوسيولوجي القابض على الإتصال ، في المقاومة ومنها تبدو لنا المتغيرات و التفاعلات المركزية و الهامشية التي تثير النواتج والتفاعلات الجديدة والمتجددة في البناء الاجتماعي و الثقافي، والثقافة بما أنها عناصر متكاملة ومتفاعلة و تكون قوى فاعلة محددة لرغبات الأفراد والجماعات والمجتمع بكامله ، وهي بذلك نظام أو تنسيق متبادل الأفعال يحقق الوحدة والتواصل رغم اختلاف الأفراد ويحقق الذات الوطنية المتكاملة ورابطة العيش المشترك..

فالمقاومة هي إتصال عنيف مع الصديق و العدو .و لها صورة مخيلة للماضي و تمثل لأنموذج في المستقبل، يخلق الأفراد نسقا من القيم والتصورات والعقائد والطقوس والمثل التي تخلق توحد اجتماعي ضمن حالة تعاقد اجتماعي يضمنه التنازل عن كل فرد على بعض حقوقه لصالح العامة، حيث تمكن الوحدة الاجتماعية تحقيق ترجمة فعالة للصياغة الثقافية للقيم والمثل بكل فعل اجتماعي ، سواء بصفته السياسية أو الاقتصادية أو الدينية وبذلك يصبح الأفراد أمام نماذج لا يمكن الخروج عنها.

ولذا يصبح كل فعل خاضع لحكم تقييمي للواقع والفكر طبق النماذج التجريبية، التي صاغها التراكم المتتابع الثقافي للقيم والتصورات، وحيث تلحق القيم مصادر أنتجتها حسب تطورات المجتمع محليا وخارجيا رغم أنها تتصف أحيانا بالنوع المثالي وأحيانا بالواقعية التي تتكر أحيانا المثل القديمة ، وتحدد مما يجب أن نفعل. لذا لا يمكن وصف تلك العمليات والاقتراب من تغيراتها وتأثيراتها إلا من خلال نافذة رؤية حول الاتصال بين الأفراد والجماعات وخلق مستويات اتصال تفاعلية تحدد درجة الفعل و التوتر أو قابلية الخضوع. هكذا نجد أنفسنا أمام عمليات اجتماعية ثقافية، تشير إلى كيف يتنافس الناس ، وكيف يتعاونون أو ....»([1]) ، حيث أن الثقافة مظهر متغير وقابل للتعديل جزئي أو شبه كلي حسب القوى الضاغطة داخليا أو خارجيا ، الشيء الذي تحكمه العناصر الثقافية ومستوى نضجها أو قدرة تمثلها لدى الأفراد والجماعات ، رغم التوترات التي يخلقها العقل الواعي ، واللاشعور بين أفعال الإنسان الفعلية أو

---

[1])- -أحمد بيومي ، علم الاجتماع الثقافي ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 2003، ص 35.-

القولية ، حيث تلعب الهوية والتميز مصوغات كل رد فعل اجتماعي ، وأساسا للعمليات الاجتماعية ،في كافة إفرازاتها.

المبحث الثاني ثقافة الضمير المحلي للمجتمع الأهلي

المطلب الأول الوطنية داخل الكولونيالية:

لقد كان التنوع الوطني متعدد الواجهات ،وحتى من الجهات المقتربة من مراكز الإستعمار و كانت الوطنية جزءا م ن كل جزائري ،ومنهاكان برحال رجل وطني ومتواضع رغم أنه كان ابن عائلة ارستقراطية من ندرومة ، وكان أبوه حمزة ، رجل مثقف ومثل أعيان المقاومة عهد الأمير حيث عينه قاضي ندرومة وبعد نفيه عينته فرنسا ، قائد على ندرومة وخلفه ابنه محمد عام 1878 مما يعني كان شابا عهد المقاومة الناشطة في المنطقة من فقيق إلى بني ونيف جنوبا إلى وجدة وتلمسان شمالا .هذا الرجل الذي ولد عام 1857 ، تعلم في المدرسة القرآنية ثم الفرنسية– العربية ، ثم ثانوية الجزائر لعاصمة وزار فرنسا بعد امتلاك أبوه مركز قائد ندرومة في هذه المرحلة المتصفة بالتنا قضات الثورية والاندماجية مع الاستعمار ، خلقت توتر داخل بنية المجتمع وعقائد الوطنية . إن الطموح الكبير لهذا الرجل، جعله يستقيل من منصب قائد ليتولى ناطق رسمي باسم الشعب الجزائري في البرلمان الفرنسي.

لهذا كان رفضه من داخل البناء الكولونالي نفسه ، وحمل فرنسا مسؤولية القمع والتجويع والبطش الذي يعيشه الشعب الجزائري ، وإجحاف قانون الأهالي التي أعطى الامتياز للمعمرين اقتصاديا وتجاريا وثقافيا وقانونيا حيث قدم مع الدكتور بلعربي ، تقريرا حول وضعية الجزائريين في مرحلة 1891 وقبلها في يوم 01 ماي إلى 20 جويلية في مناقشات البرلمان – الشيوخ– في باريس فطلب الممثلان عدالة في الضرائب وقانون مدني عادل وتعليم شامل للجزائريين ، ومساعدة الفلاحين على الاستعمار والإنتاج ، وتمثيل سياسي جزائري اكبر ([1]) وهذا ليس غريبا على مثقف وطني ، كان يكتب في المجلات الفرنسية المتخصصة في الاجتماعيات أو في الآداب حيث كتب قصة ""انتقام الشيخ"" في المجلة الجزائر التونسية

[1] Djeghloul, si mohamed ben rahhal1885-1928. Intelect algérien musulman modernisateur ,in rev, Etude islamique,juin 2004 n° :5 – p89 -92[

([1]) وهو الذي كان يشجع تعليم البنات ، والتزم بطرقة صوفية وهي الدرقاوية وأصبح شيخا لزاوية السليمانية ، فكان مقدما ينشر دعوتها ويحفظ طقوسها.

كما كان برحال رجل للحوار مع الحضارة الغربية رغم انه لم يندمج فيها ثقافيا ودينيا بل تعلم لغتها وسلك ما يلزم للمعاملات اليومية ، بينما هو رجل ثقافة محلية يحترم دينه ولغته وقومه وطريقته وأهل المحلة ،والبلاد التي يقطنها ، كما أن أبيه الأغا حمزة الذي تولى القيادة عام 1858 ، تسلم التقاعد عام 1871 ([2]) بعد سيطرة المستعمر بقوة وفرضه لسياسة وحشية ونفسية على حياة وعقائد الجزائري فجاء ولده محمد بعد هوقد عايش جول فيري وليوني ، وكوميس رواد التثقيف الكولونيالي . لقد حاول برحال ، تقديم خريطة جديدة ، للتعامل الثقافي مع الاستعمار ، الذي حاول نشر ثقافة ومدرسته وعقيدته من الوهلة الأولى ، بينما المقاومة والرد الدفاعي الذي لازال قويا متمركز بالوعي وبالذات والهوية التي كونت شخصا مستغلا بكل كيانه وقراره، ورغم أن بعض المؤرخين الفرنسيين وقعوا في أخطاء تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية إثناء الفترة الكولونيالية ، ومنهم ن جد مؤرخة الثقافة – ايفون تيران– التي كشفت عن رفض متعمد على الثقافة الواحدة كتابها المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة . إن برحال واجه الغزو الثقافي لمدة أربعين عاما من 1886 حتى عام 1925 في العاصمة ووهران وباريس وندرومة نفسها التي ولد فيها وتلمسان عاص مة الزيانيين حيث كانت ندرومة ([3]) اقل فائدة زراعية للمستعمر ، في حين كان سكانها 21988 قاطن سنة 1886 ، منهم 76 فرنسي و 305 اسرائيلي قدماء ، و 3219 جزائري ، فكانت مختلفة.

لقد سمحت الظروف الاجتماعية والسياسية لمدينة ندرومة إن يعيش محمد برحال ، في ظروف هادئة بعيدة عن الحرب والضغط الاستعماري ، لان إدارة فرنسا([4]) ورغم توغلها في المنطقة ، فقد تركت المدينة في نوع من الحرية ، تحت سلطة مشايخها حتى 1880 وكانت لهم علاقة مقاومة بأولاد سيد الشيخ في ثورة 1864 فقد هاجموا عدة مواقع استعمارية من مغنية حتى وجدة إلى سبدو وعين الصفراء جنوبا ، كما أن اشتعال ثورة الشيخ بوعمامة في المرحلة التي تعتبر ثورة ثانية عام 1881 بداية من افريل وقبيل مقتل فلاترز وبعثته قد هيئت حركتها منذ 1880 وقبلها وكانت تنشر مبعوثيها وجنودها

---

[1] – Djaghloul,op–cit , et in revue algero–tunusienne , n° 13/– 4eme Anne 1891.

[2]Djaghloul aek. op – cit –p90

[3])–جغلول ،ع.ق ، تاريخ الجزائر الحديث ، دراسة سوسيولوجية ، دار الحداثة ،بيروت ، ط3 ،1983، ص64.

[4])–جغلول.ع.ق .‘نفس المرجع ، ص64

سريا للتمركز في المنطقة لوضع برنامج ثوري للمنطقة كلها. لقد منعت الإدارة الفرنسية نفسها، توطين المعمرين إضافة إلى العدد الإداري الموجود وعماله حتى عام 1880 كما بقيت محافظة على اللغة العربية والإسلام بصلابة .ولم يدخل المدينة الفرنسية عام 1867 سوى 30 شابا من ندرومة وجوارها ، حيث كانوا من عائلات تجارية .وطبق هذ ه الوضعية.ظهر برحال كرجل للمستقبل . فكان برحال ابن اماما ثم قاض ثم مقاول ، فساعده ذلك على الدراسة العالية ، ويصبح من مثقفي الجزائر مع بن بريهمات –المترجم– وبن سديرا ، وغيرهم رغم ذلك فإن ثقافته ، لم تمنعه من استغلال الأرض للفلاحة التي كان يملكها أبوه ثم له شخصيا منذ 1881 مع أخيه وبعض البورجوازية الحضرية التي تؤجر كمالا لذلك فدافع عن تعلم الصناعة والتجارة ورفض الاستغلال ولكن حافظ على العائلة والأخلاق والدين .وقد تبنى فلسفة الحوار كشكل مقاومة ، في ضل بناء اجتماعي اقتصادي قلق مهدد محليا وخارجيا ، ولكنه ليس في نهايته كما يرى عبد القادر جغلول)([1]) .

المطلب الثاني ألية أثر الطرقية في المقاومة

كان ظهور الطريقة الاول في عهد 11م و 12م و 13م و هي قرون المرحلة المرابطية في المغرب العربي، وهي مرحلة كارزمية للشخصية كما يرى فيبر، فالطريقة في هذه المرحلة عبار ة عن زاهد من الصحراء يؤسس طريقة من البربر كما يرى **Aef.Bel** ليعرض رسالة خلاص و تطهر من الآثام و الشرور و خلق امل جديد للبناء و التجمع الإنساني راقيا، لذا فتحوا الاندلس فأسسوا فرقا و طرقا و ليس دولا و إصلاحا ضد الزندقة و الشيعة و الوثنية .كما يضيف المؤرخ ألفر يد بيل .وكان تلك العملية التأسيسية على :

أ– البركة على أساس وراثي.

ب– البركة على أساس المعجزات.

فالأولى تنتقل من الأب إلى الإبن أو حفيدهن وليس كل الأبناء يكتسبون ذلك، بل البعض فقط حسبما يروي غيرتيز([2])، كما يرى ظهور التصوف منذ القرن 12م، و كان عبارة عن حالة البحث الكل من بين وحدة وجود ، و شريعة لحياة الواقع ... و بذلك تتفرض شعائر طقوسية لكل طريقة .فالبركة تأتي من

---

[1])–جغلول –ن.م– ص71.

[2])–كليفورد غيرتز، أنتروبولوجيا الدين ، تر، أبو بكر باقادر ،م س، دار المنتخب العربي – بيروت ص55.

الترحال و الحركة و التنقل التي يقوم بها زعماءهان كما هم رجال غالبا و نساء قليلا بالدعوة إلى الله و المكارم و الإنتساب الشريف و الكريم الأصل.

أما البركة على أساس المعجزات فهي طرفات يستلهم بها البعض و مكرمة من الله وتؤدي نفس المهام و لكنها تلتقي صعوبات في بداية توسعها إلا بعد برهانها أما عند خاصة المجتمع فهي تكريس لمفهوم الولي الذي يقدره الجميع و يصبح مول البلاد في الكنية المحلية، وذلك لامتلاك غيبي للظاهرة لتحقيق التكامل الإجتماعي و التعاطف الإنساني، وهي المنطقة التي يوجد بها الضريح و ما يحيط به في فضاء توجد فيه جماعات مهنية فلاحية أو حرفية في مدينة أو قرية، مثل ما نجد القديس الرئيسي في المسيحية"([1])هكذا زاد من قوتهم و مكانتهم أنهم يحملون حمولة أساطير مجازية طقوسية و سلوكية للحياة الواقعية و الروحية. لذا تشكلت الصوفية كمركز صعود أحيانا أو فشلها أحيانا أخرى، حيث أن فكرة الولاية قائمة على الترحال و التحرك و الزيارات المتعدة الإتجاهات ثم الانتساب غالبا كما نجد في المغرب حيث تسود طريقة و ملكية..([2]) وبذلك تتكون مجموعة المريدين.

في القرن 16م تم ظهور التعليم الطرقي و تعليم الآداب في فاس بالمغرب، كما ظهر بحث عن حقيقة مطلقة في تيارات وفلسفات مختلفة، وظهور تناقض فكري و من ثم تنافس إجتماعي([3])أمام خطر واحد و قضية واحدة و هي التكامل الإجتماعي و الرخاء و الإستعلاء في مجتمع موحد له فضاء جغرافي في شكل دولة و إمارة و مملكة ...و لكن ضمن تشريع بدون امن غالبا مثل ما لدى المرابطين و الموحدين ‘حيث المهم مالك سوي وعادل، في إفريقيا و الأندلس.([4])

لذا إستطاع الأولياء خلق الوعي و شكلوه بالمغرب العربي ، وهم نمادج شكلت المغرب الأقص ى في حد ذاته([5]) فالتصوف هو ظاهرة عامة في المجتمع الإسلامي في غالبهن سوى دول الخليج التي ترفض التدين الصوفي و علماءه وطرقه الطقوسية، وإرتبط مفهوم الدين كمفردة دالة ,‘لدى الشعوب عامة سوى

---

[1])–نفس المصدر، ص 56.

[2])–ك. غيرتيز، المصدر السابق، ص 56.

[3])–المصدر السابق، ص 54.

[4])–المصدر السابق، ص 52.

[5]ا)–لمصدر السابق، ص 53.

الأديان السماوية ' بالإحيائية و الأرواح و عبادة الأسلاف و الإيمان بالشيإطين و العفاريت و الطواطمية و الشامانية و التصوف و الصنمية و عبادة الحيوان و الشجر..([1])

لذلك بقيت التسمية المفردة مبهمة لا تشرحها إلا العلاقات بين الأشياء و الظواهر والتاويلات الخاصة لدى كل مجتمع طبق ثقافته و نصوصه المرجعية، إن إعتصار العلاقات و فهمها يرجع إلى الإحساس و الشعور فقط ..([2]) و لكنها تختلف عن الدين الإسلامي في نصوصه العلمية و الإجتماعية و الروحية، التي تفسر ظواهر فزيائية و تثبت سنن كونية بإطراء . لذا إن التعمق في فهم مصطلح محدد تساعد على إدراك الحدود و الفروق مع إختلافها، و تبين ماهيته، لذا فإن "الإهتمام بالحقائق تلغي تلك الإختلافات، ولكن على الدرجة التي يمكن أن تنظمها ..."([3]). لذا أصبح التصوف خالقا للأساطير الفردية و الروحية في كل شيء في المكان والزمان و الفعل، فخلق حقيقة بعيدة المعنى و الإستيعاب مما دعى العلماء للبحث أكثر في المرتكزات الإجتماعية و النفسية في الموضوع .إن التصوف ربط بين الماضي و الحاضر، بين الذاكرة و الحادث، بين الهوية والتماهي الثقافي، فأصبح تشكيلية رمزية لمقومات الوجود الإنساني في المناطق التي إنتشر فيها.

هكذا خلق الإعتقاد ثم الإيمان ثم ثوب العلم الديني أو التصوف أدى إلى خلق شخصيات رمزية مكنتها تجربتها و علومها من ولوج أعماق المجتمع، بشرط صوفية حقانية لا مزيفة و لا إنتهازية و خرافية، مما جعل الفرق بين دعوى مرتكنة إلى العلم و المعرفة لقحتها الأخلاق و القيم الإنسانية فجعلت منها نبراسا لكل المجتمع وجهت أطرافه لصد العقائد الأخرى وضد الغزاة.

المطلب الثالث إيبرهادات في تحليل أنتروبولوجي مزدوج

لقد عبرت ايزابيل ايبرهاردت ([4]) بعد وصولها عين الصفراء ، عن تذمرها عن الحال الذي وجدت فيه المنطقة ، فاعتبرتها منطقة للخوف والرعب، والجوع والقمع والخطر المحدق كل وقت ، لان المقاومة لازالت مزدهرة ، رغم شيخوخة ، الزعيم بوعمامة فقد مرت أكثر من 20 سنة على الثورة ولكن الهجومات

---

[1])–المصدر السابق، ص 33.

[2])–ك. غيرتيز،المصدر السابق، ص 34.

[3]) –المصدر السابق، ص 34.

[4])– –اليزابيل ايبرهاردت ، صحفية وكاتبة من أصل روسي وعاشت في سويسرا ثم في فرنسا مرحلة ثم التحقت بالجزائر لأعمال صحفية.

التي تلقاها الجيش الفرنسي في قرب فقيق ، وتاغيت ، غرب بشار ، شمال شرق بشار (منقار) ، التي زارتها الصحفية ايبر هاردت ‘كانت ثلاث هناك معارك قوية ومخيفة ، أرعبت قوى الاستعمار ، الذي كان يرى أن الشيخ بوعمامة قد انتهى ولكن عام 1903 في أوت وماي وسبتمبر ، كان تعبيرا ثوريا قوي على مدى صلابة واستمرار المقاومة.إن ايزابال ابيبرهاردت،التي جاءت إلى المنطقة،بعد مقامها في الواد و عبورها الصحراء ،ركوبا على الجمال و الحصان،حيث وجدت ضالتها الو جودية،الرومانسية في الرحلة والاكتشاف الجغرافي، والكتابة الصحفية التي كانت تقوم بها ،وقد كانت تزوجت معا احد الأعيان في منطقة الوادي ،كما تزوجت فيما احد شيوخ التيجانية و سمت نفسها"سي محمود"و كانت قد اسلمت .

لقد كانت تعتبر أن الجيش الفرنسي، كان ضحية لقضية لـيست له، وهو عنصر دخيل على هذه الأرض ومحاربة المقاومة ليست في خدمته ..... وتبعا لما كان من معايشة الجزائريين فقد دعاها الكولونيل ليوتي لتقوم بمساعدته لنشر السلم ، بعد المواجهات العنيفة مع المقاومة فرفضت . إن ايزابيل هاردت ([1]) كانت وجدت الاستعمار والقومية يعتبرون الشيخ بوعمامة في هذه المراحل الاخيرة من حياته ، كما رؤوا الهرم ‘ السارق ‘ اوطفيلي ‘أو نشال **detRousseur** ولكن الاستعماريون هم الذين قالوا ذلك ، بعد ما كانت يوما متنقلة مع القوم والقايد بأمر الجنرال على الجمال بين الرمال و الغوط .

لان القوم والقبائل المتحالفة مع الاستعمار ، كانت تعيش الخوف و القلق من تلك الحرب ، فوصل بعضهم إلى رفض تسليم فرنسا بعض الجنود في القومية ([2]) لتقوية الجيش الفرنسي ، خاصة ذوي منيع وبني جرير، فما كان في فرنسا إلا تثليج قلوبهم ، بأن بوعمامة هرم ومرض ، وقرب موته ([3]).

وقد نقلت ايبرهاردت أوصاف القومية للشيخ بأنه بائس **un postuRE** وابن مصلح للحديد ، فهي لم تكن تعبر عن رأيها وإنما نقل رأى الآخرين أيام وليالي في الرحلة وهي التي كانت تفتخر أنها ، من اب روسي وأم روسية ، رغم أن الفرق إن الأب مسلم والام مسيحية ولكن أمها سلمت بع د دخول الجزائر عبر ميناء وعنابة عام 1897 ووصولها إلى وادسوف عام 1900 ثم رحلتها إلى عين الصفراء عبر الصحراء الرملية عام 1903 وكتابتها المتهورة في الرحلة والأدب والإسلام .([4]) لقد منعت حين رجوعها من مارسيليا من دخول ورقلة في 1899 بسبب الأوضاع الثورية ، وفرض ع ليها الرجوع إلى

---

[1]) –Eisabelle Eberhardt : écrits sur Sable haut plateaux p 112

[2]) Esabelle (e) barrucand (V), dans l’ombre chaude de l’islam ed–fasquelle, France 1906.

[3]) M. R0chd ./ :Esabelle (E) une maghrébine d adoptions opu– 1992 Alger.

[4] Charles roux, Nomade j’ etais,Grasset , paris 1995.

الواد التي تعرفها أكثر .من ذلك ارتبطت نهاية مقاومة الشيخ بوعمامة ، حتى اخرها بقدوم ، ايزابال ايبرهاردت ، فكان لها تعجب وحيرة وتأسف من الحياة القاسية التي كان يعيشها الأهالي في ضل هذه المرحلة ، في حين كان الاستعمار ، لازال لم يثبت هذه الموا قع ، حيث الثورة متواصلة ([1]). لذا يقول محمد رشد :" إن نهاية ثورة أولاد سيدالشيخ تصادر من الجنوب الوهراني كل محرك فعال" ([2])

لقد اكتشفت ايبرهاردت في سنة فيفري/1904 في رحلتها المنظمة من طرف ليوني ، على أسرار الحياة والمجتمع و الجغرافيا والدين في هذه المنطقة ، رغم ان الشكوك كانت تدور حولها من الطرفين الفرنسي و الجزائري وأنها جاسوسة لأحدهما ولكن علاقتها مع الطرفين كانت غالبا بدون حرج ولا تشنج . لقد خرجت في القافلة الصحراوية بالقومية مع صديقها **Victor barucand** لذي كان صحفيا أيضا وكان بريد معرفة اسرار المكان والزمان بفضل رسم مؤسسة **depeche algerienne** الصحفية ، فيما كانت ايزابيل تريد كتابة مجموعة نصوص وصفية للمنطقة ، لتقدمها إلى جريدة ،الأخبار وتهديها للجنرال ليوتي [3]. لهذا وصفها ليوني ،أنها كانت شخص مقاوم يرفش الخضوع ، بعدما رأى فيها بعض المواقف الحيادية والإنسانية ، وحب الإسلام والعرب ، حيث كانت عبارة عن طير سابح في الفضاء ، لم تنطق عن خلفيات من الإحكام ولا عن شخصية مزيفة ، بل عن وعي حقيقتها.

إن ايزابيل ايبرهاردت ، كانت امرأة مثقفة واعية تخفي إحساسا إنسانيا أكثر من الواقع ، وحاولت عبور الصحراء من الواد حت ى تافيلالت ، ولكنها فشلت ، لان الواقع الأمني الثوري الذي كان يسود المنطقة ، كان مخيفا كما أن حياتها لم تطل وماتت في واد عين الصفراء عام 1904 ودفنت هناك ، وتركت للجزائر والإسلام آثارا وتاريخا استشراقيا حيا ([4]).لقد استطاعت ايبرهاردت ، تفهم الوضع الفلسفي والاجتماعي التابع له ، حيث ، أخذ تصور عن قيمة الدين والتقاليد طبق المنظور المرجعي للجماعات المرتبطة بهذه الأمكنة والمتوارثة للتاريخ والذاكرة والوعي. لقد وجدت "قيمة الاوليا وأهميتهم في طقوس الإسلام " ونشرتها في كتابها **sud oranais** والذي تصور فيها رحلتها عبر الرمال والرق الصحراوي من الواد و ورقلة نحو بني ونيف وقنادسة وبشار ثم الصعود نحو عين الصفراء ،حيث لم يسعفها الحظ

---

[1] Rochd (M) hommage a Esabelle Eberhardt, 1904/2004.i n Etudes islamiques –hci –Alger juin –2007(11)p95

[2] Op– cit– p95

[3] Op cit p95

[4] André le reverend, thèse doctorat sur Lyautey.et Edmond/c/roux

أن تقضي سوى اقل من ثلاثة أشهر في عين الصفراء ، لتكون معايشة وجارة دار المقاومة التي يقودها الشيخ بوعمامة ، وبالتالي سوف تفهم كل التأثيرات والتأثرات التي يتركها فعل المقاومة على المقاومة من المنطقة المجاورة اجتماعيا ، سياسيا ، اقتصاديا ، عسكريا ، وسيكولوجيا. حيث نجدها تعبر عن بداية وصولها ، أن المدينة خالية والشوارع خالية والخوف يسود ، كلا من الطر فين ، الأهالي،والاحتلال ، والمجاعة تسيطر على ا لمنطقة ، وحرارة الشمس وثلج الشتاء وهي تعرض ذلك بلغة صوفية ورومانسية تعكس الوضع وتشرب الجماد حياة ، والميتافيزيقي جسدا.

كما نجدها تخصص بعض المقالات لآثار الحرب وسيكولوجية الحرب في سياق خاصة وطقوس نوعية متميزة بالمحافظة والسلفية ، حيث تفصح عن الوضع العسكري والعام للأهالي في المنطقة ، حول الجندي ، والاستعداد ، والمشاعر ، والآثار التي يخلفها المواطن المستقلة وغير المستقل ([1]) . لقد كانت تعبر عن ،الفرح الأسود، عند رجوعها من بني ونيف نحو عين الصفراء ، حيث حلقت هي نفسها بالروح الصوفية للأولياء ، لما وجدته من هيبة ورعبة من روحية الصوفية لدى الأهالي متجسدا في الإحساس البشري وفي الطبيعة الصحراوية التي رأتها . فقد حاولت وصف المجتمع ، ومن خلال نظرةغرائبية وسطحية وجدت منه ، القصوري والقناص **tlrailleur** والتجار ، وأصحاب السوق او الزبائن **chalands** اليومي ، صبايحية والزنوج وبناه المساجد و المصلي **orant** وعبادها([2]).

وحين كلامها عن العودة نحو العاصمة ، الجزائر ، وصفت لنا بعض التقاليد التي رافقت مرحلة حركتها ، فكانت تصف منتصف رمضان المسمى "الفضيلة" حيث له ا خاصية مقدسة ، بالفرح والأكل الخاص والذكر والحضرة الصوفية وبعض من قر ع الطبول وكانت دهشتها ، أنها وجدت الناس يهبطون الصحراء في هذه المرحلة ، ليعيشوا رومانسية المكان الفارغ وليس القرية الحضرية ، حيث كانت الرحلة السكانية نحو بني ونيف . كما لم تخف اهتمامها حتى بهندسة القباب والجنازة الإسلامية، وتنظيم المقبرة التي رأتها في ع ين الصفراء والمنطقة . وتبقى دقة تعبيرها ، وغرابة الظواهر التي تلاحظها وتقمصها للأشخاص الذين تصفهم وتعبر عنهم ، كما تسكنها الأزواج التي تنسق في أعماقها رغم أنها ماتت بعد مدة قليلة من وجودها هناك في الواد .في هذا الظرف الثوري المتواصل بين الأهالي الجزائريين

---

[1]ROCHD (m) esabelle,EIBHERHARDT et ainsefra étude islamique (c.i.h) juin2005 n7p66.

[2] ROchd (m) op cit en marge du p66.

والعلم الساخن للإسلام وهي sud oranais مراجع النصوص تعود إلى مع ملاحظة أن victor baraucand نصوص من جمعها .

والقوى الاستعمارية ، بينما هذا الد خيل لم يكتمل استقراره النهائي واثبات سلطته على كافة البلاد لان لا يزال أمام عقبة الجنوب الغربي والشرقي ، رغم انه وطد قواعده في الشمال .

المطلب الرابع موقع التراث والطقوس من المقاومة .

بما أن الشعائر و الطقوس هي سلوكا ت تفاعال،فقد تم حفظها و نقلها الى الخلف الاحق من خلال مدونات شفهية للتثوير و التجديد و التقمص الهوياتي ، . إن الأفعال الفردية والجماعية كانت ولا زالت تعبيرات عن مدونات أخلاقية وذهنية للجماعات البشرية ، سواء بشكلها الرمز غير الواضح أو بشكلها الظاهري والذي ربما يهدف إلى معاني مختلفة ومضامنين متعددة لذا نجدها قد سجلت وقائع المقاومة و اعمال الزعماء.

إن الرجوع إلى التذكر واستذكار حياة و اعمال الرسول " صلى الله عليه وسلم " تمثل رأسمالا رمزيا و مدونة تقمص حيوي للأشخاص الأحياء أمام الأموات و الأبطال ،كما تشكل إعادة مغازي سيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنهما نفس المنوال ، كما يرى خليفي عبد القادر في كتابه الموروث الشعبي الجمعي ([1]) والقيام بسلوكات محددة أثناء العرس والطهارة ، والصدقات وألعاب الخيالة ومعاملة الحيوانات ، واستقبال ولادة جديدة غير ذلك من العلاقات مع االظواهر الطبيعية ‘رياح ‘عواصف ‘مطر ، كلها تعكس قيم محددة محمولة بأفكار تسمى أحيانا "الشعوذة" وأحيانا بالأساطير ، وأحيانا بالبدع ولكنها تبقى عاكسة لخصوصيات ورمزيات وحدوية لإثبات التاريخ والأخلاق والنسب والانتماء للأفراد والجماعات تساعد على تصنيف هؤلاء لدى أهل الفراسة وأهل المشايخ الكبرى .

لقد أشكال النسب بين العائلات عاملا مهما في ضم جماعات متعددة إلى وحدات جزائرية مترابطة ، كما ضمنت الطريقة والزاوية وطقوس النوافل الدينية التي كانت مضيفةإختلاف بين البعض و عاملا لخلق ذلك االتمايز والاختلاف الذي أغنى الرأسمال الجمعي في الوحدة الأصلية .وكانت ناقلة للقيم و الروابط التضامنية والعمل الجماعي المتدرج ال العائلة الى القروي الى الجماعي الى السياسي ..

إن التراث الشفهي الذي حمله الشيوخ إلى الكهول ثم الشباب ثم الأطفال بالترتيب ، كون عاملا روحيا ورمزيا متقنا وملقنا لب عض الدروس الحياتية والقيم المستقبلية لأفراد الجماعات البشرية ، والقبائل وعناصرها المتفرغة عنها من بطون وأفخاذ وفرق . لقد كانت بعض الأساطير منذ اليونان –ملكات رمزية– داعمة للروح المحلية –سواء روح دينية أو حربية أو أخلاقية ، بفضلها تمكن الإنسانية من نشر

---

[1]– ع خليفي ،الموروث الشعبي الجمعي، م س ،ص 99/93

بعض الأفكار وسحب بعض الأفكار الأخرى والمصطلحات من قاموس الحياة اليومية والإجتماعية المتراكمة . إن الأغاني والأناشيد والقصص وأشكال اللعب المسرحي للأطفال وحتى الرياضات الرحالية مثل السباحة والفروسية والرماية ، كانت محاطة بجملة طقوس وتقاليد تذكر ببعض القيم مثل ، الدين القبيلة والجهة فهي متن رمز مدعم بكل نصوص الإثبات أو النفي ، ودلالات الإنتماء القبلي والطرقي لبعض الأهالي أو العروش .

لقد كانت قصص عنترة وقيس وغزوات السيد علي رضي الله عنه ، وقصص الهلاليين أحد هذه النصوص المعلنة والمندمجة مع الأفكار العصرية التي خلفتها أزمة الهجوم الأوروبي الحديث ، وتفرق العالم الإسلامي وضعفه ، ونشود الصراعات الطرقية والقبلية التي لم تجد من يروعها مع وصول الإحتلال الذي وجد بعضها قابلا له ومتواطئا ، وبعضها الآخر مقاوما ثائرا . إن المرجعيات الفعلية الواقعية هذا التراث وحوصلتها لنص وص الدين والأخلاق ورومانسية وغرائبية هذه المعاني جعلت المأثورات الشعبية الغازا للثورة ومدعاة للتضامن والتكافل من جهة أخرى لهذا مثلت الضوء اللامع للعقلانية المقمصة في الذهنيات الشعبية والتي زادت من تطويرها وتنظيرها لطقوس الطرقية .

إن الطقوس الطرقية مثل ا لذكر الأوراد أسرار المشايخ طقوس التجمع والعمل الموحد وطرد الشيطان وجمع المال للصندوق القبلي ، وتنظيم الوعدات ، أوما يسمى بالطعم ، كانت عبارة عن طقوس مثالية متعالية لها أسبابها ومعانيها الهادفة رغم هجوم رجال الإصلاح عليها قيما بعد لأنها ساهمت في جمع الجماعا ت السكانية وتقليل التفكك الإجتماعي والأخلاقي والحفاظ على مدونة الإسلام والوحدة .

و بالتالي ثم إقصاء الثقافة الغربية التي سوف تحطم مقومات شعوبا كاملة في وضعية الإحتلال والتخلف في بداية القرن العشرين ونهاية القرن التاسع عشر ، حيث توزع القبائل بدوية وأخرى حضر ية جعل البعض يرزخ تحت ثقافات ثانية جامدة وأخرى مرنة ولكنها قابلة للذوبان والخضوع لثقافات عالمية استعمارية وبالتالي يتم إلغاء تراثا كاملا له ألغازه في شكلين هما ،

ا- شفوية

ب- مكتوبة

الفصل الثاني النتائج العامة

المبحث الأول نتائج ايجابية

المطلب الأول ممارسة حقوق الانسان من المقاومة على الميدان

تكرست الثقافة الحقوقية من خلال الممارسة الأخلاقية و السياسية لتسيير الحرب ،و ذلك ما تأكد في معاملات زعماء المقاومات لبعض الأسرى و المفاوضين المتعاونين مع المقاو مة بعد معاهدات السلم ،مثل ما حدث بين الأمير و بن ديران ومبعوثي الجنرال بيجو وسماحه لتمرير المؤونة و الغذاء لجيش فرنسا أثناء الحصار .كما نجد المقراني في تعامله أثناء المفاوضات مع الإستعمار حين طلبه الأستقالة من منصب القائد للقبائل ،بعد غضبه من تردي الأوضاع ا لمعاشية وإنتشار المجاعة قبيل ثورته عليه منذ1868م.

ورغم شراسة الحرب ' فهذا لم يمنع من احترام حقوق الآخر وبالتالي قواعد جريان الحرب التي تبناها من خلال تراث الإسلام ، فكانت احترام الأهالي والسكان والأملاك واحترام الميت من العدو ،واحترام راية السلم وقبول التفاوض واحترام النساء والأطفال ، رغم أن هؤلاء لا يو جدون في قوى الاستعمار ، ولكنهم يتموقعون مع جيش القومية ، والعشائر المتواطئة مع الاستعمار حيث بعض هجومات بوعمامة تحترم المسالمين والأطفال و النساء من تلك الفئة.

كما نجد فعل الشيخ مع بعض من عشائر ، وأولا د زيان والمرابطين من المسلمين ، الذين تم توقيفهم مرحليا ، وإطلاقهم فيما بعد ، رغم أنهم كانوا قدموا عناصر بشرية وبهائم للجيش الفرنسي بقيادة برينتيار **brunetiere** كما وجدنا ، قائد سفيسيفة ، وقد تم إطلاق سراحه بدون خدشه أو تعذيبه في معركة صفيصيفة مما جعل أبناء قبيلته ينضمون للثورة في حين فرض على بعض القبائل الأخرى غرامات لعدم المشاركة في الثورة عندما نقع في حوض منطقة الشيخ المحررة مما يجعلها في حماية أكثر . كما يشهد له التاريخ ، انه وجد الكثير من الأسبان في الجيش الفرنسي ، وثم القبض عليهم ، كما تم طلق سراحهم بعد ذلك بدون عقاب في معركة العيوج في 11 جوان كما أن الاتصال من وظيفة بعض العمال الجزائريين في طرق الحديد والحلفاء وغيرها عن طريق الرحالة و البدو من حول المنطقة ، كما

كان عناصر من أولاد سيد الشيخ في فرندة ، و حولها في سعيدة ،حيث الحامية القوية للاستعمار الم هيأة لضرب قوة بوعمامة ، بحسب ما صرح به الجنرال **graulle**([1]) .

لقد حاصر الجنرال برينتيار ، سكان الاغواط كسال من كافة القبائل ، التي أرادت ، الالتحاق ببوعمامة ، ولكنهم منعوا من الاتصال والحركة والتنقل ، أيام 14 جوان في الهجمة الأولى كما زاد بطشهم ، ردع باشا الأحرار لهم وقمعهم وتخريب بيوتهم وقتل بهائمهم التي منها : املاك عرشية و فردية .85 فارس خطف ، 1000 جمل ، 900 ثور ، 4500 غنم ، قبض 400 رجل ، و 800 امرأة ، في واد سيدي الناصر ([2])حيث كانت قبيلة مجاهدة مع بوعمامة .

المطلب الثاني توحد الرابط الوطني

اندمج سكان المنطقة داخليا وعبر المحيط الحميمي الذي تتألف منه المنطقة ، فرغم سيادة القبائل الامازيغية في المنطقة قبل الإسلام ، إلا أن دخول العرب وتوغلهم وخاصة بعد حمله الهلالين في القرن (14م) للمنطقة ، كان له اثر كبير في توسع الإسلام و انتشار العربية والصوفية في الم نطقة وزاد من الاندماج السياسي المنسجم لكل أبناء المنطقة في الدويلات المغاربية قبل الأتراك ،كما تم قدوم جماعات من أهل السودان للمنطقة ([3])

وقد تمكنت كل تلك الأصول أن تجعل هذه المنطقة متنوعة الأعراق ، امازيغي ، عربي ، إفريقي ، في قلب واحد ، ضد أي خارجي عنها .ولا يمكن أن تنسى حتى بعض الموريسك وهم مسلمين من اصول مغاربية ،الذين جاؤوا الأندلس بعد سقوطها وطرد مسلميها رغم الإشارة إلى ذلك لا توجد حتى الآن في المنطقة الجنوبية ، إلا أن هذا لا يمكن إغفالة ، بالنظر إلى بعض الوافدين من وهران وتموشنت وتلمسان ، وحيث ،با لنظر إلى بعض الوافدين من وهران وتموشنت وتلمسان ، وحيث كانت لغتهم غير امازيغية واضحة ولا عربية واضحة.او اسرى الاتراك وقرباءهم.او كلوغلية .

لقد غلب على المنطقة التصوف السني ، بعيدا عن التصوف الفلسفي الذي عرفته البلاد الإسلامية بقيادة الرومي وابن العربي و ا لحلاج ، وليس التصوف الشيعي ، الذي تقوده فرق الشيعة من أمامية

---

[1] Sari dj ,opcit ,p115 ,in graule p88

[2] Sari dj , p116,.Graulle p66

([3]) Sari dj ,op cit p25

وزيدية و إسماعيلية وغيرها رغم أن منبت الصوفية ، كان مراقد الشيعة وحوزتها العلمية التي جعلت من كل إمام لاحق للإمام علي (رضي) وابنيه الحسن والحسين ، مرجعا هاما ومقدسا ، لكل استمرارية دينية باقصاءالتراث الاموي و العباسي والخلافة. لذا نجد المذهب السني الاشعري المالكي هو مرجع الاول للمنطقة بدون خلط ولا تنويع من جهة وبعض الخوارج الذين وجدهم سيدي معمر بلعالية في اربوات وبوسمغون وجنوب البيض. وذلك لم يكن مانعا لكل اندماج.

في هذه المراحل المعقدة من ا لتدخل الاستعماري في الجزائر وبعد 50 عام من التوسع والسيطرة الاستعمارية ، فإن التملك والاستحواذ الاجنبي ، على الأرض ، الإنسان ، الزمن ، والعقل ، والحرية ، كان الهدف المقصود من كل نشاط كولونيالي ' لان التقرب الكبير بين قوى التدخل وقوى المواطن المدني ا المحلي ، المتمسك بالهوية المحلية و الإقليمية ، جعلته أكثر شعورا من الأجنبي بالمواطنة والملك والتجدر الجغرافي والروحي من الطبيعة لان خليقة الإنسان هذا شحذته العقائد ، التي تربطه بالأرض والوطن والإنسان المعايش له عبر 12 قرن انذاك من الزمان والحركة والتفاعل والتع اون عملا وفكرا .من ذلك كان الزمن غير ملائم للاحتواء لان شمولية الاحتلال و توسعه لم تكتمل غربا و شرقا وجنوبا مع انه وطد سلطته في الشمال .

لقد كان بوزيان القلعي ، مقاوما بسيطا ، من معسكر إلى مستغانم والى تيارت ، وشارك حتى في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الأولى 1864 بكل قوة وشجاعة وجهاد ونال شهرة الشهيد الوطني بعد إعدامه ولكن هناك رجال آخرين وهذه المرحلة ، لم يخوضوا المقاومة الثورية ، ولكن عقولهم النيرة ، كانت كتلة المثقفين الثانية ([1]) التي مثلها بلعربي في الجزائر ومرسلي في قسنطينة، وحمزة برحال في ندرومة و بن طاهر في وهران ، قد كانت رغم دخول المعترك الكولونيالي في الإدارة والتسيير والقضاء وتنظيم المجتمع المحلي مثل القياد والاغوات ، إلا أن الروح الوطنية كانت تزغ من كل جهة.

المطلب الثالث نشر المقاومة والتحدي على الفضاء المجاور

بعد الدخول الفرنسي إلى الجزائر واحتلال مناطق واسعة كانت المقاومة في مواقع الاستنفار في كل منطقة لذلك كان توسع الأمير منذ 1932 إلى مناطق الغرب والشرق والجنوب دليل تاريخ تنفس مشترك بين كافة المقاطعات الجزائرية كما أكدت توغل مقاومة الحاج باي إلى بسكرة، دليل آخر لانضباط

---

[1])–نريد القول أنها جيل ثاني بعد جماعة حمدان خوجة بوضربة

المقاومة الجزائرية وبعدها التاريخي.وقد استطاع الامير ان يتحرك على مساحة فضاء واسع بين تلم سان غربا الى جرجرة وقسنطينة شرقا ثم بسكرة و ورقلة جنوبا رغم قوة فرنسا عددا وسلاحا . لذلك شهدت ثورة أولاد سيد الشيخ توسعا متطاولا نحو الجنوب والغرب وصلت بجيوشها البسيطة إلى المغرب الأقصى وجعلت من توحد المقاومة المغربية والجزائرية في موكب واحد في عهد الجيلالي الزرهوني وعهد الصراع بين الملوك في المغرب .كما توسعت مقاومة من قستطينة و بسكرة جهة العاصمة و الاغواط و ورقلة و القبائل ة لقاء الصفوف من كل جهة .

لذلك قد أدت الحركية الثورية إلى معاهدات جديدة لحماية بعض المناطق وعزلها عن الثورة ،لذا نجد أن موقعة ايسلي سنة 1844 وقع الملك عبد الرحمان على معاهدة فحواها بأن أرض الصحراء هي أرض موات تخضع لمبدأ من يخدمها يملكها فهي أرض رعي حرة بعدما كان التوسع الاسلامي قد وصل إلى السودان الغربي عبر الصحراء لذا تحرر بعض سكان توات والساورة من الأتاوات والضرائب التي فرض ت عليهم ،ولكنه أبقى على منطقة (الساقية الحمراء والواد) وفجيج وإيشر على تبعية القصر الملكي.

والتاريخ يؤكد حسب بعض المصادر(1) أن الملك في المغرب كان مهملا لبعض المناطق النائية بينما كانت الثورة متأججة في تلك المناطق بتأثير المقاومة الجزائرية في الجنوب الغربي بقيادة الشيخ بوعمامة وفي ذلك يرى المشرفي أنه كان هناك إهمال على حياة ومعاش أهالي المنطقة في حين بدأت فرنسا احتلال كافة المناطق الصحراوية في الجزائر منذ 1899 بعدما هدأ له الوضع في الشمال بقوة السلاح ولذلك نجحت في التوسع واحتلال عين صالح وعين الغار وإغلي.هذا ليس غريبا بعد كان القصر تأكد من حقيقة المشرفي ونسبه إلى الأمير والأشراف وثقافته بينما لم يكن مانعا من الكتابة عن قضايا السلطان والحياة العامة للأهالي والسياسة حيث طرأت فتنة – توات– بين فرنسا والمغ رب والتي كتب عنها المشرفي(2) (لا يخفى أن هناك شخصية أخرى عمل مقام حاجيا لدى الملك بصفته ممثلا لتوات مما جعل فرنسا تتأخر في احتلال توات حتى بعد وفاة العلامة سيد أحمد بن موسى الذي كان رجل صوفية

---

[1])–.المشرفي ، المذكرات

[2])–يعتبر هذا الكاتب في المملكة –المشرفي الذي كان أصله جزائري وهاجر إلى المغرب واكتسب خبرة اداريةٍ والسياسية في القصر وترك مذكراته حين عمله في ذلك وكتب الحلل البهية.

* في مجلة Semiotique مؤرخوا المغرب ،عدد1 ، 2003،ص40

** عاش بن سالم عبد الله محمد ابن بكر العياشي بين (1627م–1697م) تكلم عن البلدان والأعلام

وسياسة* في حين كانت شخصيات علمية مثل ابن خلدون والعياشي ** في جد الات الفضاء الجغرافي والسياسي والثقافي لبلاد المغرب الإسلامي منذ القرن الثالث عشر(1).

وهناك مصادر أخرى (2) كافة أصحابها من عمال القصر الملكي ورجال حاطت أسرار المملكة والشعب والعلاقات مع الدول المجاورة والدول الأجنبية هذا في المغرب أما في الجزائر فقد كان لل علاقة أبي راس الناصري دور كبير في تسجيل المذكرات والحياة لمرحلة حياته وقبلها تبعا لمكانته وعلمه حيث تعلم في الأزهر ومكة وتونس وفاس وقد اشتهر بخاصية في عمله الفكري،وهي التوثيق لأبحاثه والتدوين بدل المشافهة والرواية المسندة الخاضعة للصدق والشك وقد كان حافظا للنصوص مما ساعده على تر اكم معرفي في مرحلة تكوين النخب المثقفة والعالمة شديدة المنال.

كما ساهمت مقاومة الأمير في هجرة البعض من عائلاته و زمالاته الى الشرق و المغرب ثم عودتهم في المقاومات اللاحقة لمواصلة الجهاد مثل الأمير عبد المالك و المشرفي و غيرهم كما سا همت ثوار المقراني في ثورات لاحقة في المناطق التي هجروا اليها

المطلب الرابع ظهور إلهام رومانسي وأدبي غربي

وقد ظهرت حين دخول الاستعمار الى الوجود حركة فكرية و ثقافية حاولت فهم المجتمع الجزائري و تراثه الفكري و التاملي للافراد و المجتمعات .فكانت الكتابه الوصفية لهذا التراث في قديمه و حديثه المرتبط بزمان الا حتلال الأول .لذا وجدنا ادبء الغرب مهوسون بمعرفة كنوز المجتمع المحلي وتقاليده في شعور غرائبي فجمعوا الدراسات الانتروبوجية و الادبية و الجغرافية فامتزجت عندهم النظرة البدائية والنظرة المستلبة بالفض اء المظلم و الغامض مكانا و بشرا و خيوانا و سلوكا .و خاصة انهم في فضاءبعيد و محتلف عن هذا الفضاء الاسلامي والامازيغي و العربي .لذا كان الافق رحب و التامل فضفاض ومتحرك . من هنا وجدنا الفونس دودي Alphonse Daudetكتب روايته تراسكون * tartarin de tarasconو هي احالة الى الاخلاق البذيئة و العادات المشكوكة مع بنظرة متشبعة بالمركزية

---

[1])–في مجلة Semiotique مؤرخوا المغرب ،عدد1 ، 2003،ص40

[2])–عبد السلام بن سودة ،ديوان العبر في أخبار أهل القرن الثالث عشر

و عبد السلام بن سودة، الابتسام مخطوط في الخزانة الملكية في الرباط

عن بشير بو يجرة محمد ،قراءات ، مجلة جامعة معسكر رقم 01 2008،ص111.

الاوروبية متحيزة للغرب ساخرة من الشرق و تراثه و حضارته لذا صدرت منهم احكام مسبقة حيث نجد فلوبير flaubertو فيدو fideoوموباسن Maupassantو جان لوران Lorrainوايميل ماسكراي Masqurayوجيل لوماتز ‘نصوصا انطباعية لا تبدي شوقا و لا ولعا بخضارة الشرق فقرانا رواية سالومبو لصاحبها فلوبير Flaubert تحكي لنا عن قرطاج و كتب فرومنتان Fromentainانطباعات اخرئ اولية حول مناطق اخرى .

ورغم ذلك نجد فيدو و موبسان قد نقدو الاستعمار اما الدوق دوفال فقد كتب عن سحر الشرق و الاعجاب بلصحراء وماسكيراي عن القبائل كما كتب اندري و فرنسيس جيمس 1896م عن الوضع العام .اما لويس برتراند فقد حاول طمس الثقافة المحلية واحلالها في دمج مهترئ كما كتب في بداية الاستعمار نجد بلزاك و فييني و لامارتين لبحث افاق الاستعمار و دعم نظريته سوى فيكتور هيجو فكان معتدلا في مواقفه مع جورج ساند و اوجين فرومنتان فقد كان الاغراء المكاني والثقافي واضخا .

اما الغرائبية Exotismeالمهوسة فقد ظهرت بقوة لدى شاتوبريان Chateaubriand فكان السفر و حب الاستطلاع وفضولية الغربة في البعيد ناضجة كما ازدادت الحلة الاستلابية لدى بعضهم مثل لامارتين Lamartineالذي عبر عن صو فيته و تعلقه بهذا الشرق والغازه فكانت له الحكمة و الدهشة امام الغرائبية و اضاف غوتيه فهم الذوق و الميول عام 1845 كما اهتم دي ك ونكور Goncourt برسم مناظر الشرق و كتب عنه بعفوية مع ديماس الا ان الذي كان اكثر تعمقا وروحانية فقد كان الهاما ابرزته ايزابال ايبر هاردت في تصورات وتاملات نفسية وفكرية بعد معايشتها و مشاركتها المحايثة للانسان الجزائري في ثوبه البسيط ودماثة اخلاقه في صورة الاهالي و في اماكن تواجدهم و حياتهم في قراهم و زواياهم و ملاعبهم الفروسية .

لذا عرفت و فهمت الالغاز و الاعماق و الممارسات اليومية اكلا و رحلة و تنقلا و سيخة في الصحراء مع القوافل فكان نتاجها ابداعا و فكرا و تصوفا ممزوجا بروخانية الغرب فتنقلت عبر التاريخ و الدين و المجتمع في افكاره و عاداته من واد سوف الى تقرت الى ورقلة ثت غربا نحو بني عباس وبشار و القنادسة الى عين الصفراء في رخلة للقلم و لالفكر والتامل وحتى الندماج الكامل لانها اهتدت للاسلام وتزوجت من شيح الزاوية التيجانية في تقرت فابدعت فلسفة متكاملة وانتروبولوجية بالملاحظة المشاركة ادباوفكرا.وذلك التصوبات كان لها أثار إيجابية إزاء الأهالي و زيادة تفاعلهم و تضامنهم.

المطلب الخامس توحد الطرقية و المقاومة

خلال المقاومة فقد تجلى التضامن في أجل صورة، بعد طلب الأمير كممثل ثوري للقادرية، لأتباع الشاذلية من سيدي الشيخ، فكان الجواب بالنصر والحمى ومهاجمة العدو الفرنس ي معه بصفته زعيما وطنيا، كما جاهدوا معه للتوسع في عين الماضي ضد التيجانية التي رفضت الجهاد والحرب ضد فرنسا عام 1834، وساندوه عام 1845 بالرجال والسلاح ضد فرنسا، ولكن بعد توسع فرنسا في الداخل وتمركزها في تيارت وسعيدة، وهجومها على مناطق البيض والأبيض سيدي الش يخ، رفض أبناء المنطقة العون نظرا للحصار والدخول الأعمى لفرنسا في المنطقة ومنها بدأت التوسع نحو بشار والساورة وتوات فكان تضامن قبائل ذوي منيع و أولاد جرير مع القادرية و الكرزازية مع ثوار الشخ بوعمامة وأسلافه من قبل. ومن الادوار الهامة للحركة الصوفية النشاط ات الثورية ضد فرنسا و ايطاليا من طرف الطريقة و الزاوية السنوسية ‘و قد شارك اتباع السنوسي في عدة ثورات و مناطق في الشمال و الجنوب الجزائري ‘ثم توجه الى الجنوب الليبي في الجبل الاخضر وواحة جغبوب حيث اسس الزاوية السنوسية هناك بعدما كان في مكة واسس زاوية في ج بل قابس في مكة سنة 1837 ولكنه لم يشارك ثورة الدرقاوي 1834/1836 لاسباب طرقية او تاريخية .في سنة 844توفي الشيخ السنوسي.

اما الطريقة الشيخية فقد كان الصراع الحاد بين الشيخية الغرابة و الشيخية الشراقة الا ان وراثة ‘العبيد للزاوية اجتماعيا ساهم في حفظ الفعل الاجتماعي و الديني والسياسي للطريقة ‘كما ساهم الاتفاق بين([1]) الزاويتين سنة 1829 في ربط الاوصال ثم توحد كامل ثم انفصال مرة أخرى كما سوف نرى .اما القادرية فقد كان زعيم ثورتها الامير عبد القادر بمجرد اقتراب الاحتلال من سهول غريس و بعد احتلال وهران مع رفضه الباشوية ومراتب القيادة تحت حكم الاستعمار .وواصل فروع الثورة في ورقلة و بسكرة و الغرب حركاتها ضد الاحتلال .

أما اثر الدين فكان مرتبط الجماعات الصوفية التي ظهرت قديما على يد علماء الإسلام نظريا و فلسفيا، فإنها لم تتشكل في طرقات و تتميز بطقوس محددة إلا منذ القرن 11و 12م، أما و هذا ليس تقديس الأولياء و لكن دعوى للعلم و التطهر الروحي و التعاون الإجتماعي و جمع الأ فراد في كيانات متكاملة "أما في المغرب فقد توسعت في العهد المريني في ق15."([2]).فالتصوف مثله مشايخ و علماء القرآن و بعض الدعاة للإسلام و الزهاد المسل مين، أو جماعات أخرى متنافسة ... ولكن هذه الاخيرة

---

[1]) – اسماعيل العربي م س

[2])–ك. غيربتز، أنتروبولوجيا الدين – م س المصدر السابق، ص 39.

كانت مثالية و عنيفة في المغرب ... ما أكده جاك بارك .."([1])، مثل التصوف دعوة عن الإيمان بفضل العلم و العمل و الحركة والقيم و التعاون مع الآخر رغم الثورة أحيانا، فكانت الرحلة بين القرى و المداشر و المدن والقبائل و العشائر و من عالم إلى شيخ."([2]) إلى معلم إلى آخر و من دولة إلى أخرى حيث كانت الحدود بين البلاد الإسلامية غير مقيدة، فالحقيقة و الدعوة لا تكتمل إلا بحلقة التحاضر والتواجد جسديا و مكانيا.

المركز القدوة، الروحانية المتدرجة، الدولة المسرح، حفاظ على موقع إجتما عي، المحافظة على أساس العادات العامة الروحانية، الحفاظ على بعض العقائد و محافظ عند (الآسيوي) أما المتطهر فعند المغربي يبحث عن السلطة الخلقية التي تمكن من سلطة أخرى و قوة (سياسية و إقتصادية و روحية ...)و تلك هي قوانين خفية للظاهرة الدينية و الحياة الدينية و طقوسها حسب غيرتيز ([3]) ضمن عملية فهم عالمي للدين و هي في حينها روحا للشعب في أصوله و النخبوية الروحية و الجمالية و هي قوية.

1. يمثل القصر أو البلاط الحاكم (المركز القدوة) رغم خلافه و إختلافه أو إنحرافه، فإن له طقوس عامة يفرضها المجتمع في عموميته و يقد صورة خفـية و ظاهرة لكيان المجتمع المحلي، كما يمثل تمثيل مصغر لمجتمع مثالي عن صورة الكون الواسع.
2. أما الروحانية فهي مندرجة طبق الوضع السياسي الإقتصادي للفرد لأن الطبقية تحديد منطقي طبق السيرورة الإجتماعية، فالتصوف دعوة للتفكير الباطني لإثبات وجدود الشخص و منها على ا لمطلق ثم الله و الكون و سننه وبالتالي تفريق بين الوقتي و الدنيوي و الأزلي و الدائم، مما جعل الفقير و الغني في نفس المنوال.

إن النظام يقوم على الربط و التوازي بين ماهو دنيوي و اللآهوت حتى يستقر الوضع و يتم التواصل.أما الدولة المسرح، فهي مضمونة من خلال آداب و احتفاليات البلاط في طقوسه وقيمه، تبقى دولة المواطن هذا و دولة الفلاح و العامل و البسيط و أرضه و هي موقع الحدث أو التفاعلات الحادثة بين الناس و بين البعض و الله و الظواهر .فالدولة إستنها الناس لتوحيدهم و فهم الحياة في اطار وحدة وعي وهي تجمع مواد الإحتفالل لحدث محدد لتكون مركز القدوة . إن حياة الناس تكسب خبرة و تجربة متعددة و تخضع لحياة لأسلوب متكرر رغم إختلاف في جزيئات الحدث.و التأويل ذلك يعطي للدين صفة

---

[1])–المصدر السابق، ص 39.

[2]) –لمصدر السابق، ص 40.

[3])–المصدر السابق، ص 44.

دائرة مغلقة ولكن ذلك لا يعني صفة ثبات المجتمع و الجماعات المتدينة بل تمثلت حدوث الإشكاليات من خلال ...، الإقتصادية و الثقافية ودرجات الهيمنة و درجات الإستهداف الفكري لوعي الذات.

فالدولة المسرح هي تجسيد للروحانية المتدرجة ([1])، فالطقوس هي مادة الحكم و شكلياته والدولة هي تعبير عن موضوعات الثقافة و تفعيلاتها بالإستعراض و التفاعل و الفعل حسب الثقافة الأندلسية مث لا، فكان للإحتفالات مقياسا لدرجة قوة السلطة و توسعها و إندماج السكان بها، مركزا للقدوة و المثل الذي يحتدى به و يمتثل له.يجب أن تصور الدين في مقابل خلفية "عدم الكفاية" التي يشعر بها للمعقول الشائع بوصفه توجها شاملا نحو الحياة، كما يجب أن ينظر إلى الدين أيضا في صورة تأثيره التكويني على المعقول الشائع **common-sense** – أي الطريقة التي تشكل، تناغما لا يس أل عنه، فهمنا للحياة اليومية التي نضطر أن نعيشها مهما يكن هناك من إيقاعات مختلفة يمكن أو لا يمكن أن نسمعها .([2]) يقول صمويل بيكرفي ذلك : "إن التحمس للإقتناع عن طريق الشائع المعقول، إنما هو أن تفهم ما هو ليس هاما بنفس درجة التفاسير المتافيزيقية الأخرى."([3])

إن الشائع المعقول هو إفتراض حول العادي و غير العادي، المعقول و غير المعقول ، حول ماهية الأشياء و أنه إطار عقلي للتأويل و التحليل بالإضافة أنه قدرات علمية و شبه علم ية ليس له قيمة منطقية، إن الدين يعزز مواقف عقلية علمية و يظهر الصدق في المفهوم البرجماتي للكلمة حسب مالينوفيسكي، إن نظرة مالينوفسكي الفطرية حول الدين جعلت من ذلك الواقع الشامل للوجود كما يرى ألفريد شوتز، أو هي الواقع الشامل الذي يشمل العالم تتحذر منه و ننحذر منه إجتماعيا و بقوة و الذي لا يمكن الهروب ولا التملص منه و من ضغوطه و مطلوباته .([4]) فللعالم مكون من وسائل التعايش مع الحياة.لذا فالانتربولوجيا تتدخل هنا بوصفها ليس عادات و مؤسسات، بل أيضا في أنواع مختلفة من التفكير و التفسير التي يستخدمها أبناء المجتمع و أبنية فكرية يقوم عليها تفسيرهم للأحداث أي ثقافة كيف تتصرف و كيف تنظر.

([1])-المصدر السابق، ص 53.

([2])-- ك. غيرنيز، ص 108.

([3])-نفس المصدر، ص 107.

([4])-نفس المصدر، ص 10.

المبحث الثاني نتائج سلبية

المطلب الأول النشاط المدمر للكولون

بما أن التاريخ يخضع للإطار والسياق الذي يحدث فيه، فإن الشخصيات لهم الدور الأهم في ذلك لأنهم الفاعليـن الاجتماعيين في الأحداث لذا يعتبر البعض، أن التاريخ ليس الذاكرة ....حيث أن الحكاية يتم فبركتها غالبا، فهي مقاربة على المؤرخ والشاهد، بينما تبقى الأهداف والأطر ووظائف البناء مختلفة... من ذلك نجد أن الشهادة المصدر تنتمي إلى المؤرخ التذكيري، بينما الشاهد يعبر عن الذاكرة وتبنى رواية للماضي فتصبح موضوع دراسة ([1]). هكذا صرح الناقد التاريخي، هنري مارو ومارك بلوخ أن التاريخ خبرة شخصية وهو إحالة عند كلود ليوزي.

أما عند الإسقاط النظري، أن التاريخ الجزائري عهد الإستعمار محور من هذا النوع ومن هذا التفسير النظري للعملية التأريخية، فقد أكدت الأحداث، أن تطور الأقلية الكولونية حدث بفضل كسب الأراضي وسلبها من أصحابها الفلاحين الصغار، الذين كان هدفهم الأول ضمان المعاش الذاتي للأسرة .إلا أن المفارقة، جعلت من الكولون أبناء الأرض، من خلال قانون التجنيس القادمين من أوروبا هكذا حما هم قانون 1889 مع أن بعضهم غير فرنسي، فهو إيطالي، اسباني، مالطي...فقد بدأوا بسكن القرى لتأسيس مزارع كبرى وتهجير الأهالي. وقد تطورت هذه الفئة من المعمرين وتوسعت في الأملاك والثراء بعد نجاح فلاحتهم وتجارتهم وخصوبة العقار المستثمر، فكان عليهم أن يتجهوا نحو ال تمدن فرحلوا إلى العاصمة ووهران وعنابة لأنها مدن شاطئية، أصبحوا يعرفون العربية ويملكون أحياء خاصة بهم ويتحكموا في الفضاء الإجتماعي بينهم.

لقد خلفت فرصة التمدن لهؤلاء أن يتجهوا لأهل الكتابة والأدب والفن بهدف خلق هوية متوسطية أوروبية حسب خيالهم الجانح، سما ها الإنجليز هوية كريولية، جمعت عناصر من الأقدام السوداء والأهالي ونسبوا أنفسهم إلى مواطن جزائري، وكان أغلبهم من اليهود مما جعلهم ثقلا على الإستعمار وخطرا عليه فيما بعد حيث ظهرت أزمة 1898([2])حيث وصل البعض منهم إلى مطالبة بالإستقلال عن فرنسا الأم التي قدمت بهم ومنحتهم كل الحقوق الاجتماعية والسياسية. وحقا أقر ذلك المطلب على مركز

---

2)–و، ابيكاسيس وج ميني، من أجل تاريخ فرنسي جزائري، تر. خولة الابراهيمي عن ب فلاز، الجزائر ENES، ص 139.

2)– و. أبيكاسيس و ج. ميني، المرجع السابق، ص 140.

القرار في باريس، وجعل من الجزائر نسبته الدولة في الحماية من خلال استقلال مالي وإداري تحكمه مجالس أصبح الأقدام السوداء، قوة رادعة وماسكة للحكم والقرار مؤثرة في باريس رغم قلتهم وعدم جنسيتهم الفرنسية أحيانا، فكان رائدهم في ذلك ومنتوج فكرهم **Victor Spielman** (1866 – 1938).وبذلك كان التذويب و التدجين الهوبياتي في الجزائر .

وقد ساعد على تبلور هذه الفكرة، مرحلة الثورة الفرنسية الثانية عام 1848، التي قادها غالبا معمري فرنسا في الجزائر، فكان الأ مر بإدماج كلي للجزائر بفرنسا حين الثورة، حيث تسببت الأزمة الزراعية في أوروبا عام 1848 في خلق الفوضى والاضطراب إلى فرنسا .فكان عام 1848 أول ربيع عالمي، سمى بربيع أوروبا ([1]) ومن آثار الأزمة، نجاح لامورسيار في استسلام الأمير سنة 1847 وتم قهر الثوار من الأهالي وقهر ثوار باريس عام 1848، أما النتيجة كانت إنشاء 22 قرية للمعمرين الجدد لتهجير ثوار باريس نحو الجزائر، فكانت اشتراكية اجتماعية لدى العالم **René Galissot** على حساب المواطن المحلي وحساب معاشه واستقلاله.

المطلب الثاني تقلص الأوقاف و الحبوس الاسلامية

كانت الأوقاف تمثل القوى والمالية التي تنشط الحياة الاجتماعية والثقافية خاصة لصالح المصالح العمومية الاقتصادية منذ العهد العثماني الاان الاستعمار قوض اركانها وبدل وجهتها. وتعتبر الأوقاف في شكلها ملكية عقارية او عينية وهي تقوم على مبدأ شرعي وعلى صيغة قانونية قضائية ملزمة. ويعتبر القاضي هو القائم بكتابة العقد الوقفي بخضور الشهود و الواقف الذي يريد توقيف شيئا معينا لشخص أخراو مؤسسة . ولكتابة محضر الوقف يجب هناك اسلوب محدد يشير الى الواقف والموقوفة له و شروط ([2]) الوقف والاغراض منه كيفيات التعامل به و قيمته م العاملين به من الورثة له بعد موت الوكيل.

---

1)– نفس المرجع السابق، ص 141–142.

[2])– سعد الله ،ابو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 1م و ك الجزائر 1982ص221/224/ 227ومراجع مصدرية Charles ferraud in revue africain 1868

اذن الوقف وثيقة شرعية بين العاملين به و السلطة و فيها ما يحتوي على ذالك .و التاريخ الجزائري في العهد العثماني له احداث و وقائع في الموضوع ومنها ذكريات احمد بن الساسي البوني في عنابة و الورتلاني في قسنطينة واحمد الزهار و الذين كلهم اغتاضوامن التلاعب باملاك الاوقاف من الوكلاء من جهة ومن الاتراك من جهة اخرى .مما زاد ضعف العلم و الجهل بالدين و أمور الأمة .

ويمكن تغيير الوكيل المكلف بتسيير الوقف اذا خرق شروط العقد او ظهر عليه سوء اخلاق ‘لذايمكن للمجلس العلمي للمساجد و الكتاتيب ان يقوم بتغيير الوكيل وتعيين اخر مكانه بوثيقة اخرى .وقد استطاع صالح باي في قسنطينة و محمد الكبير في معسكر ان يقوي سلطتة وينشط منطقته بفضل التحكم بالاوقاف .و قد وجدا ان الوكيل كان منهم من يتصرف في الوقف كما يريد وكانو يسلمو الهدايا و الرشاوي الى البايات و السلاطين والاغوات من مال الاوقاف مما جعل العلماء و بعض العامة يثورون ضدهم .وقد استفاد من الاوقاف حتى الانكشارية والباي نفسه لكن احيانا حقا وقانونا و احيانا رشوة و مداهنة على حساب الاخر.وقد تمثل الوقف غالبا في عقار ‘أرض فلاحية بناء ‘ بيت ‘ دكان ‘بئر ‘مالا ‘مال عيني ‘منتوج فلاحي.مثل التمر ‘ اشجار‘كتاب ‘افرشة .....

لقد سيطرت فرنسا بكل قواها على المقومات الجزائرية و مصادر العيش و الحياة العادية من خلال حيازة العقارات الفلاحية الكبرى و الخصبة و اختكار المواقع الهامة في القرى و المدن و الأرياف ‘كما أخضعت الأملاك العمومية العثمانية و الجزائرية الى مراقبة و تصدير الى أشخاص أخرين أو الى الدولة الفرنسية ‘تحت سلطة الحاكم العام أو حكومة باريس ..وبذلك كانت الاوقاف أحد ضحايا المهزلة الكولونيالية للبطش و التنكيل و القهر و التجويع و التجهيل .و يقال ان بعض الواقفين يشترطون على الوكيل المكلف ان يقرا سور من القرأن او أحزاب لكي يتسلم الوقف المقصود للعقد .ومن اشهر الاوقاف المعروفة في المجتمع الاسلامي هي اوقاف مكة و المدينة و الحرمين ‘وهناك اوقاف الأشراف الذين كان لهم نقيبا يمثلهم وهناك وقف اهل الاندلس تواطأ عليه الفضراء و المكان و الجماعة و القبيلة.

لذلك كانت سياسة تفكيك الملكية العقارية ،التي هي متجذرة من خلال الارث و الوصية و النصيب و القسمة، و مقابل ذلك ،قام بإلحاق بعض القطع الفلاحية و أغلبها على المستوطنين،و خاصة في التلال الخصيبة التي عمرها الكولون بين مساكن مزرعية .و بذلك قضي الاستعمار على نظام البايلك العثماني و الاحباس و الأوقاف التي كانت ،سائدة في تقاليد المسلمين .و نتيجتها اضطراب بنية الريف و تهميش افراد و بقاءهم بدون ملك و لاعمل و لا فلاحه فظهر الفقر وكثرة الترحال و البحث عن مصادر العيش .و قد ساهم الفكر التدجيني ،في خلق مفاهيم جديدة للعصرنة ساعدت على بلبلة المفاهيم و

تصورات الحياة و العمل و الأسرة ،فكانت الهوية محل اضطراب لدى البعض مما سهل الإندماج و الخضوع بعد فشل المقاومة في بداية القرن 20.

المطلب الثالث توسع الإدماج الكولونيالي والإقصاء :

مارس الاستعمار الفرنسي عدة أشكال من العنف او الاقصاء أو الادماج المشنج لخلق نموذج جديدمن الفئات وخنق روابط التجمعات التقليدية لتسهيل التوغل و الاستحواذ على الذات الوطنية .حيث كانت أهداف الاستعمار واضحة و مناهجه صريحة للعيان . فكان الاستعما ر استعباديا تجاريا وماليا ‘بينما فعليا فقد تطور من الاستعمار إلى الكولونياليه حسب مايرى ريفي دانيال ([1]). فالأول كان تجاريا وحضاريا وتوسيع نفوذ الدولة الفرنسية بينما النوع الثاني أقصاء الشعب المحلي من حقوقه واغلاق الرقي أمامه فهو إعادة إنتاج نفس الأوضاع لنفس الرتب ونفس الطبقات حسب الانتماء الديني والأثني ، ولكن في أهداف جديدة و وترتيبات جديدة في البنية و الحركية، الشيء الذي أوضحته التطورات السريعة للجزائر رغم ثقل الاندماج المحلي بالوافد الاجنبي ثقافة و دينا و لغة و قيما . وذلك كان رغم رؤية مميزة من طرف الاستعمار التي جعلت شكوكا حول انتماء الجزائر وحول جدارة و عفوية الانتماء للهوية المحلية المرتبطة بالفضاء المكاني و الزماني المعاش . حيث كانت فيالق أوروبا من ايطاليا واسبانيا ومالطا وفرنسا ، لا تعتقد بعقيدة وطنية للجزائريين منذ الخلافة العثمانية الشيء الذي فر ضته المقاومات الشعبية وخاصة عام 1870 باضطراب منطقة القبائل وتأسيس الحكم المدني .فالفعل الاستعماري الكولونيالي واصل مساره رغم المقاومة و فرض أدواته ومناهجه الجديدة في سبيل الاحتواء (فقامت الإدارة إلى خلق أثنيات مختلفة في المناطق وقامت الرأسمالية بتخريب ال بلاد وتحطيم وسائل العمل والإنتاج وتوطدت السلطة في يد العسكر الكولونيالي بدلا من الساسة المدنيين"([2]).

فقد تم تنظيم الإدارة الاستعمارية منذ بداينة واستمرت في التوسيع والتوطيد حتى 1914 حسب مايرى **didier giunard** مما بعني أن الاستعمار الكامل لم يغزو الجزائر كاملة حتى 1914 وذلك حتى بعد دخول مع مناطق التوارق في تمنراست رغم المقاومة التي واجهها سنة 1916 فقد طبق الاستعمار نظام المكاتب العربية في ظل نظام عسكري شمولي في ظل نظام عسكري شمولي.

---

[1] –Daniel ,rivet ,le maghreb a l’epreuve de la colonisation ed–hachette litteratures 2002

[2])– فريديريك أبيكاسيس ، وجيلبار ميني ، ترجمة خولة طالب الابراهيمي ط 1 –ن م س –، الجزائر،2011

لقد كانت بداية 1870 هي دعوى إلى إدماج الجزائر في بلاد فرنسا . ومنها تم إلحاق كل الإدارات التي كانت موجودة اثر العهد العثماني ، إلى الوزارات و الإدارات المركزية في باريس منذ 1881 . بينما قامت في هذه السنة ثورة الشيخ بو عمامة في الجنوب الغربي ، حيث كان التوسع الكولونيالي متجددا منذ دخوله سنة 1845 في منطقة جنوب الأطلس حيث كانت نتيجة حتمية لاحتلال الشمال ،الذي تثبت فيه الاستعمار رغم الاخطار المحدقة في الحدود والجنوب في حين كان تأمين المنطقة الغربية مع حدود المغرب هو هاجس الاستعمار الفرنسي نظرا لتوحد القبائل و الصراع مع اسبانيا و ألمانيا حول المغرب .

المطلب الرابع – الهجرة :

أصدرت الدولة الفرنسية المستعمرة للجزائر قانون مصادرة أملاك الثائرين في سنة 1854 وضد المهاجرين الذين تركوا أملاكهم للغير أو الجيوس أو تركوها سبا وضي اعا .لذلك فقد هاجر البعض إلى الولايات العثمانية كما نعرف مثل سوريا والشام عامة وبلدان المغرب المجاورة ولكن ل م يكن المفر هو المقر بل تعرض بعضهم وأغلبهم إلى المضايقة والعنف بهدف للعودة للجزائر في سنة 1889 حيث كان القانون المطبق على الجزائر أنه مواطن فرنسي منذ سنة 1865/ 14 جويلية والذي يسمى ق انون سيناتوس كونسيلت. وفي المقابل نجد أن تركيا جعلت طبق قانون صادر سنة 1889 أن كل مهاجر مشاغب ضد القانون والدولة العثمانية وبعدها في سنة 1893 صدر مرسوم عثماني بمنع تجمع المهاجرين في بلاد الإمبراطورية ،وذلك خوف تمردهم وإثارتهم للثورة ضد الأتراك حيث كانت مرحلة بداية الانهيار العثماني وفشل سياستها الحمائية والاجتماعية في البلدان ا لعربية مما ساعد على خلق حركة دعاة الاستقلال عن الأتراك. ([1])

أما في سنة 1888 ،تفاقم وتطور فعل الهجرة نحو الولايات العثمانية وزادة الأزمة بين تركيا وفرنسا ،فأمرت بإيقاف جوازات السفر وضايقت حتى الأعيان ورجال المال وقد دام ذلك إلى عام 1895([2]).وهنا يجب إلى الد ور التحريضي الذي لعبته الزوايا في الدعوى لذلك لما كان لها الدور

---

[1])–عمار هلال ، هجرة الجزائريين للمشرق مجلة الثقافة– عدد (83) 1984،ص100

[2])–عمار هلال،نفس المرجع،ص103.

الإيحائي والثقافي في خطاب الجزائريين، و بحيث كانت مالكة لقواعد العلم والمعرفة الدينية والدنيوية ." يعتبر مؤرخي الاستعمار أن الطرقية كانت داعية للهجرة..."([1])

ولكن الحقيقة التاريخية كما يرى عمار هلال([2]) ترفض ذلك لأن الطرقية كانت تعيش في مواقع خاصة على الاسترزاق والاستنفاع من التلاميذ الذين يدرسون في كتابها ،ومن المريدين والأتباع والخدم ،ولكن تكلف الزوايا بالتعليم ليس أمرا سهلا فهي مدعوة الى توظيف الطلبة في الفلاحة مجانا أحيانا ودفع حقوق التعلم و الاقامة ،وبذلك أوقفت أحكام الدين وأعراف المجتمع .بينما نجد **Cambon**([3]) قد رأى أن الهجرة مسؤولية الطرقية منذ 1847 وخاصة عام 1896 ،وبذلك أمر كتابه ومساعديه بالتحقيق في القضية سنة 1895 حيث دون ملاحظاته "الدور الإيجابي الذي تلعبه هذه الأخيرة في المجتمع الجزائري " مما جعل الاحتلال يوجه قبضته على رجال الطرقية وعلماءها .وهذا ما تؤكده بعض المواقف السياسية لبعض ضباط فرنسا ومحققيها،مما أدى ببعض الطرق إلى الانخراط في الاستعمار،تبع الإغواءات المقدمة من طرف الاستعمار حسب المناطق وحسب قوة الطرقية وجذورها الثقافية المنتشرة .

ولكن نجد تحفظا من البعض ،حيث نقرأ عدم وثوف كانبون من الطرقية ورجالها في مناطق التل ([4]). وهذا حسب تحليلنا لقوتها الديمغرافية وقرابة القرى لبعضها وامتلاكها لمخازن ثقافية هائلة تزعزع المستعمر، وحيازتها على أملاك أساسية من الحيوس والأوقاف في مناطق فلاحية وز راعية .لذا قام **Octave dupont** و **coppolani Xavier** بتحقيق شامل ودقيق سوسيولوجي ومونوغرافي حول الطرقية في الجزائر وأتباعها وعلماءها وأصولها وأماكنها ومناطق انتشارها والقبائل العاملة معها .كانت فرنسا تعتبر أن الطرقية هي المحرك الأساس للهجرة طرقية مع توافق ذلك م ع دعوة الجامعة الإسلامية لجمال الأفغاني ومحمد عبده التي تحارب الصوفية والبدع البعيدة عن سنن السلف الإسلامي الاجماع والاجتهاد المحافظ على النصوص المرجعية للدين الإسلامي ورغم ذلك لم تدرك الا سفاسف الحقائق .

لقد تم توغل الاستعمار وتواصلت معه الهجمة الروحية و الاقتصادية مما جعل الأهالي في غلبة على أمرهم ،وجعل البعض لم يجد متنفسا سوى في الهجرة، لذلك تواصلت هذه العملية حتى بعد 1893

---

[1])-عمار هلال،نفس المرجع،ص105.

[2])-نفس المرجع،ص106.

[3].)-ن م س

[4])-عمار هلال،نفس المرجع،ص106.

حيث ساد الفقر والمجاعة من حصار المحتل ،فقد هاجر البعض نحو تونس وليبيا والمغرب لأنهم بلدان مجاورة لم يدخلها الاستعمار بعد بالإضافة إلى سوريا التي توجهت قوافل المهاجرين منذ سقوط مقاومة الأمير. والغريب في الأمر أن فرنسا هي التي كانت إلى يد محلية عاملة ومعايشة للوضع الجغرافي في داخل الجزائر وداخل فرنسا نفسها، قد قامت بتشريع الهجرة والتساهل مع أهلها.

" أما في المرحلة العثمانية فقد خلقت مكتبا خاصا وسهلت نشاطها نحو المشرق العثماني في عهدها، وكونت حتى بعض الدعاة([1]) لذلك".لذا التحق أحمد بن سالم([2]) خليفة الأمير بدمشق سنة 1847 والتحق بعده 80 شخصا من دلس ونزلوا ببيروت في لبنان سنة 1847 بعدما تبرؤا من فرنسا وحكمها ولكنهم خلقوا أزمة دبلوماسية بين تركيا وفرنسا دامت حتى 1925([3]). ومن ثم اعلان تركيا الوطنية العلمانية .

أما في تطورات لاحقة ،لقد خلقت الظروف الجديدة التي خلقتها الحرب العالمية الأولى وضعية اضطراب ديمغرافي وقلق نفسي لدى السكان الأهالي الذين تملكهم الخوف من الإدارة الإجبارية للتجنيد من جهة وخوف الاستيلاء على المحاصيل الفلاحية لتمويل الجيش المرابط في جبهة الحرب العالمية ضد ألمانيا .في هذه المرحلة (1914-1918) تم تسجيل 230.000 مهاجر ([4]) من مناطق المستعمرات الفرنسية ،وقد اتجه هؤلاء إلى أعمال الحفر والجيش ،وأعمال خاصة (تجارة ،حمل أشياء حدادة...).لقد سجل من هؤلاء 40.000 رجل في جيش الشمال الإفريقي ، 9.000 مغربي ماتوا خلال الحرب وكان عمرهم ما بين 25-40 سنة مما أفقر بلاد المغرب إلى الشباب الناشط .أما بعد الحرب واتفاق السلم العالمي فقد تم الأمر بتهجير هؤلاء إلى بلدانهم أو إلى مستعمرات أخرى.

أما في الجزائر خصوصا فقد كان الغزو الاحتلالي المتواصل الواثق سببا مباشرا في فقدان الأمل والرضوخ للأمر الواقع من بعض السكان بذلك بدأت الهجرة إلى فرنسا منذ عام 1874م حيث كان المطلوب الحصول على إذن سفر في هذه السنة وقد تغيرت مواقعهم من الرعي إلى الزراعة ثم إلى الصناعة .ولقد ساهم قانون 1912 وكافة مراسيم التجنيد في هروب الشباب الجزائري من مراكز القوة الاستعمارية للإدارة نحو الجبال ونحو الصحراء.

---

[1])-عمار هلال،نفس المرجع،ص71.

[2])-أحمد بن سالم كان باي مناطق الأغواط قبل الاستعمار وناصر الأمير فجعله خليفة.

[3])-عمار هلال،نفس المرجع،ص73.

[4])-مكي بن طاهر، مجلة الأكاديمية،للمملكة المغربية،ص78.

عدد العمال	موقع الإقامة	نوع العمل
2000	مرسيليا	المصابن – المصافي – المرافئ
1500	بادوكالي	المناجم – مصانع – تعدين
800-700	باريس	مصانع سكر – نقل – ورشات

عدد العمل الجزائر: وضعيتهم قبل عام 1912([1])

أما حركة الهجرة العمالية خلال فترة الحرب العالمية فقد كان مرتبطة بتلك الأحوال الاقتصادية الحربية وطبق القوانين الاستعمارية المتجددة التي حكمت فيها الحرب لذا كانت

تلك الحركة كالتالي ([2]):

السنة	الذاهبون	العائدون إلى الجزائر	الباقي
1914	7444	6000	1444
1915	20092	4970	15122
1916	30755	9044	21711
1917	34985	18849	1636
1918	23340	20489	2851

فقد حملت الوثائق أن "بعض سكان سوس تنقلوا إلى الجزائر ثم إلى فرنسا حيث اشتغلوا في معامل مرسيليا وموانئ نانت ومناجم بادوكالي "([1]).لأن منطقة الشمال الإفريقي كانت خزانا لليد العاملة البسيطة

---

[1])–ريس حسين: في المستقبل العربي،عدد (51)/3/1983.

[2])– ريس حسين،مرجع سابق،ص48.

والموجهة للأعمال الشاقة والصعبة. لقد كانت سنة 1930 دعوة إلى تهجير سكان شمال إفريقيا إلى فرنسا حيث توفر النمو الاقتصادي ووصل مبلغا تقنيا عاليا وحيث تطورت التكنولوجي ا الصناعية الحديثة في المناجم والطرق الحديدية والسيارات والفلاحة وغيرها وحيث استقر الوضع السياسي ،ولكن رغم ذلك ظهرت معارضة قوية من طرف أرباب العمل ضد اليد المغاربية.

وتلك الرؤية ليست بريئة لأنها مرتكزة حول اتنولوجية مركزية كشف عنها الفكر الاستعماري على يد الرحالة والمبشرين وعلماء الثقافة الذين أكدوا على : أولا "معرفة الشرائع والعادات "([2]) ومنها اكتشاف رؤساء التجمعات ووظيفتهم وسلطتهم وامتيازاتهم وواجباتهم لذلك لتسهيل استعمارهم من خلال رؤية علمية مدروسة وعلمية معصرنة حسب الأهداف السياسية الخاصة بفرنسا منذ دراس ات ماسكراي وبانونتي **pananti** حول شمال فريقيا([3]).

[1])–المكي بن طاهر، تاريخ هجرة المغاربة إلى الخارج،مطبوعات أكاديمية ،المملكة المغربية،عدد 13/12 ماي 1999،ص7

[2])–بوحسون عربي،المجلة المغاربية للدراسات ،جامعة بلعباس،عدد(2)جوان 2010،ص165–166

[3])–بانونتي pananti، كتب عام 1882 كتاب حول شمال إفريقيا دراسة ميدانية.

المطلب الخامس إظطراب و تقلص التجارة::

كانت التجارة الصحراوية مع الشمال الواقع ظهرها، متعدد الأوجه و كثير السلع تبعا لطبيعة المناطق المتعامل معها . لذالك كانت مناطق (سعيدة،البيض،عين الصفراء) أهم مراكز الشمال بالمسبة للجنوب الغربي المترامي الأطراف من الساورة إلى توات و تمنطيط . و قد كان للزمن دورة في تنويع السلع أو عصريتها أو وقت قطفها حسب الفصول دورا آخر، و لكن هذا لا يمنع وجود السلع الأخرى المخزنة من الفصول الأخرى . لذا نأخذ 1899 الموثقة.

القافلة	نساء	رجال	أطفال	بعير
عين الصفراء: عمور مخزن	7	50	4	170 جمل
مشرية: حميان	156	727	52	30 جمل
سعيدة: زانية، عمران داود، سيدي خليفة.	167	399	X	1142 جمل
البيض: الأبيض س. ش الحاج بحوص أولاد عيسى ،قراريج، بريزينة.	45	610	X	1202 جمل
قافلة طرافي،عبد الكريم عكرفة. دراقة سرور، معلة ،زياد، مجاذبة.	164	748	112	2911 جمل

و من ذالك نحصل على مجموع من 3348 جمل و 4270 رجل و 579 نساء و 190 طفل. أما طريقها: فقد تنتقل هذه القوافل التجارية، من سعيدة و مشرية، البيض عبر واد الناموس، لتصل عبر الرمال إلى قورارة في الع رق الغربي .متصلة بنقاط قصور أولاد عيسى، قرين، سيدي برا هيم . كما كانت هناك في طريقهم من محطة النزول قصور أولاد راشد، الساحلة، تهامين، مطارفة، البكاكرة، شروين، أوقر وت، أولاد توفي المايز . و لا تنسى أنه كان هناك بعض النزاعات حول التجارة وطرقها.

كما كانت تلتقي قصور أخرى في ملتقى السوق، و هي الفراهدة أولاد أحمد، أولاد سعيد، حيث التجارة في قصر برينكان، أما في دلدول فنجد عام دخول فرنسا عين صالح، قصور أولاد مبارك في مطارفة، و

بعض مطارف في دلدول و يتم الرجوع إلى الشمال من توات عبر حاسي المايدة العزيل، رأس الم اء ، واد الناموس.

كما تمت في هذه السنة و هي على نهايتا و بداية 1900 أو القرن 20، مبادلات كبيرة، رغم ظروف الحرب، و قوة التوسع في منطقة الصحراوية القاسية و هما توات و ع ين صالح. وفي هذه الظروف جرت مبادلات بين طرافي و قياتل البيض، محددة لبعض الأسباب و هي قلة ا لإنتاج ذلك العام من جهة كما يذكر أصحاب الوثيقة من الفرنسيين ، سبق قوافل سعيدة ، مشرية و عين الصفراء لمنطقة توات و حيث المنطقة هذه في حالة حرب و تركيز فرنسي.[1] و قد كانت السلع المذكورة في قائمة المبادلات.[1]

سمن شكوه(25 كلغ)- 44 غرارات تمر،نوع دقازة.

15 جزة صوف تبادل مقابل حمل من تمر حميرة.

12 جزة تبادل مقابل حمل من تمر حميرة.

نصف قروة من قمح = 5 مرات تمر تين ناصر.

و هذا مع بعض التسامح أحيانا بالزيادة أو النقصان.

و هنا نذكر قافلة انطلقت من الحاج الدين عبر القليعة، عبر واد صقر ثم خلوة بن قدور، و خل وة سيدي أحمد، ثم حاسي حمار،حاسي نخل ثم الذيبة، سيدي حماد، واد ندوك، عين ندوك، واد غليز عين الصوف، قصبة بلانة . أما طرافي فقد انطلقت عبر واد غرني، حاسي الشيخ، تابلكوزة، نانيس ثم تيمي مون. أما قافلة سعيدة فقد انطلقت من بوسمغون إلى تمنطيط في 21 يوم، و ذلك ع بر أوزيدان، أولاد العيد، سيدي معمر، حوش مرابط، حاسي حديد، حاسي بن الزين، زاوية بن نوار، دلدول، مطارف، تابت المواد الصادرة في الشمال : الدراهم، الضأن، السمن، الصوف، الجبن، الدقيق، القمح، الفول و الشعير، الزيت، الشحم الصابون، الشمع، القهوة، القماش، السكر، الفلفل الأسود . أما مواد قورارة و توات:تمر حميرة، تمر تين، حوت، تين ناصر، دقارة، دقلة نور، و الأطباق مثل التوابل، القفف، الحياك وفي هذه الأثناء باشا تيمي، إدريس بالقروي معين من السلطان ، ولكن تم الإضراب بعد توغل فرنسا، و هجوم قبطان ورقلة على تيديكلت.[2]

([1]).فرج محمود فرج: إقليم توات ص 122 -124

([1]).فرج محمود، م س ص 136.

([2]). م س ص 137- مع العلم أن كبير حميان كان يسمى لخضر ولد العربي.

الخاتمة العامة

لقد مثل الوضع الثوري تواصلا للمجتمع العثماني المندمج روحيا و نفسيا و قيميا مع مكونات الشعب الجزائري و تنوع ثقافته المتلاحمة عبر التاريخ .و هذا في جانبه الإجتماعي و الإقتصادي فقط واما الجانب السياسي فهذا مفروغ منه ،لأن الغاصب الإحتلالي يتطل ب تغيير أوراق المواجهة و التعايش و الصراع وتفككيك أدوات المنافسة و التقابل أساليب العمل .لذا كانت تلك نقاط ا لإسقاط او محطات العرض او هي الواقع العملي الذي تم التموقع حوله و الذي يتطلب الدراسة و التعميق أكثر من الموجود وحيث أن المصادر و المراجع لا زالت عقيم ة وغير مستثمرة جديا وعلميا في المقاربات العصرية و الاسقاطات المتشعبة للعلوم الاجتماعية و الانسانية الحديثة و المتداخلة علميا و نظريا و ابستيمولوجيا.وفي توظيفات متعددة و لأهداف متشعبة على رأس الموضوع أو على هامش المقاربات السابقة.

يمكن القول في أخر التحليلات ،أن المقاومة الجزائرية هي نتاج وعي هوياتي وشعور بالكيان الفردي و الجماعي للإنسان و الشخص الموجود على الأرض و يغطي مساحات من الفضاء الكوني . وهي التجسد القوي المتراكم للضمير الجماعي المحلي و الإقليمي لفضاء و اسع من الأرض الإنسانية و هو الفضاء الإسلامي ع امة . لذاكان الفعل الثوري ردا لفعل مضبوط لكسر القوى الخارجية المعتدية على فضاء وجوده الجغرافي و المكاني الذي يضمن حياة الأشخاص و الأفراد من القوى الداخلية المترتبة على حساسية الوجود القومي و التضامني المتكامل .وهذا المنطق الوجودي الذي يعتمل في نفوس و مشاع ر كل فرد متوطن في هذه الأرض .

إن الطرق و أنماط العيش الوسيطي المعروف في المجتمع الإسلامي ،والتي لم تكن من النوع الإقطاعي و الرأسمالي و لا العبودي ،قد تميزت تاريخيا روحيا و نفسيا و تفاعليا في شكلها و مضمونها و هدفها و نمط تقدينها و اخراجها للمستعمل و المؤمن بها ،وذلم عبر منطق القداسة النصسةو المرجعية الغيبية التي تلهم الشخص المسلم للإرتكاز عليها و التبني بها . كما يمكن القول أن التضامن الثوري و الترابط الحركي كان واضحا منذ الأيام الأولى رغم بعض المناوشات هنا و هناك .كما ساد التسلسل و التتابع الثوري لحظة بلحظة بداية من مقاومة العاصمة التي هجم نت جهتها الإستعمار ،إلى الأمير عبد القادر1832 ثم بومعزة ثم بوبغلة الى لالانسومر 1845، حتى الى أولاد سيدي الشيخ 1864ثم المقراني 1871ثم تواصل مقاومات و مناوشات بين مدو جزر وحرب وسلم ،إلى غاية الشيخ بوعمامة التي

تواصلت حتى 1904،وإنتهت المقاومة بثورة الطوارق 1916.وكل ذلك بتنسيق و تكامل وتضامن متصل رغم البعد و التباعد في المسافات .

لإن القداسة الروحية لفعل المقاومة و الجهاد جعلت التابع الثوري و المناصر السياسي ،عنصرا فاعلا و مفتعلا من جهة وعنصرا مسيرا و قائدا ومحارب ميدان م تجانس مع أفراد أخرين مهما كان لإختلافهم الجغرافي او الفكري أو العرقي أو الطرقي أو المذهبي .و هذا و اضح من خلال تضامن المالكي و الأباضي و الحنفي و الشرقي و الغربي و الشمالي و الجنوبي ،و الشاذلي و السنوسي و القادري ،في كتلة عمل واحد رغم بعض الخلافات أخيانا و التي ترجع الى لأ لية المواجهة فقط و ليس للهدف . هكذا كانت المقاومة فعلا متواصلا و مركبا متشبع بكل البناءات الإجتماعية والثقافات المحلية من مقدس و مدنس ومجاز .فالوعي الثوري روح داخلية للنفوس نابع من ثو رة دفع ضد كل شيء مسهل للتصدع والتصفية النهائية و الجز ئية.ومن ذلك كان جمع القوى الإقتصادية و الثقافية و البشرية ضد الدخيل .لإن القوى الروحية المتمثلة في التصوف القائم على المجاهدة النفسية و الزهد و التضحية العامل القوي في تسيير الثورات كما كانت وضعية تقسيم العمل و التنظيم القبلي مهندس أساسي للعمل الثوري . إن المرجعية الفكرية و الفلسفية و العلمية التي كانت سائدة من قبل دعمت الروح الثورية لدى كل مواطن حسب كل جهة وكل طريقة كما أن التاريخ الإجتماعي و الثقافي و نظم الحياة و أساليب التعامل العلائقي الذي كان يربط بين الجماعات و القبائل و العشائر،قد ساهم في تكوين اللحمة الثورية و الإجتماعية للثوار من خلال ما عرفنا من أشكال ، الضرائب و الغرامات التي دعمت خزينة الثورة ،رغم تفتيت فرنسا للعشائر و التجمعات .

فالحالة هذه، تدعو إلى الرفض و التواطؤ النفسي متناسق مع نفسية الأجنبي واقتصاده وثقافته وأعرافه واندماج ثقافي و اجتماعي و لغوي وسلوكي مع كل أنواع الأفعال وردات الفعل، لأن التكيف الحضاري عبر التاريخ لم يكن سوى شكلا من المعاهدة والاتفاق على منظومة قيم وأعراف وشبكة مصالح تشد الرباط الوشائج لتوسيع الشبكة الاجتماعية للتعاقد والتوحد ضمن هوية واحدة وإنتماء واحد .لأن رفض اللإستعمار ليس معناه رفض الحداثة .

شهدت مناطق الاستعمار نفس الحروب والصراعات لوعي الإنسان بأرضه وماءه وحدوده وكيانه الجغرافي الذي يضمن حياته الاقتصادية وفضاء تفكيره الواقعي والخرافي وبالتالي الشبكات المعرفية التي تنظم مقولاته، مفاهيمه ولغاته حسب تركيبات على الواقع و نسيج خيالي متواطئ عليه .لذلك تعتبر

المقاومة، رغم أنها فعل اجتماعي من جهة وحالة تاريخ من جهة أخرى، بنية متعددة الوظائف ومتعددة الأوجه ومتعددة الأطراف ومتعددة الأسباب ضمن تقسيم جزئي لمكوناتها الاجتماعية والثقافية .حيث أن فعل المقاومة حدث يتراءى ضمن حالة الرفض وعدم الإنصياع لوضع عام، يسيطر فيه الأجنبي على سلطة الغذاء والعلم والقيم والأمر.مع العلم أن هذا الشعب لا يرفض التعاون والعمل السلمي.

من هذا المنظور يمكن القول أن الثورات التي حدثت لم تكن ذات جانب اقتصادي محض عموما ، بحيث وإنما رفض متكامل لكل أنواع الفعل التسلطي الذي لا يرتبط بوعي الإنسان المستعمر ولا يحفظ له استمراره حيث يخرب له الهوية المتناغمة مع منظومة التراكمات الواعية التي ترسخت في ذهنه من خلال الإنجازات الفعلية، التي كونت لديه خبرات اجتماعية وثقافية واقتصادية مركبة، هذه الخبرات التي كونت له نظام معرفي متناسق يحدد الفعل وأنواعه وأهدافه بطريقة صريحة أو ضمنية مهماكانت الإختلافات .

وانطلاقا من ذلك فإن المقاومة في الجزائر مثلا كانت دوما حرزا واقيا لمنظومة قيم داخلية وضد الدخيلة ، ولأنواع تكيف محلية ترفض الأجنبي في أسلوبه وعلاقاته تحت ستار القوة و الحضارة و الحداثة ، حيث يظهر التناقص واضحا بين شكل اقتصادي للإبتزاز من جهة وممارسة العنف والقوة ضد المجتمع المحلي أو الأهالي ومجموعات المدن ‘بين المحلي و الدخيل وظهور صراع للقيم المتناقضة .وكانت حرزا ضدا للاإجتثاث والميوعة.

وقد كانت الهجرات المترابعة الإتجا هات هي أحد التغيرات الناتجة على ساحة المغرب العربي و المشرق و أفريقيا و حتى أوروبا نفسها ، متحكمة في تغيرات السكان وحياتهم واقتصادهم نظرا للتمازج التاريخي للمنطقة لذا كان تنقل المغاربة إلى الجزائر والجزائريين إلى المغرب والجزائريين إلى تونس حركة ناشطة عادية وكان تكافل أبناء المنطقة نابعا من الاندماج الثقافي الديني .. وبذلك تصبح الهجرة معاكسة لتوجهاتها ومصلحتها أي أن الطرق الدينية رفضت تهجير السكان والأهالي .مع ملاحظة أن الطرقية شهدت تدهور وتقهقر خلال نهاية القرن التاسع عشر تبع الظروف الاستعمارية وبطش هذا الأ خير وقبضته على الحكم والتسيير الثقافي والاقتصادي والقانوني للمجتمع الجزائري المحلي.

وهكذا كانت مصادر القوة و التضامن المادي متشا بهة مع الحالة العثمانية .من خلال جمع الاموال وتنظيم العشائر و تنظيم الزعامات و المراتب العلمية و الروحية .كما كان التواصل الخطا بي بالشعر و الحضرة الصوفية و البعثات الحوارية لجمع المواقف و حلول الأ زمات و الإشكالات ، من خلال نظام

إتصال فعال و ديناميكي رغم طابعه التقليدي و المتخلف ،حسب الأنتروبولوجيا الإستهعمارية و الغربي عامة .وهو ما كان السبيل الأسمى و الصحيح و المنتهج في السياسة الشرعية في المنظور الإسلامي من تعدد النص الفقهي المتجدد بالعقل و المحك المنطقي المدروس ،لكل الحالت و المقتضيات الأنية و القادمة و المصيرية .وطبق المذاهب أو الطرق الصوفية أو علماء الإجتهاد و الإجماع الفقهي المتراكم عبر فلسفة الكلامية و سياسة الواقع الفعلة الى خلقتها التجربة عند الأمراء و الملوك و الخلفاء في الدول الإسلامية المتلاحقة في وكما تم لإستنطاقه من الحروب السابقة مع الفرس و الروم و المغول كل المناطق الإسلامية قي المشرق و المغرب و الأندلس .

مراجع اساسية

1. أبو القاسم سعد الله ‘،رسائل في التراث و الثقافة ،مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي 1907–1992 منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ،كراسات المجلس عدد 5 أفريل 2007،
2. ابراهيم مياسي ،من قضايا تاريخ الجزائرالمعاصر، " ثورة الشيخ بو عمامة " ط1 ،د م ج 2006 الجزائر
3. بوزياني الدراجي ،القبائل الأمازيغية ج 2دار الكتاب العربي الجزائر 2000
4. بوزياني الدراجي ، القبائل الأمازيغية ،ج 1دار الكتاب العربي 2003 ط 2 الجزائر .
5. عبد القادر خليفي المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ،د م ج ،2010
6. عبد القادر خليفي من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي ، ،دار الأديب ،ط1،وهران2006
7. عبد القادر خليفي الطريقة الشيخية منشورات ال م لإ أ ، الجزائر ط ثانية 2010 .
8. خليفة بن عمارة السيرة البوبكرية الجزء الاول
9. خليفة بن عمارة السيرة البوبكرية ، الجزء الثاني ،تر ب عمير 2011 مكتبة جودي مسعود ،ط1وهران.
10. خليفة بن عمارة ، الجنوب الغربي الوهراني وكتاب النسب ‘تحقيق بالفرنسية
11. ايفون توران، المواجهات الثقافية في الجزائر1830–1880 –م دار القصبة ط1 / 2007 –الجزائر
12. ادموند، ف ، دنيزن،الامير عبد القادر و العلاقات الفرنسية العربية في الجزائر ،تر أبو العيد دودو ،دار هما ،الجزائر .ط1 2003.
13. الاخضر شريط ،الغزو الثقافي و المعامل الإستعماري ، ط1 ، دار هما الجزائر 2011
14. جورج بالوندي ، الأنتروبولوجية السياسية ، بي دي أيف ، ط،2، دار م ج د ن ت ،بيروت 2007
15. ليفي ستراوس الأنتروبولوجية البنيوية ، بي دي ايف تر مصطفى صالح ،منشورات وزارة الثقافة دمشق سوريا 1977
16. قباري اسماعيل ،الأنتروبولوجيا العامة ،ط1،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،1985.
17. مصطفى الأشرف ،الجزائر الأمة و المجتمع ،تر،ح بن عيسى ،م و ك،1983 الجزائر .
18. قصي حسين ، أنتروبولوجيا الأدب ،دار البحار ،بيروت ،ط1بيروت 2009
19. محمد فايز عبد أسعيد ،أسس النظريةعلم الإجتماع السياسي ،دار الطليعة ،بيروت ط1 1983
20. فليسيان شالي ،موجز تاريخ الأديان ،تر حافظ الجمالي ،دار طلاس ،دمشق ،ط2007/3
21. مؤلفون ، نحو علم الإجتماع عربي ،سل المستقبل عن م د و ع بيروت ط الأولى 1986
22. عبد الله طواهرية ، ،حاضرة بني ونيف، دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر 2008
23. أحمد محساس ،الحقائق الاستعمارية و المقاومة ،دار المعرفة ،ط وزارة المجاهدين 2007 ط الأولى ، الجزائر.
24. عبد العزيز الدوري ،مقدمة في التاريخ الإقتصادي العربي ،الأعمال الكاملة ،م د و ع ماي 2007
25. ايف لاكوست العلامة ابن خلدون ،م ة ك ،الجزائر1983
26. جاك لوكوف ،التاريخ الجديد،تر،محمد ط منصوري ،م د و ع و م ع ت ط 1 2007،بيروت

27. مصطفى عبد الله بيومي علم الاجتماع الثقافي ،دار المعرفة الجامعية ،القاهرة ،مصر 2004
28. محمد عابد الجابري العصبية والدولة
29. مصطفى الاشرف الجزائر الدولة والمجتمع ترجمة ،ح بن عيسى (م و ك)الجزائر 1982
30. عبد القادر جغلول الأنتليجانسيا في المغرب العربي ،دار الحداثة ،ط1 ،بيروت 1984
31. مؤلفون نحو علم الاجتماع عربي '(م دوع)المجلد رقم بيروت
32. جاك لومباز : مدخل الانتولوجيا: ترجمة قبيس حسن. م--رعر ثقافي بيروت 1917.*
33. بيار بونت : ميشال ايزار: معجم الانتولوجيا والانتربولوجيا : مصباح الصمد ،ط1،م ج د ن ت-(مجد) بيروت،لبنان،2006.
34. فيليب لوكا: جون كلود فاتاى:جزائر الانتروبولوجيين: نقد سوسيولوجيا الكولونيالية تر: حمد يحياتن، وز.مجا،الجزائر 2002.
35. كليفورد غيرتز،اللإسلام من وجهة نظر علم الإناسة ،تر،أبوبكر أ باقادر ندار المنتخب العربي ط 1993،1،م ج دن ت، بيروت
36. فرج محمود فرج ،إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين ،د م ج و،م و ك 1977الجزائر

مراجع عامة

37. لانجلوا وسينوبوس:النقد التاريخي
38. جوزف هورس :قيمة التاريخ
39. هرنشو :علم التاريخ
40. أتكن هيونج :دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية
41. حتى فيليب :تاريخ العرب المطول
42. ج.سارتون :تاريخ العلم
43. عثمان حسين :منهج البحث التاريخي
44. أرنست كاسيرر :في المعرفة التاريخية

مجلات ودوريات

45. الثقافة دورية خاصة من اصدار وزارة الثقافة الجزائرية
46. دراسات اسلامية من المجلس اسلامي الاعلى
47. أفكار و أفاق – جامعة الجزائر
48. انسانيات مجلة فصلية صادرة عن .**CRASC** وهران عدد
49. الاصالة شهرية صادرة عن (و ش ا د) الجزائر
50. الواحات مجلة ،المركز الجامعي ، غرداية رقم 05 جوان 2009

51. المستقبل العربي عدد81- 1985/11 مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت
52. المستقبل العربي ، عدد62-1984/4
53. المستقبل العربي عدد261—2000/11
54. الجمهورية يومية عمومية من وهران
55. الثقافة مجلة وزارة الثقافة ،الجزائر ،عدد93 ماي- جوان 1986 الجزائر .
56. الثقافة مجلة وزارو الثقافة ،الجزائرعدد 83،سنة 1984.
57. مجلة الثقافة –وزارة الثقافة عدد51،رجب 1399و ماي جوان 1979
58. منشور لوزارة الشؤون الدسنية و الأوقاف ،ملتقى القيم الروحية و الرؤية الوطنية ،26الى 27 سبتمبر 2011 ،الأبيض سيدي الشيخ ، البيض
59. إنسانيات المجلة الجزائرية في الانتروبولوجيا و الاجتماعية عدد19 و20 جوان 2003 مج الرابع 1و2 الإسطوروغرافيا المغاربية ،كراسك ،وهران
60. إنسانيات ،المجلة الجزائرية للأنتروبولوجيا عدد ماي أوت 1999 وهران
61. إنسانيات ،المجلة الجزائرية للأنتروبولوجيا ، عدد62/السنة العاشرة 20013

مواقع

wwww.L'algerie ancienne.org
www.wekipedia.org

BIBLIOGRAPHIE

1. basset'(r) : etude sur la zenatia du maghreb et de oued righ. alger82

2. (1903-1906),lib-armand collin-paris -1937

3. pansard : l'origines des ouled sidi cheikh, manuscrite archives aix-en-provence, 190p

4. a du martz : etude algerienne, l'algerie politique et economique a travers la province d'oran, lettres sur l'insurrection du sud oranais, paris 1882.

5. a la frontiere du maroc, les oasis, saharienne alger 1908. 2. a la frontiere du maroc, les oasis

6. a .g.p martin : 1. quatre siecles d'histoires paris (1923)

7. a. bernard : les chemins de ferre en algerie paris 1899.

8. a. bernard : les confins algero-marocaine paris 1911.

9. augustain bernard n ?.lacroix/la penetration saharienne/1830-1906 ?imp-algerienne .alg-1906

10. benjamin stora ,histoire de l'algerie coloniale,1830-1954 ,coll,reperes,,ed hibre,2012 alger ,

11. bezy le citoyen.histoire du maroc pressde l4imprimerie camping tournay .belgique -1884

12. blachel, recueil de la soc. arch de constantine, 1898 .

13. boualem bessaih, etendard interdit, poeme de guerre et d'amour dce mohamed belkheir, paris 1976.

14. bulletin d'oran v 501 1906 v. 9. 1968 n° 2

15. ch ageron. l'evolution politique de l'algerie sous le second empire ; in formation historique, pans oet, 1968 p172 – 165 –nov. 1969 ; p 211 , 216 ; fev. 1970 – p 11,20.

16. ch. r . aggeron. les algeriens musulmans et la rances 1871 – 1919 –paris 1968 .

17. charles andre julien histoire de l4algerie contemporaine /puf –paris 1964

18. charles/ robert/ ageron / ?./§histoire de l4algerie contemporainet-2puf-1979

a. charrier. l'alfa dans les hauts plateaux de l'algerie, alger 1873, in statistique general de l'algerie

19. chatelier m. : question saharienne touate, chaanba touareg, 1890 alger

20. clauderiviere :introduction a l'antlorogologie,ed,hachette,paris,2002

21. collectif : histoire du maroc, paris 1968, hatier.

22. de beylie (general) la kalaa des bani hammad du 11eme siecle, paris 1908

23. de la martiniere.ahm.et lacroix .n document pour servir a l4etude du nord ouest africain .gouvernement generale de l4algerie .a. jourdan alger 1897

24. dj sari ;l'insurrection de 1881-1882 sned, et ,cneh ,alger 1981.

25. dj. sari : le desastre demographique de 1867-1868 alger 1980.

26. dr. jacquot : expedition du general cavaignac dans le sahara, paris 1847

27. dureau de la molle : esquisse general (s) l'af. anc, paris.1852.

28. elge sainte marie : le commerce et l'agriculture au touate oran 1905.

29. emperanger : etude sur les causes, les effets et les consequences de l'insurrection de 18881, manuscrits archive de la wilaya d'oran. 1883.

30. founel (h) : les berberes 2vol, paris 1857.

31. gautier (f) : le passe du le afrique du nord, payot 1952.

32. golvin (l) : le maghreb central a l'europe des zerides alger1959.

33. graulle : l'insurrection de bou amama, paris 1890.

34. guenard : les ouled sidi cheikh, resume de leur histoire d'apres les origines jusqu'a la revolte, bult. soc, d'ach. geo d'oran 1881-82.

35. guillaume,conquetedu sud oranais la colonne d4igli en 1900,ed-milit/paris /sd
36. gzel(st) : atlas archeologique de l'algerie, paris 1911.
37. henri garrot,histoire ,generale de l4algerie,imp-crescenzo-alger1910
38. idris (e.h) : la barbarie oriental sous les zerides, 2vols, 1959.
39. innocenti : insurrection du sud-oranais, paris 1893.
40. j.c passeron : les grandes societes et colonisation de l'afrique du sud oranais.
41. kiva : le sud-oranais, paris 1885.28
42. rinn : marabout et khouans, etude sur l'islam et l'algerie, alger 1884.
43. la revue africaine.
44. la revue historique (paris)
45. lombard (m) : l'islam dans sa premiere grandeur, paris 1970.
46. lyauty ,vers le maroc ,lettres du sud oranais
47. marçais (g) : l'archeologie musulmane d'occident, paris
48. marçais (g) : manuel de l'art musulman.t11, 1927.
49. margueritte : chasse de l'algerie et notes sur les arabes du sud alger, 1869.
50. megherbi abdel ghani,culture et personnalite de massinissa a nos jours ,e nal,et ,opu 1986,alger
51. millad aissa ,alyaqouta , de sid-chikh 1533-1616,ed enal, 1986 alger .
52. ouatmani settar , ,la kabylie presentee par des auteurs francais du 19 siecle,opu,alger 2011.
53. r. couderc : les hautes steppes du sud-oranais, montpellier, 1979 mitting.
54. r. voinot : la menace des ouled sid cheikh contre le tell algerien et les dangers de leurs intrigue au maroc, in (rev.af) n° 302.303. alger 1920. copolani : les confreries musulmanes (alger 1897)
55. r. voinot : le developpement et les resultats de la crise de 1859 dans les confins algero-marocains, rev. afric alger 1918 n° 296-297.
56. r. voinot : situation sur la frontiere agero-marocaine, du tell, lors de l'insurrection des ouled sid cheikh, dans le sud-orannie, 1864-1874 rev0 af0 300-301.
57. reveus et periodiques
58. revue ,reperes , 1991 alger
59. revue africaine nu 61 an 1920 ed ;opu ; alger
60. revue : la vie algerienne, histoire de ouled sid cheikh sept. 1881, algr.
61. rey goldzeiguer : le royaume arabe alger 1977.
62. rinn l ,marabout et khouan , librairie jordan 1884 ed-alger,rinn
63. robert lowie,histoire de l'ethnologie classique ,tr par helene gremont ,ed payot ,paris 1991 . principal
64. khelifa amara ,kitab ,et ;les chorfa du sud-ouest ,dar el gharb ,oran, ed 1,en 2008
65. sari jillali sari l'insurrection de1882-1881sned-alger1981
66. trumelet : histoire de l'insurrection des ouled sid cheikh de 1864 a 1880, alger 1880.
67. zakari dramani-issoufou ,l'afrique noire dans les relations internationales au xvi siecle ,pub,fipc,karthala paris ,1982